



كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء الخامس عشر

طبعة كاملة وجديدة ، مصححة ، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

Beyrouth - Liban - Imm. Kilopatra - Rue Dakkache - B.P. 11/7957
Tél. Dépôt 274696, 273032, 270766 - Domicile 830711, 830717

بيروت – لبنان – بناية كليوباترا – شارع دكاش – ص.ب: ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع ٢٧٤٦٩٦-٢٧٣٠٣٢-٢٧٠٧٦٦ المنزل ٨٣٠٧١١-٨٣٠٧١٧

/ بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس عشر

من كتاب الأغاني

صوت

هَلْ في ادِّكارِ الحبيبِ من حَرَجِ ... أم هَلْ لهمِّ الفؤادِ مِن فَرَجِ

أم كيفَ أنسَى رحيلَنا حُرُماً ... يومَ حَلَلنا بالنَّخلِ من أمجِ[1]

يومَ يقولُ الرسولُ قد أذِنَتْ ... فائتِ على غيرِ رِقبةٍ فِلجِ

أقبلتُ أسعَى إلى رحالِهمُ ... في نَفحةٍ من نسيمِها الأرِجِ

الشعر لجعفر بن الزُّبير[2]، والغناء للغَرِيض، خفيفُ ثقيلٍ أول، بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر، عن إسحاق. وذكر عَمرو بن بانَةَ أنه لدَحْمانَ في هذه الطريقة والمجرى. وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال: فيه لحنان: لابن سُريج والغَرِيض. وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابن سُريج رملٌ بالوُسطى.

(١) أمج، بالتحريك: بلد من أعراض المدينة.

(٢) الأبيات نسبت في «معجم البلدان» إلى عبيد الله بن قيس الرقيات.

[٤/١٥] / أخبار جعفر بن الزُّبير ونسبه

نسبه:

جعفر بن الزُّبير بن العوّام بن خوَيلدِ بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو، من بني قيس[١] بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قصته مع سليمان بن عبد الملك في فرض الأعطيات:

أخبرني الطُّوسي قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني مصعب بن عثمان قال: أخبرني جدّك عبد الله بن مُصعب[٢] عن أبي غثمان[٣] بن مصعب، عن شعيب بن جعفر بن الزبير قال:

فرضَ سليمانُ بن عبد الملك للناس في خلافته، وغرِض الفرضُ. قال: وكان ابن حزمٍ[٤] في ذلك محسناً يَعْلَم الله، إنّه كان / يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفَعَهم بذلك. ١٠٥/١٣

قال شُعيب بن جعفر بن الزبير: فقال لي سليمان بن عبد الملك: من أنت؟ قلت: شعيب بن جعفر بن الزبير. فقال: ما فعَلَ جعفر؟ فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين[٥] على الكبرَ والعيال. فقال: قلْ له يحضُر الباب. / فقال لجعفر، احضُر الباب. فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير، فرفع معه رقعةً وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فيها قوله: [٥/١٥]

يا عُمرَ بن عمر بن الخطّاب ... إنّ وقوفي من وراء الأبوابْ

* يَعدِلُ عندي حَطْمَ بعضِ الأنياب[٦] *

قال: فلما قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان، فأمر له سليمانُ بألفِ دينارٍ في دَينه، وألفِ دينارٍ معونةً على عياله، وبرقيقٍ من البِيض والسُّودان، وكثير من طعام الجاري[٧]، وأن يُدَان من الصَّدقة بألفي دينار. قال: فلما جاء ذلك

---

(١) هذا ما في ط، مب، مط. وفي م: «ابن عبد عزى من بني قيس» وفي سائر النسخ: «ابن عبد عمرو بن قيس».

(٢) كذا في ط، مب، مط. وهو الصواب؛ إذ أن عبد الله بن مصعب، هو جدّ الزبير بن بكار. وفي بعض النسخ: «جدي» بدل «جدك»، تحريف.

(٣) م: «عن عثمان».

(٤) هو محمد بن حزم، ذكر المسعودي في «التنبيه والإشراف» ٢٧٥ أنه كان قاضي سليمان بن عبد الملك.

(٥) يا أمير المؤمنين، من ط، مب، مط.

(٦) يعدل: يساوي. س: «بعدك». أ، ط: «بعض أنياب»، أي أنيابي.

(٧) ط، مب: «ومن طعام الجار».

إلى أبي قال: أعطيتَه من غير مسألة؟ فقيل: نعم. قال: الحمد لله، ما أسخى هذا الفتى! ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخيٍّ. ولكنّ هذا كأنه[١] من آل حرب. ثم قال:

فما كنت ديانا فقد دِنت إذ بَدَتْ ... صُكوك أميرِ المؤمنين تدور[٢]

بوَصْلِ أولي الأرحام قَبلَ سؤالِهم ... وذلك أمرٌ في الكرامِ كثيرُ

قال بعض من روى هذا الخبرَ عن الزبير: الناس لا ينظرون في عَيب أنفسهم، وما كان لجعفرٍ أن يعيبَ أحداً بالبخل؛ وما رئي في الناس أحدٌ أبخل منهم أهلِ البيتِ ولا من عبد الله بن الزبير خاصة، وما كان فيهم جوادٌ غيرَ مصعب.

قال الزبير: حدّثني عمي، قال: كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدَانَ من أراد من قريش منه[٣]، وكتب بذلك صَكًّا عليه، فيستعبِدُهم به، / ويختلفون إليه، ويديرونه[٤]، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرجَ ذلك منه[٥]، [٦/١٥] حتى كان هارونُ الرشيدُ، فكلّمه عبدُ الله بن مصعب في صُكوكٍ بقيت من ذلك على غير واحدٍ من قريش؛ فأمر بها فخُرِّقت عنهم، فذلك قولُ ابنِ الزبير:

فما كنتُ ديّاناً فقد دِنتُ إذ بدَتْ ... صكوكُ أميرِ المؤمنين تدورُ

قال الزبير: وحدّثني عمّي مُصعبٌ قال:

شهد جعفرُ بن الزبير مع أخيه عبدِ الله حربَه، واستعمله عبد الله على المدينة، وقاتل يومَ قُتِل عبد الله بن الزبير، حتّى جَمَد الدمُ على يده؛ وفي ذلك يقول جعفر:

لعمرُكَ إنّي يوم أجْلَتْ ركائبي ... لأطْيَبُ نفساً بالجِلادِ لدى الرُّكن[٦]

ضنينٌ بمن خَلفِي شحيحٌ بطاعتي ... طِرادُ رجال لا مُطاردةِ الحُصُنِ

- الحصن: جمع حِصان، يقول: هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل في الميادين -

غداةَ تحامَتْنا تُجيب وغافِقٌ ... وهَمْدانُ تبكي من مُطاردةِ الضِّبنِ[٧]

عاتب أخاه عروة وقال شعراً:

قال الزبير:

وحدّثني عمي مصعبُ بن عثمان؛ أنّ جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروةَ معاتبةٌ، فقال في ذلك:

---

(١) كأنه، ساقطة من ط، مب.

(٢) أراد بالديان هنا المقترض، كالمديان.

(٣) ط، مب، مط: «منها»، برجوع الضمير إلى «الصدقة».

(٤) س: «ويداورونه». أ: «ويدبرونه»، وأثبت ما في ط، مب، مط. يقال: أدرته عن الأمر، إذا طلبت منه تركه.

(٥) الاستخراج: استصفاء أموال من اتهم باختلاس الدولة، وكانوا يستخدمون كل ما لديهم من وسائل التعذيب والإرهاق لاستخراج هذه الأموال، وكان لهذا قيم يسمونه «صاحب الاستخراج». انظر «البيان والتبيين» للجاحظ (٢: ١٦٦).

(٦) ط، مب، مط: «كتائبي» موضع «ركائبي».

(٧) تجيب، بضم التاء وفتحها: بطن من كندة. س: «بخبت»، تحريف. والضبن، لعلّه يعني بهم بني ضبينة، وهم حي من قيس.

[٧/١٥] / لا تَلحَيْنِي يابنَ أمّي فإنّني ... عدُوٌّ لمن عاديتَ يا عُروَ جاهدُ
[١٠٦/١٣] وفارقتُ إخواني الذين تتابعوا ... وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عاندُ[١]
ولولا يمينٌ لا أزال أبرُّها ... لقد جمعَتْنا بالفِناء المقاعدُ[٢]

رثاؤه لولده:

قال الزبير: أنشدتني عَمّتي أسماءُ بنت مصعبِ بن ثابتٍ، لجعفرِ بن الزبير، وأنشدنيه غيرُها يرثي ابناً له[٣]:

صوت

أهاجَكَ بينٌ من حبيبٍ قد احتمَلْ ... نعَمْ ففؤادي هائمُ العقلِ مُختبَلْ
وقالوا صُحَيْرات اليمام وقدَّموا ... أوائِلَهم من آخرِ الليل في الثَّقَلْ[٤]
مررنَ على ماءِ العُشَيرة والهوى ... على مَلِلٍ يا لهفَ نفسي على مَلَلْ[٥]
فتَى السنّ كهلُ الحِلمِ يهتزُّ للندَى ... أمرُّ من الدِّفْلَى وأحلى من العَسَلْ[٦]

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر، نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج، ونسبه الهشاميّ إلى الأبجر، قال: ويقال إنه لابن سهيل.

قصة في بيتين من شعره

فأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني ـ وخبره أتم ـ قال: اصطحب قوم في سفر، ومعهم رجلٌ يغنّي، وشيخٌ عليه أثر النُّسك والعبادة، فكانوا يَشتهونَ أن يغنّيهم الفتى ويَستحْيُون من الشّيخ إلى أن / بلغوا إلى صُحَيرات اليمام، فقال له المغنّي: أيها الشيخ إنّ عليّ يميناً أن أنشدَ شعراً إذا انتهيتُ إلى هذا [٨/١٥] الموضع، وإنّي أهابُك وأستحِي منك؛ فإن رأيت أن تأذنَ لي في إنشاده أو تتقدّم حتّى أوفِيَ بيميني ثم نلحقَ بك فافعَلْ. قال: وما عليّ من إنشادك؟! أنشِدْ ما بدا لك. فاندفع يغني:

وقالوا صُحَيرات اليمام وقدّموا ... أوائِلَهم من آخر الليل في الثَّقَلْ
وردنَ على ماء العُشَيرة والهوى ... على مَلَلٍ يا لهف نفسِي على مَلَلْ

فجعل الشيخُ يبكي أحرَّ بكاءٍ وأشجاه، فقالوا له: ما لكَ يا عمُّ تبكي؟ فقال: لا جُزِيتمْ خيراً؛ هذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تبخَلُون عليّ به أتفرّج به[٧] ويقطع عنّي طريقي؛ وأتذكّر أيامَ شبابي. فقالوا: لا واللّه ما كانَ يمنعُنا

---

(١) العاند: العاتي الشديد.
(٢) أ، س: «لا أراك» تحريف، صوابه في ط، مب، مط.
(٣) كذا في ط، مب، مط. وفي بعض النسخ: «لها».
(٤) ويقال أيضاً «صخيرات الثمام» كما في «معجم البلدان»، وهو موضع ذكر في غزاة بدر.
(٥) العشيرة بلفظ التصغير، كما في «معجم البلدان». وملل: وادٍ ينحدر من ورقان حتى يصب في الفرش.
(٦) الدفلى، بكسر الدال: نبات شديد المرارة.
(٧) أتفرّج به: ألتمس الفرج مما أنا فيه من ضيق.

منه غيرُ هيبتك. قال: فأنتم إذاً معذورون. ثم أقبل عليه؛ فقال: عُدْ فدَيتُك إلى ما كنتَ عليه. فلم يَزل يغنِّيهم طُولَ سفرِهم حتّى افترقوا.

شعره في ترقيص ابنته أم عروة:

قال الزبير: وأخبرني مصعب بن عثمان أن أمّ عروة بنت جعفر بن الزبير أنشدته لأبيها جعفرٍ وكان يرقصها بذلك:

يـا حبّـذا عُـروةُ فـي الـدّمـالِجِ[1] أحَـبُّ كـلُّ داخـلٍ وخـارجِ

شعره في ابنه صالح في غزوة أرض الروم:

قال: وأخبرتني أن أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غزا أرضَ الروم، فقال فيه جعفر:

قـد راحَ يـوم السبـتِ حِيـنَ راحُوا[2] مـع الجَمَـال والتُّقـى صَـلاحُ

مـن كـلِّ حـيٍّ نَفَـرٌ سِمـاحُ بيـضُ الـوجـوهِ عَـرَبٌ صِحـاحُ

وفـزِعـوا وأخـذ السـلاح وهـم إذا مـا كُـرِهِ الشِّيـاحُ[3]

* مصاعبٌ يكرهها الجراحُ *

/ قال الزبير: ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبي ربيعة ودخَلَ في شعره. فأمّا الأبياتُ التي ذَكرتُ فيها [٩/١٥] الغِناءَ فمن الناس مَن يرويها لعمر بن أبي ربيعة، ومنهم مَن يرويها للأحوص وللعَرْجيّ؛ وقد أنشَدنيها جماعةٌ من [١٠٧/١٣] أصحابنا لجعفر بن الزبير. وأخبرني بذلك الحرَميُّ، والطوسيّ، وحبيب بن نصر المهلّبي، وذكر الأبيات. وأخبرنيه عمّي عن ابن أبي سعد [عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله. قال ابن أبي سعد][4]: قال الحزاميّ: الناس يروونهاللعَرْجيّ، وأمُّ عروةَ أصْدَقُ.

تزوجه امرأة من خزاعة

أخبرني الطوسيّ قال حدّثنا الزبير قال: حدّثني سعيد بن عمرو الزبيريّ قال: تزوّج جعفر بن الزبير امرأةً من خُزاعة وفيها يقول:

* هل في ادّكارِ الحبيبِ من حَرَجِ *

الأبيات. وزاد فيها بيتين وهما:

تُسفِـر عـن واضـح إذا سَفَـرتْ ليـس بـذي آمَـةٍ ولا سَمِـجِ[5]

وسقط البيت الآخر من الأصل.

---

(١) الدمالج: جمع دملج، وهو حلية تلبس في العضد. ط، مب، مط: «في الروائح».

(٢) في بعض النسخ «حتى راحوا»، صوابه في ط، مب، مط.

(٣) الشياح: المقاتلة. وهذا الشطر من ط، مب، مط.

(٤) هذه التكملة من ط، مب، مط فقط.

(٥) الآمة، كقامة: العيب. والسمج: القبيح ذو السماجة.

وفاته وكثرة من شيع جنازته

قال الزبير في رواية الطوسي: حدّثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب قالا:

كان جماعةٌ من قريش مُنتَحِينَ عن المدينة، فصدر عن المدينة بَدَوِيّ فسألوه: هل كان للمدينة خبر؟ قال: نعم مات أبو الناس. قالوا: وأنّى ذلك؟ قال: شهده أهل المدينة جميعاً؛ وبُكِيَ عليه مِن كلّ دار. فقال القوم: هذا جعفر بن الزبير، فجاءهم الخبر بَعْدُ أنَّ جعفرَ بن الزُّبير مات.

[١٥/١٠] / شعره في زواج الحجاج ببنت عبد الله بن جعفر:

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمد الأنصاريّ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال:

لمّا تزوّج الحجّاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالب، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيَّب فذكر له ذلك، فقال: إني لأرجو أن لا يجمع الله بينهما، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل، وعسى الله، فإن أباها لم يزوّج إلا الدراهم. فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرَدَ البريدَ إلى الحجاج، وكتب إليه يُغْلِظ له ويقصِّر به، ويذكُر تجاوُزَه قدْرَه، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مَسَّها ليقطعن أحبَّ أعضائه إليه، ويأمُره بتسويغ أبيها المهر[1]، وبتعجيل فراقها. ففَعلَ، فما بقي أحد فيه خير إلا سَرّه ذلك.

وقال جعفر بن الزبير وكان شاعراً في هذه القصة:

وجدتُ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسُفٍ	حَمِيًّا من الأمر الذي جئتَ تَنْكَفُ[2]
ونُبِّئْتُ أن قد قالَ لمّا نكحتَها	وجاءت به رسْلٌ تخُب وتُوجِف[3]
ستَعلمُ أنّي قد أنِفتُ لِمَا جَرَى	ومثلُكَ منه عَمْرَكَ الله يُؤنَفُ
ولولا انتكاسُ الدهرِ ما نالَ مثلها	رجاؤُك إذ لم يرجُ ذلك يُوسَفُ
أبِنتَ المصفَّى ذِي الجناحَين تبتغي	لقد رُمْتَ خَطْباً قدرُه ليس يُوصَف[4]

(١) التسويغ: الإعطاء.

(٢) ابن يوسف، أراد بابن يوسف، يعني الحجاج. والحمى: الذي أخذته الحمية، وهي الأنفة والغيرة. ويقال نكف عن الأمر: عدل.

(٣) الخبب والإيجاف: ضربان من السير السريع.

(٤) ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب. كان قد حمل لواء المسلمين في يوم مؤتة بيمينه فقطعت، ثم بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه فقتل وخرّ شهيداً، فيقولون: إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما في الجنة. «الإصابة» ١١٦٢.

[١١/١٥]

/ صـوت

كـأنْ لـم يكُـن بيـنَ الحَجُـونِ إلـى الصَّفـا أنيـس ولـم يسمُـرْ بمكّـةَ سـامـرُ(١)

بَلَـى نحـنُ كنّـا أهلهـا فـأبـادنـا صـروفُ الليـالِـي والجـدودُ العـواثـر(٢)

عروضه من الطويل. الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازي لمُضَاض بن عمرو / الجرهميّ. وقال غيره: ١٠٨/١٣ بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض.

أخبرنا بذلك الجوهريُّ عن عُمَر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد. وقال عبد العزيز بن عمران(٣): هو عمرو بن الحارث بن مضاض. والغناء ليحيى المكي، رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوريّ بالبنصر. وفيه لأهل مكة لحنٌ قديم ذَكَره إبراهيمُ ولم يجنِّسْه.



(١) الحجون، بفتح الحاء: جبل بمعلاة مكة. والصفا: من مشاعر مكة بلحف أبي قبيس.
(٢) الجدود: الحظوظ. العواثر، يعني بها الخوائب.
(٣) ابن عمران، من ط، مب، مط.

[١٢/١٥] / ذكر خبر مُضَاض بن عمرو

أمر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل أن يتزوج ابنته:

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ. وكان جدُّه مضَاضٌ قد زوّج ابنتَه رَعْلة، إسماعيلَ بنَ إبراهيم خليلِ الرحمٰن، فولدت له إثنى عَشَر رجلاً أكبرهُم قَيذارُ ونابت. وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمرهُ بذلك لأنّه لما بنى مكة وأنزلها ابنَه قدِم عليه قَدْمةً من قَدَماتِه، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل، فأعجبَتْه لغتُهم واستحسَنَها، فأمر إسماعيلَ عليه السلام أن يتزوَّجَ إليهم، فتزوّجَ بنتَ مضاض بن عمرو، وكان سيّدَهم.

حرب جرهم وقطوراء:

فأخبرنا محمد بن جرير، قال: حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق. وأخبرني محمد بن جعفرٍ النحويّ قال: حدّثناإسحاق بن أحمد الخزاعي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الأزرقي قال: حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساجٍ عن محمد بن إسحاق. ورواية إسحاق بن أحمد أتمُّ. وقد جمعتها:

أن نابتَ بن إسماعيلَ ولِيَ البيتَ بعد أبيه ثم تُوفّيَ، فولي مكانه جدُّه لأمه مُضاضُ بن عمرٍو الجرهمي، فضمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه، ونزلت جُرهمٌ مع مَلِكهم مضاض بن عمرو بأعلَى مكّة، ونزلَتْ قَطُوراء مع مِلكهم السَّمَيْدع أجيادَ، أسفلَ مكة[١]. وكان هذان البطنانِ خرجا سَيّارةً من اليمن،وكذلك كانوا لا يَخرُجون إلاّ مع ملكٍ يُملّكونه عليهم، فلما رأوا مَكّةَ رأوْا بلداً طيّباً، وماءً وشجراً، فنزلاَ ورضي كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازِعْه، فكان مُضاض يَعْشِر[٢] من جاء مكّةَ من أعلاها، / وكان السَّميدع يعشِر مَن جاءها مِن أسفلها ومن كَدَاء[٣] لا يدخُل [١٣/١٥] أحدُهما على صاحبه في أمره، ثم إن جرهماً وقَطُوراءَ بغَى كلُّ واحد منهما على صاحبه، فتنافَسوا في المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم؛ وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدع، فخرجَ مضاضٌ من بطنِ قُعَيقِعان مع كتيبتِه في سلاحٍ شاك[٤] يتقعقع ـ فيقال: ما سميت قُعَيْقِعان إلا بذلك ـ وخرج السميدع من شِعب[٥] أجيادَ، في الخيل الجيادِ والرجال ـ ويقال: ما سميت أجياداً إلا بذلك ـ حتى التقَوا بفَاضح، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفُضِحت قَطُوراء ـ ويقال: ما سمّي فاضحاً إلا بذلك ـ ثم تداعى القومُ إلى الصلح فساروا حتّى نزلوا المطابخ شِعباً بأعلى مكّة، وهو الذي يقال

---

(١) أجياد: أرض بمكة، أو جبل بها.

(٢) عشره يعشره عشراً، من باب نصر: أخذ عشر ماله.

(٣) كذا في أ، ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «كدى». أما الممدودة فهي بفتح الكاف، وأما المقصورة فبضمها. فقيل المقصورة بأسفل مكة والممدودة بأعلاها، وقيل العكس أيضاً. انظر «معجم البلدان».

(٤) السلاح الشاكي: ذو الشوكة والحد.

(٥) الشعب، بالكسر: الطريق في الجبل.

له الآن شِعب بنِ عامر فاصطلحوا هناك، وسلّموا الأمر إلى مضاض؛ فلمّا اجتمع له أمرُ مكّة، وصار مَلِكَها دونَ السّميدع نَحَرَ للناس فطبَخُوا هناك الجُزُر، فأكلوا، وسمّي ذلك الموضع المطابخ. فيقال: إنّ هذا أوّلَ بَغْيٍ بمكة، فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب[١]:

نحــنُ قتلنــا سيِّــدَ الحــيِّ عَنــوةً ... فــأصبــحَ منهــا وهــو حيــرانُ مُــوجَــعُ

/ ـ يعني أنّ الحيَّ أصبح حَيرانَ موجَعا ـ

١٠٩/١٣

ومــا كــانَ يبغِــي أن يكــون سَــواؤنــا ... بهــا مَلِكــاً حتّــى أتــانــا السَّميــدعُ[٢]

فــذاق وبــالاً حيــن حــاوَلَ مُلْكَنــا ... وحــاولَ مِنَّــا غُصَّــةً تُتجــرّعُ[٣]

ونحــنُ عمــرنَــا البيــتَ كُنَّــا وُلاتَــه ... نُضــارِب عنــه مَــنْ أتــانــا ونــدفــع

/ ومــا كــان يبغــي ذاك فــي النــاس غيــرُنــا ... ولــم يــك حــيٌّ قبلنــا ثَــمَّ يمنــعُ [١٥/١٤]

وكُنّــا ملــوكــاً فــي الــدهــور التــي مضَــتْ ... ورِثْنــا مُلــوكــاً لا تُــرام فتُــوضَــعُ

انتقام ممن استخف بحق البيت:

قال عثمان بن ساج في خبره:

وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ سيلاً جاءَ فدخل البيتَ فانهدم، فأعادته جرهم على بناءِ إبراهيم، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له أبو الجدرة واسمه عمر الجارود، وسمّي بنوه الجَدَرة. قال: ثم استخفّتْ جرهمٌ بحقِّ البيت، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة، وكان للبيتِ خِزانة، وهي بئرٌ في بطنه، يُلقَى فيها الحَليُ والمتاع الذي يهدى له، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه، فتواعَدَ عليه خمسةٌ من جرهمٍ أن يَسرِقوا كلَّ ما فيه، فقام على كلِّ زاوية من البيت رجلٌ منهم واقتحم الخامس، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفلَه، وسقط منكَّساً فهلَك، وفرّ الأربعة الآخرون.

خبر إساف ونائلة:

قالوا: ودخل إساف ونائلة[٤] البيتَ ففجَرَا فيه، فمسخَهما الله حَجَرين، فأُخرِجا من البيت. وقيل إنّه لم يَفْجُر بها في البيت، ولكنه قبَّلَها في البيت.

وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزناد، أنه إساف بن سهَيل، وأنها نائلة بنت عمرو بن ذئب. وقال غيره: إنها نائلة بنت ذئب. فأُخرِجا من الكعبة، ونُصِبا ليعتَبِر بهما من رآهما، ويزدجرَ النّاسُ عن مِثْلِ ما ارتكَبا، فلما غَلَبَتْ خُزاعةُ على مكة ونُسِيَ حديثُهما، حوّلهما عَمرُو بن لحيّ بن كلابٍ بعد ذلك؛ فجعلها تُجاهَ الكعبةِ يُذبَحُ عندَهما عندَ موضِعِ زمزم.

---

(١) الكلام بعده إلى قوله: «ثم رموا بالجدب من خلفهم» ساقط من ط.

(٢) سواؤنا: لغة في سوانا.

(٣) أ: «يتجرع».

(٤) هما اللذان يزعم العرب أنهما مسخا حجرين فجعلا صنمين يعبدان. وإساف، بفتح الهمزة وكسرها. وكان هذا الصنم على الصفا. وأما نائلة فكان على المروة. وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.

دفاع مضاض عن حرمة البيت:

قالوا: فلما كثر بغيُ جرهمٍ بمكّة قام فيهم مضَاض بن عمرو بنِ الحارثِ بن مضاض فقال:

[١٥/١٥] / يا قوم احذَرُوا البغيَ، فإنّه لا بقاء لأهله، وقَدْ رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحَرَمِ ولم يعظِّموه وتنازعوا بينَهم واختلفوا، حتّى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم[١] فتفرَّقوا في البلاد، فلا تستخفُّوا بحقّ الحرمِ وحُرمةِ بيت الله، ولا تظلموا مَنْ دخَله وجاءه معظِّماً لحرُماته، أو خائفاً، أو رغِب في جِواره، فإنّكم إنْ فعلتم ذلكم تخوَّفْتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍّ وصَغَار، حتّى لا يقدرَ أحدٌ منكم أن يصلَ إلى الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حِرزٌ وأمْن، والطَّيرُ تأمَن فيه.

فقال قائل منهم يقال له مجدع: ومن الذي يُخرجنا منه؟ ألسنا أعزَّ العربِ وأكثَرَهم مالاً وسلاحاً؟ فقال مضاضٌ: إذا جاء الأمرُ بطَلَ ما تذكرون؛ فقد رأيتم ما صَنَع الله بالعماليق! قالوا: وقد كانت العماليق بغَتْ في الحرمِ، فسلَّطَ الله عزّ وجلّ عليهم الذَرَّ[٢] فأخرجهم منه، ثم رُمُوا بالجَدْبِ مِن خلفِهم حتّى ردَّهم الله إلى مساقط رؤوسهم، ثم أرسلَ عليهم الطوفان ـ قال: والطوفان: الموت ـ قال: فلما رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهم عليه، عَمَد إلى كنوز الكعبة، وهي غَزَالانِ من ذهبٍ، وأسيافٌ قَلَعية[٣]، فحفر لها ليلاً في موضع زمزم، ودفنها. ١١٠/١٣ فبيناهمْ / على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مَأرِبٍ، ومعهم طُرَيفة[٤] الكاهنة، حين خافوا سَيلَ العرِم، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زَيد بن [١٦/١٥] كهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان، فقالت لهم / طُرَيفة لمَّا قاربوا[٥] مكة: «وحَقِّ ما أقول[٦]، وما علَّمني ما أقولُ إلا الحكيمُ المحكَّم، ربُّ جميعِ الأمم، من عَرَب وعَجَم». قالوا لها: ما شأنُك يا طريفة؟ قالت: «خُذُوا البعيرَ الشدقم[٧]، فخضِّبُوه بالدَّم، تكنْ لكم أرضُ جُرهم، جيرانِ بيتِه المحرَّم». فلما انتهَوْا إلى مكّة وأهلِها أرسلَ إليهم عمروٌ ابنهُ ثعلبة، فقال لهم: يا قوم، إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزلْ بلدةً إلا أفسحَ أهلُها لنا، وتزحزحوا عَنّا، فنقيم معهم حتّى نُرسِلَ رُوّاداً فيرتادوا لنا بلداً يَحمِلنا، فافسَحُوا لنا في بلادكم حتّى نقيمَ قَدْرَ ما نستريح، ونرسل رُوّادنا[٨] إلى الشّام وإلى الشرق، فحيثُما بَلَغنا أنّه أمْثَلُ لحِقنا به، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيراً، فأبت ذلك جرهمٌ إباءً شديداً، واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله؛ ما نحبُّ أن تنزلوا فتضيِّقوا علينا مَرابِعنا[٩] ومَوارِدَنا، فارحَلوا عنا حيثُ أحببتم، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم. فأرسلَ إليهم: إنّه لا بدّ من المقامِ بهذا البلدِ

---

(١) الاجتياح: الاستئصال والإهلاك.

(٢) الذر: صغار النمل.

(٣) القلعية: نسبة إلى القلعة بالفتح والتحريك، وهو بلد ببلاد الهند تنسب إليه السيوف الجياد.

(٤) طريفة، بالقاف في ط، أ، مب. وفي سائر النسخ بالفاء.

(٥) كذا على الصواب في ط، مب، مط. وفي أ: «لما قاموا». وفي سائر النسخ «لا تؤموا مكة»، تحريف.

(٦) هذا هو الصواب في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «حتى أقول».

(٧) الشدقم: الواسع الشدق.

(٨) كذا في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «روادا».

(٩) المرابع: جمع مربع، وهو موضع الإقامة في الربيع.

حولاً، حتى ترجع إليّ رسلِي التي أرسلتُ، فإن أنزلتموني طَوعاً نزلتُ وحمِدتُكم وآسيتُكم[١] في الرِّعي والماء، وإنْ أبيتم أقمتُ على كَرْهكم ثم لم تَرتَعوا معي إلاّ فَضْلاً[٢]، ولم تشربوا إلا رَنَقا[٣]، وإنْ قاتلتموني قاتلتكم، ثُمّ إنْ ظَهَرتُ عليكم سَبَيتُ النساء وقتلتُ الرجال، ولم أترك منكم أحداً يَنزل الحرمَ أبداً! فأبَتْ جرهمٌ أن تُنزِلَه / طَوعاً [١٧/١٥] وتَعبَّتْ لقتاله[٤]، فاقتتلوا ثلاثةَ أيامٍ أفرغَ عليهم فيها الصبرُ، ومُنِعوا النصر[٥]، ثم انهزمَتْ جُرهُم فلم يُفلِتْ منهم إلا الشَّريد. وكان مُضاض بن عمرو قد اعتزلَ حربَهم ولم يُعِنْهم في ذلك، وقال: قد كنتُ أحذِّركم هذا. ثم رحَلَ هو وولدُه وأهلُ بيته حتّى نزلوا قَنَوْنَى[٦] وما حولَه، فبقايا جُرهم[٧] به إلى اليوم، وفَنِيَ الباقون؛ أفناهم السيفُ في تلك الحروب.

شعره في نفي جرهم عن الحرم

قالوا: فلما حازت خزاعةُ أمرَ مكّةَ وصاروا وأهلَها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جرهمٍ وخُزاعة، فلم يدخلوا في ذلك، فسألوهم السُّكنَى معهم وحَولَهم فأذِنُوا لهم، فلما رأى ذلك مضاضُ بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم، أرسل إلى خزاعةَ يستأذنها، ومَتَّ إليهم برأيه[٨] وتوريعه قومه عن القتال[٩]، وسوءِ العِشرة في الحرم، واعتزالِه الحرب، فأبَتْ خزاعةُ أنْ يُقِرُّوهم ونَفَوْهم عن الحرم كلِّه، وقال عمرو بن لحي لقومه: من وجدَ منكم جرهميا قد قاربَ الحَرَمَ فدمُه هَدَر[١٠]! فنزعَتْ إبلٌ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو، مِنْ قَنَوْنَى تريد مكة، فخرجَ في طلبها حتّى وجدَ أثرها[١١] قد دخلَتْ مكة، فمضَى على الجِبال نحوَ أجياد، حتّى ظهَرَ على أبي قُبَيس[١٢] يتبصَّر الإبلَ في بطن وادي / مكّة، فأبصر الإبلَ تُنحَرُ وتؤكل [١٨/١٥] ولا سبيلَ له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتَل، فولَّى منصرِفاً إلى أهله وأنشأ يقول:

كأنْ لم يكن بينَ الحجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ
ولم يَتربَّعْ واسطاً فجنُوبَه ... إلى المنحنَى من ذي الأراكة حاضر[١٣]

---

(١) المواساة والمؤاساة: التسوية. ط، مب، أ «وواسيتكم». ونص في «القاموس» أنها لغة رديئة.
(٢) الارتعاء: الرعي.
(٣) الرنق بالفتح والسكون، وككتف وجبل: الماء الكدر.
(٤) التعبي: التهيؤ والاستعداد للقتال.
(٥) أي لم ينتصر أحد الفريقين.
(٦) قنوني، بفتح القاف والنون: وادٍ من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة. ط، مب: «فنوني» بالفاء وبضبط سابقه، في مط: «قنونا». قال ياقوت: «موضع في بلاد العرب».
(٧) ط، ها: «بها».
(٨) مت: توسل. ط، مب: «برائه». والراء: الرأي.
(٩) ورعه توريعاً: كفه. ما عدا ط، مب، مط: «توزيعه». والتوزيع: التفريق، ولا وجه له.
(١٠) كذا في ط، مب، مط. وبدله في سائر النسخ: «وقالوا: من دخله منهم فدمه هدر».
(١١) ما عدا ط، أ، مب: «حتى وجدها».
(١٢) ظهر عليه: علاه. وأبو قبيس: جبل بمكة.
(١٣) التربع: الإقامة بالمكان. وواسط: موضع بالحجاز في طريق منى. وذو الأراكة: نخل بموضع من اليمامة. ما عدا ط: «من دي الأريكة»، تحريف. مب: «من ذي أراكة». مط «من ذي أراك».

١١١/١٣

/ / بَلَى نحـنُ كنّـا أهلَهـا فـأبـادنـا ... صـروفُ اللَّيـالـي والجـدود العـواثـر

وأبـدَلَنـا ربّـي بهـا دارَ غُـربـةٍ ... بهـا الـذئـبُ يعـوي والعـدوُّ المخـامـر(١)

أقـولُ إذا نـام الخلـي ولـم أنـم ... أذا العـرشِ لا يَبْعَـدْ سُهيـلٌ وعـامـر(٢)

قـدْ أبدلـتْ منهـم أوجُهـاً لا أريدُهـا ... وحِمْيَـرُ قـد بُـدّلتُهـا واليُحـابـرُ(٣)

فـإن تَمِـلِ الـدُّنيـا علينـا بكَلْهـا ... ويُصبِـحُ شـرٌّ بيننـا وتشـاجُـرُ(٤)

فنحـنُ ولاةُ البيـتِ مِـن بَعـد نـابـتٍ ... نُمشّـي بـه والخيـرُ إذْ ذاكَ ظـاهـر(٥)

وأنكـحَ جـدّي خَيْـرَ شخـصٍ علمتَـهُ ... فـأبنـاؤه مِنّـا ونحـنُ الأصـاهـر(٦)

وأخـرجَنـا منهـا المليـكُ بقـدرةٍ ... كـذلـك يـا لَلنّـاسِ تجـري المقـادر

[١٩/١٥] / فصـرنـا أحـاديثـاً وكُنّـا بغِبطـةٍ ... كـذلـك عَضَّتنـا السّنـونَ الغـوابـرُ

وسَحّـتْ دمـوعُ العيـن تَبكـي لبلـدةٍ ... بهـا حَـرَمٌ أمْـنٌ وفيهـا المشـاعـر

ويـا ليـتَ شعـري مَـنْ بـأجيـادَ بعـدَنـا ... أقـامَ بمُفْضَـى سَيلـه والظَّـواهـر(٧)

فبطـنُ مِنًـى أمسَـى كـأنْ لـم يكـنْ بـه ... مُضَـاضٌ ومـن حَيَّـيْ عـديٍّ عمـائـرُ(٨)

فهـل فَـرَجٌ آتٍ بشَـيْءٍ نحِبُّـه ... وهـل جَـزَعٌ مُنجيـكَ ممّـا تحـاذرُ

قالوا: وقال أيضاً:

يـا أيُّهـا الحـيُّ سِيـرُوا إنّ قَصْـرَكُـم ... أن تُصبحـوا ذاتَ يـومٍ لا تسيـرونـا(٩)

إنّـا كمـا أنتـمُ كُنّـا فغَيّـرَنـا ... دهـرٌ بصَـرفٍ كمـا صِـرنـا تصيرونـا(١٠)

أزجُـوا المطـيَّ وأرخُـوا مـن أزِمّتِهـا ... قَبـلَ الممـاتِ وقَضُّـوا مـا تُقضُّونـا(١١)

قـد مـال دهـرٌ علينـا ثـم أهلَكَنـا ... بـالبَغْـي فيـه فقـد صِـرنـا أفانينـا(١٢)

كنّـا زمـانـاً ملـوكَ النـاس قَبلكـمُ ... نـأوي بـلاداً حـرامـاً كـان مسكـونـا

قال الأزرقي: فحدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران قال:

---

(١) المخامر: المستتر. ط: «المحاصر». مط: «المحاضر».

(٢) أذا العرش، أي يا ذا العرش.

(٣) ما عدا ط، أ، مب، مط: «وبدلت». يحابر بضم الياء، بن مالك بن أدد: قبيلة من اليمن. وفي «الاشتقاق» لابن دريد: «ويحابر بن مالك، وهو مراد، وإنما سمي مراد لأنه أوّل من تمرد باليمن».

(٤) الكل: الثقل، كذا جاءت الرواية في ط، أ، مب، مط. وفي سائر النسخ: «بكلكل».

(٥) نابت: ابن إسماعيل بن إبراهيم.

(٦) أ، ط: «الأياصر». مب، مط: «الأباصر» بالباء الموحدة.

(٧) في البيت إقواء.

(٨) العمائر: جمع عمارة، وهي أصغر من القبيلة وأكبر من البطن.

(٩) قصركم وقصاراكم: نهايتكم ومآلكم.

(١٠) الصرف: واحد صروف الدهر، وهي نوائبه، وحوادثه.

[illegible]

اجتمع به أبو سلمة بن عبد الأسد وهو مسنّ معلق في شجرة:

وخرج أبو سلمة بن عبد الأسدِ المخزومي قُبيل الإسلام في نفرٍ مِن قريش يريدون اليمنَ فأصابهم عطشٌ شديد ببعضِ الطريق، وأمسَوْا على غيرِ الطريق، فتشاوروا جميعاً، فقال لهم أبو سلمة: إنّي أرى ناقتي تُنازعني شِقّاً[1]؛ أفلا أرسلُها وأتبعها؟ قالوا: فافعَلْ. فأرسلَ ناقته وتبعها فأضحَوْا على ماءٍ وحاضِر[2]، فاستقَوا / وسَقَوا، فإنّهم [٢٠/١٥] لَعَلَى ذلك إذْ أقبلَ إليهم رجلٌ فقال: مَنِ القوم؟ قالوا: من قريش. فرجَع إلى شجرةٍ أمام الماء فتكلَّمَ عندها بشيء ثم رجع إلينا، فقال: أينطلق معي أحدُكم إلى رجل نَدْعوه[3]. قال أبو سلمة: فانطلقتُ معه فوقَفَ بي تحتَ شجرةٍ، فإذا وكر معلَّقٌ فصوَّتَ: يا أبتِ! فزعزع شَيخٌ رأسَه[4]، فأجابه فقال: هذا الرجل. فقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من قريش. قال: من أيِّها؟ قلت: من بني مخزومِ بن يَقَظة. قال: مِن أيِّهم؟ قلت: أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بنِ عبدِ الله بنِ عمروِ بن مخزومِ بن يقظة. قال: أيهاتَ منك[5]! أنا ويَقَظةُ سِنّ[6]، أتدري من يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامرُ

/ بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنا ... صُروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ ١١٢/١٣

قلت: لا. قال: أنا قائلها، أنا عمرو بن الحارثِ بنِ مضاض الجرهمي. أتدري لم سمّى أجيادٌ أجياداً؟ قلت: لا. قال: جادت بالدِّماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء؛ أتدري لم سمّي قُعيقِعانُ؟ قلت: لا. قال: لتقعقُع السلاحِ على ظهورِنا لمّا طلعنا عليهم منه.

وأخبرني بهذا الخبر الحرميُّ بن أبي العلاءِ؛ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ؛ قال: حدّثنا عبد العزيز بن عمران؛ قال حدّثني راشد بن حفص بنِ عمر بنِ عبدِ الرحمٰن بنِ عوف، قال: قال أبو سلمة بن عوف[7]:

/ وخرجت في نفرٍ من قريشٍ يُريدون اليمن. وذكر الخبرَ مثلَ حديثِ الأزرقيّ. والله أعلم. [٢١/١٥]

تغريب ربيعة بن أمية بن خلف

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثنا غسان بن عبد العزيزِ بن عبد الحميد[8] أنّ ربيعة بن أمية بنِ خَلَفٍ كان قد أدْمَنَ الشرابَ، وشرب في شهر رمضان، فضرَبه عمرُ رضي الله عنه وغرَّبه إلى ذِي المروةِ، فلم يزل بها حتّى تُوُفِّي واستخلِف عثمانُ رضي الله عنه؛ فقيل له: قد توفّي عمرُ واستخلِف عثمانُ فلو دَخلتَ المدينة ما ردَّكَ أحد. قال: لا والله لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غرَّبه رجلٌ

(١) شقاً، أي جانباً.

(٢) ما عدا ط، أ، مب، مط: «فأصبحوا». والحاضر: القوم المقيمون على الماء.

(٣) ط: «يدعوه».

(٤) زعزع: حرّك.

(٥) أيهات: لغة في هيهات بمعنى بعد. ما عدا ط، أ، مب، مط: «أنبئك».

(٦) أي في سن وعمر واحد.

(٧) أي اسم صاحب القصة أبو سلمة بن عوف، لا أبو سلمة بن عبد الأسد.

(٨) ابن عبد الحميد، من ط فقط. مب، مط: «غسان بن عبد الحميد» فقط.

من بني عديّ بنِ كعبٍ. فلحِق بالرُّومِ وتنصَّرَ، فكان قيصرُ يَحْبُوه ويُكرِمه، فأعقَبَ[١] بها.

تغني الربيع بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض

قال غسان: حدّثني أبي قال: قدِم رسولُ يزيد بنِ معاوية على معاوية من بلادِ الرومِ؛ فقال له معاوية: هل كان للناسِ خبر؟ قال: بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سمِعنا رجلاً فصيحَ اللسانِ مُشرِفاً من بين شُرفتينِ[٢] من شُرَفِ الحصن، وهو يُنشِد:

كأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُر بمكةَ سامرُ

فقال معاوية: ويحكَ، ذاك الربيعُ بن أُمية يتغنى بشعرِ عمرِو بن الحارثِ بن مُضاضٍ الجرهمي.

[٢٢/١٥] **غناء ابن جامع بشعر مضاض:**

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال؛ حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال: قال لي أبي: مُرْ بالدوابِّ تُسرَجْ سحراً حتّى نغدوَ إلى ابن جامعٍ[٣] نستقبلُه بالياسِريةِ[٤] بِسُحرةٍ[٥] لا تأخذنا الشّمس[٦] قال: فأمرت بذلك. وركبنا في السحَر فأصبَحْنا دون الياسريةِ، وقد طلعَتْ علينا الشّمس. قال: فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضِبٌ وعلى رأسِه ولحيته خِرَقُ الخضابِ، وإذا بِقدْرٍ تُطبخ في الشّمس؛ فلما نظَرَ إلينا رحَّبَ بنا، وقام إلينا فسلَّمَ علينا، ثم دعا الماءِ فغسَل رأسه ولحيته، ثم دعا بالغَداءِ فأتِيَ بغَدائه، فغرَفَ لنا من تلك القِدْرِ التي في الشمس، فتقزّزت[٧] وبَشِعتُ من ذلك الطعامِ الذي طُبِخ، فأشار إليّ أبي: بأنْ كُلْ. فأكلْنا حتى فرَغنا من غَدائنا، فلما غسلْنا أيدِيَنا نادى ابنُ جامع: يا غلام هاتِ شرابنا! فأُتِي بنبيذٍ في زُكْرةٍ قد كانت الزُّكرة في الشمس[٨]، فكرهت ذلك، فأشار إليّ أبي، أنْ لا تمتنعْ، ثم أتَوا بقَدَحٍ جَيشانيٍّ[٩] مِلءِ الكفِّ، فصُبَّ النبيذُ فيه وهو يُشبِه[١٠] ماءً قد[١١] أُغلِيَ بالنار، ثم غنَّى ابنُ جامع فقال:

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ
بلَى نحنُ كنا أهلَهَا فأزالنا ... صُروفُ الليالي والجُدودُ العواثرُ

---

(١) أعقب بها: صار له بها ولد ونسل.
(٢) الشرفة، بالضم: ما يوضع على أعالي القصور والمدن. ما عدا ط، مب، مط: «من شرفين»، تحريف.
(٣) هو إسماعيل بن جامع. وقد سبقت ترجمته وأخباره.
(٤) الياسرية: قرية كبيرة على نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان. ما عدا ط: «بالباسرية» بباء موحدة، تحريف.
(٥) السحرة، بالضم: وقت السحر.
(٦) أي لئلا تأخذنا الشمس.
(٧) كذا في ط، أ، مب. وفي سائر النسخ: «فنفرت».
(٨) الزكرة، بضم الزاي: زقيق صغير للشراب. ما عدا ط: مب، مط: «ركوة وقد كانت الركوة في الشمس».
(٩) الجيشاني، بفتح الجيم: نسبة إلى جيشان: مخلاف باليمن تنسب إليه الأقداح والخمر السود أيضاً. ط، مب: «جبساني»، مط: «حيساني» تحريف. والخمر: جمع خمار بكسر الخاء.
(١٠) ما عدا ط، أ، مب: «يشوبه» تحريف.
(١١) هذه الكلمة من ط، مب، مط فقط. وبدلها في أ: «ثم».

[١٥/٢٣]
١١٣
١٣

صوت

ثم غنّى، للعرجيّ[١]:

لـو أنّ سلمَـى رأتنـا لا يَـرَاعَ لنـا ... لَمَـا هبَطْنـا جميعـاً أبْطُـن السـوقِ[٢]
وكَشْـرَنـا وكُبـولُ القَيـنِ تنكـؤنـا ... كـالأُسـدِ تكشِرُ عـن أنيـابِهـا الـرُّوق[٣]

صوت

ثم تغنّى:

أجـرَّرُ فـي الجـوامـعِ كُـلَّ يـومٍ ... فيـا لِلَّـهِ مَظْلِمَتـي وصَبْـري

ثم أمَر بالرَّحيل. وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات. فقال لي أبي: يا بنيّ بشِعتَ لِمَا رأيتَ مِن طعام ابنِ جامع وشرابه؛ فعليَّ عِتقُ ما أملِك[٤] إنْ لم يكن شُربُ الدمِ مع هذا طيِّباً. ثم قال: أسمِعتَ بنيَّ غِناءً قطُّ أحسَنَ من هذا؟ فقلت: لا واللهِ ما سمعتُ. قال: ثمّ خرجَ ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرشيدِ ليلاً، واجتمع المغنُّون على الباب، وخرجَ الرسولُ إليهم فأذِنَ لهم؛ والرشيدُ خلف السِّتارةِ، فَغَنَّوْا إلى السَّحَر؛ فأعطاهم ألفَ دينارٍ إلاّ ابنَ جامع فلم يعطِهِ شيئاً، وانصرفوا متوجِّهينَ له، وعَرَضوا عليه جميعاً فلم يقبل؛ وانصرفوا، فلما كان في الليلةِ الثانيةِ دُعُوا فغنَّوا ساعةً، ثم كُشِفت الستارة، وغنّى جامعٌ صوتاً عَرَّضَ فيه بحالِهِ وهو:

[١٥/٢٤]

صوت

تقـولُ أقِـمْ فينـا فقيـراً ومـا الـذي ... تَـرَى فيـه ليلـيَ أن أُقيـمَ فقيـرا
ذَريني أمُتْ يـا ليـل أو أكسِبَ الغنى ... فـإنّـي أرى غَيـرَ الغنـيِّ حقيـرا
يُـدَفَّـعُ فـي النـادي ويُـرفَـض قـولـه ... وإن كـان بـالـرأيِ السَّديـدِ جـديـرا
ويُلْـزَمُ مـا يَجنِـي سـواه وإن يُطِـفْ ... بـذنـبٍ يكـن منـه الصغيـرُ كبيـرا[٥]

قالوا: فأعجَبَ الرَّشيدَ ذلك الشعرُ واللحنُ فيه، وأمال رأسَه نحوه كالمستدعِي له. وغنَّاه أيضاً:

صوت

لئـن مِصـرُ فـاتَتْـني بمـا كنـتُ أرتجـي ... وأخلَفَـنـي منهـا الـذي كنـتُ آمُـلُ[٦]

---

(١) هذا الصواب في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «العرجي».
(٢) اليراع: الضعاف من الغنم وغيرها. ط: «لا نزاع لنا». ط، مب: «أبطح السوق». مط «أبطح الشوق».
(٣) الكشر: التبسم، وبدو الأسنان عند الضحك. والكبول: جمع كبل بالفتح والكسر، وهو القيد، والقين: الحداد. تنكؤنا: تؤلمنا كذا جاءت الرواية على الصواب في ط، مب، مط. وفي أ: «تبكؤنا». وفي سائر النسخ: «تبكرنا». الروق: جمع أروق درروقاء، وهو الذي طالت ثناياه العليا على السفلى.
(٤) أ، ط، مب: «فعتق ما يملك»، وهو أسلوب يبدلون به الكلام لئلا يقع المتكلم به فيما تقتضيه اليمين من نذر أو طلاق أو نحوهما.
(٥) كذا على الصواب في ط، مب، مط. وفي جـ: «ويلزمني» وفي سائر النسخ: «ويغفر».
(٦) الأبيات لأبي دهمان الغلابي، كما نصّ الجاحظ في «البيان والتبيين» (٢: ٢٩١). وكذا جاءت رواية البيت في ط، مب، مط، جـ =

فما كلُّ ما يخشى الفتى نازلٌ به ... ولا كلُّ ما يرجو الفتى هو نائلُ[1]

ووَاللّهِ ما فرّطت في وجهِ حِيلةٍ ... ولكنَّ ما قد قَدَّر اللّهُ نازل

وقد يَسْلَم الإنسانُ من حيث يتَّقي ... ويُؤتَى الفتى مِن أمنِهِ وهو غافلُ

ثم أمر بالانصراف فانصرفوا، فلمَّا بلغوا السِّتْرَ صاح به الخادم: يا قرشيُّ مكانكَ. فوقفَ مكانَه فخرج إليه بخِلَعٍ وسبعةِ آلاف دينار، وأُمِرَ إنْ شاء أن يقيم، وإنْ شاء أن ينصرف.

غناء امرأة جرهمية بشعر مضاض:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: ذكر الكلبي عن أبيه: أنّ الناسَ بيناهمُ في ليلةٍ مُقمرةٍ في المسجدِ الحرام، إذْ بصرُوا بشخصٍ قد أقبَلَ[2] / كأنَّ قامتَه رُمح، فهَرَبوا من بينِ يديه وهابوه؛ فأقبل حتّى طاف بالبيت الحرامِ سبعاً ثم وقف فتمثَّل: [٢٥/١٥]

كأنْ لم يكُنْ بين الحَجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

قال: فأتاه رجلٌ من أهل مكّة؛ فوقف بعيداً منه ثم قال: سألتُك بالذي خَلقكَ أجِنِّيٌّ أنتَ أم إنسيٌّ[3]؟ فقال: بل إنسيّ، أنا امرأةٌ من جُرهمٍ، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها، فأزالَنا /عنها هذا الزمانُ الذي يُبلِي كُلَّ جديد ويغيِّره! ثم انصرفَتْ خارجةً[4] عن المسجدِ حتّى غابت عنهم، ورجَعوا إلى مواضعهم. [١١٤/١٣]

إنشاد شعره في رؤيا وتأويل ذلك:

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: حدّثني أبي عن جدّي قال: قال لي يحيى بن خالدٍ يوماً: أخبِرك برؤيا رأيتها؟ قلت: خيراً رأيتَ. قال: رأيتُ كأنّي خرجتُ من داري راكباً، ثم التفتُّ يميناً وشِمالاً فلم أرَ معي أحداً، حتّى صرت إلى الجسر، فإذا بصائح يَصيح من ذلك الجانب:

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامر

فأجبتُه بقوله:

بلى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنا ... صُروفُ اللّيالي والجدودُ العواثرُ

فانصرفتُ إلى الرشيد فغنّيتُه الصوتَ، وخبرتُه الخبر، فعجِبَ منه. وما مضَت الأيّام حتّى أوقعَ بهم[5].

صوت

شاقَني الزائراتُ قَصْرَ نُفَيسٍ ... مُثقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطون

= و «البيان». وفي سائر النسخ: «لئن حرمتني كل ما كنت أرتجي».

(١) ما عدا ط، م، مب، مط: «نازلا به». «البيان»: «بمصيبه».

(٢) قد أقبل، من ط، مط فقط.

(٣) ما عدا ط، مب، مط: «فقال له بل إنسي».

(٤) هذه الكلمة من ط، مب، مط فقط.

(٥) أي بالبرامكة. س، ب: «إلا أيام».

يتـــربَّعْنَـــه الـــربيـــعَ ويَنـــزِلْـ ـــنَ إذا صِفْـــنَ منـــزلَ المـــاجِشـــونِ

/ يتربَّعْنَه: يَنْزِلْنَه في أيام الربيع. يقال لمنزِل القوم في أيام الربيع: مُتَربَّعهم. قال الشاعر: [٢٦/١٥]

أمِـــن آلِ ليلـــى بـــالمَـــلاَ متـــربَّـــعُ كمـــا لاحَ وشـــمٌ فـــي الـــذِّراع مُـــرجَّـــعُ[1]

الماجشون وعلة تسميته:

والماجِشونُ: رجلٌ من أهل المدينة يُروَى عنه الحديث. والماجِشونُ لقَبٌ لقَّبته به سُكينةُ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ وهو اسمُ لونٍ من الصِّبغ أصفرَ تخالطُه حمرة، وكذلك كان لونَه. ويقال: إنها ما لَقَّبَتْ أحداً قطُّ بلقبٍ إلاّ لصِقَ به.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا مصعبٌ الزبيريُّ، قال: حدّثني ابن الماجشون، قال:

نظرَتْ سُكَينَةُ إلى أبي، فقالت: كأنَّ هذا الرجلَ الماجشونُ ـ وهو صِبغٌ أصفرُ تخالطه حُمرة ـ فلُقّب بذلك.

تلقيب سكينة لرجل بشيرج:

قال عبد العزيز: ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه وكانت فيه غِلْظة، فقالت: هذا الرجل في قريشٍ كالشَّيرَجِ في الأدهان! فكان ذلك الرجلُ يسمَّى: فلانُ شِيرَجٍ حتَّى مات.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لإبراهيم الموصِليّ. خفيف رمل مطلق في مجرى البِنصر، وفيه لبصبص جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ التي قِيل هذا الشعر فيها: رمل. وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيلَ أوّل بالوسطى.

(١) مرجع: وشم مرة بعد مرة. ما عدا ط، مب، مط: «وسم» و «متربع»، تحريف.

[١٥/٢٧]

/ ذكر أخبار بَصْبَصَ جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ[١] وأخبارها

كانت بصبصُ هذه جاريةً مولَّدة من مولَّدات المدينة، حُلوةَ الوجهِ، حَسَنَةَ الغِناء، قد أخذَتْ عن الطبقةِ الأولى من المغنِّين، وكان يحيى بن نُفَيسٍ مولاها ـ وقيل نفيس بن محمدٍ، والأوّل أصح ـ صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأشراف، ويسمعون غناءَ جواريهِ، وله في ذلك قصصٌ نذكرها بعد، وكانت بصبصُ هذه أنفَسَهنَّ وأشدَّهنّ تقدّماً.

الخلاف في والدة علية بنت المهدي:

وذكر ابن خُرداذَبه: أنَّ المهديَّ اشتراها وهو وليُّ والعهد سِرًّا من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار، فولدت منه عُلَيّةَ بنتَ / المهديّ.

$\frac{115}{13}$

وذكر غيرُه أنّ ابن خُرداذَبه غَلِط[٢] في هذا، وأن الذي صَحّ أن المهديَّ اشترى بهذه الجملةِ جاريةً غيرَها، وولدت عُلَيّة.

وذكر هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ: أن ابن القداح حدّثه قال:

كانت مكنونة جاريةُ المروانيّةِ ـ وليست من آل مروان بن الحكم؛ وهي زوجةُ الحسين بن عبد الله بن العباس ـ أحسن جاريةٍ بالمدينة وجهاً، وكانت رَسحاءَ[٣]، وكان بعضُ مَن يُمازِحها يعبَثُ بها، ويصيح: طَسْت طست[٤]! وكانت حسنة الصَّدرِ والبطنِ، وكانت تُوضِح بهما[٥]، وتقول: ولكن هذا! فاشتريتْ للمهديّ / في حياةِ أبيه بمائة ألفِ درهم فغلبَتْ عليه، حتّى كانت الخيزرانُ تقول: ما ملك أمَةٌ أغلظَ عليّ منها. واستتر أمرُها على المنصور حتّى مات. وولدت من المهديّ عُلَيّةَ بنتَ المهديّ.

[١٥/٢٨]

والذي قال ابنُ خُرْداذَبه غير مردودٍ إذا كان هذا صحيحاً.

شراء المهدي لبصبص:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن غُرَيرِ بنِ طلحة قال: اتَّعَدَ[٦] محمد بن يحيى بن زيدِ بن علي[٧] بنِ الحسين، وعبد الله بن يحيى بنِ عَبّادِ بن عبدِ الله بنِ الزبير، وعبد الله بن مصعب الزُّبيري، وأبو

---

(١) ابن نفيس هذا هو يحيى بن نفيس. وضبط في ط بهيئة التصغير. وفي «القاموس»: «ونفيس بن محمد من موالي الأنصار، وقصره على ميلين من المدينة».

(٢) كذا في ط، ح، م، مب. وفي سائر النسخ: «وذكر غير ابن خرداذبه أنه غلط».

(٣) الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين.

(٤) الطست: إناء من صفر. يعني أنها شبيهة به.

(٥) توضح بهما: تظهر بهما، وتتباهى.

(٦) اتعدا: تواعدا.

(٧) ط، مب، مط: «محمد بن زيد بن علي» حـ، م: «محمد بن يزيد بن علي».

بكر بن محمدِ بنِ عثمان الربعي، ويحيى بنِ عقبة، أن يأتوا بَصْبصَ جاريةَ ابنِ نُفَيس، فعجِلَ محمد بن يحيى، وكان من أصحاب عيسى بن موسى، ليَخرُجَ إلى الكوفةِ، فقال عبد الله بن مصعب.

أرائــــحٌ أنــــتَ أبـــا جَعفـــرِ ... مِـــن قبــلِ أن تَسمـع مِـنْ بَصْبصـا

هيهــــاتَ أن تَسمـــع منهـــا إذا ... جـاوَزَت العِيسُ بـك الأعـوصـا[1]

فخُــذْ عليهـــا مجلسَـــيْ لـــذّةٍ ... ومجلسـاً مِـنْ قَبـلِ أن تَشْخَصـا[2]

أحلِــفُ بــالله يمينـــاً ومَـــنْ ... يحلــفُ بــالله فقــد أخْلَصــا

لــو أنّهـا تــدعُــو إلــى بَيْعــة ... بـايعتُهـا ثــمّ شققـتُ العصـا[3]

قال: وفيها[4] غِناء لبصبص.

قال: فاشتراها أبو غَسّان مولى منيرة للمهديّ بسبعة عشر ألفَ دينار.

/ قال حمّاد: وحدّثني أبي عن الزبير أن عبد اللهِ بن مصعبٍ خاطب بهذا الشعرِ أبا جعفرِ المنصورَ لما حجّ [٢٩/١٥] فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحجّ، لا أبا جعفر محمد بن يحيى بنِ زيد.

غضب المنصور على عبدالله بن مصعب في إعجابه بها:

أخبرني إسماعيل بن يونُس الشِّيعي إجازة قال: حدّثنا عُمَر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن سلامٍ قال: حدّثني موسى بن مِهْران قال: كانت بالمدينةِ قَينةٌ لآلِ نُفَيسِ بنِ محمدٍ يقال لها بَصبص، وكان مولاها صاحبَ قصرِ نُفَيسٍ الذي يقول فيه الشاعر:

شـاقَنـي الـزائـرات قَصْـرَ نُفيسٍ ... مُثقَـلاتِ الأعجـازِ قُـبَّ البُطـون[5]

قال: وكان عبد اللهِ بنِ مصعَب بن ثابت بنِ عبد الله بنِ الزبيرِ يأتيها، فيسمعُ منها، وكان يأتيها فِتْيانٌ من قريشٍ فيسْمَعون منها، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفاً من الحجّ ومرّ بالمدينةِ يذكر بصبص:

أراحــلٌ أنــت أبـــا جعفــرِ ... مِـن قبلِ أن تَسمـع مِـن بصبصـا

وذكر الأبيات، فبلغت أبا جعفرٍ، فغضب فدعا بِهِ؛ فقال: أمّا إنكم يا آلَ الزبيرِ قديماً ما قادتكم النساء، وشَققتم مَعَهنّ العصا، حتّى صرتَ أنت آخِرَ الحمقى تُبايع المغنّياتِ؛ فدونكم يا آل / الزبيرِ هذا المرتَعَ الوخيم[6]. ١١٦/١٣

قال: ثمّ بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنّ عبد الله بن مصعبٍ قد اصطَبح[7] مع بصبصَ وهي تغنّيه بشعره:

---

(١) الأعوص: موضع قرب المدينة.

(٢) تشخص: تذهب من بلد إلى بلد.

(٣) شق العصا: كناية عن الخلاف، ومفارقة الجماعة.

(٤) ط، مط: «وفيه».

(٥) القب: جمع أقب وقباء، وهو الضامر البطن.

(٦) دونك هذا، أي خذه، صيغة للإغراء.

(٧) اصطبح: شرب الصبوح، وهو شرب الصباح.

[١٥/٣٠] / صوت

إذَا تمــــــزَّزتُ صُــــــراحيّــــــةً كمثــــلِ ريــــحِ المســــكِ أو أطيــبُ[1]
ثـــم تَغَنّـــى لـــي بـــأهـــزاجِـــه زيـــدٌ أخـــو الأنصـــار أو أشعَـــبُ
حسِبـــتُ أنّـــي مـــالـــكٌ جـــالـــسٌ حَفَّـــتْ بـــه الأمـــلاك والمـــوكِـــبُ
فـــلا أبـــالِـــي وإلـــهِ الـــوَرَى أشـــرَّقَ العـــالَـــمُ أم غـــرَّبـــوا

الغناء لزيدٍ الأنصاري، هزجٌ مطلقٌ في مَجرى الوسطَى عن الهشاميّ وغيره، وذكر غيرُه أنه لأشعَبَ. فقال أبو جعفرٍ: العالَمُ لا يبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت.

إعجاب المنصور بشعر طريف العنبري:

ثم قال أبو جعفرٍ: ولكنّ الذي يعجبني أن يَحدُوَ بي الحادي الليلةَ بشعرِ طريفٍ العنبريّ، فهو آلَفُ في سمعي من غِناء بَصبصَ، وأحرى أن يختاره أهلُ العقل. قال: فدعا فلاناً الحادِيَ ـ قد ذكره وسقط اسمه ـ وكان إذا حدا وضَعت الإبل رؤوسها لصَوته[2] وانقادت انقياداً عجيباً[3]، فسأله المنصورُ: ما بلَغ من حُسن حُدائه؟ قال: تعطَّش الإبلُ ثلاثاً أو قال خمساً وتُدنَي من الماء، ثمّ أحدو فتتبع كلُّها صوتي، ولا تقرَب الماء. فحُفِظَ الشعرُ، وكان[4]:

إنّـــي وإن كـــان ابـــن عمّـــي كـــاشحـــاً لمُـــزاحِـــمٌ مِـــن دُونِـــه وورائـــه[5]
وممـــدُّهُ نصـــرِي وإنْ كـــان امـــرأً متـــزحـــزِحـــاً فـــي أرضِـــه وسمـــائِـــه[6]
/ وأكـــونُ مـــأوى سِـــرّه وأصـــونُـــه حتّـــى يَحِـــقَّ علـــيّ يـــومُ أدائـــه [١٥/٣١]
وإذَا أتَـــى مـــن غَيبِـــهِ بطَـــريفـــةٍ لـــم أطّلِـــعْ: مـــاذا وراءَ خبـــائـــه
وإذا تحَيَّفَـــتِ الحـــوادثُ مـــالَـــه قُـــرِنَـــتْ صحيحتُنـــا إلـــى جَـــربائه[7]
وإذا تـــريَّـــشَ فـــي غِنـــاه وفَـــرتُـــه وإذا تَصعلَـــكَ كنـــتُ مـــن قـــرنـــائـــه[8]
وإذا غـــدا يـــومـــاً ليـــركـــب مَـــركَبـــاً صَعبـــاً قعـــدتُ لـــه علـــى سِيســـائِه[9]

فلما كان الليلُ حدا به الحادِي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحَثُّ على المروءة وأشبه بأهلِ الأدب من غِناءِ

---

(١) التمزز: التمصص. وفي بعض النسخ: «تمررت» تحريف. والصراحية: الخمر الخالصة.

(٢) وضعت رؤوسها: خفضتها.

(٣) هذه الكلمة من ط، مب، مط.

(٤) كذا في ط، ها، مب، حـ. وفي سائر النسخ: «فحفظه هذا الشعر».

(٥) الكاشح: مضمر العداوة.

(٦) المتزحزح: البعيد.

(٧) قرنت، كذا على الصواب في ط، مب. وفي سائر النسخ: «قرت». وجربائه تصحيح ط، مط وهي في حـ: «جريانه»، وفي سائر النسخ: «حوبائه».

(٨) تريش وارتاش: أصاب خيراً فرئي عليه أثر ذلك.

(٩) اسيساء الظهر من الدواب: مجتمع الوسط.

بَصبص. قال: فحدا به ليلةً، فلما أصبح قال: يا ربيعُ أعطِهِ درهماً. فقال له: يا أمير المؤمنين؛ حدوتُ بهشامِ بنِ عبدِ الملك، فأمَرَ لي بعشرين ألف درهم وتأمر أنت بدرهم! قال: إنّا لله! ذكرتَ ما لم يُجبْ[1] أن تذكره؛ ووصفتَ أنّ رجلاً ظالماً أُهذ مالَ اللَّهِ من غير حِلِّه؛ وأنفقَهُ في غير حقِّهِ يا ربيع، اشدُد، يديكَ به حتّى يردّ المال. فبكى الحادي، وقال: يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السّنون[2] وقُضِيت به الديون، وتمزّقَتْه النّفقاتُ؛ ولا والذي أكرمَكَ بالخلافةِ ما بقيَ عندي منه شيء. فلم يزل أهله وخاصّتُه يسألونه حتّى كفّ عنه، وشَرَط عليه أن يحدوَ به ذاهباً وراجعاً، ولا يأخُذَ منه شيئاً.

فشل بصبص في محاولتها أخذ درهم من مزبد:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، قال: حدّثنا عُمر بن شبة قال: حدّثني القاسم بن زيدٍ المدينيّ؛ قال:

/ اجتمع ذاتَ يوم عند بصبَص جاريةِ ابنِ نُفَيس عبد الله بن مصعب الزُّبيريّ[3] ومحمد بن عيسى الجَعفريّ، في [٣٢/١٥] أشراف من أهل المدينة،/ فتذاكَروا مُزَبّداً المدينيّ صاحبَ النوادر وبُخْلَه، فقالت بصبصُ: أنا آخذُ لكم منه درهماً. [١١٧/١٣] فقال لها مولاها: أنت حُرّةٌ لئن فعلتِ إنْ لم أشترِ لك مخنقة[4] بمائة ألفِ دينارٍ وإنْ لم أشتر لك ثوبَ وشيٍ بما شئتِ؛ وأجعَلْ لكِ مجلساً[5] بالعقيقِ أنْحَرُ لَكَ فيه بَدَنَةً لم تُقْتَبْ[6] ولم تُركَب. فقالت: جيءْ به وارفَعْ عني الغَيرة. فقال: أنتِ حُرّة أنْ لو رفَعَ برجلَيكِ لأعتقتُهُ على ذلك. فقال عبدُ الله بن مصعبٍ: فصلّيت الغداةَ في مَسجدِ المدينةِ، فإذا أنا به، فقلت: أبا إسحاقَ، أمَا تحبُّ أن ترى بَصبصَ جارية ابن نُفَيس؟ فقال: امرأته طالق[7] إن لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها، وإن لم أكنْ أسألُه أن يُرِيَنِيها منذُ سنة فما يَفعل. فقلت له: اليومَ إذا صلّيتَ العصر فَوافِني هٰهنا. قال: امرأته طالقٌ إن بَرِحْت من هٰهنا حتّى تجيءَ صلاةُ العصر. قال: فتصرّفتُ[8] في حوائجي حتّى كانت العصر، ودخلْتُ المسجد فوجدتُه فيه، فأخذتُ بيده وأتيتُهم به، فأكلوا وشَرِبوا، وتساكَرَ القومُ وتناوَموا، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبِّدٍ، فقالت: أبا إسحاق، كأنَّ في نفسك تشتهي أن أغنّيكَ الساعة:

لقـــد حَثُّــوا الجمـــال ليَهْـ ـــربُـــوا منّـــا فلـــم يَئِلـــوا[9]

/ فقال: زوجتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في اللّوح المحفوظ! قال: فغنّتْه ساعةً ثم مكثَت ساعةً فقالت: [٣٣/١٥] أبا إسحاق كأنَّ في نفسِك تَشتهي أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبي فتقرُصَني قَرَصاتٍ، وأغنّيكَ.

قـالـتْ وقـد أبثثتهـا وجـدي فبُحْـتُ بـه[10] قـد كنـتَ قِـدمـاً تحـبُّ السّتـرَ فـاسْتـتـرِ

---

(١) ط، مب، مط: «يجب».

(٢) ما عدا ط، مب، مط: «هذه السنون».

(٣) هذه الكلمة من ط، مب، مط فقط.

(٤) المخنقة: القلادة.

(٥) العقيق: موضع بالمدينة.

(٦) البدنة: واحدة الإبل والبقر، تطلق على الذكر والأنثى. والإقتاب: شد القتب على البعير، وهو الرحل على قدر سنامه.

(٧) ط، حـ، مب، مط: «فقال امرأته الطلاق».

(٨) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «فانصرفت».

(٩) وأل يئل: نجا.

(١٠) ما عدا ط، مب، مط: «أبحت به».

ألستَ تُبصِرُ مَن حَولِي فقلتُ لها غَطَّى هواكِ وما ألقَى على بصري

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفُس غداً، وبأيِّ أرضٍ تموت! فغنَّته ثم قالت: بَرِحَ الخفاءُ[1]، أنا أعلم أنّك تشتهي أن تقبِّلني شَقَّ التِّين وأغنِّيَكَ هَزَجاً:

أنا أبصرتُ بالليلِ غُلاماً حَسَنَ الدَّلّ
كغصن البان قد أصـ ـبح مسقِيّا من الطل

لم يُذكَر صانعُه، وهو هَزَجٌ على ما ذكر.

فقال: أنتِ نبيّةٌ مُرسَلة! فغنته ثم قالت: أبا إسحاق، أرأيتَ أسقَطَ مِن هؤلاء! يَدْعُونك ويُخرِجونني إليك ولا يشترون رَيحاناً بدرهم، أي أبا إسحاق؛ هلُمَّ درهماً نشتري به ريحاناً! فوثَبَ وصاح: واحَرَباه[2]، أيْ زانيةُ، أخطأَتِ استُكِ الحُفرة[3]، انقطَعَ واللّهِ عنكِ الوحي الذي كان يُوحَى إليك! وعَطعط القوم بها[4]، وعَلِموا أنَّ حيلتها لم تَنفُذْ عليه، ثمّ خَرجوا فلم يَعُدْ إليها، وعاودَ القومُ مجلسَهم، فكان أكثرُ شغلِهم فيه حديثَ مزبِّدٍ معها والضَّحِك منه.

[١٥/٣٤] / شعر ابن أبي الزوائد في بصبص:

وقال هارونُ بن محمدِ بن عبد الملكِ الزياتِ: أنشدني الزبير بن بكّار، قال: أنشدني غُرَير بن طَلحة لابن أبي الزوائدِ ـ وهو ابن ذي الزوائد ـ في بصبص:

بَصْبصُ أنتِ الشمسُ مُزدانةً فإنْ تبذَّلتِ فأنتِ الهلالْ
سُبحانَكَ اللّهمَّ ما هكذا فيما مضَى كان يكونُ الجَمَال
/ إذا دعَتْ بالعُود في مَشهدٍ وعاونَتْ يُمنى يَدَيها الشِّمال
غنَّتْ غناءً يستفِزُّ الفَتى حِذقاً وزان الحِذقَ منها الدلّال

١١٨ / ١٣

قال هارون: قال الزُّبير: وأنشدَني غُرَير أيضاً لنفسه يهجو مولاها:

يا ويحَ بصبصَ من يَحيَى[5] لقد رُزِقَتْ وجهاً قبيحاً وأنفاً من جَعاميس[6]
يمجُّ من فيهِ في فيها إذا هجعَت ريقاً خبيثاً كأرواح الكرابِيس[7]

---

(١) برح، كسمع. وهو مثل لظهور الأمر وانكشافه.
(٢) الحرب: أن يسلب الرجل ماله كله.
(٣) يضرب لمن رام شيئاً فلم ينله. «مجمع الأمثال».
(٤) عطعط به: صاح.
(٥) س: «من حي».
(٦) الجعاميس: جمع جعموس، وهو ما يطرحه الإنسان من ذي بطنه.
(٧) أرواح: جمع ريح. والكرابيس: جمع كرياس، وهو الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة من الأرض. قال الأزهري: سمي كرياساً لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضاً ويتكرس مثل الدمن. «اللسان» (كرس) و «معجم استينجاس» ١٠٢٦ و «الحيوان» (٥: ٤٦٨) و «عيون الأخبار» (٣: ٢٣٠).

علاقة محمد بن عيسى بها:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاءِ قال: حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي قال: هَوِيَ محمدُ بن عيسى الجعفريُّ بصبصَ جارية ابنِ نُفَيس، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له: لقد شَغَلَتْني هذه عن صَنعتي وكلِّ أمري، وقد وجدتُ مَسَّ السُّلوِّ فاذهبْ بنا حتّى أكاشفَها بذلك فأستريح. فأتياها فلما غنّتْ لهما قال لها محمد بن عيسى: أتغنين:

وكنــتَ أحِبُّكــم فسلــوتُ عنكــم ... عليكُــمْ فــي ديــارِكــمُ السَّــلامُ

فقالت: لا ولكنّي أغنّي:

تحمَّــلَ أهلُهــا عنهــا فبــانــوا ... عَلَــى آثــارِ مَــن ذهَــبَ العفــاء[1]

/ فاستحيا وازدادَ بها كلَفاً، ولها عِشقاً، فأطرقَ ساعةً ثم قال: أتغنين: [١٥/٣٥]

وأخضَــعُ بــالعُتْبَــي إذا كنــتُ مــذْنِبــاً ... وإن أذنَبَــتْ كنــتُ الــذي أتنصَّــلُ

قالت: نعم وأغنّي أحسَنَ منه:

فــإن تُقْبِلــوا بــالــودِّ نقبــلْ بمثلِــه ... ونُنْــزلْكــم منّــا بــأقــربِ مَنــزلِ

قال: فتقاطَعَا في بيتين، وتواصَلاَ في بيتين. وفي هذه الأبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمد قريضٍ[2]، وذُكَاءُ، وغيرهما ممن شاهدنا من الحُذَّاق يغنُّونَه في الابتداءين لحنينِ من الثقيل الأوّل، وفي الجوابَين لحنَين من خفيف الثقيل، ولا أعرف صانِعَهما.

شغف أبي السائب المخزومي بها

أخبرني عمي قال: حدّثني هارون بن محمدِ بن عبدِ الملك قال: حدّثني أبو أيوب المدينيّ عن مُصعبٍ قال: حضَر أبو السائبِ المخزومي مجلساً فيه بصبصُ جاريةُ يحيى بنِ نُفَيس، فغنت:

قلبــي حبيــسٌ عليــكِ مــوقــوفُ ... والعيــنُ عَبْــرى والــدمــعُ مــذروفُ
والنَّفْــسُ فــي حســرةٍ بغُصَّتِهــا ... قــد شَــفَّ أرجــاءهــا التَّســاويــف[3]
إن كُنــتِ بــالحسنِ قــد وُصِفْــتِ لنــا ... فــإنّنــي بــالهــوى لمَــوصُــوفُ
يــا حســرتَــا حســرةً أمــوتُ بهــا ... إن لــم يكــنْ لــي لــديــك معــروفُ

قال: فطرِب أبو السائبِ ونَعَر[4]، وقال: لا عَرَّفَ الله قدْرَه إن لم أعرِفْ لك معروفَكِ. ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها وجعَلَه على رأسِه[5] وجعل يَلطِمُ ويبكي، ويقول لها: بأبي واللّهِ أنتِ، إنّي لأرجو أن تكوني عندَ الله أفضلَ من الشُّهداءِ، لِما تُولِيناهُ من السرَورِ، وجعل يَصِيح، واغوثاه! يا للّهِ لِمَا يَلْقَى العاشقون.

---

(١) البيت لزهير، في «ديوانه» ٥٨.

(٢) ط، مب، مط: «قريص» بالصاد المهملة.

(٣) شفها: نقصها ونال منها. وأرجاؤها: نواحيها. والتساويف: جمع تسويف، وهو المماطلة.

(٤) نعر: صاح.

(٥) وجعله على رأسه، من ط فقط.

[١٥/٣٦] / شغف أحد الفتيان بها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان [قال حدّثني أبو بكر العامري قال حدّثني عمرو بن عبد الله البصري][١] قال: حدّثنا [الحسين][١] بن يحيى عن عثمانَ بنِ محمد الليثي قال: كنت يوماً في مجلس ابن نُفَيس، فخرجَتْ إلينا جاريتُه بَصبص، وكان في القوم فتًى يحبُّها، فسألَتْه حاجة، فقامَ ليأتيها بها، فنسيَ أن يَلبَس نَعلَه، ومَشَى حافياً؛ فقالت: يا فلان، / نسيتَ نَعلك. فلبسها وقال: أنا والله كما قال الأوّل: ١١٩/١٣

وحُبُّكِ يُنسِيني عن الشَّيء في يدي ... ويَشْغَلُني عن كلِّ شيءٍ أحاوِلُهْ

فأجابته فقالت:

وبي مثلُ ما تشكوه منّي وإنَّني ... لأُشفِق من حُبٍّ أراكَ تزاولُه

صوت

يَشتاقُ قلبي إلى مليكة لو ... أمست قريباً ممن يطالبُها

ما أحسَنَ الجِيدَ من مُلَيكة والـ ... ـلَّبَّاتِ إذ زانَها ترائبُها[٢]

يا ليتَني ليلةً إذا هجع الـ ... ـنَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

في ليلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ ... يَسعَى علينا إلّا كواكبُها

الشعر لأحيحة بنِ الجلاحِ، والغناء لابن سريج. رملٌ بالخِنْصِر في مجرى البِنصِر. وفيه لحنٌ لمالكٍ[٣] من رواية يونس.

---

(١) هذه التكلمة من ط، مب، مط.

(٢) اللبات: جمع لبة، بالفتح، وهو موضع القلادة من الصدر. والترائب: عظام الصدر، أو ما بين الثديين.

(٣) لمالك، من ط، مط.

/ ذكر أحيحة بن الجُلَاح ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر [١٥/٣٧]

نسب أحيحة:

هو أحيحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبَى بنِ كُلْفَة بن عوفِ بنِ عمرو بن عوفِ بنِ مالكِ بن الأوسِ. ويكنى أحيحةُ أبا عمرو.

سؤال الوليد بن عبد الملك عن الزوراء:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاءِ قال: حدّثني الزبير بن بكّارٍ قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبدِ العزيزِ قال: ركِب الوليد بن عبدِ الملكِ إلى المساجد، فأتى مَسجِدَ العُصْبة[١]، فلما صلّى قال للأحوصِ: يا أحوصُ أينَ الزَّوراء التي قال فيها صاحبُكم:

إنّـي أُقِيـمُ علـى الـزّوراءِ أعمُـرُهـا ... إنَّ الكـريـمَ علـى الإخـوانِ ذُو المـال

لهـا ثـلاثُ بِشـارٍ فـي جَـوَانِبِهـا ... فـي كلِّهـا عُقَـبٌ تسقـي بـأقبـال[٢]

استغْـنِ أو مُـتْ ولا يَغْـرُرْكَ ذو نشَـبٍ ... مـن ابـنِ عَـمٍّ ولا عَـمٍّ ولا خـالِ[٣]

قال الزبير: العُقَب الذي في أوّلِ المالِ عند مَدخَلِ الماء، والطلب الذي في آخره[٤]. قال: فأشار له الأحوص إليها وقال: ها هي تلك، لو طَوّلتَ لأشقَرِك هذا لجالَ عليها[٥]، فقال الوليد: إنّ أبا عمروٍ كان يراه غنيًّا بها، فعَجب الناسُ يومئذٍ لعنايةِ الوليدِ بالعِلْم، حتّى علِمَ أنّ كنية أحيحة أبو عمروٍ.

وفي بعض[٦] هذا الشعرِ غناء، وهو:

/ صوت [١٥/٣٨]

استَغْـنِ أو مُـتْ ولا يغـررك ذُو نَشَـبٍ ... مـن ابـن عَـمٍّ ولا عَـمٍّ ولا خـال

يَلْـوُونَ مـا لهـم عـن حـقّ أقـربِهـمْ ... وعَـنْ عشيـرتهـم؛ والحـقُّ للـوالـي[٧]

---

(١) العصبة، بالضم: دار بني جحجبى بالمدينة. ياقوت. وقد ضبطت في مب، مط بالتحريك. ما عدا ط، ما: «القصبة» تحريف.

(٢) البثار: جمع بئر. مب، حـ: «فكلها». و «يسقى» هي في مط «سقى» وفي سائر النسخ ما عدا ط، مب: «يسعى». وأقبال الجداول: أوائلها ورؤوسها.

(٣) النشب: المال.

(٤) كذا ورد هذا التفسير.

(٥) أشقرك، يعني فرسك الأشقر.

(٦) هذه الكلمة من ط، مط.

(٧) يلوونه: يجحدونه وينكرونه.

غَنَّاه الهُذَلي رمَلاً بالوسطى من روايةِ الهشاميّ وعَمرِو بن بانة.

سبب قول أحيحة هذا الشعر:

وأمَّا السَّببُ في قول أحيحةَ هذا الشعرَ فإنّ أحمد بن عبيدِ المكتِّب[1] ذكر أن محمد بن يزيدَ الكلبيّ حدّثه، وحدّثه أيضاً هشامُ بن محمد عن الشَّرقيّ بنِ القَطَاميّ قال هشام: وحدَّثني به أبي أيضاً.

١٢٠/١٣ قال: وحدَّثني رجلٌ من قريش عن أبي عبيدةَ بنِ عَمَّارِ بنِ ياسرٍ، قال: وحدّثني / عبد الرحمٰن بن سليمان الأنصاريّ، قالوا جميعاً:

أقبلَ تبَعٌ الأخير وهو أبو كربِ بنِ حسان بنِ أسعد الحميريّ، من اليمينِ سائراً[2] يريد المشرق كما كانت التَّبابعة تفعل، فمرّ بالمدينة فخلَّفَ بها ابناً له، ومضى حتَّى قدم الشَّامَ، ثم سار من الشام حتَّى قدِم العراقَ فنزل بالمشقَّرِ[3]، فقُتِل ابنه غِيلةً بالمدينة، فبلغه وهو بالمشقَّر مقتلُ ابنه، فكرَّ راجعاً إلى المدينةِ وهو يقول:

يـا ذا مُعـاهِـرَ مـا تـَزالُ تَـرُودُ ... رَمَـد بعينـكَ عـادهـا أم عُـودُ[4]

منـعَ الـرُّقـادَ فمـا أغمِّـصُ سـاعـةً ... نَبَـطٌ بيثـربَ آمنـون قُعـودُ

لا تستقِـي بيـدَيـكَ إنْ لـم تلقهـا ... حَـرْبـاً كـأنَّ أشـاءهـا مجـرود[5]

[٣٩/١٥] / ثم أقبلَ حتّى دخل المدينةَ وهو مُجمِعٌ على إخرابها وقطع نخلِها، واستئصالِ أهلِها، وسبي الذرّية؛ فنزل بسفح أُحُدٍ فاحتفر بها بئراً ـ فهي البئرُ التي يقال لها إلى اليوم بئر الملِك ـ ثم أرسل إلى أشرافِ أهل المدينةِ ليأتوه فكان فيمن أرسَلَ إليه زيدٌ بن ضُبَيعة بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ عوفٍ، وابن عمه زيد بن أميّة بنِ زيدٍ، وابن عمه زيد بن عبيدِ بنِ زيدٍ[6] ـ وكانوا يسمَّوْن الأزيادَ ـ وأحيحةُ بن الجلاح؛ فلمَّا جاء رسولُه قال الأزدياد: إنما أرسَلَ إلينا ليملِّكنا على أهلِ يثرب. فقال أحيحة: واللّهِ ما دعاكم لخيرٍ! وقال:

ليـتَ حَظِّـي مـن أبـي كـربٍ ... أنْ يَـرُدَّ خَيـرُهُ خَبَلَـه[7]

فذهبَتْ مثلاً. وكان يقال: إنّ مع أحيحة تابعاً من الجنّ يُعلِمه الخَبَر لكثرةِ صوابه؛ لأنّه كان لا يظنُّ شيئاً فيخبر به قومه إلا كان كما يقول. فخرجوا إليه، وخرج أحيحةُ ومعه قَينةٌ له، وخِباء، فضُرِب الخباء وجُعِل فيه القينةُ والخمر، ثم خَرج جنّى استأذن على تُبَّع، فأذِن له، وأجلسَه معه على زِرْبيّةٍ تحته[8]، وتحدَّث معه وسأله عن أموالِه بالمدينةِ؛ فجعل يُخْبره عنها، وجعل تُبَّع كلَّما أخبره عن شيءٍ منها يقول: كلُّ ذلك على هذه الزربيةِ. يريد بذلك تُبَّعٌ

(١) المكتب، بكسر التاء المشدّدة، هو من يعلم الصبيان الخط والأدب. السمعاني. ٥٤ ب. ما عدا ط، مب، مط، حـ: «الكاتب».

(٢) ط، مب، مط: «يسير».

(٣) المشقر: حصن بالبحرين عظيم، لبعد القيس.

(٤) ذو معاهر، بضم الميم: قيل من أقيال حمير، كما في «القاموس» (عهد). ط، مط: «ياذا معاهد» وفي سائر النسخ: «ياذا المعاهد» كلاهما محرّف عما أثبت. عود، أراد: أم طرقت بعود.

(٥) ط: «إن لم يلقها حرب» مب، مط: «إن لم تلقها حرب». والأشاء: جمع أشاءة، وهي صغار النخل. مجرود: جرّد عنه الخوص، أو أصابه الجراد.

(٦) كذا في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «زيد بن أُمية بن زيد وابن عمّه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أُمية بن زيد، وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد»، وفيه تكرار وخلاف في الترتيب.

(٧) كذا على الصواب في ط، مب، مط و «كتاب التيجان» لوهب بن منبه ٢٩٤. لكن في «التيجان»: «أن يسد». وفي سائر النسخ: «أن يرد خبره جبله».

(٨) الزربية، بالكسر وبضم: واحدة الزرابي، وهي البسط والنمارق.

قتلَ أحيحة، ففطِنَ أحيحة أنه يريد قتله فخرج من عندِه فدخَل خِباءه، فشرِب الخمرَ، وقرَضَ أبياتاً، وأمر القينةَ أن تغنّيه بها، وجَعل تُبَّعٌ عليه حَرَساً، وكانت قينته تُدعى مُليكةَ فقال:

يشتــاقُ قلبــي إلــى مُلَيكــة لــو أمسَــتْ قــريبــاً ممــن يطــالبُهــا

/ الأبيات. وزاد فيها مما ليس فيه غناء: [١٥/٤٠]

لِتبكنــي قَيْنــةٌ ومِــزهــرُهــا ولتبكِنِــي قهــوةٌ وشــاربُهــا

ولْتبكنــي نــاقــةٌ إذا رُحِلَــتْ وغــابَ فــي سَــرْدحٍ مَنــاكبِهــا[١]

ولْتبكِنــي عُصبــةٌ إذا جُمِعــتْ لــم يعلــم النــاسُ مــا عــواقِبُهــا[٢]

فلم تزل القينة تُغنّيه بذلك يومه وعامّةَ ليلتِه[٣]، فلما نامَ الحرّاس قال لها: إنّي ذاهب إلى أهلي فشُدِّي[٤] عليك الخباءَ، فإذا جاء رسولُ الملكِ فقولي له: هو نائم؛ فإذا أبَوْا إلاّ أن يُوقِظوني فقولِي: قد رجَع إلى أهلِه وأرسَلَني إلى الملك برسالةٍ. فإن ذهبوا بكِ إليه فقولي له: يقول لكَ أحيحة: «اغدِر بقينةٍ أو دَعْ». ثم انطلَقَ فتحصَّنَ في أُطُمِه[٥] الضَّحْيانِ، وأرسل تُبَّعٌ من جَوفِ الليلِ إلى الأزيادِ فقَتَلهم على فَقارةٍ من فَقَار[٦] تلك الحَرَّة. وأرسل إلى أحيحةَ ليقتله، فخرجتْ إليهم / القينة، فقالت: هو راقدٌ. فانصرَفُوا وتردَّدُوا عليها مراراً؛ كلَّ ذلك تقول: هو راقد. [١٢١/١٣] ثم عادوا فقالوا: لِتوقظِنَّه أو لندخُلَنَّ عليكِ. قالت: فإنه قد رجع إلى أهلِه، وأرسلني إلى الملك برسالةٍ. فذهبوا بها إلى الملكِ، فلما دخلَتْ عليه سألها عنه، فأخبرته خبَرَه، وقالت: يقول لك: «اغدِر بقَينةٍ أو دَعْ». فذهبتْ كلمةُ أحيحةَ هذه مَثَلاً؛ فجرّد له كتيبةً من خيلِه، ثم أرسلَهم في طلبِه فوجَدُوه قد تحصَّنَ في أُطُمِه، فحاصروه ثلاثاً؛ يقاتلُهم بالنّهار ويرميهم بالنبل والحجارةِ، ويرمِي إليهم بالليلِ / بالتمر، فلما مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبّع فقالوا: [١٥/٤١] بَعثْتنا[٧] إلى رجلٍ يقاتلنا بالنهارِ، ويضِيفنا بالليل! فتركه؛ وأمرهم أن يُحرّقوا نخلَه. وشَبَّت الحربُ بين أهلِ المدينة: أوْسِها وخزرَجِها ويهودِها، وبين تُبّع، وتحصَّنُوا في الآطامِ. فخرج رجلٌ من أصحابِ تُبّع حتى جاء بني عديّ بن النجّار؛ وهم متحصِّنون في أطمِهم، الذي كان في قِبلةِ مسجدِهم، فدخل حديقةً من حدائقِهم، فرقِيَ عِذْقاً منها يجدُّها[٨]، فاطَّلَع إليهِ رجلٌ من بني عديّ بنِ النجارِ من الأطم يقال له أحمر أو صخر[٩] بن سليمان من بني سَلمة، فنزل إليهِ فضرَبه بِمنجلٍ حتّى قتلَه ثم ألقاه في بئر! وقال: جاءنا يجدُّ نخلنا[١٠]، «إنّما النخل لِمَنْ أبَرَهُ»[١١]، فأرسَلها مثلاً. فلما انتهى ذلك إلى تُبّع زاده حَنَقاً وجرَّدَ إلى بنِي النجّار جريدةً من خيلِه[١٢]؛ فقاتلهم بنو النجّار

---

(١) السردح: الأرض اللينة المستوية. ط، حـ: «سرنج». والسرنج: الأرض الواسعة.

(٢) ط، مب، مط: «إذا اجتمعت».

(٣) ط، مب، مط: «عامة ليله».

(٤) ما عدا ط، مب، مط: «فسدى» بالسين المهملة.

(٥) الأطم: حصن مبني بحجارة، وهو القصر أيضاً.

(٦) هذا ما في حـ، مب، مط. وفي ط: «فقرة من فقار»، وهي صحيحة أيضاً، مشبهتان بفقار الظهر. وفي سائر النسخ: «قفارة من قفار»، تحريف.

(٧) ما عدا ط، مب، مط: «تبعثنا».

(٨) العذق: النخلة، عند أهل الحجاز. يجدها: يقطع تمرها. ما عدا ط، مب، مط، حـ: «يجده»، التذكير للفظ والتأنيث للمعنى.

(٩) ط: «صحر» بالحاء المهملة.

(١٠) ما عدا ط، مب، مط: «نخلتنا».

(١١) الأبر والتأبير: إصلاح النخل وتشذيبه.

(١٢) الجريدة من الخيل: القطعة منها عليها فرسانها.

ورئيسُهم عمرو بن طَلّة(١) أخو بني معاوية بنِ مالكِ بنِ النجّارِ، وجاء بعضُ تلك الخيولِ إلى بني عَديّ وهم متحصّنون في أطُمِهم الذي في قِبلةِ مسجدِهم، فرامَوْا بني عديٍّ بالنَّبلِ، فجعلت نَبلُهم تقع في جِدارِ الأُطم، فكان على أطُمِهم مثلُ الشَّعَرِ من النبلِ، فسمّي ذلك الأطم الأشعر - ولم تَزَلْ بقايا النَّبل فيه حتّى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام - وجاء بعضُ جنوده إلى بني الحارث بنِ الخزرج، فجذَموا نخلَهم من أنصافِها، / فسمِّيت تلك النخلُ جُذْمان(٢)، وجدَعُوا هم فرساً لتبع، فكان تُبّع يقول: لقد صَنَع بي أهلُ يثربَ شيئاً ما صَنَعه بيَ أحد؛ قتلوا ابني وصاحبي، وجَدَعوا فرسي! قالوا: فبينا تُبّعٌ يريد إخرابَ المدينةِ، وقتل المقاتلة، وسَبْيَ الذرّية، وقَطْعَ الأموالِ أتاه حَبرانِ من اليهودِ(٣) فقالا، أيها الملك انصرفْ عن هذه البلدةِ فإنّها محفوظة، وإنا نجد اسمَها كثيراً في كتابنا، وأنّها مُهاجرَ نبيٍّ من بني إسماعيل اسمهُ أحمد، يخرج من هذا الحرم من نحو البيتِ الذي بمكة، تكون دارَه وقرارَه، ويتّبعه أكثرُ أهلِها. فأعجبَه ما سمِع منهما، وكفَّ عن الذي أراد بالمدينةِ وأهلِها، وصَدّق الحَبْرَين بما حدّثاه، وانصرف تُبّعٌ عما كان أراد بها، وكفَّ عن حربِهم، وآمنهم حتّى دخلوا عسكره، ودخَل جندُه المدينة؛ فقال عمرو بن مالكِ بنِ النجارِ، يذكر شأن تبع، ويمدحَ عمرو بن طَلّة:

أصحا أمْ انتحى ذِكَرَهْ	أم قضَى من لذّةٍ وَطَره(٤)
بعد ما وَلّى الشباب وما	ذِكْرُهُ الشَّبابَ أو عُصُرَه(٥)
إنّها حَربٌ يمانيَةٌ	مِثلُها آتى الفتى عِبَرَه
سائِلي عِمرانَ أو أسَداً	إذ أتَتْ تعدُو مع الزُّهَرَه(٦)
/ فَيْلَقٌ فيه أبو كَرِبٍ	سَبْعُ أبدانُه ذَفِرَه(٧)
/ ثم قالوا مَنْ يؤُمُّ بِنا	أبني عوفٍ أم النَّجَرَه(٨)
يا بَني النّجارِ إنّ لنا	فيكُمُ ذَحْلاً وإنَّ تِرَه(٩)
فتلقَّتْهم مُسايفَةٌ	مَدُّها كالغَبْيَةِ النَّثِرَه(١٠)

[٤٢/١٥] [٤٣/١٥] ١٢٢/١٣

- الغَبْية(١١): السحابة التي فيها مطر وبرق برعد -.

(١) كذا في ط، مب، مط، و«كتاب التيجان» ٢٩٤ - ٢٩٥. وفي سائر النسخ: «عمرو بن طلحة» في كل موضع من هذا الخبر.

(٢) أي سمي ذلك الموضع، وهو بضم الجيم. وأنشد ياقوت فيه لقيس بن الخطيم:

فلا تقربوا جذمان إن حمامه وجنته تأذى بكم فتحملوا

(٣) الحبر، بفتح الحاء وكسرها: العالم.

(٤) انتحى: اعتمد وقصد. ط، حـ، مب، مط: «أم ما انتحى».

(٥) العصر، بضمتين: لغة في العصر، وهو الزمان. ما عدا ط، حـ: «ذكرت شبانه». وإنما يقول: إن ذكر الشباب وعصره لا يغني عن الشيخ فتيلا.

(٦) عمران، في ط، حـ، مب، مط. وفي سائر النسخ: «همدان».

(٧) كذا على الصواب في ط، مب، مط. جعله أسداً ذفر البدن، والسبع أبخر ذفر البدن. ما عدا ط، مب: «تبع» تحريف.

(٨) يعني بالنجرة، بني النجار.

(٩) أي وإن لنا ترة. والترة: الوتر والذحل. وهذه رواية ط، مب. وفيما عداهما: «وإن نترة»، تحريف.

(١٠) المسايفة: التي تسايف، أي تضارب بالسيوف. كالغبية، هي فيما عدا ط، مب، مط، جـ: «كالصيبة»، تحريف. والنثرة: وصف من النثر، وهو رمي الشيء متفرقاً.

(١١) الغبية: بفتح الغين وسكون الباء بعدها. ما عدا ط، ما، جـ: «الصيبة»، محرفة.

فيهـــمُ عَمـــرو بـــن طَلَّـــةَ لاَ هُـــمَّ فـــامنَـــحْ قـــومَـــه عُمُـــرَه[١]

سَيِّـــدٌ ســـامـــيَ الملـــوكَ ومَـــنْ يَـــدْعُ عَمـــرا لا تَجِـــدْ قَـــدَره[٢]

وقال في ذلك رجلٌ من اليهود:

تكلِّفنـــي مِـــن تكـــاليفهـــا نَخِيـــلَ الأســـاويـــفِ والمَصْنَعـــه[٣]

نخيـــلاً حَمَتْهـــا بنـــو مـــالـــكٍ جُنـــودُ أبـــي كَـــرِبَ المُفْظِعَـــه

وقال أحيحة يرثي الأزياد الذين قتلَهم تُبّع:

ألا يـــا لهـــفَ نفســـي أيَّ لهـــفِ علـــى أهـــلِ الفقـــارةِ أيَّ لهـــف[٤]

/ مَضَـــوا قَصْـــدَ السَّبيـــلِ وخَلَّفـــونـــي إلـــى خَلَـــفٍ مـــن الأبـــرام خَلْـــف[٥] [١٥/٤٤]

سُـــدًى لا يكتفـــون ولا أراهـــم يُطيعُـــونَ أمـــراً إن كـــان يكفـــي[٦]

قالوا: فلما كَفَّ تُبّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوه وخالطوهم. ثم إنَّ تبّعاً استَوبأ بئرَه التي حَفَرها[٧]، وشكا بَطْنَه عن مائها؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بني زُرَيقٍ يقال لها فَكِهةُ بنت زيدِ بنِ كلدة[٨] بنِ عامرِ بنِ زريق، وكانت ذاتَ جَلَدٍ وشرف في قومِها، فشكا إليها وبأْبَرِه، فانطلقتْ فأخذَتْ قِرَباً وحمارين حتّى استقَتْ له من ماءِ رُومة، فشربَه فأعجبَه، وقال: زيدِيني من هذا الماءِ. فكانت تختلفُ إليهِ في كلِّ يوم بماءِ رُومة، فلمَّا حان رحيلُه دعاها، فقال لها: يا فكهة، إنّه ليس مَعَنا من الصفراءِ والبيضاءِ شيء[٩]، ولكنْ لكِ ما تركْنا مِن أزوادنا ومتاعِنا. فلما خرجَ تبّعٌ نقلت ما تركوه من ازوادِهم ومتاعِهم؛ فيقال إنه لم تزل فَكِهةُ أكثرَ بني زُرَيقٍ مالاً حتّى جاء الإسلام.

قال: وخرج تبّعٌ يريد اليمن ومعه الحبرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة، فقال حين شَخَص من منزِله: هذه قُبَاء الأرضِ. فسمِّيت قُباء[١٠]. ومرّ بالجُرُف فقال؛ هذا جُرُف الأرضِ. فسمِّي الجُرُف؛ وهو أرفعها. ومرّ بالعَرْصةِ وتسمَّى السليلِ فقال: هذه عَرْصة الأرضِ. ثم انحدر في العقيقِ فقال: هذا عقيقُ الأرضِ. فسمِّي العقيق. / ثمّ [١٥/٤٥] خرجَ يسير حتّى نزل البَقِيع، فنزلَ على غديرِ ماءٍ يقال له بَرَاجِمُ، فشرِبَ منه شربة فدخلت في حَلْقِه عَلَقَةٌ فاشتكى منها. فقال فيما ذكر أبو مسكينٍ قوله:

---

(١) لا هم، أي اللّهم. قومه، كذا على الصواب في ط، مب، مط. وفي جـ: «قوله» وفي سائر النسخ: «نوله» محرفتان. وهو دعاء له بطول العمر.

(٢) قَدْره، أي مثله وكفأه.

(٣) الأساويف والمصنعة: موضعان لم أهتد إلى تعيينهما. ط، مط: «كل لهف».

(٤) ما عدا ط، حـ: «أهل القفارة» وهي في مط مهملة الفاء والقاف. وانظر ما سبق في صفحة ٤٠.

(٥) الأبرام: جمع برم، بالتحريك، وهو الجبان البخيل، أو المعدم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. والخلف، بالفتح: الأشرار.

(٦) سدى: همل. س: «يصونون أمراً».

(٧) استوبأها: استوخمها.

(٨) ط، حـ، مب: «جلدة» مب: «حمدة».

(٩) الصفراء: الدنانير. والبيضاء: الدراهم.

(١٠) إنما يصح اشتقاقها على لغة القصر، فإن القبي: جمع قبوة. انظر «معجم البلدان» (قبا).

ولقـد شـربـتُ علـى بـراجِـمَ شَـربـةً … كـادت بـبـاقـيـةِ الحيـاة تُـذِيـع[١]

ثم مضى حتى إذا كان بحمدان[٢] جاءه نفرٌ من هُذَيل[٣] فقالوا له: اجعَلْ لنا جُعْلاً وندلُّك على بيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفِضّة[٤]، ليست لأهله مَنَعةٌ ولا شَرَف. فجعل لهم على ذلك جُعْلا، فقالوا له: هو البيت الذي تحجُه العربُ بمكّة. وأرادوا بذلك هَلاكَه. فتوجَّهَ نحوَه فأخذَتْه ظُلمةٌ منعَتْه من السَّير، فدعا الحَبرينِ فسألهما، فقالا: هذا لِمَا / أجمعْتَ عليه في هذا البيت؛ واللّهُ مانِعُه منك، ولن تصل إليه، فاحذَرْ أن يصيبك ما أصاب مَن انتهك حُرماتِ الله؛ وإنّما أراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك؛ لأنه لم يَرُمْهُ أحدٌ قطُّ بشرٌ إلا أهلكَه الله، فأكرِمْه وطُفْ به، واحلِقْ رأسَك عنده، فترَك الذي كان أجمعَ عليه، وأمر بالهذليّين فقطّع أيديَهم وأرجلَهم، ثم خرجَ يسير حتّى أتى مكّة فنزل بالشِّعب من الأبطَح، وطاف بالبيت، وحَلَق رأسه، وكساه الخَصَف[٥].

١٢٣ / ١٣

[٤٦/١٥] / **محاولة تُبّع هدم البيت ثم عدوله عن ذلك:**

قال هشامٌ: وحدّثني ابنٌ لجرير بن يزيدَ البجَلي عن جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيهِ. قال هشام: وحدّثني أبي عن صالح[٦] عن ابنِ عباس قال:

لمّا أقبلَ تبّعٌ يريد هدْمَ البيتِ وصَرْفَ وجوهِ العربِ إلى اليمن، بات صحيحاً فأصبح وقد سالَتْ عيناه على خدّيه، فبعَثَ إلى السَّحَرة والكُهّان والمنجّمين، فقال: مالِي، فواللّهِ[٧] لقد بتُّ ليلتِي ما أجد شيئاً، وقد صرت إلى ما تَرَون. فقالوا: حدِّثْ نفسَك بخيرٍ. ففعَلَ فارتدّ بصيراً، وكسا البيت الخَصَف.

هذه رواية جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيه. وفي روايةِ ابنِ عباس:

فأتِي في المنامِ فقيل له: اكسُه أحسَنَ من هذا. فكساه الوصائلَ - قال: وهي بُرود العَصْب[٨]، سمِّيت الوصائل لأنّها كانت يُوصل بعضُها ببعضٍ - قال: فأقام بمكّة ستّة أيامٍ يُطعم الطعام، وينحر في كلِّ يوم ألفَ بعيرٍ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول:

ونَحَـرنـا بـالشِّعـبِ ستّـةَ آلا … فٍ تَـرى النـاس نَحـوهـنّ وُرودا[٩]

وكسَـونـا البيـتَ الـذي حَـرَّمَ اللّـ … ـهُ مُـلاءً معضَّـدا وبُـرودا؟[١٠]

(١) كذا على الصواب في حـ. وفي ط، مب، مط: «تريع» وفي سائر النسخ: «تزيغ». وإنما يقال أذاع بالشيء: ذهب به. ومنه بيت الكتاب:

* ربع قواه أذاع المعصرات به *

أي أذهبته وطمست معالمه. وقول الآخر:

تــوازن أعــوام أذاعــت بخمســة … وتجعلنــي إن لــم يــق الله ســادبــا

(٢) ط، حـ: «بجمدان» بالجيم.

(٣) كذا على الصواب في ط، مب، مط و «التيجان» ٢٩٥. وفي سائر النسخ «من قريش».

(٤) هذه من ط، مب، مط.

(٥) الخصف، بالتحريك: ثياب غلاظ جداً، مشبهة بالخصف المنسوج من الخوص.

(٦) ط، مب، مط: «عن أبي صالح».

(٧) ما عدا ط، مب، مط: «فقال والله».

(٨) العصب: ضرب من برود اليمن. وهذا ما في ط، مب، مط، حـ. وفي سائر النسخ: «القصب»، تحريف.

(٩) وروداً، أي واردين. وأصل الورود مصدر ورد.

(١٠) معضد: مخطط على شكل العضد. ما عدا ط، مب، مط، حـ: «منضداً» تحريف.

وأقمنا به من الشهر سِتًّا وجعلنا له به إقليدا
ثم أبْنَا منه نَؤُمُّ سُهَيلاً قد رفعنا لواءنا المعقودا[١]

قال: وتهوَّدَ تبَّع وأهلُ اليمن بذينِك الحبرين.

/ **خلاف أحيحة مع بني النجار وخيانة زوجه له:** [٤٧/١٥]

أخبرني محمد بن مَزْيَد[٢] قال: أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدّثني أبو البَخْتري عن أبي إسحاق، قال: أخبرني أيوب بن عبد الرحمٰن:

أنّ رجلاً من بني مازن بنِ النجارِ يقال له كعب بن عمرٍو، تزوّج امرأةً من بني سالم بنِ عوفٍ[٣] فكان يختلف إليها، فقعدَ له رهطٌ من بني جَحْجَبَى بمرصَدٍ، فضربوه حتّى قتلوه أو كادوا، فأدركه القوافلُ[٤] فاستنقدوه؛ فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرٍو خرج وخرج معه بنو النجّار وخرج أحيحة بن الجُلاح ببني عمرِو بنِ عوفٍ، فالتقَوا بالرُّحابة[٥]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقَتل أخا عاصم يومئذ أحيحةُ بن الجُلاح، وكان يكنى أبا وحوحة، فأصابَه في أصحابه حينَ انهزموا، وطلبَ عاصمٌ أحيحة حتّى انتهى إلى البيوتِ، فأدركه عاصمٌ عند بابِ دارِه فزجَّه بالرمح، ودخل[٦] أحيحة البابَ، ووقع الرُّمح في الباب، ورجع عاصمٌ وأصحابه فمكثَ أياماً. ثم إنّ عاصماً طلبَ أحيحة ليلاً ليقتله في داره، فبلغ ذلك أحيحةَ، وقيل له إنّ عاصماً قد رئي البارحةَ عند الضَّحيان[٧] والغابة[٨] ـ وهي أرضٌ لأحيحة، والضَّحيان: أُطُم له ـ وكان أحيحة إذ ذاك سيِّدَ قومِه من الأوس، وكان رجلاً صنَعاً للمال[٩]، شحيحاً عليه، يبيع[١٠] بيعَ الربا بالمدينة، حتّى كاد يُحيط بأموالهم، وكان له تسعٌ وتسعون بعيراً[١١] كلُّها ينضَحُ / عليها، وكان [٤٨/١٥] له بالجُرُفِ أصوار[١٢] من نخلٍ قلَّ يومٌ يمرُّ به إلاّ يطَّلع فيه، وكان له أُطُمانِ: أُطمٌ في قومِه / يقال له المستَظَلّ، وهو ١٢٤/١٣ الذي تحصَّن فيه حين قاتل تُبَّعاً أسعدَ أبا كربِ الحميريّ، وأطمُه الضَّحيان بالعُصْبةِ[١٣] في أرضِه التي يقال لها الغابة[١٤] بنَاه بحجارة سُودٍ وبَنَى عليه نَبْرةً[١٥] بيضاءَ مثلَ الفِضّة، ثم جعل عليها مِثلَها، يراها الراكبُ من مسيرة يومٍ أو نحوه،

---

(١) نؤم سهيلا، أي نقصد اليمن. وسهيل مطلعه اليمن.
(٢) ما عدا ط، مب، ، مط حـ: «محمد بن يزيد».
(٣) ما عدا ط، ما، مب: «بن عون».
(٤) القوافل، بقافين: بطن من الأنصار. وفي الأصول: «القوافل».
(٥) الرحابة: بضم الراء: موضع بالمدينة.
(٦) فيما عدا ط، مب، مط، حـ: «وقفل»، تحريف.
(٧) هذا ما في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «قد روي عن الضحيان» تحريف.
(٨) ط: «والعناية» حـ: «والعنانة» أ: «والعبابة». مط: «والعابة».
(٩) الصنع، بالتحريك: الحاذق الماهر. ما عدا ط، مب: «صنيعا» محرّف.
(١٠) ما عدا ط، مب، مط: «يتبع».
(١١) ط، مط: «بئرا». ومؤدّى العبارتين واحد.
(١٢) أصوار: جمع صور، بالفتح، وهو النخل الصغار أو المجتمع. والمعروف في جمعه «صيران».
(١٣) سبق الكلام عليها في صفحة ٣٧.
(١٤) انظر ما سبق قريباً ص ٤٧.
(١٥) النبرة: كل شيء مرتفع فوق شيء. ط، مب، مط: «بثره» تحريف.

وكانت الآطام هي عِزّهم ومَنَعتَهمْ وحُصونَهم التي يتحرّزون فيها من عدوّهم. ويزعمون أنّه لما بَنَاه أشرف هو وغلامٌ له، ثم قال: لقد بنيتُ حِصناً حصيناً ما بنَى مثله رجلٌ من العرب أمنعُ ولا أكرمُ، ولقد عَرَفتُ موضعَ حجرٍ منه لو نُزِع لوقع جميعاً! فقال غلامُه: أنا أعرفه. فقال: فأرِنيه يا بُنيّ. قال: هو هذا. وصرفَ إليه رأسه، فلما رأى أحيحةُ أنّه قد عَرَفه دفعَه من رأسِ الأُطمِ فوقع على رأسِه فمات، وإنّما قَتَله إرادةَ ألّا يعرِف ذلك الحجرَ أحَدٌ. ولمّا بناه قال:

بنيــتُ بعــد مُستظَــلٌ ضــاحيــاً ... بنيتـــه بعُصْبـــةٍ[1] مـــن مـــاليـــا

والســرُّ ممـــا يتبــع القــواصِيــا[2] ... أخشَــى رُكَيبــا أو رُجَيــلا عــاديــا[3]

وكان أحيحةُ إذا أمسَى جلسَ بحذاء حِصنِه الضَّحيانِ، ثم أرسل كِلاباً له تنبح دُونَه على مَن يأتيه ممّن لا يعرف، حذراً أن يأتيه عدوٌّ يصيب مِنه غِرّة، ؛ فأقبل عاصم بن عمروٍ يريده في مجلسِه ذلك ليقتلَه بأخيه، وقد أخذ معه تمراً، فلما نجته / الكلابُ حين دنا منه ألقى لها التمرَ فوقَفتْ، فلمّا رآها أحيحةُ قد سكَنَت حذِر فقامَ فدخلَ [١٥/٤٩] حِصنَه، ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزَه منه الباب[4]، فوقع السَّهمُ بالباب، فلما سمع أحيحةُ وقْعَ السَّهم صرخَ في قومِه، فخرج عاصم بن عمرو، فأعجزَهم حتَّى أتى قومَه. ثمّ إنّ أحيحةَ جمع لبني النجّارِ، فأراد أن يغترّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك[5]، وكانت عند أحيحة سَلْمى بنتُ عمرو بنِ زيدِ بن لَبيدِ بن خِداشٍ إحدى نساءِ بني عديّ بنِ النجارِ، له منها عمرو بن أحيحة، وهي أمُّ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ، خَلَف عليها هاشمٌ بعد أحيحة، وكانت امرأةً شريفة لا تَنكِح الرجالَ إلّا وأمرُها بيدِها، إذا كرِهتْ من رجلٍ شيئاً تركته.

فزعم ابنُ إسحاقَ أنّه حدّثه أيوبُ بن عبدِ الرحمٰنِ[6]، وهو أحد رهطِها، قال: حدّثني شيخٌ منّا أنّ أحيحة لمّا أجمعَ بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عَمرو بن أحيحة، وهو يومئذٍ فَطيمٌ أو دونَ الفطيم، وهو مع أحيحةَ في حِصْنِه عَمَدت إلى ابنها فربَطَتْه بخيطٍ، حتّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْه فبات يبكي، وهي تَحمِله؛ وبات أحيحةُ معها ساهِراً، يقول: ويحكِ ما لابني؟ فتقول: واللهِ ما أدري مالَه. حتَّى إذا ذهبَ اللَّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام. وذكروا أنّها ربطت رأسَ ذكره، فلما هدأ الصبيُّ قالت: وارأساه! فقال: أحيحة: هذا واللّهِ ما لقِيتِ من سهرِ هذه الليلة. فبات يعصِبُ لها رأسهاويقول: ليس بكِ بأس. حتّى إذا لم يبق من الليل إلا أقلّه قالت له: قُم فنَمْ، فإنّي أجدُني[7] صالحةً قد ذهب عنّي ما كنتُ / أجده. وإنما فعلَتْ به ذلك ليثقُلَ رأسُه، وليشتدَّ نومُه على طولِ السَّهَر. فلما نام [١٥/٥٠] قامت وأخذَتْ حبلاً شديداً وأوثقته برأس الحِصنِ، ثم تدلَّت منه وانطلقت إلى قومِها، فأنذرَتْهم وأخبرَتْهم بالذي أجمعَ هو وقومه من ذلك، فحذِر القومُ وأعدُّوا واجتمعوا. فأقبلَ أحيحةُ في قومِه فوجد القومَ على حذرٍ قد

(١) ط، مب، مط: «بقودة».

(٢) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «للستر مما يتبع القواصيا».

(٣) الركيب: مصغر ركب، وهم الجماعة الراكبون. والرجيل: مصغر الرجل، بالفتح، وهم الجماعة الراجلون.

(٤) هذا الصواب من حـ، ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «فأحرز منه الباب».

(٥) فيما عدا ط، حـ، مب، مط: «فواعده قومه لذلك».

(٦) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «أن جدّه أيوب بن عبد الرحمٰن»، تحريف.

(٧) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «أجد في صالحة» محرّف.

استعدُّوا، فلم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ؛ ثم رجَع أحيحةُ فرجَعوا عنه،/ وقد فقَدَها أحيحةُ حين أصبحَ؛ فلما رأى القومَ على حذرٍ قال: هذا عملُ سَلْمى! خدعَتْني حتَّى بلغَتْ ما أرادت. وسمَّاها قومُها المتدلِّية؛ لتدلِّيها من رأسِ الحصن. فقال في ذلك أحيحة وذكَر ما صنعت به سَلْمَى:

١٢٥
١٣

شعره في امرأته سلمى:

تفهَّــمْ أيُّهــا الــرَّجُـل الجهـولُ ... ولا يَـذهَـبْ بـك الـرأيُ الـوبيـلُ

فـإنَّ الجهـلَ مَحمَلُـه خفيـفٌ ... وإنَّ الحِلْـمَ مَحمَلُـه ثقيـلُ[1]

[وفيها يقول:

لَعَمْـرُ أبيـكَ مـا يُغنِـي مَقـامِـي ... مـن الفتيـانِ رائحـةٌ جَهـولٌ

نَـؤُوم مـا يقلِّـصُ مستقِـلاًّ ... علـى الغـايـات مَضجعُـه ثقيـل]

إذا بـاتـت أعصِّبُهـا فنـامـت ... عَلـيَّ مكـانَهـا الحُمَّـى الشَّمـولُ[2]

لعـلَّ عِصـابَهـا يَبْغِيـك حَـربـاً ... ويـأتيهـم بعـوزَتِـك الـدَّليـلُ

وقـد أعـددتُ للحَـدَثـان عَقْـلاً ... لـوَآنَّ المـرء تنفعـه العُقـولُ[3]

/ وقال فيها وفيما صَنَعَتْ به: [٥١/١٥]

أخَلَـق الـرَّبـعُ مـن سُعـادَ فـأمسـى ... ربعُـه مُخلِقـاً كـدَرْس المُـلاةِ[4]

بَـاليـاً بعـد حـاضـرٍ ذي أنيـسٍ ... مـن سليمـى إذْ تغتـدِي كـالمَهَـاة

وهي قصيدةٌ طويلة، يقال إنّ في هذين البيتين منها غناءً.

مساومة قيس بن زهير له في درعه:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين:

أنَّ قيسَ بن زهير بن جَذِيمة أتى أحيحةَ بن الجُلاح لمَّا وقَع الشرُّ بينه وبين بني عامر؛ وخرج إلى المدينة ليتجهَّز، بعثَ إليهم حين قتل خالدُ بن جعفرٍ زُهيرَ بن جَذيمة، فقال قيس لأحيحة: يا أبا عمرو، نُبِّئت أنّ عندك دِرعاً ليس بيثرب درعٌ مثلها؛ فإن كانت فُضُلاً[5] فبِعْنِيها، أو فهَبْها لي. فقال: يا أخا بني عَبْس، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يَفضُل عنه[6]، ولولا أنّي أكره أن أستليم[7] إلى بني عامر لوهبتُها لك، ولحملتك على سوابِقِ خيلي، ولكن

(١) البيتان بعده مما انفردت به نسخة ط، مب، مط.

(٢) أعصبها، يشير إلى ما كان من تعصيبه رأس امرأته حين ادّعت الم رأسها. يقول: باتت عليه الحمى الشمول، أي الباردة التي تصيب صاحبها بالقشعريرة.

(٣) العقول: جمع عقل، وهو الحصن والمعقل. وفي الأصول: «أصلاً» وقد فسّرت في مط «هو بناء الحصن». والرواية المعروفة: «عقلاً» كما في «اللسان» (عقل).

(٤) الملاة، أراد بها الملاءة. والدرس: الخلق، بفتح الدال وكسرها، وهو من إضافة إلى الموصوف.

(٥) الفضل بضمتين. وانظر شروح «سقط الزند» ١٤٨٨.

(٦) ط، مب، مط: «تفضل عليه» حـ: «يفضل عليه».

(٧) استلام إليهم: أتى إليهم ما يلومونه عليه. وفي ط: «أن أستذم» وفي هامشها «أن أستليم» كما في سائر النسخ.

اشتَرِها يا أبا أيوب[١]، فإنّ البيعَ مرتخَصٌ وغالٍ. فأرسلها مثلاً. فقال له قيس: فما تكرهُ من استِلامتك إلى بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذي يقول:

إذا ما أرَدتَ العزَّ في آل يثربٍ ... فنادِ بصوت يا أحيحةُ تُمنَعِ[٢]

رأيت أبا عمروٍ أحيحةَ جارُه ... يبيت قَرير العين غيرَ مروَّعِ

[١٥/٥٢] / ومَن يأته مِن خائفٍ يَنْسَ خوفَه ... ومَن يأته من جائعِ الجَوْف[٣] يشبعِ

فضائلُ كانت للجلاحِ قديمةً ... وأكرِمْ بفخرٍ من خصالكَ الأربعِ

فقال قيس: وما عليكَ بعد ذلك من لَوم. فلهَا عنه ثم عاودَه فساومه، فغضب أحيحةُ وقال له: بِتْ عندي. فباتَ عنده، فلمَّا شرب تغنَّى أحيحة وقيسٌ يسمع:

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنَّ دِرعي ... فما مثلي يُساوَم بالدُّروعِ[٤]

فلولا خَلّةٌ لأبي جُوَيٍّ ... وأنّي لستُ عنها بالنَّزوعِ

لأُبتَ بمثلها عَشْرٍ وطِرفٍ ... لَحُوق الإطْل جَيّاشٍ تَليعِ[٥]

ولكنْ سَمْ ما أحببت فيها ... فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البيوعِ[٦]

فما هِبةُ الدُّروع أخا بغيضٍ ... ولا الخيلِ السَّوابقِ بالبديعِ[٧]

[١٢٦/١٣] و / قال: فأمسك بعد ذلك عن مُساوَمته.

إسحاق الموصلي وسؤاله حفيد معبد عن غناء جدّه:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال: حدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافية بن شبيب، قال: حدّثني أبو جعفرٍ الأسدي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة، عن عُمَر بن شَبّة عن إسحاق قال:

دعاني الفضلُ بن الربيع يوماً فأتيتُه، فإذا عنده شيخٌ حجازيٌّ حسَنُ الوجه والهيئة، فقال لي: أتعرف هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابن أنيسَة بنت مَعْبد، فسَلْه عمَّا أحببتَ من غناء جدِّه. فقلت: يا أخا أهل الحجاز، كم غِناءُ جدِّك؟ قال: ستُّون صوتاً. ثم غناني:

ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكة والـ ... ـلَّبّاتِ إذ زانَها ترائبُها

---

(١) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «ابتزها». والابتزاز: الاستلاب، وليس مرادا هنا.

(٢) ما عدا ط، مب، مط: «أسمع» تحريف.

(٣) ب، س: «البطن».

(٤) أراد: «لا تسومن» فأسقط الواو للشعر.

(٥) أي بعشر مثلها. والطرف، بالكسر: الفرس الكريم الطرفين، أي الأبوين. واللحوق: الضامر. والإطل: الخاصرة. والتليع: الطويل العنق.

(٦) ما عدا ط، مب، مط: «غبر البيوع»، تحريف.

(٧) أي يا أخا بغيض، وهم قبيلة قيس بن زهير بن جذيمة. البديع: الأمر المبتدع.

/ قال: فغنّاه أحسن غِناءٍ في الأرض، ولم آخُذه منه اتّكالاً على قدرتي عليه. واضطربَ[1] الأمر على الفَضْل [١٥/٥٣] وصار إلى التغيُّب، وشخَص الشيخُ إلى المدينة، فبقِيتُ أنشُد الشّعر وأسأل عنه مَشايخ المغنّين، وعجائز المغنّيات، فلا أجد أحداً يَعرفه، حتى قدِمتُ البصرةَ، وكنتُ آتي جزيرتَها في القيظ فأبيتُ بها ثم أبْكُر بالغداة إلى منزلي. فإنّي لَدَاخلٌ يوماً إذا بامرأتين نبيلتين[2]، قد قامتا فأخذَتا بلجام حِماري، فقلت لهما: مَه! قال أبو زيد في خبره: فقالت إحداهما: كيف عِشقُك اليوم لـ «ما أحسَنَ الجيد من مُليكةَ» وشغَفُك به، فقد بلَغني أنّك كنت تطلبه من كلّ أحد؟ وقد كنتُ رأيتك في مَجلس الفضل وقد استخفَّك الطّربُ لهذا الصوت حتّى صفَّقت. قال: فقلت لها: أشدُّ واللهِ ما كنت عشقاً له، وقد ألهبتِ بذكرِك إيّاه في قلبي جَمْراً، ولقد طلبتُه ببغداد كلِّها فلم أجدْ أحداً يُسْمِعُنيه. قالت: أفتحبُّ أن أغنّيَك إيّاه. قلت: نعم. فغنّته والله أحسَنَ ممّا سمعتُه قديماً بصوتٍ خافض، فنزلتُ إليها فقبَّلتُ يديها ورجليها وقلتُ: جَعَلني الله فِداكِ، لو شئتِ لصرتِ معي إلى منزلي. قالت: أصنع ماذا؟ قلتُ: أغنّيكِ وتغنّيني يومَنا إلى الليل. قالت: أنت والله أطفَسُ[3] من أن تفعل ذاك، وإنّما هو عَرَضٌ، ولكنّي أُغنّيك حتّى تأخُذَه. فقلت: بأبي أنتِ وأمّي، وجعلني الله فداكِ مَنْ أنت؟ قالت: أنا وَهْبةُ جارية محمّد بن عمران القَرَويّ، التي يقول فيها فَرُّوح[4] الرّفاء الطّلْحي:

/ صوت [١٥/٥٤]

يا وَهبُ لم يبقَ لي شيءٌ أُسَرُّ به ... إلاّ الجلوسُ فتَسقِيني وأَسقيكِ[5]

وتمزُجينَ بريقٍ منكِ لي قَدَحاً ... كأنّ فيه رضابَ المِسْك من فيكِ

يا أطيبَ النّاسِ ريقاً غيرَ مُختبَرٍ ... إلاّ شهادةَ أطرافِ المَساويكِ

قد زُرتِنا زورةً في الدّهر واحدةً ... ثَنّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ[6]

ما نلتُ منكِ سِوَى شيءٍ أُسَرُّ به ... ولستُ أبصر شيئاً من مَساويكِ[7]

قالت مُلِكتَ ولم تملِكْ فقُلت لها ... ما كلُّ مالكةٍ تُزري بمملوكِ

قال أبو زيد خاصّةً: قال إسحاق: وأنشدتْنِيهِ وغنّتْني فيه بصوتٍ مليح قد صنعَتْه فيه، ثم صارت إليَّ بعد ذلك، وكانت من أحسن الناسِ غِناء، وأحسنهم رواية. فما كانت تفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناس صوتُها، وهو:

/ صوت ١٢٧/١٣

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طَربِ ... لعلَّ رَوْحاً يُدَالُ من كَرَبِ[8]

---

(١) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «واطرب»، وهي لغة في اضطرب.

(٢) النبيلة: الجسيمة.

(٣) أطفس، من الطفس وهو القذارة. وهذا ما في ط، حـ. وفي سائر النسخ: «أنفس».

(٤) ط، مب، مط: «فروج»، بالجيم.

(٥) شيء، في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «شيئاً».

(٦) بيضة الديك: مثل في الندرة، يقال إنه يبيض في العمر بيضة واحدة.

(٧) المساوي: مقابل المحاسن.

(٨) الروح: الراحة. يدال: يبدل. ما عدا ط، حـ، مب، مط: «يداك» محرّف.

فَعَاطِنِيهَا صفراءَ صافيةً تَضحكُ من لؤلؤٍ على ذَهَبِ

قال: ولها فيه عملٌ فاضل. ومن صنعتها قوله:

[١٥/٥٥]

صوت

الكأسُ بعد الكأس قد تُصبي لَكَ الرجلَ الحليما

وتُقَرِّب النَسَب البعيـ ـدَ وتبسُط الوجهَ الشَّتيما[1]

قال: ومِمَّا بزَّت فيه من صنعتها:

صوت

هاتَها سُكَّرِيَّةً كشُعاعِ الـ ـشَّمْسِ لا قَرقَفاً ولا خَنْدَريسا[2]

في رُبىً يخلَع الوليُّ عليها ما يحيِّي به الجليسُ الجليسا[3]

فَلنُوَّارِها نسيمٌ إذا ما حَرّكته الرِّياح ردّ النُّفوسا

صوت

أمسى لسَلاَّمَةَ الزَّرقاءِ في كَبِدي صَدْعٌ مقيمٌ طَوَالَ الدَّهرِ والأبدِ

لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يَشْعَبَه وكيف يُشعَب صَدعُ الحبِّ في الكبد[4]

إلاّ بوصْلِ التي من حبِّها انصدعَتْ تلك الصُّدوعُ من الأسقام والكمَد

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي، أحد بني زُهْرة من قريش. ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالبنصر.

سلامة الزرقاء:

وسَلاّمة الزرقاء هذه جارية ابنِ رَامِين، وكانت إحدى القينات المُحْسِنات.

---

(١) الشتيم: القبيح الكريه المنظرة.

(٢) القرقف: التي تقرقف صاحبها، لشدتها. والخندريس: القديمة.

(٣) الولي: المطر يأتي بعد الوسمي. يحيي الجليس جليسه بالزهر.

(٤) الصناع، بالفتح: الحاذق بالصنعة، يقال للذكر والأنثى. والشعب: الإصلاح. أراد: أن يشعبه، فحذف «أن».

[١٥/٥٦]

/ ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات[١]، ذكر أنَّ أبا أيوب المديني حدّثه[٢] عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال:

كان محمد بن الأشعث القرشي ثم الزهري كاتباً، وكان من فتيان أهل الكُوفة وظُرفائهم وأدبائهم، وكان يقول الشعرَ ويتغنى فيه. فمن ذلك قولُه في زرقاءَ جارية ابن رامينَ، وكان يألفها:

* أمسى لسَلاّمة الزَّرقاءِ في كبدي *

وذكر الأبيات:

شعر محمد بن الأشعث في سلاّمة:

قال: ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حَجّ وأخرج جواريَه كلَّهنّ ـ هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم. وهذا الشعر[٣] الثاني لإسماعيلَ بن عَمّارٍ الأسدي، وقد ذكرت أخبارَه في موضع آخر.

صوت

أَيَّــةُ حــالٍ يــابــنَ رامــيــنْ ... حــالُ المحبّيــنَ المســاكيــنْ

تــركتَهــمْ مــوتَــى ولــم يَتْلَفــوا ... قــد جُــرِّعــوا منــك الأمَــرَّيــنْ

ـ [ويروى: «تركتَهُمْ مَوتَى وما مَوَّتوا»، وجدتُه بخطِّ حَمّادٍ[٤].] ـ

وسِــرتَ فــي رَكْــبٍ علــى طِيَّــةٍ ... ركــبِ تَهــامٍ ويمَــانِيــنْ

/ يــا راعــيَ الــذَّودِ لقــد رُعْتَهــم ... ويلَــكَ مــن رَوْعِ المحبِّيــنْ

فــرَّقْــتَ جمعــاً لا يُــرى مثلُهــم ... بيــن دُروب الــرُّومِ والصِّيــنْ

[١٥/٥٧] ١٢٨/١٣

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها، عن ابن المكي وغيره.

شعره في وصيفة:

قال: ودخل ابنُ الأشعث يوماً على ابن رامينَ فخرجت إليه الزَّرقاء، فبينما هو يُلقِي عليها إذ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته، فقال شعراً في وقتِه، وتغنى فيه، فأخذته منه الزرقاء، وهو قوله:

(١) هذا ما في ط، مط. وفي سائر النسخ: «كتاب محمد بن عبد الملك الزيات».

(٢) ما عدا ط، مب، مط: «ذكر أبو أيوب المديني أنه حدثه» محرّف.

(٣) ما عدا ط، مب، مط: «هكذا ذكره. وذكر أحمد بن إبراهيم أن هذا الشعر».

(٤) التكملة من ط، مب.

صوت

قُلْ لأختي التي أحبُّ رضاها أنتِ لي فاعلميه رُكْنٌ شديدُ
إنَّ لي حاجةً إليكِ فقولي: بين أُذْني وعاتقي ما تريدُ

يعني قولِي: ما تريد في عنقي حتَّى أفعَله. ففطِنت الزّرقاء للذي أراد، فوهبَتْ له الوصيفَة، فخرج بها.

الغناء فيه رمل بالوسطى. ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابنُ سريج، وقد وَهِمَ في ذلك، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه.

هو وهشام بن محمد عند ابن رامين:

قال هارون: وحدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، قال: وحدّثني أبو عبد الله الأسَكّ[1] أمير المغنِّين أن محمد بن الأشعث الزهري، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السُّلَمي، اجتمعَا عند ابن رامين، وكان هشامٌ قد أنفق في منزله مالاً عظيماً، وكان يقال لأبيه بِسيارِدِرَمْ[2]، وتفسيره بالعربية: الكثير الدراهم، فقال محمد بن الأشعث: يا هشام قُلْ ما تشاء. قال:

قُلْ لأختي التي أحبُّ رِضاها أنتِ لي فاعلميهِ ركنٌ شديدُ

[١٥/٥٨] / وأشار بذلك إلى سَلاّمة الزرقاء. قالت وقد سمعَتْ: فقل. فقال:

إنّ لي حاجةً إليكِ فقولي بين أُذْني وعاتِقي ما تريدُ

ففطنت الزرقاء للذي أراد، فقالت: بين أُذْني وعاتقي ما تريد، فما هو؟ قال: وصيفتِك هذه، فإنَّها قد أعجبتني. قالت: هي لك. فأخذها فما ردَّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تكلَّمَ فيه.

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمّد بن الأشعث.

قال هارون: وحدّثني أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال:

هواه لسلامة وسحيقة واسترضاء ابن رامين له:

ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميمي[3]، أنّ محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامينَ ولجاريته سَلاّمة الزرقاء، فشُهِر بذلك[4]، وكان رجلاً قَصّافاً[5] فلامه قومُه في فعله فلم يحفِلْ بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم، حتّى رأى بعضَ ما كرِه في منزل ابن رامين، فمال إلى سَحِيقة جارية زُريق بن منيح، مولى عيسى بن موسى. وكان زُريقٌ شيخاً سخيّاً[6] كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشرافُ الكوفة من كلِّ حيّ، وكان الغالبُ على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد

(١) ما عدا ط، مب: «الأشيك».
(٢) مركب من «بسيار» الفارسية بمعنى كثير. ودرم، هي أصل كلمة «درهم» في الفارسية.
(٣) ما عدا ط، مب، مط: «التيمي».
(٤) ما عدا ط، مب، مط: «فشهد بذلك» تحريف.
(٥) قصافاً: كثير القصف، وهو اللهو واللعب على الطعام، كما في «القاموس».
(٦) هذه الكلمة من ط، مب، مط فقط.

الغفّار العجلي، كغَلَبة محمد بن الأشعث على منزل ابنِ رامين، فتواصَلاَ على ملازمة بيت زُرَيق. ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث:

يَـابـن رامـيـنَ بُحْـتَ بـالتَّصـريـح ... فـي هَـوَايَ سَحِيقـةَ ابـنِ منيـحِ [1]

قَينـةٌ عَفّـةٌ ومـولًـى كـريـمٌ ... ونـديـمٌ مـن اللُّبـاب الصَّـريـحِ [2]

/ رَبَعـيٌّ مهـذَّبٌ أريحـيٌّ ... يَشتـري الحمـدَ بـالفَعَـال الـرَّبيـحِ [3] [١٥/٥٩]

/ نحنُ منـه فـي كـلّ مـا تشتهـي الأنـ ... ـفُـسُ مـن لـذّةٍ وعيـشٍ نجيـحِ [١٢٩/١٣]

عنـدَ قَـرْمٍ [4] مـن هـاشـم فـي ذُرَاهـا ... وغنـاءٍ مـن الغـزالِ المليـحِ

فـي سُـرورٍ وفـي نعيـم مُقيـم ... قـد أمِنّـا مـن كـلّ أمـرٍ قبيـحِ

فـاسـألْ عنـا كمـا سلـونـاكَ إنّـي ... غيـرُ سـالٍ عـن ذاتِ نَفْسـي ورُوحـي

حـافـظٌ منـك كـلَّ مـا كنـت قـد ضَـ ... ـيَّعْـتَ ممـا عصيـتُ فيـه نصيحـي

فـالقِلَـى مـا حييـتَ منّـي لـك الـدَّهـ ... ـرَ بـوُدٌّ لمُنيَتـي ممنـوح [5]

يـا بْـنَ رامـينَ فـالـزَمَـنْ مسجِـدَ الحـ ... ـيِّ وطُـولَ الصَّـلاة والتَّسبيـحِ

قال عمرو بن نوفل: فلم يَدعِ ابنُ رامين شريفاً بالكوفة إلاّ تحمَّلَ به على ابن الأشعث وأن يَرضَى عنه، ويعاودَ زيارتَه، فلم يَفعل، حتّى تحمَّلَ عليه بالحَجْوانيّ، وهو محمد بن بشر بن حَجْوان الأسديّ، وكان يومئذ على الكوفة، فكلمهُ فرضِيَ عنه ورجع إلى زيارتِه، ولم يقطع منزلَ زُرَيق، وقال في سحيقة:

سحيقـةُ أنـتِ واحـدةُ القيـانِ ... فمـا لـكِ مُشْبِـهٌ فيهـن ثـانِ

فَضَلْـتِ علـى القيـان بفَضـلِ حِـذقٍ ... فحُـزتِ علـى المـدى قَصَـبَ الـرِّهـانِ

سجـدنَ لـكِ القيـانُ مكفِّـراتٍ ... كمـا سجـدَ المجوسُ لمـرزُبـانِ [6]

ولا سِيَمَـا إذا غنَّيـتِ صـوتـاً ... وحـرّكـتِ المَثـالـثَ والمثـانِـي [7]

/ شـربـتُ الخمـرَ حتّـى خلـتُ أنّـي ... أبـو قـابـوسَ أو عَبـدُ المَـدَانِ [8] [١٥/٦٠]

---

(١) أي في حبي لسحيقة المنسوبة إلى ابن منيح، وهو

(٢) اللباب: الصفوة. والصريح: الخالص.

(٣) وبعي: منسوب إلى ربيعة. والأريحي: الذي يهتز للكرم.

(٤) القرم: السيد. ما عدا ط، مب: «قوم» تحريف.

(٥) القلي: البغض والكراهية. ما عدا ط، حـ، مب، مط: «فاكتفي». لمنيتي، يعني بها جارية ابن رامين. يقول: إن ودي الممنوح لتلك الجارية مقابل ببغضي لك. ما عدا ط، حـ: «يا منيتي».

(٦) التكفير: إيماء الذمي أو المجوسي برأسه، أو أن يتطامن ويضع يده على صدره، أو أن يسجد لمن يعظمه، أو أن ينحني ويطأطىء رأسه قريباً من الركوع، وكل أولئك طريقة للتعظيم.

(٧) سيما: مخفف سيما. والمثلث والمثنى من أوتار العود.

(٨) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر. وعبد المدان: سيد من سادات مذحج، وهو أبو يزيد عمرو بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن عمرو، كما سبق في خبر أساقفة نجران.

فـإعمـال اليَسـارِ علـى المَـلاوِي ... ومِـن يُمنـاكِ تـرجمـةُ البيـان[١]

احتيال سلامة لإقصاء روح بن حاتم:

أخبرني محمد بن خلَف بن المرزُبان، عن حمّاد عن أبيه قال:

كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغِشْيان لمنزل ابن رامِينَ، وكان يختلف إلى الزَّرقاءِ جاريةِ ابن رامين، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتهواه، فقال لها: إنَّ رَوح بن حاتم قد ثَقُل علينا. قالت: فما أصنع[٢]، قد غَمَر مولاي بِبِرِّه! فقال: احتالي له. فبات عندهم[٣] رَوحٌ ليلةً، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغسلَتْه، فلما أصبحَ سأل عنه فقالت: غَسَلناه. ففطِنَ أنّه أحدَثَ فيه فاحتِيجَ إلى غَسْله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهُها لابن جميل.

ابن رامين وجواريه وما قيل فيهن من شعر:

قال هارون:

وأخبرني حماد عن أبيه قال:

ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين، مولى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان. وجواريه سَعْدة، ورُبَيْحة، وسَلّامة الزرقاء. وفيهن يقول إسماعيل بن عمّار الأسديّ وأنشدناه الحرميّ عن الزبير عن عمّه، وروايته أتمُّ:

[٦١/١٥] / هَل مِن شفاءٍ لقلبٍ لَجَّ مَحزونِ ... صَبًا،وصبٌّ إلى رِيم ابن رامينِ[٤]

إلـى رُبَيحـة إنَّ الله فضَّلَهـا ... بحُسنهـا وسَمـاعٍ ذي أفـانيـنِ[٥]

نَعَـمْ شفـاؤك منهـا أن تقـولَ لهـا ... قَتلتِنـي يـومَ دَيـر اللُّجِّ فـاحيِينـي[٦]

أنـتِ الطبيـبُ لـداءٍ قـد تَلَبَّسَ بـي ... من الجوَى فانفُثي في فيَّ وارقِيني

نفسِـي تـأبَـى لكـمْ إلاّ طَـوَاعيـة ... وأنـتِ تَحَميـنَ أنفـاً أن تُطيعينـي[٧]

١٣٠/١٣ / فتلك قسمةُ ضِيزَى قد سمعتُ بها ... وأنـتِ تتلينهـا مـا ذاكِ في الـدين[٨]

مـا عـائـذُ الله لـي إلـفٌ ولا وطـنٌ ... ولا ابـنُ رامـينَ، لـولا مـا يمنِّيني[٩]

---

(١) الملاوي: ملاوي العود التي تشد بها الاوتار. وهذا البيت لم يرد في ط، مب.

(٢) ما عدا ط، مب، مط: «قد ثقل علينا فما أصنع، فقالت».

(٣) ما عدا ط، مب، مط: «فبات عندها».

(٤) الريم: مخفف الرئم، وهو الظبي الخالص البياض. والصب: العاشق. يقال صببت إليه صبابة فأنا صب، أي عاشق.

(٥) أفانين: ضروب.

(٦) دير اللج بالحيرة، بناه النعمان بن المنذر.

(٧) تحمين أنفاً، أي يحمي أنفك وتأنفين.

(٨) تتلينها، من التلاوة. والشعر والكلام بعده إلى «عيد السعانين» وبدله فيها: «وهي طويلة. وقد تقدّمت قبل هذا الموضع في أخبار ابن عمّار الأسدي».

(٩) عائذ الله: حي من أحياء العرب وفي الأصول: «عابد الله» تحريف.

يـا ربَّ مـا لابـن راميـنٍ، لـه بقَـرٌ عِيـنٌ وليـس لنـا غيـرُ البـراذيـن
لـو شئـتَ أعطيتَـه مـالاً علـى قـدَرٍ يـرضَـى بـه منـكَ غيـرَ الخُـرَّدِ العِيـنِ
لِعـائـذِ الله بيـتٌ مـا مـررتُ بـه إلاَّ وُجِئْـتُ[1] علـى قلبـي بِسكِّيـنِ
يـا سَعـدةُ القينـةُ البيضـاءَ، أنـتِ لنـا أُنـسٌ لأنَّـكِ فـي دار ابـن راميـنِ
لا تَحْسَبِـنَّ بيـاضَ الجِـصِّ يـؤنسنـي وأنـتِ كنـتِ كمثـل الخَـزِّ فـي الليـنِ
لـولا رُبَيحة مـا استأنستُ مـا عَمَدت نفسـي إليـكِ ولـو مُثِّلتِ فـي طيـنِ[2]
/ لـم أنسَ سَعْـدَة والـزّرقـاءَ يـومَهمـا بـاللُّـجِّ شـرقيَّـةُ فـوقَ الـدَّكـاكيـن [٦٢/١٥]
تُغنِّيـانِ ابـنَ راميـنٍ ضَحـاءَهمـا بـالمسجحـيِّ وتشبيـبِ المحيِّـنِ[3]
فمـا دَعـوتُ بـه مـن عيـش مَملكـةٍ ولـم نَعِـشْ يـومَنـا عيـشَ المسـاكيـنِ
أذاكَ أنعَـمُ أم يـومٌ ظلِلـتُ بـه منعَّـمَ العيـشِ فـي بُستـانِ سُـوريـن
يشـوي لنـا الشَّيـخ سُـوريـنٌ دواجِنَـه بـالجَـرْدَنـاجِ وسحـاج الشقـابيـن[4]
نُسقَـى شـرابـاً لعمـرانٍ يعتِّقـه يُمسـي الأصْحَـاءُ منـه كـالمجـانيـن

يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ـ

إذا ذكـرنـا صـلاةً بَعـدمـا فَـرَطَـتْ قُمنـا إليهـا بـلا عقـلٍ ولا ديـن[5]
نمشِـي إليهـا بِطـاءً لا حَـراكَ بنـا كـأنَّ أرجلَنـا تُقْلَعـنَ مـن طيـنِ
نمشِـي وأرجلُنـا عـوجٌ مطـارِحُهـا مَشْـيَ الإوَزِّ التـي تـأتـي مـن الصيـنِ
أو مَشْـيَ عُميـانِ دَبـرٍ لا دليـلَ لهـم إلاّ العصـيُّ، إلـى عِيـد السَّعـانيـنِ

وقال فيه أيضاً:

لابـن راميـنَ خُـرَّدٌ كمهـا الـرَّمْـ ـلِ حِسـانٌ وليـس لـي غيـر بَغْـلِ
ربِّ فضَّلتَـه علـيَّ ولـو شئـ ـتَ لفضَّلتنـي عليـه بفَضْـلِ

قال حمّاد: وأخبرني أبي قال: حدّثني السَّكوني، أنَّ جعفر بن سليمان اشترى رُبيحَة بمائة ألف درهم، واشترى صالح بن عليٍّ سَعْدة بتسعين ألف درهم، واشترى مَعْن بن زائدة الزرقاء.

/ قال مؤلف هذا الكتاب: هذا خطأٌ، الزَّرقاء اشتراها جعفر بن سليمان، ولعل مَعْنًا اشترى غيرَها. [٦٣/١٥]

---

(١) الوج: الطعن بسكين ونحوه.

(٢) في الأصول: «وقد مثلت في طين». وانظر ما سبق في أخبار إسماعيل بن عمّار.

(٣) جـ: «بالمسحجي» بتقديم الحاء.

(٤) الجردناج: هو «كردناج» بالفارسية، وهو لحم ينضج قليلا بالماء ثم يشوى. معجم استينجاس» ١٠٨٠: Meat Parboiled and roasted) وسحاج الثقابين، كذا وردت. وفيما مضى: «وشحاج الشمانين».

(٥) فرطت: سبقت، وتقدّمت.

إسماعيل بن عمّار وسعدة جارية ابن رامين:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الحسَن الشيباني، عن عبد الملك بن ثوبان[1] قال: قال إسماعيل بن عمّار: كنت أختلف إلى منزل ابن رامينَ فأسمع جاريتيه: الزرقاء وسَعْدة، وكانت سَعدة أظرفَ من الزَّرقاء، فأُعجِبْتُ بها وعَلمتْ ذلك منّي، وكانت سَعدة كاتبةً، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقَى بها، فوعدتني فكتبتُ إليها رقعةً مع بعض خدَمِهم:

يــا ربِّ إنّ ٱبــن رَاميــنٍ لــه بقَــرٌ   عِيــنٌ وليــس لنــا غيــرُ البــراذيــنِ

١٣١ / ١٣ / وذكر الأبيات الماضية. قال: فجاءني الخادم وقال: ما زالت تقرأ رُقعتك وتضحك من قولك:

فـإن تجـودي بـذاكِ الشـيءِ أحْـيَ بـهِ   وإنْ بخِلـتِ بــه عنّــي فــزَنّينــي

وكتبت إليّ: «حاشاك من أن أزنّيَك، ولكنّي أسير إليك فأغنّيك وألهّيك وأُرضيك». وصارت إليّ فأرضتني بعدَ ذلك.

شراء جعفر بن سليمان للزرقاء وقتله يزيد بن عون:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، عن الحسين بن محمد الحرّاني، وأخبرني الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه:

أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاءَ صاحبة ابن رامينَ بثمانين ألف درهم، وسَتَرها عن أبيه ـ وأبوه يومئذٍ على البصرة في خلافة المنصور، وقد تحرّك في تلك الأيام عبدُ الله بن علي ـ فهجَمَ عليهما يوماً سليمان بن عليّ فأخفيا[2] العُودَ تحتَ السّرير / ودخَل، فقال له: ويحكَ نحن على هذه الحالِ نتوقّع [١٥/ ٦٤] الصيلم[3] وأنتَ تشتري جاريةً بثمانين ألفَ درهم! وأظهرَ له غضباً عليه و تسخُّطاً لما فَعَل، فغمز خادماً كان على رأسِه فأخرجها إلى سليمان، فأكبّتْ على رأسه فقبّلَتْه، ودعَتْ له، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلّمة، فأعجبه ما رأى منها، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك.

قال: ولما مضت لها مُدّةٌ عند جعفرٍ سألها يوماً: هل ظَفِرَ منك أحدٌ ممن كان يهواكِ بخلوةٍ أو قُبلة؟ فخشيت أن يبلُغه شيءٌ كانت فعلَتْه بحضرةِ جماعةٍ أو يكونُ قد بلغه، فقالت: لا والله إلاّ يزيد بن عون العِباديُّ الصَّيرفي؛ فإنّه قبّلني قُبلةً وقذف في فيّ[4] لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم. فلم يزل جعفرٌ يحتال له ويطلبه[5] حتّى وقع في يده، فضرَبهُ بالسِّياط حتّى مات.

(١) ط: «عبد الملك ثوبان».

(٢) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «فخبأ».

(٣) الصيلم: الداهية تصطلم القوم. قال:

غضبــت تميــم أن تقتــل عــامــر   يــوم النســار فــأعتبــوا بــالصيلــم

(٤) ط، مب، مط: «في فمي».

(٥) هذه من ط، ها، مب فقط.

استقبال سلامة الزرقاء ليزيد بن عون:

قال هارون: وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال. حدّثني أبو عوف الدَّوسيّ، عن عبد الرحمٰن بن مُقَرِّن قال:

كتبتُ إلى ابن رامينَ أستأذِنه في إتيانه، فكتب إليّ: «قد سبقَكَ رَوحُ بن حاتم، فإن كنتَ لا تحتشِمُ منه فرُحْ. فرُحتُ، فكنّا كأنّنا فرسا رِهان، والتقينا فعانقني وقال لي: أنّى تريد[1]؟ قلت: حيثُ أردتَ. قال: فالحمد لله. فدخلنا فخرجَت الزرقاءُ في إزارٍ ورداءٍ قُوهِيَّين[2] مورَّدين، كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها / وكتِفيها[3]، فغنَّتنا ساعةً ثم جاء الخادم الذي يأذَن لها[4]، وكان الإذن عليها دونَ مولاها، فقام [١٥/٦٥] دونَ الباب وهي تغنّي، حتّى إذا قطعَتْ نظرَتْ إليه فقالت: مَن[5]؟ فقال: يزيد بن عَون العباديُّ الصَّيرفي، الملقَّب بالماجن، عَلَى الباب. فقالت: أدخِلْه. فلما استقبَلَها كفَّرَ[6] ثم أقعَى بين يديها. قال: فوجَدَتْ والله له[7] ورأيتُ أثَرَ ذلك، وتنوَّقَتْ تنَوُّقاً[8] خلافَ ما كانت تَفعلُ بنا. فأدخلَ يَده في ثوبِه فأخرج لؤلؤتين وقال: انظري يَا زرقاء جُعِلت فداكِ! ثم حلَفَ أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم. فقالت: فما أصنع بذلك؟ قال: أردت أن تعلمِي. فغنَّتْ صوتاً ثم قالت: يا ماجنُ هَبْهما لي ويحك. قال: إن شئتِ واللّهِ فعلتُ. قالت: قد شئتُ. قال: واليمينُ التي حلفتُ بها لازمةٌ لي إنْ أخذتهما إلاّ بشفتيك من شَفَتيّ. قال: فذهب رَوْحٌ يتسرَّع إليه، فقالت له: أَلَكَ في بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. فقلت: إنما يتكسَّبون مما ترى. وقام ابن رامينَ فقال: ضَعْ لي يا غلامُ ماء. ثم خرَجَ عنّا فقالت: هاتهما. فمشى على ركبتيه وكفَّيه وهما بين شفَتيه. فقال: هاكِ. فلمّا ذهبَتْ بشفتيها جعل يصدُّ عنها[9] يميناً وشمالاً ليستكثر منها، فغمزتْ جاريةً على رأسها فخرجتْ كأنّها تريد / حاجة، ثم عطفَتْ / عليه، فلمّا دنا منها وذهب ليُرُوغَ دفعَتْ مَنكِبيه وأمسكَتْهما [١٥/٦٦] [١٣٢/١٣] حتّى أخذت الزّرقاءُ اللؤلؤتين بشفتَيها من فمه، ورَشَح جَبينُها حياءً منّا. ثم تجلَّدَتْ علينا فأقبلَتْ عليه فقالت له: «المغبونُ في استِه عُود» فقال: أمّا أنا فما أُبالي، لا يزال طِيبُ هذه الرائحةِ في أنفي وفمي أبداً ما حَيِيت.

عبث سعدة بثياب الضيوف:

قال هارون: وحدّثني ابن النطّاح عن المدائني، عن عليّ بن أبي سليمان، عن أبي عبد الله القرشي، عن أبي زاهر بن أبي الصباح، قال:

---

(١) ما عدا ط: «أين تريد»، وهما سيان.

(٢) القوهي: ضرب من الثياب بيض، منسوبة إلى قوهستان. ما عدا ط، مب، مط: «قهويين» محرّفة.

(٣) ط، مب، مط: «وكعها» حـ: «وكفيها». وأثبت ما في سائر النسخ.

(٤) أي الذي يأذن في الدخول عليها. ما عدا ط، ما: «تأذن لي»، محرّف.

(٥) ط، حـ، مب، مط: «مه».

(٦) سبق الكلام على التكفير في ص ٥٩. ما عدا ط، مب، مط: «ظفر»، تحريف.

(٧) وجدت: لحقها الوجد به والحب.

(٨) التنوق: التأنق. يقال تنوق في مطعمه وملبسه وتأنق، أي تجوّد. ما عدا ط، مب: «وتبوّقت تبوقاً» محرّف.

(٩) الكلام بعده إلى ما قبل: «ما بالمغاني من أحد» مفقود من ط.

أتيتُ منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش، فأخرج الزرقاءَ، وسَعْدَة، فقام القرشيُّ ليبول وترك مُطرَفه[١]، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ، فرجَع القرشيُّ وعليها المُطْرف قد خاطته فصار دِرعاً[٢]، فقالت: أرأيتم أسرعَ مِن هذا؟ صار المُطرف درعاً! فقال القرشِيُّ: هو لكِ. قال: وعليَّ طيلسانٌ مثنى، فأردت أن أبول فلففته وقُمت، فقالت سَعدة: دَع طَيلسانك. فقلت: لا أدعهُ، أخافُ أن يتحوّل مطرَفاً.

إهداء ابن المقفع للزرقاء ألف دراجة:

وحدّثني قبيصة بن معاوية قال: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

شرِبتْ زرقاءُ ابنِ رامينَ دواءً فأهدى لها ا بن المقفع ألف دُرّاجة على جمل قُرَاسيّ[٣].

عشق محمد بن جميل للزرقاء:

قال هارون: وحدّثني حمّاد عن أبيه:

أنّ محمدَ بن جميلٍ كان يتعشّق الزرقاءَ، وكان أبو جميلٍ يغدو كلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَم عن ابنه محمّد، إلى أنْ مرّ به صديقٌ له يكنى أبا ياسرٍ، فسأله عنه / فقال له أبو ياسر: تركتُه أعظَمَ النّاس قَدْراً، يعامل الخليفةَ كلَّ يوم في خَراجه، فيحتاج إليه ولدُه، وصاحبُ شرطته، وصاحبُ حرسه، وخَدَمُه. فقال له: يا أخي: فكيف بهذه الجارية التي قد شُهِر بها؟ فقال له الرجل: لا تهتمَّ بها، قد مازحَهُ أمير المؤمنين فيها، وخاطَبَه بشعرٍ قيل فيه. قال: وما هو؟ قال: [١٥/٦٧]

وابـنُ جميـلٍ فـاعلمـوا عـاجـلاً ... لا بـدّ مـوقـوف علـى مَسْطَبـه[٤]

يُـوقَـف فـي زرقـاءَ مشهـورةٍ ... تُجيـد ضَـرب العُـود والعَـرطَبـه[٥]

فقال جميل: والله ما بي من هذا الأمر إلا أنّي أتخوّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولم يَنِكها.

قال هارون: وأحسب هذه القصّة لزرقاءِ الزّرادِ[٦]، لا زرقاءِ ابن رامين.

تنافس معن وروح وابن المقفع في تقديم الألطاف لها:

قال هارون: وحدّثني أبو أيوب قال: حدّثني محمد بن سلّام، قال:

اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة، ورَوح بن حاتم، وابن المقفّع، فلما تغنّت الزرقاءُ وسَعدة، بعثَ معنٌ إليها بَدْرةً[٧] فصُبّت بين يديها، فبعثَ روح إليها أخرى فصُبّت بين يديها، ولم يكن عند ابن المقفّع دراهم فبعثَ فجاء بصَكِّ ضيعتِه وقال: هذه عُهدةُ ضَيعتي خُذِيها، فأمّا الدّراهم فما عندي منها شيء.

(١) المطرف بتثليث الميم وفتح الراء: ثوب من خز له أعلام.

(٢) الدرع: القميص.

(٣) الدراجة، كرمانة: واحدة الدراج، وهو ضرب من الطير طيب اللحم. والقراس بضم القاف وفتح الراء: الضخم الشديد من الإبل. يقال قراسي وقراسية بتخفيف الياء. حـ: «فراسي». وما عداها «قراشي» ووجههما ما أثبت من «مب».

(٤) المسطبة، بفتح الميم وكسرها: الدكان يقعد الناس عليها.

(٥) العرطبة، بالفتح والضم: العود، أو الطنبور.

(٦) كذا في أ، مب، مط. وفي سائر النسخ: «الواردة».

(٧) البدرة، بالفتح: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار.

صفة الزرقاء وغنائها:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا فضلٌ اليزيديُّ قال: حدّثني إسحاق الموصليّ قال: قال سليمان الخشّاب:

/ دخلتُ منزلَ ابنِ رامينَ فرأيتُ الزّرقاءَ جاريتَه وهي وصيفةٌ، حين شال نهودُها ثوبَها عن صدرها، لها شاربٌ [٦٨/١٥] كأنّه خُطَّ بمسك، يلحَظُه الطّرف ويقصُر عنه الوصف، وابن الأشعثِ الكوفيُّ يلْقِي عليها، والغناء له:

أيّـــةُ حـــالٍ يـــا ابـــنَ راميـــنْ — حـــال المحبّيـــن المســـاكيـــنْ

تـــركتَهـــم مـــوتَـــى ومـــا مَـــوّتـــوا — قـــد جُـــرِّعـــوا منـــكَ الأمَـــرَّيـــنْ

/ وسِـــرتَ فـــي رَكْـــبٍ علـــى طِيّـــةٍ — ركـــبِ تَهَـــامٍ ويَمَـــانِيـــنْ ١٣٣/١٣

يـــا راعـــيَ الـــذَّود لقـــد رُعْتنـــا — ويلَـــكَ مـــن رَوعِ المحبّيـــنْ

فـــرّقـــتَ جمعـــاً لا يُـــرى مثلُهـــم — فَجَّعتهـــم بـــالـــرَّبـــرب العِيـــن

ابن رامين أجل مقين بالكوفة:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني هارون بن محمد الزيات قال: قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل: كان ابن رامينَ مولى الزرقاء أجلَّ مُقَيِّنٍ[1] بالكوفة وأكبَرَهم، ورامين أبوه مولى بِشر بن مروان.

محمد بن الأشعث يلقي على الزرقاء وصواحباتها الغناء:

قال هارون: فحدّثني سليمان المديني قال: قال حمّاد بن إسحاق قال أبي: قال مُعاذ بن الطَّبيب:

أتيتُ ابن رامينَ وعنده جواريه: الزّرقاء وصواحباتها، وعندهنّ فتىً حسنُ الوجهِ نظيفُ الثّياب، عَطِر الريح، يُلقي عليهنّ، فسألتُ عنه فقيل لي: هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزُّهري. فمضيتُ به إلى منزلي وسألتُه المُقام ففعلَ، وأتيتُه بطعامٍ وشَراب وغنّيتُه أصواتاً من غِناء أهل الحجاز، فسألَني أن ألقيَها عليه، فقلتُ: نَعَم وكَرامةً وحُبًّا، على أن تلقِيَ عليَّ أصواتاً من صنعتك ألتذُّ بها، وأقطع طريقي بروايتها، وأُطرِف أهلَ بلدي بها، ففعلتُ وفعلَ، فكان مما أخذتُه عنه من صنعته:

/ صوت

[٦٩/١٥]

صـــاحِ إنّـــي عـــادَ لِـــي مـــا ذَهَبـــا — مِـــن هـــوًى هـــاجَ لقلبـــي طَـــرَبـــا[2]

أذكَـــرَتنـــي الشّـــوق سَـــلاّمـــةُ أن — لـــم أكُـــنْ قضيـــت منهـــا أرَبـــا

وإذا مـــا لامَ فيهـــا لائـــمٌ — زاد فـــي قلبـــي لحبّـــي عجبـــا[3]

(١) المقين: أراد به صاحب القيان.

(٢) كذا على الصواب في حـ، مب، مط. وفي سائر النسخ: «إني عازل» تحريف.

(٣) حـ: «زاداني قلبي بحبي».

مِـــن ذَواتِ الـــدَّلِّ لـــو دبَّ علـــى جِلْـدِهـا الـذَّرُّ لأبْـدَى نَـدَبـا[١]

الغناء لمحمد بن الأشعث، ثقيلٌ أوّل عن الهِشاميّ. وفيه ليونس خفيفُ ثقيلٍ بالسّبابة، في مَجرى البِنصر عن إسحاق. وذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه لحناً من الثقيل الثاني لا يدري لمن هو؟

قال: ومنها.

صوت

لِـذِكْـرِ الحبيـبِ النّـازحِ المتغـيِّـبِ طَـرِبتُ ومَن يَعرِضْ لـه الشـوق يطـرِبِ

لحنه رمل: وقال منها:

صوت

خليلَـيَّ عُـوجـا سـاعـةً ثـم سلِّمـا علـى زَيْنـبٍ سَقْيـاً ورَعيـاً لـزينـبِ

لحنه رمل. وقال منها:

صوت

رَحُبَـت بِـلادُك يـا أمـامَـهْ وسَلِمـتِ مـا سَجَعـت حَمـامَـهْ[٢]
وسقَـى ديـارَك كلَّمـا حنَّـت إلـى السُّقيـا غَمـامَـهْ
[١٥/٧٠] / إنِّـي وإن أقصَيتِنـي سَفَهـاً أحـبُّ لـكِ الكـرامَـةْ
وأرى أمـورك طـاعـةً مفـروضـةً حتّـى القيـامَـهْ

لحنه خفيفُ رملٍ. قال: ومنها[٣]:

صوت

مـا بـالمَغـانـي مِـن أحَـدْ إلاّ حمـامـاتٌ فُـرُدْ[٤]
أضحـت خَـلاءً دُرَّسـاً للـرِّيـحِ فيهـا مُطَّـرَدْ[٥]
١٣٤/١٣ // عهـدِي بهـا فيمـا مضَـى ينتـابهـا بِيـضٌ خُـرُدْ[٦]

---

(١) الذر: صغار النمل. والندب: جمع ندبة، بالتحريك، وهو أثر الجرح الباقي على الجلد.

(٢) رحبت: اتسعت. سجعت: غنت.

(٣) إلى هنا تنتهي القطعة المفقود من ط. انظر ما سبق في ص ٦٥ الحاشية ٧.

(٤) المغاني: جمع مغني، وهو الموضع يغني فيه القوم، أي يقيمون. فرد: فريدات.

(٥) درس: جمع دارسة، وهي التي لعب بها البلى. المطرد: الموضع تطرد فيه الريح أي تجري؛ أو هو مصدر ميمي.

(٦) ينتابها: يأتيها نوبة بعد أخرى. خرد: جمع خريدة وخريد وخرود، وهي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت. ما عدا ط، مب، مط: «بنباتها بيض جدد» تحريف.

فـاستبـدلَـت وَحشـاً بهـم والـوُرق تـدعـو والصُّـرَد[١]

لحنه هزج. قال: ومنها:

صوت

ليـتَ مـن طَيَّـرَ نـومِـي ردَّ فـي عيـنِـي المنـامـا
أو شَفَـى جسمـاً سقيمـاً زاده الهجـرُ سَقـامـا
نظـرَتْ عينـي إليهـا نَظـرةً هـاجـت غَـرامـا
تـركَـتْ قلبـي حـزينـاً بهـواهـا مُستَهـامـا

لحنه رمل.

/ قال ابن الطبيب: وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة، ورأيتُ النّاسَ بعد ذلك ينسبونها إلى قُدماء المغنِّين. [٧١/١٥]

مصير الزرقاء وربيحة إلى جعفر ومحمد بن سليمان:

قال هارون: وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني إسماعيل بن جَعفر بن سليمان:

أنَّ الزَّرقاء صاحبة ابنِ رامينَ[٢] صارت إلى أبيه، وكان يقال لها أم عثمان. وأنَّ رُبَيحة جاريةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان، وكانت حَظِيَّةً عنده. قال إسماعيل: فأتى سليمانُ بن علي ابنَه جعفراً فأخرج إليه الزَّرقاءَ، فقال لها سليمان: غَنِّيني. قالت: أيَّ شيءٍ تحبُّ؟ قال: غَنِّيني:

إذا مـا أمُّ عبـدِ اللَّـهِ لـم تَحْلُـل بِـواديـهِ
ولـم تَشِـف سقيمـاً هَيَّـجَ الحُـزن دواعيـه

فقالت: فَدَيتك، قد ترك الناسُ هذا منذ زمان. ثم غنَّته إياه.

قال إسماعيل: قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة، وينبغي أن يكون رأى الزرقاءَ قبل موته بسنتين أو ثلاثٍ. قال: وقالت هي: قد تَرك الناس هذا منذُ زمانٍ. فهذا من أقدم ما يكون من الغناء.

أبيات لشراعة في جواري ابن رامين:

قال هارون: وقال شُرَاعة بن الزَّندَبُوذ:

قـالـوا شُـراعـةُ عِنِّيـنٌ فقلـتُ لهـم الله يعلـمُ أنِّـي غيـر عِنِّيـنِ
فـإنْ أبيتـم وقلتـم مثـلَ قـولِهـم فـأقحِمـونـيَ فـي دارِ ابـنِ رامـيـن[٣]
ثـم انظـروا كيـفَ طعنِـي عنـد مُعتَـركـي فـي حِـرِ مَـنْ كنـتُ أرميهـا وتَـرمينـي

---

(١) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والصرد: طائر أكبر من العصفور.

(٢) صاحبة ابن رامين، من ط، مط فقط.

(٣) أقحمه: ألقاه ورمى به.

١٥/٧٢] / **صفة أخرى للزرقاء:**

قال هارون: وحدّثني أبو أيوب المديني، عن أحمد بن إبراهيم قال: قال بعض المدنيّين:

أتيتُ منزلَ ابن رامينَ، فوجدتُه عندهُ جاريةٌ قد رفع ثديَها قميصاً، لها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفتيها[1] امتدادَ الطِّراز، كأنّما خُطَّت طُرَّتُها وحاجباها بقَلَم، لا يحلقُها في ضربٍ من ضُروبِ حُسنها وصفُ واصف، فسألتُ عن اسمها فقيل: هذه الزَّرقاء.

نسبة الصوت الذي في الخبر

صوت

إذا مـــــا أمُّ عبـــــد اللّـــــه لـــم تَحلُـــلْ بـــواديـــهِ
ولـــم تَشـــفِ سقيمـــاً هـــيـــجَ الحـــزنُ دواعيـــهِ
غَـــزالٌ راعَـــه القَنّـــاصُ تحميـــه صَـــواصيـــه[2]
/ عـرفـتُ الـربـعَ بـالإكليـــلِ عَفَّتـــه ســـوافيـــه[3]
بجـــوٍّ نـــاعِـــم الحَـــوذانِ مُلتـــفٍّ رَوَابيـــه[4]
/ ومـــا ذِكـــرى حبيبـــاً وقليـــلاً مـــا أُواتيـــهِ
كـــذي الخمـــرِ تَمنّـــاهـــا وقـــد أشـــرفَ ساقيـــهِ[5]

ذكر الزُّبير بن بكّارٍ أنّ الشِّعرَ لعديّ بن نوفل، وقيل إنّه للنُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريّ[6] وذاك أصحُّ.

وقد أخرجتُ أخبارَ النُّعمان فيه مفردةً في موضع آخر، وذكرتُ القصيدة بأسرها. ورواها ابنُ الأعرابيّ وأبو عمرو الشيباني للنُّعمان، ولم يذكر أنّها لعديٍّ غير الزُّبير بن بكّار.

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمعْبِدٍ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى. وذكر إسحاقُ أنّ فيه خفيفَ رملٍ بالسبّابة في مَجرى البِنصر، يمانٍ[7]. وفيه للغريض ثَقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشامي، في الأول والثاني والرابع والخامس.

١٣٥/١٣ ١٥/٧٣]

---

(١) ط: «شقتها» مب، مط: «شفتها».

(٢) راعه: أفزعه. والقناص، بالفتح هو القانص، وبالضم: جمع قانص. ما عدا ط، مب: «رابه القناص». والصياصي: الحصون.

(٣) الإكليل: اسم موضع. وأنشد هذه الأبيات ياقوت في رسم (الإكليل). والسوافي: الرياح التي تسفي التراب.

(٤) الجو والجوة: المنخفض من الأرض. والحوذان، بالفتح: نبت له زهرة حمراء في أصلها صفرة. ملتف روابيه: أي ملتف نبات روابيه. والرابية: ما ارتفع من الأرض.

(٥) ما عدا ط، مب، مط: «كذا الخمر» محرّف.

(٦) هذا يطابق ما في «معجم البلدان» في رسم (الإكليل).

(٧) هذه الكلمة من ط، حـ، مب، مط.

٧٤/١٥

/ نسب عديّ بن نوفل وخبره

نسب عدي بن نوفل:

هو عديُّ بن نوفلِ بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قصَيّ بنِ كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ. وأمه آمنةُ بنت جابر بن سفيان، أختُ تأبَّطَ شراً.

استعماله على حضرموت:

وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمَلَه، أو عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ فيما أخبرنابه الطُّوسيُّ عن الزبير بن بكار ـ على حَضرَمَوْت.

داره وما قيل فيها من الشعر:

قال الزبير: ودارُ عديِّ بن نوفلٍ بين المسجد والسُّوق معروفة[1]، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النُّسائي[2]:

إنّ مَمْشــاكِ نحــوَ دارِ عــديٍّ　　كــان للقلــب شِقــوةً وفُتــونــا

إذْ تــراءت علــى البــلاط فلمَّــا　　واجَهتنــا كــالشَّمس تُعشِي العُيــونــا[3]

قــال هــارونُ قِــفْ فيــا ليــتَ أنّــي　　كنــتُ طــاوعــتُ ســاعــةً هــارونــا

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة[4].

امرأته ونشوزها عليه:

قال الزُّبير: كان تحتَ عديِّ بن نوفلٍ أمُّ عبد الله بنت أبي البَخْتريّ بن هاشم بن الحارث بن أسدِ بن عبد العُزّى، فغاب مدّةً وكتب إليها أن تَشخَص إليه، فلم تَفعلْ، فكتبَ إليها قولَه:

إذا مــــا أمُّ عبــــد اللَّــــ　　ــــهِ لــم تَحلُــل بــواديــه

/ وذكر البيتين فقط، فقال لها أخوها الأسودُ بن أبي البَخْتريّ، وهما لأبٍ وأمّ، أمُّهما عاتكة بنت أميّة بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزّى: قد بلغ الأمرُ هذا من ابن عَمّك. فاشخَصِ إليه[5].

٧٥/١٥

---

(١) هذه الكلمة من ط، مب، مط.

(٢) النساني هذا بكسر النون، لقب بذلك لأنه كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس، كما سبق في ترجمة إسماعيل بن يسّار.

(٣) البلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ وبين سوق المدينة.

(٤) الأبيات في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» ٧١.

(٥) كذا على الصواب في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «إليك».

صوت

أعينـــيَّ جُـــوَدا ولا تَجمُـــدا ألاَ تبكيـــانِ لصَخْـــرِ النَّـــدَى

ألا تبكيـــانِ الجـــرِيَّ الجميـــلَ ألا تبكيـــانِ الفتَـــى السيِّـــدا

الشعر للخنساء بنت عمرِو بن الشريد، ترثي أخاها صخراً، والغناء لإبراهيم الموصلي، ثقيلٌ أوّل مطلق في ١٣٦/١٣ مَجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لابن سُريح خفيفُ رملٍ بالوُسطى، عن عمرو، / والهشامي، وحَبَش.



/ نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية [١٥/٧٦]

نسب الخنساء:

هي الخنساء بنت عَمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِيَاح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيسِ بن عيلان بن مُضَر. واسمُها تماضر.

شعر دريد بن الصمة فيها:

والخنساء لقبٌ غَلَب عليها[١]، وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة، وكان خَطَبها فردّته، وكان رآها تَهْنأ بعيراً:

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبِي ... وقِفُوا فإنَّ وقوفَكم حسبِي

أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم ... وأصابه تَبْلٌ من الحُبِّ

ما إن رأيتُ ولا سمِعتُ به ... كاليومِ طالِيَ أينُقٍ جُربِ

متبذِّلاً تبدو محاسنُه ... يَضَعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمّد بن سلاّم: لمّا خطبها دُريدٌ بعثت خادماً لها[٢] وقالتْ: انظري إليه إذا بالَ، فإن كان بولُه يَخرِق الأرض ويخدُّ فيها ففيه بقيّة، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيّةَ فيه. فرجعَتْ إليها وأخبرَتْها، فقالت: لا بَقِيَة في هذا. فأرسلَتْ إليه: ما كنتُ لأدعَ بني عَمِّي وهمْ مثلُ عوالِي الرماح، وأتزوّجَ شيخاً! فقال:

وقاكِ اللّهُ يا ابنةَ آلِ عمرو ... مِن الفتيانِ أشباهي ونَفْسِي

وقالت إنّني شيخٌ كبيرٌ ... وما نبّأتُها أنّي ابنُ أمسِ

فلا تلِدِي ولا يَنكِحْكِ مثلي ... إذا ما ليلةٌ طَرَقتْ بِنَحْسِ

تريدُ شَرَنْبَثَ القدمينِ شَثْناً ... يُباشِر بالعَشِيّة كلَّ كِرسِ[٣]

/ فقالت الخنساء تُجيبه: [١٥/٧٧]

مَعاذَ اللّهِ ينكِحُني حَبَرْكَى ... يقال أبوه من جُشَمَ بنِ بكرِ[٤]

---

(١) ما عدا ط: «وقع عليها».

(٢) ما عدا ط، مب، مط: «خادمة لها».

(٣) شرنبث القدمين: غليظهما خشنهما. والشثن: الغليظ. الكرس كنى به عن بيت الخلاء، وأصل الكرس بالكسر: أبوال الإبل والغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار.

(٤) الحبركى: الطويل الظهر القصير الرجلين. والألف في «حبركى» للإلحاق فينون، وجعلها بعضهم للتأنيث فيمنع الصرف. ط، ها: «حبركا» بالتنوين. مب «حبرك» وهذه محرّفة.

ولــو أصبحــتُ فــي جُشَــم هَـدِيّـا إذاً أصبحـــتُ فـــي دَنَـــس وفقـــر[١]

وهذا الشعر[٢] ترثي به أخاها صخراً وقتله زيدُ بن ثَورِ الأسدي يوم ذي الأثْل.

مقتل أخيها صخر:

أخبرنا بالسببِ في ذلك محمدُ بن الحسن بن دُريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وأضفتُ إليه روايةَ الأثرم عن أبي عبيدة قال:

غزا صَخْر بن عمرو، وأنَس بن عَبّاسِ الرِّعْليّ في بني سليم، بني أسد بن خزيمة[٣]، ـ قال أبو عبيدة: وزعم السُّلَمي أنّ هذا اليوم يقال له يوم الكُلاب ويومَ ذي الأثْل ـ في بني عوفٍ وبني خُفاف، وكانا متسانِدَين، وعلى بني خُفَافٍ صخرُ بن عمروٍ الشَّريديّ، وعلى بني عوفٍ أنسُ بن عبّاس. قال: فأصابوا في بني أسدِ بن خزيمة غنائمَ وَسبْياً، وأخذ صخرٌ يومئذٍ بُدَيلَة امرأةً[٤]. قال: وأصابت صخراً يومئذ طعنةٌ، طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثَور، ويكنى أبا ثور، فأدخل جوفَه حَلَقاً من الدِّرع فاندملَ عليه حتّى شُقَّ عنه بعد سنين، وكان سببَ موته.

١٣٧/١٣ [٧٨/١٥] قال أبو عبيدة: وقال غيره: بل وردَ هو وبلعاءُ بن قيسٍ الكناني. قال:/ وكانا أجملَ رجلين في العرب. قال: فشربا عند يهوديٍّ خمارٍ كان بالمدينة. قال: / فحسدَهما لِمَا رأى من جمالهما وهيأتهما، وقال: إنّي لأحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين! فسقاهما شَربةً جَوِيَا منها[٥]. قال: فمرَّ بصخرٍ طبيبٌ بعد ما طال مرضُه، فأراه ما به، فقال: أشُقُّ عنك[٦] فتُفيق. قال: فعمَد إلى شِفارٍ فجعل يَحميها ثم يشقُّ بها[٧] عنه، فلم ينشَبْ أن مات.

قال أبو عبيدة: وأمّا أبو بلال بن سهم فإنّه قال: اكتسح صخرٌ أموالَ بني أسدٍ وسَبَى نساءهم، فأتاهم الصَّريخُ فتبِعوه فتلاحَقُوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فطعن ربيعةُ بن ثورٍ الأسديُّ صخراً في جَنْبه، وفات القومَ فلم يُقْعَص[٨] وجَوِي منها، ومرِض قريباً من حولٍ، حتّى ملّه أهله. قال: فسمع صخرٌ امرأةً وهي تسأل سَلمى امرأةَ صخر: كيف بَعْلُك؟ فقالت سلمى: لا حيٌّ فيُرجَى، ولا مَيْت فيُنعَى، لقِينا منه الأمرَّين!

قال: وزعم آخر أنّ التي قالت هذه المقالةَ بُديلةُ الأسديّة التي كان سباها من بني أسد فاتَّخذَها لنفسه. فأنشدَ هذا البيت:

ألا تلكُـمُ عِـرسـي بُـدَيلـةُ أوجَسَـتْ فِـراقـي ومَلَّـت مَضجَعـي ومكـانـي[٩]

وأمّا أبو بلال بن سهم فزَعم أنّ صخراً حين سمع مقالةَ سَلْمَى امرأته قال:

(١) الهدي: العروس تهدى إلى بعلها.

(٢) يعني بذلك صوت الأغاني الذي سبق ترجمة الخنساء.

(٣) كذا على الصواب في ط، مب، مط. وفيما سواها: «بن أسد بن خزيمة».

(٤) هذا الأوفق من ط، مب، مط، حـ. أي امرأة له. وفيما سواها: «امرأته».

(٥) الجوي، السل وتطاول المرض، أو داء يأخذ في الصدر.

(٦) ط، حـ، مب، مط: «أسر عنك».

(٧) ط، حـ: «ثم يسر بها». مب، مط: «يشربها».

(٨) قعصه وأقعصه: ضربه أو رماه فمات مكانه.

(٩) ما عدا ط، مب، مط: «أوحشت» تحريف.

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي ... ومَلَّتْ سُليمَى مَضجعِي ومَكانِي

وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازةً ... عليكِ ومَن يغترُّ بالحَدَثانِ[١]

[١٥/٧٩] / أهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه ... وقد حِيلَ بين العَيرِ والنَّزَوانِ

لعَمري لقد نبَّهتِ مَن كان نائماً ... وأسمعتِ مَن كانت له أذنانِ

وَللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنَّها ... مَحَلَّةُ يعسوبٍ برأسِ سنانِ[٢]

وأيُّ امرىءٍ ساوَى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاشَ إلاّ في شَقًا وهَوان

فلما طال عليه البلاءُ وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْدِ[٣] في جنبه في موضع الطَّعنة، قالوا له: لو قطعتَها لرَجونا أن تبرأ. فقال: شأنكم. فأشفقَ عليه بعضُهم فنهاهم، فأبى وقال: الموتُ أهوَنُ عليَّ مما أنا فيه! فأحْمَوا له شَفرةً ثم قطعوها فيَئِسَ[٤] من نفسه.

من شعر صخر في الصبر:

قال: وسمع صخرٌ أختَه الخنساءَ تقول: كيف كان صبرُه؟ فقال صخرٌ في ذلك:

أجارَتَنا إنّ الخطوبَ تنُوب ... على النّاس، كلَّ المخطئين تُصِيبُ

فإن تسألِيني هَلْ صبرتَ فإنَّني ... صَبورٌ على رَيبِ الزمانِ صَليبُ

كأنِّي وقد أدنَوْا إليَّ شِفارَهم ... من الصَّبرِ دامي الصَّفْحتينِ رَكوبُ

أجارَتَنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ... ولكنْ مقيمٌ ما أقام عسيبُ

قبر صخر:

عن أبي عبيدة: عَسِيبٌ: جبلٌ بأرض بني سُليم إلى جنب المدينة، فقبرُه هناك مَعْلَم.

وقال أبو عبيدة: فمات فدُفِن هناك، فقبره قريبٌ من عَسيب.

[١٥/٨٠] / **رثاء الخنساء لصخر:**

فقالت الخنساء ترثيه:

ألا ما لعينِكَ أم ما لهَا ... لقد أخضَلَ الدَّمعُ سِرْبالَهَا

ابعدَ ابنِ عمروٍ مَن آل الشريـ ... ـدِ حَلَّتْ به الأرض أثقالَهَا

فإن تَكُ مُرَّةُ أودَتْ به ... فقد كان يُكثِر تَقتالَها

---

(١) في «اللسان»: «وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به فهو جنازة عليهم». وأنشد هذا البيت.

(٢) أنشده في «اللسان» (عسب) وقال: «معناه أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان. يعني أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت».
قلت: وهذا إبعاد في التفسير. إنما اليعسوب: ذكر النحل، وموضعه من رأس السنان إذا وقف عليه ليس بشيء، فكذا الدنيا في هوانها عندما ينظر إليها.

(٣) كذا في ط، جـ، مب، مط. وفي سائر النسخ: «مثل الكبد».

(٤) هذه الكلمة من ط، مب، مط.

١٣٨/١٣

/ سأحملُ نفسي على خُطّةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها
فإنْ تصبر النّفسُ تلقَ السُّرورَ ... وإنْ تجزع النفسُ أشقَى لها

غنّى فيه ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصِر.

قال السُّلمي: ليست هذه في صخر، هذه إنّما رثت بها معاويةَ أخاها، وبنو مُرّة قتلتْه. ولكنها قالت في صخر:

قَذًى بعينكَ أم بالعَين عُوَّارُ ... أم أقفرَتْ إذْ خلَتْ من أهلها الدارُ[1]
تبكي لصخرٍ، هي العَبْرَى وقد ثَكِلَتْ[2] ... ودونَه من جَديد التّرب أستارُ
لا بدَّ من مِيتةٍ في صرفها غِيَرٌ ... والدّهرُ في صَرفه حَولٌ وأطوارُ
يا صخرُ وَرّادَ ماءٍ قد تناذَرَه ... أهلُ الموارد ما في وِرده عارُ[3]
مَشْيَ السبنتَى إلى هيجاءَ مُعضِلةٍ ... له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[4]
فما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ به ... لها حنينانِ إصغارٌ وإكْبارُ[5]
ترتَعُ ما رتَعت حتّى إذا ادَّكرتْ ... فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ
/ لا تَسمَنُ الدّهرَ في أرضٍ وإنْ رتَعتْ ... فإنّما هي تَحنانٌ وتَسجار[6]
يوماً بأوجَدَ منّي يومَ فارقَني ... صخرٌ وللدّهرِ إحلاءٌ وإمرار[7]
فإنّ صخراً لَوالينا وسيّدُنا ... وإنّ صخراً إذا نَشْتُو لنحّار
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به ... كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارُ

[٨١/١٥]

- غنّى في هذين البيتين الأولين ابنُ سُريج، من رواية يونس -:

لم تَرَاهُ جارة يمشي بساحَتها ... لِريبةٍ حِين يُخلِي بيتَه الجارُ[8]
ولا تراه وما في البيت يأكلُه ... لكنّه بارزٌ بالصَّحن مِهمارُ[9]
مثلُ الرُّدَينيّ لم تنفَدْ شبيبتُه ... كأنّه تحتَ طَيِّ البُرد أُسوارُ

---

(١) ط: «أم خلت». مط: «أم ذرفت».
(٢) ما عدا ط، جـ، مب، مط: «وقد ذرفت».
(٣) ط، جـ، مط: «وارد ماء».
(٤) السبنتي: النمر.
(٥) الإصغار: حنينها إذا خفضته. وإكبارها: حنينها إذا رفعته.
(٦) التسجار: تفعال من سجرت الناقة: مدت حنينها.
(٧) ما عدا ط، مب، مط: «ولله إحلاء».
(٨) لم تراه، على الأصل، وفي ط، جـ، منب: «لم تره» على التخفيف. ونظير الأول قول سراقة البارقي في «اللسان» (رأى):
أرى عينيَّ ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهات
(٩) مهمار: مبالغة من الهمر، وهو انصباب المطر، كناية عن كثرة جوده. والذي في «المعاجم» أن المهمار: الكثير الكلام.

فـي جـوفِ رمسٍ مُقيم قـد تضمَّنَه ... فـي رمسِـهِ مُقْمَطِـرّاتٌ وأحجـار

طَلْـق اليـديـن بِفعـلِ الخيـر[1] ذو فَجَـرٍ ... ضَخْـم الـدَّسيعـة بـالخيـرات أمّـار

ورُفقـةٍ حـارَ هـاديهـم بمهلكـةٍ ... كـأنَّ ظلمتَهـا فـي الطَّخيـةِ القـار[2]

عروضه ثان من البسيط.

/ العُوّار والعائر: وجَع، وهو مثل الرمد. وذَرفَتْ: قطرت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سَيلاً. والعَبْرَى، [١٥/٨٢] يقال امرأة عَبْرَى وعابرٌ. والعَبرة[3]: سُخنة العين[4]. والولَه[5]: ما يصيب الرجلَ والمرأةَ من شدّة الجزَع على الولد. حَوْل وأطوار، أي تحوُّلٌ وتقلُّب وتصرُّف. قد تناذَرَه، أي أنذر بعضُهم بعضاً هَوْلَه وصعوبته. ويروى: «تبادره» وقولها «ما في وِرده عار» أرادت ما في ترك وِرده عار، أي لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عجز عنه من صعوبةِ وِرده[6]. العَجُول: الثَّكول. والبَوُّ: أن يُنحَر ولدُ الناقة ويؤخذَ جلدُه فيُحشَى ويُدنَى من أمِّه فترأمَه. إحلاءٌ وإمرار، يقال: ما أحلَى ولا أمَرَّ. أي ما أتى بحلوةٍ ولا مُرّةٍ[7]. والمعنى أنّ الدهر يأتي بالمشقّـة والمحبة[8]. «كأنه علَمٌ في رأسه نار» أي إنّه مشهور. والعَلَم: الجبل، وجمعه أعلام. «كأنه تحتَ طيِّ البُرد أسوار»، أي من لطافة بَطنه وَهَيَفِه شبيه[9] أُسوارٍ من ذهب. والرديني: الرمح منسوب / إلى رُدَينة: امرأةٍ كانت تقوِّم الرماح. أي هو معصوب البَدن ليس ١٣٩ ١٣ بمهبَّج[10] منحَلٌ. وهذا كلُّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء. وقال / أبو عمرو: مُقْمِطرّات: صخورٌ عظام. [١٥/٨٣] والأحجار صغار[11]. ذو فَجَرٍ: يتفجر بالمعروف. والدَّسيعة: العطاء. الطخية، من الطخّاء، وهو الغيم الرقيق الذي يُواري النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادي[12].

مرثية أخرى في صخر:

وقالت الخنساء أيضاً ترثي صخراً:

بكـت عينـي وعـاودَهـا قَـذاهـا ... بعُـوّارٍ فمـا تَقضِـي كَـراهـا

علـى صخـرٍ وأيُّ فتـىً كصخـرٍ ... إذاً مـا النـابُ لـم تَـرأَمْ طَـلاهـا[13]

---

(١) ما عدا ط، مب، مط: «الفعل الخير».

(٢) ما عدا ط، جـ، مب، مط: «في رفقة». وفيما عدا ط، مب، مط: «حاديهم».

(٣) في «اللسان»: «العبر» بالتحريك. وفي «القاموس»: «العبر بالضم: سخنة العين، ويحرك».

(٤) يقال سخنت عينه سخنة وسخوناً، وهو نقيض قرت.

(٥) كلمة «الوله» لم ترد في النص، وإنما هي تفسير لرواية أخرى في البيت الثاني من هذه المقطوعة لم يذكره أبو الفرج. وهي:

* تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت *

(٦) كذا في ط، مب، مط. وفي جـ: «إن عجز عنه ورده»، وهذه محرّفة. وفي سائر النسخ: «إن عجز عن ورده».

(٧) كذا في ط، مب، مط. وفي جـ: «بحلوه ولا مره» وفي سائر النسخ: «بحلو ولا مر».

(٨) ما عدا ط، جـ، مب، مط: «والمحنة».

(٩) بدلها ط، جـ، مب، مط: «غيره».

(١٠) المهبج: المنتفخ المتورم. ما عدا ط: «بمهبج» محرّفة.

(١١) ما عدا ط، جـ، ما، مب: «وأحجار صغار» تحريف.

(١٢) ط، جـ، ما، مب: «أي وارى النجوم فتحير الهادي».

(١٣) الناب: الناقة المسنة.

ـ الطلا: الولد، أي لم تعطف عليه من الجدب ـ

فتَى الفتيانِ ما بلغوا مَداها ... ولا يُكدِي إذا بلغت كُداها[١]

لئن جزِعت بنو عمروٍ عليه ... لقد رُزِئت بنو عمروٍ فتاها

ـ غنى في هذه الأبيات ابنُ جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر حبشٌ أنّ له أيضاً فيه خفيف رمل بالبنصر ـ

ترى الشم الجَحاجحَ من سُليم ... وقد بَلّتْ مدامعُها لِحاها

ـ إذاً وصِف السيد بالشمم فإنه لا يدنو لدناءة، ولا يضع لها أنفَه ـ

وخَيلٍ قد كففتُ بجَوْل خيلٍ ... فدارت بين كبشَيها رحاها[٢]

[١٥/ ٨٤] / ـ وجَول خيلٍ: جَوَلان. ويقال: قطعةُ خيلٍ تجول، أي تذهب وتجيء ـ

ترفّع فَضلَ سابغةٍ دِلاصٍ ... على خَيفانةٍ خِفقٍ حَشاها[٣]

وتسعى حينَ تشتجرُ العوالي ... بكأسِ الموت ساعةَ مُصطلاها

محافَظَة ومَحمِيَةً إذا ما ... نبَا بالقوم من جَزعٍ لَظاها[٤]

فتتركُها قد اشتجرتْ بطعنٍ ... تضمَّنُه، إذا اختلفت، كُلاها

[هُنالك لو نزلتَ بآل صخرٍ ... قِرَى الأضيافَ سُخناً من ذُراها[٥]

فمن للضَّيف إن هبّت شَمالٌ ... مُزعزِعةٌ يجاوِبُها صَداها

وألجأ بردُها الأشوالَ حُدْباً ... إلى الحَجَرات بارزةً كُلاها][٦]

أطعِمَكم وحاملَكم تَركتم ... لدى غَبراءَ منهدمٍ رَجاها

ليَبكِ عليك قومُك للمعالي ... وللهيجاءِ إنّك ما فتاها[٧]

وقد فَوّزْتَ طَلّعةَ فاستراحتْ ... فليت الخيلَ فارسُها يَراها[٨]

---

(١) أي إذا بلغت الفتيان كداها. والكدى: جمع كدية، وهي الأرض الصلبة، يقال حفر فأكدى إذا بلغ الصخر. وأنشد هذا البيت في «اللسان» (كذا) وقال: «أي لا يقطع عطاءه ولا يمسك عنه إذا قطع غيره وأمسك».

(٢) الكبش: الرئيس، والسيد، والقائد.

(٣) الخيفانة، الفرس الخفيفة السريعة، شبهت بالخيفانة من الجراد، وهي التي تصير فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة.

(٤) المحمية: الحمية والغضب والأنفة.

(٥) هذا البيت وتالياه من ط، ها، مب. ذراها، أي ذرى النوق وأسمنتها.

(٦) الأشوال: جمع شول، والشول: جمع غير قياسي للشائلة، وهي الناقة التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن، أي بقية مقدار ما كانت تحلب حدثان نتاجها. حدباً: مقوسات من الهزال.

(٧) ما في «ما فتاها» زائدة.

(٨) فوّزت طلعة، أي أهلكتها حزناً عليك. اسم فرسه، ولم أجد لها ذكراً فيما لدي من مراجع الخيل من كتبها والمعاجم. وفي حـ: «طلحة» وهي كسابقتها. وفيما عداهما: «وقد وردت طليحة».

[١٥/٨٥] / وقال خُفَاف بن عُمير يرثي صخراً ومعاوية ابنَيْ عمرو، ورجالاً منهم أصيبوا:

تطاول همُّه بِبِراقِ سُعرِ ... لذِكراهم وأيُّ أوانِ ذِكرِ[١]

كأنَّ النارَ تُخرِجها ثيابي ... وتدخلُ بعد نومِ الناسِ صدرِي

لَباتت تضربُ الأمثالَ عندي ... على نابٍ شَرِبتُ بها وبَكْرِ[٢]

وتَنسى من أُفارقُ غيرَ قالٍ ... وأصبر عنهمُ منْ آل عمرو

وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خِرقٍ ... رُزِئتُ مبرَّأً بِقصاصِ وِترِ[٣]

أخِي ثقة إذا الضَّرَّاءُ نابت ... وأهلِ حِباء أضيافٍ ونحرِ

كصخرٍ للسَّرِيَّة غادروه ... بذِروة أو معاويةَ بن عمرو[٤]

ومَيْتٍ بالجَناب أثَلَّ عرشي ... كصخرٍ أو كعمروٍ أو كبشرِ

١٤٠ / ١٣ / وآخرَ بالنواصِف من هدامِ ... فقد أودَى وربُّ أبيك صَبري[٥]

فلم أر مثلَهم حَيًّا لَقَاحاً ... أقاموا بين قاصيةٍ وحَجْرِ[٦]

أشدَّ على صُروف الدهر إدًّا ... وآمَرَ منهم فيها بصَبرِ

وأكرَم، حين ضَنَّ الناسُ، خِيماً ... وأحمدَ شِيمةً وَنشَيلَ قِدْرِ[٧]

[١٥/٨٦] / إذاً الحسناء[٨] لم ترحَضْ يدَيها ... ولم يُقصَر لها بَصَرٌ بسترِ

فَرَوْا أضيافَهم رُبَحاً بِبُحٍّ ... تجيءُ بعبقريِّ الوَدقِ سمْرِ[٩]

رماح مثقَّفٍ حَملتْ نِصالا ... يَلُحْنَ كأنهنَّ نجومُ فجرِ[١٠]

---

(١) سعر، قال ياقوت: «بالكسر والراء: جبل في شعر خفاف بن ندبة. وقد ضبطت في أصلها وهو ط، مب: «سعر» بضم السين. وفيما عداها: «سفر» محرّف.

(٢) شربت بها، أي بعتها وشربت بثمنها. قال:

تبكي على بكر شربت به ... سفهاً تبكيها على بكر

(٣) أي أتدرين أنه ربّ خرق. والخرق، بالكسر: الفتى الكريم المتخرق في الكرم، أي المتسع فيه. ما عدا ط، حـ، ها، مب: «حذق رزأت».

(٤) السرية: قطعة من الجيش. ما عدا ط، ها، مب: «للشربة». والشربة وذروة: موضعان.

(٥) التواصف: موضع ورد في شعر طرفة. وأما هدام، فلم أجده. أودى، هي في ط، مب: «إحدى» وفي حـ: «أحذى» وفي سائر النسخ: «أخذوا».

(٦) حي لقاح، بفتح اللام: لم يدينوا للملوك ولم يصبهم في الجاهلية سباء.

(٧) الخيم، بالكسر: الطبع. والنشيل: ما ينشل من لحم القدر.

(٨) في جميع الأصول: «الخنساء» صوابه في مب و«اللسان».

(٩) الربح، بالتحريك: الشحم، أو الفصيل. والبح: قداح الميسر، وإنما سميت بحاً لرزانتها. ها: «ربحاً ينبج» ما عدا ط، حـ، مب: «ربحاً بسح» محرّف. وعجز هذا البيت في «اللسان» والمقاييس (بحح):

* يعيش بفضلهن الحي سمر *

(١٠) فيما عدا ط، حـ، مب: «جنت نصالاً» محرّف.

جَلاهـا الصَّيقَلون فأخلصُوها ... مواضِيَ كلُّها يَفْري بِبَتْر(١)

هُمُ الأيسارُ إن قحطَت جُمادَى ... بكلِّ صَبيرِ ساريةٍ وقَطْر(٢)

يَصُدُّون المغيرةَ عن هَواها ... بطعنٍ يَفلِقُ الهاماتِ شَزْرِ(٣)

تعلَّمْ أنّ خيرَ الناسِ طُرًّا ... لولدانٍ - غداةَ الريحِ - غُبْر(٤)

وأرملةٍ ومُعترٍّ مُسِيفٍ ... عديمِ المال، عجِزةُ أمِّ صخر(٥)

مرثية أخرى فيه:

ومما رثت به الخنساء صخراً وغُنِّيَ فيه:

صوت

أعَينَيَّ جُودا ولا تَجْمُدا ... ألا تبكيانِ لصخرِ الندَى

ألا تَبكيانِ الجريءَ الجميلَ ... ألا تبكيان الفتى السيِّدا

/ طويلَ النِّجادِ رفيعَ العِما ... دِ سادَ عشيرتَهُ أمْرَدا

إذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ ... إلى المجد مَدَّ إليه يدا

فنال الذي فوقَ أيديهمُ ... من المجدِ ثمّ مضى مُصْعِدا

يحمِّلُه القومُ ما عالَهمْ ... وإن كان أصغرَهم مَوْلِدا

ترى المجدَ يهوِي إلى بيته ... يرى أفضلَ المجدِ أن يُحمَدا

وإن ذُكرَ المجدُ ألفيتَه ... تأزَّرَ بالمجد ثمّ ارتدَى

[٨٧/١٥]

خبر مقتل معاوية أخي الخنساء:

ونذكر الآن ها هنا خبرَ مقتل معاوية بن عمرو أخيهما، إذْ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضُها إلى بعض.

قال أبو عبيدة: حدّثني أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قال:

غزا معاوية بن عمرو أخو خنساء، بني مرة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة، ومع خُفَاف بن عمير بن الحارث، وأمه «نُدبة» سوداء، وإليها ينسب، فاعتوَره هاشمٌ ودريد ابنا حَرملة المرّيَّان. قال ابن الكلبيّ: وحرملة هو حرملة بن

---

(١) ويروى:

* خفافاً كلها يتقي بأثر *

(٢) الأيسار: جمع يسر، بالتحريك، وهم الذين يقتسمون بالميسر.

(٣) المغيرة: يعني الخيل والفرسان المغيرة. والطعن الشزر: ما كان عن يمين وشمال.

(٤) غداة الريح: أي حين تهب رياح الشتاء. ما عدا ط، حـ، ها، مب: «بنو عمرو غداة الريح تجري» محرّف.

(٥) المعتر: المعترض للمعروف. غير أن يسأل. والمسيف: الفقير المعدم. عجزة أم عمرو، أي آخر ولد ولد لها، وهو بكسر العين وعجزة خبر «أن» في البيت قبله.

الأسعر بن إياسِ بن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان. قال أبو عبيدة: فاستطردَ له أحدُهما ثم وقف، وشدَّ عليه الآخرُ فقتلَه، فلما تنادَوْا: قُتِلَ معاوية! قال خُفاف: قتلني الله إنْ رِمتُ حتى أثأرَ به! فشدَّ على مالك بن حِمارِ الشمخي، وكان سيِّد بني شَمْخ بن فزارة، فقتله ـ [قال: وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فزارة][1] ـ فقال خفاف في ذلك:

/ فإنْ تكُ خيلي قد أُصيبَ صميمُها فعَمْداً على عَينٍ تيممتُ مالكا

١٤١
١٣

/ يعني مالك بن حمار الشَّمْخي.

[٨٨/١٥]

قال أبو عبيدة: فأجمل أبو بِلالٍ الحديث.

قال: وأما غيره فذكر أنّ معاوية وافَى عكاظَ في موسم من مواسم العرب، فبينا هو يمشي بسُوق عُكاظ، إذ لقي أسماءَ المرّيّة، وكانت جَميلةً، وزعم أنّها كانت بغيًّا، فدعاها إلى نفسه فامتنعَتْ عليه وقالت: أمَا علمتَ أنّي عند سيِّد العرب هاشم بن حَرمَلة؟! فقال: أمَا والله لأقارعنَّه عَنْكِ. قالت: شأنَكَ وشأنَه. فرجعَتْ إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له، فقال هاشم: فلعَمري لا يَريم أبياتَنا حتَّى ننظر ما يكون من جَهده. قال: فلما خرجَ الشهرُ الحرام وتراجَعَ الناس عن عكاظ، خرج معاويةُ بن عمروٍ غازياً يريد بني مُرّة وبني فزارة، في فرسانِ أصحابِه من بني سُليم، حتى إذا كان بمكانٍ يُدعَى الحَوْزة أو الجَوزة ـ والشك من أبي عبيدة ـ دَوَّمَتْ[2] عليه طيرٌ وسنَح له ظبيٌ، فتطيَّر منهما ورجَع في أصحابه، وبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة فقال: ما مَنَعه من الإقدام إلّا الجُبن! قال: فلما كانت السنة[3] المقبلة غزاهم، حتّى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطيَّر فرجع، ومضى أصحابُه وتخلّف في تسعةَ عشر فارساً منهم لا يُريدون قِتالاً، [إنما تخلّفَ عن عُظْم الجيش راجعاً إلى بلادِه][4]، فوردوا ماء وإذا عليه بيتُ شَعر، فصاحوا بأهله فخرجَتْ إليهم امرأةٌ فقالوا: [ما أنتِ][4] ممن أنتِ؟ قالت: امرأةٌ من جُهينة، أحلاف لبني سهم بن مُرة بن غطفان. فوردوا الماءَ يَسقُون، فانسلَّتْ فأتت هاشمَ بن حَرملة، فأخبرتْه أنَّهم غير بعيد، وعَرَّفته عِدَّتَهم وقالت: لا أرى إلّا معاوية في القوم. فقال: يا لَكَاعِ، أمعاويةَ في تسعةَ عشر / رجلاً، شبَّهتِ أو أبطَلْتِ. قالت: بل قلتُ الحقَّ، ولئن شئتَ لأَصِفنَّهُم لكَ رجلاً رجلا. قال: هاتي.

[٨٩/١٥]

قالت: رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمَّة، جبهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغفره، صبيحَ الوجه، عظيمَ البطنِ، على فرسٍ غَرّاء. قال: نعم هذه صفتُه. يعني معاويةَ وفرسَه الشَّمَّاء.

قالت: ورأيتُ رجلاً شديد الأُدْمة شاعراً يُنشِدهم. قال: ذلِكَ خُفاف بن عمير.

قالت: ورأيتُ رجلاً ليس يبرح وَسْطَهم، إذا نادَوْه رفَعوا أصواتهم. قال: ذاكِ عباسٌ الأصمّ.

قالت: ورأيتُ رجلاً طويلاً يكنّونه أبا حبيب، ورأيتُهم أشدَّ شيءٍ له توقيراً. قال: ذاكِ نُبَيشة بن حبيب.

قالت: ورأيت شابًّا جميلاً له وَفرةٌ حسَنة. قال: ذاكِ العباس بن مِرداس السُّلَميّ.

---

(١) التكملة من ط، ها فقط.

(٢) التدويم: التحليق. ط، مب: «رزمت» جـ: «ورمت» الأخيرة محرّفة.

(٣) ط، ها: «فلما كان في السنة».

(٤) التكملة من ط، جـ، ها، مب.

قالت: ورأيتُ شيخاً له ضَفِيرتان، فسمعته يقولُ لمعاوية: بأبي أنتَ أطلتَ الوقوف! قال: ذاكِ عبد العُزَّى زوج الخنساءِ أختِ معاوية.

قال: فنادى هاشمٌ في قومه وخرج، وزعم المريُّ[1] أنه لم يخرج إليهم إلا في مثل عِدّتهم من بني مرّة. قال: فلم يشعر السُّلميون حتّى طلعوا عليهم، فثاروا إليهم فلقُوهم فقال لهم خُفاف: لا تنازلوهمْ رجلاً رجلا؛ فإنَّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح، وخيلكم قد أَمَنَّهَا الغزوُ وأصابها الحَفَا[2].

[١٥/٩٠] / قال: فاقتتلوا ساعةً وانفرد هاشم ودريدٌ ابنا حرملة المريان لمعاوية، فاستطرد له أحدُهما فشدَّ عليه معاويةُ وشَغَله، واغترّهُ الآخرُ فطعنه فقتَله. واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيهما قتله، وكانت باللذي استطرد له طعنةٌ طعنَهُ إياها معاوية. ويقال: هو هاشم. وقال آخرون: بل دريد أخو هاشم.

شعر خفاف في ذلك:

١٤٢/١٣ قال: وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث/بن الشريد[3] على مالك بن حمّار سيّدِ بني شَمْخ بن فَزارة فقتله. وقال خفاف في ذلك وهو ابن نُدبة، وهي أَمَةٌ سوداءُ كانت سباها الحارث، بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب [فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافاً[4]. ويقال في نُدبة إنّها ابنة الشيطان بن بنان، من بني الحارث بن كعب. فقال]:

أقــولُ لــه والــرمــحُ يــأطِــرُ مَتْنَــهُ ... تــأمّــلْ خُفــافــاً إنّنــي أنــا ذلكــا[5]

وقفــتُ لــه جَلْــوَى وقــد خــامَ صُحبتــي ... لأبنــيَ مجــداً أو لأثــأر هــالكــا[6]

لَــدُن ذرّ قــرنُ الشّمــس حيــن رأيتُهــم ... ســراعــاً علــى خيــلٍ تــؤمُّ المســالكــا

فلمّــا رأيــتُ القــوم لا وُدَّ بينهــمْ ... شَــرِيجَيــنِ شتّــى طــالبــاً ومُــواشِكــا[7]

[١٥/٩١] / تيممــتُ كبــشَ القــومِ حتّــى عــرفتُــه ... وجــانَبْــتُ شُبّــان الــرجــالِ الصعــالِكــا

فجــادت لــه يُمنــى يَــدَيَّ بطعنــةٍ ... كسَــتْ متنَــهُ مــن أســودِ اللــون حــالكــا

أنــا الفــارسُ الحــامــي الحقيقــةِ والــذي ... بــه أُدرِكُ الأبطــال قِــدمــاً كــذلكــا

فــإنْ يَنــجُ منهــا هــاشــمٌ فبطعنــةٍ ... كَسَتْــه نجيعــاً مــن دم الجــوفِ صــائكــا

---

(١) ما عدا ط، جـ، ها، مت: «وزعم أن المري».

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط، جـ. وأمنها إمناناً: أضعفها وأعياها. وهذه رواية ط، جـ، مب، وفي ها: «منها» ومعناه كالسابق. وفي سائر النسخ: «قد أنهكها».

(٣) بعد هذا في ط، جـ، ها، مب: «وهو ابن ندبة وهي أمة سوداء كان سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا، فشد خفاف». وقد ورد صدر هذه العبارة إلى كلمة «كعب» في سائر النسخ في الموضع التالي، فأثبتها هناك، وجعلت بقيتها تكملة هناك.

(٤) التكملة إلى هنا من بقية العبارة التي وردت متقدمة في ط، جـ، ط، ها، مب. وما بعدها جاء في أصله، وهو ط، جـ، ها مباشراً لكلمة «بني الحارث بن كعب».

(٥) يأطره: يعطفه ويثنيه. وفعله من باب نصر وضرب.

(٦) جلوى: اسم فرسه. هذا ما في ها. وفي سائر النسخ: «علوى». خام: جبن. ط، جـ: «نام».

(٧) شريجان: ضربان. المواشك: السريع.

فحقّقَ خفافٌ في شعره أنّ الذي طعن معاويةَ هو هاشمُ بن حرملة.

رثاء الخنساء لأخيها معاوية:

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية:

ألا لاَ أرى في الناس مثلَ معاوية ... إذا طَرقَتْ إحدى الليالي بداهية
بداهيةٍ يُصغِي الكلابَ حسيسُها ... وتُخرِج من سِرِّ النجيِّ عَلانيه[1]
ألا لا أرى كفارِس الوَرْد فارساً ... إذا ما علَتْهُ جُرْأةٌ وغَلابيَه[2]
وكان لِزازَ الحربِ عند شُبوبها ... إذا شَمَّرت عن ساقها وهي ذاكية[3]
وقَوّادَ خيلٍ نحوَ أخرى كأنّها ... سَعالٍ وعِقبانٌ عليها زَبانيه[4]
بلينا وما تبلَى تِعَارُ وما تُرى ... على حدث الأيام إلا كما هيه[5]
فأقسمْتُ لا ينفكُّ دمعي وعَولتي ... عليكَ بحزن ما دعا الله داعيَه

/ **مرثية أخرى لها في معاوية:**

[٩٢/١٥]

وقالت الخنساء في كلمة أخرى ترثيه أيضاً:

إلاَ ما لعينيكِ أمْ مالهَا ... لقد أخضَلَ الدمعُ سربالهَا
أبعدَ ابنِ عمرٍو مَن آل الشريـ ... ـدِ حَلَّت به الأرضُ أثقالها
وأقسمتُ آسَى على هالكٍ ... وأسألُ نائحةً مالهَا
سأحملُ نفسي على آلةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها
نُهِينُ النفوسُ وهُونُ النُّفو ... سِ يومَ الكريهة أبقَى لها
ورجراجةٍ فوقَها بيضُها ... عليها المضاعَفُ زِفْنا لها[6]
ككِرفئةِ الغَيثِ ذات الصَّبيـ ... ـرِ تَرمي السحابَ ويَرمي لها
وقافيةٍ مثل حدِّ السِّنا ... ن تبقَى ويَهلِكُ مَن قالها
نطقتَ ابن عَمرو فسهَّلتهَا ... ولم يَنطِق الناسُ أمثالَها
فإن تكُ مُرّةُ أودَتْ به ... فقد كان يُكثر تَقتالها

---

(١) يصغيها: يجعلها تميل رأسها وأذنها للتسمع. وفي أمثالهم: «شر أهر ذا ناب». وللكلاب حس صادق بالعدو، تنذر قومها إذا شعرت به. والحسيس والحس: الحركة.

(٢) الورد: فرسه. ما عدا ط، جـ، ها: «كالفارس الورد». الغلابية: القهر والغلبة. وفي الأصول ما عدا «ها» علانية.

(٣) لزاز الحرب، أي ملازم لها موكل بها.

(٤) سعال: جمع سعلاة، وهي الغول.

(٥) تعار، بالكسر: جبل في بلاد قيس. وأنثها على أنها جبال.

(٦) الرجراجة: الكتيبة تضطرب في سيرها لكثرتها. المضاعف، أي الحديد المضاعف من نسج الدروع ونحوها. زاف يزيف: أسرع.

فَزالَ الكواكبُ مِن فَقْدِهِ وجُلِّلتِ الشمسُ أجلالَها

[١٤٣/١٣] / وداهيةٍ جَرَّها جارمٌ تُبِيلُ الحَواصنَ أحبالَهَا[1]

كفاها ابنُ عمروٍ ولم يَستعِنْ ولو كان غيرُك أدنى لها

وليس بأولى ولكنَّه سيَكفي العشيرةَ ما عالَها[2]

[١٥/٩٣] / بمعتَرَكٍ ضَيِّق بينَه تجُرُّ المنيةُ أذيالَهَا

وبيضٍ مَنعتَ غداةَ الصَّبا حِ تكشف للرَّوع أذيالَها[3]

ومُعَملةٍ سقتَها قاعداً فأعلمت بالسيف أغفالَهَا[4]

وناجيةٍ كأتَانِ الثَّميـ ـلِ غادرت بالخَلِّ أوصالَها[5]

[إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقةٍ وذلك ما كان إعمالَهَا][6]

وتمنح خيلَك أرضَ العدوِّ وتَنبِذُ بالغَزْوِ أطفالَهَا

ونَوحٍ بعثتَ كمثل الإرا خِ آنسَتِ العِينُ أسبالَها[7]

تفسير هذه المرثية:

التفسير، عن أبي عبيدة:

قوله حلّت به الأرض، قال بعضهم: حلت من الحلية أي زيَّنت به الأرضُ موتاها، حين دفن بها. وقال بعضهم: حَلّت من حللت الشيء. والمعنى ألقت مَراسِيهَا، كأنه كان ثِقْلاً عليها. قال: اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر، كما قال جرير:

ألستم خيرَ مَن ركِب المطايا وأندَى العالَمِين بطونَ راحِ

[١٥/٩٤] / قال: جوابُ «أبْعَد» في «آسى» أي أبعد ابنِ عمرو آسى وأسأل نائحةً مالها.

---

(١) الحواصن من النساء: الحبالى. وبعجز هذا البيت استشهد في «اللسان» (حصن). والأحبال: جمع حبل، بالتحريك، وهو حمل المرأة. أراد أن تلك الدهية تفزع الحبالى فيسقطن الأجنة. ما عدا ط، جـ، مب: «تبين الحواصن أحمالها» لكن في ها: «تنيل الحواضن أحيالها» محرّف.

(٢) ط، جـ، ها، مب: «ما نالها» وفي سائر النسخ: «ما غالها» وتفسير أبي الفرج فيما سيأتي يقتضي أن تكون «ما عالها».

(٣) الصباح: الغارة صبحاً. ما عدا ط، جـ، ها، مب: «الصباح».

(٤) ط، جـ، ها، مب: «ومعلمة» والتفسير التالي يقتضي ما أثبت من سائر النسخ. والأغفال: جمع غفل، بالضم، وهي التي لا سمة عليها.

(٥) الناجية: الناقة السريعة. والأتان: الصخرة. ما عدا ط، جـ، ها، مب: «لاتيات الثميل» محرّف.

(٦) التكملة من ط، ها.

(٧) النوح، بالفتح، عنى بهن النساء يجتمعن للحزن ما أصابهن من ثكل. والإراخ، بالكسر: جمع إرخ، بكسر الهمزة وفتحها، وهي البقر أو البكر منها. آنست: أبصرت. والعين، بالكسر: جمع عيناء الواسعة العينين. والأسبال: جمع سبل، بالتحريك، وهو المطر.

[وقال أبو عبيدة: هذا البيت لمية بنت ضِرار بن عَمرِو الضَّبيّة ترثي أخاها][1]. قال أبو الحسن الأثرم: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: أمور الناس جاريةٌ على أذلالها، أي على مسالكها، واحدها ذِل[2]. آلة: حالة. تقول: فإما أن أموت وإما أن أنجو. ولو قالت [على آلَةٍ][3] لم تنج؛ لأن الآلة هي الحَرْبَة.

هممت بنفسي، قال أبو عبيدة: هذا توعد. قال الأصمعي: «كلّ الهموم». قال الأثرم: كأنّها أرادت أن تقتل نفسَها[4].

أبو عبيدة؛ التكدس: التتابع، يتبع بعضها بعضاً، أي يغزو ويجاهد في الغزو، كما تتوقّل الوعولُ في الجبال، عن أبي عبيدة. قال الأصمعي: التكدُّس: أن تحرّكَ مناكبَها إذا مشَتْ وكأنّها تنصبُّ إلى بين يديها، وإنما وصفَتْها بهذا. تقول: لا تسرع إلى الحرب، ولكنْ تمشي إليها رويداً. وهذا أثبتُ له من أن يلقاها وهو يركض. ويقال: جاء فلان يتكدَّس، وهي مِشيةٌ من مَشي الغِلاظ القِصار. وقال أبو زياد الكلابيّ: الكُدَاس[5]: [عُطَاس] الضأن. قال السُّلَمي: التكدُّس: تكدس الأوعال، وهو التقحُّم. والتكدس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه.

/ نُهِين النفوس، تريد غداةَ الكريهة. وقولها: «أبقى لها» لأنها إذا تذامرت[6] وغشيت القِتال كان أسلمَ لها من [٩٥/١٥] الانهزام. كقول بِشر بنِ أبي خازم:

ولا يُنجـــي مـــن الغَمَـــرات إلاّ بَـــرَاكـــاءُ القِتـــال أو الفِـــرارُ

قال بعضهم: أبقَى لها في الذِّكر وحُسن القول. والرجراجة: التي تتمخَّض من كثرتها. وقال الأصمعي: الكِرفِئة، وجمعها كرفِيءٌ: قِطعٌ من السحاب بعضها فوقَ بعض. وقوله: «ترمي السحاب» أي تنضمُّ إليه وتتَّصل به. ويرمي لها، أي ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يستويَ. مثل حدِّ السنان، لأنها ماضية. سَهّلتها: جئتَ بها سهلة. وجُلِّلت الشمس، أي كَسَفت الشمسُ / وصار عليها مثل الجُلّ. تُبيل[7] الحواصن، وهي الحواملُ من النِّساء، أولادَها من ١٤٤/١٣ شدّة الفزع. أي ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها، ولكنّه يكفي القريب والبعيد. ما عالها[8]، قال أبو عمرو: عالها: غلبها. وقال أبو عبيدة: يقال إنَّه ليعولني ما عَالَك، أي يغمُّني ما غمّك. ويقال: افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتيَ غيرَه، أي لا يُعجِزْك. ويقال: قد يعولك أن تفعَل كذا، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك. وأنشد:

ضَـــربـــاً كمـــا تَكَـــدَّسُ الـــوُعـــولُ يَعُـــــول أن أُبطَهـــــا يَعُـــــول

(١) هذه التكملة من ط.

(٢) هذا تفسير لبيت لم يروه أبو الفرج، وهو:

لتجـــر المنيـــة بعـــد الفتـــى المـ ـغـــادر بـــالمحـــو أذلالهـــا

وقد سبق التنبيه على مثل هذا ص ٨٢ حيث يرد التفسير لما لم ينشده أبو الفرج.

(٣) بهذه التكملة يلتئم الكلام. ولم ترد في نسخة من النسخ.

(٤) وهذا أيضاً تفسير لبيت لم يروه أبو الفرج، وهو:

هممـــت بنفســـي كـــل الهمـــوم فـــأولـــى لنفســـي أولـــى لهـــا

(٥) التكملة من ط، ها، مب.

(٦) تذامرت: تحاضت وحثّ بعضها بعضاً على القتال. ط، حـ، مب: «غامرت» ها: «عامرت».

(٧) كلمة «تبيل» ساقطة من ط. وبدلها في حـ: «تلقي» وفي سائر النسخ: «تبين»، وأثبت ما يقتضيه نص الشعر.

(٨) وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في سائر النسخ بالغين المعجمة، والصواب إهمالها.

[٩٦/١٥] / أي قد دنا ذلك. ويقال: عال كذا وكذا منك، أي دنا منك. ويروى: «وليس بأدنى ولكنّه». وقولها معملة[1]: إبل. وقولها: قاعداً، أي على فرسك. قال النابغة:

* قُعوداً على آل الوجيهِ ولا حقٍ[2] *

والأغفال: ما لا سِمةَ عليها، واحدها غُفل. [والأثان: الصخرة.[3] و] الثِميل: بقيّة الماء في الصخرة. والخَلُّ: الطريق في الرمل. يقول: أعيَتْ فتركتَها هنالك. ويروى:

* غادرتَ بالنَّخْلِ أوصالها *

قال الأصمعيّ: ناجية: سريعة. ويروى: «إلى ملك وإلى شأنيء». تقول: تقود خيلك إلى ملك أو عدوّ. ويروى: « [ما[4] كان] إكلالها». [ما صلة[4]]. الإراخ: بقر الوحش. تقول: خَرجت من بيوتهن كما خَرجت هذه البقرُ من كُنُسها فرَحاً بالمطر. ومثله في الفرح بالمطر لابنِ الأحمرِ قولُه:

مــاريّــةٌ لُــؤلُــؤانُ اللــونِ أوردَهــا ... طَــلٌّ وبَنَّــسَ عنهــا فَــرقَــدٌ خَصِــرُ[5]

[٩٧/١٥] / أي قَوّى أنفسَها المطرُ، لما رأته. ومثله:

ألا هَلَــكَ امــرؤٌ قــامَــتْ عليــه ... بجَنْــبِ عُنيــزةَ البقَــرُ الهجــودُ[6]

أي لم يَقْرَنَ في البيوت فتستُرَهنَّ البيوتُ، بل هُنَّ ظَواهرُ. وإنما شبه اجتماعَ هؤلاء النساءِ باجتماع العِين وخُروجِهنّ للمطر. قال: وبقَر الوحش تفرح بالمطر.

رثاء دريد لمعاوية:

وقال دُريدٌ يرثي معاوية أخا الخنساء، لمّا قتلته بنو مرة:

ألا بَكَــرتْ تلــومُ بغيــر قَــدْرِ ... فقــد أحْفَيتِنِــي ودخلــتِ سِتــرِي[7]

فــإنْ لــم تَتــرُكــي عَــذَلــي سَفَــاهــاً ... تَلُمْــكِ علــيّ نفسُــكِ أيَّ عَصــرِ

أَسَــرّكِ أن يكــونَ الــدهــرَ هــذا[8] ... علــيّ بشَــرّهِ يغــدو ويســري

(١) ط، حـ، مب: «وقولها معلمة، معلمة». وانظر ما سبق في ٩٣.

(٢) صدر بيت له في «ديوانه» ٥٦. وعجزه:

* يقيمون حولياتها بالمقارع *

(٣) التكملة من ط، ها، مب.

(٤) التكملة من ها.

(٥) المارية: البقرة الوحشية، والمارية: البراقة اللون. لؤلؤان اللون أراد لؤلؤيته: براقته. وبنس عنها تبنيساً: تأخر عنها. والفرقد: ولدها. والخصر: الذي لحقه البرد. والبيت في «اللسان» (لألأ، بنس، مرا).

(٦) البيت لامرأة من بني حنيفة في «المفضليات» (٢: ٧٣ طبع المعارف). وفي جميع النسخ: «الهجون» تحريف. عنيزة: قرى بالبحرين. حـ: «بعيب» تحريف، وأثبت ما في ط و «المفضليات». وفي سائر النسخ: «بخيف» والخيف بالفتح: الناحية.

(٧) أحفاه: ألح عليه في المسألة. ما عدا ط، مب «أخفيتني» لكن في ها: «أحفظتني». تحريف.

(٨) هذا ما في ها. وفي سائر النسخ: «يبدأ».

وألاّ تُـرزَئـي نفسـاً ومـالاً يضرُّكِ هُلكُـه فـي طَـولِ عمـري
[فقـد كـذبَتْـكِ نفسُـك فـاكـذبيهـا فـإنْ جـزَعٌ وإن إجمـالُ صبـرِ[1]
وإنَّ الـرزء يـومَ وقفـتُ أدعـو فلـم أُسمِـع مُعـاويـةَ بـنَ عمـرِو]
رأيـت مكـانَـه فعـرَضـتُ بَـذءاً وأيُّ مَقِيـلِ رُزْءٍ يـا ابـنَ بكـرِ
إلـى إرَمٍ وأحجـارٍ وصِيـرٍ وأغصـانٍ مـن السَّلَمـاتِ سُمـرِ

/ ـ صِيَر، الواحدة صِيرة، وهي حظيرة الغنم. وقوله: وأغصان من السلمات، أي أُلقِيتْ على قبره ـ [١٥/٩٨]

وبُنيـانِ القبـور أتـى عليهـا طَـوالُ الـدَّهـر مـن سنـة وشهـرِ
ولـو أسمعتِـه لسَـرَى حثيثـاً سَـريـعَ السَّعـي أو لأتـاكِ يجـري
بشِكَّـةِ حـازمٍ لا عيـبَ فيـه إذا لبِـسَ الكُمـاةُ جلـودَ نُمْـرِ

ـ أي كأنّ ألوانَهم ألوانُ النمور، سوادٌ وبياض من السلاح. عن أبي عبيدة ـ

فـإمَّـا تمـسِ فـي جَـدَثٍ مقيمـاً بمَسْهَكـةٍ مـن الأرواح قَفْـرِ[2]
فعـزَّ علـيَّ هُلكُـكَ يـا ابـنَ عمـرٍو ومـالـي عنـكَ مـن عَـزْمٍ وصبـرِ

لقاء صخر لابن حرملة:

/ قال أبو الحسن الأثرم: فلمَّا دخل الشهر الحرام ـ فيما ذكر أبو عبيدة عن [أبي][3] بِلال بن سَهم ـ من السَّنَة ١٤٥/١٣ المقبلة، خرجَ صخرُ بن عمرو حتَّى أتى بني مرّة بن عوف بن ذبيان، فوقف على ابنَيْ حرملة، فإذا أحدُهما به طعنةٌ في عَضُده ـ قال: لم يسمِّه أبو بلال بن سهم. فأمَّا خُفاف بن عُمير فزعم في كلمته تلك أنَّ المطعون هاشم ـ فقال: أيُّكما قَتل أخي معاويةَ؟ فسكتا فلم يُحِيرا إليه شيئاً[4]، فقال الصَّحيح للجريح: مالكَ لا تُجيبه؟ فقال: وقفتُ له فطعَنَني هذه الطعنةَ في عضدي، وشدّ أخي عليه فقتلَه، فأيُّنا قَتلتَ أدركتَ ثارَك، إلاَّ أنا لم نَسْلُبْ أخاك. قال: فما فعلَتْ فرسُه الشَّمّاء؟ قال: ها هِي [تلك][5] خُذْها. فردّها عليه[6] فأخذَها ورجع، فلما أتى صخرٌ / قومه قالوا له: [١٥/٩٩] اهجُهُم. قال: إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع، ولو لم أكفُفْ نفسي إلاّ رغبةً عن الخَنَا لفعلت.

شعره في ذلك:

وقال صخرٌ في ذلك:

وعـاذلـةٍ هَبَّـتْ بليـل تلـومنـي ألا لا تلـوميني كَفَـى اللـومَ مـا بيـا

---

(١) ويروى: «فإن جزعا وإن إجمال صبر» بالنصب. «الخزانة» (٤: ٤٤٢). وهذا البيت وما بعده من ط، ها، مب فقط.
(٢) المسهكة: ممر الريح. سهكت الريح؛ مرت مراً شديداً. وهذا الصواب من ط، ها، مب. وفي سائر النسخ: «بمسلهة».
(٣) تكملة من ها.
(٤) لم يحيرا: لم يرجعا ولم يردا. وهذا ما في ط، حـ، م، ها، مب. وفي سائر النسخ: «فلم يخبراه شيئاً».
(٥) التكملة من مب.
(٦) هذا ما في ط، ها، مب. وفي حـ، م: «فرد عليه». وفي سائر النسخ: «فرد عليها».

ـ قال: أراد تباكره باللوم، ولم يرِد الليلَ نفسه، إنّما أراد عَجَلتَها عليه باللوم، كما قال النمر بن تَولب العُكْليّ:

* بَكَرتْ باللَّوم تلحانا *

وقال غيره: تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفِعل المكارم، والأضياف، والنظرِ في الحَمَالات وأمورِ قومه، لأنه قِوامهم[1] ـ

تقولُ ألا تهجو فَوارسَ هاشم ... ومالِيَ إذْ أهجوهُم ثم ماليا

أبَى الشتمَ أنّي قد أصابوا كريمتي ... وأنْ ليس إهداءُ الخَنَا من شِماليا[2]

ـ [أي من شمائلي. ويروى: «من فِعَاليا[3]»] ـ

إذا ذُكِر الإخوانُ رقرقتُ عبرةً ... وحيَّيتُ رمساً عندلِيَّة ثاويا[4]

إذا ما امرؤٌ أهدَى لميتٍ تحيّةً ... فحيّاكَ ربُّ الناس عنّي معاويا

وهوّنَ وجدِي أنّني لم أقلْ له ... كذبتَ ولم أبخلْ عليه بماليا

فنعمَ الفتى أدّى ابنَ صِرمةَ بزّه ... إذا الفحلُ أضحَى أحدبَ الظَّهرِ عاريا

[١٥/١٠٠] / قال أبو عبيدة: ثم زاد فيها بيتاً بعد أن أوقَعَ بهم، فقال:

وذي إخوة قطّعتُ أقرانَ بينهم ... كما تَركوني واحداً لا أخاليا[5]

غزو صخر لبني مرة:

قال أبو عبيدة: فلما كان في العام المقبل غَزاهم وهو على فَرسه الشَّمّاء، فقال: إنّي أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غُرّةَ الشمّاء، فيتأهّبوا. قال: فحمّمَ غُرّتها[6]. قال: فلما أشرفَتْ على أدنى الحيّ رأوها. فقالت فتاةٌ منهم: هذه واللّهِ الشّمّاء! فنظروا فقالوا: الشماء غَرّاءُ وهذه بَهيم! فلم يشعروا إلّا والخيل دوائسُ[7]، فاقتتلوا فقَتل صخر دريداً، وأصاب بني مرةَ فقال:

ولقد قتلتُكُم ثُناءَ ومَوحَداً ... وتركت مُرّةَ مثلَ أمسِ المُدْبِر[8]

---

(١) يقال: هو قوام أهل بيته وقيامهم، أي الذي يقيم شؤونهم. وهذه رواية ط، ها، مب. وفي حـ: «قدامهم» وسائر النسخ: «قد رأسهم».

(٢) كذا في ط، حـ، ها، مب وهو ما يقتضيه التفسير بعد. وفي سائر النسخ: «من سماتيا.

(٣) التكملة من ط، ها، مب فقط.

(٤) رقرقت: على الصواب في ط، ها، مب وفي سائر النسخ: «قرقرت». ولية بالكسر: موضع بالطائف.

(٥) الأقران: الحبال، عنى بها الصلات، وهو كناية عن القتل. ما عدا ط، ها، مب: «أفراق» تحريف.

(٦) حممها: سودها.

(٧) كذا في ط و حـ وهو جمع دائس. وفي سائر النسخ: «دواس» بمعناه

(٨) روى في «اللسان» (ثنى): «مثل أمسى الدابر»، والصواب «المدبر». وللبيت ثانٍ سينشده أبو الفرج بعد قليل. وقد نبّه ابن منظور في «اللسان» (دبر) على هذا الصواب.

ـ قال الأثرم: مثنى وثناء لا ينونان. قال ابن عَنَمة الضّبيّ:

* يُباعُون بالنُّغْرانِ مَثْنى ومَوحَدا[1] *

لا ينوّنان لأنّهما مما صُرِف عن جهته، والوجه أن يقول: اثنين اثنين. وكذلك ثُلاث ورُباع. قال صخر [الغيّ][2]:

مَنَتْ لكَ أن تلاقيَني المنايا ... أُحادَ أُحادَ في الشهرِ الحلالِ[3]

١٠١/١٥)

/ قال: ولا تجاوز العرب الرُّبَاع، غير أنَّ الكميت قال:

فلم يستريثوكَ حتى رميـ ... ـتَ فوقَ الرجال خِصالاً عُشَارا ـ[4]

١٤٦ ١٣

/ ولقد دفعتُ إلى دُريدَ بطعنةٍ ... نجلاءَ تُزغِلُ مثلَ عَطِّ المنحَرِ[5]

تُزغِل: تخرج الدم قِطَعاً قطعا. قال: والزُّغلة: الدُّفعة الواحدة من الدم والبول. قال:

* فأزغلَتْ في الحلقِ إزغالةً[6] *

شعر صخر فيمن قتل من بني مرة:

وقال صخر أيضاً فيمن قتل من بني مُرّة:

قتلتُ الخالدَيْنِ به وبشرا ... وعمراً يوم حَوْزةَ وابنَ بشرِ

ومِن شَمْخ قتلتُ رجالَ صِدقٍ ... ومن بدر فقد أوفيت نذري[7]

ومُرّةُ قد صَبَحناها المنايا ... فروَّيْنا الأسنّةَ، غيرَ فخر

ومِن أفناءِ ثعلبةَ بنِ سعدٍ ... قَتلت وما أبيئهمُ بوِترِ[8]

---

(١) حـ: «بالبعران» جمع بعير. وفي ط، مب: «بالنغران» وفي حـ أيضاً: «وواحدا».

(٢) التكملة من ها والصواب أنه لعمرو ذي الكلب الكاهلي، وكان جاراً لهذيل. والبيت التالي من قصيدة له في «ديوان الهذليين» ٣: ١١٣ مطلعها:

ألا قالت غزيّة إذ رأتني ... ألم تقتل بأرض بني هلال

(٣) صواب الرواية من ط، مب مطابق لما في «ديوان الهذليين» و «اللسان» (منى). وفي سائر النسخ: «الحرام». منت لك المنايا، أي قدرت لك الأقدار والأحداث.

(٤) لم يستريثوك: لم يجدوك رائثاً، أي بطيئاً، من الريث، وهو البطء. وميت: أي زدت؛ يقال: رمى على الخمسين وأرمى، أي زاد. خصالاً، هذا هو صواب الرواية، كما في «اللسان» (عشر) و «الخزانة» (١: ٨١). وفي ط، ها، مب: «جمالاً»، وسائر النسخ: «شمالا».

(٥) العط: الشق. والمنحر: موضع النحر من الدابة. ما عدا ط، حـ، ها، مب: «مثل غط المنخر» تحريف.

(٦) هذا ما في ط، ها، مب. وفي سائر النسخ: «إزغالها» محرّف. في «اللسان» و «مقاييس اللغة» (زغل): «في حلقه زغلة». والبيت لابن أحمر، وعجزه:

* لم تخطيء الجيد ولم تشفتر *

(٧) شمخ وبدر: قبيلتان. ما عدا ط، ها، مب: «سمح» محرّف.

(٨) أفناء القبائل: أخلاطها. ويقال: أبأت فلاناً بفلان: قتلته به.

ولكنّا نُريد هلاكَ قومٍ فنقتُلهم ونشرِيهم بكَسرِ[1]

[١٥/١٠٢] / وقال صخر أيضاً:

ألا لا أرى مستعتِبَ الدّهر مُعْتِبَا ولا آخِذٌ منه الرضا إنْ تغَضَّبا[2]

وذي إخوةٍ قطّعتُ أقرانَ بينهم إذا ما النُّفوسُ صِرنَ حَسرَى ولُغَّبا[3]

أقولُ لرمسٍ بين أجراعِ بِيشةٍ سقاكَ الغوادي الوابلَ المتحلِّبا[4]

لَنِعمَ الفتى أدّى ابنُ صِرمةَ بزَّه إذا الفحلُ أمسى عاريَ الظهر أحدبا

لقاء قيس بن الأصور لهاشم بن حرملة:

قال أبو عبيدة: ثم إنّ هاشم بن حرملة خرجَ غازياً، فلما كان ببلاد جُشَم بن بكر بن هَوازن نزل منزلاً وأخذ صُفناً[5] وخلاً لحاجته بين شَجَر، ورأى غَفلتَه قيسُ بن الأصْوَر[6] الجَشميّ فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية! لا وألَتْ نفسي إن وألَ[7]! فلما قعدَ على حاجته تقتَّرَ له بين الشجر[8]، حتّى إذا كان خلفَه أرسل إليه مِعبَلةً[9] فقتله.

شعر الخنساء في مقتل هاشم:

فقالت الخنساء في ذلك ـ قال ابن الكلبي: وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شَريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُليم ـ:

فِدًى للفارِس الجشَميّ نفسي وأُفديهِ بمن لي مِن حَميمِ

[١٥/١٠٣] / أُفدِّيه بجُلّ بني سُلَيمٍ بظاعِنِهم وبالأنَس المُقيمِ[10]

كما مِن هاشمٍ أقررتُ عيني وكانت لا تَنام ولا تُنيم

كان هاشم بن حرملة أسود العرب وأشدهم:

قال أبو عبيدة: وكان هاشمُ بن حرملة بن صِرمة بن مُرّة أسودَ[11] العرب وأشدَّهم، وله يقول الشاعر:

---

(١) الكسر، بالفتح: أخس القليل. قال ذو الرمة:

إذا مرئي بساع بالكسر بنته فما ربحت كف امرىء يستفيدها

(٢) يقال: أعتبه، إذا أرضاه. ما عدا ط، ها، مب: «الرضا متعتباً».

(٣) أقران، سبق تفسيرها ص ١٠٠. وفيما عدا ط، ها، مب: «أفراق» محرّف. والحسرى: المعيبة. واللغب: جمع لاغب، وهو المتعب.

(٤) الأجراع: جمع جرع بالتحريك، وهو الرملة السهلة المستوية. وبيشة: موضع. المتحلب: المتصبب.

(٥) الصفن، بالضم، مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه. وهي فيما عدا ط، ها «ضغنا» محرّفة. وفي ط، مب: «صفنته». والصفنة، بالفتح: كالعيبة يكون فيها متاع الرجل وأداته. وفي ها «صفينة» بالتصغير.

(٦) ما عدا ط: «ابن الأمرار».

(٧) وأل: نجا وخلص.

(٨) تقتر: تهيأ للقتال. وتقتر أيضاً: تنحى.

(٩) المعبلة، بكسر الميم: نصل طويل عريض.

(١٠) هذا ما في ط، ها، مب وفي حـ: «بيخل من سليم» هذه محرّفة، وفي سائر النسخ: «بكل من سليم».

(١١) أسود، من السيادة.

أحيا أباه هاشمُ بن حَرملَه   يوم الهَبَاتَينِ ويوم اليَعْمَلَة[١]

[يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له   إذِ الملوكُ حولَه مُغربلَة[٢]

* وسيفُه للوالدات مثكله *

حدّثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: حدّثنا الكسروي عن الأصمعي قال: مررت بأعرابيٍّ وهو يَخْضِد شجرةً وقد أعجبته سماحتُها، وهو يرتجز ويقول:

لو كنتِ إنساناً لكنتِ حاتما   أو الغلامَ الجُشَميَّ هاشما

شعر هاشم في الجود:

قلت: من هاشم هذا؟ قال: أو لا تعرفه؟ قلت: لا. قال: هو الذي يقول:

وعاذلةٍ هَبّتْ بليلٍ تلومُني   كأنّي إذا أنفقتُ مالي أضِيمها

/ دعِيني فإنّ الجود لن يتلِفَ الفتى   ولن يُخْلِدَ النفسَ اللئيمةَ لُومُها ١٤٧/١٣

وتُذكَر أخلاقُ الفتى، وعظامُه   مفرَّقةٌ في القبر بادٍ رميمُها

/ سَلِي كلّ قيسٍ هل أبارِي[٣] خيارَها   ويُعرِض عنّي وغْدُها ولئيمُها [١٥/١٠٤]

وتذكُر فِتيانيّتي وتكرمي   إذا ذُمّ فتيانيُّها وكريمُها[٤]

قلت: لا أعرفه. قال: لا عرفت، هو الذي يقول فيه الشاعر:

أحيا أباه هاشمُ بن حَرملَه   يقتُل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ له

* تَرى الملوكَ حولَه مُغربَلَه *

صوت

تأبّد الرَّبعُ من سَلْمَى بأحفار   وأقفرتْ من سُليمَى دِمنةُ الدّارِ[٥]

وقد تحُلُّ بها سَلمى تحدّثني   تَسَاقُطَ الحَلْي حاجاتي وأسراري

الشعر للأخطل، والغناء لعمرَ الواديّ، هزج بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنه لابن جامع ويقال إنه لغيره، وفيهما خفيف رمل بالوسطى، ذكر الهشامي أنه لحكم. وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى.

(١) الهباتان واليعملة: موضعان ذكرهما ياقوت. ما عدا ط، ها، مب: «يوم البهاتين» محرّف.. في «اللسان» (غربل): «يوم الهباءات» فيكون جمعاً ليوم الهباءة المعروف.

(٢) هذه التكملة من ط، ها، مب. المغربل: المقتول المنتفخ.

(٣) المباراة: المفاخرة. وهذا ما في ط، مب. وفي ها «أباري خيارهم»، وفي سائر النسخ: «أباني خيارهم».

(٤) الفتيانية: مصدر صناعي لم يرد في المعاجم المتداولة، وكذا النسبة إليه في قوله «فتيانيها». وهو من الفتوة: السخاء والكرم. وفتيانيتي رواية ط، ها. وفي حـ: «رفقيا يداي» محرّفة عن السابقة. وفي سائر النسخ: «وتذكر قيس منتي» وأراها محرّفة عنها أيضاً. «وذم فتيانيها» رواية ط، حـ، ها، مب. وفيما عداهما: «إذا ذمني فتيانها» وليس بشيء.

(٥) تأبد: توحش. أحفار، بالحاء المهملة: موضع بالبادية. ما عدا ما، ها، مب: «بأحفار» محرّف. والشعر في «ديوان الأخطل» ١١٢.

ومما يغني فيه من هذه القصيدة:

[١٠٥/١٥] / وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكأس نادَمَني ... لا بالحَصُور ولا فيها بِسَّارِ[١]

نازعتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمولِ وقد ... صاح الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ الساري[٢]

لما أتَوها بمِصباحٍ ومِبزَلِهم ... سَمَتْ إليهم سموَّ الأبجلِ الضاري[٣]

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن الهشاميّ. وذكر غيره أنّها للدّلال. ومنها:

فَردٌ تغنّيه ذِبّانُ الرِّياضِ كما ... غَنّى الغُواةُ بصَنْجٍ عند أُسوارِ[٤]

كأنّه من نَدى القُرّاص مُغتمِرٌ ... بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عَطّارِ[٥]

غناه ابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأوّل، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر الهشاميّ أن لمالكٍ فيه ثقيلاً أوّلاً. ووافقه يونُس في نسبته إلى مالك، ولحكم في قوله:

* فردٌ تغنّيه ذِبّانُ الرياض كما *

[١٠٦/١٥] / وبعده قوله:

صَهباء قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِست ... في مُخْدَعٍ بين جناتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر. ومنها:

لسَكَّنتني قريشٌ في ظِلالهمُ ... ومَوّلتني قريشٌ بعد إقتارِ[٦]

قومٌ إذا حاربوا شَدُّوا مآزرَهم ... عن النّساءِ ولو باتتْ بأطهارِ[٧]

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنّسه.

خبر قصيدة الصوت:

وهذه القصيدة مدح بها الأخطلُ يزيدَ بن معاوية لمّا مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار، وكان يزيدُ هو الذي

---

(١) المربح: الذي يربح صاحب الخمر. والحصور: البخيل. والسّار: الذي يسئر في القدح: يترك فيه فضلة. ط، مب: «بسوار» وفوقها «بسّار» إشارة إلى الروايتين. والسوار: السيء الخلق الذي يساور عليها ويقاتل فيها.

(٢) المنازعة: المناولة. والشمول: الطيبة الريح. وقعة، هو صواب الرواية كما في ط، ها، مب، و «الديوان». يقال وقعت الإبل: بركت. وفيما سواها: «وقفة».

(٣) بمصباح، أراد أنهم بزلوها ليلاً. والمبزل: الحديدة التي يفتح بها الدن. الأبجل: عرق. الضاري: الذي يهتز وينعر بالدم. ويروى: «سارت إليهم سؤور».

(٤) فرد: منفرد، يعني الثور في أبيات قبله. والصبح: آلة بأوتار يضرب بها، معرّب. والأسوار بضم الهمزة وكسرها: قائد الفرس.

(٥) القراص، كرمان: ضرب من البقل. والورس: نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه. مغتمر: أي متطل به قد طلى بدنه. يقال جارية مختمرة ومتغمرة: متطلية. فيما عدا، ها، مب: «معتمر» تصحيف. وفي سائر النسخ: «معترض» تحريف. وفي «الديوان»: «مغتسل».

(٦) مولتني: جعلتني ذا مال. والإقتار: الافتقار وضيق العيش.

(٧) أي إذا حاربوا لم يغشوا النساء في أطهارهن.

أمره بهجائهم. فقيل: إن / السبب في ذلك كان تشبُّب عبدِ الرحمٰن بن حسانَ برملةَ بنتِ معاوية، وقيل بل حَمِيَ لعبد الرحمٰن بن الحكم. ١٣/٤٤٨

تشبيب عبد الرحمٰن بن حسان برملة:

أخبرني الجوهري قال: حدّثنا عُمر بن شبّة قال: حدّثني أبو يحيى الزُّهري قال: حدّثني ابن أبي زريق قال: شَبَّبَ عبدُ الرحمٰن بن حسانَ برملةَ بنت معاوية فقال:

رَمْلَ هـل تـذكـريـن يـومَ غـزالٍ ... إذْ قطعنـا مَسِيـرنـا بـالتّمنّـي

إذْ تقـوليـن عمـرَكَ الله هـل شَـيْـ ... ـءٌ وإنْ جـلَّ سـوف يُسليـكَ عنّـي

أمْ هَـلْ أطمِعـتُ منكُـم بـابـن حَسّـا ... ن كمـا قـد أراكَ أُطمِعـتَ منّـي

قال: فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب، فدخلَ على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، ألاَ تَرى إلى هذا العِلج من أهل يثرب، يتهكّم بأعراضنا ويشبّب[1] بنسائنا؟ / قال: ومَن هو؟ قال: عبد الرحمٰن بن حسّان، وأنشده ما [١٥/١٠٧] قال، فقال: يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة، ولكن أمهِلْ حتّى يَقدَمَ وفدُ الأنصار ثم ذكّرني. قال: فلمّا قدِموا أذكره به[2]، فلما دخلوا عليه قال: يا عبدَ الرحمٰن، ألم يبلغني أنك تشبّب برملةَ بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمتُ أنّ أحداً أشرُف به شعري أشرفَ منها لذكرتُه. قال: وأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإنَّ لها لأختاً؟ قال: نعم. قال: وإنما أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعاً فيكذِبَ نفسَه. قال: فلم يَرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك: أن يشبّب بهما جميعاً، فأرسل إلى كعب بن جُعَيل فقال: اهجِ الأنصار. فقال: أفْرَقُ من أمير المؤمنين[3]؛ ولكنْ أدلّك على الشاعر الكافر الماهر. قال: ومَن هو؟ قال: الأخطل. قال: فدعا به فقال: اهجُ الأنصار. قال: أفْرَقُ من أمير المؤمنين! فقال: لا تَخَفْ شيئاً؛ أنا لكَ بذلك. قال: فهجاهم فقال:

هجاء الأخطل للأنصار:

وإذا نَسَبْـتَ ابـنَ الفُـريعـةِ خِلتَـه ... كـالجحـش بيـن حِمـارةٍ وحمـارِ[4]

لعَـنَ الإلـهُ مـن اليهـود عِصـابـةً ... بـالجِـزْعِ بيـن صُليصِـلٍ وصِـرارِ[5]

قـومٌ إذا هـدَرَ العصيـرُ رأيتَهـم ... حُمـراً عيـونهـمُ مـن المُصطـارِ[6]

خَلُّـوا المكـارمَ لستُـم مِـن أهلهـا ... وخُـذوا مسـاحِيَكـم بنـي النجّـارِ[7]

/ إنّ الفـوارس يَعلمـون ظهـورَكـم ... أولادَ كـلِّ مقبّـحٍ أكّـارِ[8]

---

(١) ما عدا ط، مب: «ويتشبب».

(٢) ما عدا ط، ها، مب: «أذكره به».

(٣) أفرق: أخاف؛ والفرق بالتحريك: الخوف.

(٤) يعني بذلك أبويه.

(٥) صليصل: تصغير صلصل، وهو موضع بنواحي المدينة. ومثله صرار بالكسر.

(٦) المصطار، بالضم: الخمر الحامضة، ويقال بالسين أيضاً كما فيما عدا ط، حـ، مب.

(٧) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من حديد، هجاهم بأنهم أهل زراعة. ما عدا ط، ها، مب: «مسائحكم» محرّف.

(٨) الأكار: الحراث.

ذَهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا والـلـؤمُ تحتَ عمائـم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بَشيرٍ فدخلَ على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه، وقال: يا أمير المؤمنين: أتَرى لؤماً؟ قال: لا بلْ أرى كرماً وخيراً، ما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤمَ تحت عمائمنا. قال: أوَ فَعَل؟ قال: نعم. قال: لك لسانُه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أُتِيَ به سأل الرسولَ ليدخلَ إلى يزيد أوّلاً، فأدخله عليه، فقال: هذا الذي كنتُ أخاف. قال: لا تخَفْ شيئاً. ودخل على معاوية فقال: علامَ أرسِلَ إليَّ هذا الرجلِ وهو يَرمي من وراء جمرتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبلْ قوله عليه وهو يدَّعي لنفسه، ولكن تَدْعوه بالبيِّنة، فإن ثَبتَ[1] شيئاً أخذتَه به له. فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها، فخلَّى سبيلَه. فقال الأخطل:

مدح الأخطل ليزيد:

وإنّي غداةَ استعبرَتْ أمُّ مالكٍ لَراضٍ من السُّلطان أن يتهدّدا
/ ولولا يزيدُ ابنُ الملوك وسعيُه تجلّلتُ حِدباراً من الشرّ أنكدا[2]
فكم أنقذَتْني مِن خُطوبٍ حبالُه وخرساءَ لو يرمَى بها الفيل بَلَّدا[3]
ودافع عنّي يومَ جِلَّقَ غَمرةً وهَمّاً يُنسِّيني السُّلافَ المبرّدا[4]
وباتَ نجيّاً في دمشق لحيّةٍ إذا همّ لم يُنمِ السليمَ فأقصدا[5]
/ يُخافِتُه طوراً وطوراً إذا رأى من الوجه إقبالاً ألحَّ وأجهدا[6]
وأطفأتَ عنّي نارَ نُعمانَ بعدما أعدّ لأمرٍ فاجرٍ وتجرّدا
ولما رأى النُّعمانُ دوني ابنَ حُرّةٍ طَوَى الكشحَ إذْ لم يستطعني وعَرّدا[7]

خبر آخر في تشبيب عبد الرحمٰن برملة:

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدّثنا المدائني عن أبي عبد الرحمٰن بن المبارك قال:

شبَّب عبد الرحمٰن بن حسّان بأخت معاوية، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، اقتلْ عبدَ الرحمٰن بن حسّان. قال: ولم؟ قال: شبَّب بعمَّتي. قال: وما قال؟ قال قال:

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ومللتُ الثَّواءَ في جَيرونِ

(١) ما عدا ط، حـ، ها، مب: «أثبت».

(٢) في «الديوان» ٩٣: «وسعيه». الحدبار: الناقة التي بدا عظم ظهرها ونشزت حراقيفها.

(٣) أي من خرساء. والخرساء: الداهية. بلد: لصق بالأرض لما دهاه وحطمه.

(٤) الغمرة: الشدّة. وفي «الديوان»: «السلاف المهودا». وتهويد الشراب: إسكاره.

(٥) لحية، يعني معاوية. والسليم: الملدوغ. والإنماء: أن ترمي الصيد فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. والإقصاد من الحية: أن تلدغه فتقتله في الحال.

(٦) المخافتة: الهمس في الأذن. ما عدا ط، ها، مب: «يخافيه أطوراً» تحريف.

(٧) ابن حرة، يعني يزيد. عرد: هرب. ما عدا ط، حـ، ها، مب: «روى ابن مرة» تحريف.

قال معاوية: يا بُنيّ وما علينا من طُول ليلِه وحزنِه أبعده الله؟ قال: إنه يقول:

فلـذاكَ اغتـربـتُ بـالشـام حتّـى ظـنّ أهلـي مـرجّمـاتِ الظنـون

قال: يا بنيّ وما علينا من ظنّ أهله؟ قال: إنّه يقول:

هـي زهـراءُ مثـلُ لـؤلـؤةِ الغـوّاص مِـيـزتْ مـن جـوهـرٍ مكنـونِ

قال: صدق يا بنيّ. قال: إنّه يقول:

وإذا مـا نسبتَهـا لـم تجِـدْهـا فـي سنـاءٍ مـن المكـارمِ دُونِ

قال: صَدَق يا بنيّ، هي هكذا. قال: إنّه يقول:

ثـم خـاصـرتُهـا إلـى القُبّـة الخضـ ـراءِ تمشـي فـي مَـرمـرٍ مَسنـونِ[1]

/ خاصرتُها: أخذتُ بخَصْرها وأخذَتْ بخصري. قال: ولا كلُّ هذا يا بني! ثم ضحك وقال: أنشدني ما قال [١٥/١١٠] أيضاً. فأنشده قوله:

قُبّـة مـن مَـرَاجـلٍ نَصَبـوهـا عنـد حـدِّ الشتـاءِ فـي قَيطـونِ

عَـن يسـاري إذا دخلـتُ مـن البـا ب وإن كنـتُ خـارجـاً فيمينـي

تجعـل النَّـدَّ والألُـوّةَ والعُـو دَ صِـلاَءً لهـا علـى الكـانـون[2]

وقِبـابٌ قـد أُشْـرِجَـتْ وبيـوتٌ نُطِّقت بـالـريحـان والـزَّرَجُـون[3]

قال: يا بني، ليس يجبُ القتل في هذا، والعقوبةُ دون القتل، ولكِنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز.

نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء

صوت

هِـي زهـراءُ مثـل لـؤلـؤة الغـوَ اصِ مِيـزَتْ مـن جـوهـرٍ مكنـونِ

وإذا مـا نسبتَهـا لـم تجـدْهـا فـي سنـاءٍ مـن المكَـارمِ دُونِ

/ نسخت من كتاب ابن النطاح: وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب قال: حدّثنا شُعيب بن صفوان أنّ عبد ١٥/١٣ الرحمن بن حسّان بن ثابت كان يشبِّب بابنة معاوية، ويذكُرها في شعره، فقال الناس لمعاوية: لو جعلتَه نكالاً؟ فقال: لا، ولكن أُداويه بغير ذلك. فأذِن[4] له وكان يدخل عليه في أُخريات الناس، ثمّ أجلسه[5] على سريره

(١) المسنون: المملس. وقد أورد ابن منظور بعض هذا الخبر في مادة (سنن).

(٢) الألوة، بضم اللام مع ضم الهمزة وفتحها: ضرب من عود البخور.

(٣) ط: «أسرجت» أضيئت. وفيما عدا ط، ها، مب: «أشرجت»، أي كما تشرح الخريطة، تشد أجزاؤها بالعرى والحبال. نطقت: جعل لها نطاق. والزرجون: الكرم أو قضبانه.

(٤) فيما عدا ط، جـ، ها، مب: «فلما وفد عليه».

(٥) ما عدا ط، جـ، ها، مب: «وكان يدخل في أُخريات الناس أجلسه».

[١٥/١١١] / معه، وأقبلَ عليه بوجهه وحديثه ثم قال: ابنتي الأخرى عاتبةٌ عليك. قال: في أيِّ شيء؟ قال: في مِدحتك أختَها وتركِك إياها. قال: فلها العُتْبَى وكرامة، أنا ذاكرها وممتدِحُها[١]. فلما فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا: قد كنا نرى أنّ نسيب[٢] بن حسّان بابنةِ معاويةَ لشيء، فإذا هو عَنْ رأي معاويةَ وأمره. وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنْتٌ أخرى، أنّه إنما خَدَعه ليشبِّب بها، ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية.

وقد قيل في حمل يزيدَ بن معاوية الأخطلَ على هجاء الأنصار: إنّه فعلَ ذلك تعصُّباً لعبد الرحمٰن بن الحكم بن العاص بن أُمية، أخي مروانَ بن الحكم في مهاجاته عبدَ الرحمٰن، وغضباً له، لمَّا استعلاه ابن حسّان في الهجاء.

ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

خبر تهاجي عبد الرحمٰن بن حسّان وعبد الرحمٰن بن الحكم:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا أبو غَسّانَ دِماذ[٣]، عن أبي عبيدة قال: أخبرني أبو الخطاب الأنصاري قال:

كان عبد الرحمٰن بن حسّان خليلاً لعبد الرحمٰن بن الحكم بن العاص مخالطاً له، فقيل له: إن ابنَ حسانَ يَخلُفُك في أهلك. فراسلَ امرأةَ ابن حسّان فأخبرتْ بذلك زوجَها وقالت: أرسَلَ إليّ: إنّي أحبُك حبًّا أُراه قاتلي! [١٥/١١٢] فأرسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصلُه وقال للرسول: إذهب إليها وقُل لها: إن / امرأتي تزورُ أهلَها اليومَ فزُوريني حتّى نخلوَ. فزارتْه فقعدَ معها ساعةً ثم قال لها: قد واللّهِ جاءت امرأتي. فأدخلها بيتاً إلى جَنْبه وأمر امرأتَه فأرسلت إلى عبد الرحمٰن بن الحكم: إنّك ذكرتَ حبَّك إياي وقد وقعَ ذلك في قلبي، وإنّ ابن حسّان قد خرجَ اليوم إلى ضَيعته فهلمَّ فتهيّأ ثمَّ أقبِلْ. فإنّه لقاعدٌ معها إذْ قالت له: قد جـاء ابـنُ حسّان فادخُلْ هذا البيتَ فإنّه[٤] لا يشعر بك. فأدخلته البيتَ الذي فيه امرأتُه، فلما رآها أيقنَ بالسَّوأة ووقعَ الشرُّ بينهما، وهجا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه.

قال أبو عبيدة: هذه رواية أبي الخطّاب الأنصاري، وأمّا قريش فإنّهم يزعُمون أنّ مرأة ابن حسّان كانت تحبُّ عبدَ الرحمٰن وتدعوه إلى نفسها فيأبَى ذلك، حفظاً لما بينه وبين زوجها، وبلغ ذلك ابنَ حسانَ فراسلَ امرأة ابن الحكم حتّى فضحها، وبلغ ذلك ابنَ الحكم وقيل له: إنكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ إلى ابن حسّانَ فكان معها. فأمر ابنُ الحكم أهلَه فقال: عالجوا سُفرةً حتّى أطالعَ مالي بمكان كذا وكذا. فخرج وبعثت امرأتُه إلى ابن حسانَ فجاء كما كان يفعل، ورجع ابنُ الحكم حين ظنَّ أن ابن حسانَ قد صار عندها، فاستفتح فقالت: ابنُ الحكم والله! وخَبّأته

---

(١) ما عدا ط، ها، مب: «وممدها».

(٢) ما عدا ط، جـ، مب: «أن تشبب».

(٣) كذا ضبط بكسر الدال في ط، ها، مب. ودماذ لقب له واسمه رفيع بن سلمة. انظر «إنباه الرواة» ٢: «بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم حيثُ تجد مراجع ترجمته.

(٤) كذا في ها، مب. وفي سائر الأصول: «لأنه».

خلفها في بيت، ودخل عبدُ الرحمٰن فبعث إلى امرأة ابن حسان: إنه قد وقعَتْ لك في قلبي مِقَةٌ[١]، فأقبلي إليّ الساعةَ، فتهيأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت / عليه، فوضعت ثيابَها وزوجُها ينظر فقال لها: قد كنتُ أكثرتِ الإرسال إليّ فما شأنُكِ؟ قالت: إني والله هالكة من حبِّك. قال: وزوجها يسمع، وإنّما أراد أن يُعلِمه أنّها قد كانت ترسل إليه ويأبَى عليها. وزعم أنها هي التي قالت لابن الحكم إنّ ابن حسّان يخلفُكَ في أهلك. فلما فرغَ من كلامه وأسمعه زوجَها قال / لها: قد جاءت امرأتي. وأدخلها البيتَ الذي فيه ابن حَسّان، فلما جمعهما في مكانٍ واحد خرجَ عنهما، فخرجا وطلَّقَ امرأته. [١٥١/١٣] [١١٣/١٥]

دعاء مروان بن الحكم وأخيه:

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني الرياشي قال: حدّثنا ابن بكير عن هشامِ بن الكلبي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال:

رأيت مروانَ بن الحكم يطوف بالبيت ويقول: اللّهم أذهِبْ عني الشِّعر! وأخوه عبد الرحمٰن يقول: اللّهم إني أسألك ما استعاذَ منه! فذهب الشعر عن مروان، وقاله عبد الرحمٰن.

خبر آخر في التهاجي بين عبد الرحمٰن بن حسّان وعبد الرحمٰن بن الحكم:

وأمّا هشام بن الكلبيّ فإنه حدث عن خالدٍ وإسحاقَ ابنَي سعيد بن العاصي، أنَّ سبب التهاجي بينهما أنّهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما في إمارة مَرْوان، فقال ابن الحكم لابن حسّان:

ازجــر كــلابــك أنهــا قَلَطيّـــةٌ ... بُقْـعٌ ومثـلُ كـلابكـم لـم تَصْطَـدِ[٢]

فردّ عليه ابنُ حسّان:

مَـن كـان يـأكـلُ مـن فَـريسـةِ صيـدِه ... فـالتَّمْـرُ يُغنينـا عـن المتصيَّـدِ[٣]
إنــا أنــاس رَيِّقــون وأمُّكــم ... ككـلابكـم فـي الـوَلْـغ والمتَرَدَّدِ[٤]
حُـزْنـاكـمُ للضّـبِّ تحتـرشـونـه ... والـريـفِ، نمنعُكـم بكـلِّ مهنَّـدِ[٥]

/ ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان، فقال عبد الرحمٰن بن الحكم في قصيدة: [١١٤/١٥]

ومثـلُ أمِّـك أمُّ العبـدِ قـد ضُـرِبـت ... عنـدي ولـيّ بِفِنـاتـي مِـزهـرٌ جَـرِمِ[٦]
وأنـتَ عنـد ذُنَـابـاهـا تُعـاوِنهـا ... علـى القُـدور تَحَسَّـى خـاثـر البُـرَمِ[٧]

(١) المقة: الحب، ومقها يمقها مقة.

(٢) القلطي من الكلاب: ضرب منها قصير مجتمع. وانظر الحيوان للجاحظ (١: ١٥٧). والبقع: جمع أبقع وبقعاء، وهو ما فيه سواد وبياض.

(٣) ها: «فريسة كلبه». المتصيد: ما يتصيده الصائد، أو هو الصيد، مصدر ميمي. يعيرهم بالصيد وحرش الضباب.

(٤) الريق: الذي على الريق لم يفطر. والمتردد: التردد، مصدر ميمي كذلك.

(٥) احتراش الضب: صيده. ما عدا ط: «يمنعكم» و «تمنعكم» تحريف.

(٦) بفناتي، هي الصواب من ط، ها، مب. وفي سائر النسخ: «بغناء». والمزهر: العود. والجرم: الصافي الصوت، جرم: صفا صوته. ط، حـ، مب: «حرم» بالحاء المهملة، ولا وجه له. ها: «هذم».

(٧) ما عدا ط، ها، مب: «غلي القدور» تحريف. تحسى، أي تتحسى: تشرب شيئاً بعد شيء. والخاثر: الغليظ.

فنقضها عبد الرحمٰن بن حسّان عليه بقصيدته التي يقول فيها:

يـا أيُّهـا الـراكـبُ المُـزجـي مَطيَّتـه — إذا عـرَضْـت فسائِـل عـن بنـي الحكـمِ[١]
القـائليــن إذَا لاقَــوْا عـــدوَّهُــم — فِـرُّوا فكُـرُّوا علـى النِّسـوان والنَّعَـم
كـم مـن أمـينٍ نَصيـح الجيـب قـال لكـمْ — ألَّا نهيتـمْ أخـاكـم يـا بنـي الحَكـم
عَـن رجـلٍ لا بَغيـضٍ فـي عشيـرتـه — ولا ذليـلٍ قصيـرِ البـاعِ مُعتصِـمِ[٢]

وقال ابن حسّان:

صـار الـذليـل عـزيـزاً والعـزيـزُ بـه — ذُلٌّ وصـارَ فُـروع النـاس أذنـابـا
إنِّـي لملتمـسٌ حتّـى يبيـنَ لكـمْ — فيكـمْ متـى كنتُـم للنّـاسِ أربـابـا
فـارْقَـوْا علـى ظَلْعكـم ثـمَّ انظـروا وسلُـوا — عَنّـا وعنكـمْ قـديـمَ العلـم تَسـابـا[٣]
فسـوفَ يضحـك أو تعتـاده ذِكَـرٌ — يـا بـؤسَ للـدهـر لـلإنسـان رَيّـابـا[٤]

ولهما نقائضُ كثيرة لا معنَى لذكر جميعها هٰهنا.

[١١٥/١] / **عقاب معاوية لهم:**

قال دِماذ: وحدّثني أبو عبيدة عن أبي الخطاب قال:

[١٥٢/١٣] لما كثُر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذٍ وهو الخليفة، إلى سعيد / بنُ العاص وهو عاملُه على المدينة، أن يجْلِد كلَّ واحدٍ منهما مائة سوط. قال: وكان ابنُ حسانَ صديقاً لسعيد، وما مَدح أحداً قط غيرَه، فكرِه أن يضربَه أو يضرب ابن عمِّه، فأمسكَ عنهما، ثم ولِيَ مروانُ فلما قدِم أخذَ ابن حسّان فضربَه مائة سوط ولم يَضرب أخاه، فكتب ابنُ حسّان إلى النعمان بن بَشيرٍ وهو بالشأم، وكان كبيراً مكيناً عند معاوية:

ليـتَ شِعـري أغـائـبٌ أنـت بـالشـا — مِ خليلــي أم راقــدٌ نَعْمــانُ
أيَــةً مــا يكــنْ فقــد يــرجــع الغـا — ئـب يـومـاً ويُـوقَـظ الـوسنـان[٥]
إنّ عَمــراً وعـــامــرا أبــوَيْنــا — وحـرامـاً قِـدمـاً علـى العهـد كـانـوا[٦]
أفهُــمْ مــانِعُــوك أمْ قِلّـة الـكُـتّـابِ أم أنـتَ عـاتـبٌ غضبـانُ
أم جفـــاءٌ أم أعـــوزَتْـك القـراطيـ — ـسُ أم أمـري بـه عليـكَ هـوانُ[٧]

---

(١) عرض: أتى العروض، وهي مكة والمدينة وما حولهما.

(٢) ما عدا ط، حـ، ها، مب: «في عشيرتكم».

(٣) الظلع: غمز شبيه بالعرج. أرق على ظلعك، أي امش واصعد بقدر ما تطيق ولا تحمل على نفسك ما لا تطيقه، يضرب للرجل يطلب منه أن يصلح أمره أوّلاً. ما عدا ط، ها: «ففارقوا ظلعكم»، تحريف.

(٤) ما عدا ط، ها، مب: «فكيف يضحك».

(٥) ما عدا ط، حـ، ها، مب: «أية ما تكن» بالتاء.

(٦) حرام: أبو قبيلة.

(٧) ساعدا ط، حـ، ها: «إنهم مانعوك» تحريف. وكلمة «به» من ط، ها فقط.

يـــومَ أنبئـــتَ أنَّ ســـاقَـــيَّ رُضَّـــتْ ... وأتـــاكـــمْ بـــذلـــك الـــرُّكبـــان

ثـــمَّ قـــالـــوا إنّ ابـــنَ عـــمِّـــك فـــي بَلْـ ... ـــوى أمـــورٍ أتـــى بهـــا الحَـــدَثـــان(١)

فَتَنـــطُ الأرحـــامُ والـــودُّ والصُّحـ ... ـبـــةُ فيمـــا أتـــى بـــه الحـــدثـــان(٢)

إنمـــا الـــرمـــح فـــاعلمـــنَّ قَنـــاةٌ ... أو كبعـــض العيـــدان لـــولا السِّنـــانُ

/ وهي قصيدة طويلة ـ فدخل النعمان على معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك أمرتَ سعيداً أن يضرب [١١٦/١٥] ابنَ حسّان وابن الحكم مائةً مائة فلم يفعَلْ، ثم وَلَّيتَ مَروانَ فضرب ابنَ حسّانَ ولم يَضرب أخاه. قال: فتريد ماذا؟ قال: أنت تكتبَ إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد. فكتب إلى معاوية يعزم عليه أن يضربَ أخاه مائة، وبعثَ إلى ابن حسّانَ بحُلّة، فلما قدِم الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابن حسان: إنّي مُخرِجك، وإنّما أنا مثلُ والدك، وما كان منّي إليك إلا على سبيل التأديب لك. واعتذر إليه، فقال حسان: ما بدا له في هذا إلاّ لشيءٍ قد جاءه. وأبَى أن يَقبَل منه، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجّهه إليه بالحُلَّة فرمَى بها في الحُشّ(٣). فقيل له: حُلّة أميرِ المؤمنين وترمي بها في الحشّ؟ قال: نعم وما أصنعُ بها! وجاءه قومُه فأخبروه الخبر فقال: قد علمت أنّه لم يفعل ما فعل إلا لأمرٍ قد حَدَث. فقال الرسول لمروان: ما تصنع بهذا، قد أبى أن يعفوَ فهلُمَّ أخاك. فبعث مَروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يضربَه خمسين فإنّه ضعيف. فطلبوا إليه فأجابَهم، فأخرجه فضربَه خمسين، فلقي ابنَ حسّان بعضُ من كان لا يهوى ما تَرَكَ من ذلك، فقال له: أضَرَبَكَ مائةً ويضربُه خمسين، بئس ما صنعتَ إذْ وهبتَها له. قال: إنّه عبدٌ وإنّما ضربه ما يُضرَب العبدُ نِصفَ ما يُضرَب الحُرّ! فحمِل هذا الكلام حتّى شاع بالمدينة وبلغ ابنَ الحكمَ فشقَّ عليه، فأتى أخاه مروان فخبّره الخبر وقال: فضحتني، لا حاجةَ لي فيما تركتَ(٤) فهلمَّ فاقتصَّ.

هجاء عبدالرحمٰن لابن الحكم:

فضربَ ابنَ الحكم خمسين أخرى، فقال عبدُ الرحمٰن يهجو ابن الحكم:

[١١٧/١٥] / دَعْ ذا وعَدِّ قـريضَ شعرِك فـي امرىءٍ ... يَهـذِي ويُنشِـد شعـرَه كـالفـاخِـر(٥)

عُثمـــانُ عمُّكـــمُ ولستـــمْ مِثلَـــه ... وبنـــو أُميّـــةَ منكـــم كـــالآمـــر

وبنـــو أبيـــهِ سَخيفـــةٌ أحـــلامُهـــمْ ... فُحُشُ النفوسِ لـدى الجليسِ الزائر

/ أحيـاؤهـم عـارٌ علـى أمـواتهـم ... والميِّـــون مَسَبَّـــةٌ للغـــابِـــر(٦) [١٥٣/١٣]

هـــمْ ينظـــرونَ إذا مَـــددتَ إليهـــمُ ... نظـــرَ التيُـــوس إلـــى شِفـــارِ الجـــازر

---

(١) ما عدا ط، حـ، ها، مب: «ابن عمك يلوي من أمور».

(٢) تئط: تحن. ما عدا حـ، ط، ها، مب: «وقنيط» محرّف عنه.

(٣) الحش، بتثليث الحاء: أصله البستان وجماعة النخل. وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة ذهبوا إليها، ثم سمى المتوضأ به، نحو تسميتهم الفناء عذرة.

(٤) هذا الصواب في ط، ها، مب فقط. وفي حـ: «فأتى أخاه مروان ابن حسّان لا حاجة لنا فما تركت». وفي سائر النسخ: «فأتى أخـ مروان بن حسّان فقال له لا حاجة لنا فيما تركت».

(٥) ما عدا ط، ها، مب: «كالفاجر».

(٦) الغابر: الباقي. أي أمواتهم كذلك عار على الأحياء.

خُزْرَ العيونِ منكِّسِي أذقانِهم نظرَ الذّليلِ إلى العزيزِ القاهِرِ

جواب ابن الحكم له:

فقال ابن الحكم:

لقد أبقَى بنو مروانَ حُزناً مُبيناً عارُه لبني سَوادِ
أطافَ به صَبيحٌ من مِشيدٍ ونادى دَعوة: يابْنَيْ سُعادِ[(١)]
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لا حياةَ لمن تنادِي

هجاء أبي واسع لابن حسّان:

قال أبو عبيدة: فاعتَنَّ أبو واسع[(٢)] أحدُ بني الأسعر[(٣)] من بني أسد بن خُزَيمة، لابن حَسان دون ابنِ الحكم، فهجاه وعيَّره بضرب ابن المعطِل أباه حسّانَ على رأسه، وعيَّرهم بأكل الخُصَى، فقال:

إنَّ ابنَ المعطَّلِ من سُلَيمٍ أذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطامِ
عَمِدتَ إلى الخُصَى فأكلتَ منها لقد أخطأتَ فاكهةَ الطعامِ
وما للجارِ حينَ يُحلُّ فيكمْ لديكم يا بني النجّارِ حامِ
/ يَظلُّ الجار مفترشاً يديهِ [مخافتكم لدى مَلَثِ الظَّلامِ[(٤)]
وينظُر نظرةً في مِذرَوَيهِ[(٥)]] وأخرى في استِهِ والطَّرفُ سامِ

[١٠/١١٨]

قال: فلما عَمَّ بني النجّار بالهِجاء ولا ذنبَ لهم دَعَوُا الله عزّ وجلّ عليه، فخرجَ من المدينة يريد أهلَه فعرَضَ له الأسدُ فقَضْقضه[(٦)]، فقال ابنُ حسّان في ذلك:

شعر ابن حسان في مصرع ابن واسع:

أبلغْ بني الأسعرِ إن جئتَهم ما بالُ أبناءِ بني واسعِ[(٧)]
والليثُ يعلوهُ بأنيابه معتفِراً في دمه الناقعِ[(٨)]
إذ تركوهُ وهو يَدعوهمُ بالنَّسبِ الداني وبالشاسعِ[(٩)]

---

(١) حـ: «يطيف». فيما عدا ط، حـ، ها: «يابنى سعاد».

(٢) اعتن: اعترض.

(٣) ما عدا ط، حـ، مب: «الأشعر» بالشين المعجمة.

(٤) ملث الظلام: اختلاطه.

(٥) عجز البيت السابق وصدر هذا، هما من ط، ها، مب فقط. أما سائر النسخ ففيها عجز هذا البيت مع صدر البيت السابق. والمذروان: فرعا الأليتين.

(٦) قضقضه: كسره وحطمه. ها: «فقصفه». ط، مب: «فغضغضه» حـ: «ففضفضه» وهاتان محرفتان.

(٧) ما عدا ط، حـ، ها، مب: «بني الأشعر» بالشين المعجمة.

(٨) اعتفره الأسد، إذا افترسه.

(٩) الشاسع: البعيد. ما عدا ط، ها، مب: «بالسبب الداني».

لا يــرفَــعِ الــرحمٰــنُ مصــروعَكــم ولا يُــســوهُــي قُــوّةَ الصــارعِ[١]

فقالت له امرأته: ما دعا أحدٌ قبلك للأسدِ بخيرٍ قطّ. قال: ولا نَصَر أحداً كما نصرني.

دعوة مسكين الدارمي لابن حسّان أن يتهاجيا:

وقال ابن الكلبيّ: كان الأخطلُ ومسكينٌ الدارميُّ صديقين لابن الحكم، فاستعان بهما على ابن حسّان، فهجاه الأخطل، وقال له مسكين: ما كنتُ لأهجوَ أحداً أو أُعذِرَ[٢] إليه. فكتب إليه مِسكينٌ بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة، فقال في أوّلها:

/ ألا إنّ الشّبــابَ ثيــابُ لُبْــسٍ ومــا الأمــوالُ إلاّ كــالظُّــلالِ [١١٩/١٥]

فــإن يبــلَ الشّبــابُ فكــلُّ شــيءٍ سمعــتَ بــهِ ســوى الــرحمٰــنِ بــالِ

جواب ابن حسان:

وهي طويلةٌ جداً، يفخرَ فيها بمآثر بني تميم. فأجابه ابنُ حسّان فقال:

أتــانــي عنــك يــا مسكيــنُ قــولٌ بــذلــتُ النّصــفَ فيــه غيــرَ آلِ[٣]

دعــوت إلــى التنــاضُــل غيــر قَحْــمٍ ولا غُمــرٍ يَطيــر لــدى النضــالِ[٤]

وهي أطولُ من قصيدة مسكين. ثم انقطع التناضُل بينهما.

تحريض الأخطل على هجاء الأنصار:

قال دِماذ: فحدّثني أبو عبيدة قال: حدّثني أبو حيّة النميري قال: حدّثني الفرزدق قال:

كُنّا في ضيافةِ معاوية، ومعنا كعبُ / بن جُعَيل التّغلبي، فحدّثني أنّ يزيد بن معاوية قال له: إنّ ابن حسّان ١٥٤/١٣ فضحَ عبدَ الرحمٰن بن الحكم وغلَبه، وفضحنا، فاهجُ الأنصار. قال: فقلت له: أرادّي أنت في الشرك، أأهجو قوماً نصروا رسولَ الله ﷺ وآله وآوَوْه؟ ولكنّي أدلُّك على غلامٍ منا نصرانيٍّ لا يبالي أن يهجوَهم، كأنّ لسانَه لسانُ ثور. قال: من هو؟ قلت: الأخطل. فدعاه وأمره بهجائهم، فقال: على أن تمنعَني؟ قال: نعم.

قال أبو عبيدة: إن معاويةَ دسّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم، فدلَّه على الأخطل، فقال الأخطل قصيدتَه التي هجا فيها الأنصار، وقد مضت ومضى خبرُها وخبر النعمان بن بشير.

/ وزاد أبو عبيدة عمن روينا ذلك عنه: أنّ النعمان بن بشيرٍ ردَّ على الأخطل فقال: [١٢٠/١٥]

أبلــغ قبــائــل تغلــبَ ابنــةِ وائــلٍ مَــن بــالفــرات وجــانــبِ الثّــرثــار[٥]

(١) ما عدا ط، ها، مب: «لا يرفع الرحمٰن مصدوعهم» و«الصادع».

(٢) أعذر إليه: لم يبق فيه موضعاً للاعتذار. ما عدا ط، حـ، ها، مب: «واعتذر إليه». تحريف.

(٣) النصف: الإنصاف والمعدلة. غير آل: غير مقصر ولا تارك.

(٤) القحم: الذي قد أقحمته السن تراه قد هرم من غير أوانِ الهرم. والغمر: هو الجاهل الغر الذي لا تجربة له.

(٥) الثرثار: وادٍ عظيم بالجزيرة.

فـالـلـؤمُ بيـن أنـوفِ تغلـبَ بيِّـنٌ ... كـالـرَّقْـم فـوقَ ذراعِ كـلِّ حمـارِ

قال: فخافه الأخطلُ أن يهجوَه، فقال فيه:

عـذرت بنـي الفُـرَيعـة أن هَجَـونـي ... فمـا بـالـي وبـالُ بنـي بشيـر[1]

أُفيحِـجُ مـن بنـي النجّـار شَثْـنٌ ... شـديـدُ القُصْـرَيَيْـنِ مـن السَّحـورِ

ولم يرد على هذين البيتين شيئاً في ذِكرِه.

قال أبو عبيدة في خبره أيضاً: إن الأنصار لمَّا استعدَوْا عليه معاويةَ قال لهم: لكم لسانُه إلاّ أن يكون ابني يزيدُ قد أجاره. ودسَّ إلى يزيد من وقته: إني قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأَجِرْه. فأجاره، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إياه:

دعـا الأخطـلُ الملهـوف بـالشَّرِّ دعـوةً ... فـأيّ مجيـبٍ كنـتُ لمَّـا دعـانيـا

ففـرّجَ عنـه مَشهـدَ القـوم مشهـدي ... وألسِنَـةَ الـواشيـن عنـه لسـانيـا

[١٢١/١٥

صوت

كـان لـي يـا شُقَيـر[2] حبُّـكِ حَيْنـا ... كـاد يقضـي علـيَّ لمَّـا التقينـا

يعلـمُ الله أنكـم لـو نـأيتـمْ ... أو قَـرُبتـم أحـبُّ شـيء إلينـا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى، وجعلت مكان «ياشقير»[2]: «يا يزيد». وفي هذا الشعر للهذلي خفيفُ ثقيل أول مطلق بالوسطى. وزعم عمرو بن بانة أنه للأبجر. وقال الهشامي: لحن الأبجر ثقيل أولٍ بالبنصر. وفيه للدارمي وابن فروخ[3] خفيف ثقيل، ولحن الدارمي فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

---

(١) أفيحج: تصغير أفحج، وهو الذي تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتنفحج ساقاه. ط، مب: «أصحح» حـ: «أفجح» وفي سائر النسخ ما عداها «أفحج»، صوابه من «الديوان» ٣١٣. والشثن: الغليظ. ط فقط: «سير» وبدلها في «الديوان»: «يضحي». والقصريان: ضلعان تليان الترقوتين. ما عدا ط، حـ، ها، مب و «الديوان»: «شديد العصرتين» محرّف. والسحور: طعام السحر. ط فقط: «من السيور». وبعدهما في «الديوان» بيتان آخران، وهما:

وقـد جـاريـت قـد علمـت معـد ... بـلا وانـي اليـديـن ولا قصيـر

بـذي شـق علـى الضبـرات حتـى ... يليـن علـى التحفـف والشخيـر

الضبرات: الوثبات، جمع ضبرة. والتخفف، بفاءين: دوي جري الفرس.

(٢) ما عدا ط، ها، مب: «يا سقير» بالسين المهملة.

(٣) ط، مب: «ابن فروج».

/ أخبار حَبابة

[١٥/ ١٢٢]

صفة حبابة:

كانت حَبابة مولَّدة من موالدات االمدينة، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل ابن مِينا. وهو خَرَّجها وأدّبها. وقيل: كانت لآل لاحقٍ المكيِّين. وكانت حلوة جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء، طيِّبة الصوت، ضاربةً بالعود. وأخذت الغناء عن ابن سريج، وابن مُحرز، ومالك، ومعبد، وعن جميلةَ وعَزّة الميلاء. وكانت تسمَّى العالية[١]، فسمّاها يزيد / لما اشتراها حَبابة. وقيل: إنّها كانت لرجل يعرف بابن مينا.

١٥٥
١٣

شراء يزيد لحبابة:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: حدّثني حاتم بن قبيصة قال:

وكانت حبابة لرجلٍ يدّعى ابنَ مينا، فأُدخِلت على يزيد بن عبدِ الملكِ في إزارٍ له ذَنَبانِ، وبيدها دف تَرمِي به وتتلقّاه، وتتغنّى:

ما أحسنَ الجِيد من مُلَيكةَ واللَّبَّاتِ إذْ زانَها ترائبُها
يا ليتني ليلةً إذا هجع النّاسُ ونام الكلاب صاحبُها
في ليلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ يسعَى علينا إلاّ كواكبُها[٢]

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية، فلما كان بعد ما ولي يزيدُ اشتراها.

فرح يزيد بشراء سلامة وحبابة:

وروى حمّاد عن أبيه عن المدائني عن جرير المديني، ورواه الزبير بن بكّار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال:

[١٥/ ١٢٣] / قال لي يزيد بن عبدالملك: ما تقَرُّ عيني بما أوتيتُ من الخلافة حتّى أشتريَ سَلاّمة جارية مُصعب بن سهيل الزهري، وحَبابةَ جاريةَ لاحقٍ المكيّة. فأرسلَ فاشتُرِيتا له، فلما اجتمعَتا عندَه قال: أنا الآنَ كما قال القائل[٣]:

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النوى كما قَرَّ عينا بالإيابِ المسافر

---

(١) حـ فقط: «الغالية» بالغين المعجمة.

(٢) يسعى هنا من السعاية، وهي الوشاية.

(٣) هو معقر بن حمّار البارقي يصف امرأة كانت لا تستقر على زوج، كلما تزوّجت رجلاً فارقته واستبدلت آخر به، ثم تزوجها رجل فرضيت به. وتنسب البيت التالي أيضاً إلى عبد ربه السلمي، وإلى سليم بن ثمامة الحنفي. انظر «اللسان» (عصا).

قال إسحاق: وحدّثني أبو أيوب عن عَباية قال: كانت حبابة لآل رمّانة، ومنهم ابتيعت ليزيد.

لقاء حبابة بذي خشب:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافنّة[١] عن شيخ من أهل ذي خُشُب[٢] قال:

خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مُشاةٌ، فإذا قبةٌ فيها جارية، وإذا هي تغنّي:

سلكـــوا بطـــنَ مَحِيــصٍ ثـــم ولَّـــوْا راجعينـــا[٣]
أورثـــونـــي حِيـــنَ ولَّـــوْا طُـــولَ حُـــزنٍ وأنينـــا

قال: فسرنا [معها][٤] حتّى أتينا ذا خُشب، فخرج رجل معها، فسألناه، وإذا هي حَبابةُ جارية يزيد، فلما صارت إلى يزيد أخبرَتْه بنا، فكتبَ إلى والي المدينة يعطيَ كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألف درهم.

[١٥/١٢٤] /**موالي حبابة وذكر من اشتراها:**

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني إسحاق عن المدائني. وروى هذا الخبر حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني، وخبرُه أتم:

أنّ حَبابة كانت تسمى العالية، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة، فقدّم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوّج سَعْدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، على عشرين ألف دينار، وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله[٥] بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار[٦]، فبلغ ذلك سليمان فقال: لأحجُرنَّ عليه. فبلغ يزيدَ قولُ سليمان فاستقال مولى حبابة[٧]، ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية، فلما ولي يزيدُ اشترتها سَعدة امرأتُه وعلمتْ أنه لا بدّ طالبها ومشتريها، فلما حصلت عندها قالت له: هل بقي عليك من الدُّنيا شيء لم تنله؟ فقال: نعم، العالية. فقالت: هذه هي، وهي لك. فسمّاها حبابة، وعظم قدر سَعدة عنده. ويقال إنها أخذَتْ عليها قبل أن تهبها له أن توطِّىء لابنها[٨] عنده في ولاية العهد وتحضِرها ما / تحبّ[٩] [إذا حضرت][١٠]. ١٥٦/١٣

وقيل إنّ أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له، وأخذت عليها ذلك، فوفَتْ لها بذلك. هكذا ذكر

---

(١) ما عدا ط، ها، مب: «ماقية».

(٢) ذو خشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة.

(٣) محيص: موضع بالمدينة. ما عدا ط: «مخيض» بالخاء المعجمة، وهو اسم موضع ورد ذكره في الغزوات.

(٤) هذه الكلمة من ط، ها، مب فقط.

(٥) ما عدا ط، هـ، مب: «بن عبيد الله» بالتصغير، تحريف. ولربيحة هذه خبر في كتاب «المردفات من قريش». انظر «نوادر المخطوطات» تحقيق عبد السلام هارون المجلد الأوّل ص ٧٤.

(٦) ما عدا ط، ها، مب: «بألف دينار». وما في ط، ها، مب يطابق ما سيأتي بعد.

(٧) استقاله: طلب منه أن يقيله، أي يفسخ البيع.

(٨) ط، هـ، مب: «لابنه» ها «لأبيها».

(٩) ها: «بما تحب».

(١٠) التكملة من مب.

الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن علي عن هارون بن محمد، عنه عن عمه. قال: ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ.

/ قال المدائني: ثم خطب يزيدُ إلى أخيها خالدٍ بنتَ أخ له، فقال: أما يكفيه أنّ سَعدة عنده حتّى يخطب إلى بناتِ أخي؟ وبلغ يزيدَ فغضب، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه، فبينا هو في فُسطاطه إذ أتتْه جاريةٌ لحبابة في خَدَمِها فقالت له: أمُّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك: قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضي عنك. فالتفتَ فقال: مَن أم داود؟ فأخبره من معه أنّها حبابة، وذكر له قدرَها ومكانها من يزيد. فرفع رأسَه إلى الجارية فقال: قُولي لها: إنَّ الرضا عنّي بسبب لستِ به. فشكت ذاك إلى يزيد فغضب، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان، فاقتلعوا فُسطاطَه وقلَعوا أطنابه، حتّى سَقط عليه وعلى أصحابِه، فقال: ويلكم ما هذا؟ قالوا: رسُل حبابة، هذا ما صنعتَ بنفسك. فقال: مالها أخزاها الله، ما أشبه رضاها بغضبها! [١٥/١٢٥]

شعر الحارث بن خالد في حبابة:

قال إسحاق: وحدّثني محمد بن سلّام عن يونس بن حبيب، أنّ يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة، وكان اسمها العالية، بأربعة آلاف دينار، فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها:

ظَعَـن الأميـرُ بـأحسـنِ الخلـقِ ... وغـدَوْا بلُبِّـك مطلِـعَ الشـرقِ
مَـرّت علـى قَـرَن يُقـاد بهـا ... تعـدو أمـامَ بَـراذِنٍ زُرقِ[١]
فظلِلـتُ كـالمقمـور مُهْجَتَـه ... هـذا الجنـونُ وليـس بـالعشـقِ[٢]
يـا ظبيـةً عِبـقَ العبيـرُ بهـا ... عَبـقَ الـدِّهـانِ بجـانـب الحُـقِّ

/ وغنته حبابة في الشعر، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته، فقال لها: غنّيني به. فغنته فأجادت وأطربته، فقال إسحاق: ولعمري إنه من جيد غنائها. [١٥/١٢٦]

قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا غلطٌ ممّن رواه في أبيات الحارث بن خالد؛ لأنه قالها في عائشةَ بنت طلحة، لمّا تزوّجها مصعب بن الزبير وخرج بها[٣]. وفي أبياته يقول:

فـي البيـت ذي الحسَـب الـرفيـع ومِـن ... أهـل التقـى والبِـرّ والصِّـدقِ

وقد شُرح ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة.

قال إسحاق: وأخبرني الزبيري أنّ يزيد اشتراها وهو أمير، فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالدٍ فيها:

قـد سُـلَّ جسمـي وقـد أودَى بـه سَقَـمٌ ... مـن أجل حَيٍّ جلَوْا عـن بلـدةِ الحَـرمِ[٤]

---

(١) قرن، بالتحريك: جبل، ذكره ياقوت، وأنشد هذه الأبيات فيه منسوبة إلى عبيد الله بن قيس الرقيات، وكذلك وردت هذه النسبة في كتاب «المردفات من قريش» ٦٥ من «نوادر المخطوطات» المجلد الثاني. والصواب أن يكون: «القرن» هنا: البعير المقرون بآخر. تعدو، أي يعدو بعيرها. ورواية ياقوت: «يقاد بها جمل».

(٢) المممور: المغلوب في القمار. ورواية المردفات: «خلمته» بدل «بهجته».

(٣) وهي إحدى نسبتي «كتاب المردفات».

(٤) فيما عدا ط، مب: «قد خلوا» محرّف.

يحنُّ قلبي إليها حين أذكرها … وما تذكرتَ شوقاً آبَ من أمَمِ[1]

إلاّ حنيناً إليها إنّها رشأٌ … كالشَّمس رُودٌ ثقالٌ سهلة الشيَمَ[2]

فضَّلها اللَّهُ ربُّ الناس إذ خُلِقت … على النساءِ مِنَ أهل الحزم والكرمِ

أقوال الشعراء فيها:

وقال فيها الشعراء فأكثروا، وَغنّى في أشعارهم المغنّون من أهل مكة والمدينة، وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعه، فقال: هذا قَبلَ رحلتِنا وقد هَمَمنا، فكيف لو ارتحلنا؟! وتذكر القومُ / شدّة الفراق، وبلغه أيضاً أن سليمانَ قد تكلَّم في ذلك، فردّها، ولم تزلْ في قلبه حتَّى مَلَكَ، فاشترتها سعدة امرأته العُثمانية، ووهبتها له. ١٥٧/١٣

[١٥/١٢٧] / **منزلة حبابة عند يزيد:**

أخبرني ابن عمّار قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال: حدّثني أبو ذُفافة المنهال بن عبد الملك، عن مروان بن بشر بن أبي سارَةَ مولى الوليد بن يزيد، قال:

أوّل[3] ما ارتفعت به منزلةُ حبابة عند يزيد أنّه[4] أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه، فقام من وراءِ الستر فسمعها تترنم وتغنّي وتقول:

كان لي يا يزيدُ حبُّكَ حَيناً … كاد يقضي عليَّ لما التقينا[5]

ـ والشعر كان «يا شُقير»[6] ـ فرفع الستر فوجدَها مضطجعةً مُقْبِلة على الجدار، فعلم أنها لم تَعلمْ[7] به ولم يكن ذاكَ لمكانه، فألقى نفسَه عليها وحَرّكت منه.

قال المدائني: غلبت حبابة على يزيد، وتَبَنّى بها عمر بن هبيرة فعلّت منزلته، حتى كان يدخُل على يزيد في أيِّ وقت شاء، وحسّد ناسٌ من بني أُمية مَسلمة بن عبد الملك على ولايته، وقدَحوا فيه عند يزيد، وقالوا: إن مسلمة إنّ اقتطع الخراج لم يحسُن يا أمير المؤمنين أن تَفتِشه أو تكشفه[8] عن شيءٍ، لِسنّه وحَقّه[9]، وقد علمتُ أنّ أمير المؤمنين لم يُدخل أحداً من أهل بيته في الخراج. فوَقَر ذلك في قلب يزيد[10]، وعزَم على عزله، وعمل ابنُ هبيرة في ولاية العراق من قبل حَبابة، فعملت له في ذلك. وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوةٌ، وكانا يتنازعان ويتحاسدان، فقيل للقعقاع لقد: نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلةً، / إنه لصاحِب العراقِ غداً. فقال [١٥/١٢٨]

(١) الأمم، بالتحريك: القرب.

(٢) الرود، بالضم، وأصلها الهمز: الشابة الحسنة. والثقال، كسحاب: العظيمة الكفل.

(٣) بدلهما فيما عدا ط، ها، مب: «الماء».

(٤) كلمة «به» و «أنه» من ط، حـ، ها، مب.

(٥) الحين، بالفتح: الهلاك.

(٦) ما عدا ط، هـ، مب: «يا سقير».

(٧) الكلام بعده إلى نهاية السطر الأول بعد الأبيات الدالية التي ستأتي، ناقص من نسخة ط.

(٨) هذا ما في ها، مب. وفي س: «أن يستكشف». وفي سائر النسخ: «أن يعيشه وأن يكسبه» تحريف.

(٩) ما عدا «ها»، مب: «وخفته».

(١٠) وقر في قلبه، أي ثبت وسكن.

ومن يطيق ابن هبيرة؟! حبابة بالليل، وهداياه بالنهار، مع أنه وإن بَلَغ فإنه رملٌ من بني سُكين[١]. فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها.

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدّث بهذا الحديث، فحفِظته ولم أحفظ إسناده. وحدّثنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال: حدّثنا مصعب الزبيري، عن مصعب بن عثمان. وقد جمعت روايتيهما قالا:

أراد يزيدُ بن عبد الملك أن يشبّه بعمر بن عبد العزيز وقال: بماذا صار عمر أرْجَى لربّه[٢] جلّ وعزّ منّي؟ فشقّ ذلك على حبابة؟ فأرسلت إلى الأحوص.

مسلمة ويزيد بن معاوية:

هكذا في رواية وكيع، وأما عمر بن شبّة فإنه ذكر أنّ مسلمة أقبلَ على يزيد يلومُه في الإلحاح على الغناء والشُّرب، وقال له: إنك وَلِيت بعقب عمر بن عبد العزيز وعَدلِه، وقد تشاغَلتَ بهذه الأمّة عن النظر في الأمور، والوفودُ ببابك، وأصحابُ الظُّلامات يصيحون، وأنت غافل عنهم. فقال: صدقتَ والله، وأعتبَه وهمَّ بترك الشُّرب، ولم يدخل على حبابة أياماً، فدَسّت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك وقالت له: إن رددته عن رأيه فلك ألفُ دينار. فدخل الأحوص إلى يزيد، فاستأذنَ في الإنشاد، فأذِن له.

قال إسحاق في خبره: فقال الأحوص:

[١٥/١٢٩]

/ صوت

ألاَ لاَ تلُمْـــه اليـــومَ أن يتبلَّـــدا	فقـد غُلِـب المحـزونُ أن يتجلَّــدا
بكيتُ الصِّبا جَهدِي فمن شاء لامني	ومَن شاء آسَى في البكاء وأسْعَدا
/ وإنّي وإنْ فُنِّدتُ في طلب الغنى	لأعلمُ أنّي لستُ في الحبِّ أوحدا[٣]
إذا أنتَ لم تعشِق ولم تَدرِ ما الهوى	فكن حجراً من يابس الصخرِ جلمدا
فما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهي	وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنّدا[٤]

[١٥٨/١٣]

الغناء لمعبد، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وفيه رمل للغريض. ويقال إنه لحبابة.

قال[٥]: ومكث جُمعةً لا يرى حَبابة ولا يدعو بها، فلما كان يومُ الجمعة قالت لبعض جواريها: إذا خرج أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلِميني. فلما أراد الخروجَ أعلَمتها، فتلقّته والعودُ في يدها، فغنت البيت الأوّل، فغطّى وجهه وقال: مَهْ لا تفعلي. ثم غنت:

* وما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهي *

---

(١) سكين، بالتصغير: أحد أجداده، كما في ترجمة يزيد بن عمر بن هبيرة، في «وفيات الأعيان».

(٢) الرجاء: الخوف. قال عزّ وجلّ: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾، أي لا تخافون لله عظمة.

(٣) التفنيد: التكذيب، والتعجيز وتخطيء الرأي.

(٤) الشنان والشنآن: العداوة والبغض.

(٥) إلى هنا ينتهي سقط ط الذي سبق التنبيه عليه.

فعدل إليها وقال: صدقتِ والله، فقبَح الله مَن لامني فيكِ، يا غلام مُرْ مسلمةَ أن يصلِّيَ بالناس. وأقام معها يشربُ وتغنيه، وعاد إلى حاله[١].

وقال عمر بن شبّة في حديثه: فقال يزيد: صدقتِ والله، فعلَى مسلمةَ لعنةُ الله! وعاودَ ما كان فيه، ثم قال لها: مَن يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص. فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها، وأوّلها قوله:

يا مُوقِدَ النار بالعَلْياء من إضَمِ ... أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ منصرِمِ[٢]

[١٣٠/١٥] / وهي طويلة. فقال له يزيد: ارفع حوائجك. فكتب إليه في نحوٍ من أربعين ألفَ درهم من دَيْنٍ وغيره، فأمر له بها.

وقال مصعب في خبره: بل استأذن الأحوص على يزيد، فأذن له، فاستأذن في الإنشاد، فقال: ليس هذا وقتك. فلم يزل به حتى أذِن له. فأنشده هذه الأبيات، فلما سمعها وثبَ حتّى دخل على حَبابة وهو يتمثل:

وما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهِي ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنّدا

فقالت له: ما ردّكَ يا أمير المؤمنين؟ فقال: أبياتٌ أنشدَنيها الأحوص، فسلي ما شئت. قالت: ألف دينار تُعطيها الأحوص. فأعطَاه ألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

يا مُوقِدَ النار بالعَلْياء من إضَمِ ... أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ مُنصرِمِ

يا مُوقِدَ النار أوقِدها فإن لها ... سَناً يَهيج فؤادَ العاشقِ السَّدِمِ[٣]

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، عن يونس وإسحاق وعمرو. وذكر حبَش أن فيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جامع.

مولى خراساني يعظ يزيد بن عبد الملك:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني علي بن القاسم بن بشير قال:

لما غلبَ يزيدُ بن عبد الملك أهلَه وأبى أن يسمعَ منهم كلّموا مولًى له خراسانياً ذا قَدْر عندهم، وكانت فيه [١٣١/١٥] لُكنة، فأقبل على يزيدَ يعظه وينهاه عما قد ألحَّ عليه / من السَّماع للغِناء والشراب، فقال له يزيد: فإني أُحضِرك هذا الأمرَ الذي تنهى عنه، فإن نهيتَني عنه بعد ما تَبلوه وتحضُره انتهيتُ، وإنّي مخبر جواريَّ أنك عمٌّ من عُمومتي، فإياك أن تتكلّمَ فيعلمْنَ أنّي كاذب، وأنّك لست بعمّي. ثم أدخله عليهنّ فغنَّين، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئاً، حتّى غنين:

١٥٩/١٣ / وقد كنتُ آتيكم بعِلّةِ غيركم ... فأفنيتُ عِلاتي فكيف أقولُ

---

(١) ما عدا، ها، مب ط: «إلى حبابة».

(٢) إضم، كزارم: وادٍ يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر.

(٣) سنا النار: ضوؤها. ما عدا ط، ها، مب: «شبا» محرّف. والسدم: الحزين المغتاظ.

فطرب الشيخ وقال: لا فَيف، جعلني الله فِداكنّ! يريد: لا كيف. فعلمن أنه ليس عمّه، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضربنه بها، حتّى حجزهنّ يزيدُ عنه. ثم قال له بعدما انقضى أمرُهن: ما تقول الآنَ أدعُ هذا أم لا؟ قال: لا تدعه!

حبابة تردّ يزيد إلى ما كان عليه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعي الأسلمِيّ، عن محمد بن سَلَمة، عن أبيه عن حمادِ الراويةِ قال:

كانت حَبابة فائقةً في الجمالِ والحسن، وكان يزيدُ لها عاشقاً، فقال لها يوماً: قد استخلفتُك على ما وردَ عليّ. ونصبتُ لذلك مولايَ فلاناً فاستخلِفيهِ لأقيم معكِ أيّاماً وأستمتع بك. قالت: فإنّي قد عزلتُه. فغضب عليها وقال: قد استعملتُه وتعزلينه؟ وخرجَ من عندها مغضَباً، فلما ارتفع النّهار وطال عليه هَجرُها دعا خَصِيًّا له وقال: انطلقْ فانظرْ أيَّ شيء تصنع حَبابة؟ فانطلق الخادم ثم أتاه، فقال: رأيتها مؤتزرة بإزار خَلوقيّ[1] قد جعلَتْ له ذَنَبين وهي تلعبُ بلُعَبِها. فقال: ويحكَ احتلْ لها حتّى تمرّ بها عليّ. فانطلق الخادِمُ إليها فلاعبَها ساعة، ثم استلبَ لُعبة من لعبها وخرجَ، فجعلت تُحضِر في أثَره، فمرت بيزيدَ فوثب وهو يقول: قد / عزلتُه! وهي تقول: قد استعملته! [١٣٢/١٥] فعزل مولاه وولّاه وهو لا يدري. فمكث معها خالياً أياماً حتّى دخل عليه أخوه مَسلمة فلامه، وقال: ضيعتَ حوائج الناس واحتجبتَ عنهم، أترى هذا مستقيماً لك؟! وهي تسمعُ مقالته، فغنّت لما خرج:

* ألا لا تلمْهُ اليومَ أن يتبلدا *

فذكرت الأبيات. فطربَوقال: قا تلك الله أبيتِ إلا أن تردّيني إليكِ. وعاد إلى ما كان عليه.

حبابة وسلامة تغنيان يزيد بشعر للأحوص فيعود إلى الصبا:

أخبرني إسماعيل قال: حدّثني عمي قال: حدّثني إسحاق قال: حدّثني الهيثم بن عديّ، عن صالح بن حسّان قال:

قال مسلمة ليزيد: تركتَ الظُّهور[2] وشهودَ الجمعة الجامعة، وقعدتَ في منزلك مع هذهِ الإماء! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص: قل في ذلك شعراً فقال:

وما العيشُ إلا ما تَلذُّ وتَشتهي ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفنّدا

بكيتُ الصِّبا جَهدي فمن شاء لامني ... ومن شاءَ آسَى في البكاء وأسعدا

وإنّي وإن أغرقتُ في طَلَب الصبا ... لأعلمُ أنّي لستُ في الحبّ أوحدا!

إذا كنتَ عِزهاةً عن اللّهو والصبا ... فكن حجراً من يابس الصخر جَلمدا[3]

قال: فغنتا يزيد فيه، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال: صدقتما صدقتما! فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به.

---

(١) كلمة «مؤتزرة» من ط، ها، مب فقط. وخلوقي، كأنه يريد لونه كلون الخلوق. والخلوق بفتح الخاء: طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

(٢) ما عدا ط، ها، مب: «الطهور» بالطاء المهملة.

(٣) العزهاة: المنقبض المعرض.

[١٥/١٣٣] / قال: وطرب يزيد فقال: هاتيا. فغنتاه من هذه القصيدة:

وعَهـدِي بهـا صفـراءَ رُوداً كـأنمـا نضا عَرَقٌ منها على اللون مُجسَدا[١]

مهفهفـة الأعلـى وأسفـل خلقِهـا جـرى لحمُـه مـا دونَ أن يتخـددا[٢]

مـن المـدمَجات اللحمِ جَـدلاً كـأنها عِنان صَناعٍ مـدمجُ الفتـل محصَدا[٣]

كـأنّ ذكِـيَّ المسـك بـادٍ وقـد بـدت وريـحَ خُـزاميَ طَلّـةٍ تنفـح النـدى[٤]

١٦٠/١٣ فطرِب يزيدُ وأخذ فيه من الشراب قدرَه الذي كان يطرب منه ويسرّه، ولم تَرَهُ أظهر شيئاً / مما كان يفعله عند طربه، فغنته:

ألا لا تَلمْـه اليـومَ أن يتبلّـدا فقـد غُلِـب المحـزونُ أن يتجلّـدا

نظـرتُ رجـاء بـالمـوقّـر أن أرى أكـارِيـس يحتلُّـون خـاخـا فمنشِـدا[٥]

فـأوفيتُ فـي نَشْـزٍ مـن الأرض يـافـعٍ وقـد تُسعِف الأيفاعُ من كـان مُقصَدا[٦]

فلما غنته بهذا طرب طرَبه الذي تعهده، وجعل يدور ويَصيح: الدُّخن بالنوى، والسمَك في بيطار جِنان[٧]. وشقّ حلته وقال لها: أتأذنين أن أطير؟ قالت: وإلى من تدع الناس؟ قال: إليك[٨].

[١٥/١٣٤] / قال: وغنته سَلّامةُ من هذه القصيدة:

فقلـتُ ألا يـا ليـت أسمـاءَ أصقَبـتْ وهـل قـولُ ليـتٍ جـامعٌ مـا تبـدّدا[٩]

وإنّـي لأهـواهـا وأهـوى لِقـاءهـا كمـا يَشتهـي الصـادي الشـرابَ المبـرَّدا

عـلاقـةَ حـبٍّ لَـجَّ فـي سَنَـن الصبـا فـأبلَـى ومـا يـزداد إلّا تجـدُّدا

سُهـوبٌ وأعـلام تخـال سـرابَهـا إذا استَنّ في القَيظ المُلاَءَ المعضَّدا[١٠]

قال: وغنته حَبابة منها أيضاً:

كـريـمُ قـريـشٍ حيـن يُنسَـبُ والـذِي أقـرّت لـه بـالملـك كَهـلاً وأمـردا

---

(١) في الأصول ما عدا «ها»: «رود»، والوجه النصب. والمجسد: الثوب المصبوغ بالجساد، وهو الزعفران.

(٢) مهفهفة: ضامرة. والتخدد: اضطراب اللحم من الهزال.

(٣) الجدل: شدّة الفتل. كناية عن عدم الترهل. ط: «جذلاً» صوابه في حـ، ها، مب. وفي سائر النسخ: «جدلي»، لعلّه مسهل «جدلاء». والجدلاء: المحكمة النسج. والعنان، بالكسر: الحبل. والصناع: الحاذق بالصنعة، يقال للذكر والأنثى. والمحصد: الشديد الفتل.

(٤) طلة: مطلولة. والطل: الندي. حـ: «ظلة» س، ب: «ظله» صوابهما في ط، ها.

(٥) الموقر: موضع بالبلقاء من نواحي دمشق. وخاخ: موضع بين الحرمين. ومنشد: موضع بين رضوى والساحل. والأكاريس: جمع أكراس، وهذه جمع كرس، بالكسر، وهو الجماعة من الناس. ما عدا ط، حـ، ها: «أكاديس» محرّف.

(٦) ما عدا ط، ها: «وقد ينفع». المقصد: الذي طعن أو رمى فلم تخط مقاتله.

(٧) كلمات يهذي بها. وكلمتا «بيطار» و «جنان» مهملتان في ط، مب. وسيأتي الكلام برواية أخرى فيما بعد.

(٨) الكلام من «قالت» إلى هنا ليس في حـ، ط، مب.

(٩) أصقبت: دنت. ما عدا ط، مب: «أصفيت» تحريف.

(١٠) أستن: أسرع. شبه السراب بالملاء المعضد، وهو المخطط على شكل العضد. في جميع الأصول: «المعمدا» ولا وجه له.

وليس عطاءٌ كان منه بمانع وإن جَلّ من أضعاف أضعافه غدا

أهانَ تِلاد المالِ في الحمد أنه إمامُ هدًى يَجري على ما تعوَّدا

تردَّى بمجدٍ من أبيه وأمِّه وقد أورثا بنيانَ مجد مشيَّدا

فقال لها يزيد: ويحكِ يا حبابة، ومن مِن قريش هذا؟ قالت: أنت. قال: ومن يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يا أمير المؤمنين. وقالت سلامة: فليسمع أميرُ المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها. ثم اندفعت فغنته:

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدا من الناس إنساناً لكنتَ المخلَّدا

فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشتُ شاكرا لنعماكَ ما طارَ الحمامُ وغَرّدا

قضاء معبد في المفاضلة بين حبابة وسلامة:

أخبرني إسماعيل قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: علي بن الجعد قال: حدّثني أبو يعقوب الخُرَيمي، عن أبي بكر بن عَياش: أن حَبابة وسَلّامة اختلفتا في صوت معبد:

ألاَ حيّ الديار بسَعد إنّي أحِبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

/ فبعثَ يزيد إلى معبد فأتي به، فسأل: لم بَعَث إليه؟ فأُخبر، فقال: لأيّتهما المنزلة عند أمير المؤمنين؟ [١٥/١٣٥] فقيل: لحبابة. فلما عَرَضَتا عليه الصوت قضى لحبابة، فقالت سلامة: والله ما قَضَى إلا للمنزلة، وإنّه ليعلم أنّ الصوابَ ما غنّيت، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صِلته لأنّ له عليّ حقًّا. قال: قد أذنت. فكان ما وصلَتْه به أكثر من حبابة.

نسبة هذا الصوت

ألا حَيِّ الديارَ بسَعَد إنّي أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا[١]

إذا ما حَلَّ أهلكِ يا سليمى بدارة صُلصلٍ شَحَطوا مَزارا[٢]

/ الشعر لجرير، والغناء لابن مُحرز، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر. ١٦١/١٣

بين الفرزدق والأحوص:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال:

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال له الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شِواءٌ وطِلاء وغِناء[٣]. قال: ذلكَ لك. ومضى به إلى قَيْنةٍ بالمدينة فغنته:

---

(١) سعد، بالفتح: موضع قريب من المدينة. وقد أنشد ياقوت الأبيات في (سعد) بضم السين على أنه ماء ونخل غربي اليمامة.

(٢) دارة صلصل لعمرو بن كلاب، كما في ياقوت. شحطوا: بعدوا. ط، مب و«ديوان جرير» ٢٨٠: «المزارا» وأثبت ما في ها. وفي سائر النسخ «الديارا» بالتكرار لما سبق.

(٣) الطلاء: الخمر، أو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وتسميه العجم «ميبختج».

ألا حَيِّ الديار بسعدَ إنِّي ... أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا[١]

أرادَ الظاعنون ليحزنوني ... فهاجُوا صَدعَ قلبي فاستطارا

[١٣٦/١٥] / فقال الفرزدق: ما أرَقّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملحَها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ فقال: لا والله. قال: هو لجرير، يَهجوك به. فقال: ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجَه مع عفافِهِ إلى صلابةِ شعري، وأحوجَني مع شهواتي إلى رقّة شعره.

الصوت الذي فوضل به بين حبابة وسلامة وبيان ما كان من أمر المفاضلة:

وقد روى صالح بن حسّان أن الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو:

وترى لها دَلّاً إذا نطقَتْ به ... تركَتْ بناتِ فُؤاده صُعْرا[٢]

ذكر ذلك حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ: أنهما اختلفتا في هذا الصوت بين يدَيْ يزيد، فقال لهما: من أينَ جاء اختلافُكما، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه؟ فقالت هذه: هكذا أخذته، وقالت الأخرى: هكذا أخذته. فقال يزيد: قد اختلفتما ومعبدٌ حيٌّ بعد؟ فكتبَ إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه.

ثم ذكر باقيَ الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عَيّاش.

قال صالح بن حَسّان: فلما دخل مَعبدٌ إليه لم يسألْه عن الصوت، ولكنه أمَره أن يغنّي، فغناه فقال:

فيا عَزّ إنّ واشٍ وشَى بيَ عندكم ... فلا تكرميه أن تقولي له مَهلا[٣]

فاستحسنه وطرب ثم قال: إنَّ هاتين اختلفَتا في صوتٍ لك فاقضِ بينهما. فقال لحبابة: غَنّي. فغنّت، وقال لسلامة: غنّي. فغنَّت، وقال: الصواب ما قالت حبابة. فقالت سلّامة: والله يا ابنَ الفاعلة إنك لتعلمُ أنّ الصواب ما قلت، ولكنك سألت أيَّتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة، فاتّبعتَ هواه ورِضاه! فضحِكَ يزيدُ وطرب، [١٣٧/١٥] وأخذ وِسادةً فصيَّرها على رأسه، وقام يَدُور في الدار ويرقص / ويصيح: «السمك الطريّ أربعة أرطال، عند بيطار حبان[٤]» حتى دار الدارَ كلَّها ثم رجع فجلس مجلسه وقال شعراً، وأمر معبداً أن يغنّي فيه، فغنّى فيه وهو:

أبلغ حَبابةَ أسْقَى ربعَها المطرُ ... ما للفؤادِ سِوى ذكراكُم وطرُ

إنْ سار صحبيَ لم أملِكْ تذكُّرَكم ... أو عَرَّسوا فهمومُ النفس والسَّهرُ

فاستحسنه وطرب. هكذا ذكر إسحاق في الخبر. وغيره يذكر أنّ الصنعة فيه لحبابة، ويزعم ابنُ خُرداذبه أن الصنعة فيه ليزيد. وليس كما ذكر، وإنما أراد أن يواليَ بين الخلفاء في الصنعة، فذكره على غير تحصيل، والصحيح أنه لمعبد.

---

(١) الكلام بعده إلى ما قبل الصوت التالي منقوص في ط.

(٢) صعرا: مائلات.

(٣) حـ: «أهلا».

(٤) انظر ما سبق في ص ١٣٣.

ألطاف سلامة وحبابة لمعبد:

قال معبد: فسُرَّ يزيدُ لمَّا غنيته في هذين البيتين، وكساني ووصلني، ثم لما انصرمَ مجلسه انصرفتُ إلى منزلي الذي / أُنزِلتُه، فإذا ألطاف سَلّامة قد سبقت ألطافَ حَبابة، وبعثت إليّ: إني قد عذرتُك فيما فعلتَ، لكِنْ كان الحقُّ أولى بك. فلم أزَلْ في ألطافهما جميعاً حتى أذِن لي يزيد، فرجعتُ إلى المدينة. ١٦٢/١٣

نسبة الصوت الذي غناه معبد الذي أوّله

* فيا عزَّ إنّ واشٍ وشَى بي عندَكم *

صوت

ألم يأنِ لي يا قلبُ أنْ أتركَ الجهلا ... وأنْ يُحدث الشيبُ المِلمُّ ليَ العقلا

على حين صار الرأسُ منّي كأنما ... عَلت فوقَه ندافةُ العُطْبِ الغزلا[1]

فيا عزَّ إن واشٍ وشَى بيَ عندَكم ... فلا تُكرميه أنْ تقولي له مهلا[2]

/ كما لو وشَى واشٍ بودِّك عندنا ... لقلْنا تزحزَحْ لا قريباً ولا سَهلا [١٣٨/١٥]

فأهلاً وسهلاً بالذي شَدَّ وصلنا ... ولا مرحباً بالقائلِ اصرِمِ لها حَبلا

الشعر لكثير، والغناء لحنين، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر ابن المكي وعمرو والهشامي أنه لمعبد. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج، وليس بصحيح.

حبابة ويزيد بن عبد الملك:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني ظبيةُ قالت: أنشدَتْ حبابةُ يوماً يزيدَ بن عبد الملك:

لعمركَ إنّني لأحِبُّ سَلْعاً ... لرؤيتها ومَنْ بجَنوب سَلِع

ثم تنفّسَتْ تنفّساً شديداً فقال لها: مالكِ، أنتِ في ذمة أبي، لئن شئتِ لأنقلنّه إليكِ حجراً حجراً. قالت: وما أصنع به، ليس إياه أردتُ، إنّما أردت صاحبَه. وربّما قالت: ساكِنَه.

نسبة هذا الصوت

لعمركَ إنّني لأحِبُّ سَلعاً ... لرؤيتها ومَن بجنوبِ سَلِع

تقرُّ بقُربها عيني وإنّي ... لأخشَى أن تكونَ تريدُ فجعي

حلفتُ بربِّ مكةَ والهدايا ... وأيدي السّابحاتِ غداةَ جَمع[3]

---

(١) العطب، بضم وبضمتين: القطن. ما عدا ط، جـ، ها، مط: «الفطن».

(٢) جـ فقط: «أهلاً».

(٣) جمع، بالفتح، هي المزدلفة.

لأنـتِ علـى التنـائـي فـاعلميـهِ أحـبُّ إلـيَّ مِـن بصـرِي وسمعـي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى، مما لا يشك فيه من غنائه.

سماع يزيد لحبابة وسلامة وحكمه بينهما:

قال الزبير: وحدّثتني ظَبيةُ أنّ يزيد قال لحَبابة وسَلاّمة: أيتكُما غَنّتْني ما في نفسي فلَها حُكمها. فغنّت سلاّمة فلم تُصِب ما في نفسه، وغنّته حبابة:

حِلَـقٌ مِـن بنـي كِنـانـةَ حَـولـي بفِلَسطيـن يُسـرِعـون الـركـوبـا

[١٣٩/١٥] / فأصابتْ ما في نفسه فقال: احتكمي. فقالت: سلامةُ، تهبُها لي ومالَها. قال: اطلبي غيرَها. فأبتْ، فقال: أنتِ أولى بها ومالِها. فلقيت سلاّمة من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حبابة: لا ترين إلا خيراً! فجاء يزيدُ فسألها أن ١٦٣/١٣ تبيعَه إياها بحكمها، فقالت: أُشهِدكَ أنّها حرة، / واخطُبْها إليَّ الآنَ حتّى أزوّجَك مولاتي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني إسحاق عن المدائني بنحوِ هذه القصة. وقال فيها: فجزعت سلاّمة، فقالت لها: لا تجزعي فإنّما ألاعِبه.

نسبة هذا الصوت

حِلَـقٌ مِـن بنـي كِنـانـة حَـولـي بفلسطيـن يُسـرِعـون الـركـوبـا

هَـزِئـتْ أن رأت مشيبِـيَ عِـرسِـي لا تلُـومِـي ذوائبِـي أن تشيبـا

الشعر لابن قيس الرقَيات، والغناء لابن سريج، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

اعتراف حبابة سلامة بالفضل:

قال حمّاد بن إسحاق: حدّثني أبي عن المدائني، وأيوب بن عباية قالا:

كانت سلامة المتقدّمةَ منهما[1] في الغناء، وكانت حبابة تنظُر إليها بتلك العين، فلما حَظِيت عند يزيد ترفّعت عليها فقالت لها سلاّمة: ويحكِ أينَ تأديب الغناء[2] وحقُّ التعليم؟ أنسيتِ قولَ جميلة لك: خذي أحكامَ ما أطارحكِ إياه من سلاّمة؟! فلن تزالي بخيرٍ ما بقيتُ لكِ وكان أمركما مؤتلفاً. قالت: صدقتِ يا خليلتي، والله لا عدتُ إلى شيءٍ تكرهينه. فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه. وماتت حبابة وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً.

[١٤٠/١٥] / قال المدائني: فرأى يزيدُ يوماً حَبابةَ جالسةً فقال: مالك؟ فقالت: أنتظر سلامة. قال: تحبِّين أن أهبَها لك؟ قالت: لا والله، ما أحب أن تهب لي أختي.

ولوع يزيد بحبابة:

قال المدائني: وكانت حبابة إذا غنّتْ وطرِب يزيدُ قال لها: أطير؟ فتقول له: فإلى من تَدعُ الناس؟ فيقول: إليك. والله تعالى أعلم.

(١) ط، جـ، مط: «منهن».

(٢) ما عدا ط، جـ، ها، مط: «تأدية الغناء».

وساطة حبابة للبيذق الأنصاري:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أيوب بن عَباية، أن البيذق الأنصاري القارىء كان يَعرف حبابة ويدخُل عليها بالحجاز، فلما صارت إلى يزيد بنِ عبد الملك وارتفعَ أمرُها عنده، خرجَ إليها يتعرّضُ لمعروفها ويستميحها، فذكرته ليزيدَ وأخبرتْه بحسن صوته. قال: فدعاني يزيدُ ليلةً فدخلتُ عليه وهو على فُرشٍ مُشرِفة قد ذَهَب فيها إلى قريبٍ من ثدييه، وإذا حَبابة على فُرش أُخَر مرتفعة، وهي دونَه، فسلّمتُ فردَ السلام، وقالت حبابة: يا أمير المؤمنين، هذا أبي. وأشارت إليّ بالجلوس، فجلست وقالت لي حَبابةُ: اقرأ يا أبتِ. فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تَنحدِر، ثم قالت: إيهٍ يا أبَتِ حدِّثْ أمير المؤمنين، وأشارتْ إليَّ أن غنِّه. فاندفعتُ في صوت ابن سُرَيج:

مـــــن لصـــــبٍّ مفنّـــــدِ   هـــائـــم القلـــب مُقْصَـــدِ[1]

فطرِبَ والله يزيدُ فحذَفني بمُدهُنٍ فيه فصوصٌ من ياقوتٍ وزبرجد، فضربَ صَدري، فأشارت إليّ حَبابة: أن خُذْه. فأخذتُه فأدخلتُه كمي، فقال: يا حَبابةُ ألا ترين ما صنعَ بنا أبوك، أخذ مُدهُننا فأدخلَه في كُمه؟ فقالت: يا أمير المؤمنين ما أحوجَه واللّهِ إليه! ثم خرجتُ من عنده فأمر لي بمائةِ دينار.

/ نسبة هذا الصوت [١٥/١٤١]

[١٦٤/١٣]

/ مِـــنْ لصـــــبٍّ مُفَنَّـــــدِ   هـــائـــم القلـــبِ مُقصَـــدِ
أنـــتِ زوّدتـــه الضَّنَــى   بئـــسَ زادُ المـــزوَّدِ
ولـــو أنـــي لا أرتجيـــكِ لقـــد خَـــفَّ عـــوّدي
ثـــاويـــا تحـــتَ تُـــربـــةٍ   رهـــنَ رمـــسٍ بفَـــدفـــدِ
غيـــرَ أنّـــي أعلّـــل النـــفـــسَ بـــاليـــومِ أو غـــدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمٰن بن حسان. وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير، والغناء لابن سريج، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

استدعاء يزيد لابن الطيار لمعرفة مدى طربه من الغناء:

وقال حمّاد: حدّثني أبي عن مخلد بن خِداش وغيرِه، أن حبابة غنت يزيد صوتاً لابن سريج، وهو قوله:

مـــا أحســـنَ الجيـــدَ مـــن مُليكـــةَ والـــلَّبَّـــاتِ إذ زانَهـــا تـــرائبُهـــا

فطرب يزيد وقال: هل رأيتِ أحداً أطرب مني؟ قلت: نعم، ابن الطَّيَّار[2] معاوية بن عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمٰن بن الضحاك فحمِل إليه، فلما قدِم أرسلَتْ إليه حبابةُ: إنما بعثَ إليكَ لكذا وكذا ـ وأخبرَتْه ـ

(١) التفنيد: تخطىء الرأي والتكذيب. ما عدا ط، ها، مط: «مصيد». وقد أشير في ط إلى أنها رواية في نسخة. والمقصد: المقتول، الذي يرمى فيقتل مكانه.

(٢) الطيار هو جعفر الطيار بن أبي طالب، قطعت يداه يوم مؤتة، قالوا: فجعل الله له جناحين يطير بهما في الجنّة عوضاً من يديه اللتين قطعتا. انظر «الحيوان» ٣: ٢٣٣ وحواشيه.

فإذا دخلتَ عليه فلا تظهرنّ طرباً حتّى أغنيه الصوتَ الذي غنّيته. فقال: سواءٌ على كبر سنّي؟ فدعا به يزيدُ وهو على طِنفسة خَزّ، ووُضِع لمعاويةَ مثلُها، فجاءوا بجامَين فيهما مسكٌ فوضِعت إحداهما بين يدَيْ يزيد والأخرى بين يدَيْ معاوية، فقال: فلم أدر كيف أصنع. فقلت: انظر كيف يصنعُ فاصنعْ مثلَه. فكان يقلِّبه فيفوحُ ريحه وأفعلُ / مثل ذلك، فدعا بحبابة فغنّتْ، فلما غنّت ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادة فوضعَها على رأسه وقام يدورُ وينادي: «الدُّخن بالنوى» يعني اللُّوبيا. قال: فأمر له بِصِلاتٍ عدّةَ دَفعات إلى أن خرج، فكان مبلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار. [١٤٢/١٥]

اختبار يزيد لطرب مولى حبابة:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: أخبرني الزبير بن أبي بكر، عن ظَبية:

أنّ حَبابة غنّتْ يوماً بين يدي يزيدَ فطرِب ثم قال لها: هل رأيتِ قطُّ أطربَ مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني. فغاظه ذلك فكتبَ في حَملِه مقيّداً، فلما عرف خبره أمر بإدخالِه إليه، فأدخِل يرسُف في قَيدِه، وأمرها فغنّتْ بَغتةً:

تُشِــــطُّ غــــداً دارُ جيــــرانِنــــا وللــــدّارُ بعــــد غــــدٍ أبعــــدُ

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرقَ لحيتَه، وجَعَل يصيح: الحريقُ يا أولاد الزنا! فضحِكَ يزيد وقال: لعمري إنّ هذا لأطربُ الناسِ! فأمر بحلِّ قيودِه، ووَصَله بألفِ دينار، ووصلته حبابةُ، وردّه إلى المدينة.

يزيد وأم عوف المغنية:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال إسحاق:

كان يزيدُ بن عبد الملك قبلَ أن تُفضِيَ إليه الخلافةُ، تختلف إليه مغنيّةٌ طاعِنةٌ في السّن تدعى أمَّ عَوف، وكانت مُحسنة، فكان يختار عليها:

متــى أُجِــزْ خــائفــاً تَســرحْ مطيتُــه وإن أُخِــف آمِنــاً تنبــو بــه الــدار[١]

سِيــروا إلــيّ وأرخــوا مــن أعنَّتِكــم إنّــي لكــلِّ امــرئٍ مــن وِتــره جــارُ

[١٤٣/١٥] / فذكرها يزيدُ يوماً لحبابة، وقد كانت أخذَتْ عنها فلم تقدر أن تَطعن عليها إلا بالسنّ، فغنت:

أبــى القلــبُ إلاّ أمَّ عــوفٍ وحبَّهــا عجــوزاً ومــن يُحبِــب عجــوزاً يفنَّــدِ[٢]

١٦٥/١٣ / فضحِك وقال: لمن هذا الغناء؟ فقالت: لمالك. فكان إذا جلسَ معها للشُّرب يقول: غنّيني صوتَ مالكٍ في أمّ عوف.

استبقاء يزيد لجثة حبابة بعد موتها، ثم موته ودفنه إلى جنبها:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني عمر بن شبّة قال: حدّثني عبد الله بن أحمد بن الحارث

---

(١) ما عدا ط، ها، مط: «تغلق به الدار».

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي في «الحماسة» (٢: ١٣٨). وقد غيرت رواية البيت لتستقيم لها الفكاهة ويتم العبث بأم عوف. والرواية: «أم عمرو». وبعده:

كثــوب اليمــانــي قــد تقــادم عهــده ورقعتــه مــا شئــت فــي العيــن واليــد

العدَويّ قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال: حدّثني أبو غانم الأزدي قال:

نزل يزيدُ بن عبد الملك ببيتِ رأسٍ بالشام، ومعه حَبابة فقال: زعموا أنّه لا تصفو لأحدٍ عيشةٌ يوماً إلى الليل إلاّ يكدرها شيءٌ عليه، وسأجرِّب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً فلا تُخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب. وخلا هو وحَبابة فأُتيا بما يأكلان، فأكلَتْ رُمّانةً فشرِقت بحبّةٍ منها فماتت، فأقام لا يَدفنها ثلاثاً حتّى تغيرت وأنتنت، وهو يَشمُّها ويرشُفها، فعاتبه على ذلك ذَوُو قرابته وصديقُه[1]، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفةً بين يديك! حتّى أَذِن لهم في غسلها ودَفْنها، وأمر فأُخرِجتْ في نِطع، وخرجَ معها لا يتكلّم حتّى جلس على قَبرِها، فلما دُفِنت قال: أصبحتُ والله كما قال كُثيِّر:

[١٥/ ١٤٤] / فإن يسلُ عنكِ القلبُ أو يدعِ الصبا ... فباليأس يَسلو عنك لا بالتجلُّدِ

وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ ... مِنَ أجلك: هذا هامة اليومِ أو غدِ[2]

فما أقام إلاّ خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفِن إلى جنبها.

جزع يزيد على حبابة:

أخبرني أحمد قال: حدّثني عمر قال: حدّثني إسحاق الموصلي قال: حدّثني الفضل بن الربيع عن أبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة عن أبيه أنّ مسلمةَ بن عبدِ الملك قال:

ماتت حَبابة فجزع عليها يزيد، فجعلْتُ أوَسِّيه وأعزِّيه، وهو ضاربٌ بذَقَنِه على صدره ما يكلِّمني حتّى دفنَها ورَجع، فلما بلغ إلى بابه التفتَ إليّ وقال:

فإنْ تسلُ عنكِ النَّفسُ أو تدعِ الصِّبا ... فباليأس تَسلو عنك لا بالتجلُّد

ثم دخل بيتَه فمكث أربعين يوماً ثم هلك.

قال: وجزِع عليها في بعض أيامه فقال: انبِشُوها حتّى أنظرَ إليها. فقيل: تصيرُ حديثاً!! فرجع فلم ينبشها.

وقد روى المدائني أنَّه اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيام من دفنه إياها، فقال: لا بدّ من أن تُنبَش. فنُبِشت وكُشِف له عن وجهِها وقد تغيّر تغيُّراً قبيحاً فقيل له: يا أمير المؤمنين، اتّقِ الله، ألا ترى كيفَ قد صارت؟ فقال: ما رأيتُها قطُّ أحسَنَ منها اليومَ، أخرِجوها. فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أهله، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودَفنوها، وانصرف فكَمِد كمداً شديداً حتّى مات، فدفن إلى جانبها.

[١٥/ ١٤٥] / **الصلاة على حبابة بعد موتها:**

قال إسحاق: وحدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله الشفافي[3] عن العباس بن محمد، أن يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حبابة، فكلّمه مَسلمةُ في أن لا يخرج وقال: أنا أكفيك الصلاةَ عليها. فتخلّفَ يزيدُ ومضى مَسلَمة، حتّى إذا مضى الناسُ انصرفَ مسلمةُ وأمر من صَلّى عليها.

---

(١) صديقه، أي أصدقاؤه. والصديق يقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

(٢) راءه: رآه. ويقال: هذا هامة اليوم أو غد، أي يموت اليوم أو غداً. وبهذا البيت استشهد في «اللسان» على ذاك المعنى.

(٣) ط: «الشغاني»، هـ: «الشعافي» مط: «السغاني» وأثبت ما في سائر النسخ.

صور أخرى من جزع يزيد على حبابة:

وروى الزبير، عن مصعب بن عثمان، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال:

خرجت مع أبي إلى الشأم في زمن يزيدَ بن عبد الملك، فلما ماتت حَبابةُ وأُخرِجت لم يستطع يزيدُ الركوب من الجزع ولا المشي، فحمِل على مِنبرٍ على رقاب الرجال، فلما دُفِنت قال: لم أُصلِّ عليها، انبشوا عنها. فقال له مسلمة: نَشَدتك اللَّهَ يا أمير المؤمنين، إنَّما هي أمَةٌ من الإماء، وقد واراها الثرى! فلم يأذن للناس بعدَ حبابةَ إلاّ مرةً واحدة. قال: فوالله ما استتمَّ دخولُ الناسِ حتى قال / الحاجب: أجِيزُوا رحمكم الله. ولم ينشَب يزيدُ أن مات كمداً.

١٦٦/١٣

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني إسحاق قال حدّثني ابن أبي الحويرث الثقفي، قال:

لما ماتت حَبابةُ جزع عليها يزيدُ جزعاً شديداً، فضمَّ جُويريَةً لها كانت تخدُمها إليه، فكانت تحدِّثه وتُؤنسه، فبينا هو يوماً يدُور في قصرِه إذْ قال لها: هذا الموضع الذي كنا فيه. فتمثلَتْ:

كَفى حَزَناً للهائم الصبِّ أن يَرى ... مَنازِلَ مَن يهوى معطَّلةً قَفرا

فبكى حتَّى كاد يموت. ثم لم تزل[1] تلك الجويريةُ معه يتذكَّر بها حبابة حتَّى مات.

[١٥/١٤٦]

/ صوت

أيدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبَةً ... وهنَّ من الأزواجِ نحوي نوازعُ

وما شابَ رأسي من سِنِين تَتابعَتْ ... عليَّ ولكنْ شيبَتْه الوقائع

الشعر لأبي الطّفيلِ صاحب رسول الله ﷺ، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، عن عمرو وغيره.

(١) ط، حـ، ها، مط: «ثم ترك».

/ أخبار أبي الطُّفَيل ونسبه [١٥/١٤٧

نسب أبي الطفيل:

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير[١] بن جابر بن حُمَيس[٢] بن جُدَيّ بن سعد بن لَيث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضَر بن نزار.

صحبته وتشيعه:

وله صحبةٌ برسول الله ﷺ، ورواية عنه. وعُمِّر بعده عمراً طويلاً؛ وكان مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وروى عنه أيضاً، وكان من وجوه شيعته، وله منه مَحَلٌّ خاصّ يستغني بشهرته عن ذكره، ثم خرج طالباً بدمِ الحسين بن عليّ عليهما السلام، مع المختارِ بن أبي عُبيد، وكان معه حتى قُتِل وأفلتَ هو، وعمِّر أيضاً بعد ذلك.

رؤيته للرسول في حجة الوداع:

حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحيّ بمكة، قال: حدّثنا يزيد بن أبي حَكيم قال: حدّثني يزيد بن مُلَيل، عن أبي الطُّفيل أنه رأى النبيَّ ﷺ في حَجّة الوداع يَطُوف بالبيت الحرام على ناقته، ويَستلم الرُّكن بمحجنِه.

أخبرناه محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الرياشي قال: حدّثنا أبو عاصم عن معروف بن خرّبوذ عن أبي الطفيل بمثله، وزاد فيه: «ثم يقبل المحجن».

رؤيته لعلي بن أبي طالب وهو يجيب عن أسئلة شتى:

حدّثني أبو عبيد الله الصيرفي قال: حدّثنا الفضل بن الحسن المصري قال: حدّثنا أبو نعيم عن بَسّامِ الصّيرفي عن أبي الطُّفيل قال:

/ سمعتُ علياً عليه السلامُ يخطب فقال: سَلُوني قبل أن تفقِدوني. فقام إليه ابن الكَوّاء، فقال: ما ﴿الذَّارياتِ ذرواً﴾؟ قال: الرياح. قال: ﴿فالجارياتِ يُسْراً﴾؟ قال: السُّفن. قال: ﴿فالحاملاتِ وِقْراً﴾؟ قال: السحاب. قال: ﴿فالمقسِّمات أمراً﴾؟ قال: الملائكة. قال: فمن ﴿الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفْراً﴾؟ قال: الأفجرانِ من قريشٍ: بنو أُميّة وبنو مخزوم. قال: فما كان ذُو القرنين، أنبياً أم ملكاً؟ قال: كان عبداً مؤمناً ـ أو قال صالحاً ـ أحبَّ اللّهَ [١٥/١٤٨

---

(١) ما عدا ط، ها، مط: «عمرو». تحريف، وما في ط مطابق لما في «الإصابة» ٤٤٢٧.

(٢) ما عدا ط: «خميس» بالخاء المعجمة.

وأحبَّه، ضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيمنِ /فمات، ثم بُعِث وضُرِب ضربةً على قرنه الأيسرِ فمات. وفيكم مثله.

[وكتب إليّ إسماعيل بن محمد المريّ الكوفي يذكر أنّ أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسامٍ. وذكر مثله[١]].

شهادة له بالتقدّم في شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: بلغَني أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم: أنشِدْني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة. فأنشده قصيدةَ أبي الطُّفيل:

أيـدْعُـونـنـي شيخـاً وقـد عِشـتُ بـرهـةً   وهــنَّ مــن الأزواجِ نَحــوِي نــوازعُ

فقال له بشر: صدقتَ هذا أشعر شعرائكم. قال: وقال له الحجاج أيضاً: أنشدني قولَ شاعركم: «أيذعُونني شيخاً» فأنشده إياه[٢] فقال: قاتله الله مُنافِقاً، ما أشعره!

[١٥/١٤٩] / **محاورة معاوية لأبي الطفيل:**

حدّثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي، المعروف بابن أبي موسى، قال: حدّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال: حدّثني أبي قال حدّثني عمرو بن شمر[٣] عن جابرٍ الجُعفي قال: سمعت ابن حِذْيمٍ الناجيّ[٤] يقول:

لما استقامَ لمعاوية أمرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطُّفيل عامر بن واثلة، فلم يزل يكاتبُه ويَلْطُف له[٥] حتّى أتاه، فلما قدِم عليه جعلَ يسائله عن أمرِ الجاهلية، ودخل عليه عَمرو بن العاص ونفرٌ معه، فقال لهم معاوية: أمَا تعرفون هذا؟ هذا خليل أبي الحسَن. ثم قال: يا أبا الطفيل ما بلَغَ من حبِّك لعليّ؟ قال حبُّ أمِّ موسى لموسى. قال: فما بلغ من بكائك عليه؟ قال: بكاء العجوزِ الثُّكلى والشَّيخِ الرقوب[٦]، وإلى الله أشكو التقصير. قال معاوية: إنّ أصحابي هؤلاءِ لو سُئِلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك. قالوا: إذاً والله ما نقولُ الباطل. قال لهم معاوية: لا والله ولا الحقَّ تقولون. ثم قال معاوية: وهو الذي يقول:

إلــى رجَــبِ السَّبعِيــنَ تعتَــرِفــونـنـي   مـع السيف فـي حَـوّاءَ جَـمٍّ عـديـدُهـا[٧]

رَجـوفٍ كمتـنِ الطَّـود فيهـا معـاشـرٌ   كغُلْـبِ السِّبـاع نُمـرُهـا وأسـودُهـا[٨]

كُهــولٌ وشبّــان وســاداتُ معشــرٍ   علـى الخيـل فُـرسـانٌ قليـلٌ صدودها

[١٥/١٥٠] / كـأنَّ شعـاع الشَّمـس تحـتَ لـوائهـا   إذا طَلعـت أعشَـى العيـونَ حـديـدُهـا

---

(١) التكملة من ط، ها، مط. لكن في ها: «عن يسار» وقد سبق أنه «بسام الصيرفي».

(٢) هذه الكملة من ط، مط. وفي ها: «فأنشده إياها».

(٣) ما عدا ط، ها، مط: «عمر بن شبة»، وإنما كان نصر بن مزاحم يروي عن «عمرو بن شمر» ويكثر الرواية عنه. انظر وقعة صفين في غير موضع، ولا سيما صفحة ١٨٩ ففيها هذا السند بعينه.

(٤) ويقال: «ابن حذلم» أيضاً، وهو تميم بن حذيم الناجي الضبي الكوفي المتوفى سنة ١٠٠. انظر حواشي وقعة صفين ص ١٨٩.

(٥) يلطف له، من اللطف، وهو الرفق والمداناة.

(٦) الرقوب: الذي مات ولده، أو الذي لا يبقى له ولد.

(٧) الحواء: السوداء، عنى بها الكتيبة التي يعلو الصدأ سلاحها.

(٨) رجوف: تضطرب من كثرتها. والغلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة.

يَمُـــورون مَـــوْرَ الـــرِّيـــح إمـــا ذُهِلتُـــم وزَلّـــت بـــأكفـــالِ الـــرجـــال لبـــودُهـــا[١]

شِعـــارهُـــم سِيمـــا النبـــيِّ، ورايـــةٌ بهـــا انتقـــمَ الـــرحمٰـــنُ ممـــن يَكيـــدهـــا

تَخَطُّفُهـــم إيـــاكُـــم عنـــدَ ذكـــرِهـــم كخَطـــف ضـــوارِي الطَّيـــر طيـــراً تصيـــدهـــا[٢]

فقال معاويةُ لجلسائه: أعَرَفتموه؟ قالوا: نعم، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأم جليس. فقال معاوية: يا أبا الطُّفيل أتعرفهم؟ فقال: ما أعرِفُهم بخيرٍ، ولا أُبعدهم من شرّ. قال: وقام خُزيمة الأسديّ فأجابه فقال:

إلـــى رجـــبٍ أو غُـــرّةِ الشهـــرِ بعـــده تصبّحكـــم حُمـــرُ المنـــايـــا وســـودُهـــا

ثمـــانـــون ألفـــاً دِيـــنُ عثمـــانَ دينُهـــم كتـــائـــبُ فيهـــا جِبـــرَئيـــلُ يقـــودهـــا

فمـــن عـــاشَ منكـــم عـــاش عبـــداً ومـــن يمـــت ففـــي النـــار سُقيـــاهُ هنـــاكَ صـــديـــدُهـــا

قيادته جيشاً لإخراج محمد بن الحنفية من الحبس:

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث قال: حدّثنا المدائني عن أبي مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق، قال:

لما رجَع محمد بن الحنفية من الشام حبسَه ابن الزبير في سِجنِ عارم، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطُّفيل / عامر بن واثلة، حتى أتوا سجنَ عارمٍ فكسروه وأخرجُوه، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب: أن يسيِّرَ نساءَ كلِّ من خرج لذلك. فأخرج مصعبٌ نساءهم وأخرج فيهن أمَّ الطفيل امرأةَ أبي الطفيل، وابناً له صغيراً يقال له يحيى، فقال أبو الطفيل في ذلك:

١٦٥ / ١٣

إن يـــكُ سيَّـــرهـــا مصعـــبٌ فـــإنّـــي إلـــى مصعـــبٍ مـــذنِـــب

/ أقـــودُ الكتيبـــةَ مستلئمـــاً كـــأنّـــي أخـــو عُـــرّةٍ أجـــربُ[٣]

علـــيَّ دِلاصٌ تخيّـــرتُهـــا وفـــي الكـــفّ ذو رونـــقٍ مِقضـــبُ[٤]

[١٥/١٥١]

تشيع أبي الطفيل:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن فِطر بن[٥] خليفة قال:

سمعت أبا الطفيل يقول: لم يبق من الشِّيعة غيري. ثم تمثّل:

---

(١) زلل اللبود: كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها.

(٢) تخطفهم، هي فيما عدا ها، مط: «تخطفكم» تحريف. ما عدا ط و حـ، ها، مط: «آباؤكم». وفيما عدا ط، ها: «صيدا يصيدها»، محرفتان.

(٣) العرة، بالضم: الجرب.

(٤) الدلاص، بالكسر: الدرع الملساء اللينة. ذو وقق، أي سيف. ورونق السيف: ماؤه وصفاؤه وحسنه. والمقضب: القاطع. ما عدا ط، حـ، ها، مط: «يقضب».

(٥) قطر بن خليفة، ترجم له في «تهذيب التهذيب». ط: «قطن بن خليفة» تحريف.

وخُلِّفْتُ سهماً في الكنانة وحداً ... سيُرمَى به أو يكسِر السهمَ كاسره[١]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أبو عاصم قال: حدّثني شيخٌ من بني تيم اللات قال:

كانَ أبو الطفيل مع المختار في القصر، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤخَذ وقال:

ولما رأيتُ البابَ قد حِيلَ دونه ... تكسَّرت باسمِ الله فيمن تكسَّرا

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن شداد الثُّشَابي قال: حدّثني المفضّل بن غسان قال: حدّثني عيسى بن واضح، عن سليم بن مسلم المكي، عن ابن جُريج عن عطاء قال:

دخل عبد الله بن صفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير، وهو يومئذٍ بمكة، فقال: أصبحتُ كما قال الشاعر[٢]:

فإنْ تصبكَ من الأيامِ جائحةٌ ... لا أبكِ منكَ على دُنيا ولا دينِ

[١٥/١٥٢] / قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذا عبد الله بن عباس يفقّه الناس، وعبيد الله أخوه يُطعم الناس، فما بقَّيا لك؟ فأحفَظَه ذلك فأرسلَ صاحبَ شُرطته عبد الله بنَ مطيع فقال له: انطلِق إلى ابنَيْ عباسٍ فقل لهما: أعمَدتما إلى رَايةٍ تُرابية[٣] قد وضَعَها الله فنصبتماها، بدِّدا عنّي جَمْعَكما ومن ضَوى[٤] إليكما مِن ضُلّالِ أهل العراق، وإلّا فعلتُ وفعلت! فقال ابن عباس: قل لابن الزبير: يقول لك ابن عباس: ثكلَتْك أمُّك، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رجلين: طالِب فقهٍ أو طالبِ فَضل، فأيّ هذين تمنَع؟ فأنشأ أبو الطفيل عامرُ بن واثلة يقول:

قوله الشعر في ذلك:

لا دَرَّ درُّ الليالي كيف تُضحِكنا ... منها خطوب أعاجيبٌ وتبكينا

ومثلُ ما تحدِث الأيامُ من غِيَرٍ ... يا ابنَ الزبير عن الدنيا يُسلِّينا

كنَّا نجيءُ ابنَ عباسٍ فيُقبِسنا ... عِلماً ويُكسِبنا أجراً ويَهدينا

ولا يزالُ عبيدُ اللَّهِ مترعَةً ... جِفانُه مُطعِماً ضَيفاً ومسكينا

فالبِرُّ والدِّينُ والدُّنيا بدارِهما ... ننال منها الذي نبغي إذا شِينا

إن النبيَّ هو النور الذي كُشِفت ... به عَمَاياتُ باقينا وماضينا

٦٦٩/١٣ / ورهطُه عِصمةٌ في ديننا ولهمْ ... فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا

ولستَ فاعلمْهُ أولى منهمُ رحِماً ... يا ابنَ الزبير ولا أولَى به دِينا

ففيمَ تَمنعهُمْ عَنّا وتمنعنا ... منهم، وتؤذيهمُ فينا وتؤذينا

لن يؤتي الله مَنْ أخزى ببغضهم ... في الدين عِزًّا ولا في الأرض تمكينا[٥]

---

(١) ما عدا ط، حـ، ها، مط: «وخلبت».

(٢) هو ذو الإصبع العدواني. وقصيدته مشهورة في «المفضليات».

(٣) منسوبة إلى أبي تراب، وهي كنية علي بن أبي طالب.

(٤) ضوى إليه: أوى وانضم.

(٥) ط: «من أجرى» بالجيم.

/ **شدّة حزنه حين سمع غناء فيه رثاء ولده:** [١٥/١٥٣]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني الزبير بن بكار قال: حدّثني بعض أصحابنا:

أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دُعِي في مأدُبةٍ، فغنّت فيها قينةٌ قولَه يرثي ابنه:

خَلّى طفيلٌ عليَّ الهمَّ وانشعبا ... وهدَّ ذلك ركني هَدّةً عجبا

فبكَى حتى كاد يموت.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي عن طلحة بن عبد الله الطلحي، عن أحمد بن إبراهيم: أنَّ أبا الطفيل دُعِي إلى وليمةٍ فغنت قينة عندهم:

خَلّى عليَّ طُفيلُ الهمَّ وانشعبا ... وهدَّ ذلك ركني هدّةً عجَبا

وابنَيْ سُميةَ لا أنساهما أبداً ... فيمن نسِيت وكلٌّ كان لي وصَبا

فجعل يَنْشِج ويقول: هاه هاه طُفيل! ويبكي حتّى سقط على وجهه ميتاً.

وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدّثنا حمّاد عن أبيه بخبر أبي الطفيل هذا، فذكر مثل ما مضى، وزاد في الأبيات:

فاملِكْ عزاءَكَ إنْ رزءٌ بليتَ به ... فلنْ يردَّ بكاءُ المرء ما ذهبا

وليس يَشفِي حزيناً من تذكُّرِه ... إلّا البكاءُ إذا ما ناح وانتحبا

فإذْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ... ولا محالةَ أن يأتِي الذي كُتِبا

فما لبطنك من ريٍّ ولا شِبَعٍ ... ولا ظلِلتَ بباقِي العيش مَرْتِعِبا[1]

غناء طويس بشعر لأبي الطفيل:

وقال حمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال: حدّثني أبوْ عبد الله الجمحي عن أبيه قال:

/ بينا فتيةٌ من قريشٍ ببطنِ محسّر يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعار، إذْ أقبَل طُويسٌ وعليه قميص قُوهيٌّ [١٥/١٥٤] وحِبرَة قد ارتدَى بها[2]، وهو يَخطِر في مِشيته، فسلَّم ثم جلس، فقال له القومُ: يا أبا عبدِ المنعم، لو غَنّيتنا؟ قال: نَعَمْ وكرامةً أغنيكم بشعرِ شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ، من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وصاحِبِ رايته، أدركَ الجاهلية والإسلام، وكان سيّدَ قومه وشاعرَهم. قالوا: ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فَدَتك أنفسُنا؟ قال: ذلك أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، ثمَّ اندفع فغنَى:

أيَدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً ... وهُنَّ من الأزواج نَحوِي نوازعُ

فطرِب القومُ وقالوا: ما سمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا.

---

(١) المرتغب: الراغب، كما في «القاموس». ما عدا ط، ها، : «بنا في العيش مرتعباً» تحريف.

(٢) القوهي: ثياب بيض منسوبة إلى قوهستان. والحبرة، بالتحريك وكعنبة: ضرب من برود اليمن شمر.

وهذا الخبر يدلُّ على أن فيه لحناً قديماً ولكنّه ليس يُعرف.

صوت

لمــــن الـــدارُ أقفـــرت بمَعَـــانِ بيــن شــاطــي اليَــرمــوك فــالصَّمّــانِ[1]

/ فــالقُــرَيّــات مــن بــلاس فــدَارَيــا فسَكّــاءَ فــالقُصــورِ الــدوانــي[2]

ذاكَ مغنًــى لآل جفنــةَ فــي الــدَّهـ ـــرِ وحــقٌّ تصــرُّفُ الأزمــانِ[3]

صلــوات المسيــحِ فــي ذلــك الــديـ ـــر دعــاءُ القِسّيــس والــرُّهبــانِ

170/13

[155/15] / الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لحُنَين بن بَلوعٍ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وهذا الصوت من صُدور الأغاني ومختارها، وكان إسحاقُ يقدمُّه ويفضّله. ووجدتُ في بعض كتبه بخطه قال: الصَّيحة التي في لحن حنين:

* لمــن الـدارُ أقفـرت بمَعَـانِ *

أخرجَت من الصدر، ثم من الحلق، ثم من الأنف، ثم من الجبهة، ثم نُبِرَت[4] فأخرِجت من القِحف، ثم نُوِّنت[5] مردودةً إلى الأنف، ثم قُطِعت.

وفي هذه الأبيات وأبياتٍ غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعةٍ اشتركوا فيها، واختلف أيضاً مؤلفو الأغاني في ترتيبها ونسبةِ بعضِها مع بعضٍ إلى صاحبها الذي صنعها، فذكرتُ ها هنا على ذلك وشرحِ ما قالوه فيها. فمنها:

صوت

قــد عفــا جــاســمٌ إلــى بيــت رأسٍ فــالحــوانِــي فجــانِــبُ الجَــولان[6]

فحِمَــى جــاســم فــأبنيــةُ الصُّـ ـفَّــرِ مغنًــى قنــابــلٍ وهجــان[7]

(١) معان، بالفتح والمحدّثون يقولونه بالضم: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. والصمان هي أيضاً رواية ياقوت، وقال: «فيما أحسب من نواحي الشام بظاهر البلقاء». قلت: وصواب الرواية «الخمان» كما في «ديوان حسان» ٤١٤ وهي من نواحي البثنية من أرض الشام.

(٢) بلاس بالفتح: بلد بينه وبين دمشق عشرة أميال. وداريا: بفتح الراء: قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة، ينسب إليها الداراني. وسكاء، بالسين المهملة: قرية من قرى دمشق في الغوطة. ط، ها، مط: «شكاء» تحريف.

(٣) رواية «الديوان» ٤١٥: «في الدهر» كما أثبت من ها. وفي سائر الأصول هنا: «في الدار».

(٤) نبرت: رفعت. في ها: «نثرت»، وفي مط: «مرت». وأثبت ما في ط. وفي سائر الأصول: «ثبرت».

(٥) ما عدا ط، ها، مط: «بونت».

(٦) الجولان، بالفتح: جبل من نواحي دمشق.

(٧) القنابل: جمع قنبل وقنبلة بالفتح، وهي الطائفة من الناس ومن الخيل. والهجان من الناس: الخالص الكريم، ومن الإبل: البيض الكرام.

فـالقُـريـات مـن بَـلاَسَ فـدارَيّـا فسَكّـاء فـالقصـور الـدّوانـي

قـد دنـا الفِصـح فـالـولائـدُ يَنظِمـ ـن سِـراعـاً أكِلّـةَ المَـرْجـانِ[1]

/ يتبـارَيـنَ فـي الـدعـاء إلـى اللّـ ـهِ وكـلُّ الـدّعـاءِ للشيطـان [١٥/١٥٦]

ذاك مغنّـى لآل جفنـةَ فـي الـدّهـ ـرِ وحَـقٌّ تصـرُّف الأزمـان[2]

صلـواتُ المسيـح فـي ذلـك الـدّيـ ـر دعـاءُ القسّيـس والـرُّهبـان

قـد أرانـي هُنـاك حـقَّ مَكيـنٍ عنـد ذي التـاج مَقعِـدي ومكـانـي

ذكر عمرو بن بانة أنّ لابن محرز في الأوّل من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أوّل بالبنصر

وذكر علي بن يحيى أنّ لابن سريج في الرابع والخامس رملا بالوسطى، وأن لمعبدٍ فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيفَ ثقيل، ولمحمد بن إسحاق بنُ برثع[3] ثقيلَ أوّل في الرابع والثامن.

وذكر الهشامي أنَّ في الأوّل لمالك خفيفَ ثقيل، ووافقه حبش. وذكر حبشٌ أنّ لمعبد في الأوّل والثاني والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر.

(١) الفصح من أعياد النصارى واليهود، انظر تحقيق لفظه وتاريخه في «حواشي الحيوان» (٤ : ٥٣٤).

(٢) في جميع الأصول ما عدا «ها»: «في الدير»، صواب هذه من «الديوان».

(٣) في «القاموس»: «برثع كقنفذ: اسم». والكلمة في ط، مط: «بزيع» وفيما سواها: «برتع».

[١٥/١٥٧]
٢/١٤

/ أخبار حسان وجبلة بن الأيهم

لقاء حسان لجبلة واستنشاد جبلة له بعد النابغة وعلقمة وإجازته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيبُ بن نصرِ المهلّبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهري قال: حدّثني يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال:

قال حسّان بن ثابت: أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغَسّاني وقد مدحتُه، فأذِن لي فجلستُ بين يديه، وعن يمينه رجلٌ له ضَفيرتانِ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أمّا هذا فأعرفه، وهو النابغة، وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو عَلقمة بن عَبَدة، فإن شئتَ استنشدتَهما وسمعتَ منهما، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِد بعدهما أنشدتَ، وإن شئتَ أن تسكتَ سكتَّ. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كِلِيني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكِبِ

قال: فذهبَ نِصفي. ثم قال لعلقمة: أنشدْ. فأنشدَ:

طَحابك قلبٌ في الحسان طروبُ ... بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ[1]

فذهب نصفي الآخَر فقال لي: أنت أعلم، الآنَ إن شئت أن تنشِدَ بعدهما أنشدّت، وإن شئت أن تسكت سكتَّ. فتشدّدتُ ثم قلت: لا بل، أُنشِد. قال: هات. فأنشدتُه:

للهِ دَرُّ عصابةٍ نادمتُها ... يوماً بجلِّق في الزّمان الأوّلِ[2]

أولادِ جَفنةَ عندَ قبرِ أبيهم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ

يَسقُون مَن وَرَد البريصَ عليهم ... كأساً تُصفَّق بالرحيق السلسلِ[3]

[١٥/١٥٨]
٣/١٤

/ يُغشَونَ حتّى ما تهِرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السَّواد المقبلِ

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوّلِ

فقال لي: ادنُهْ، ادنهْ، لعمري ما أنتَ بدونهما. ثم أمر لي بثلثمائة دينار، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد، وقال: هذا لك عندنا في كلِّ عام.

وقد ذكر أبو عمرو الشَّيباني هذه القصة لحسانَ ووصفها وقال: إنّما مدَحه عمرو بن الحارث الأعرج، ومدحه بالقصيدة اللامية. وأتى بالقصَّة أتمَّ من هذه الرواية.

---

(١) طحا به قلبه: ذهب به في كل مذهب.
(٢) هذا البيت لم يرو في ط، ها، مط.
(٣) البريص: نهر بدمشق.

قدومه على عمرو بن الحارث ولقاؤه النابغة وعلقمة:

قال أبو عمرو: قال حسان بن ثابت: قدمتُ على عمرِو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ عليَّ إليه، فقلتُ للحاجب بعد مدّة: إنْ أذنتَ لي عليه وإلا هجوتُ اليمنُ كلَّها ثم انقلبتُ عنكم. فأذِن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه، وعلقمةَ بن عَبَدة وهو جالسٌ عن يساره، فقال لي: يا ابن الفُرَيعة، قد عَرفتُ عِيصَك[1] ونَسَبك في غَسّان فارجعْ فإنّي باعثٌ إليك بِصِلة سَنيّة، ولا أحتاجُ إلى الشعر، فإنّي أخاف عليك هذين السَّبُعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحاك، وفضيحتُك فضيحتي، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول:

رِقـــاق النِّعـــال طيِّـــبٌ حجـــزاتهـــمْ يُحَيَّـــون بـــالـــريحـــانِ يـــوم السَّبـــاسِـــب

استنشاد عمرو بن الحارث له وتفضيله عليهما:

فأبيتُ وقلت: لا بدّ منه. فقال: ذاك إلى عَمَّيك. فقلت لهما: بحقِّ الملِك إلاّ قدّمتماني عليكما. فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفُريعة. فأنشأت:

أســـألـــتَ رســـمَ الـــدّارِ أم لـــم تســـألِ بَيـــنَ الحـــوانِـــي فـــالبُضَيـــع فحَـــومِـــل[2]

/ فقال: فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحل[3] عن موضعه سُروراً حتى شاطر البيت وهو يقول: هذا وأبيكَ [١٥٩/١٥] الشِّعرُ، لا ما تُعلِّلاني به منذُ اليوم! هذه والله البَتّارة[4] التي قد بَترت المدائح، أحسنتَ يا ابن الفريعة، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة[5] وهي التي في كلِّ دينار عشرةُ دنانير. فأُعطِيتُ ذلك ثم قال: لك عليَّ في كلِّ سنةٍ مثلُها.

النابغة يقول الثناء المسجوع في عمرو بن الحارث:

ثم أقبلَ على النابغة فقال: قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءَ المسجوع. فقام النابغة فقال:

ألاَ انعم صباحاً أيُّها الملِك المبارَك، السَّماء غِطاؤك، والأرض وِطاؤك، ووالدايَ فداؤك، والعربُ وِقاؤك، والعجمِ حماؤك[6]، والحكماء جُلساؤك، والمَدَاره سُمّارك[7]، والمقاول إخوانك[8]، والعقل شِعارُك، والحلم دِثارك، والسكينة مِهادُك، والوَقار غِشاؤك، والبِرُّ وِسادك، والصِّدق رداؤك، واليُمْن حِذاؤك[9]، والسَّخاء ظِهارتك،

---

(١) العيص، بالكسر: الأصل.

(٢) الحواني، هي في «الديوان»: «الجوابي». وفي «شرحه»: «أراد جابية الجولان. والجولان ما بين دمشق إلى الأردن». البضيع، بالتصغير: جبل بالشام أسود. حـ: «بالنصيع» وفي سائر النسخ ما عدا ط: «فالبصيع» صوابهما في ط.

(٣) يزحل: يتنحى ويتباعد.

(٤) أ، ط، حـ، ها، مط: «البنانة». والبت والبتر بمعنى.

(٥) ط، ها، مط: «مرموجة» أ: «مرجوجة». وأثبت ما في سائر النسخ. وقد تكون هذه التسمية من قبيل التسمية بالأضداد، كما يقال للديغ سليم.

(٦) في «اللسان»: «ويقال حماء لك بالمد، في معنى فداء لك».

(٧) المداره: جمع مدره كمنبر، وهو المقدم في «اللسان» واليد عند الخصومة والقتال.

(٨) المقاول: جمع مقول بالكسر، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى.

(٩) اليمن، البركة وخلاف الشؤم. أي تسير البركة تحت قدميه.

والحَمِيَة بِطانَتُك، والعَلاء عَلَايتك[١]، وأكرم الأحياء أحياؤك[٢]، وأشرفُ الأجداد أجدادك، وخير الآباء آباؤك، وأفضل الأعمام أعمامك، وأسْرَى الأخوالِ أخوالك، وأعفُّ النساء حلائلك، وأفخر الشبّان أبناؤك، وأطهر الأمّهات أمّهاتك، / وأعلى البنيان بُنيانك، وأعذَبُ المياه أمواهُك، وأفْيَح الداراتِ داراتك[٣]، وأنزه الحدائقِ حدائقُك[٤]، وأرفع اللباس لباسُك، قد حالفَ الإضريجُ عاتقَيك[٥]، ولاءم المِسكُ مَسْكك[٦] وجاورَ العنبر ترائبك، وصاحَبَ النعيمُ جسدَك. العسجدُ آنيتك، واللُجَين صِحافُك، والعَصْب مَناديلك[٧]، والحُوَّارَي طعامُك[٨]، والشُّهد إدامُك، واللذات غِذاؤك[٩]، والخُرطوم شَرابك[١٠]، والأبكار / مستراحك، والأشراف مَناصِفك[١١]، والخير بفنائك، والشرُّ بساحة أعدائك، والنّصر مَنُوطٌ بلوائك، والخِذلان مع ألوية حُسّادك، والبر فِعلُك. قد طحطح عدوَّك غضبك[١٢]، وهزم مغايبَهم مشهدُك[١٣]؛ وسارَ في الناس عدلُك، وشَسَع بالنصر ذكرك[١٤] وسكَّن قوارعَ الأعداء ظفرك. / الذّهبُ عطاؤك، والدواة رمزك[١٥]، والأوراق لحظُك وإطراقك، وألف دينارٍ مرجوحةٍ[١٦] إنماؤك[١٧].

[١٥/١٦٠] [٤/١٤] [١٥/١٦١]

أيفاخرك المنذرُ اللخمي، فوالله لقَفاكَ خيرٌ من وجهه، ولشِمالك خيرٌ من يمينه، ولأخمَصُك خيرٌ من رأسه[١٨]، ولخَطَاؤك خير من صوابه[١٩]، ولصمتُك خيرٌ من كلامه، ولأمّك خير من أبيه، ولخدَمك خيرٌ من قومِه. فهبْ لي أسارَى قومي، واسْتَرْهِن بذلك شكري[٢٠]؛ فإنّك من أشراف قحطان، وأنا من سَرَوات عدنان.

إعجاب عمرو بن الحارث بثناء النابغة ومدح حسّان:

فرفع عمروٌ رأسَه إلى جاريةٍ كانت قائمةً على رأسه وقال: بِمثل هذا فليُثْنَ على الملوك، ومثلُ ابن الفُريعة فليمدحْهم! وأطلق له أسرى قومه.

(١) العلاية، بالفتح: كل موضع مرتفع. ط، ها، مط: «غايتك» أ، حـ: «غلايتك» وأثبت ما في سائر النسخ.
(٢) الأحياء: جمع حي، وهو البطن من بطون العرب.
(٣) أفيح: أوسع. دار فيحاء: واسعة. ط، ها، مط «دارتك» بالإفراد. ها: «وأفيح الديار ديارك».
(٤) مكان نزه: بعيد عن الريف وغمق المياه وذبان القرى.
(٥) الإضريج: ضرب من الأكسية أصفر، أو هو الخز الأحمر.
(٦) لاءم: وافق. والمسك، بالفتح: الجلد.
(٧) العصب: ضرب من برود اليمن.
(٨) الحواري، بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء مع القصر: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه. وفي جمهور الأصول: «الحوار» مع ضبطها في ط بضم الحاء وتشديد الراء. وفي حـ بتشديد الواو فقط. والصواب ما أثبت من ها.
(٩) اللذات: اللذيذات من الأطعمة. واللذ واللذة: اللذيذ.
(١٠) الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار. والسلاف: الذي سال من غير عصير.
(١١) المناصف: جمع منصف، كمقعد ومنبر، وهو الخادم.
(١٢) طحطحهم: بددهم وفرقهم وكسرهم. والعدو هنا: الأعداء.
(١٣) المغايب: جمع مغيب مقابل المشهد. والكلمة محرّفة في الأصول. فهي في ط، حـ، أ، ها، مط: «مقانبهم» وهي مع صحتها لا تلائم نسج القول. وفي سائر الأصول: «مغانيهم».
(١٤) شسع: صار بعيداً ذائعاً.
(١٥) الرمز: الإشارة.
(١٦) ط، ها، مط: «مرموجة» أ: «مرجوجة». وقد سبق الكلام على تحقيقه في ١٥٩.
(١٧) الإنماء: الزيادة.
(١٨) الأخمص: هو من باطن القدم ما لا يصيب الأرض.
(١٩) الخطاء: الخطأ. ما عدا ط، حـ، أ، ها، مط «ولخطؤك».
(٢٠) استرهن، من الرهن، رهن لك الشيء: أقام ودام.

وذكر ابن الكلبي، هذه القصّة نحوَ هذا وقال: فقال له عمرو: اجعَل المفاضلةَ بيني وبين المنذر شعراً فإنه أسْيَر[١]. فقال:

ونُبِّئـــت أن أبـــا منـــذرٍ يُســـاميـــك للحـــدَث الأكبـــرِ

قَـــذالـــك أحســـنُ مـــن وجهِـــه وأمّـــكَ خيـــرٌ مـــن المنـــذرِ

ويُســـراك أجْـــوَدُ مـــن كفّـــه الـ ـيميـــنِ فقُـــولا لـــه أخّـــرِ[٢]

/ وقد ذكر المدائني أنّ هذه الأبيات والسجعَ الذي قبلها لحسان، وهذا أصحّ. [١٥/١٦٢]

قدوم جبلة بن الأيهم على عمر ثم تنصره ورحلته إلى هرقل:

قال أبو عمرو الشيباني: لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جَفنة، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القُدوم عليه، فأذِنَ له عمر فخرج إليه في خَمسمائة من أهل بيته، من عَكٍّ وغسان، حتّى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عُمر يُعْلِمه بقدومه، فسُرّ عمر رضوان الله عليه، وأمر الناسَ باستقباله، وبعث إليه بأنزالٍ[٣]، وأمر جبلةُ مائتي رجلٍ من أصحابه فلبِسوا الدِّيباجَ[٤] والحرير، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضة، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قُرطَا ماريةَ ـ وهي جدّته ـ ودخل المدينة، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانسٌ إلاّ تبرجت وخرجَتْ تنظر إليه وإلى زِيّه، فلما انتهى إلى عُمر رحّبَ به وألطفَه وأدنى مجلسَه، ثم أراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جبلةُ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم، إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فزارة فانحلّ، فرفع جبلةُ يدَه فهشم أنفَ الفزاري، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه، فبعثَ إلى جبلة فأتاه فقال: ما هذا؟ قال: نَعَمْ يا أمير المؤمنين، إنّه تعمّدَ حلَّ إزاري، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسّيف! فقال له عمر: قد أقررت فإمّا أنْ رضِيَ الرجلُ وإمّا أن أُقِيدَه منك. قال جبلة: ماذا تصنع بي؟ قال: آمُر بهشْم أنفك كما فعلتَ. قال: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين، وهو سُوقةٌ وأنا ملك؟ قال: إنّ الإسلام جَمَعك وإياه، فلستَ تفضُله بشيءٍ إلا بالتُّقى والعافية!! قال جبلة: قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّي أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية. قال عمر: دَعْ عنك هذا فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتُه منك. قال: إذاً أتنصّر. قال: / إنْ تنصّرتَ ضربتُ عنقك، لأنّك قد أسلمت، / فإن ارتددتَ قتلتُك. فلما رأى جبلةُ الصِّدقَ من عمر قال: أنا ناظرٌ في هذا ليلتي هذه. وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلقٌ كثير، حتى كادت تكون بينهم فتنة، فلما أمسَوْا أُذِن له عمر في الانصراف، حتّى إذا نام الناس وهدءوا تحمل جبلةُ بخيله ورَوَاحله إلى الشام، فأصبحتْ مكةُ وهي منهم بَلاقع، فلما انتهى إلى الشأم تحمل في خمسمائةِ رجل من قومه حتّى أتى القُسطنطينية، فدخل إلى هِرقَل، فتنصّر هو وقومه، فسُرَّ هرقلُ بذلك جدًّا وظنّ أنه فتحٌ من الفتوح عظيم، وأقطعه حيثُ شاء، وأجرى عليه من النُّزل ما شاء، وجعلَه من محدّثيه وسُمّاره. هكذا ذكر أبو عمرو. [١٥/١٦٣] [٥/١٤]

---

(١) أسير: أكثر سيراً بين الناس وشهرة.

(٢) ما عدا ط، حـ، أ، ها، مط: «أجر»، تحريف.

(٣) الأنزال: جمع نزل، بضم وبضمتين، وهو ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه.

(٤) ما عدا ط، ها، مط: «السلاح».

وذكر ابن الكلبي أنّ الفزاريَّ لما وطىء إزارَ جبلة لطم جبلةَ كما لطمه، فوثبت غَسّان فهشموا أنفَه وأتوَا به عمر، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه.

قصة أخر في سبب تنصره:

وذكر الزبير بن بكّار فيما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدّثه عن أبيه:

أن جبلةَ قدم على عمر رضي الله عنه في ألفٍ من أهل بيته فأسلم. قال: وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة كلامٌ، فسبَّ المديني[1] فردّ عليه، فلطمه جبلة فلطمه المديني، فوثَب عليه أصحابُه فقال: دَعُوه حتّى أسألَ صاحبه وأنظر مَا عنده. فجاء إلى عمر فأخبره فقال: إنك فعلتَ به فِعلاً ففَعَل بك مثلَه. قال: أوَ ليس عندك من الأمر إلاّ ما أرى. قال: لا فما الأمر عندكَ يا جبلة؟ قال: من سَبَّنا ضربناه، ومن ضَربَنا قتلناه. قال: إنّما أنزِل القرآن بالقصاص. فغضِب وخرج بمن معه ودخلَ أرض الروم فتنصَّر، ثم ندم وقال:

* تنصَّرتِ الأشـرافُ من عـارِ لطمـةٍ *

[١٥/١٦٤] / وذكر الأبيات، وزاد فيها بعد:

ويـا ليـتَ لـي بـالشـأم أدنَـى معيشـةٍ ... أجالسُ قومي ذاهبَ السمعِ والبصَـرْ

أديـن بمـا دانـوا بـه مـن شـريعـةٍ ... وقد يحبس العَود الضَّجور على الدَّبرْ[2]

دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم للرجوع إلى الإسلام:

وذكر باقيَ خبره فيما وجّه به إلى حسّان مثلَه، وزاد فيه:

أنّ معاويةَ لما ولي بعثَ إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها، فأبى ولم يقبل. ثم إنّ عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتبَ إلى هرقل يدعوه إلى الله جلّ وعزّ وإلى الإسلام، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه، وهو جَثّامة بنُ مساحِق الكناني، فلما انتهى إليه الرجُل بكتاب عمرَ أجاب إلى كلِّ شيءٍ سوى الإسلام، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل: هل رأيتَ ابن عمّك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟ قال: لا. قال: فالقَه. قال الرجل: فتوجهتُ إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسُّرور ما لم أرَ بِبابِ هرقلَ مثله، فلما أدخِلت عليه إذا هو في بهوٍ عظيم، وفيه من التصاوير ما لا أحسنِ وصفَه، وإذا هو جالس على سريرٍ من قَوارير، قوائمه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب، وإذا هو رجلٌ أصهبُ سِبالٍ وعُثنون، وقد أمر بمجلِسه فاستُقبِل به وجه الشمس، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضّة يلوحُ، فما رأيتُ أحسنَ منه. فلمّا سلمتُ ردَّ السلام ورحّب بي، وألطفَني ولامني على تركي النزول عنده، ثم أقعدَني على شيءٍ لم أثبته، فإذا هو كرسيٌّ من ذهَب، فانحدرت عنه فقال: مالكَ؟ فقلت: إن رسول الله ﷺ نَهى عن هذا. فقال جبلةُ أيضاً مثلَ قولي / في النبي ﷺ حين ذكرته، وصلّى عليه. ثم قال: يا هذا إنّك إذا طهَّرتَ قلبك / لم يَضِرك ما لبسته ولا ما جلست عليه. ثم سألني عن الناس وألحفَ في السؤال عن عمر، ثم جعل يفكّر حتى رأيت الحزنَ في وجهه، فقلتُ: ما يمنعك من الرجوع إلى قومك

[ط ١٤] [١٥/١٦٥]

(١) ما عدا ط، أ، ها: «المدني»، تحريف.

(٢) ط، مط: «بما كانوا». العود، بالفتح: المسن من الإبل. والدبر: قرحة الدابة.

والإسلام؟ قال: أبعدَ الذي قد كان؟ قلت: قد ارتد الأشعثُ بن قيس.

ترف جبلة بن الأيهم

ومنعَهُم الزكاةَ وضربهم بالسَّيف ثم رجع إلى الإسلام. فتحدّثنا مليًّا ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسه فولّي يُحْضِر، فما كان إلّا هنيهةً حتّى أقبلت الأخونةُ يحملها الرجال فوضِعت، وجيء بخوان من ذهبٍ فوضِع أمامي. فاستعفيتُ منه، فوضع أمامي خُوانُ خَلنج[1] وجاماتُ قوارير[2]، وأديرت الخمرُ فاستعفَيت منها، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به[3] خَمساً عدداً. ثم أومأ إلى غلامٍ فولّي يُحضر، فما شعَرتُ إلا بعشْر جَوارٍ يتكسَّرن في الحَلْي، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن شِماله، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائي، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأولِ عليهن الوشيُ والحَلْي، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله، وأقبلت جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنّه لؤلؤة، مؤدَّب، وفي يدها اليمنى جامٌ فيه مِسك وعنبر قد خُلِطا وأنعِم سحقُهما، وفي اليسرى جامٌ فيه ماء ورد، فألقت الطائر في ماء الورد، فتمعَّك بين جناحيه وظهره وبطنه[4]، ثم أخرجتْه فألقته في جام المسكِ والعنبر، فتمعَّك فيها حتى لم يدَعْ فيها شيئاً، ثم نَفَّرته فطار فسقط على تاج جَبَلة، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بقي عليه شيءٌ إلّا سَقط على رأس جبلة، ثم قال للجواري: أطرِبْنني. فخفقن بعيدانهنّ يغنين:

/ لله درُّ عصـابـةٍ نـادمتهُـم ... يـومـاً بجِلّـق فـي الـزمـان الأوّلِ [١٦٦/١٥]

بيضِ الـوجـوه كـريمـةٍ أحسابُهم ... شُمِّ الأنـوف مـن الطِّـرازِ الأوّل

يُغشَـونَ حتّـى مـا تهرُّ كـلابُهم ... لا يسـألـون عـن السَّواد المقبـل

فاستهلَّ واستبشر وطرِب ثم قال: زِدنني. فاندفعن يغنّين:

لمـن الـدارُ أقفـرَتْ بمعَـانِ ... بيـن شـاطِـي اليـرمـوك فـالصَّمَّـانِ[5]

فحِمَـى جـاسـم فـأبنيـة الـصُّـفَّـر مغنَـى قنـابـلٍ وهجـان[6]

فـالقُـريـاتِ مـن بَـلاس فـداريَّـا فـسَكّـاءَ فـالقصـورِ الـدوانـي

ذاكَ مغنـىً لآل جفنـة فـي الـدّ ... ارِ وحـقٌّ تعـاقُـب الأزمـان

قـد دنـا الفِصـح فـالـولائـد يَنظِمـ ... ـنَ سِـراعـاً أكِلّـةَ المَـرجـان

لـم يُعلِّلْـنَ بـالمغـافيـر والصّمـ ... ـغ ولا نَقْـفِ حَنظـل الشَّـريـان[7]

قـد أرانـي هنـاكَ حقّـاً مكينـاً ... عنـد ذي التـاج مَقعـدي ومكـانـي

(١) الخلنج: شجر تتخذ من حشه الأواني ونحوها، فارسي معرب. ما عدا ط، أ، ها: مط: «الخليج» محرّف.
(٢) الجام: إناء ذكر اللغويون أنه من الفضة. والقوارير: الزجاج.
(٣) هذا ما في ها. وفي ط، أ، مط: «فيه» وسائر النسخ: «منه».
(٤) تمعك: تمرغ.
(٥) سبق الكلام على البيت وروايته في ص ١٥٤.
(٦) ما عدا ط، أ، مط: «قبائل» وقد مضى تفسير البيت في ص ١٥٥.
(٧) الشريان، بالكسر: موضع.

فقال: أتعرف هذه المنازل؟ قلت: لا. قال: هذه منازلُنا في مُلكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّانَ بن ثابت، شاعِرِ رسول الله ﷺ.

أرساله صلة إلى حسان عندما علم بأنه مضرور:

قلت: أمَا إنّه مضرورُ البصرِ كبير السنّ. قال: يا جاريةُ هاتي. فأتته بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدّيباج، فقال: ادفعْ هذا إلى حسّانَ وأقرِئه منّي السلام.

بكاؤه من سماع شعر حسان:

٧/١٤ ثم أرادني[1] على مثلها، فأبيتُ فبكى، ثم قال / لجواريه: أبكِينَني. فوضعن عِيدانَهنَّ وأنشأن يقلن:

[١٥/١٦٧] / تنصَّرَتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ ... وما كان فيها لو صَبرتُ لها ضَررْ

تكنَّفني فيها لجَاجٌ ونَخوةٌ ... وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوَر

فيا ليتَ أمّي لم تلِدْني وليتني ... رجَعتُ إلى القول الذي قال لي عمر

ويا ليتني أرعَى المخاضَ بقَفرةٍ ... وكنتُ أسيراً في ربيعةَ أو مُضر[2]

ويا ليت لي بالشأم أدنى معيشةٍ ... أجالِسُ قومي ذاهبَ السَّمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيتُ معه حتّى رأيت دموعَه تجول على لحيته كأنّها اللؤلؤ، ثمّ سلّمت عليه وانصرفت، فلما قدِمتُ على عمرَ سألني عن هِرَقْل وجَبَلة، فقصصتُ عليه القصّةَ من أوّلها إلى آخرها، فقال: أوَ رأيتَ جبلة يشرب الخمر؟ قلت: نعم. قال: أبعده الله، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية، فلما رَبحتْ تجارته، فهل سَرَّح معك شيئاً؟ قلت: سَرّح إلَى حسان خَمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج. فقال: هاتها. وبعثَ إلى حسّان فأقبل يقودُه قائده حتّى دنا فسلّم، وقال: يا أمير المؤمنين، إنّي لأجد أرواحَ آلِ جفنة. فقال عمر رضي الله عنه: قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رَغْم أنفه، وأتاك بمعونة. فانصرفَ عنه وهو يقول:

إنَّ ابنَ جفنةَ من بقيّةِ مَعشرٍ ... لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ

لم يَنسِني بالشّأم إذ هو ربُّها ... كَلَّا ولا متنصِّراً بالروم

يُعطي الجزيلَ ولا يَراه عنده ... إلاّ كبعضِ عطيّةِ المذموم

وأتيتُه يوماً فقرَّب مجلِسي ... وسقَى فروَّاني من الخُرطومِ[3]

[١٥/١٦٨] / فقال له رجلٌ في مجلس عمر: أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم؟! فقال: ممن الرجل؟ قال: مُزَنيّ. قال: أمَا والله لولا سوابقُ قومِك مع رسول الله ﷺ لطَوّقتُك طَوقَ الحمامة. وقال: ما كان خليلي ليُخِلّ بي، فما قال لك؟ قال: قال إنْ وجدتَه حيًا فادفعها إليه، وإن وجدتَه ميّتاً فاطرح الثيابَ على قبره، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً

---

(١) ما عدا ط، ها، مط، جـ: «راودني».

(٢) ما عدا، ط، ها، مط: «بدمنة»، وما أثبت من هذه النسخ يوافق ما في شروح «سقط الزند» ٣٠٢. والخبر فيها برواية أخرى ٢٩٥ - ٣٠٣.

(٣) الخرطوم، سبق تفسيرها في ص ١٦٠.

فانحرها على قبره. فقال حسان: ليتَك وجدتني ميّتاً ففعلتَ ذلك بي؟

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير قال: قال لي عبد الرحمٰن بن عبد الله الزبيري: قال الرسولُ الذي بعثَ به إلى جبلة. ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامَين والطائر الذي تمعَّك فيهما، وذكر قولَ حسان:

* إن ابنَ جفنةَ من بقيةِ معشرٍ *

ولم يذكر غير ذلك. هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر.

رسول معاوية إلى ملك الروم ولقاؤه لجبلة:

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال عبد الله بن مَسعدة الفزاريّ:

وجّهني معاويةُ إلى ملك الروم، فدخلتُ عليه، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه، فكلّمني بالعربية فقلت: من أنتَ يا عبد الله؟ قال: أنا رجلٌ غلَب عليه الشَّقاء، أنا جبلة بن الأيْهَم، إذا صرتُ إلى منزلي فألقَني. فلما انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه في داره فألفيته على شرابه، وعنده قَينتانِ تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت:

قَـد عَفَـا جـاسـمٌ إلـى بيـت رأس فـالحـوانِـي فجـانـب الجَـوْلان[1]

/ وذكر الأبيات. فلما فرَغَتا من غنائهما أقبل عليّ ثم قال: ما فعل حسّانُ بن ثابت؟ قلت: شيخٌ كبير قد عَمِي. فدعا بألف دينار فدفعَها إليّ، وأمرني أن أدفعهَا إليه ثم قال: أتُرى صاحبَك يَفِي لي إن خرجتُ إليه؟ قال: قلت قل ما شئت أعرضْه عليه. قال: يُعطيني الثنيّة[2] فإنها كانت منازلَنا، وعشرين قريةً من الغُوطة منها داريّا وسَكّاء، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزَنا. قال: قلت أبلِغُه. فلما قدِمتُ على معاوية قال: ودِدتُ أنّك أجبتَه إلى ما سألَ فأجزتَه له. وكتب إليه معاوية يُعطيه ذلك، فوجَده قد مات.

[١٥/١٦٩، ٨/١٤]

قال: وقدِمتُ المدينةَ فدخلت مسجد رسول الله ﷺ، فلقيتُ حسانَ فقلت: يا أبا الوليد، صديقُك جَبَلة يقرأ عليك السلام. فقال: هات ما معك. قلت: وما عِلمُك أنّ معي شيئاً، قال: ما أرسل إليّ بالسلام قطّ إلاّ ومعَه شيء. قال: فدفعت إليه المال.

حديث حسّان مع رسول جبلة:

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مُسلم قال: حدّثني عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه، عن أهل المدينة قالوا:

---

(١) سبق الكلام على البيت في ص ١٥٥.

(٢) الثنية: ثنية العقاب، بضم العين، وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق.

بعث جبلةُ إلى حسّانَ بخمسمائة دينارٍ وكُسًى وقال للرسول: إنْ وجدتَه قد مات فابسُط هذه الثيابَ على قبره. فجاء فوجدهُ حياً، فأخبره فقال: لوددت أنكَ وجدتَني ميتاً.

[١/١٧٠] ## / نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

تنصَّرت الأشرافُ من عارِ لطمةٍ ... وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَررْ

الأبيات الخمسة.

الشعر لجبلة بن الأيهم، والغناء لعريب نصب[١] خفيف، وبسيط رملٍ بالوسطى. ومنها:

صوت

إنّ ابن جفنَةَ من بقيةِ معشرٍ ... لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ

الأبيات الأربعة[٢]. الشعر لحسّان بن ثابت، والغناء لعريب، هزج بالبنصر.

حديث حسّان مع الحارث بن أبي شمر:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا عمي يوسف بن محمد قال: حدّثني عمي إسماعيل بن أبي محمد قال: قال الواقديّ: حدّثني محمد بن صالح قال:

كان حسّان بن ثابت يَغدُو على جبلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله، فقال: لو وفدتُ على الحارث بن أبي شِمر الغَسّاني، فإنّ له قرابةً ورِحماً بصاحبي، وهو أبذل الناس للمعروف، وقد يئسَ مِنّي أن أفِدَ عليه، لما يَعرِف من انقطاعي إلى جَبَلة.

قال: فخرجتُ في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة، حتى قدمت على الحارث وقد هيّأتُ له مديحاً، فقال لي حاجبُه، وكن لي ناصحاً: إنّ الملك / قد سُرّ بقدومك عليه، وهو لا يدعُك حتّى تذكر جبلة، فإياك أن تقعَ فيه [١/١٧١] فإنّه إنما يختبرك، وإن رآك قد وقعتَ فيه زهِدَ فيك؛ وإن رآكَ تذكر محاسنَه ثَقُل عليه فلا تبتدىء بذكره، وإن سألكَ عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه، امسحْ ذكره مَسْحاً، وجاوزْه إلى غيره، فإنّ صاحبك - يعني جبلةَ - أشدُّ إغضاءً عن هذا [مِن هذا][٣]، أي أشدُّ تغافلاً وأقلُّ حَفْلاً به، وذلك أنّ صاحبك أعقلُ مِن هذا وأبين، وليس لهذا بيان، فإذا دخلتَ عليه فسوف يدعُوك إلى الطعام، وهو رجلٌ يثقُل عليه أن / يؤكل طعامُه ولا يبالي الدرهمَ والدينار، ويثقل عليه أن يشرب شرابُه أيضاً؛ فإذا وضِع طعامُه فلا تضَعْ يدك حتّى يدعوَك، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامِه بعضَ الإصابة. قال: فشكرتُ لحاجبه ما أمرني به.

(١) كذا على الصواب في ط، ها، مط. وفي حـ: «نصيب»، وفي سائر النسخ: «نصف» محرّفتان.
(٢) ط، أ، ها، مط: «الثلاثة».
(٣) التكملة من ط، مط، وهي في أ مع أثر ترميج.

قال: ثم دخلتُ عليه فسألني عن البلاد وعن الناس، وعن عَيشنا بالحجاز، وعن رجالِ يهودَ، وكيف ما بَيْننا من تلك الحروب. فكلّ ذلك أخبره حتّى انتهىَ إلى ذكر جبلة، فقال: كيف تجدُ جبلة، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتَنا؟ فقلت: إنّما جبلة منك وأنت منه. فلم أجْرِ إلى مدح ولا عيب، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال: الغَداءَ. فأتى بالغَداء ووضِع الطعام، فوضع يدَه فأكل أكلاً شديداً، وإذا رجلٌ جبّار، فقال بعد ساعة: ادنُ فأصِبْ [مِن هذا][1]. فدنوتُ فخطّطتُ تخطيطاً، فأتِيَ بطعام كثير، ثم رُفع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم، معهم الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة. ومعهم مناديلُ اللّين[2] فقاموا على رؤوسنا، ودعا أصحابَ برابِطَ[3] / من الروم فأجلسَهم وشرِب فألهَوْه، وقام [١٥/ ٧٢] الساقي على رأسي فقال: اشربْ. فأبيتُ حتى قال هو: اشربْ. فشرِبت، فلما أخذَ فينا الشرابُ[4] أنشدتُه شعراً فأعجبه ولذَّ به، فأقمتُ عنده أياماً فقال لي حاجبه: إنّ له صديقاً هو أخفُّ الناس عليه، وهُو جاءٍ، فإذا هو جاءَ جفاكَ وخلص به وقد ذُكِر قدومه، فاستأذِنْه قبل أن يقدم عليه، فإنه قبيحٌ أن يجفوكَ بعد الإكرام، والإذنُ اليوم أحسن. قلت: ومن هو؟ قال: نابغة بني ذبيان. فقلت للحارث: إنْ رأى الملكُ أن يأذنَ لي في الانصراف إلى أهلي فَعل. قال: قد أذنتُ لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلان[5]. فقبضتُها وقدم النابغةُ وخرجتُ إلى أهلي.

صوت

ألاَ إنّ ليلَى العامريّةَ أصبحَتْ	على النأي منّي ذنب غيريَ تنقِمُ
وما ذاك من شيءٍ أكونُ اجترمتُه	إليها فتجزيني به حيثُ أعلم[6]
ولكنّ إنساناً إذا ملّ صاحباً	وحاول صَرماً لم يزل يتجرّم[7]
وما زال بي ما يُحدِث النأيُ والذي	أعالج حتّى كدت بالعيش أبْرمُ
وما زال بِي الكتمانُ حتّى كأنني	بِرجعِ جَوابِ السائلِي عنك أعجمُ
لأسلمَ من قول الوُشاة وتسلمي	سَلِمْتِ وهل حيٌّ من الناس يسلمُ

/ عروضه من الطويل. الشعر لنُصَيْب، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبياتِ الأول للمجنون. والغناء لبديح [١٥/ ٧٣] مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله.

وفي الأبيات الأول منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش. وذكره حمّاد بن إسحاقَ ولم يجنّسه. وفيه لابن سُريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين. وفيه لمعبد في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) التكملة من ط، مط.

(٢) اللين، وقد ضبط في ط بفتح اللام، كأنه مخفف اللين، وهي قرية من كورة بين النهرين التي بين الموصل ونصيبين.

(٣) جمع بربط، وهي آلة ذات أوتار.

(٤) ما عدا ط، أ، ها، مط: «أخذ بنا الشراب».

(٥) الحملان، بالضم: مصدر حمل، والمراد بها الإبل ونحوها.

(٦) ما عدا ط، ها، مط: «فتخبرني به» تحريف.

(٧) تجرم عليه: ادّعى عليه ذنباً لم يفعله.

[١٥/١٧٤]

/ خبر بُديح في هذا الصوت وغيره

صنعة بديح:

بُديح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح. وله صنعة يسيرة وإنما كان يغنّي أغاني غيرِه مثل سائب خاثر، ونَشِيط، وطُوَيس، وهذه الطبقة. وقد روى بُديح الحديثَ / عن عبد الله بن جعفر.

١٥/١٤

روايته لخبر يحيى بن الحكم:

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال: حدّثنا العباس بن محمد الدُّوري قال:

حدّثنا أبو عاصم النَّبيل[١] عن جُويرية بنِ أسماء، عن عيسى بن عمر بن موسى، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال:

لما قدم يحيى بن الحكم المدينةَ دخل إليه عبدُ الله بن جعفر في جماعةٍ فقال له يحيى: جئتَني بأوباشٍ من أوباشِ خِبثة[٢]؟ فقال عبد الله: سماها رسول الله ﷺ طِيبةَ وتسمِّيها أنت خِبثة[٣]؟!

حيلة عبد الله بن جعفر في رقبة بديح لعبد الملك بن مروان:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: قال داود بن جميل حدّثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبي يذكره عن أبيه قال:

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلتَ عليك من يُؤنسك بأحاديث العرب وفُنون الأسمار؟ قال: لستُ صاحبَ هزل، والجِدّ مع عِلّتي أحْجَى بي. قال: وما علّتكَ يا أمير المؤمنين؟ / قال: هاجَ بي عِرق النَّسا في ليلتي هذه، فبلغَ مني. قال: فإنّ بُديحا مولاي أرقى[٤] الناس منه. فوجَّه إليه عبد الملك فلما مضَى الرسول سُقِط في يدَيْ ابن جعفر[٥] وقال: كِذبةٌ قبيحة عندَ خليفة. فما كانَ بأسرعَ من أن طلع بديح فقال: كيف رُقيتك من عِرق النَّسا. قال: أرقَى الخلقِ يا أمير المؤمنين. قال: فسُرِّي عن عبد الله لأنّ بُديحاً كان صاحبَ فكاهةٍ يُعرف بها؛ فمدَّ رجلَه فتفَلَ عليها ورقَاها مِراراً، فقال عبد الملك: لله أكبر، وجدتُ والله خِفًّا[٦]، يا غلامُ ادعُ فلانة حتَّى تكتب الرُّقية، فإنّا لا نأمنُ هيجَها بالليل فلا نَذْعر بُديحا. فلما جاءت الجارية

[١٥/١٧٥]

(١) ما عدا ط، ، ها، مط: «عاصم النبيل». تحريف. وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد الشيباني البصري، ترجم له في «تهذيب التهذيب». وانظر «القاموس» (عصم).

(٢) خبثة، بكسر الخاء، كنى بها عن طيبة مدينة الرسول.

(٣) ما عدا ط، ها، مط: «خبيثة».

(٤) أرقى، من الرقية. ط: «أرقا» أ: «أرقأ».

(٥) سقط في يده وأسقط، بالبناء للمفعول فيهما، أي ندم وتحير. ط، أ، ها: «أسقط».

(٦) الخف، بفتح الخاء وكسرها: الخفة. ط فقط: «خفافا» تحريف.

قال بديح: يا أمير المؤمنين، أمرأته الطلاقُ[1] إن كتبتُها حتى تعجّل حِبائي. فأمَر له بأربعة آلاف درهم فلما صار المالُ بين يديه قال: وامرأته الطلاقُ إن كتبتُها أو يصيرَ المال إلى منزلي. فأمر به فحُمِل إلى منزله، فلما أحرزه قال: يا أمير المؤمنين، امرأتُه الطلاق إن كنتُ قرأت على رجلك إلّا أبياتَ نصيب:

ألا إنَّ ليلَى العامريةَ أصبحَتْ ... على النأي منّي ذنبَ غيرِي تَنقِم

وذكر الأبياتَ وزاد فيها:

وما زلتُ أستصفِي لكِ الودَّ أبتغي ... مُحاسَنةً حتَّى كأنّيَ مُجرِمُ

قال: ويلَك ما تقول؟ قال امرأتُه الطلاق إنْ كان رقاك إلّا بما قال. قال: فاكتمْها عليّ. قال: وكيف ذاكَ وقد سارت بها البُردُ إلى أخيك بمصر؟! فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحَص برجليه.

/ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني الأصمعي عن المنتجِع النَّبهاني، عن أبيه [١٥/١٧٦] بهذا الخبر مثل الذي قبله. وزاد في الشعر:

فلا تصرِميني حينَ لالِيَ مرجِعٌ ... ورائي ولا لي عنكمُ متقدَّم

وقال فيه: فسكَن ما كان يجدُه عبد الملك، وأمر لبُديح بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبديح: ما سمعتُ هذا الغناءَ منكَ مذ ملكتُك! فقال: هذا من نُتَف سائب خاثر.

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر قال حدّثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن نافع - أراه نافع الخير مولى ابن جعفر - بهذا الخبر مثلَه، وزاد فيه أنّ بُديحا / رفع صوتَه يغنيه به لمّا قال له أن يكتبَ [١١/١٤] الرقية. وزاد فيه: فجعل عبدُ الملك يقول: مهلاً يا بُديح. فقال: إنّما رقيتك كما عُلِّمتُ[2] يا أمير المؤمنين.

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أبو سَلمة الغِفاريّ عن عبد الله بن عِمران بن أبي فَرْوة قال:

كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمعَ عبدَ الملك غناء بُديح، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبدُ الملك رُكبته فقال له ابنُ جعفر: يا أمير المؤمنين، إن لي مولًى كانت أمُّه بربريّة، وكانت تَرقِي من هذه العلّة، وقد أخذَ ذلك عنها. قال: فادعُ به. فدُعِي بُديح، فجعل يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهمهِم، ثم قال: قُم يا أمير المؤمنين جعلني الله فِداك. فقام عبد الملك لا يجدُ شيئاً، فقال عبد الله: يا أميرَ المؤمنين مولاك لا بدَّ له من صلة. قال: حتّى تكتب رُقيتَه ثم أمر جاريةً له فكتبَتْ: / بسم الله الرحمٰن الرحيم. فقال: ليس فيها بسم الله الرحمٰن الرحيم. قال: كيف تكون ويلَكِ [١٥/١٧٧] رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمٰن الرحيم؟ قال: فهو ذاك. قال: فاكتبيها على ما فيها. فأملى عليها:

ديارَ سُليمى بين عَيقة فالمُهدِي ... سُقيتِ، وإن لم تَنطقي، سَبَل[3] الرعدِ

---

(١) كذا في ط، أ، جـ، ها، مط في المواضع الأربعة من هذا الخبر. وفي ب، س: «طالق».

(٢) كذا في ط، أ، جـ، ها بهذا الضبط. وفي سائر النسخ: «ما علمت».

(٣) ط فقط: «عنقة» ها: «عبقة» مط «عنقة». تحريف. وعيقة: اسم موضع. وفي أسماء مواضعهم أيضاً: «غيقة» بالغين المعجمة. والمهدي، كذا ورد في عامة النسخ.

ثم قال له ابن جعفر: لو سمعتَه منه. قال: أوَ يُجيد؟ قال: نعم. قال: هات. فما برح والله حتّى أفرغَها في مسامعه.

تنصل الفضل بن دكين من الرفض:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدّثني عمي عبيد الله قال: حدّثني سليمان بن أبي شَيخ قال:

كنا عند أبي نعيم الفَضل بن دُكَين فجاءه رجل فقال: يا أبا نُعيم، إن الناس يزعُمون أنّك رافضيّ. قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وهو يبكي وقال: يا هذا أصبحتُ فيكم كما قال نُصَيب:

وما زال بي الكِتمان حتّى كأنّني ... تَرجِع جوابِ السّائِلي عنكِ أعجمُ
لأسلمَ من قول الوشاةِ وتَسلمي ... سَلمتِ وهل حيٌّ من الناس يسلمُ

صوت

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ ... إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ
إنَّ للخيرِ وللشّرّ مَدًى ... لِكلا ذَينِكَ وقتٌ وأجَلْ
[١٧٨/١٥] / كلُّ بؤسٍ ونعيم زائلٌ ... وبنات الدهرِ يَلعبنَ بكلْ
والعطِياتُ خِساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبرُ مُثرٍ ومقِلّ[١]

الشعر لعبد الله بن الزّبعري السّهمي، يقوله في غَزاة أحد، وهو يومئذ مشرك. والغناء لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبِنصر، عن عمرو على مذهب إسحاق. وفيه لحنٌ لابن مُسْجِح من رواية حمّاد عن أبيه في كتاب ابن مسجح.

(١) يقال: هذه الأمور خساس بينهم، أي دول يتداولونها. ولم ترد هذه الكلمة في «اللسان»، ووردت في «القاموس» و«مقاييس اللغة»، حيث استشهد الأخير بصدر البيت ملفقاً مع عجز البيت السابق.

/ نسب ابن الزّبعرى وأخباره وقصّة غزوة أحد [١٥/١٧٩]

نسب ابن الزبعري:

هو عبد الله بن الزِّبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.

حاله قبل الإسلام وبعده:

وهو أحدُ شعراءِ قريشٍ المعدودين. وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفارَ قريش في شعره، ثم أسلمَ بعد ذلك فقبِل النبيُّ ﷺ إسلامَه وأمَّنه يومَ الفتح.

وهذه / الأبياتُ يقولها ابنُ الزبعري في غزوة أحد. ١٢/١٤

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهري، ومحمد بن يحيى بن حَيان[١]، وعاصم بن عمرو بن قَتادة، والحُصين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا، كلُّهم قد حدَّث ببعضِ هذا الحديث، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقت من الحديث عن يوم أحد. قالوا:

خبر غزوة أحد:

لمّا أصيبت قريشٌ، أو من قاله منهم يومَ بدرٍ من كفار قريش، من أصحاب القَليب، فرجَع فَلُّهم إلى مكة[٢]، ورجع أبو سفيانَ بن حرب بِعِيره، مشى عبد الله بن أبي وبيعة، وعكرمةُ بن أبي جَهلٍ، وصَفْوان بن أُمية، في رجالٍ من / قريش، ممن أصيب آباؤهم [وأبناؤهم][٣] وإخوانهمُ ببدر، فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له[٤] في تلك [١٥/١٨٠] العير من قريش تجارة، فقال أبو سفيان: يا معشرَ قريش، إنَّ محمداً قد وَتَركم وقتلَ خياركم، فأعينونا بهذا المال على حَربه، لعلَّنا أن ندرك ثأراً ممن أصيبَ منا. ففعلوا، فاجتمعتْ قريش لحرب رسول الله ﷺ، حينَ فعل ذلك أبو سفيانَ وأصحاب العير بأحابيشها[٥] ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تهامة، وكلُّ أولئك قد استغوَوْا[٦] على حرب

(١) حبان هذا، بفتح الحاء وتشديد الباء كما في «القاموس» و«تقريب التهذيب». ولمحمد بن يحيى بن حبّان ترجمة في «تهذيب التهذيب». أ: «حسّان» و س: «حبّان»، صوابه في سائر النسخ.

(٢) الفل: القوم المنهزمون.

(٣) من ط، ها، مط، مب فقط.

(٤) ما عدا ط، ها، مط، مب: «لهم».

(٥) الأحابيش: الجماعة أياً كانوا، أو أحابيش قريش، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند جبل يسمى «حبشياً» بأسفل مكة فحالفوا قريشاً.

(٦) استغوا، بالغين المعجمة في ط، ها، مط، مب. وفي سائر النسخ بالعين المهملة، وهما سيّان. يقال: هو يستغوي القوم ويستعويهم، أي يستغيث بهم.

رسول الله ﷺ. وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحي قد منَّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بدر، وكان في الأسارى فقال: يا رسول الله، إنّي فقيرٌ ذو عيال وحاجةٍ قد عرفتَها، فامنُنْ عليّ صلّى الله عليك. فمنّ عليه رسول الله ﷺ، فقال صفوان بن أُميّة: يا أبا عزّة، إنك امرؤٌ شاعر فاخرجْ معنا فأعِنّا بنفسك. فقال: إن محمداً قد منّ عليّ، فلا أُريد أن أظاهِرَ عليه. فقال: بلى فأعِنّا بنفسك، ولك الله إن رجعتَ أن أعينَك، وإن أصِبتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر أو يسر. فخرج أبو عزة يسير في تِهامة ويدعو بني كنانة، وخرج مُسافع بن عَبْدة بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، ودعا جُبير بن مُطعِم غلاماً يقال له وحشيّ، وكان حبشياً يَقذِف بحربةٍ له قَذْفَ الحبشة، قلّما يخطيء / بها، فقال: اخرجْ مع الناس، فإن أنت قَتلتَ عمَّ محمدٍ بعمي طُعَيمة بن عديّ فأنت عتيق. وخرجت قريشٌ بحدِّها وأحابيشها ومَن معها من بني كنانة وأهلِ تهامة، وخرجوا بالظُّعُن[1] التماسَ الحفيظة، ولئلا يفرّوا. وخرج أبو سفيانَ بن حربٍ وهو قائد الناس، معه هندُ بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عِكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة[2] وخرج صَفْوان بن أُمية بن خَلَف ببرزةَ - وقيل ببَرّةَ من قول أبي جعفر - بنت مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية، وهي أم عبد الله بن صَفْوان. وخرج عمرو بن العاص[3]، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافةَ بنت سعدِ بن سُهيل[4]، وهي أم بني طَلْحة: مُسافع، والجُلاس، وكلاب، قُتلوا يومئذ وأبوهم. وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسل مع ابنها أبي عَزّة[5] بن عمير، وهي أمُّ مصعب بن عمير. وخرجت عمرة بنت عَلقمة إحدى نساء / بني الحارث بن [عبد مناة بن][6] كنانة.

وكانت هندُ بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّتْ بوحشيّ أو مرّ بها قالت: إيه أبا دَسمة[7] اشتِف[8]. فنزلوا ببطن السَّبخة[9] من قَناةٍ على شفير الوادي مما يلي المدينة، / فلمّا سمع بهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نزلُوا حيثُ نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيتُ بقراً تُذبحَ فأوّلتها خيراً، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْما، ورأيت أنّي أدخلتُ يدي في دِرعٍ حصينة، وهي المدينة[10]، فإنْ رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعوهم حيث نزلوا فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام، وإن هم دَخلوا علينا فيها قاتلناهم».

ونزلت قريشٌ منزلَها من أحد يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة، وراح رسولُ الله ﷺ حينَ صلّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أحد، فالتَقوا يومَ السبت للنصف من شوال. وكان رأيُ عبدِ الله بن أبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يَرى رأيَه في ذلك: أن لا يخرج إليهم، وكان رسولُ الله ﷺ يكره الخروجَ من

(١) الظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج.
(٢) في «السيرة» ٥٥٧ جوتنجن والطبري (٣: ١٠): «وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة».
(٣) في «السيرة» والطبري: «وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج».
(٤) كذا في ط، ها، مط، مب. وفي سائر النسخ: «سعيد بن سهم» وفي «السيرة»: «سعد بن شهيد».
(٥) في «السيرة»: «أبي عزيز».
(٦) التكملة من «السيرة». وفي ها: «بني الحارث بني مناة بني كنانة».
(٧) ط، مط: «أبو رسمة» ها: «أبو رشمة» وهي في «السيرة» والطبري بالدال أيضاً كما أثبت من سائر النسخ.
(٨) في الأصول: «استف» بالسين المهملة، صوابه في «السيرة وتاريخ الطبري» (٣: ١٠). والنص فيها: «ويها أبا دسمة اشف واشتف».
(٩) ط، مط، مب: «الشيحة» مخالفة ما في السيرة وسائر النسخ.
(١٠) في «السيرة»: «فأولتها المدينة».

المدينة، فقال رجالٌ من المسلمين، ممن أكرم الله جلّ ثناؤه بالشهادَة يوم أحد وغيرُهم ممن فاته بدر وحضوره: يا رسولَ الله صلّى الله عليك وسلّم اخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَون أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا. فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول: يا رسولَ الله أقمْ بالمدينة، ولا تخرجْ إليهم، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قط إلا أصابَ منّا، ولا يدخلُها علينا إلاّ أصبنا منهم، فدَعْهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشَرّ مجلِس، وإن دخلُوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساءُ والصِّبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم، وإن رجعوا رجَعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاءِ العدوّ، حتّى دخل رسول الله ﷺ فلبِس لأمتَه، وذلك يومَ الجمعة، حين فرغَ رسول الله ﷺ من الصلاة. وقد مات في ذلك / اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بني النجّار فصلّى [١٥/١٨٣] عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم، وقد ندم الناسُ: وقالوا أستكرَهنا رسولَ الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا! فخرجَ رسول الله ﷺ عليهم فقالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا، فإن شئتَ فاقعدْ صلّى الله عليك. فقال عليه السلام: «ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتّى يقاتل» قال: فخرج رسول الله ﷺ في ألفِ رجلٍ من أصحابه، حتّى إذا كانوا بالشوط، بين أُحد والمدينة، انخزَل عنه عبد الله بن أُبيّ بن سَلول بثلث الناس، وقال: أطاعَهم فخرجَ وعصاني، والله ما ندري علامَ نقتلُ أنفسَنا ها هنا أيُّها الناس. فرجَع بمن اتّبعه من الناس مِن قومه، من أهل النّفاق والرِّيب، واتّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أحد بني سلمة يقول: يا قوم أذكّركم[١] اللَّهَ أن تخذُلوا نبيّكم وقومَكم عندما حضر من عدوّهم. فقالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال. فلما استعصَوْا عليه وأبَوا إلاّ الانصرافَ قال: أبعدَكم الله أعداءَ الله، فسيُغني الله عزّ وجلّ عنكم.

وقال محمد بن عمر الواقدي: انخزل عبد الله بن أُبيّ عن رسول الله ﷺ / من الشَّيخين[٢] بثلثمائة، فبقي ١٤/١٤ رسولُ الله ﷺ في سبعمائة، وكان المشركون في ثلاثة آلاف، والخيل مائتا فارس، والظُّعن خَمسَ عشرةَ امرأة. قال: وكان في المشركين سبعُمائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرَسانِ: فرسٌ لرسول الله ﷺ، وفرس لأبي بُردة بن نيار الحارثي. فادّلج[٣] رسول الله ﷺ من الشَّيخين حتّى طلع الحمراء، وهما[٤] أُطُمانِ كان يهوديٌّ / ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدّثان، فلذلك سميا الشيخين، وهما في طرف المدينة. [١٥/١٨٤]

قال: وعرضَ رسول الله ﷺ المقاتلةَ بعد المغرب، فأجاز مَن أجاز، ورَدّ من رَدّ. قال: وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت، وأبو عمرو أُسيد بن ظهير، والبَرَاء بن عازب، وعَرابة بن أوس. قال: وهو عَرابة الذي قال فيه الشماخ:

إذا مـــا رايـــةٌ رفِعـــتْ لمجـــدٍ ... تَلَقَّـــاهـــا عَـــرابـــةُ بـــاليميـــن

قال: وردّ أبا سعيدٍ الخدريَّ، وأجاز سَمُرة بن جُندب، ورافعَ بن خَدِيج. وكان رسول الله ﷺ قد استصْغَر رافعاً، فقام على خفيّن له فيهما رِقاع، وتطاوَل على أطراف أصابعه، فلما رآه رسول الله ﷺ أجازَه.

قال محمد بن جرير: فحدّثني الحارث قال: حدّثنا ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال:

---

(١) كذا في ط، أ مط، مب والسيرة. وفي سائر النسخ: «اذكروا».
(٢) الشيخان: موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله ﷺ.
(٣) ادلج: سار في آخر الليل.
(٤) أي الشيخان.

كانت أمُّ سمرة تحتَ مُرَيّ بن سِنان بن ثعلبة[١]. عمٌّ أبي سعيد الخدري، وكان ربيبَه[٢]، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أحدٍ وعَرض أصحابَه فردَّ مَن استصغر، ردَّ سمرة بن جندب، وأجاز رافعَ بن خديج، فقال سَمُرة لربيبه مُرَيّ بن سِنان: أجاز رافعاً وردّني وأنا أصرعُه! فقال يا رسول الله: رددتَ ابني وأجزتَ رافع بن خَدِيج وابني يصرعُه؟ فقال النبيّ ﷺ لرافعٍ وسَمُرة: اصطرِعا. فصرعَ سمرةُ رافعاً، فأجازه رسول الله ﷺ، فشهدها مع المسلمين، وكان دليلَ النبيّ ﷺ أبو خَيثمة الحارثي.

[١٥/١٨٥] / رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حَرّة بني حارثة، فذبَّ فرس بذَنَبه فأصاب كُلّابَ سيفٍ[٣] فاستلّه، فقال رسول الله ﷺ ـ وكان يحبُّ الفأل ولا يعتاف ـ لصاحبِ السيف: «شِمْ سيفَك فإنّي أرى السيوفَ ستُسَلُّ اليوم»! ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كثَبٍ مِن طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم؟»، فقال أبو خيثمة، أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله. فقدّمَه فنفذ به في حَرة بني حارثة وبين أموالهم، حتّى سلك به في مال المِرْبع[٤] بن قَيظيّ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حِسَّ رسولِ الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يَحثِي التراب في وجوههم ويقول: إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحِلّ[٥] لك أن تَدخُل حائطي. قال: وقد ذُكِر لي أنّه أخذ حَفنةً من ترابٍ في يده ثم قال: لو أنّي أعلم أنّي لا أصيبُ بها غيرَك لضربتُ بها وجهكَ! فابتدره القومُ ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعلوا فهذا / الأعمى البصرِ الأعمى القلب!» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نَهى رسول الله ﷺ عنه، فضربَه بالقوس في رأسه فشجَّه، ومضى رسولُ الله ﷺ على وجهه حتّى نزل الشعب من أُحدٍ في عُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يُقاتلن أحدٌ أحداً حتى نأمرَه بالقتال. وقد سرَّحت قريشٌ الظُّهر والكراع[٦] / في زُروع كانت بالصَّمْغة[٧] من قناةٍ للمسلمين، فقال رجلٌ من المسلمين حينَ نهى رسولُ الله ﷺ عن القتال: أتُرعَى زروعُ بني قَيلة ولمَّا نضارب! وتعبّى رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجلٍ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلافٍ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولهم، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكرمةَ بن أبي جهل، وأمّر رسول الله ﷺ على الرماة[٨] عبدَ الله بن جُبير[٩] أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذ مُعلِمٌ بثيابٍ بيض، والرماة خمسون رجلاً، وقال: انضَحْ عنا الخيلَ بالنَّبل لا يأتونا

[١٥/١٨٦]

(١) مري، بالتصغير، كما في «الإصابة» ٧٩١٢. وفيها «مري بن سنان بن عبيد بن ثعلبة».

(٢) الربيب: ابن امرأة الرجل من غيره، وزوج الأم أيضاً.

(٣) في الأصول: «سيفه» والصواب من «السيرة» و «اللسان» (كلب) و «تاريخ الطبري» (٣: ١٣). وكلاب السيف، بوزن رمان: الحلقة أو المسمار الذي في قائم السيف تكون فيه علاقته.

(٤) في «السيرة»: «المربع».

(٥) ما عدا ط، حـ، ها، مط، مب: «فلا يحل».

(٦) الظهر: الإبل. والكراع: الخيل.

(٧) كذا في جميع النسخ بالعين المهملة. وفي «معجم البلدان» و «تاريخ الطبري» (٣: ١٣) بالغين المعجمة. وفي «السيرة»: «بالصبغة». وفي «الروض الأنف»: «بالسبخة».

(٨) التكملة من ط، مب و«السيرة».

(٩) ط فقط: «عبد الله بن أبي جبير».

مِن خلفِنا إنْ كانت لنا أو علينا، فأثبتْ بمكانك لا نُؤتَيَنَّ مِن قِبلك. وظاهرَ رسول الله ﷺ بين دِرعين.

قال محمد بن جرير: فحدّثنا هارون بن إسحاق قال: حدّثنا مُصعب بن المقدام قال: حدّثنا أبو إسحاق عن البرّاء قال:

لما كان يومَ أُحد ولقي رسولُ الله ﷺ المشركين أجلَسَ رسولُ الله ﷺ رجالاً بإزاء الرماة، وأمرَّ عليهم عبد الله بن جُبير وقال لهم: «لا تَبرحوا مكانكم وإنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تعينونا». فلما لقي القومَ هزمَ المشرِكين، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهن وبدت خَلاخيلهنَّ فجعلوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمةَ!! فقال عبد الله: مهلاً أمَا علمتم ما عهِدَ إليكم رسول الله ﷺ. فأبوا فانطلقوا، فلما أتَوهم صُرِفَتْ [وجُوههم][1] فأصيب من المسلمين سبعون رجلاً.

/ قال محمد بن جرير: حدّثني محمد بن سعد قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عمي قال: حدّثني أبي عن أبيه [١٨٧/١٥] عن ابن عباس قال:

أقبلَ أبو سفيانَ في ثلاثِ ليالٍ خَلَون من شوّال حتّى نزل أُحداً، وخرج رسولُ الله ﷺ فأذَّنَ في الناس فاجتمَعوا، وأمَّر الزبيرَ على الخيل، ومعه يومئذ المِقداد الكِنديّ، وأعطى رسولُ الله ﷺ الرايةَ رجلاً من قُريش يقال له مصعب بن عمير، وخرجَ حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه بالجيش، وبُعِث حمزةُ بين يديه. وأقبل خالدُ بن الوليد على خيل المشركين، ومعه عِكرمة بن أبي جهل، فبعثَ رسولُ الله ﷺ الزبير، وقال: استقبلْ خالد بنَ الوليد فكُنْ بإزائه حتّى أوذِنَك. وأمَر بخيلٍ أخرى فكانوا من جانبٍ آخر، فقال: لا تبرحُنَّ حتى أوذِنَكم. وأقبل أبو سفيانَ يحمل اللاّت والعزى، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى الزبير أن يَحمِلَ، فحملَ على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومَن معه، فقال جلّ وعزّ: ﴿ولقد صَدَقَكُم اللَّهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه﴾ إلى قوله تبارك اسمه وتعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبُّون﴾ وإنّ الله تعالى وعَد المؤمنين النّصرَ وأنَّه معهم. وإن رسول الله ﷺ بعثَ ناساً من الناس فكانوا من ورائهم، فقال رسول الله ﷺ: كونوا / ها هنا، فردُّوا وجهَ من فرَّ مِنّا وكونوا حرساً لنا مِن قِبلَ ظهورنا. وإنه [١٦/١٤] عليه السلام لما هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضُهم لبعض ـ ورأوا النساء مُصْعِداتٍ في الجبل، ورأوا الغنائم ـ: انطلِقوا إلى رسول الله ﷺ وأدرِكوا الغنائم قبل أن تُسبقوا إليها. وقالت طائفةٌ أخرى: بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبتُ مكاننا. فقال ابن مسعود: ما شعرتُ أنّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعَرَضَها حتّى كان يومئذ.

/ قال محمد بن جرير: حدّثني محمد بن الحسين قال: حدّثنا أحمد بن الفضل قال حدّثنا أسباط عن السُّدّي [١٨٨/١٥] قال:

لمّا برزَ رسول الله ﷺ بأحُدٍ إلى المشركين أمَر الرماة فقاموا بأصل الجَبل في وُجوه خيل المشركين وقال لهم: لا تَبرحوا مكانكم إنْ رأيتم قد هَزمناهم، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم. وأمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير أخا خَوَّات بن جُبير. ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال: يا معاشرَ أصحابِ محمد، إنكم تزعمون أنّ الله عزّ وجلّ تَعجِّلنا بسيوفكم إلى النار، وتعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهلْ منكم أحدٌ يعجِّله اللّهُ بسيفي إلى

(١) التكملة من ها، مب. وفي «الطبري ٣: ١٤: «صرف الله وجوههم».

الجنة، أو يعجِّلني بسيفِه إلى النار؟ فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والذي نفسي بيدِه لا أفارقُك حتّى يعجِّلك الله عزّ وجلّ بسيفي إلى النار، أو يعجِّلني بسيفك إلى الجنّة! فضربه عليٌّ فقطع رِجلَه فبدت عورتُه فقال: أنشُدك اللّهَ والرحمَ يا ابنَ عمّ. فترَكه فكبّر رسول الله ﷺ، وقال لعليّ وأصحابه: ما مَنعك أن تُجهزَ عليه؟ قال: إنّ ابن عمي ناشَدني حين انكشفت عورتُه، فاستحييتُ منه. ثم شدَّ الزبيرُ بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحَمل النبيُّ ﷺ وأصحابُه فهزموا أبا سفيان، فلما رأى ذلك خالدُ بن الوليد وهو على خَيل المشركين حَمَل فرمته الرماة فانقمَع[1]، فلما نظر الرماةُ إلى رسول الله ﷺ وأصحابِه في جوف عَسكر المشركين يَنتهبونه بادَرُوا الغنيمةَ فقال بعضهم: لا نتركُ أمرَ رسول الله ﷺ. وانطلق عامّتُهم فلحِقوا بالعسكر، فلما رأى خالدٌ قِلّة الرماة صاحَ في خيله، ثم حَمل فقتل الرماة، وحَمل على أصحاب رسول الله ﷺ، فلمّا رأى المشركون أنّ خيلَهم تُقاتِل تبادَرُوا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

[١٥/١٨٩] / رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله ﷺ: مَن يأخذ هذا السيفَ بحقّه؟ فقام إليه رجالٌ، فأمسكه بينَهم، حتّى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة أخو بني ساعدةَ فقال: وما حقُّه يا رسولَ الله؟ قال: أن تضربَ به في العدوّ حتّى ينحنيَ. فقال: أنا آخُذه بحقّه يا رسول الله. فأعطاه إياه. وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلَمَ على رأسه بعصابةٍ له حمراءَ علِم الناس أنّه سيقاتل، فلما أخذَ السيفَ من يدِ رسول الله ﷺ وآله أخذَ عِصابتَه تلك فعصَب بها رأسه، ثم جعل يَتبختر بين الصَّفّين.

قال محمد بن إسحاق: حدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رجل / من الأنصار من بني سَلمة قال: قال رسولُ الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة يتبختر: إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلاّ في هذا الموطن. وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال: يا معشرَ الأوس والخزرج، خلُّوا بيننا وبين ابن عمنا نَنصرفْ عنكم، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم. فرَدُّوه بما يكره. [١٧/١٤]

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قَتادة أنّ أبا عامر عمرو بن صيفيّ بن النعمان بن مالك بن أُمية، أحد بني ضُبيعَة وقد خرج إلى مكة مباعِداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس، منهم عثمان بن حُنَيف ـ وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر ـ فكانَ يعِدُ قريشاً أنْ لو قد لقِيَ محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان. فلما التقى الناس كان أوّلَ من لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعَمَ الله بك عيناً يا فاسق. وكان أبو عامرٍ يسمّى في الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله / ﷺ الفاسقَ. [١٥/١٩٠] فلما سمعَ ردَّهم عليه قال: لقد أصابَ قومي بعدي شَرٌّ! ثم قاتلَهم قتالاً شديداً ثم راضَخَهم بالحجارة[2]. وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بني عبدِ الدار، إنكم وَلِيتم لواءنا يومَ بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنّما يُؤتَى الناس مِن قِبَل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أن تكْفونا لواءنا، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكُموه. فهمُّوا به وتوعّدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟! ستعلمُ غداً إذا التقينا كيف نصنع!

---

(١) انقمع: اختفى.

(٢) المراضخة: المراماة.

وذلك الذي أراد أبو سفيان. فلما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النِّسوة اللواتي معها، وأخذن الدُّفوف يَضرِبن خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هندٌ فيما تقول:

إنْ تُقبلــوا نُعــانــقْ ونَفــرش النمــارقْ
أو تــدبــروا نفــارقْ فِــراقَ غيــرِ وامــقْ

وتقول:

إيهــاً بنــي عبــد الــدارْ إيهــاً حُمــاةَ الأدبــار[1]

* ضـرباً بكـلِّ بتّـارْ *

واقتتل الناسُ حتَّى حميت الحرب، وقاتل أبو دُجانة حتَّى أمعن في الناس، وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليهما السلام في رجالٍ من المسلمين، فأنزل الله نَصرَه، وصَدَقهم وعده، فحسُّوهم بالسَّيف[2] حتى كَشَفوهم، وكانت الهزيمة.

/ وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير: والله لقد [١٥/١٩١] رأيتُني أنظُر إلى هندٍ بنت عُتبةَ وصواحبها مشمِّرات هواربَ، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثير، إذ مالت الرُّماة إلى الكَرّ حتّى كشفنا القومَ عنه يُريدون النهب، وخَلَّوا ظهورَنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا وصَرخ صارخٌ: ألاَ إنَّ محمداً قد قُتل! فانكفأنا وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء، حتَّى ما يدنو إليه أحدٌ من القوم.

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أنّ اللواءَ لم يزل صريعاً حتّى أخذته عَمرة بنت علقمَة الحارثيّة، فرفَعَته لقريشٍ فلاذُوابها، وكان اللواء مع صَوابٍ غلام لبني أبي طلحة حَبَشيّ، فكان آخرَ من أخذه منهم، فقاتلَ حتّى قُطعت يداه، فبرك عليه وأخذَ اللواءَ بصدره وعُنقه حتَّى قُتل / عليه وهو يقول: اللّهم قد أعذَرتُ! فقال حسّان بن ثابت في قَطع يد صوابٍ حِينَ تقاذفوا بالشعر: ١٨/١٤

فخَــرتــم بــاللــواءِ وشــرُّ فخــرٍ لــواءٌ حيــنَ ردّ إلــى صَــوابِ
جَعلتــم فخــرَكــم فيهــا لعبــدٍ مِــنَ ألأمِ مــن وَطِــي عَفَــرَ التــراب
ظَننتــم والسَّفيــه لــه ظُنــونٌ ومــا إن ذاكَ مــن أمــر الصَّــواب
بــأنَّ جــلادَنــا يــوم التقينــا بمكــةَ بيعُكــم حُمــرَ العِيــاب[3]
أقَــرَّ العيــنَ إن عُصِبَــت يــداه ومــا أن يُعصَبــانِ علــى خِضــابِ

قال محمد بن جرير: وحدّثنا أبو كُريب قال: حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا حِبّان بن علي[4] عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن جده قال:

---

(١) في «السيرة» ٥٦٢ جوتنجن: «ويها» في هذا الوضع وسابقه.

(٢) حسوهم: استأصلوهم قتلا. وفي الكتاب: «إذ تحسونهم بإذنه».

(٣) أي ظننتموه من الهون بمنزلة بيع العياب، والعياب: جمع عيبة، وهي زبيل من أدم، أو ما يجعل فيه الثياب.

(٤) ذكره في «تهذيب التهذيب»، فيمن يقال له «حبّان» بالكسر. ط، مط، مب فقط: «حيان»، تحريف.

[١٥/١٩٢] / لمّا قُتِل[1] أصحابُ الألويةِ يوم أحد ـ قَتلَهم علي بن أبي طالب عليه السلام ـ أبصرَ رسولُ الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش فقال لعلي: أحمل عليهم. فحملَ عليٌّ ففرَّق جَمعَهم، وقَتل عَمرَو بنَ عبد الله بن الجمحي، ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعلي؛ أحمِل. فحمَل عليٌّ ففرّق جمعهم، وقَتل شَيبةَ بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل عليه السلام: [يا رسولَ الله][2] إنَّ هذه لَلمواساةُ[3]. فقال رسول الله ﷺ: «هو منّي وأنا منه»، فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكم! قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيـــــفَ إلاّ ذو الفَقـــــارِ ولا فتـــــىً إلاّ عَلِـــــي

فلما أُتِيَ المسلمون مِن خَلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لمَّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً: ثلثٌ قتيل، وثلثٌ جريح، وثلثٌ منهزمٌ وقد جهدَته الحربُ حتّى ما يدري ما يصنع. وأصيبت رَباعِيَة[4] رسول الله ﷺ السُّفلى، وشُقّت شفته، وكُلِم في وجنته وجَبْهته في أصول شعره، وعلاه ابن قمئة بالسَّيف على شِقّه الأيمن، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقّاص.

قال محمد بن جرير: وحدّثنا ابن يسار[5] قال حدّثنا ابن أبي عديّ عن حميد عن أنس بن مالك قال:

لما كان يوم أحد كسرت رباعِية رسول الله ﷺ وشُجَّ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه، وجَعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «كيف يُفلح قومٌ / خَضَبوا وجهَ نبيِّهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله تعالى!». فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ لكَ مِنَ الأمر شيءٌ أو يَتُوبَ عليهم﴾. الآية. وقد قال رسول الله ﷺ حين غشيَه القومُ: «مَن رجلٌ يَشري لي نفسه؟». [١٥/١٩٣]

دفاع الصحابة عن الرسول الكريم:

قال محمد: فحدّثني ابن حميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق قال: حدّثني الحصين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن [قال: فقام زياد بن السّكن][6] في نفرٍ خمسةٍ من الأنصار ـ وبعضُ الناس يقول: إنّما هو عُمارة بن زياد بن السكن ـ فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلا، يُقتَلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عُمارة[7] بن زياد بن السكن، فقاتَلَ حتّى أثبتته الجِراحة، ثم فاءت من المسلمين فِئةٌ حتّى أجهضُوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: أدنُوه منّي. فأدنَوْه منه فوسَّده قدمَه، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ. وترَّسَ مِن دون النبيّ ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يَقعُ النَّبل في ظهره وهو منحنٍ عليه حتّى كثرت فيه النَّبل. ورَمَى سعدُ / بن أبي وقاص دونَ رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يُناوِلني ويقول: فداكَ أبي وأمّي، حتّى إنّه لَيناوِلُني السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول: ارمِ به! [١٩/١٤]

(١) ما عدا ط، مط، مب: «لما ولى» وفي ها والطبري (٣: ١٧): «لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية».
(٢) التكملة من مب.
(٣) هذا ما في ط، مط، مب. وفي ها: «إن هذا للمواساة». وفي سائر النسخ: «إن هذه المواساة».
(٤) الرباعية: السن التي بين الثنية والناب.
(٥) ط، ها، مب: «ابن بشّار». مط: «أبو يسار».
(٦) هذا الإكمال من ها و«تاريخ الطبري» (٣: ١٨).
(٧) في الطبري: «زياد أو عمارة».

قوس الرسول ﷺ:

وعن محمد بن إسحاق قال حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله ﷺ رَمَى عن قوسه حتّى اندقّت سِيَتُها، فأخذَها قَتادةُ بن النعمان فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينُ قَتادة حتى وقعَتْ على وَجنته.

/ وعن محمد بن إسحاق قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ ردَّها بيدِه فكانت أحسنَ عينيهِ [١٥/١٩٤] وأحدَّهما. وقاتل مُصعبُ بن عُمير دونَ رسول الله ﷺ ومعه لواؤُهُ حتّى قُتل، وكان الذي أصابه ابنِ قمئة اللَّيثي وهو يظنُّ أنه رسول الله ﷺ، فرجَع إلى قريش فقال: قد قتلتُ محمداً! فلما قُتِل مصعب بن عمير أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن طالب عليه السلام. وقاتَل حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه حتّى قتل أرطاةَ بن شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ، وكان أحدَ النَّفَر الذين يحملون اللواء، ثم مَرّ به سِبَاعُ بن عبد العُزّى الغُبْشاني، وكان يُكنَى أبا نِيَار، فقال له [حمزة][1]: هَلُمَّ إليَّ يا ا بنَ مقطّعة البظور ـ وكانت أمُّه[2] خَتّانة [بمكة][3] مولاةَ شَرِيقِ بن عمرو بن وهب الثقفي ـ فلما التقَيا ضربَه حمزةُ عليه السلام فقتله، فقال وحشيٌّ غلامُ جُبير بن مُطعِم: إنّي لأنظر إلى حمزةَ يهدُّ الناس بسيفه[4] ما يُليق شيئاً يمرّ به[5]، مثلَ الجملِ الأورَق، إذْ تقدَّمَني إليه سِباع بن عبد العُزّى فقال له حمزة: هلمّ إليَّ يا ابن مقطَّعة البظور. فضربَه فما أخطأ رأسَه، وهززتُ حربتي حتّى إذا ما رضِيتُ دفعتُها عليه فوقعَتْ عليه في لَبَّه حتّى خرجَتْ من بين رجليه، وأقبَلَ نحوي فغُلِبَ فوقَع، فأمهلتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتي ثم تنحَّيتُ إلى العسكر، ولم يكن لي بشيءٍ حاجة غيره. وقد قَتَل عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلَح، أحدُ بني عمرو بن عَوف، مُسافعَ بنَ طلحة وأخاه كلابَ بن طلحة، / كلاهما يُشعِره سهماً[6] فيأتي أمَّه [١٥/١٩٥] فيضعُ رأسَه في حجرها فتقول: يا بُنيّ مَن أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً يقول حينَ رماني: خُذْها إليكَ وأنا ابن أبي الأقلح! فتقول: أَقْلَحيٌّ؟! فنذرَتْ لله إن اللّهُ أمكنهَا من رأس عاصمٍ أن تشربَ فيه الخمر. وكان عاصمٌ قد عاهدَ الله عزّ وجلّ أن لا يـمسَّ مشركاً ولا يمسَّه.

جهاد أنس بن النضر:

عن ابن إسحاقَ قال حدّثني القاسم بن عبد الرحمٰن بن رافع، أخو بني عديّ بن النجار قال:

انتهى أنسُ بن النضر، عمُّ أنس بن مالكٍ، إلى عمرَ بن الخطاب وطلحةَ بن عبيد الله، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار، وقد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يُجلِسكم هٰهنا؟ فقالوا: قُتِل رسول الله ﷺ! قال: فما تَصنعون بالحياة بعدَه؟ قوموا فموتوا كراماً على ما ماتَ عليه. ثم استقبل القومَ فقاتلَ حتّى قُتِل. وبه سمي أنَس بن مالك.

عن ابن إسحاق قال: حدّثني حُميد الطَّويل عن أنس بن مالك قال:

لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعينَ ضربةً وطعنة، فما عرفَتْه إلا أختُه، عَرَفَتْه بحُسْن بَنانِه.

معرفة رسول الله بعد الهزيمة:

عن ابن إسحاقَ قال:

(١) التكملة من ط، ها، مط، مب الطبري.

(٢) في الطبري: «أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي».

(٣) التكملة من ط، ها، مط، مب والطبري.

(٤) هذه بالسيف هذا: قطعه.

(٥) ما يلبق: ما يترك وما يبقى.

(٦) أشعره السهم: خالطه به. قال أبو عازب الكلابي:

فأشعرته تحت الظلام وبيننا … من الخطر المنضود في العين نافع

كان أوّلَ من عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وقولِ الناس: قُتل رسول الله ﷺ - كما حدّثني ابن شهاب الزُّهري - كعبُ / بن مالكٍ أخو بني سَلِمة. قال: عرفتُ عينيهِ تَزهَران تحت المغفر، فناديتُ / بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشِرُوا، هذا رسولُ الله ﷺ! فأشار إليّ عليه السلام: أنْ أنصِتْ. فلما عرَفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضوا به، ونهض نحوَ الشعب معه أبو بكر بن أبي قُحافة، وعمر بن الخطاب، وعليُّ بن أبي طالب، وطلْحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوّام، والحارث بن الصِّمّة، في رهطٍ من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

[١٩٦/١٥ - ٢٠/١٤]

قتل رسول الله ﷺ أُبيّ بن خلف:

فلما أسند[١] رسولُ الله ﷺ في الشِّعب، أدركه أُبيّ بن خَلَف وهو يقول: يا محمد[٢] لا نجوتُ إنْ نجوتَ! فقال القوم: يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منا؟ فقال: دَعُوه. فلمّا دنا تناولَ رسول الله ﷺ الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة. قال: يقول بعض الناس فيما ذُكِر لي: فلما أخذَها رسولُ الله ﷺ انتفضَ بها انتفاضةً تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشُّعْراء[٣] عن ظهر البعير إذَا انتفض، ثم استقبلَه فطعنَه في عُنقه طعنةً تَدَأْدأَ بها عن فرسه مِراراً[٤]. وكان أُبيُّ بنِ خلف - كما حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف - يَلقَى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد، إنَّ عندي العَوْدَ أعلِفُه كلَّ يومٍ فَرْقاً من ذُرَة[٥] أقتُلك عليه! فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى. فلما رجَع إلى قريش وقد خَدَشَه في حَلْقه[٦] خدشاً غيرَ كبير، فاحتقَنَ الدم قال: قتلَني واللّهِ محمّد! قالوا: ذَهَب والله فؤادُك، والله ما بكَ بأس. قال: إنّه كان بمكة قال لي: أنا أقتلُك، / فوالله لو بَصَق عليَّ لقتلَني. فماتَ عدوُّ الله بسَرِف[٧] وهم قافلون به إلى مَكة، فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشِّعب خرج عليُّ بن أبي طالب حتى مَلأ دَرَقتَه من المِهراس[٨] ثمّ جاء به إلى رسول الله ﷺ فشرِبَ منه[٩] وغسَلَ عن وجهه الدم، وصَبَّ على رأسه وهو يقول: «اشتدَّ غضبُ الله عزّ وجلّ على من دَمَّى وجهَ نبيه».

[١٩٧/١٠]

دعاء رسول الله على محاربيه:

قال محمد بن إسحاق: حدّثني صالح بن كيسان عمن حدّثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ما حَرَصت على قَتل رجلٍ قطُّ ما حَرَصت على قتلِ عتبة بن أبي وقّاص، وإنْ كان ما علمت لسَيِّءَ الخلق مبغَضاً في قومه، ولقد كفاني منه قولُ رسولُ الله ﷺ: «اشتدَّ غضَبُ الله على مَن دَمَّى وجه رسول الله».

تمثيل هند وصواحباتها بقتل المسلمين:

قال حدّثنا محمد بن إسحاق قال: حدّثني صالح بن كيسان قال:

---

(١) أسند فيه: رقي فيه.

(٢) في «الطبري (٣: ١٩): «أين محمد»، لعلها «أي محمد».

(٣) في ها: «الفراش» وفي سائر الأصول: «الشعر» صوابه من «الطبري والسيرة» ٥٧٥ جوتنجن. و«الشعراء»: ذباب أحمر وقيل أزرق، يقع على الإبل ويؤذيها أذىً شديداً.

(٤) تدأدأ: تدحرج.

(٥) الفرق: مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع.

(٦) الطبري: «في عنقه».

(٧) سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

(٨) المهراس: ماء بجبل أحد.

(٩) صواب النص كما في «السيرة» والطبري (٣: ٢٠): «ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه».

خرجَتْ هندٌ والنسوة اللواتي معها يمثّلن بالقتلى[١] من أصحاب رسول الله ﷺ يَجْدعْنَ الآذانَ والآنُف، حتَّى اتخذت هندٌ من آذان الرجال وآنفهم خَدَماً وقلائد[٢]، وأعطت خَدَمها وقلائدَها وقُرطَها وحشيا غلامَ جُبير بن مُطعِم، وبَقَرت عن كبد[٣] حمزةَ عليه السلام، فأخرجَتْ كبده فلاكَتْها، فلم تستطع أن تُسِيغَهَا / فلفظتها، ثم علَتْ على [١٩٨/١٥] صخرةٍ [مشرفةٍ][٤] فصاحَتْ بأعلى صوتها بما قالتْ من الشعر حِين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

هجاء حسان لهند:

قال: حدّثني صالح بن كيسان أنه حُدِّث أنّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسّان: يا ابنَ الفُريعة، لو سمعتَ ما تقوّل هند ورأيتَ أشَرها قائمةً على صَخرةٍ ترتجز بنا / وتذكر ما صنعَتْ بحمزة؟ قال له حسان: والله إنّي ٢١/١٤ لأنظرُ إلى الحربة تَهوِي وإنّي على رأس فارع ـ يعني أُطُمَه ـ فقلت: والله، إنّ هذه لسلاحٌ ما هي بسلاح العرب، وكأنَّها إنّما تَهوِي [إلى حمزة][٥] ولا أدري، أسمِعْني بعضَ قولها أكفِكُموها. قال: فأنشده عمرُ بعضَ ما قالَتْ، فقال حسان يهجو هنداً:

أشِرَتْ لَكَاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أشِرت مع الكُفرِ[٦]

لعنَ الإلهُ وزوجَها معها ... هِندَ الهنود طويلةَ البَظْرِ[٧]

أخرجتِ مرقصةً إلى أحدٍ ... في القوم مُقتبةً على بَكْرِ[٨]

[بَكرٍ ثَفالٍ لا حَراكَ به ... لا عن مُعاتبةٍ ولا زجرِ][٩]

وعصاكِ استُكِ تتّقين بها ... دُقِّي العجايةَ منك بالفهرِ[١٠]

/ قَرِحت عجيزتُها ومَشرجُها ... من دَأبها نصّاً على القَتْرِ[١١] [١٩٩/١٥]

ظلَّتْ تُداويها زميلتُها ... بالماء تَنضحه وبالسِّدرِ

أخرجتِ ثائرةً مبادرةً ... بأبيك فاتِك يومَ ذي بدرِ[١٢]

---

(١) في بعض النسخ: «تمتاز القتلى». ولم ترد «امتاز» متعدية، وإنما هي مطاوعة. والصواب ما أثبت من ها و «الطبري».

(٢) الخدم: جمع خدمة بالتحريك، وهي الخلخال.

(٣) هذه الصواب من ط، مط، مب والطبري. وفي سائر النسخ: «عن بطن».

(٤) هذه من ط، ها، مط، مب والطبري.

(٥) التكملة من «تاريخ الطبري» (٣: ٢٣) والسيرة ٥٨٢.

(٦) لكاع، كنى بها عن هند. وامرأة لكاع كقطام: لئيمة. في الطبري و «الديوان» ٢٢٩: «مع الكفر».

(٧) البظر: الهنة بين شفري المرأة. الطبري: «عظيمة البظر».

(٨) الإرقاص: أن يحمل البعير على الخبب.

(٩) البيت من ط، مط، مب «والطبري» و «الديوان». والثفال، كسحاب: البطيء من الإبل. مب «ثقال» تحريف.

(١٠) يقال عصاه استه، أي ليس معه عصا فهو يحرّك استه على المطيّة حتى تسير. انظر «مجالس ثعلب» ٣٨٠ و «البيان» (٣: ٧٧). دقي العجاية، هي على هذا الصواب في ها، وفي الطبري: «دق العجاية هند بالفهر»، وفي «الديوان»: «دق العجاية عاري الفهر». وفي سائر النسخ «دقي عجانك منك» تحريف. وأنشدوا لمزرد بن ضرار:

فجاءَ على بكرٍ ثفالٍ يكدّه ... عصاه استه وجي العجاية بالفهر

(١١) ط، حـ، ها، مط، مب: «عجيتها» تحريف، صوابه في سائر النسخ والطبري و «الديوان». والنص: ضرب من السير السريع. والقتر، بالضم: الناحية والجانب. وفي «الديوان»: «من نصها نصاً على القَهر».

(١٢) الطبري و «الديوان»: «بأبيك وابنك»، وهو الصواب. و «ذو» تزاد كثيراً في كلامهم.

ويعمَّــــكِ المسْتُـــــوهِ فـــــي رَدَع وأخيــك مُنعَفِــريــنِ فــي الجَفْــر[1]

ونَسيـــتِ فـــاحشـــةً أتيـــتِ بهـــا يـــا هنـــدُ ويحـــكِ سَبَّـــةَ الـــذكـــر[2]

فـــرجَعـــتِ صـــاغـــرةً بـــلا تـــرةٍ منّـــا ظَفِـــرتِ بهـــا ولا نَصـــر

زعــمَ الـــولائـــدُ أنّهـــا ولـــدت وَلـــداً صغيـــراً كـــان مـــن عَهْـــر

تعقب أبي سفيان للمسلمين ووعيده لهم:

قال محمد بن جرير: ثم إنّ أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال: حدّثنا مصعب بن المقدام قال حدّثنا إسرائيل، وحدّثنا ابن وكيع قال: حدّثنا أبي عن إسرائيل قال حدّثنا ابن إسحاق عن البرّاء قال:

ثم إن أبا سفيان أشرفَ علينا فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تُجيبوه! مرّتين، ثم قال: أفي القوم ابنُ أبي قحافة؟ ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه![3]]. ثم التفتَ إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا! فلم يملك عمرُ بن الخطاب / رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبت يا عدوَّ الله، قد [١٥/٢٠٠] أبقَى الله لك ما يُخزيك. فقال: أعلِ هُبَل، أعلِ هُبل! فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا «الله أعلَى وأجلّ» قال أبو سفيان: لنَا العُزّى ولا عُزّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحربُ سِجال، أمّا إنكم ستجدون في القوم مُثَلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤني.

لما أجابَ عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان: هلمّ يا عمر. فقال رسول الله ﷺ: ايتِهِ فانظرْ ما شأنه؟ فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشُدك الله يا عمر أقتَلْنا محمداً؟ فقال عمر: اللهمّ لا، وإنّه ليسمعُ كلامَكَ الآن. قال: أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرّ؛ لقول ابن قمئة لهم: إنّي قتلتُ محمداً. ثم نادى أبو سفيان فقال: إنّه قد كان مُثَلٌ[4] والله ما رضِيتُ ولا سَخِطت، ولا أمرتُ ولا نهيت، وقد كان الحُلَيس بن زبّان، أخو بني الحارث بن عَبد مَناة، وهو يومئذ سيِّد الأحابيش، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب وهو يَضرِب في شِدق حمزةَ عليه السلام و / هو ٢٢/١٤ يقول: ذُقْ عُقَق[5]! فقال الحُليس: يا بني كنانة، هذا سيِّد قريش يصنع بابن عمه كما ترَوْن لحماً[6]! فقال اكتمْها عليّ فإنّها كانت زَلّةً قال: فلما انصرفَ أبو سفيانَ ومن معه نادى: أنْ موعدُكم بدرٌ، العامَ / المقبل. فقال رسول الله [١٥/٢٠١] صلّى الله عليه وسلّم وآله لرجلٍ من أصحابه: «قل: نعم، هي بيننا وبينك مَوعد».

---

(١) المستوه: المضروب في استه: والردع: الدم. ط، والطبري: «ودع». وفي «الديوان»: «المسلوب بزته». والجفر: البئر. وهذه رواية ط، مط و «الديوان»، وفي الطبري وسائر النسخ: «الحفر» بالحاء المهملة.

(٢) في «الديوان» والطبري: «سبة الدهر». وسيئة، في رواية أبي الفرج، هو تخفيف السيئة. قال:

أنـــي جـــزوا عـــامـــرا سيئـــاً بفعلهـــم أم كيـــف يجـــزونـــني الســـوأى مـــن الحســـن

(٣) التكملة من ط، ها، مط، مب والطبري (٣: ٢٣).

(٤) الطبري: «قد كان في قتلاكم مثل». والمثل: جمع مثلة.

(٥) في «اللسان»: «ذق عقق، أي ذق جزاء فعلك يا عاق»... وعقق معدول عن عاق للمبالغة، كغدر من غادر، وفسق من فاسق».

(٦) مطابق لما في الطبري و «السيرة» ٥٨٦ جوتنجن. أراد وهو قتيل.

خروج علي بن أبي طالب في أثر المشركين:

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: اخرجْ في آثار القوم فانظرْ ماذا يصنعون، فإنْ كانوا قد جَنَبوا وامتطَوا الإبلَ فإنّهم يريدون مكة، وإنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيدِه لئن أرادوها لأسِيرنّ إليهم ثم لأناجزنّهم. قال علي: فخرجتُ في آثارهم أنظرُ ما يصنعون، فلما جَنَبوا الخيل وامتطَوا الإبل توجّهوا إلى مكّة، وكان رسول الله ﷺ قال لي: أيَّ ذلك كان فأخفهِ حتّى يأتيني. قال عليّ: فلما رأيتُهم قد توجّهوا إلى مكة أقبلْتُ أصيح، ما أستطيع أنْ أكتم الذي أمَرَني به رسولُ الله ﷺ، لما بي من الفرح، إذْ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة، وفرَغ الناس لقتلاهم[1]. فقال رسول الله ﷺ ـ كما حدّثنا ابن حُميد قال: حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة[2] المازني أخي بني النجار.

سؤال رسول الله عن سعد بن الربيع:

أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رجلٌ ينظُر لي ما فعلَ سعد بن الربيع ـ وسعدٌ أخو بني الحارث بن الخزرج ـ أفي الأحياءِ هو أم في الأموات؟». فقال رجلٌ من الأنصار: أنا أنظُر لك يا رسول الله ما فعل. فنظر فوجَده جريحاً في القتلى به رَمق. قال: فقلت له: إنّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظر له أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأنا في الأموات. أبلغ رسولَ الله ﷺ وقلْ له: إنّ سعد بن الربيع يقول لك: جزاكَ الله خيرَ / ما جَزى نبيّاً عن أمته، وأبلغ [١٥/٢٠٢] قومَك عنّي السلام وقل لهم: إنّ سعد بن الربيع يقول: لا عُذرَ لكم عند الله جلّ وعزّ إنْ خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطرِف. ثم لم أبرحْ حتّى مات رحمه الله، فجئتُ رسولَ الله ﷺ وأخبرته.

التماس الرسول لحمزة بين القتلى وحزنه عليه:

وخرج رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام، فوجدَه ببطن الوادي قد بُقِر بطنُه عن كبده، ومُثّل به فجُدِع أنفُه وأذناه.

وعن ابن إسحاق قال: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رأى بحمزة ما رأى: «لولا أنْ تَحزَن صفيةُ أو تكونَ سنةً من بعدي لتركتُه حتّى يكون في أجواف السباع وحَواصل الطير، ولئنْ أنا أظهرني اللّهُ على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأُمثّلنّ بثلاثينَ رجلاً منهم». فلما رأى المسلمون حُزنَ رسول الله ﷺ وغيظَه على ما فُعِل بعمّه قالوا: والله لئن أظهَرَنا الله عليهم يوماً من الدهر لنَمْثُلَنّ بهم مُثْلة لم يُمْثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطّ.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدّثني بُريدة بن سفيان بن فَروة الأسلمي عن محمد بن كعب القُرَظي، عن ابن عباس. قال ابن حميدة قال سلمة، وحدّثني محمد بن إسحاق قال: فحدّثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتَيبة عن مِقْسم عن / ابن عباس: أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك مِن قول رسول الله ﷺ[3]: ﴿وإنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثل ما ٢٣/١٤

(١) في الأصول: «لقتالهم»، صوابه من الطبري (٣: ٢٤) و«السيرة» ٥٨٣ جوتنجن.

(٢) كذا في الطبري. وفي الأصول: «ابن عبد الرحمٰن أخي صعصعة». لكن في ها: «ابن أخي صعصعة».

(٣) زاد في الطبري: «وقول أصحابه».

عُوقِبتم به ولئن صَبرتم لهو خيرٌ للصابرين﴾ إلى آخر السورة. فعفا رسولُ الله ﷺ وصبر، ونَهَى عن المُثْلة.

[٢٠٣/١٥] / **خروج صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة:**

قال ابن إسحاق فيما بلغني: خرجَتْ صفيةُ بنت عبد المطلب لتنظرَ إلى حمزة وكان أخاها لأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير: القَهَا فأرجعْها لا ترَى ما بأخيها. فلقيَها الزبير فقال: يا أُمَّه، إنَّ رسول الله ﷺ يأمُرك أن تَرجِعي. فقالت: ولِمَ، فقد بلغني أنّه مُثِّل بأخي، وذلك في الله جلّ وعزّ قليـلٌ، فما أرضانا بما كان مِن ذلك، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله تعالى؟ فلما جاء الزبير رسولَ الله ﷺ فأخبره بذلك قال: خلِّ سبيلها. فأتته فنظرَتْ إليه وصَلَّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له، ثم أمرَ رسول الله ﷺ به فدُفِن.

استشهاد حسيل بن جابر وثابت بن وقش:

قال: حدّثني محمد بن إسحاق قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال:

لمَّا خرجَ رسول الله ﷺ إلى أحُد، رجع حُسَيل بن جابر ـ وهو اليمانِ أبو حذَيفة بن اليمان ـ وثابت بن وَقْش[١] بن زعُورا في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدُهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما تنتظر، فوالله إنْ بقِيَ لواحدٍ منّا من عُمره إلاّ ظِمْء حمار[٢]، إنَّما نحن هامةُ اليوم أو غد[٣]، أفَلا نأخذ أسيافَنا ثم نلحقُ برسول الله ﷺ لعلَّ الله يرزقنا شهادةً معه. فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتّى دخلا في الناس، ولم يعلمْ أحدٌ بهما. فأمّا ثابت بن وقش[١] فقتلَه المشركون، وأما حُسَيل بن جابرِ اليمانِ فاختلفَتْ عليه / أسيافُ المسلمين فقتلوه ولم [٢٠٤/١٥] يعرفوه، فقال حذيفة: أبِي! قالوا: والله إنْ عَرفناه وصدَقوا. قال حذيفة: يغفُر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين. فأراد رسول الله ﷺ أنْ يَدِيَه[٤]، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين، فزادته عند رسول الله ﷺ خَيراً.

مصرع قزمان:

قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال: كان فينا رجلٌ أتِيٌّ[٥] لا ندري مِن أين هو، يقال له قُزمان، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذَكَره: «إنَّه لمن أهلِ النار» فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالاً شديداً فقتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تسعة، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس، فأثبتَتْه الجراحة فاحتمِلَ إلى دار بني ظَفَر، قال: فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون: والله لقد أبلَيتَ اليوم[٦] يا قُزمان، فأبشِرْ. قال: بِمَ أُبْشِر؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلاّ على حسابِ قومي، ولولا ذلك ما قاتلتُ. فلما اشتدّت عليه جراحتُه أخذ سهماً من كِنانته فقطع رواهِشَه فنزفَه الدمُ فمات؛ فأُخبِر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال: إنّي رسولُ الله حقًّا.

---

(١) كذا في ط، مب والطبري وفي مط: «ثابت بن زعورا» وفي ها: «بن قيس» وفي سائر النسخ «بن قريش»، تحريف.

(٢) ظمء الحمار: ما بين الشربين له، وليس شيء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين.

(٣) أي سنموت اليوم أو غداً.

(٤) وداه: أدى دينه.

(٥) الأتي: الغريب، ليس من القوم.

(٦) كذا في ها والطبري، وفي سائر النسخ: «القوم».

استئذان جابر بن عبد الله في الخروج:

وعن محمد بن إسحاق قال: حدّثني حسين بن عبد الله عن عِكرمة قال:

كان يومُ أحد يومَ السبت للنصف من شوّال، فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يومَ الأحد لستَّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال، أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلبِ العدوّ، وأذّن مؤذّنه أن لا يخرجنَّ معنا إلاّ من حضَر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله [ابن عمرو][1] بن حَرامٍ[2] الأنصاري فقال: يا رسول / الله، إنّ أبي كان [١٥/٠٥] خَلّفني / على أخَواتٍ لي سبع وقال لي: يا بنيّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نتركَ هؤلاء النسوةَ بلا رجلٍ فيهن، ولستُ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلّفْ على أخَواتك. فتخلّفت عليهنّ. فأذِن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنّما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهِباً للعدو، وأنّهم خرجوا في طلبهم فيظنون أنّ بهم قوّة، وأن الذي أصابهم لم يُوهِنهم عن عدوّهم. $\frac{٢٤}{١٤}$

خروج بعض الجرحى لمعاودة القتال:

عن محمد بن إسحاق: قال فحدّثني عبد الله بن خارجة[3] بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان، أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً. قال: فشهدتُ رسولَ الله ﷺ أنا وأخٌ لي، فرجَعنا جريحين، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ قلتُ لأخي وقال لي: أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ، والله ما لنا من دابةٍ نركبها، وما منّا إلا جريحٌ ثقيل. فخرجْنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسرَ جُرحاً منه، فكنتُ إذا غُلِب عليه حَملتُه عُقبة[4] حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرجَ إليه رسول الله ﷺ حتّى انتهينا إلى حمراءِ الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً: الاثنين والثلاثاءَ والأربعاءِ، ثم رجَع إلى المدينة.

تخذيل معبد الخزاعي وهو مشرك لأبي سفيان:

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم، أنه مرّ برسول الله ﷺ معبدٌ الخزاعي، وكان خُزاعة مسلمُهم ومشركهم / عَيبَة رسولِ الله ﷺ[5] لا يُخفون عليه شيئاً كان بها، ومعبدٌ يومئذٍ مشرك، فقال: [١٥/٠٦] يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابَك في أصحابك، ولوددتُ أنَّ الله قد أعفاك منهم. ثم خرج مِن عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتّى لقي أبا سفيان بن حَربٍ بالرَّوحاء ومَن معه، وقد أجمعوا الرَّجعةَ إلى رسول الله ﷺ وقالوا: أصبنا حِدّ[6] أصحابِه وقادتِهم وأشرافهم، ثم رجَعْنا قبل أن نستأصلَهم، لنكُرَّنَّ على بقيّتهم فلنفرُغنّ منهم! فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمدٌ قد خرج في أصحابه يَطلبكم في جمع لم أر مثلَه قطّ يتحرّقون عليكم تحرُّقاً، قد اجتمعَ معه مَن كان تخلّف عنه في يومكم، وندِموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم، شيء

---

(١) التكملة من «الطبري» (٣: ٢٨) و «الإصابة» ١٠٢٢.

(٢) كذا على الصواب في ط، ها، مط، مب. وفي ا: «حزام» وفي سائر النسخ «حزم».

(٣) كذا على الصواب في ط، ا، ها، مط، مب. وفي حـ «عبد الله بن خارجة» أيضاً لكن كتب فوقها «محمد» وفي سائر النسخ: «محمد بن خارجة».

(٤) العقبة، بالضم: النوبة. الطبري: «حملته عقبة ومشى عقبة».

(٥) عيبة الرجل: موضع سره، على المثل. (٦) ط، مط، مب: «حد» بالحاء المهملة.

لم أرَ مثلَه قطّ. قال: ويلكَ ما تقول! قال: والله ما أراكَ ترتحل حتّى ترى نواصيَ الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرّةَ لنستأصلَ شأفتهم[1]. قال: فإنّي أنهاكَ عن ذلك، فوالله لقد حَمَلَني ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعر. قال: وماذا قلت؟ قال قلت:

كـادت تُهَـدُّ مـن الأصـوات راحلتـي   إذْ سـالـت الأرضُ بـالجُـرد الأبـابيـل[2]

فظِلْـتُ عـدْواً أظـنُّ الأرضَ مـائلـة   لمّـا سَمـوْا بـرئيـسٍ غيـر مخـذول

فقلـتُ ويـلَ بـنِ حـربٍ مـن لقـائكـم   إذا تَغَطمطـتِ البطحـاءُ بـالجِيـل[3]

٢٠٧/١٠ / إنّـي نـذيـرٌ لأهـل السَّيـلِ ضـاحيـةً   لكـلِّ ذي إربـةٍ منهـم ومعقـولِ[4]

مـن جيشِ أحمـدَ لا وَخْـشٍ تنـابلـةٍ   وليـس يـوصَـف مـا أنـذرت بـالقِيـل[5]

٢٥/١٤ / قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه، ومرّ به ركبٌ من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فلم؟ قالوا: نُريد المِيرة. قال: فهل أنتم مبلغون عنّي محَمداً رسالةَ أرسلُكم بها إليه، وأحمِّل لكم إبلَكم هذه غداً زبيباً بعكاظَ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السّير إليه وإلى أصحابه، لنستأصلَ شأفتهم. فمرّ الركب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: «حَسبنا الله ونعم الوكيل».

صوت

أمِـن ريحـانـةَ الـداعـي السَّميـعُ   يـؤرِّقُنـي وأصحـابـي هُجـوع

بـرانـي حـبُّ مَـن لا أستطيـعُ   ومـن هـو للـذي أهـوَى مَنـوعُ

إذا لـم تستطـعْ شيئـاً فـدَعْـه   وجـاوِزْهُ إلـى مـا تستطيـع

الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدي، والغناء للهذلي، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، من رواية إسحاق. وفيه ثقيل أوّل على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى من رواية حمّاد عن أبيه.

---

(١) الطبري (٣: ٢٩): «لنستأصل بقيتهم».

(٢) تهد: يبلغ منها وتكسر. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر. والأبابيل: الجماعات. وقوله: «سالت الأرض» هو من قوله:

أخـذنـا بـأطـراف الأحـاديـث بيننـا   وسـالـت بـأعنـاق المطـي الأبـاطـح

(٣) تغطمطت: اضطربت. والجيل: الأمة، وكل صنف من الناس.

(٤) السيل: اسم من أسماء مكة، عن نصر. ما عدا ط، ا، مب: «السيل» وفي الطبري: «البسل». ضاحية، أي علانية. المعقول: العقل.

(٥) الوخش: رذالة الناس وصغارهم. ماعدا ط، ١: «وحش» صوابه في سائر النسخ والطبري. والتنبل: القصير.

/ ذكر عمرو بن معديكرب وأخباره

[٢٠٨/١٥]

نسبه:

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصَم بن عمرو بن زُبَيد، وهو منبِّه.

هكذا ذكر محمد بن سلّام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه.

وذكر عمر بن شَبّة عن أبي عبيدة أنه عمرو بن معديكرب بن ربيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصَم بن زبيد بن منبِّه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سَعد العشيرة بن مَذْحِج بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان.

ويكنى أبا ثور، وأمُّه وأم أخيه عبدِ الله امرأةٌ من جرم فيما ذُكر، وهي معدودة من المنجِبات.

تقديمه على زيد الخيل:

أخبرنا محمد بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عمرو بن معديكرب فارس اليمن، وهو مقدَّم على زيد الخيل في الشدّة والبأس.

استعداده لقتال خثعم:

وروى علي بن محمد المدائني عن زيد بن قُحَيف الكلابيّ قال: سمعتُ أشياخنا يزعمون أنَّ عمرو بن معديكربَ كان يقال له «مائق بني زبيد»، فبلغهم أنّ خثعم تريدُهم، فتأهّبوا لهم، وجمع معديكربُ بني زُبيد، فدخل عمروٌ على أخته فقال: أشبِعيني إنّي غداً لِكتيبةٍ[1]. قال: فجاء معديكرب فأخبرته ابنتُه فقال: هذا المائق يقول ذاك؟ قالت: نعم. قال: فسَليه ما يُشبعه. فسألَتْه فقال: فَرْق من ذرة، وعَنزٌ رَبَاعية. قال: وكان الفَرق يومئذ ثلاثةَ أصْوع[2]. فصنَعَ له ذلك.

/ حلوله محل أبيه في القتال وقهره للعدو:

[٢٠٩/١٥]

وذبحَ العنزَ وهيّأ له الطعام. قال: فجلسَ عليه فَسَلتَه[3] جميعاً. وأتتهم خثعمٌ الصباحَ فلقُوهم، وجاء عمرو فرمَى بنفسه. ثم رفَع رأسَه فإذا لواءُ أبيه قائم، فوضع رأسَه فإذا لواء أبيه قد زالَ، فقام كأنّه سرحةٌ مُحرقة، فتلقّى أباه وقد انهزموا فقال: انزلْ عنها، فاليومُ ظَلَم[4]. فقال له: إليكَ يا مائق! فقال له بنو زبيد: خلِّه أيها الرجل وما

---

(١) كذا في ط، ا، مط، مب: وفي سائر النسخ: «إن غدا الكتيبة».

(٢) أصوع: جمع صاع، وهو مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد. ويجمع أيضاً على «أصؤع» بالهمز، وأصواع، وصوع، وصيعان.

(٣) سلته، يقال سلت القصعة: مسحها بإصبعه. والسلت أيضاً: القطع والاستئصال.

(٤) عنها، أي عن الفرس. اليوم ظلم، عبارة يقولها العرب بمعنى حقاً. طلب من أبيه أن يتنحى له فرسه ليحارب عليها.

يريد، فإن قُتل كفِيتَ مؤنته، وإن ظهر فهو لك. فألقى إليه سلاحَه فركِب، ثم رمَى خثعمَ بنفسه حتى خَرجَ من بين / أظهُرهم، ثم كرّ عليهم وفعلَ ذلك مراراً، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خثعم وقُهِروا، فقيل له يومئذ: فارسُ زبيد.

٢٦/١٤

وفود عمرو بن معديكرب على الرسول الكريم:

قال أبو عمرو الشيباني: كان من حديث عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زبيد بن منبه [بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن منبّه][1] بن صعب بن سَعد العشيرة بن مالك ـ وهو مَذحج ـ بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عريب[2] بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان، أنّه قال لقيس بن مكشوحٍ المراديّ، وهو ابن أخت عمرو، حينَ انتهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ: يا قيسُ، إنّك سيّدُ قومِك، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمدٌ قد خَرجَ بالحجاز، يقال له نبيٌّ، فانطلِقْ بنا حتّى نعلم عَلِمَه، وبادِرْ [فروة][3] لا يغلبْك على الأمر. فأبى قيسٌ ذلك وسَفّه رأيه وعَصاه، فركب عمروٌ متوجّهاً إلى النبيّ ﷺ وقال: خالفتَني يا قيس! وقال عمرو في ذلك:

أمــرتُــك يــومَ ذي صَنعــا ءَأمــراً بيّنــاً رشَــدُه[4]
/ أمــرتُــك بــاتّقــاء اللّـ ـــهِ تــأتيــه وتَتعــده[5]
فكنــتَ كــذي الحُميــرِ غـ ــرَّهُ مــن أيــرِه وَتِــده[6]

[٢١٠/١٥]

وفود فروة بن مسيك على الرسول:

قال أبو عبيدة: حدّثنا غير واحدٍ من مَذحج قالوا: قدم علينا وفدُ مذحج، مع فَروة بن مُسيكٍ المراديّ، على النبيّ ﷺ، فأسلَموا وبعثَ فروةُ صدقاتِ من أسلَمَ منهم وقال له: ادعُ اللناس وتألّفهم، فإذا وجدتَ الغفلةَ فاهتبلْها واغزُ.

قال أبو عمرو الشيباني: وإنّما رحلَ فروةُ مفارقاً لملوك كِندة مباعِداً لهم، إلى رسول الله ﷺ، وقد كانت قبل الإسلامِ بين مُرادٍ وهَمدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتّى أثخنوهم، في يوم يقال له يوم الرَّزْم[7]، وكان الذي قاد هَمْدانَ إلى مراد الأجدعَ بن مالك بنَ حرِيم[8] الشاعر الهمْداني بن مسروق بن الأجدَع، ففضحَهم يومئذ، وفي ذلك يقول فَروة بنُ مسيك المرادي:

---

(١) التكملة من ط، مط، مب.

(٢) كذا في ط، أ، مط، مب على الصواب. وفي سائر النسخ: «يعرب» تحريف.

(٣) هذه من ط، مط، مب، وموضعها بياض في أ فقط.

(٤) ذو، زائدة، وكثيراً ما تزاد في كلامهم. وأراها زائدة في البيت الثالث.

(٥) في «السيرة» ٩٥٢: «والمعروف تتعده».

(٦) الحمير: مصغر الحمار. ط، مط، مب: «من عيره». وفي «السيرة»:

خــرجــت مــن المنــى مثــل الـ ـحميــر غــره وتــده

(٧) الرزم، براء بعدها زاي، هو الصواب من ط، مط، مب و «معجم البلدان» و «معجم ما استعجم». وفي «السيرة» و «الخزانة» (٢: ١٢٣): «الردم»، وفي سائر النسخ: «الروم» كلاهما محرّف.

(٨) حريم، بالراء المهملة. وهذا الصواب من ط، مط، مب، وفي سائر النسخ «حزيم» بالزاي.

فـإن نَغلِـبْ فغـلاّبـون قِـدمـاً ... وإن نُهـزَمْ فغيـر مهـزَّمينـا

فلما توجَّه فروةُ إلى النبيّ ﷺ أنشأ يقول:

لمَّـا رأيـتُ ملـوكَ كنـدةَ أعـرضَـتْ ... كـالـرَّجـل خـانَ الـرجـلَ عِـرقُ نَسـاهـا

يَمَّمـتُ راحلتـي أمـامَ محمـدٍ[1] ... أرجـو فـواضلَهَـا وحسـنُ ثَـراهـا[2]

/ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له فيما بلغنا: هل ساءكَ ما أصاب قومَك يوم الرزم[3]؟ قال: يا رسول [٢١١/١٥] الله، مَن ذا الذي يصيب قومَه مثلُ الذي أصابَ قومي ولا يسوءه. فقال له: أمَا إنّ ذلك لم يزد قومَك في الإسلام إلاّ خيراً! واستعملَه على مرادٍ وزُبيد ومَذحج كلّها.

ارتداد عمرو بن معديكرب:

قال أبو عبيدة: فلم يلبثْ عمروٌ أن ارتدَّ عن الإسلام، فقال حين ارتد:

وجـدنـا مُلـك فـروةَ شـرَّ ملـك ... حِمـارٌ سـافَ منَخـرَه بقَـذرِ[4]

وإنَّـك لـو رأيـتَ أبـا عميـرٍ ... مـلأتَ يـديـك مـن غَـدر وختَـر

حرب مذحج:

قال أبو عبيدة: فلما ارتدَّ عمرو مع من ارتدَّ عن الإسلام من مَذحج، استجاش فروةُ النبيَّ / ﷺ، فوجَّه إليهم [٢٧/١٤] خالد بن سَعيد بن العاص وخالد بن الوليد، وقال لهما: إذا اجتمعتم فعليُّ بن أبي طالب أميركم وهو على الناس. ووجَّه علياً عليه السلام فاجتمعوا بكَسْرٍ[5] من أرض اليمن، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم ونجا بعض، فلم يزل جعفرٌ وزُبيد وأودٌ بنو سعد العشيرة بعدَها قليلة.

حديث الصمصامة:

وفي هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد، وكان سببُ وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنت معديكرب سُبيت يومئذ، ففداها خالد، وأثابَه عمروٌ الصمصامةَ[6]، فصار إلى أخيه سعيد، فوُجِد سعيدٌ جريحاً يوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمد، ثم وُجد الغمد، فلما قام معاويةُ جاءه إعرابيٌّ بالسيف بغير غمد، وسعيد / حاصر، فقال سعيد: هذا سيفي! فجحَد الأعرابيُّ مقالته، فقال سعيد: الدليلُ على أنّه سيفي أنْ [٢١٢/١٥] تبعث إلَى غِمدِه فتُغمِده فيكون كِفافَه. فبعث معاويةُ إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه، فأقرَّ الأعرابيُّ أنّه أصابه يومَ الدار، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه، فلم يزلْ عندَه حتَّى أصعد المهديُّ من البصرة، فلما كان بواسطٍ بعث

---

(١) كذا في الأصول. وفي «السيرة» ٩٥١: «قربت راحلتي أؤم محمداً».

(٢) الثرى: مقصور الثراء، وهو الثروة والغنى.

(٣) ما عدا ط، مط، مب: «الروم». وانظر ما سلف من التحقيق في الصفحة السابقة.

(٤) ساف سوفاً: شم، وقد زاد الباء مع الفعل. والقذر، بالفتح وسكون الذال وصف من قولهم: قذر قذارة فهو قذر. ط، أ، مط، مب: «بقدر». وفي «السيرة»: «حماراً ساف منخره بثفر». وثفر الدابة: حياؤها.

(٥) في «معجم البلدان»: «الكسر: قرى كثيرة بحضرموت يقال لها كسر قشاقش، سكنها كندة».

(٦) كذا الصواب في ط، مط، مب. وفي سائر النسخ: «وأصابه غمد الصمصامة».

إلى سعيدٍ فيه، فقال: إنّه للسبيل. فقال: خمسون سيفاً قاطعاً أغنَى من سيفٍ واحد. فأعطاهم خمسينَ ألفَ درهم وأخذه.

حديث إسلام عمرو بن معديكرب:

وذكر ابن النطّاح أنّ المدائني حكى عن أبي اليقظان عن جُويرية بن أسماء قال: أقبلَ النبيُّ ﷺ من غزاةِ تَبوك يريد المدينة، فأدركه عَمرو بن معديكربَ الزُّبيدي في رجالٍ من زبيد، فتقدم عمروٌ ليلحق برسول الله ﷺ، فأمسك حتّى أوذِنَ به، فلما تقدَّم رسولُ الله ﷺ يسير قال: حَيّاك الله إلهُك، أبيتَ اللعن! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ لعنةَ الله وملائكتِهَ والناسِ أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. فآمِنْ بالله يؤمنْك يومَ الفَزعِ الأكبر». فقال عمرو بن معديكرب: وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله ﷺ: «إنّه فزعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ، إنّه يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى حيٌّ إلاّ مات، إلا ما شاء الله من ذلك، ثم يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى ميّتٌ إلا نُشِر، ثم تلَجُّ تلك الأرضُ بدويٍّ تنهّد منه الأرض، وتخرُّ منه الجِبال، وتنشق السماءُ انشقاقَ القُبْطية الجديدِ[1] ما شاء الله في ذلك، ثم تَبرز النارُ فيُنظر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ في السماء، تَرمِي بمثل رؤوس الجبال من شَرَر النار، فلا يبقى ذو رُوحٍ إلاّ انخلعَ قلبه، وذكر ذنبه. أين أنتَ يا عمرو» قال: إنّي أسمع أمراً عظيماً! فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو أسلِمْ / تَسلم». فأسلمَ وبايعَ لقومه على الإسلام، وذلك مُنصرفَ رسول الله ﷺ من غزاة تبوك، وكانت في رجب من سنة تسع[2]. [١٥/٢١٣]

ضخامة بدنة:

وقال أبو هارون السَّكسكي البصريّ: حدّثني أبو عمرٍو المدينيّ أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نظَر إلى عمرو قال: «الحمد لله الذي خَلقَنا وخلق عمراً!» تعجُّباً من عِظم خَلقه.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شَبّة عن خالد بن خِداش عن أبي نُميلة قال: أخبرني رُمَيح عن أبيه قال:

رأيت عمرو بنَ معديكربَ في خلافة معاوية شيخاً أعظمَ ما يكون من الرجال، أجشَّ الصوت، إذا التفتَ التفتَ بجميع جسده. وهذا خطأ من / الرواية. ٢٨/١٤

موته وقبره:

والصحيح أنّه مات في آخر خلافةِ عمر رضي الله عنه، ودُفن بِرُوذة[3] بين قُمّ والريّ. ومن الناس من يقول إنّه قتل في وقعة نَهاوَند، قبرُه في ظاهرها موضعٌ يعرف بقبديشجان[4]، وأنّه دُفِن هناك يومئذ هو والنعمان بن مقرّن.

---

(١) القبطية: ثياب مصرية رقيقة بيضاء. الجديد: المجدودة، أي المقطوعة.

(٢) أسلم عمرو ثم ارتدّ ثم عاود الإسلام بعد أن أسر. «الإصابة» ٥٩٦٥.

(٣) روذة، بضم أوله، كما في ياقوت.

(٤) كذا في أ. وهي في ط، مب مهملة النقط، وفي حـ: «بقيديشخان» وفي مط «بقيدسيحان» وفي ها «بقنديسجان» وفي سائر النسخ: «بقيديشخان».

وروى أيضاً من وجهٍ ليس بالموثوق به، أنّه أدرك خلافةَ عثمان رضي الله عنه، روى ذلك ابن النطّاح عن مَروان بن ضِرار عن أبي إياسٍ البصريّ، عن أبيه، عن جُويريّة الهذَليّ في حديثٍ طويل قال:

رأيت عمرو بن معديكربَ وأنا في مسجدِ الكوفة في خلافة عثمان، حين وجّهه إلى الريّ، كأنه بعيرٌ مهنوء.

/ وقال ابن الكلبي: حدّثني أسعر، عن عمرو بن جرير الجُعفي قال: سمعت خالد بن قطن يقول: [١٥/٢١٤]

خرج عمرو بن معديكرب في خلافةِ عثمان رضي الله عنه إلى الريّ ودَستبي[١]، فضربه الفالجُ في طريقه فمات برُوذة.

طلبه الزيادة في العطاء:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: أخبرني خالد بن خداش قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن مجالد عن الشعبي:

أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَرضَ لعمرو بن معديكرب في[٢] ألفين، فقال له: يا أمير المؤمنين ألفٌ هٰهنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيمن، وألف هٰهنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيسر ـ فما يكون ها هنا؟ وأومأ إلى وسط بطنه. فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة.

خوفه من الحرين والعبدين:

قال علي بن محمد[٣]: قال أبو اليقظان: قال عمرو بن معديكرب: لو سرت بظعينةٍ وحدي على مياهِ معدٍّ كلِّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها، ما لم يَلقَني حُرّاها أو عبداها[٤]. فأما الحُرّان فعامر بن الطفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان فأسودُ بني عبس، يعني عنترةَ والسُّليك بن السُّلَكة، وكلُّهم قد لقيت. فأما عامر بن الطُّفيل فسريع الطَّعن على الصوت، وأما عتيبة فأوّل الخيل إذا غارت، وآخرها إذا آبت. وأما عنترة فقليل الكَبوة، شديدُ الكَلَب[٥]. وأما السُّليك فبعيد / الغارة، كالليث الضاري. قالوا: فما تقول في العباس بن مرداس؟ قال: أقول فيه ما قال فيّ: [١٥/٢١٥]

إذا مـات عمـروٌ قلـتُ للخيـل أوطئـوا ... زُبيـداً فقـد أودى بنجـدتِهـا عَمـرو

وقام مُغضَباً وعلم أنّهم أرادوا توبيخَه بالعباس.

قال علي: وقال أبو اليقظان: أحسب في اللفظ غَلطاً وأنه إنّما قال: «هَجينا مُضَر»؛ لأنّ عنترة استرقّ، والعباس لم يسترقّ قطّ.

(١) دستبي: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان. ط، حـ، مط، ها، مب: «دستني» أ «دسبتي» وسائر النسخ «دستي»، والصواب ما أثبت.

(٢) هذه الكلمة من ط، حـ، مط.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني.

(٤) ط، مط، مب: «وعبداها».

(٥) الكلب: الغضب والإلحاح في القتال. ما عدا ط، حـ، مط، ها، مب: «الجلب».

كتاب عمر إلى سعد وتقديره لعمرو بن معديكرب:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبةَ قال حدّثنا أحمد بن جَناب[1] عن عيسى بن يونس، عن إسماعيل[2]، عن قيس[3]: أن عمر رضي الله عنه كتبَ إلى سعد بن أبي وقاصّ:

إنّي قد أمددتُك بألفَيْ رجل عمرو بن معديكرب، وطليحة بن خويلد ـ وهو طليحة الأسدي ـ فشاوِرْهما في الحرب ولا تولِّهما شيئاً.

شجاعة عمرو وتحضيضه على القتال:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا أحمد بن جناب قال حدّثنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل، عن قيس قال:

شهدتُ القادسيةَ وكان سعدٌ على الناس، فجاءُ رستم فجعل يمرُّ بنا وعمرو بن معديكرب الزبيدي يمرُّ على الصفوف يحضُّ الناس ويقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسداً أغنى شأنَه[4]، فإنّما الفارسيُّ تيسٌ بعد أن يُلقِيَ نَيزكَه[5].

[٢١٦/١٥] / قال: وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقُط له نُشَّابة. فقال له: يا أبا ثور، اتّق ذاك! فإنا لنقولُ له ذلك إذْ رماه رميةً فأصاب فرسَه، /وحمل عليه عمروٌ فاعتنقه ثم ذبحَه، وسلبه سِوارَيْ ذهبٍ كانا عليه، وقَباءَ ديباج. [٢٩/١٤]

قال أبو زيد[6]: فذكر أبو عبيدة أنّ عمراً حملَ يومئذٍ على رجلٍ فقتلَه ثم صاح: يا معشرَ بني زبيد، دونكم فإنَّ القوم يموتون!

شجاعته في حرب القادسية:

وقال علي بن محمد المدائني: وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّهِ بنُ نافع، عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال:

حضر عمروٌ الناسَ وهم يقاتِلون، فرماه رجلٌ من العجم بنُشَّابةٍ فوقعت في كَتفه، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفُذ، وحمَلَ على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض، فقتله عمروٌ وسلبهُ، ورجَع بسلبِه وهو يقول:

أنـــا أبـــو ثـــور وسيفِـــي ذو النُّـــونَ ... أضـــربهُـــم ضـــربَ غـــلامٍ مجنـــون

* يالَ زُبيد إنّهم يموتون *

---

(١) ترجم له في «تهذيب التهذيب» وقال: «روي عن عيسى بن يونس». ما عدا ط، حـ: «حباب» محرّف.

(٢) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي. روى عن قيس بن أبي حازم وأكثر في الرواية عنه، كما في «تهذيب التهذيب».

(٣) هو قيس بن أبي حازم الأحمسي، ترجم له في «تهذيب التهذيب».

(٤) أغنى شأنه: كفى نفسه، لم يستعن بشيء. قال الملتمس:

أغنيـت شـأنـي فـأغنـوا اليـوم شـأنكـم ... واستحمقـوا فـي مـراس الحـرب أو كيسـوا

(٥) النيزك: الرمح القصير، فارسي معرّب. والرمح بالفارسية «نيزه» بكسر النون. وفي «اللسان» أن النيزك «حقيقته تصغير الرمح بالفارسية». والكاف تستعمل للتصغير في الفارسية: فكلمة «مرد» بمعنى رجل، تصغر على «مردك» أي رجيل. حـ: «بيركة» أ، مط، مب «بيزكه» بالإهمال، والصواب في ط، ها.

(٦) أبو زيد: كنية عمر بن شبة.

قال أبو عبيدة: وقال في ذلك عمرو بن معديكرب:

صوت

ألمم بسلمى قبل أن تظعنا إنّ لنا من حبّها ديدنا
قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارسَ إلا أنا
شككت بالرمح حياز يمه والخيلُ تعدو زِيَماً بيننا[1]

غنى فيه الغريضُ ثانيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصر. وفيه رَملٌ بالبنصر يقال إنه لمعبَد. ويقال إنه من منحول يحيى المكي.

/ قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بنِ شبة: [٢١٧/١٥]

شهِد عمرو بن معديكرب القادسية وهو ابن مائةٍ وستٍّ سنين. وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر. وقال: ولما قَتَل العلجَ عبرَ نهر القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادي، ومالك بن الحارث الأشتر.

قال: فحدّثني يونس أنّ عمرو بن معديكرب كان آخرَهم، وكانت فرسُه ضعيفةً فطلبَ غيرَها، فأُتِيَ بفرس فأخَذ بعُكْوةِ ذنبه[2] وأخلدَ به إلى الأرض، فأقعَى الفرَس فردَّه، وأتَى بآخر ففعل به مثلَ ذلك فتحلحلَ ولم يُقْعِ فقال: هذا على كلِّ حالٍ أقوى من تلك، وقال لأصحابه: إنِّي حاملٌ وعابرٌ الجسر، فإنْ أسرعتم بمقدارِ جَزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتلُ به تِلقَاء وجهي، وقد عَقَر بي القومُ[3] وأنا قائمٌ بينهم وقد قَتلتُ وجَرَّدت. وإنْ أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قُتِلتُ وجُرِّدت. ثم انغمَسَ فحمل في القوم فقال بعضُهم: يا بني زُبيد، تدَعون صاحبَكم والله ما نرى أن تُدرِكوه حياً. فحملوا فانتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فرسه، وقد أخذ برِجْلِ فرس رجُلٍ من العجم فأمسكَها، وإنّ الفارس ليضربُ الفرسَ فما تقدر أن تتحرّك من يده. فلما غَشِيناه رمَى الأعجميُّ بنَفْسه وخلَّى فرسَه، فركبه عمرو وقال: أنا أبو ثور، كِدتم والله تفقدونني! قالوا: أين فرسُك؟ قال رُمِي بنُشَّابةٍ فشَبَّ فصرعَني وعار[4].

ورَوَى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي عن ابن أبي سَبْرة[5] عن أبي عيسى[6] الخياط. ورواه عليُّ بن محمد أيضاً عن مُرّة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طَلحة بن مصرِّف. فذكرا مثل هذا.

/ ضربه فيل رستم: [٢١٨/١٥]

قال الواقدي: وحدّثني أُسامة بن زيد، عن أبان بن صالح قال:

قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية: ألزِمُوا خراطيمَ الفيلة السُّيوف، فإنه ليس لها مقتلٌ إلاَّ خراطيمها. ثم

---

(١) زيما: متفرقة.

(٢) العكوة، بالضم: أصل الذنب.

(٣) عقروا به، أي عقروا فرسه. ومنه الحديث: «فعقر حنظلة الراهب بأبي سفيان بن حرب» أي عرقب دابته. ما عدا ط، مط، ها: «عقرني القوم»، محرّف.

(٤) عار يعير عيارا: ذهب كأنه منفلت.

(٥) كذا على الصواب في ها، مب. وفي سائر النسخ: «عن أبي سبرة».

(٦) مط، ها: «عن عيسى».

٣٠/١٤ شدّ على / رُستمَ وهو على الفيل فضربَ فيلَه فجَذَم عُرقوبيه فسقط، وحُمل رستم على فرسٍ وسَقَط من تحته خُرجٌ فيه أربعون ألف دينار، فحازه المسلمون، وسقط رُستمُ بعد ذلك عن فرسه[١] فقتله.

مصرع رستم:

قال علي بن محمد المدائني: حدّثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال:

لمّا ضرب عَمروٌ الفيل وسَقَط رستم، سقط على رستم خُرجٌ كان على ظهر الفيلِ فيه أربعون ألف دينار، فمات رستُم من ذلك، وانهزم المشركون.

تنكيله بالفرس يوم القادسية:

وقال الواقدي: حدّثني ابن أبي سَبْرة، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزبير قال: حدّثنا نِيار بن مُكرم الأسلمي[٢]، قال:

شهدت القادسيةَ فرأيتُ يوماً اشتدَّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس، ورأيت رجلاً يفعل يومئذ بالعدوّ أفاعيل، يُقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقودَه في حَقْوِه فيقاتل، فقلت: مَن هذا جزاهُ الله خيراً؟ قالوا: هذا عمرو بن معديكرب.

قدوم عيينة بن حصن على عمرو:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبيّ، عن خالد بن سعيد، عن أبي محمد المرهِبيّ قال:

كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمير، فسمعته يحدّث قال:

[١٥/٢١٩] / قدِم عيينةُ بن حصنٍ الكوفةَ فأقام بها أياماً ثم قال: والله مالي بأبي ثَور عهدٌ منذُ قدِمنا هذا الغائط ـ يعني عمرو بن معد يكرب ـ أسرِجْ لي يا غلامُ. فأسرج له فرساً أنثى من خَيله، فلما قرَّبها إليه قال له: ويحكَ أرأيتَني ركبتُ أنثى في الجاهلية فأركبَها في الإسلام؟ فأسرجَ له حِصاناً فركبه، وأقبل إلى مَحَلّة بني زبيد فسأل عن محلّة عمرو فأرشِدَ إليها، فوقف ببابه ونادى: أي أبا ثور، اخرجْ إلينا. فخرج إليه مؤتزراً كأنما كُسِر وجبر، فقال: انعِمْ صباحاً أبا مالك. فقال: أو ليس قد أبدلَنا الله تعالى بهذا: السَّلامُ عليكم؟ قال: دَعْنا مما لا نعرف، انزلْ فإنّ عندي كبشاً ساحًا[٣]. فنزَل فعمَد إلى الكبش فذبَحه ثم كشط عنه وعَضّاه[٤]، وألقاه في قِدر جِماع[٥]، وطبخَه حتّى إذا أدرك جاء بجَفْنةٍ عظيمة فثَرد فيها فأكفأ القِدر عليها، فقعدا فأكلاه، ثم قال له: أيُّ الشراب أحبُّ إليك: آللبنُ أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية؟ قال: أو ليس قد حَرّمها الله جل وعزّ علينا في الإسلام؟ قال: أنت أكبر سناً أم أنا؟ قال: أنت. قال: فأنت أقدمُ إسلاماً أما أنا؟ قال: أنت. قال: فإنّي قد قرأت ما بين دَفّتي المصحف فوالله ما وَجدتُ

(١) ط، مط، مب: «من فرسه». ها: «عن الفرس» وأثبت ما في سائر النسخ.

(٢) نيار، بكسر النون، بن مكرم بضم أوّله وسكون ثانيه، اختلف في صحبته. ترجم له في «تهذيب التهذيب» و «الإصابة». ط، مط، ها، مب: «سيّار» محرّف.

(٣) ساحا: بالغا غاية السمن. ما عدا ط، مط، مب: «سياحاً» محرف.

(٤) أي كشط عنه جلده وسلخه. وهذا ما في ط، مط. وفي أ: «كسف» وسائر النسخ: «كشف» محرفتان. وعضاه: قطعه عضواً عضواً.

(٥) قدر جماع، بالكسر، أي عظيمة، وقيل هي التي تجمع الجزور.

لها تحريماً إلا أنّه قال: ﴿فهل أنتم مُنتهون﴾ فقلنا: لا. فسكتَ وسكتْنا! فقال له: أنت أكبرُ سِنًّا وأقدم إسلاماً. فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان، ويذكران أيام الجاهلية، حتى مسيا، فلما أراد عيينة الانصراف. قال عمرو: لئن انصرفَ أبو مالك بغيرِ حباءٍ إنّه لوصمةٌ عليَّ. فأمر بناقةٍ له أرحَبيةٍ[1] كأنّها جَبيرة لُجَين[2]، فارتحلَها وحملَه عليها، ثم قال: يا غلامُ هاتِ المِزْود. / فجاء بمزودٍ فيه أربعةُ آلافِ درهم، فوضَعَها بين يديه، فقال: أمّا المال فوالله [١٥/٢٢٠] لا قَبِلتُه. قال: والله إنّه لمن حِباءِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلم يَقبلْه عيينة وانصرفَ وهو يقول:

جُزِيتَ أبا ثَورٍ جزاءَ كرامةٍ فنعمَ الفتى المِزدارُ والمتضيَّفُ
قَرَيتَ فأكرمتَ القِرى وأفدتَنا نَخِيلةَ عِلمٍ لم يكن قطُّ يعرف[3]
وقلتَ: حَلالٌ أن تُديرَ مُدامةً كلونِ انعقاقِ البرقِ والليلُ مسدِفُ
/ وقدّمتَ فيها حُجّةً عربيةً تَردُّ إلى الإنصافِ مَن ليس ينصفُ
وأنتَ لنا واللّهِ ذي العرشِ قُدوةٌ إذا صَدَّنا عن شربِها المتكلِّفُ
نَقُولُ: أبو ثَورٍ أحلَّ حرامَها وقولُ أبي ثورٍ أسدُّ وأعرفُ[4]

٣١/١٤

قدومه على عمر بالمدينة وما كان من شراهته في الطعام

وقال علي بن محمد: حدّثني عبد الله بن محمد الثقفي عن أبيه، والهذليّ عن الشَّعبي قال:

جاءت زيادةٌ من عِند عمر بعد القادسية فقال عَمرو بن معد يكرب لطُليحة: أمَا ترى أنّ هذه الزعانفَ تُزاد ولا نُزاد، انطلقْ بنا إلى هذا الرجل حتّى[5] نكلّمه. فقال: هيهاتَ، كلاّ والله لا ألقاه في هذا أبداً[6]، فلقد لقيَني في بعض فجاج مكّة فقال: يا طليحة، أقَتَلتَ عكاشة[7]؟! فتوعّدَني وعيداً ظننتُ أنّه قاتلي، ولا آمنهُ. / قال عمرو: [١٥/٢٢١] لكنّي ألقاه. قال: أنتَ وذاك. فخرجَ إلى المدينة فقدِم على عُمر رضي الله عنه وهو يغدّي الناس وقد جَفَّن لعَشرةٍ عشرة، فأقعده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونَهَضوا، ولم يقُم عمرو، فأقعد معه تكملةَ عشرةٍ [فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو، فأقعده مع عشرة][8] حتّى أكل مع ثلاثين ثم قام، فقال: يا أمير المؤمنين إنّه كانت لي مآكلُ في الجاهلية منعني منها الإسلام، وقد صررتُ في بطنٍ صرَّتين وتركت بينهما هواءً فسُدَّه. قال: عليك حجارةً من حجارةِ الحَرّة فسُدَّه به يا عمرو، إنّه بلغَني أنّك تقول إنّ لي سيفاً يقال له الصمصامة، وعندي سيفٌ أسمّيه المصمِّم، وإني إنْ وضعتُه بين أذنيك لم أرفَعْه حتّى يخالطَ أضراسك.

---

(١) أرحبية: نسبة إلى بني أرحب بطن من همدان، أو أرحب موضع أو فحل تنسب إليه تلك العجائب.

(٢) الجبيرة: السوار من الذهب أو الفضة. س: «حبيرة» صوابه في سائر النسخ.

(٣) نخيلة هو ما ورد في ها، وفي مط «نخيلة علم». وفي ط، مب «يحمه» مهملة وفي أ: «نخيبة» وفي سائر النسخ «تحية علم». و «يكن» و «يعرف» هي بالتاء في س.

(٤) هذا البيت ساقط من جـ. ما عدا ط: «يقول» لكن في مط: «تقول».

(٥) هذه الكلمة من ط، مط، مب.

(٦) ما عدا ط، مط، مب: «كلا والله ألقاه في هذا المعنى أبداً» محرف.

(٧) في الأصول ما عدا مط، مب: «أقبلت»، تحريف. وفي «الإصابة» ٤٢٨٣: «وهرب طليحة إلى الشام ثم أحرم بالحج فرآه عمر فقال: إني لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين: عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم، وكانا طليقين لخالد، فلقيهما طليحة وسلمة فقتلاهما». وسلمة، هو أخو طليحة بن خويلد الأسدي.

(٨) هذه التكملة من ط، مط، مب.

لقاء جبيلة وربيعة لعمرو وشدّتهما عليه

وذكر ابن الكلبي[١] ومحمد بن كناسة أنّ جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب، لقي عَمرو بن معد يكرب وهو يسوقُ ظُعناً له فقال عمرو لأصحابه: قِفُوا حتّى آتيَكم بهذه الظعن. فقرَّبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال: خلِّ سبيلَ الظُّعن. قال: فلمَ إذاً ولَدَتني؟ ثم شدّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسِه وأخذَ فرسَه، فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما وراءك؟ قال: كأنّي رأيت منيَّتي في سِنانه.

وبنو كنانة يذكُرون أنَّ ربيعةَ بن مكدَّم الفِراسيّ، طعن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فَرسه وأخذ فرسَه. وأنّه لقيه مرّةً أخرى فضربه فوقعت الضربةُ في قَرَبوس السَّرج فقطعه حتّى عض السيفُ بكاثبة[٢] الفَرس، فسالمه عمرٌو وانصرف.

سؤال عمرو لمجاشع ابن مسعود

قال المدائني: حدّثني مسلمةُ بن محارب، عن داود بن أبي هند قال:

حمل عمرو بن معد يكرب حَمالةً[٣]، فأتَى مجاشعَ بن مسعود يسأله فيها.

[١٥/٢٢٢] / وقال خالد بن خداش: حدّثني أبو عَوانة عن حُصين بن عبد الرحمن قال:

بلغني أنّ عَمراً أتَى مجاشعَ بن مسعود فقال له: أسألكَ حُملانَ[٤] مِثلي، وسلاحَ مثلي. قال: إنْ شئتَ أعطيتُك ذاك من مالي. ثم أعطاه حُكْمه. وكان الأحنف أمَر له بعشرين ألف درهم، وفرسٍ جَواد عتيق، وسيفٍ صارم، وجارية نفيسة، فمرَّ ببني حنظلةَ فقالوا له: يا أبا ثَور، كيف رأيتَ صاحبَك؟ فقال: لله بَنُو مجاشع ما أشدَّ في الحرب لقاءها، وأجزلَ في اللَّزبات عطاءها[٥]، وأحسن في المكرُمات ثناءَها، لقد قاتلتُها فما أقللتُها[٦]، وسألتُها فما أبخلتُها، وهاجيتُها فما أفحمتها!!.

قوّة عمرو بن معد يكرب

وقال أبو المِنهال عُيينة بن المنهال: سمعت أبي يحدث قال:

جاء رجلٌ وعمرو بن معد يكرب واقفٌ بالكُناسة[٧] على فرسٍ له، فقال: لأنظرنَّ ما بقيَ من قُوّة أبي ثور. فأدخل يدَه بين ساقَيه وبين السَّرج، وفطن عمرٌو فضمَّها عليه وحرك فرَسَه، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدِر أن

---

(١) ما عدا مط، حا، مب، ط «ابن النطاح».

(٢) الكاثبة: هي من الفرس مجتمع كتفيه قدام السرج.

(٣) الحمالة، كسحابة: الدية يحملها قوم عن قوم.

(٤) الحملان، مصدر حمل. عنى به ما يحمل عليه.

(٥) اللزبة: الشدة والقحط. والجمع بسكون الزاي لأنه صفة.

(٦) أقللتها، القاف، أي عددتها قليلة. وفي ط، أ: «أفللتها» فإن صحت كانت مأخوذة من الفل، وهم القوم المنهزمون وفي ها: «فللتها».

(٧) الكناسة، بالضم: محلة بالكوفة.

يتزع يدَه، حتَّى إذا بَلَغ منه قال: يا ابن أخي، مالَكَ؟ / قال: يدي تحتَ ساقك! فخلَّى عنه، وقال: يا ابنَ أخي، إنّ في عمك لَبقيّة!!. ٣٢/١٤

شهرته بالكذب

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلّه مشهوراً بالكذب:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد النحوي المبرّد ولم يتجاوزه. وذكر ابن النطاح هذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سلام، وخبر المبرد أتمُّ قال:

/ كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهِرها يتناشدون الأشعار، ويتحدثون ويتذاكرون أيامَ الناس، فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّقعب النهديّ، فأقبلَ عليه يحدّثه ويقول: أغَرتُ على بني نهدٍ فخرجوا إليَّ مسترعِفين[1] بخالد بن الصَّقعب يقدُمهم، فطعنتُه طعنةً فوقع، وضربتُه بالصمصامة حتَّى فاضت نفسه[2]! فقال له الرجل: يا أبا ثور إنّ مقتولك الذي تحدِّثه. فقال: اللهم غَفراً إنّما أنتَ محدَّثٌ[3] فاسمع، إنّما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنُرهِب هذه المعدِّيّة. [١٥/٢٢٣]

قال محمد بن سلام: وقال يونس: أبَت العربُ إلاّ أنّ عمراً كان يكذب. قال: وقلتُ لخلفٍ الأحمر وكان مولى الأشعريين، وكان يتعصَّب لليمانية، أكان عمرٌو يكذب؟ قال: كان يكذب باللِّسان، ويصدُق بالفعال.

هو وسعد يتقارضان الثناء

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة[4]:

أنّ سعداً كتبَ إلى عُمر رضي الله عنه يُثني على عمرو بن معد يكرب، فسأله عمرُ عن سعد فقال: «هو لنا كالأب أعرابيٌّ في نَمِرته[5]، أسدٌ في تامورته[6]، يَقسِم بالسويّة، ويَعدِل في القضية، ويَنفِر في السريّة، وينقُل إلينا حقَّنا كما تنقُل الذرة» فقال عمر رضوان الله عليه: لشَدَّ ما تقارضتُما الثناء[7].

ثناء سعد عليه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقدي عن بُكير بن مِسمار[8] عن زيادٍ مولى سعد قال:

/ سمعت سعداً يقول وبلغَه أنّ عمرو بن معد يكرب وقَع في الخمر، وأنّه قد دُلِّهَ. فقال: لقد كان له موطنٌ [١٥/٢٢٤]

---

(١) الاسترعاف: السبق والتقدم.

(٢) جـ، أ، ها، مب: «فاظت نفسه» بالظاء، وهما بمعنى، أي خرجت. وعن بعض اللغويين أنه لا يقال فاظت نفسه، وإنما يقال فاظ، بدون ذكر النفس، فإذا ذكرت النفس قيل فاضت بالضاد.

(٣) المحدث: الملهم ما يقول.

(٤) الخبر التالي في «الشعر والشعراء» ٣٣٣.

(٥) النمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٦) التامورة: عرين الأسد.

(٧) ما عدا ط، ها، مط، مب: «الشهادة» وما في ط يطابق «الشعر والشعراء» و «البيان» (٢ : ٦٨).

(٨) س: «يسار» «تحريف». ولبكير بن مسمار ترجمة في «تهذيب التهذيب».

صالح يوم القادسية، عظيم الغَنَاء، شديد النّكاية للعدوّ. فقيل له: فقيس بن مكشوح؟ فقال: هذا أبذلُ لنفسه من قَيس، وإنّ قيساً لَشُجاع.

موت عمرو

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمّر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة. ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبي خاصة: حدثني أسعر بن عمرو بن جرير، عن خالد بن قَطَن قال: حدّثني من شهد موتَ عمرو بن معد يكرب، والرواية قريبة، وحكايتا عُمَر بن شبّة وابنِ قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها، قالا:

كانت مَغازِي العرب إذ ذاك الريّ ودستبَى[1]، فخرج عمرٌو مع شباب من مَذحِج حتَّى نزل الخان الذي دُون روذَة، فتغدَّى القومُ ثم ناموا، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته، وكان عمرٌو إذا أراد الحاجة لم يجترِىءْ أحدٌ أن يدعوَه وإن أبطأ، فقام الناسُ للرحيل وترحَّلوا إلاّ من كان في الخان الذي فيه عمرو، فلما أبطأ صِحْنا به: يا أبا ثور. فلم يُجبنا وسمعنا عَلَزاً[2] شديداً، ومِراساً في الموضع الذي دخَله، وقَصَدناه فإذا به محمرةٌ عيناه، مائلاً شِدقُه مفلوجاً، فحملناه على فرسٍ وأمَرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفه ليعدِلَ ميله، فمات بِرُوذة ودُفن على قارعة الطريق.

رثاء امرأته الجعفية له

فقالت امرأته الجُعفية ترثيه:

[٢٢٥/١٥] / لقد غادَرَ الركْبُ الذين تحمَّلُوا … بُروذةَ شخصاً لا ضعيفاً ولا غُمْرا

فقلْ لزُبيدٍ بل لمذحِجَ كلِّها … فقدتم أبا ثورٍ سِنانكم عَمْرا

٣٣/١٤ / فإن تجزعوا لا يُغنِ ذلك عنكُم … ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقِبكُم صبرا

شعره في أخته ريحانة لما سباها الصمة

والأبيات العينية التي فيها الغناء، وبها افتُتِحَ ذكرُ عمرو[3]، يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لمَّا سباها الصِّمة بن بكر، وكان أغار على بني زُبيد في قيس فاستاقَ أموالَهم وسَبَى رَيحانة، وانهزمت زُبيد بين يديه، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبد الله واتَّبعه عمرو.

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أنّ عمراً اتبعه يناشِدُه أن يخلِّيَ عنها، فلم يفعل، فلما يئس منها ولَّى وهي تناديه بأعلى صوتها: يا عمروا فلم يقدِرْ على انتزاعها، وقال:

أمِنْ ريحانَةَ الداعِي السَّميعُ … يؤرِّقني وأصحابي هُجوعُ

سَباها الصِّمَّةُ الجشميُّ غَصْباً … كأنّ بياضَ غرّتها صَديعُ[4]

---

(١) كذا على الصواب في أ، ها. وفي ط، مط، مب: «دستي» وسائر النسخ «دستي». وانظر ما سبق في ص ٢١٤.

(٢) العلز، بالتحريك: الكرب والقلق عند الموت.

(٣) انظر ما سبق في ص ٢٠٧.

(٤) الصديع: الفجر؛ لانصداعه وانشقاقه.

وحالت دونَها فُرسانُ قيس ... تكشَّفُ عن سواعدها الدُّروع
إذا لم تستطِع شيئاً فدعْهُ ... وجاوِزْه إلى ما تستطيع

وزاد الناس في هذا الشعر وغنّى فيه:

وكيف أحبُّ مَن لا أستطيع ... ومن هو للذي أهوى مَنوعُ
ومَن قد لامني فيه صديقي ... وأهلي ثمَّ كُلاًّ لا أطيع
ومَن لو أظهرَ البغضاءَ نحوي ... أتاني قابضُ الموتِ السريعُ[1]
فدًى لهمُ معاً عمِّي وخالي ... وشَرخ شبابِهم إن لم يُطيعوا

قصته مع ريحانة

وقد أخبرني الحسين[2] بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي:

/ وأما قصّة ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوّجَ امرأةً من مُراد، وذهب مُغِيراً قبل أن يدخُل بها، فلما قدِم [١٥/٢٢٦] أُخبِر أنّه قد ظهر بها وضَح ـ وهو داءٌ تحذره العرب ـ فطلّقها وتزوّجَها رجلٌ آخر من بني مازن بن ربيعة، وبلغ ذلك عمراً وأن الذي قيل فيها باطلٌ، فأخذ يشبّبُ بها، فقال قصيدتَه وهي طويلة:

أمِن ريحانةَ الداعي السميعُ ... يؤرّقني وأصحابي هجوعُ

مقتل عبد الله بن معد يكرب

وكان عبد الله بن معد يكرب، أخو عمرو، رئيسَ بني زبيد، فجلس مع بني مازن في شَربٍ منهم[3]. فتغنّى عنده حبشيٌّ عبدٌ للمخزّم، أحد بني مازن، في امرأةٍ من بني زُبيد، فلطمه عبدُ الله وقال له: أمَا كفاك أن تشربَ معنا حتى تشبب بالنساء؟ فنادى الحبشيُّ: يا آل بني مازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه، وكان الحبشيُّ عبداً للمخزم، فرثَى عمرٌو مكانَ أخيه، وكان عمرٌو غزا هو وأُبيٌّ المراديّ فأصابوا غنائم، فادّعى أُبيٌّ أنه قد كان مسانِداً، فأبى عمرٌو أن يعطيَه شيئاً، وكرِهَ أُبيٌّ أن يكون بينهما شرّ، لحداثةِ قتل أبيه، فأمسَكَ عنه. وبلغ عمراً أنّه توعّده، فقال عمرو في ذلك قصيدةً له أوّلها:

شعر عمرو في توعد أُبيّ له

صوت

أعاذلَ شِكّتي بدَني ورُمحي ... وكلُّ مقلّص سَلِس القِيادِ[4]
أعاذلَ إنّما أفنى شبابي ... وأقرحَ عاتقي ثِقَلُ النِّجاد

(١) كذا في ط، حـ، ها، مط، مب. وفي سائر النسخ: «قانص».
(٢) ط: «الحسن».
(٣) الشرب: جماعة الشاربين.
(٤) المقلص: الفرس الطويل القوائم المنضم البطن.

تَمنَّاني ليلقاني أُبَيٌّ ... وددتُ وأينما منّي ودادي[1]

[٢٢٧/١٥] / ولو لاقيتَني ومعي سِلاحي ... تكشّف شحمُ قلبِك عن سوادِ

٣٤ / ١٤

أريد حِباءَه ويريدُ قتلي ... عذيرَك مِن خليلك من مرادِ[2]

وتمام هذه الأبيات:

تمنّاني وسابغتي دِلاصٌ ... كأنّ قتيرَها حدَقُ الجراد[3]

وسيفي كان من عهدِ ابن صدٍّ ... تخيَّره الفتى من قوم عاد

ورمحي العنبريُّ تخال فيه ... سِناناً مثلَ مقباس الزّناد

وعجلِزة يزلّ اللِّبدُ عنها ... أمَرَّ سَراتَها خَلقُ الجياد[4]

إذا ضُرِبَتْ سمعتَ لها أزيزاً ... كوقع القَطْر في الأدم الجِلادِ[5]

إذاً لوجدتَ خالكَ غيرَ نِكسٍ ... ولا متعلّماً قتلَ الوحاد[6]

يقلّب للأمور شَرنبثاتٍ ... بأظفارٍ مَغارِزُها حداد

لابن سُريج في الأوّل والثاني ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وفي الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهذلي من رواية يونس.

[٢٢٨/١٥] / وهذا البيت الخامس كان عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلجَم تمثل به.

تمثل علي ببيت من شعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا حَيّان[7] بن بشر قال حدّثنا جرير عن حمزة الزيات قال:

كان عليٌّ عليه السلام إذا نظر إلى ابنِ مُلجَم قال:

أريد حِباءه ويريدُ قتلي ... عَذيرَكَ من خليلك من مرادِ

مقال علي في ابن ملجم

حدّثني العباس بن علي بن العباس، ومحمد بن خلفٍ وكيع قالا: حدّثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدّثنا عبد الرزّاق قال: أخبرنا مَعمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عَبِيدة السَّلْماني قال:

كان عليُّ بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابنَ ملجَم قال:

(١) في «سمط اللآلي» ٦٣: «ليلقاني قبيس» مصغر قيس بن مكشوح المرادي. انظر التنبيه التالي.

(٢) في «الإصابة» ٧٣٠٧ و «معجم المرزباني» ٢٠٩ و «سمط اللآلي» و «الكامل» ٥٥٠ ليبسك، أن الذي قيل فيه الشعر هو قيس بن مكشوح المرادي، وهو ابن أخت عمرو.

(٣) الدلاص: الدرع الملساء اللينة. والقتير: رءوس مسامير الدرع. ما عدا ط، ها، مط، مب: «حلق الجراد» تحريف.

(٤) العجلزة: الفرس الشديدة الخلق. حـ: «خلق» بالخاء المعجمة. ط: «الحياد» بالحاء المهملة.

(٥) الجداد، في ها. وفي سائر النسخ: «الجلاد».

(٦) ما عدا ط، ها، مط، مب: «قبل». والوحاد، هي في حـ «الوخاد».

(٧) مط: «حسان».

أريـــد حِبــــاءه ويـــريـــد قتلـــي	عـــذيـــرَكَ مـــن خليلــك مـــن مُـــرادِ

حدّثني محمد بن الحسن الأُشناني قال: حدّثنا علي بن المنذر الطَّريفي قال: حدّثنا محمد بن فُضَيل قال: حدّثنا فِطر بن خليفة[1] عن أبي الطفيل عامر بن واثلة[2]، والأصبغ بن نباتة قال:

قال علي عليه السلام: ما يحبس أشقاها[3]؟ والذي نفسي بيده لتُخضبنَّ هذه من هذا.

/ قال أبو الطفيل: وجمع عليٌّ الناسَ للبَيْعة فجاء عبد الرحمن بن ملجَم المراديّ، فردّه مرّتين أو ثلاثاً ثم بايعه، ثم قال: ما يحبس أشقاها؟ فوالذي نفسي بيده لتُخضبَنَّ هذه من هذا. ثم تمثل بهذين البيتين: [١٥/٢٢٩]

اشـــددْ حيـــازيمَـــكَ للمـــوتِ	فـــإنَّ المـــوت يـــأتيـــكَ[4]
ولا تجـــزعْ مـــن القتـــلِ	إذا حـــلَّ بـــواديـــكَ



(١) في «الأصول»: «قطن بن خليفة» صوابه ما أثبت.

(٢) الكلام بعده إلى «ونهض على الحال» في ص ٢٣٤ ساقط من أ.

(٣) اقتبسه من قول الله تعالى: ﴿إذ انبعث أشقاها﴾، وهو عاقر ناقة صالح الذي بعقره أصيب قومه بعذاب الله.

(٤) هذا ما يسميه علماء العروض بالخزم، بالزاي، وهو الزيادة على وزن البيت في أوله. انظر «العمدة» (١: ٩٢) و «الكامل» ٥٥٢ ليبسك. وهذا أقصى ما يزاد في الخزم، كما نص ابن رشيق، إذ زاد أربعة أحرف، وهي «اشدد». ها: «آتيك».

[١٥/ ٢٣٠]

/رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

تعبير أخته كبشة له حين هم بأخذ الدية

قال: وجاءت بنو مازنٍ إلى عمرو فقالوا: إن أخاك قتَلَه رجلٌ منا سفيه وهو سكرانُ، ونحن يدُك وعَضُدك، فنسألك الرحِمَ وإلاّ أخذت الديةَ ما أحببت! فهمَّ عمروٌ بذلك. وقال:

* إحدى يديَّ أصابتني ولم ترد[1] *

٣٥/١٤ فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كَبْشة، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب، / فغضِبت، فلما وافَى الناسُ من الموسم قالت شعراً تعيِّر عمراً:

أرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه ... إلى قومه لا تَعقِلوا لهُم دمِي

ولا تأخذوا مِنهم إفالاً وأبكُراً ... وأتركَ في بيتٍ بصَعدةَ مظلم[2]

ودَعْ عنك عَمراً إنّ عمراً مسالمٌ ... وهل بطنُ عمرو غيرُ شِبرٍ لمطعم

فإن أنتُم لم تقبلوا واتَّديتُم ... فمشُّوا بآذانَ النَّعام المصلَّم[3]

أيقتُلُ عبدَ الله سيِّدَ قومه ... بنو مازن أن سُبَّ راعي المخزَّم

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها:

[١٥/ ٢٣١]

/ صوت

أرِقتُ وأمسيتُ لا أرقُدُ ... وساوَرَني الموجعُ الأسودُ

وبتُّ لذِكري بني مازنٍ ... كأنِّيَ مرتفِقٌ أرمدُ[4]

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي[5] أنّه منحول.

---

(١) البيت لأعرابي قتل أخوه ابناً له، مما اختاره أبو تمام في «الحماسة» (١: ٦٦). وهو:

أقول للنفس تأساء وتعزية ... إحدى يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبة ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(٢) الإفال: جمع أفيل، وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر. وإنما ذكر الإفال والأبكر تحقيراً لشأن الدية، إذ الدية لا تكون منهما. وصعدة: مخلاف باليمن.

(٣) في «الحماسة»: «لم تثأروا»، واتديتم: قبلتم الدية. المصلم: المجدع.

(٤) المرتفق: المتكىء على مرفق يده.

(٥) الكلام بعده إلى ما قبل الصوت التالي ناقص من ط.

ثم أكبَّ على بني مازنٍ وهم غارُّونَ[١] فقتلهم، وقال في ذلك شعراً:

خُــذُوا حُقُقــاً مخطَّمــة صفــايــا ... وكَيـــدي يــا مخــزّم أن أكيــدا[٢]

قتلتــمْ ســادتِــي وتــركتمــونــي ... علــى أكتــافكــم عبئــاً جــديــداً[٣]

[فمــن يــأبــى مــن الأقــوام نصــرا ... ويتــركنَــا فــإنّــا لــن نــريــدا

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الديّة لما آذنهم بحربٍ، فأبىَ عمرو، وكانت بنو مازن من أعداء مذحج، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمُّها دون عمرو، وكان عمرو قد هَمَّ بالكف عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم، فركبت كبشةُ في نساءٍ من قومها وتركت عمراً أخاها وعيَّرته فأحمته، فأكبَّ عليهم أيضاً بالقتل، فلما أكثر فيهم القتلَ تفرَّقوا، فلحقت بنو مازنٍ بصاحبهم بتميم، ولحقت ناشرة بني أسد، وهم رهطُ الصقعب بن الصحصح، ولحقت فالج بسليم بن منصور. وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن صعب بن سعد العشيرة، وأمُّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. فقال كابية بن حرقوص بن مازن:

/ يــا ليلتــي مــا ليلتــي بــالبلــدةِ ... رُدّتْ علــيَّ نجــومُهــا فــارتــدتِ [١٥/٢٣٢]

مَــن كــان أســرعَ فــي تفــرُّق فــالــج ... فلبُــونــه جــربــتْ معــاً وأغــدّت

هَــلاّ كنــاشــرة الــذي ضيّعتُــم ... كــالغصــن فــي غلــوائــه المتنبــت][٤]

وقال عمرو في ذلك:

تمنَّــت مــازنٌ جهــلاً خِــلاطــي ... فــذاقــتْ مــازن طَعــم الخِــلاطِ

أطَلــتُ فِــراطكــم عــامــاً فعــامــاً ... ودَيــن المَــذحِجــيِّ إلــى فِــراطِ[٥]

أطلــتُ فــراطكــم حتَّــى إذا مــا ... قتلــتُ ســراتكــم كــانــت قَطَــاطِ[٦]

غــدرتــمْ غــدرة وغــدرتُ أخــرى ... فمــا إنْ بيننــا أبــداً يَعَــاطِ[٧]

غناء إحدى الجواري ببيت من شعره

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي قال المدائني:

حدّثني رجلٌ من قريش قال: كنا عند فلانٍ القرشيّ فجاءه رجلٌ بجاريةٍ فغنته:

بــالله يــا ظبــي بنِــي الحــارث ... هــل مَــن وفــى بــالعهــدِ كــالنــاكِــث

---

(١) غارون: في غرة وغفلة.

(٢) الحقق، بضمتين: جمع حق وحقة بالكسر فيهما، وهو من الإبل ما استكمل الثالثة ودخل في الرابعة. وفي «الأصول» ما عدا مط، مب: «حقا» وفيها ما عدا مب: «ما أكيدا».

(٣) كذا في ها، مب. وفي سائر النسخ: «سادتي عرضاً فإني على أكتافكم عث».

(٤) التكملة من ها، مب.

(٥) أي أطلت إمهالكم والتأني بكم إلى أن قتلتكم.

(٦) قطاط، بوزن قطام، أي حسبي. وفي «اللسان» (قطط): «قالت قطاط».

(٧) يعاط: زجر في الحرب، وهي كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشاً. يقول: ليس بيننا إنذار، إنما نفاجىء بالحرب مفاجأة. وفي «الأصول»: «تعاطى».

وغنته أيضاً بغناء ابن سُرَيج:

يا طولَ ليلي وبتُّ لم أنم ... وسادي الهمُّ مُبطنٌ سَقَمي

فأعجبته واستام مولاها، فاشتطَّ عليه فأبى شراءها، وأُعجِبت الجارية بالفتى، فلما امتنع مولاها من البيع إلاّ بشططٍ قال القرشي: فلا حاجة لنا في جاريتك. فلما قامت الجارية للانصراف رفعَتْ صوتها تغنّي وتقول:

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْه ... وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

[٢٣٣/١٥] / قال: فقال الفتى القرشي: أفأنا لا أستطيع شراءكِ، والله لأشترينَّك بما بلغتِ.

قالت الجارية: فذاكَ أردتُ. قال القرشيُّ: إذا لأجبتُكِ. وابتاعها من ساعتِه. والله أعلم.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

٣٦/١٤

صوت

بالله يا ظَبيَ بني الحارثِ ... هل مَن وفى بالعهدِ كالناكِثْ

لا تخدَعَنّي بالمنى باطلاً ... وأنت بي تلعبُ كالعابِث

٧٠

عروضه من السريع، الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سُريج، رمل بالبِنصِر، وفيه لسِياطِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى، وفيه لإبراهيمَ الموصليّ لحنٌ من رواية بَذْل. ومنها:

صوت

يا طولَ ليلي وبِتُّ لم أنَم ... وِسادِيَ الهمُّ مبطَنٌ سَقَمي

إذْ قمتُ ليلاً على البلاط فأبـ ... ـصرتُ ربيباً فليتَ لم أقم[1]

فقلتُ عُوجِي تُخبِّرِي خَبَراً ... وأنتِ منه كصاحب الحلُمُ

قالتْ بَل أخشى العيونَ إذْ حضرت ... حَولي وقلبي مُباشِرُ الألم

[عروضه من المنسرح[2]. والشعر[3] و] الغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

[٢٣٤/١٥] / **مناظرة محمد بن العباس الصولي وعلي بن الهيثم في حضرة المأمون**

وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدّثنا أبي قال:

كان المأمونُ قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمناظرةَ في مجلسه، فناظرَ بين يديه محمّدُ بن العباس الصوليُّ عليَّ بنَ الهيثم جُونَقاً[4] في الإمامة، فتقلّدها أحدُهما ودفَعها الآخر، فلجَّت المناظَرةُ بينهما إلى أن نبَّط محمدٌ

---

(١) الربيب: المربي، عنى ظبياً ربيباً شبه به صاحبته. مط، مب: «فأبصرت زينباً». وفي سائر النسخ ما عدا ط: «رشاقاً» وصواب هذه «رشا فيا ليت لم أقم».

(٢) في الأصل، وهو هنا ط، مط، مب: «من الخفيف».

(٣) التكملة من ط، مط، مب.

(٤) ما عدا ط، ها، مط، مب: «حولتا» وصوابه وضبطه من هذه النسخ، كما هو في مواضع أخرى من «الأغاني».

عليا[1] فقال له علي: إنّما تكلّمتَ بلسان غيرك، ولو كنتَ في غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر مما قلت! فغضِب المأمونُ وأنكر على محمدٍ ما قاله وما كان منه من سُوء الأدَب بحضرته، ونَهَض عن فَرشِه ونهض الجلساءُ فخرجوا، وأراد محمدٌ الانصرافَ فمنعه علي بن صالح صاحبُ المصلّى، وهو إذْ ذاك يحجُب المأمون، وقال: أفعلتَ ما فعلتَ بحضرة أمير المؤمنين ونهَضَ على الحال[2] التي رأيتَ، ثم تنصرفُ بغير إذن، اجلسْ حتى نعرفَ رأيه فيك. وأمر بأن يَجلِس.

غضب المأمون على محمد الصولي

قال: ومكث المأمونُ ساعةً فجلسَ على سريره، وأمرَ بالجلسَاء فرُدُّوا إليه، فدخل إليه عليُّ بن صالح فعرّفه ما كان من قَول علي بن محمد في الانصراف، وما كانَ مِن مَنْعه إياه، فقال: دَعْه ينصرف إلى لعنةِ الله. فانصرف، وقال المأمون لجلسائه: أتدرونَ لمَ دخَلتُ إلى النساءِ في هذا الوقت؟ قالوا: لا. قال: إنَّه لمّا كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمَنْ فلتاتِ الغضَب، وله بنا حُرمة، فدخلتُ إلى النساء فعابثْتُهنّ[3] حتى سكن غضبي.

احتيال أحمد الأحوال لتولية طاهر خراسان

قال: وما مضى محمدٌ عن وجهه إلاّ إلى طاهر، فسأله الركوبَ إلى المأمون، وأن يستوهبَه جُرْمه، فقال طاهر: ليس هذا من أوقاتي، وقد كتب إليّ خليفتي / في الدار أنّه قد دعا بالجلساء. فقال: أكرهُ أن أبيتَ ليلةً [١٥/٢٣٥] وأميرُ المؤمنين عليٌّ ساخط. فلم يزلْ به حتّى ركب طاهرٌ معه، فأذِن له فدخل ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون، فلما بَصُر المأمون بطاهر أخذَ منديلاً فمسح به عينَيه مرّتين أو ثلاثاً، إلى أنْ وصل إليه وحرَّك شفتَيه بشيءٍ أنكره طاهر، ثم دنا فسلَّم، فردّ السلامَ وأمره بالجلوس[4] فجلسَ في موضعه، فسأله عن مجيئه في غيرَ وقته، فعرّفه الخبرَ واستوهبه ذنبَ محمد، فوهبه له وانصرف؛ وعرَّف محمداً ذلك. ثم دعا بهارون بن خنعويه، وكان شيخاً خراسانيًّا / داهيةً ثقةً عنده، فذكر له فعلَ المأمون وقال له: القَ كاتب مُجيرٍ والطُفْ له، واضمنْ له عَشرة آلاف $\frac{37}{14}$ درهم على تعريفك ما قاله المأمون ففعل ذلك ولطَف له،فعرّفه أنّه لما رأى طاهراً دمَعت عيناه وترحّم على محمدٍ الأمين، ومسح دمعَه بالمنديل، فلما عرَف ذلك طاهرٌ رِكب من وقته إلى أحمدَ بن أبي خالدِ الأحول ـ وكان طاهرٌ لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون، وكلُّهم يركب إليه ـ فقال له: جئتكَ لتولِّيَني خراسان وتحتالَ لي فيها. وكان أحمد يتولّى فضَّ الخرائط بين يدَي المأمون، وغسّان بن عَبّاد يتولّى إذْ ذاك خراسان، فقال له أحمد: هلاَّ أقمتَ بمنزلك وبعثت إليَّ حتى أصيرَ إليك ولا يُشهَر الخبرُ فيما تريده بما ليس من عادتك، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحدٍ من أصحابه، وسيبلغه هذا فينكره، فانصرِف وأغِض[5] عن هذا الأمر وأمهِلْني مدّةً حتَّى أحتال لك. ولبث مدّةً، وزوّر ابن أبي خالد كتاباً عن غسّان بن عباد إلى المأمون، يذكر فيه أنّه عليل وأنه لا يأمن على نفسه، ويسأل أن يستخلف غيرَه على خراسان، وجعلَه في خريطةٍ وفَضَّها بين يدي المأمون، / في خرائط وردَتْ عليه، فلما قرأ [١٥/٢٣٦]

---

(١) ثبط، كذا وردت في «الأصول». ولعل معناها شبهه بالنبط ونسبه إليهم.

(٢) إلى هنا ينتهي سقط أ الذي نبهت على مبدئه في ص ٢٢٨.

(٣) كذا في ط. وفي حـ: «فعاتبهن» و أ، ها، مط، مب «فعاتبتهن» وسائر النسخ: «فعانقتهن» والأخيرة صحيحة كالأولى.

(٤) بعده سقط في ط ينتهي إلى: «فغناه واحتفل فقال» في ص ٢٣٦.

(٥) س، ب: «وغض».

على المأمون الكتابَ اغتمّ به وقال له: ما ترى؟ فقال: لعل هذه عِلّةٌ عارضة تزول، وسَيرِدُ بعد هذا غيره فيرى حينئذٍ أمير المؤمنين رأيَه. ثم أمسكَ أياماً وكتب كتاباً آخرَ ودسّه في الخرائط، يذكُر فيه أنه تناهَى في العِلّة إلى ما لا يرجو معه نفسَه، فلما قرأه المأمونُ قلِق وقال: يا أحمد، إنه لا مَدفَع لأمر خراسان فما ترى؟ فقال: هذا رأي إن أشرت فيه بما أرى فلم أصِب لم أستقبله، وأمير المؤمنين أعلَمُ بخدَمِه ومن يصلُح بخراسان منهم. قال: فجعلَ المأمونُ يسمِّي رجالاً ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم، إلى أن قال: فما ترَى في الأعور؟ قال: إن كان عندَ أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده. فدعا به المأمون فعقَد له على خراسان، وأمره أن يُعسكر، فعسكر بباب خراسان. ثم تعقَّبَ الرأيَ فعلم أنّه قد أخطأ، فتوقّف عن أمضائه وخشِي أن يُوحِش طاهراً بنقْضه، فمضى شهرٌ تامٌ وطاهر مقيم بمعسكره. ثم إنّ المأمون في السَّحر من ليلة أحدٍ وثلاثين يوماً من عَقْدِه له، عقد اللواءَ لطاهرٍ ظاهراً، وأمر بإحضار مُخارقٍ المغنّي، فأُحضِر وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر، فقال: يا مخارق، أتغني:

إذا لم تستطع شيئاً فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ
وكيف تُريدُ أن تُدعَى حكيماً ... وأنت لكلِّ ما تهوى تَبوعُ

قال: نعم. قال: هاته. فغناه فقال: ما صنعتَ شيئاً، فهل تعرفُ مَن يقوله أحسنَ مما تقوله؟ قال: نعم، علويه الأعسر. فأمر بإحضاره فكأنّه كان وراء السِّتر، فأمره أن يغنّيَه، فغنّاه واحتفلَ فقال[1]: ما صنعتَ شيئاً أتعرف مَن يقوله أحسنَ مما تقوله؟ قال: نعم عَمرو بن بانة شيخُنا. فأمر بإحضاره فدخَلَ في مقدار / دُخول علويه، [٢٣٧/١٥] فأمر بأن يغنيه الصوتَ، فغناه [فأحسن][2] فقال: أحسنتَ ما شئت[3]، هكذا ينبغي أن يُقال. . ثم قال: يا غلام اسقِني رِطلاً واسق صاحبيه رِطلاً رطلاً. ثم دعا له بعشرة آلاف درهم، وخِلعةٍ ثلاثة أثواب، ثم أمره بإعادته، فأعاده فردّ القولَ الذي قاله، وأمر له بمثلِ ما أمر، حتّى فعل ذلك عشراً، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون / ثوباً، ٣٨/١٤ ودخَل المؤذّنون فأذّنوه بالظهر، فعقد[4] إصبعَه الوسطى بإبهامه وقال: «برقٌ يَمانٍ، برقٌ يمانٍ». وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرفَ من بحضرته من الجلساء. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، قد أنعمتَ عليّ وأحسنتَ إليّ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي في مقاسمة أخويّ[5] ما وصل إليّ فقد حَضَراه؟ فقال: ما أحسنَ ما استَمْحتَ لهما، بل نُعطيهما نحنُ ولا نُلحِقهما بك. وأمر لكلِّ واحد بمثل [نصف][6] جائزة عمرو، وبكَر إلى طاهر فرحّله، فلما ثنى عِنانَ دابتِه منصرفاً دنا منه حُميدٌ الطوسيُّ فقال: اطرح على ذَنَبه تراباً. فقال: اخسأ يا كلب! ونفَذ[7] طاهرٌ لوجهه، وقدِم غسّان بن عبّاد فسأله عن علّته وسببِها، فحلف له أنّه لم يكن عليلاً، ولا كتبَ بشيء في هذا. فعلم المأمون أنّ طاهراً احتال عليه بابن أبي خالد، وأمسكَ على ذلك. فلما كان بعد مدّةٍ من مقدِم طاهرٍ إلى خراسان قَطَعَ الدعاءَ للمأمون على المنبر يوم الجمعة، فقال له عونُ بن مجاشِع بن مَسعدة صاحب البريد: لم تَدْعُ في هذه الجمعة

(١) إلى هنا ينتهي سقط ط الذي بدأ في ص ٢٣٥.
(٢) هذه من ط فقط.
(٣) كذا في ط، حـ، أ، ها، مط، مب وفي سائر النسخ «ما غنيت».
(٤) ط، ها، مط، مب: «فنقد».
(٥) ما عدا ط، ها، مط: «إخوتي» تحريف.
(٦) هذه من ط، ها، مب. وفي مط: «لكل واحد بنصف».
(٧) هذا الصواب في ط، ها، مط، مب. وفي سائر النسخ «وبعد».

لأمير المؤمنين؟ فقال: سهوٌ وقع فلا تكتبْ به. وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية، وقال لعون: لا تكتب به، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له عون: إنّ كتب التجّارِ لا تنقطع / من بغداد، وإن اتّصلَ هذا الخبر بأمير المؤمنين مِن غيرنا [١٥/٢٣٨] لم آمَنْ أن يكون سببَ زوالِ نعمتي. فقال: اكتبْ بما أحببت. فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابُه دعا بأحمدَ بنِ أبي خالد وقال: إنّه لم يذهب عليَّ احتيالك علي في أمر طاهر، وتمويهُك له، وأنا أعطى اللّهَ عهداً لئن لم تَشخصْ حتّى تُوافيني به كما أخرجتَه من قَبْضتي وتُصلحْ ما أفسدته عليَّ من أمر مُلكي لأبِيدَنَّ غَضراءك[١]! فشخَص أحمدُ وجعل يتلَوم في الطريق[٢]، ويقول لأصحاب البُرُد[٣]: اكتبوا بخبرِ علّةٍ أجدُها. فلما وصل الريَّ لقيته الأخبارُ ووافاه رسلُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر، فأغذَّ السير حتّى قدِم خراسانَ، فلقيه طلحةُ على حَدِّ غَفلة[٤] فقال له أحمد: لا تكلّمْني ولا تُرِني وجهَك فإنّ أباك عرّضني للعطَبِ وزوال النعمة، مع احتيالي له وسعي كان في مَحَبته. فقال له: أبي قد مضى لسبيله ولو أدركتَه لما خَرجَ عن طاعتك، وأمّا أنا فأحلف لك بكلّ ما تسكن به نفسُك[٥] وأبذل كلَّ ما عندي من مالٍ وغيرِه، فاضمنْ له عنّي حسنَ الطاعة، وضبط الناحية، والإخلاصَ في النصيحة. فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون، وأشار بتقليده، فأنفذ المأمونُ إليه اللواءَ والخِلَع والعهد، وانصرفَ أحمد إلى مدينة السلام.

هجاء ابن هرمة لرجل من قريش وفيه اجتلاب بيت لعمرو

أخبرني وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

مدح ابنُ هَرْمَةَ رجلاً من قريش فلم يُثبه، فقال له ابنُ عمٍّ له: لا تفعل، فإنه شاعرٌ مفوّه. فلم يقبلْ منه، فقال فيهِ ابن هَرْمة:

/ فهلّا إذْ عجزتَ عن المعالي ... وعمّا يفعل الرجلُ القريعُ[٦] [١٥/٢٣٩]

أخذتَ برأي عمرٍو وحين ذَكيَّ ... وشُبَّ لناره الشرفُ الرفيعُ

إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

مما قاله في أخته ريحانة مما يتغنى به

ومما قاله عمرو بن معد يكرب في ريحانةَ أخته، وغُنّيَ فيه، قولهُ:

/ هاجَ لكَ الشوقُ من ريحانةَ الطربا ... إذْ فارقتكَ وأمستْ دارها غُرُبا[٧] ٣٩/١٤

ما زلتُ أحبس يومَ البينِ راحلتي ... حتّى استمروا وأذرَتْ دَمعَها سَرَبا[٨]

---

(١) الغضرا: النعمة والخير وسعة العيش.

(٢) التلوم: التلبث والانتظار.

(٣) البرد: جمع بريد.

(٤) حد كل شيء: نهايته. وكذا وردت العبارة في ط، أ، ها، مط، مب. وفي سائر النسخ: «على حين غفلة».

(٥) أشير في ط إلى أنها في نسخة: «بكل يمين تسكن إليها».

(٦) القريع: السيد والرئيس.

(٧) الغرب، بضمتين: الغريب، وذكره لتأويل الدار بالمنزل.

(٨) أذرت: أرسلت. س: «ذرت». تحريف. والسرب: السائل.

حتّى ترفّعَ بالحُزّان يركُضها مثلَ المهاة مَرَتْه الريحُ فاضطربا[١]
والغانياتُ يقتُلنَ الرجالَ إذا ضَرّجن بالزعفران الرَّيطَ والنّقَبا[٢]
من كلِّ آنسةٍ لم يَغذُها عُدُمٌ ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صَخَبا[٣]
إنّ الغوانيَ قد أهلكنني وأرى حِبالهنَّ ضعيفاتِ القُوى كُذُبا[٤]

غنّى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيلٍ من رواية حماد، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً.

قصة نسبة هذا الشعر لِسَهْل الغنوي

وقال الأصمعيّ: هذا الشعر لسهلِ بن الحنظلية الغَنَوي ثم الضُّبيني ثم الجابري، وهو جابر بن ضبينة.

[١٥/٢٤٠] / قال أبو الفرج الأصبهاني: وسهل بن الحنظلية أحدُ أصحاب رسول الله ﷺ، وقد روى عنه حديثاً كثيراً.

فذكر الأصمعيُّ أنّ السببَ في قوله هذا الشعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العرب بعكاظ، منهم قُرّة بن هُبيرة القشَيري، في سنينَ تتابعَتْ على الناس، فتواعَدُوا وتواقَفوا أن لا يتغاوروا حتّى يُخصِب الناس[٥] ثم قالوا: ابعثوا إلى المنتشر بن وهبٍ الباهلي ثم الوائلي فليشهدْ أمرنا، ولنُدخلْه معنا. فأتاهم فأعلموه ما صنعوه، قال: فما يأكلُ قومي إلى ذاك؟ فقال له ابن جارمٍ الضبيّ[٦]: إنّك لهناك يا أخا باهلة؟ قال: أمّا أنا فالغسل والنساءُ عليّ حرامٌ حتّى آكلَ من قَمَع إبلك[٧]. فتفرقوا ولم يكن إلّا ذلك. وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله: استُكَ أضيقُ من ذاك! فأغار المنتشرُ على ابن جارم، فلما رآه ابن جارمٍ رمَى بنفسه في وجارِ ضَبع، وأطرد المنتشرُ إبلَه ورِعاءها، فقال سهلٌ في ذلك:

هاجَ لكَ الشّوقُ من ريحانةَ الطربا

في قصيدةٍ طويلة له حسنة. وقال في ذلك أعشى باهلة:

فدًى لكَ نفسي إذْ تركتَ ابنَ جارمٍ أجبَّ السَّنام بعدَ ما كان مُصعبَا[٨]

وقال المخبل في ذلك:

إنَّ قشيراً من لقاحِ ابنِ جارمٍ كغاسلةٍ حَيضاً وليست بطاهِرِ
وأنبأتماني أنَّ قُرّةَ آمنٌ فناك أباه من مجيرٍ وخافرِ[٩]

(١) الضمير في «ترفع» للراحلة، والراحلة تكون للذكر والأنثى، ترفع: ارتفع في سيره. والحزان بضم الحاء وكسرها: جمع حزيز، وهو ما غلظ من الأرض. المهاة: البقرة الوحشية.

(٢) الريط: جمع ريطة: وهي الملاءة غير ذات لفقين. وفي «الأصول»: «النيط». والنقب: جمع نقبة، وهي ثوب كالإزار تجعل له حجزة مطيفة من غير نيفق».

(٣) ما عدا ط، أ، ها، مط، مب: «ولا تسدد بشيء صوتها صحباً».

(٤) ما عدا ط، مط، مب: «قد أهلكنني تعباً وخلتهن».

(٥) تواقفوا: وقفوا جميعاً. والتغاور: تبادل الغارات.

(٦) ابن جارم الضبي بالجيم والراء المهملة. وفيما عدا ط، أ، ها، مب: «حازم» في كل موضع من هذا الخبر.

(٧) القمع، بالتحريك: جمع قمعة، وهي أعلى السنام.

(٨) الأجب: المقطوع السنام، أو الذي أكله الرجل فلم يكبر. والمصعب: الفحل المكرم.

(٩) حـ: «قتال» س: «قتالاً».

/ فلا تُوكلوها الباهليَّ وتقعُدوا لَدى غرضٍ أرميكُم بالنواقر[١] [١٥/٢٤١]

إذا هي حلّتْ بالذِّهاب وذي حُسَى وراحت خِفافَ الوطءِ حُوسَ الخواطر[٢]

تلاحي الأشعث وعمرو بن معد يكرب

أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل، قال حدّثني قعنب بن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش[٣] عن محمد بن المنتشر قال:

أخبرني من شهد الأشعثَ بن قيس وعمرو بن معد يكرب وقد تنازعا في شيءٍ، فقال عمرٌو للأشعث: نحن قتلنا أباكَ ونكنا أمّكَ! فقال سعد: قُوما أفٍّ لكما! فقال الأشعث لعمرو: والله لأضرِّطنّك. فقال: كلّا إنها عَزوزٌ موثقة[٤].

قال جرير بن عبد الله البجلي: فأخذتُ بيد الأشعث فنترته[٥] فوقَع على وجهه، ثم أخذتُ بيد عمرٍو فجذبته فما تحلحلَ والله، لكأنّما حركت أسطوانة القصر.

ما كان من عمرو والأجلح الفهمي في حضرة عمر بن الخطاب

/ وقال أبو عبيدة: قدِم عمرو بن معد يكرب والأجلحُ بن وقّاصٍ الفهميّ على عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فأتيَاه وبين يديه مالٌ يوزَن، فقال: متى قدمتما؟ قالا: يومَ الخميس. قال: فما حبَسَكما؟ قالا: شُغِلنا بالمنزل يوم قدِمنا، ثم كانت الجمعة، ثم غدونا عليكَ اليوم. فلما فرَغ من وزن المالِ نحّاه، ثم أقبل عليهما فقال: هِيه! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، هذا الأجلح بن وقّاص، شديد المِرّة، بعيد / الفرّة، وشيكُ الكرة، والله ما رأيت مثلَه من الرجال صارعاً ومصروعاً، والله لكأنه لا يموت! فقال عُمر للأجلح بن وقّاص، وأقبلَ عليه: هيه. قال: وأنا أعرف الغضبَ في وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ الناسُ صالحون كثير نسلُهم، دارّة أرزاقُهم، خصبٌ نباتُهم، أجْرياءُ على عدوّهم، جبان عدوُّهم عنهم، صالحون بصلاحِ إمامهم، والله ما رأينا مثلَك إلّا مَن تقدمك، فنستمتعُ اللّهَ بك. فقال: ما منعك أن تقول في صاحبك مثلَ الذي قال فيك؟ قال: منعَني ما رأيتُ في وجهك. قال: قد أصبتَ أمَا لو قلت له مثلَ الذي قال لك لأوجعتُكما عقوبة، فإن تركتُك لنفسك فسوف أتركه لك، والله لوددتُ لو سلمتْ لكم حالُكم هذه أبدا، أمَا إنّه سيأتي عليك يومٌ تعضُّه وينهشك، وتهرُّه وينبحك، ولستَ له يومئذٍ وليس لك، فإنْ لم يكن بعهدكم فما أقربُه منكم[٦].

(١) النواقر: السهام الصائبة. ما عدا ط، ها: «بالنوافر» تحريف.

(٢) الذهاب، بضم أوّله وكسره: غائط من أرض بني الحارث بن كعب. وذو حسي: واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. والحوس: جمع أحوس وحوساء، وهو البطيء التحرك من المرعى. والخواطر: جمع خاطر وخاطرة، وهو الذي يخطر بذنبه من الخيلاء. س: «حوش».

(٣) ط، مط، مب: «عن ابن عباس عن عمه».

(٤) الأصل في معنى العزوز أنها الناقة أو الشاة الضيقة الإحليل. حـ: «عزور» مط «غروز» وفي سائر النسخ ما عدا ط، ها، مب: «غرور».

(٥) النتر: الجذب بجفاء.

(٦) العهد: المعرفة والرؤية. س: «بعدكم» تحريف. وفيما عدا ط، ها، مط، مب: «فما أقربكم منكم»، تحريف أيضاً.

طمع عمرو في العطاء من غنائم القادسية

قال أبو عبيدة: حدّثنا يونس وأبو الخطاب قالا:

لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجاناً ومناطق ورِقاباً[١] فبلغت مالاً عظيماً، فعزل سعدٌ الخُمْس ثم فضّ البقية، فأصاب الفارسَ ستة آلاف، والراجلَ ألفان، فبقي مالٌ دَثْر[٢]. فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل، فكتب إليه أنْ ردَّ على المسلمين الخُمس، وأعطِ من لَحِقَ بك ممن لم يشهدَ الوقعة. ففعل فأجراهم مَجرى من شَهِد، وكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه أنْ فُضَّ ما بقي على حَمَلة القرآن. فأتاه عمرو بن معد يكربَ فقال: ما معك مِن كتاب الله تعالى؟ فقال: إنِّي أسلمتُ باليمن، ثم غزوتُ فشُغِلت عن حفظ القرآن. قال: ما لك في هذا المال نصيب.

[١٥/٢٤٣] / **شعره وشعر بشر بن ربيعة في حرمانهما من العطاء**

قال: وأتاه بشر بن ربيعة الخَثعَمي، صاحبُ جبّانة[٣] بِشر فقال: ما معك من كتاب الله؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم. فضحِكَ القوم منه ولم يُعطِه شيئاً، فقال عمرو في ذلك:

إذا قُتِلنـــا ولا يبكـــي لنـــا أحـــدٌ ... قـــالـــت قـــريـــشٌ ألاَ تلـــك المقـــاديـــرُ

نُعطَـــى الســـوِيّـــةَ مـــن طَعـــنٍ لـــه نفَـــذٌ ... ولا ســـوِيّـــةَ إذ تُعطَـــى الـــدنـــانيـــر[٤]

وقال بشر بن ربيعة:

أنخـــتُ ببـــاب القـــادسيّـــةِ نـــاقتـــي ... وسعـــدُ بـــن وقّـــاصٍ علـــيَّ أميـــرُ

وسعـــدٌ أميـــر شـــرُّه دونَ خيـــره ... وخيـــرُ أميـــرٍ بـــالعـــراق جـــريـــر

وعنـــد أميـــر المـــؤمنيـــن نـــوافـــلٌ ... وعنـــد المثنّـــى فِضّـــة وحـــريـــر

تـــذكَّـــرْ هـــداكَ الله وَقْـــعَ سيـــوفِنـــا ... ببـــاب قُـــدَيـــس والمكَـــرُّ عسيـــر[٥]

عشيـــةَ ودَّ القـــومُ لـــو أنّ بعضَهـــم ... يُعـــار جَنـــاحَـــيْ طـــائـــرٍ فيَطيـــر

إذا مـــا فـــرغنـــا مـــن قِـــراعِ كتيبـــةٍ ... دَلَفنـــا لأخـــرى كـــالجبـــال تسيـــر[٦]

تـــرى القـــومَ فيهـــا واجميـــن كـــأنّهـــم ... جمـــالٌ بـــأحمـــالٍ لهـــنَّ زفيـــر[٧]

إجازة عمر لهما على بلائهما في الحرب

٤١/١٤ / فكتب سعدٌ إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردَّا عليه، وبالقصيدتين، فكتبَ أنْ أعطِهما على بلائهما. فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَي درهم.

---

(١) رقاباً، كذا وردت في معظم «الأصول»، ولعلها ضرب من حلى الرقاب. وبدلها في ها: «وذوائب».

(٢) مال دثر: كثير.

(٣) أي الذي تنسب إليه جبانة بشر. وفي «معجم البلدان»: «وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها أهل البصرة المقبرة».

(٤) السوية: العدل.

(٥) قديس: موضع بناحية القادسية. وفي «معجم البلدان»: «والمكر ضرير».

(٦) دلفنا: تقدمنا.

(٧) الوجوم: السكوت على غيظ. س: «فيها أجمعين».

[١٥/٢٤٤]

/ كتاب عمر إلى سلمان بن ربيعة في شأن عمرو

قال: وحدّثني أبو حفص السلمي قال: كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلي[١]: إنّ في جندك عَمرو بن معد يكرب، وطلحةَ بن خُويلد الأسديّ، فإذا حضر الناسُ فأدنِهما وشاوِرْهما وابعثْهما في الطّلائع، وإذا وضعت الحربُ أوزارها فضعْهما حيثُ وضَعا أنفسَهما. يعني بذلك ارتدادهما، وكان عمرٌو ارتدّ وطليحةُ تنبأ.

بين سلمان بن ربيعة وعمرو

قال: وحدّثنا أبو حفص السلمي قال: عرض سَلمان[١] بن ربيعة جُندَه بأرمينية، فجعلَ لا يقبل إلاّ عتيقاً، فمر به عمرو بن معد يكرب بفرسٍ غليظ، فقال سلمان: هذا هَجين. فقال عمرو: والهجينُ يعرف الهجين! فبلغ عمرَ رضي الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه: «أمّا بعد فإنك القائلُ لأميرك ما قلتَ، وإنّه بلغني أنّ عندك سيفاً تسمّيه الصمصامة، وعندي سيفٌ أسميه مصمّماً[٢]، وأقسم لئنْ وضعتُه بين أذنيك لا أُقلع حتّى يبلغ قِحفَك[٣]». وكتب إلى سَلمانَ يلُومه في حلمه عنه.

تقدير عمر بن الخطاب له

قال: وزعموا أنّ عَمراً شهِد فتح اليرموك، وفَتْحَ القادسية، وفتح نهاوند مع النُّعمان بن مقرّن المزني، وكتب عُمر إلى النعمان: إنّ في جندك رجُلين: عمرو بن معد يكرب، وطُليحة بن خويلد الأسدي من بني قُعَين، فأحضِرْهما الحربَ وشاوِرْهما في الأمر، ولا تولّهما عملاً. والسلام.

[١٥/٢٤٥]

/ صوت

خليليّ هُبّا طالما قد رقدتُما ... أجِدَّكُما لا تَقضِيان كَراكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي ... يردُّ على ذي لَوعةٍ إن بكاكما[٤]

ويروي: «ذي عولة».

الشعر لقُس بن ساعدةَ الإيادي، فيما أخبرنا به محمد بن العباسّ اليزيديّ في خبرٍ أنا ذاكرُه هاهنا.

وذكر يعقوبُ بن السكّيت أنّه لعيسى بن قُدامة الأسَدي[٥].

وذكر العتبي أنّه لرجلٍ من بني عامر بن صعصعة، يقال له الحسن بن الحارث. والغناء لهاشم بن سليمان، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو.

---

(١) سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي، وهو سلمان الخيل، يقال إن له صحبة، شهد فتوح الشام ثم سكن العراق وولاه عمر قضاء الكوفة، وهو أول قاض استقضى بها، ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان، فقتل ببلنجر سنة ٢٥. «تهذيب التهذيب». وفيما عدا ط، ها، مط، مب: «سليمان» في كل موضع من هذا الخبر وتاليه، والصواب ما أثبت من ط.

(٢) س: «اسمه مصمم».

(٣) القحف، بالكسر: العظم فوق الدماغ.

(٤) ما عدا ط، ها، مط، مب: «على ذي عولة». وبعده: «ويروى: ذي لوعة».

(٥) الكلام بعده ساقط من ط إلى «قال: بينا أنا» في ص ٢٤٧.

[٢٤٦/١٥]

ذكر خبر قُسّ بن ساعدة ونسبه وقصته في هذا الشعر

نسبه

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو ـ وقيل مكان عمرو شِمْر ـ بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن النَّمر بن واثلة بن الطَّمَثان بن زيد مناة[١] بن يقدم[٢] بن أفصَى بن دُعميّ بن إياد. خطيبُ العرب وشاعرها، وحليمها وحكيمها في عصره.

هو أول من خطب على شرف، وقال أما بعد

يقال: إنه أولُ مَن علا على شَرَفٍ وخطب عليه. وأوّل من قال في كلامه: أمّا بعد، وأول من اتّكأ عند خطبته على سَيفٍ أو عصا.

أدركه الرسول قبل النبوة

وأدركه رسولُ الله ﷺ قبل النبوة، ورآه بعكاظ فكان يأثُر عنه كلاماً سمِعه منه، وسئل عنه فقال: «يُحشر أُمّةً واحدَة».

وقد سمعت خبرَه من جهاتٍ عِدّة، إلاّ أنّه لم يحضُرني وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً، فهو من أتمها.

وفد إياد وما قيل في قس بن ساعدة

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال: حدّثني عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائي قال: حدّثني عبد الله بن محمد قال: حدّثني / الحسن بن عبد الله قال: حدّثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

لمّا قدِم وفدُ إيادٍ على النبي ﷺ قال: ما فعَلَ قُسّ بن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول الله. قال: «كأنّي أنظرُ إليه بسوقِ عُكاظَ على جملٍ له أورق[٣] وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ما أجِدُني أحفظه». فقال رجلٌ من القوم: أنا أحفظُه يا رسولَ الله قال: كيف سمعتَه يقول؟ قال سمعتُه يقول:

(١) جـ، مط، مب: «عوذ مناة» ها «عبد مناة».
(٢) ضبط في أ بضم الدال.
(٣) الأورق: ما لونه الورقة، وهي بياض إلى سواد.

/ خطبتــه [١٥/٢٤٧

أيُّها الناس اسمَعُوا وعُوا، من عاشَ مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت. ليلٌ داج، وسماءٌ ذاتُ أبراج، بحارٌ تزخَر، ونجومٌ تزهر[١]، وضوءٌ وظَلام، وبِرٌّ وآثام، ومَطعَمٌ ومشرَب، وملبَس ومركب. مالي أرى الناسَ يذهبونَ ولا يرجعون، أرَضُوا بالمُقام فأقاموا، أم تُرِكوا فناموا. وإلٰهِ قُسٍّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دينٌ أفضلُ من دينٍ قد أظلَّكم زمانُه، وأدرككم أوانه، فطُوبَى لمن أدركَه فاتَّبعه، وويلٌ لمن خالفه. ثم أنشأ يقول:

فــي الــذَّاهبيـــن الأوَّليـ ... ــنَ مــن القُـرون لنـا بصـائـرْ

لمَّــا رأيـــتُ مـــوارداً ... للمـوت ليـس لهـا مَصـادر

ورأيـــتُ قـــومـــي نحـوهـــا ... يَمضِــي الأصــاغـرُ والأكــابـر

أيقنـــتُ أنِّــي لا مَحـــا ... لـةَ حيثُ صـار القـومُ صـائـر

فقال النبيُّ ﷺ: «يرحم الله قُسًّا، إني لأرجو أن يُبعَثَ يوم القيامة أمَّةً وحده»[٢].

قصة شعر منسوب إلى قس

فقال رجلٌ يا رسول الله: لقد رأيتُ من قسٍّ عجباً. قال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبلٍ[٣] يقال له سِمعان[٤] في يومٍ شديد الحرّ، إذْ أنا بقُسِّ بن ساعدةَ تحت ظلِّ شجرةٍ عند عينِ ماء، وعنده سباعٌ، كلما زأر سَبعٌ منها على صاحبه ضربَه بيده وقال: كُفَّ حتى يشربَ الذي وَرَد قبلَك. قال: ففرِقت[٥]، فقال: لا تخَف. / وإذا أنا بقبرين [١٥/٢٤٨ بينهما مسجدٌ، فقلت له: ما هذان القبران؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا، فاتَّخذتُ بينها مسجداً أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتّى ألحقَ بهما. ثم ذكر أيامَهما فبكى، ثم أنشأ يقول:

خليلـي هبَّـا طـالمـا قـد رقـدتمـا ... أجِـدَّكمـا لا تَقضِيـان كـراكمـا

ألـم تعلمـا أنِّـي بسِمعـانَ مفـرَدٌ ... ومـا لـيَ فيـه مـن حبيبٍ سِـواكمـا

أقيـمُ علـى قبـرَيْكمـا لستُ بـارحـاً ... طَـوَالَ الليـالـي أو يجيبَ صَـداكمـا

كـأنكمـا والمـوتُ أقـربُ غـايـةٍ ... بجسمـيَ فـي قبـرَيكمـا قـد أتـاكمـا

فلـو جُعِلـتْ نفـسٌ لنفـسٍ وقـايـة ... لجُـدتُ بنفسـي أن تكـون فِـداكمـا

فقال النبي ﷺ: «يرحم الله قُسًّا».

الشعر السابق لعيسى بن قدامة

وأما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أنّ الشعر لعيسى بن قُدامة الأسدي فأخبرني بها عليّ بن سليمان الأخفش، عن السكوني قال: قال يعقوب بن السكيت:

---

(١) تزهر: تتلألأ وتضيء.

(٢) الأمة: الرجل المنفرد بدين، كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾. وجاء مثله الحديث أنه قال: «يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل أمة على حدة». وذلك أنه كان تبرأ من أديان المشركين وآمن بالله قبل مبعث الرسول ﷺ.

(٣) إلى هنا ينتهي سقط ط الذي بدأ في ص ٢٤٥.

(٤) سمعان بالكسر: جبل في ديار بني تميم.

(٥) فرقت، بكسر الراء من الفرق، وهو الخوف والفزع.

قال عيسى بن قُدامة الأسديّ، وكان قدِم قاسان[١]، وكان له نديمان فماتا، وكان يجيءُ فيجلس عند القبرين، وهما براوَند[٢]، في موضعٍ يقال له خُزَاق، فيشرب ويصبُّ على القبرين حتّى يقضِيَ وطرَه، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب:

خليليَّ هُبَّا طالما قد رقدتُما … أجِدَّكما لا تقضيان كراكما

٤٣/١٤ / ألم تعلما ما لي براوَند هذهِ … ولا بخُزاقٍ من نديمٍ سواكما

مقيمٌ على قبرَيكما لستُ بارحاً … طَوالَ الليالي أو يجيبَ صداكما

جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما … كأنَّ الذي يَسقي العُقارَ سَقاكما

[٢٤٩/١٥] / تحمَّل مَنْ يَهوى القُفُولَ وغادَروا … أخاً لكما أشجاه ما قد شجاكما[٣]

فأيُّ أخٍ يجفو أخاً بعد موتِه … فلستُ الذي مِن بعد موتٍ جفاكما

أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ … فإلّا تذوقا أُروِ منها ثَراكما[٤]

أُناديكما كيما تجيبا وتَنطقا … وليس مجاباً صوتُه مَن دعاكما

أمِن طولِ نومٍ لا تُجيبان داعياً … خليليَّ ما هذا الذي قد دهاكما

قضَيتُ بأنّي لا محالةَ هالكٌ … وأنّي سيعروني الذي قد عراكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي … يردُّ على ذي عَولةٍ إنْ بكاكما

نسبته إلى رجل من أهل الكوفة

وأخبرني ابن عمّارٍ أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد بن يحيى البَلاذُري قال: حدّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العجليّ قال:

بلغني أنَّ ثلاثةَ نفرٍ من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجَّهه الحجاج إلى الدَّيلم، وكانوا يتنادمون لا يُخالطون غيرَهم، فإنَّهم لعلَى ذلك إذْ ماتَ أحدُهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغَه الكأسُ هَراقاها على قبره وبكيا. ثم إنَّ الثانيَ مات فدفنه الباقي إلى جَنْب صاحبه، وكان يجلسُ عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذي يليه ثم على الآخر ويبكي، وقال فيهما:

نديمي هُبّا طالما قد رقدتما

وذكر بعضَ الأبيات التي تقدم ذكرها. وقال مكان «براوند هذه»: «بقزوين»، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمار: فقبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء.

نسبته إلى الحزين بن الحارث

وذكر العُتبي عن أبيه أن الشِّعر للحزين بن الحارث، أحد بني عامر بن صَعصعة، وكان أحدُ نديميه من بني

---

(١) قاسان، وأهلها يقولون كاسان: مدينة كانت بما وراء النهر في حدود بلاد الترك، ياقوت.

(٢) راوند، بفتح الواو: بليدة قرب قاسان وأصبهان.

(٣) القفول: العودة. س: «العقول»، محرف.

(٤) ط: «صداكما»، وكتب فوقها «ثراكما».

أسد والآخر من بني حَنيفة، فلما مات أحدُهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول.

/ لا تصـرِدْ هـامـةً مـن كـأسها ... واسقِـهِ الخمـرَ وإن كـان قُبِـر[1] [٢٥٠/١٥]

كـان حُـرًّا فهـوى فيمـن هـوى ... كـلُّ عـودٍ ذي شُعـوب ينكسـر

قال: ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد:

خليلـيَّ هبـا طالمـا قـد رقدتمـا ... .

الأبيات.

قال: ثم قالت له كاهنةٌ: إنَّك لا تموت حتّى تنهشَك حيةٌ في شجرةٍ بوادي كذا وكذا. فورد ذلك الواديَ في سفرٍ له وسأل عنه فعرَفَه، وقد كان خَطَّ في أصل شجرة[2]، ومدّ[3] رجلَه عليها، فنهشته حية فأنشأ يقول:

خليلـيَّ هـذا حيـثُ رمسِـي فعرِّجـا ... علـيَّ فـإنِّـي نـازلٌ فمعـرِّسُ

لبِسـت رداءَ العيـش أحْـوَى أُجُـره الـ ... ـعَشِيّـاتِ حتّـى لـم يكـنْ فيـه مَلبـس[4]

تـركـتُ خِبـائـي حيـثُ أرسَـى عمـادَه ... علـيَّ، وهـذا مَـرمَسِـي حيـث أرمَـس

أحَتْفِـي الـذي لا بـدَّ أنَّـك قـاتلـي ... هَلـمَّ فمـا فـي غـابـر العيـش مُنْفَـس[5]

أبعـدَ نـديمـيَّ اللـذَيـنِ بعـاقـلٍ ... بكيتُهمـا حـولاً مَـدَى أتـوجّـس[6]

(١) التصريد: قطع الشرب، أو تقليله. وعنى بالهامة هنا الميت. الضمير في «كأسها» للهامة، أو للخمر. ما عدا ط، أ، ها، مط، مب: «لا يصرد».

(٢) أي خط له قبراً في هذا الموضع.

(٣) هذه الكلمة من ط، ها، مب.

(٤) أحوى، أي أسود الشعر حين الشباب. ما عدا ط، أ، ها، مب: «عشيات».

(٥) الغابر، هنا: الباقي. منفس، أي متسع ومهلة، يقال زدني نفساً في أجلي، أي طولاً فيه، ولك في هذا الأمر نفسة، بالضم، أي مهلة.

(٦) ما عدا ط، ها، مب: «بكيتكما».

[١٥/٢٥١]
٤٤
١٤

/ ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

اسمه وكنيته ولقبه

هو هاشم بن سليمان مولى بني أميّة، ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادي[١] يسمِّيه أبا الغَرِيض. وهو حَسَن الصنعة عزيزها، وفيه يقول الشاعر:

يا وَحشتي بعدك يا هاشمُ ... غِبتَ فشجوى بك لي دائمُ
اللهوُ واللذّةُ يا هاشمُ ... ما لم تكن حاضرَه مأتَمُ[٢]

غناؤه لموسى الهادي وإجازته على ذلك

أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه قال: كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحُه، ويلقِّبه أبا الغريض.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال: بلغني أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغنّاه:

صوت

لو يُرسِل الأزْلُ الظِّبا ... ء تَرودُ ليس لهنَّ قائد[٣]
لتيَمَّمْتك تدُلُّها ... رَيّاكَ للسُّبُل الموارد
وإذا الرياحُ تنكَّرتْ ... نُكْباً هواجرها صَوَارِدُ[٤]
فالناس سائلةٌ إليـ ... ـكَ فصادرا تُغْني ووارد[٥]

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لهاشم بن سليمان، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر.

[١٥/٢٥٢] / فطرب موسى، وكان بين يديه كانونٌ كبير ضخمٌ عليه فحم، فقال له: سَلْني ما شئت. قال: تملأ لي هذا الكانونَ. فأمرَ له بذلك، وفرِّغ الكانونُ فوسعَ ستَّ بُدور[٦]، فدفعها إليه.

---

(١) ما عدا ط، ها، مب: «مولى الهادي».
(٢) المأتم: مجتمع النساء للحزن والنياحة. ما عدا ط، أ، ها: «مائم». والمأثم: الإثم والذنب.
(٣) الأزل، بالفتح: الشدة والضيق.
(٤) النكب: جمع نكباء، وهي كل ريح بين ريحين، وكلها لا خير فيه.
(٥) سائلة من السيل، يعني كثرة الوارد.
(٦) البدور: جمع بدر، والبدر والبدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، عن أبي تَوبة، عن محمد بن جَبْر، عن هاشم بن سليمان قال:

أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعةٌ منّا، فقال: يا هاشم غنني:

أبَهَارُ قد هيَّجتِ لي أوجاعا

فإنْ أصبتَ مُرادي فيه فلك حاجةٌ مقضيّة. فغنيته فقال: قد أصبتَ وأحسنتَ سَلْ حاجَتك. فقال: يا أمير المؤمنين تأمرُ أن يُملأ هذا الكانون دراهمَ. قال: وبين يديه كانونٌ عظيم، فأمَر به فمليء فوسع ثلاثين ألف درهم، فلما حَصَّلتها قال: يا ناقصَ الهمّة، والله لو سألتني أن أملأه دنانيرَ لفعلت. فقلت: أقِلْني يا أمير المؤمنين. فقال: لا سبيل إلى ذلك فلم يُسعِدْك الجَدُّ به.

نسبة هذا الصوت

أبهارُ قد هيَّجتِ لي أوجاعا ... وتركتِني عبداً لكم مِطواعا
بحديثِكِ الحسنِ الذي لو كُلِّمتْ ... وَحشُ الفلاةِ به لَجِئنَ سِراعا
وإذا مررتُ على البَهار منضَّدا ... في السُّوق هَيَّجَ لي إليكِ نزاعا[1]
واللّهِ لو عَلِم البَهارُ بأنَّها ... أضحَتْ سميَّتَه لصار ذِراعا

الغناء لهاشم، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو، وفيه ثقيل أول بالبنصر، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى يحيى المكي، وإلى إسحاق.

/ مجلس غناء (١٥/ ٢٥٣)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس / قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني بعض أصحابنا ٤٥/١٤ قال:

كنّا في منزل محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان عالماً بالغناء والفِقه جميعاً، وقد كان يحيى بن أكثم وصَفَه للمأمون بالفقه، ووصَفَه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء فقال المأمون: ما أعجبَ ما اجتمع فيه: العلم بالفقه، والغناء! فكتبتُ إلى إسحاقَ بن إبراهيم الموصلي أن يتحوّلَ إلينا وكان في جوارِنا، وعندنا يومئذٍ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، وذُكاءُ وصغيرٌ غلامَا أحمد بن يوسف الكاتب، فكتب إلينا إسحاق: جُعِلتُ فداءكم، قد أخذت دواءً، فإذا خرجتُ منه حَملتُ قِدري وصرتُ إليكم. وكتب في أسفل كتابِه:

أنا شماطيط الذي حُدِّثتَ به ... متى أنبَّه للغَداءِ أنتبهْ
ثم أدور حولَه وأحتبِهْ ... حتى يقال شِرهٌ ولستُ بِهْ

ثم جاءنا ومعه بُديح غلامه، فتغدَّينا وشربنا، فغنّى ذكاء غلام أحمد بن يوسف:

أبهارُ قد هيّجتِ لي أوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيدَه فأعاده مِراراً، ثم قال له: ممَّن أخذت هذا؟ فقال: من مُعاذ بن الطَّبيب. قال:

---

(١) النزاع: الشوق. نازع إلى أهله: اشتاق.

والصنعة فيه له. فقال له إسحاق: أحبُّ أن تُلقيَه على بُديح. ففعل. فلما صلَّيت العِشاءَ انصرفَ ذكاء، وقعد أبو جعفرٍ يشرب ـ يعني مولاه[1] ـ وعنده قومٌ، وتخلّف صَغِير فغنّانا، فقال له إسحاق: أنت والله يا غلامُ ماخوريٌّ. وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النَّهار فغنانا:

دَعُـــونـــي أغُـــضُّ إذا مـــا بـــدت ... وأملِـــكُ طـــرفـــي فـــلا أنظـــرُ

[١٥/٢٥٤] / فقال إسحاق لمحمد بن الحسن: آجَرك الله في ابنِ عمِّك! أي قد سَكِرَ فأقدَمَ على الغناء بحضرتي.

نسبة هذا الصوت

صوت

هَبُـــونـــي أغـــضُّ إذا مـــا بـــدَتْ ... وأملِـــك طَـــرفِـــي فـــلا أنظُـــر
فكيـــف احتيـــالـــي إذا مـــا الـــدمـــوعُ ... نَطقـــنَ فبُحـــن بمـــا أضمِـــرُ
أيـــا مَـــن ســـروري بـــه شِقـــوةٌ ... ومَـــن صفـــوُ عيشـــي بـــه أكـــدر
أمنِّـــي تخـــاف انتشـــارَ الحـــديـــثِ ... وحظِّـــيَ فـــي سَتـــره أوفَـــرُ
ولـــو لـــم أصُنـــه لِبُقْيَـــا عليـــك ... نظـــرتُ لنفســـي كمـــا تنظـــر

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء للزبير بن دُحمان، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأول. وفيها لعمرو بن بانة ماخوريّ. وفي:

أيا مَن سُروري به شِقوةٌ

لسُلَيم هزَج. وفيه ثاني ثقيل ينسَب إلى حُسين بن محرز، وإلى عباسِ مِنقار.

صوت

هـــذا أوانُ الشـــدِّ فـــاشتـــدِّي زِيَـــمْ ... قـــد لَفَّهـــا الليـــلُ بســـوّاقٍ حُطَـــمْ
ليـــسَ بـــراعـــي إبـــلٍ ولا غَنـــمْ[2] ... ولا بجَـــزّارٍ علـــى ظهـــرِ وَضَـــم

٤٦/١٤ عروضه من الرجز. الشعر لرُشَيد بن رُمَيض العَنَزي يقوله في الحُطَم، وهو شُريح بن / ضُبيعة، وأمّه هندُ بنت حسّانَ بن عمرو بن مَرثد، والغناء ليزيد حوراء، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنّه لأحمد المكي.

[١٥/٢٥٥] / الحطم ونجاته بقومه في المفازة

قال أبو عبيدة: كان شُريح بن ضُبيعة غزا اليمنَ في جموعٍ جَمَعها من ربيعة، فغنمَ وسبَى بعد حربٍ كانت بينه وبين كِندة، أسر فيها فُرعَان[3] بن مهديّ بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضلَّ بهم

(١) أي مولى ذكاء، وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، كاتب المأمون. توفي سنة ٢١٣، «تاريخ بغداد» ٢٦٩٢، ما عدا ط، ها: «يغني مولاه»، تحريف.

(٢) جـ، أ: «لست براعي».

(٣) فرعان، بضم الفاء، والعين مهملة. وفي ط، حـ: «فرغان» بالغين المعجمة.

دليلُهم ثمّ هرب منهم وماتَ فُرعان في أيديهم عطَشا، وهلكَ منهم ناسٌ كثير بالعطش. وجعل الحُطُم يسوق بأصحابه سَوقاً عنيفاً[١]. حتّى نَجَوْا ووردُوا الماء. فقال فيه رُشَيد:

هـذا أوانُ الشـدِّ فـاشتـدِّي زِيَـمْ ... ليـسَ بـراعـي إبـلٍ ولا غنـم
ولا بجـزّار علـى ظهـرِ وضَـمْ ... نـامَ الحـداةُ وابـن هنـدٍ لـم ينـم
بـاتـتْ يقاسِيهـا غـلامٌ كـالـزَّلَـم ... خَـدلـجٌ السَّـاقيـن خَفّـاقُ القـدمْ

قد لفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ

فلقِّب يومئذٍ «الحُطَم» لقول رُشيدٍ هذا فيه.

وأدركَ الحطمُ الإسلامَ فأسلم، ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ.

إسلام الجارود بـن المعلى

حدّثنا محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا عبد الله بن سعد[٢] الزهري قال أخبرنا عمي يعقوب قال: أخبرني سيف قال:

خرج العلاء بن الحضرميّ نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أنَّ رسول الله ﷺ لما ماتَ ارتدّوا[٣] ففاءت عبدُ القيس منهم، وأمّا بكر فتمَّت على رِدّتها. وكان الذي ثَنَى عبدَ القيس الجارودَ بن المعلَّى.

/ فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبي الحسن قال: [٢٥٦/١٥]

قدم الجارود بن المعلَّى على النبي ﷺ مُرتاداً، وقال: أسلِمْ يا جارود. فقال: إنَّ لي ديناً. فقال له النبي ﷺ: إنّ دينك يا جارود ليسَ بشيء، وليسَ بدين. فقال له الجارود: فإن أنا أسلمْتُ فما كان مِن تبعةٍ في الإسلام فعليك؟ قال: نعم][٤]. فأسلم وأقام بالمدينة حتَّى فَقُه.

خبر المنذر الغرور

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد، قال: حدّثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال:

اجتمعت ربيعةُ بالبحرين، فقالوا: رُدُّوا الملكَ في آل المنذر، فملَّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمَّى الغَرُور، ثم أسلم بعد ذلك وقال: لستُ بالغَرور ولكنِّي المغرور.

ارتداد الحطم وتأليبه للقبائل

حدّثنا محمد بن جرير قال: حدّثنا عبد الله بن سعد[٥] قال: أخبرني عمي قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَير بن فلان العبدي قال:

---

(١) بعده سقط في ط إلى ما قبل (ذكر علي بن أديم) بسطر واحد.

(٢) في الطبري: (٣: ٢٥٤): «عبيد الله بن سعيد». وفي «الأصول»: «عبيد الله بن سعد» وأثبت ما في «تهذيب التهذيب».

(٣) نص الطبري: «أن النبي ﷺ والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبي ﷺ بقليل وارتد بعده أهل البحرين».

(٤) التكملة من «تاريخ الطبري» (٣: ٢٥٤) في حوادث سنة ١١.

(٥) في «الأصول»: «عبيد الله بن سعد». وانظر ما سبق في ص ٢٥٥.

لما ماتَ رسول الله ﷺ خرج الحُطَم بن ضُبَيعة، في بني قيس[١] بن ثعلبة ومن اتّبعه من بكر بن وائلٍ على الردّة، ومَن تأشّبَ [إليه][٢] من غير المرتدّين ممن لم يَزلْ كافراً، حتّى نزل القطيف وهَجَر، واستغوى [الخَطَّ و][٢] من كان بهما من الزُّطِّ والسيابجة، وبعثَ بعثاً إلى دارينَ فأقا [موا][٢] له ليجعلَ عبد القَيس بينهم وبينه، وكانوا مخالِفينَ له يُمدّون [المنذر و][٢] المسلمين، وأرسل إلى الغَرور بن سويد / بن المنذر بن أخي النعمان بن المنذر، [١٥/٢٥٧] فقال له: اثبت فإني إنْ ظفرتُ ملّكتك البحرين، حتّى تكون كالنُّعمان بالحِيرة. وبعث إلى رواثا وقيل إلى جُؤاثا، فحاصرهم وألح عليهم، فاشتدّ الحِصار على المحصورين من المسلمين، وفيهم رجلٌ من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف، أحد بني أبي بكر بن كِلاب، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتّى كادوا يَهلِكون، فقال عبد الله بن حَذَف:

شكوى المحصورين من المسلمين إلى أبي بكر

ألاَ أبلغْ أبا بكرٍ رسولاً ... وفتيانَ المدينةِ أجمعينا
فهلْ لكُم إلى قومٍ كرامٍ ... قُعودٍ في جُؤاثا مُحصَرينا
/ كأنَّ دماءهمْ في كلِّ فجٍ ... شُعاعُ الشمسِ يُعشي الناظرينا [٤٧/١٤]
توكّلْنا على الرحمنِ إنا ... وجَدنا النَّصرَ للمتوكلينا

قتال أهل الردة بالبحرين

حدّثني محمد بن جرير قال كتب إلى السريّ بن يحيى عن شُعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن الصقعب[٣] بن عطية بن بلال، عن سهم بن مِنجاب، عن [منجاب][٤] ابن راشد قال:

بعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرميّ على قِتال أهل الردّة بالبحرين، فتلاحَقَ به مَن لم يرتدّ من المسلمين[٥]، وسلك بنا الدَّهناء حتّى إذا كنا في بُحبوحتها أراد الله عزّ وجل أن يُرينَا آية، فنزل العلاءُ وأمر الناسَ بالنزول، فنفرت الإبلُ في جوف الليل، فما بقي بعيرٌ ولا زادٌ ولا مَزاد[٦] ولا بِناءٌ ـ يعني الخيم قبل أن يحطُّوا ـ فما علمت جمعاً هجم عليه من الغمّ ما هَجَم علينا، وأوصى بعضُنا إلى بعض، ونادى منادي العلاء: اجتمِعُوا. فاجتمعنا إليه فقال: ما هذا الذي ظَهَر فيكم وغلبَ عليكم؟ فقال الناس: / وكيفَ نلام ونحنُ إن بَلَغْنا غداً لم تحمَ شمسُه حتّى نصيرَ [١٥/٢٥٨] حديثاً. فقال: أيُّها الناس، لا تُراعوا، ألستم مسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصارَ الله؟ قالوا: بلى. قال: فأبشروا، فوالله لا يخذُل الله تبارك وتعالى مَن كان في مثلِ حالكم. ونادى المنادي بصلاة الصبح حينَ طلع الفجر، فصلّى بنا ومنا المتيِّمم ومنا من لم يزلْ على طهوره، فلما قضى صلاتَه جثا لركبتيه، وجثا الناس معه، فنصِبَ[٧] في

---

(١) في الطبري (٣: ٢٥٥): «أخو بني قيس».
(٢) التكملة من الطبري. وتأشبوا: تجمعوا من هاهنا وهنا.
(٣) في «الطبري»: «الصعب».
(٤) التكملة من أ، مب والطبري.
(٥) اختزل أبو الفرج قدراً كبيراً من نص الطبري في أول هذا الخبر.
(٦) كذا في الطبري. وفي الأصول ما عدا مب، ها: «مراد» بالراء المهملة.
(٧) نصب ينصب في الدعاء، إذا تعب فيه واجتهد. وبه فسر قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ أي اتعب في الدعاء.

الدعاء ونَصِبوا فلمع لهم سرابٌ فأقبلَ على الدعاء، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد: ماء. فقام وقام الناسُ فمشينا حتّى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا، فما تعالى النهارُ حتّى أقبلت الإبل من كلّ وجه وأناخت إلينا، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظهره فأخذَه، فما فقدنا سِلكا[١]، فأرويناها العَلَلَ بعد النَّهَل وتروَّحنا. وكان أبو هريرةَ رفيقي، فلما غِبْنا عن ذلك المكانِ قال لي: كيف عِلمُك بموضعِ ذلك الماء؟ فقلت: أنا أهدَى الناس[٢] بهذه البلاد. قال: فُكّر معي حتى تُقيمَني عليه. فكررتُ به فأنخت على ذلك المكان بعينه، فإذا هو لا غديرَ به، ولا أثرَ للماء، فقلت له: والله لولا أنّي لا أرى الغديرَ لأخبرتك أنَّ هذا هو المكان، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك[٣]. فنظر أبو هريرة فإذا إداوةٌ مملوءَة فقال: يا سهمُ، هذا والله المكانُ ولهذا رجعتُ ورجعت بك. وملأتُ إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادي فقلت: إن كان مَنًّا من المن وكانت آيةً عرفتها، [وإن كان غِياثاً عرفته. فإذا مَنٌّ من المنّ][٤] وحمدت الله جلّ وعز. ثمّ سرنا حتّى نزلنا هجر فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورجلٍ آخر: أن انضمّا في عبد القيس حتّى تنزَلا على الحُطَم مما يليكما. وخرج هو فيمن معه وفيمن / قدِم عليه[٥] حتّى ينزل مما يلي هجر. وتجمّعَ المسلمون كلُّهم [١٥/٢٥٩] إلى العلاء بن الحضرميّ، ثم خندقَ المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويَرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً. فبينا الناسُ ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاءً شديدة، فكأنّها ضوضاءُ هزيمة فقال العلاء: مَن يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حَذَف: أنا آتيكم بخبر القوم ـ وكانت أمُّه عِجْلية ـ فخرج حتّى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له: مَن أنت؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه! فجاء أبجر بن بُجَير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال لا أُضيعنَّ الليلةَ بين اللّهازم، علامَ / أُقتَل وحولي عساكرُ من عجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس، $\frac{48}{14}$ أيتلاعبُ بـي الحطَم ونُزّاعُ القبائل وأنتم شهود! فتخلّصه وقال: والله إنّي لأظنك بئسَ ابن الأخت لأخوالك الليلةَ. قال: دَعْني من هذا وأطعمني، فقد مِتُّ جوعاً. فقرب إليه طعاماً فأكل. ثم قال: زوّدني واحملني وجوِّزني انطلق إلى طِيّتي. ويقول ذلك لرجلٍ قد غلبَ عليه الشراب، ففعل وحمَله على بعير وزوّده وجوّزه. وخرج عبدُ الله حتى دخل عسكر المسلمين، فأخبرهم أنَّ القوم سُكارى، فخرج القومُ عليهم حتى اقتحموا عَسكَرهم فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا، واقتحموا الخندقَ هُرّابا، فمتَردٍّ، وناجٍ، ودَهِشٌ، ومقتولٌ، ومأسور. واستولى المسلمون على ما في العسكر، ولم يُفلت رجلٌ إلاّ بما عليه. فأمّا أبجر فأفلَت، وأمّا الحطم فإنه بَعِل ودُهِش وطار فؤاده[٦]، فقام إلى فرسِه والمسلمون خِلالهم يَجُوسونهم ليَركبه، فلما وضع رِجلَه في الركاب انقطع، فمر به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم، والحطم يستغيث ويقول: ألاَ رجلَ من بني قيس بن ثعلبة يَعقِلني؟ فرفع صوتَه فعرفه عفيفٌ فقال: أبو ضبيعة؟ / قال: نعم. قال: أعطني رجلَك أعقلك. فأعطاه رجلَه يعقُلها فنفحَها فأطنَّها من الفخذ[٧] [١٥/٢٦٠] وتركه، فقال: أجهِزْ عليّ. فقال: إنّي لأحبُّ أن لا تموتَ حتى أمِصَّك. وكان مع عفيف عِدّةٌ من ولدِ أبيه فأصيبوا

---

(١) السلك: جمع سلكة، وهو الخيط الذي يخاط به الثوب.

(٢) الطبري: «أنا من أهدى الناس».

(٣) الطبري: «ماءً ناقعاً قبل اليوم».

(٤) التكملة من «تاريخ الطبري».

(٥) في الأصول: «وفيمن قدر عليه». وأثبت ما في «الطبري».

(٦) بعل: دهش وفرق فلم يدر ما يصنع.

(٧) نفحه بالسيف: تناوله به. أطنها: قطعها.

ليلتذ، وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفه حتّى مرّ به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفه، فمالَ عليه فقتله[١]، فلما رأى فخذَه نادرة[٢] قال: واسوأتاه! لو عرفتُ الذي به لم أحرِّكْه. وخرج المسلمون، بعد ما أحرزُوا الخندق، على القوم يطلبونهم، فاتّبعوهم فلحق قيسُ بن عاصم أبجَر، وكان فرس أبجر أقوى من فرسِ قيس، فلما خشي أن يفوتَه طعنَه في العرقوب فقطَع العصبَ وسَلِم النَّسا. فقال عفيفُ بن المنذر في ذلك:

فـإن يـرقـأ العـرقـوبُ لا يـرقـأ النَّسـا ... ومـا كـلُّ مَـن تلقـى بـذلـك عـالـمُ

ألـم تـر أنّـا قـد فَلَلنـا حُمـاتَهـم ... بـأسـرةِ عمـرٍو والـرِّبـاب الأكـارمِ

وأسر عفيف بن المنذر، الغرورَ بن أخي النعمان بن المنذر، فكلّمته الرِّباب فيه وكان ابنَ أختهم[٣] وسألوه أن يُجيره، فجاء به إلى العلاء قال: إنّي أجرته. قال: ومن هو؟ قال: الغرور. قال العلاء: أنت غررتَ هؤلاء؟ قال: أيُّها الملك أنّي لست بالغَرور، ولكنّي المغرور. قال: أسلمْ. فأسلمَ وبقي بهجَر. وكان الغَرور اسمَه، ليس بلقب. وقتل العفيف أيضاً المنذرَ بن سويد[٤] أخا الغرور لأمّه، وكان له يومئذٍ بلاءٌ عظيم فأصبح العلاء يقسِّم الأنفال، ونفَّل رجالاً من أهل البلاء ثياباً، [فكان فيمن نَفَّل / عفيفُ بن المنذر، وقيسُ بن عاصم، وثُمامة بن أُثال. فأما ثُمامة فنفَّل ثياباً][٥] فيها خَميصةٌ ذات أعلام[٦]، وكان الحُطَم يُباهِي فيها. وباع الباقي، وهربَ الفَلّ إلى دارِينَ فركبوا إليها السُّفن، فجمعَهم الله عزّ وجل بها، وندبَ العلاءُ الناسَ إلى دارِينَ، وخطبهم فقال: إنّ الله عز وجل قد جمعَ لكم أحزابَ الشيطان، وشُذّاذ الحرب[٧] في هذا اليوم[٨]، وقد أراكم من آياته في البرّ لتعتبروا بها في البحر، فانهضُوا إلى عدوّكم ثم استعرِضوا البحرَ إليهم، فإنّ الله جلّ وعزّ قد جمعهم به. فقالوا: نفعلُ ولا نَهاب واللهِ بعدَ الدهناء هَولاً[٩] ما بقينا! فارتحلَ وارتحلوا حتى أتى ساحلَ البحر فاقتحموا على الخيل، هم والحَمولة والإبلُ والبغال، / الراكب والراجل[١٠]، ودعا ودعَوا، وكانَ [دعاؤه و][١١] دعاؤهم: يا أرحمَ الراحمين، يا كريمُ يا حليم، يا صمدُ يا حيُّ يا محيي الموتى، يا حيُّ يا قيوم، لا إله إلا أنتَ يا ربَّنا فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله، يمشُون على مثل رملةٍ مَيثاء فوقها ماءٌ يغمُر أخفافَ الإبل، وبين الساحل ودارينَ مسيرةُ يوم وليلةٍ لسُفُن البحر. ووصلَ المسلمون إليها فما تركوا من المشركين بها مُخبِراً[١٢]، وسبَوا الذَّراري، واستاقُوا الأموالَ، فبلغ من ذلك نَفَل الفارِس من

[٢٦١/١٥] ٤٩/١٤

(١) حـ: «فمات عليه» وأثبت ما في ها، مب وفي سائر النسخ: «فصلت عليه»، صوابهما من الطبري (٣ : ٢٥٨).

(٢) نادرة: ساقطة. في «الأصول»: «نادراً» والفخذ مؤنثة. وجاء على الصواب في الطبري.

(٣) الطبري: «وكان أبوه ابن أخت القوم».

(٤) وقتل، هي في أ: «وقيل» وفي سائر النسخ: «وكان»، صوابها من ها، مب والطبري. وكلمة «أيضاً» هي فيما عدا حـ، أ، ها، مب «بن». وهذه الكلمة ليست في الطبري.

(٥) التكملة من «تاريخ الطبري» (٣: ٢٥٩).

(٦) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٧) في الطبري: «وشرد الحرب».

(٨) في الطبري: «البحر».

(٩) في «الأصول»: «هؤلاء»، صوابه من «الطبري».

(١٠) في الطبري: «فاقتحموا على الصاهل والجامل والشاحج والناهق، الراكب والراجل».

(١١) التكملة من الطبري.

(١٢) مخبراً، أي أحداً يخبر بما كان. يريد أنهم استأصلوهم.

المسلمين ستةَ آلاف، والراجلِ ألفين. فلما فرغُوا رجَعوا عَودَهم على بَدئهم، وفي ذلك يقول عَفيف:

ألــــم تـــــر أنّ الله ذلَّــــل بحــــرَه وأنــزَل بــالكفَّــار إحــدى الجـلائــل

دعَــونــا الــذي شَــقَّ البحــارَ فجــاءنــا بــأعجــبَ مِــن شــقّ البحــار الأوائــل[1]

/ وأقفلَ العلاءُ الناسَ[2] إلاّ من أحبَّ المُقَام، فاختار ثُمامة بن أثال الذي نفّله العلاء خميصةَ الحُطَم حين نزل [١٥/٢٦٢] على ماءٍ لبني قيس بن ثعلبة، فلمّا رأوه عرَفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلاً فسألوه: أهو الذي قتل الحُطَم؟ قال: لا، ولودِدتُ أنّي قتلته. قال: فأنّى لك حُلّته؟ قال: نُفّلتها. قالوا: وهل يُنفَّل إلا القاتل. قال: إنها لم تكن عليه إنّما كانت في رَحلِه. قالوا: كذبت. فقتَلوه، وكان بهجرٍ راهبٌ فأسلم فقيل له: ما دعاكَ إلى الإسلام فقال: ثلاثة أشياءَ خشيتُ أن يمسخني الله بعدها إن أنا لم أفعلْ: فَيضٌ في الرمال، وتمهيدُ أثباج البحور، ودعاءٌ سمعته في عسكرهم في الهواء من السَّحر. قالوا: وما هو؟ قال: «اللهمَّ إنك أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرَك، والبديع ليس قبلَك شيء، والدائم غيرُ الغافل، والحيُّ الذي لا يموت، وخالقُ ما يُرى وما لا يُرى، وكلَّ يومٍ أنتَ في شأن، وعَلِمْتَ اللهم كلَّ شيء بغير تعليم»[3]. فعلمتُ أنَّ القوم لم يُعاوَنوا بالملائكة إلاّ وهم على أمرِ الله جلّ وعز

فلقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسمعون هذا من ذلك الهجريّ بعد.

صوت

يــا خليلــيَّ مــن مَــلامٍ دعــانِــي وألِمَّـــا الغـــداةَ بـــالأظعـــانِ

لا تَلــومــا فــي آل زينــبَ إنّ الــ ـقلــبَ رهــنٌ بــآلِ زينــبَ عــانِ[4]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، خفيف رمل بالبنصر. وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى، أخت قُدامة بن موسى الجمحيّ.

/ عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى [١٥/٢٦٣]

أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكار قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، قال: حدّثني قُدامة بن موسى قال:

خرجتُ بأختي زينبَ بنت موسى إلى العُمرة، فلما كنتُ بِسَرف[5] لقيني عمرُ بن أبي ربيعة على فرس فسلَّم عليّ، فقلت: إنّي أراك متوجِّهاً يا أبا الخطاب؟ قال: ذُكرت لي امرأةٌ من قومي بَرْزَة الجمال[6]، فأردت الحديث معها. قلت: أمَا علمتَ أنّها أختي؟ قال: لا والله. واستحيا وثنَى عنقَ فرسِه راجعاً إلى مكة.

(١) في الطبري: «من فلق».
(٢) أقفلهم: أرجعهم. والقفول: الرجوع.
(٣) في الطبري: «تعلم».
(٤) العاني: الأسير.
(٥) سرف: موضع على ستة اميال من مكة.
(٦) برزة الجمال: بارزة المحاسن.

أخبرني حرمي قال حدّثني الزبير: قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز[١] الزهري قال: نَسب[٢] ابن أبـي ربيعة بزينبَ بنت موسى الجمحيّ، أخت قُدامة بن موسى، فقال:

يا خليليَّ من ملامٍ دَعاني

٥٠/١٤ / وذكر البيتين وبعدهما:

لـــم تَـــدَعْ للنِّســـاء عنـــدي نصيبـــاً غيـــرَ مـــا قلـــتُ مـــازحـــاً بلســـانـــي

فقال له ابن أبـي عتيق: أمّا قلبك فمغيَّب عنّا، وأمّا لسانُك فشاهدٌ عليك.

أخبرني الحرمي قال: حدّثني الزبير قال: قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري: لمّا نسَب عمر بن أبـي ربيعة بزينب قال:

لـــم تـــدَعْ للنِّســـاء عنـــدي نِصيبـــاً غيـــرَ مـــا قلـــتُ مـــازحـــاً بلســـانـــي

[١٥/٢٦٤] / قال له ابن أبـي عتيق: رضِيت لهما بالمودَّة، وللنساء بالدَّهفشَة[٣].

قال: والدهفشة: التجميش[٤] والخديعة بالشيء اليسير.

أخبرني الحرمي بن أبـي العلاء قال: حدّثنا الزبير قال: أخبرني مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز، عن يوسف بن الماجِشون قال:

فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره، فقيل لابن أبـي عتيق: أبو وداعة قد اعترضَ لعمر بن أبـي ربيعة دونَ زينب بنت موسى الجمحيّ وقال: لا أقِرُّ له أن يذكرَ في الشعر امرأةً من بني هُصَيص. فقال ابن أبـي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهل عدن.

قال عبد الملك: وفيها يقول أيضاً عمر:

طـــالَ عـــن آل زينـــب الإعـــراضُ للتعـــزِّي ومـــا بنـــا الإبغـــاضُ
ووليـــداً قـــد كـــان عُلِّقهـــا القلـــبُ إلـــى أنْ عـــلا الـــرءوسَ البيـــاض
حبلُهـــا عنـــدنـــا متيـــنٌ وحَبلِـــي عنـــدَهـــا واهـــنُ القـــوى أنقـــاضُ

غنّاه ابن محرز رمل بالبنصر عن حبش. وفيها يقول أيضاً:

صوت

أيهـــا الكـــاشِـــح المعيِّـــر بـــالصُّـــرْمِ تـــرحَـــزَحْ فمـــا بهـــا الهِجـــرانُ

---

(١) أ: «عبد الرحمن بن عبد العزيز»، لكنه ورد كاملاً في السند التالي.

(٢) كذا على الصواب في أ، ها، مب. وفي سائر النسخ: «تشبب».

(٣) الدهفشة، فسرت في «اللسان» تفسيراً مطابقاً لما سيأتي. أ، ها، مب: «بالدهشنة» حـ: «بالدهشة» محرفتان عما أثبت من سائر النسخ.

(٤) التجميش: المغازلة والتقريص والملاعبة. وفي س، أ «التخميش»، محرف.

لا مطاعٌ في آل زينبَ فارجِعْ أو تكلَّمْ حتّى يملَّ اللسان
فاجعلِ الليلَ مَوعِداً حين يمسي ويُعفِّي حديثَنا الكتمان
كيف صبري عن بَعضِ نفسي وهل يَصـبِرُ عن بعضِ نفسِه إنسان
/ ولقد أشهدُ المحدّث عند الـقَصرِ فيه تعفّف وبَيان [٢٦٥/١٥]
في زمانٍ من المعيشة لَذٍّ قد مضى عصرُه وهذا زمانُ

عروضه من الخفيف، غناهُ ابن سريج، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية، ووافقته دنانير. وذكر يونس أنَّ فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين، ولم يجنّسهما. وأوّل لحن عباد: «لا مطاع في آل زينب»، وأوّل لحنِ ابن محرز: «ولقد أشهد المحدّث».

قال: وفيها يقول أيضاً:

صوت

أحدّث نفسي والأحاديثُ جمّةٌ وأكبر همِّي والأحاديثِ زينبُ
إذا طلعَتْ شمسُ النهار ذكرتُها وأحدِث ذكراها إذا الشمسُ تَغربُ[1]

ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّ فيه للهذليّ لحناً لم ينسبْه.

/ صوت

٥١/١٤

يا نُصبَ عينيَّ لا أرى حيثُ التفتُّ سواكِ شَيّا
إنّي لمَيْتٌ إنْ صَدَدتِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعليّ بن أديم الجعفي الكوفي، والغناء لعمرو بن بانة، رمل بالوسطى.

(١) ما عدا حـ: «فأحدث».

[١٥/٢٦٦]

/ ذكر علي بن أديم[١] وخبره

حب علي بن أديم لمنهلة وشهرته بذلك

هو رجلٌ من تجار أهل الكوفة كان يبيع البزّ، وكان متأدِّباً صالحَ الشِّعر، يهوى جاريةً يقال لها منهلة، واستُهيم[٢] بها مدّة ثم بيعت فمات أسفاً عليها. وله حديثٌ طويل معها في كتابٍ مفرد مشهور، صنعهُ أهلُ الكوفة[٣] لهما، فيه ذكر قِصصهما وقتاً وقتاً، وما قال فيها من الأشعار. وأمرُهما متعالَم عند العامّة، وليس مما يصلح الإطالة به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني محمد بن داود بن الجراح[٤] قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: قال دعبل بن علي:

كان بالكوفة رجلٌ يقال له عليّ بن أديم، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها، فتعاظمَ أمرُه وبيعت الجاريةُ فمات جزعاً عليها، وبلغها خبرُه فماتت.

قال: وحدّثني بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهي صبيةٌ تختلف[٥] إلى الكتاب، فكان يجيء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها، فلما أن بلغَتْ باعها مواليها لبعض الهاشميين، فمات جزعاً عليها. قال: وأنشدني له أيضاً:

[١٥/٢٦٧]

/ صوت

صاحُوا الرَّحيلُ وحثَّني صحبي ... قالوا الرواحُ فطيِّروا لبِّي

واشتقتُ شوقاً كاد يقتلني ... والنفسُ مشرفةٌ على نَحْبِ[٦]

لم يَلْقَ عند البينِ ذو كلفٍ ... يوماً كما لاقيتُ من كَرب

---

(١) هذا ما في ط في كل موضع ورد فيه الاسم من هذه الترجمة. وط هذه هي أوثق نسخ «الأغاني» وأصحها على الإطلاق. وتوافقها في هذا نسخة أ، ها، مب، وهي تلي ط في الجودة. وفي سائر النسخ «ادم». وقد جاء على الصواب في «فهرست ابن النديم» ٣٠٦ ليبسك ٤٢٦ في أسماء العشاق من سائر الناس: «كتاب علي بن أديم ومنهلة».

(٢) كذا على الصواب في حـ. وفي سائر النسخ: «استهام» محرف.

(٣) ما عدا حـ: «صنفه».

(٤) أ: «عمر بن داود بن الجراح».

(٥) حـ: «تتحلف»، وفي سائر النسخ: «فتختلف»، والوجه ما أثبت.

(٦) النحب: الموت.

لا صبـرَ لـي عنـد الفـراق علـى فَقْـدِ الحبيـب ولـوعـةِ الحـبِّ[١]

الشعر لعليّ بن أديم الكوفي الجعفي، والغناء لحكم الواديّ. وذكر حبشٌ أن لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً[٢]. والله أعلم.

جزعه على منهلة

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثني أبو بكر العمري قال: حدّثني دِعبل بن عليّ قال:

كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يقال له عليّ بن أديم، فهوِيَ[٣] جارية لبعض نساءِ بني عبس، فباعتْها لرجلٍ من بني هاشم، فخرج بها عن الكوفة، فمات علي بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثةِ أيام من خرُوجها، وبلغها خبرُه فماتت بعده[٤]، فعمِل أهلُ الكوفة لهما أخباراً هي مشهورةٌ عندهم.

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أبو بكر العمري[٥] قال حدّثنا أبو صالح الأزديّ قال: حدّثنا محمد بن الحسين الكوفيّ قال: حدّثنا محمد بن سَماعة قال:

/ آخر مَن مات من العشق عليُّ بن أديم الجُعْفيّ، مرَّ بمكتبٍ في بني عبس بالكوفة، فرأى فيه جارية تسمَّى [١٥/٢٦٨] مَنهلةَ، عليها ثيابُ سوادٍ، فاستُهيم بها وأعجبتْه، وكلِف بها وقال فيها:

إنِّـي لمَـا يعتـادنـي مـن حـبِّ لابسـةِ السـوادِ

/ فـي فتنـةٍ وبليّـةٍ مـا إنْ يطيقهمـا فُـؤادي ٥٢/١٤

فبقِيـتُ لا دنيـا أصبـتُ وفـاتنـي طلـبُ المَعـادِ

وسأل عنها فإذا لها مالكةٌ عبسية، وكان ابنُ أديم خزّازاً[٦]، فتحمّل أبوه بجماعةٍ من التُّجّار على مولاتها لتبيعَها فأبت، وخرج إلى أمّ جعفر ورفع إليها قصّته يسألها فيها المعونةَ على الجارية، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ، وأقام يتنجّز تمامَ أمره. فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أم جعفر إذ خَرجت امرأةٌ من دارها فقالت: أينَ العاشق؟ فأشاروا إليه فقالت: أنت عاشقٌ وبينك وبين من تحب القناطرُ والجسور، والمياه والأنهار، مع ما لا يُؤمَن من حدوث الحوادث، فكيف تصبر على هذا، إنّك لَجَسُورٌ صَبور! فخامر قلبَه هذا القولُ وجزع، فبادر[٧] فاكترى بغلاً إلى الكوفة، على الدخول، فماتَ يوم دخول الكوفة.

---

(١) إلى هنا ينتهي سقط ط الذي بدأ في ص ٢٥٥.

(٢) كذا الصواب في ط، أ. وفي سائر النسخ: «الحنان» محرف.

(٣) ما عدا ط، أ، ها، مب: «يهوى».

(٤) هذه الكلمة من ط، أ، مب.

(٥) حـ: «العميري».

(٦) الخزاز: بائع الخز، وهي ثياب تنسج من صوف وإبريسم. ما عدا حـ، ها: «خرازاً» وهذا لا يوافق ما في أوّل خبره أنه كان يبيع البز.

(٧) ما عدا ط، ها، مب: «فنادى».

[١٥/٢٦٩]

/ ذكر عمرو بن بانة

نسبه وغناؤه

هو عَمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف. وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهاً من وجوه الكتّاب، وينسَب إلى أمّه بانة [بنت رَوح][1] القَحطَبية[2]. وكان مغنّياً مُحسناً، وشاعراً صالح الشعر، وصنعته صنعةٌ متوسّطة، النادِر منها ليس بالكثير[3]، وكان يُقعده عن اللّحاق بالمتقدِّم[4] في الصنعة أنه كان مرتجلاً، والمرتجل من المحدَثين لا يَلحق الضُّرّابَ. وعلى ذلك فما فيه مَطعن، ولا يقصِّر جيّد صنعته عن صنعة [غيره من][5] طبقته وإن كانت قليلة، وروايته أحسنُ رواية.

تعصبه لإبراهيم بن المهدي وتعصبه على إسحاق

وكتابه في «الأغاني» أصلٌ من الأصول، وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه، ويخالف إسحاقَ ويتعصَّب عليه تعصُّباً شديداً، ويواجهُه بذلك وينصرُ إبراهيم بن المهديّ عليه. وكان تيّاهاً معجباً شديدَ الذهاب بنفسه، وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومغنّيهم، على ما كان به من الوضَح. وفيه يقول الشاعر:

أقــولُ لعمــرٍو وقــد مــرَّ بــي   فسلّــم تسليمــةَ جــافيــة
لئــن فضّلــوك بفَضْــل الغنــاء   لقــد فضّــل الله بــالعــافيــة[6]

حسن حكايته لأستاذه

وقال ابن حمدون: كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناءَ عنه، حتّى كان مَن يسمعُه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنّى لم يشكُك في أنّه هو الذي أخذ عنه، لحسْن حكايته، وكان محظوظاً[7] ممن يعلّمه، ما علّم أحداً قطُّ إلا خرَج نادراً مبرِّزاً.

[١٥/٢٧٠] / فأخبرني جَحظة قال حدّثني أبو العُبَيْس بن حمدون قال: قال لي عمرو بن بانة: علّمتُ عشرةَ غلمان كلُّهم

---

(١) التكملة من مب.

(٢) ما عدا ط، ها، مب: «القحطية»، تحريف. ولعلها منسوبة إلى آل قحطبة، ومنها حميد والحسن ابنا قحطبة.

(٣) ما عدا ط، ها، مب: «الندور منها ما ليس بالكثير».

(٤) ما عدا ط، حـ، ها، مب: «بالتقدم».

(٥) التكملة من ط.

(٦) ما عدا ط، ها، مب: «لئن فضل الله فضل الغناء».

(٧) ما عدا ط، ها، مب: «محفوظاً» تحريف.

تبيّنت[١] فيهم الثقافة والحِذق، وعلمتَ أنّه يتقدم، أحدهم[٢] أنت، وتمرة، وما تبيّنت[١] قطُّ من أحدٍ خلافَ ذلك فعلمتُه.

بين إسحاق وعمرو بن بانة

وقال محمد بن الحسن الكاتب: حدّثني أبو حارثةَ الباهليّ[٣] عن أخيه أبي معاوية قال:

سمعتُ عمرو بن بانةَ يقول لإسحاقَ في كلامٍ جرى بينهما: ليس مثلي يقاس بمثلك، لأنّك تعلّمت الغناء تكسُّباً، وتعلّمتُه تطرّباً، وكنت أُضرَب لئلا أتعلّمه، وكنتَ تضرب حتى تتعلّمه.

اتهامه بخادم يقال له مفحم

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن [بن][٤] الحَرُون قال:

اجتمع عمرو بن بانة والحُسين بن الضحّاك في منزل ابن شَعوف، وكان له خادمٌ يقال له مُفْحَم[٥]، وكان عمرو يتّهم به،/ فلما أخذ[٦] فيه الشراب سأل عمرٌو الحسينَ بن الضحاك أن يقول في مُفْحَم شعراً لِيغني فيه، فقال ٥٣/١٤ الحسين:

وا بأبي مُفحم لغِرّته ... قلتُ له إذ خلوتُ مكتتما[٧]

تحب بالله من يخصُّك بالحب فما قال لا ولا نعما[٨]

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعَمرو بن بانة، ثاني ثقيل بالبنصر.

/ قال: فغنى فيه عمرو. ولم يزل هذا الشعرُ غناءهم، وفيه طربُهم، إلى أن تفرّقوا. وأتاهم في عشيّتهم [١٥/٢٧١] إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسألوا ابن شَعوف[٩] أن لا يأذن له، فحجبَه، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى منزله، فلما تفرّقوا مرَّ به الحسينُ بن الضحاك وهو سكران، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما في مجلسهم، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف:

يا ابن شعوفٍ أمَا سمعتَ بما ... قد صار في الناس كلُّهم عَلَما

أتاك عمرٌو فبات ليلَته ... في كلِّ ما يُشتهى كما زَعَما

حتّى إذا ما الظلامُ خالطَه ... سرى دبيباً فجامع الخدَما

---

(١) ما عدا ط، ها، مب: «ثبتت»، محرف.

(٢) هذه الكلمة من ط، ها، مب، وموضعها بياض في حـ. ويتقدم، هي فيما عدا ط: «متقدم».

(٣) ما عدا ط، ها، مب: «أبو جارية الباهلي».

(٤) هذه من ط، ها، مب.

(٥) ما عدا ط، ها، مب: «مقحم» بالقاف، في كل موضع ورد فيه من هذه الأخبار.

(٦) ما عدا ط، ها، مب: «فيهم».

(٧) الغرة والغرارة: الغفلة وضعف التجربة. ما عدا ط، جـ، ها: «لعزته».

(٨) ما عدا ط، ها، مب: «من يخصك بالود».

(٩) ما عدا ط، ها، مب: «ابن شفوف» في هذا الموضع وسائر المواضع التالية. وقد سبق اتفاق النسخ على «شعوف» في أول موضع ورد فيه.

ثُمَّتَ لم يرضَ أن يفوز بذا ... سِرًّا ولكن أبدى الذي كَتما
حتّى تَغنّى لفرط صَبوته ... صوتاً شفَى من فؤاده السَّقَما
«وا بأبي مفحم لِغرته ... قلتُ له إذ خلوت مكتتما[١]
تحبُّ بالله من يخصُّك بالـ ... ـودّ فما قال لا ولا نعما»

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته.

عشقه لحسين الغلام

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بهذا الخبر قال: حدّثني ميمون بن الأزرق[٢] قال:

كان لمحمد بن شعوف الهاشميّ ثلاثةُ غلمانٍ مغنّين، ومنهم اثنان صَقْلبيان محبوبان: خاقانُ وحسين، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناء، وكان حسين يغنّي غناءً متوسطاً، وهو مع ذلك أضْرَبُ الناس، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق، / أحسنَ الناس وجهاً وجسماً، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجّاج، حسن الوجه روميٌّ [حسن][٣] الغناء، فتعشّق عمرُو بن بانة منهم المعروفَ بحسين وقال فيه: ١٠/٢٧٢

وا بأبي مفحم لِغرته ... قلتُ له إذ خلوت مكتتما
تحبُّ بالله من يخصُّك بالـ ... ـودُّ فما قال لا ولا نعما

ولم يذكر غير هذا.

جودة غنائه

وقال محمد بن الحسن: حدّثني أبو الحسين[٤] العاصمي قال:

دخلت أنا وصديقٌ لي على عمرو بن بانة في يومٍ صائف، فصادفْناه جالساً في ظلٍّ طويلٍ مُمْتع[٥]، فدعاني إلى مشاركته فيه، وجعل يغنّينا[٦] يومَه كلَّه لحنَه:

صوت

نِقابُكِ فاتنٌ لا تفتنينا ... ونَشرُكِ طيّبٌ لا تحرِمينا
وخاتَمك اليماني غيرَ شكٍّ ... خَتمتِ به رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة، هزج خفيف بالبنصر.

قال: فما طربت لغناءٍ قطُّ طربي له، ولا سمعت / أشجى ولا أكثر نَغماً، ولا أحسنَ من غنائه[٧]. ٥٤/١٤

(١) ما عدا ط، جـ، ها، مب: «العزته».
(٢) ما عدا ط، ها، مب: «ميمون بن هارون».
(٣) هذه من ط، ها، مب فقط.
(٤) ها، مب: «أبو الحسن» وفي سائر النسخ ط: «أبو الحسين». وفي سائر النسخ: «عمرو بن الحسين».
(٥) ما عدا ط، ها، مب: «ممتنع».
(٦) ما عدا ط، جـ، ها، مب: «يومنا».
(٧) ما عدا ط، ها. مب: «ولا أحسن مما غناه».

عمرو بن بانة وجعفر الطبال

أخبرني جحظة قال: حدّثني أبو حشيشة قال:

كنت يوماً عند عمرو بن بانة، فزاره خادمٌ كان يحبُّه [فأقام عنده][١]، فطلب عمرٌو في الدنيا كلِّها مَن يضرِب عليه فلم يجد أحداً، فقال له جعفرٌ الطبّال: إنّ أنا / غنّيتكَ اليوم على عُودٍ يُضرَب به عليك، أيّ شيء لي عندك؟ [١٥/٧٣] قال: مائة درهم ودَستيجة[٢] نبيذ. وكان جعفرٌ متقدّماً نادراً[٣] طيباً، وكان نذلَ الهمّة[٤]، فقال: أسمعنيَ مخرج صوتِك. ففعلَ فسّوى عليه طبلَه كما يسوي الوَتر، واتكأ عليه بركبته فأوقَعَ عليه[٥]. ولم يزل عمرٌو يغنّي بقية يومه على إيقاعه لا ينكِر منه شيئاً حتّى انقضى يومُنا ودفع إليه مائةَ درهم، وأحضر الدستيجة[٢] فلم يكن له مَن يحملها، فحملها جعفرٌ على عنقه، وغطّاها بطيلسانه وانصرفْنا.

مقاضاة جعفر الطبال لإبراهيم بن المهدي

قال أبو حشيشة: فحدّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بَزيع، وكان صديقَ إبراهيم بن المهدي، فحدّثني أنّ إبراهيم بن المهدي قال له: يا جعفر حَذِّقْ فلانةَ جاريتي ضربَ الطبل، ولك مائةُ دينار أعجِّل لك منها خمسين. قال: نعم. فعجُلت له الخمسون وعلّمها، فلما حَذِقَت طالبَ إبراهيمُ بتتمّة المائة فلم يعطِه، فاستعدَى عليه أحمد بن أبي دُوَادٍ[٦] الحسني خليفتَه فأعداه، ووكّل إبراهيم وكيلاً، فلما تقدّم مع الوكيل إلى القاضي[٧] أراد الوكيلُ أن يكسِر حجّة جعفر فقال: أصلحَ الله القاضي، سَلْه من أين له هذا الذي يدّعي؟ وما سببه؟ فقال جعفر: أصلح الله القاضي أنا رجلٌ طبّالٌ، وشارطني إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أحذِّق جاريتَه فلانة، وعجّل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقيَ بعد أن رَضِي حِذقَها، فيُحضِر القاضي الجارية / وطبلَها، وأُحضِر أنا طبلي، ويسمعنا [١٥/٧٤] القاضي، فإن كانت مثلي قضَى لي عليه، وإلاّ حذّقتها فيه حتى يرضى القاضي. فقال له القاضي: قُمْ عليك وعليها لعنة الله، وعلى من يرضى بذلك منك ومنها. فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه.

عمرو بن بانة ورزق غلام علويه

وقال علي بن محمد الهشاميّ[٨]: حدّثني جدي ابن حمدون قال:

---

(١) هذه من ط، ها، مب فقط.

(٢) الدستيجة: مأخوذة من «دستي» الفارسية، جاء في «القاموس»: «الدستيج: آنية تحول باليد، معرب دستى»: وفي «المعجم الفارسي الإنجليزي» لاستينجاس ٥٢٥ أنها كل وعاء يمكن رفعه باليد:

«any vessel wich can be lifted up by the hand».

ها، مب: «دستجة». ما عدا ط، جـ: «دستيجة» محرف.

(٣) ما عدا ط، ها: «بادراً نادراً».

(٤) ما عدا ط، ها، مب: «وكان بذل الهمة» وفي هامش ط: «بذ الهيئة».

(٥) هذا ما في ط. وفي جـ، أ، ها، مب: «وأوقع عليه» س: «ووقع عليه»، والأخيرة محرفة.

(٦) س: «داود».

(٧) ما عدا ط، ها، مب: «فلما تقدموا القاضي مع الوكيل».

(٨) كذا في ط، ها، وفي جـ، مب: «البسامي» وأشير إليها في هامش ط. وفي سائر النسخ: «الشامي».

كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح باب داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخل يقود بغلاً له عليه مَزادة، فلما رآه عمرٌو صرخ: لا إله إلا الله، ما أعجب أمرك يا دنيا! فقلت له: مالك؟ قال: يا أبا عبد الله[1]، هذا الخادم رِزقٌ غلام[2] علُّوية المغني، الذي يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر:

يا ليت رزقاً كان من رزقي ... يا ليتَه حظِّي من الخلق

قد صار إلى ما ترى. ثم غنّاني لحناً له في هذا الشعر، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت.

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليست رزقاً كان من رِزقي ... يا لَيتَه حظِّي من الخلق

يا شادناً ملّكتُه رقِّي ... فلستُ أرجُو راحةَ العتقِ

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ولحنه من الثقيلَ الأول بالوسطى.

ابتياع المتوكل له بيتاً

وقال علي بن محمد الهشامي: حدّثني جدّي ـ يعني ابن حمدون ـ قال: كنا عند المتوكِّل ومعنا عمرو بن بانة، [٢٧٥/١٥] في آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو: يا أمير المؤمنين، / جعلني الله فداءك، تأمرُ لي بمنزلٍ فإنه لا منزل لي يَسَعُني. فأمر المتوكّل عبيدَ الله بن يحيى بأن يبتاع له منزلاً يختاره. قال: وهجم / الصوم وشُغِل عبيد الله، وانقطع عمرٌو عنا، فلما أهلّ شوالٌ دعا بنا المتوكل فكان أولَ صوتٍ غناه عمرو في شعرٍ هذا: [٥٥/١٤]

صوت

مَلاّك ربِّي الأعيادَ تُخلِقها ... في طول عمرٍ يا سيدَ الناس[3]

دُفِعتُ عن منزل أمرتَ به ... فإنّني عنه مباعَد خاس[4]

[فمُرْ بتسليمِه إليّ على ... رَغْم عدوِّي بحرمة الكاس][5]

أعوذ بالله والخليفة أن ... يرجع ما قلته على راسي

لحن عمرو في هذا الموضع هزج بالبنصر.

فدعا المتوكِّل بعبيد الله بن يحيى فقال له: لمَ دافعتَ عمراً بابتياع المنزل الذي كنت أمرتُك بابتياعه؟ فاعتلّ بدخول الصوم وتشعُّب الأشغال. فتقدَّمَ إليه أن لا يؤخّر ابتياعَ ذلك إليه، فابتاعَ له الدور التي في دورِ سُرَّ من رأى، بحضرة المعلّى بن أيوب. وفيها توفي عمرو.

---

(١) ما عدا ط، ها، مب: «يا عبد الله».

(٢) ط، مب: «خادم».

(٣) ملاك الأعياد: متعك بها وأعاشك معها طويلاً. تخلقها: تبليها. ما عدا ط، ها، مب «تخلفها» بالفاء.

(٤) س: «رفعت» و «معبد». الخاسيء: المبعد.

(٥) هذا البيت من ط، ها، مب، ف فقط.

امتحان عبد الله بن طاهر للمغنين وفيهم عمرو

أخبرني محمد بن إبراهيم قِريص[1] قال: سمعت أحمد بن أبي العلاء [يحدث أستاذي ـ يعني محمد بن داود بن الجراح][2] قال: جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بَدرةَ دراهمَ سَبَقاً[3] لمن تقدَّم منهم وأحسن، فحضره مُخارق، وعلُّويه، وعمرو بن بانة، ومحمد بن الحارث بن بسخُنَّر، فغنى / فلم يصنَعْ [١٥/٢٧٦] شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيلَه، وامتدت الأعينُ إلى مخارقٍ وعمرو، فبدأ مخارقٌ فغنّى:

إنـــي امـــرؤٌ مـــن خيـــرهـــم ... عمِّـــي وخـــالـــي مـــن جـــذامْ

فما نهنهةُ عمرٌو مع انقطاع نَفَسه حتّى غنى:

يـــا ربـــعَ ســـلاّمـــة بـــالمنحنـــى ... بخَيـــف سَلْـــع جـــادكَ الـــوابـــلُ

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فبكى طرباً وقال: أحسنتَ والله واستحققت، فإن أعطيتَه وإلا فخذه من مالي، يا حبيبي عنّي أخذتَ هذا الصوت، وقد والله زدتَ عليّ فيه وأحسنتَ غاية الإحسان، ولا يزال صوتي عليك أبداً. فقال له عبد الله: مَن حكَمت له بالسَّبق فقد حَصَل. وأمر له بالبَدرة فحُمِلت إلى عمرو.

ثمّ حدّثنا بعد ذلك أن إسحاق لقي عمرو بن راشد الخناق فقال له: قد بلغني خبرُ المجلس الذي جمع عبدُ الله فيه المغنِّين يمتحنهم، ولو شاء لكان في راحةٍ من ذلك. قلت: وكيف؟ قال: أمّا مخارق فأحسنُ القوم غِناء إذا اتّفق له أن يحسن، وقلّما يتفق له ذلك. وأما محمد بن الحارث فأحسنهمْ شمائلَ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه في الغناء، وليس له غير ذلك. وأما عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم. وأما علّويه فمن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء؟.

نسبة هذين الصوتين

صوت

إنّـــي أمـــرؤ مـــن خيـــرهـــمْ ... عمِّـــي وخـــالـــي مـــن جُـــذامْ
خَـــودٌ كضـــوء البـــدر أو ... أضْـــوَا لـــدَى الليـــل التمـــام[4]
يجـــرِي[5] وشـــاحـــاهـــا علـــى ... نحـــرٍ نقـــيٍّ كـــالـــرُّخـــام

/ والغناء لابن جامع، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. ٥٦/١٤

/ صوت [١٥/٢٧٧]

يـــا خليلـــيَّ مـــن بنـــي شيبـــانِ ... أنـــا لا شـــكَّ ميِّـــتٌ فـــابكيـــانـــي
إنّ روحـــي لـــم يَبـــق منهـــا سِـــوى شـــي ... ءٍ يسيـــر مُعَلّـــقٍ بلســـانـــي

---

(١) ما عدا ط، ها، مب: «قريض».
(٢) التكملة من ط، ها، مب، ف.
(٣) السبق، بالتحريك: ما يجعل رهناً على المسابقة.
(٤) أضوا: أضوأ وأشد إشراقاً.
(٥) هذا ما في ها: وفي مب «تجري»: وفي سائر النسخ: «فجرى».

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم.

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبدَ الله، وزائدة بن معن بن زائدة الشيباني، وكان صديقاً وخاصاً بهما.

غضب يزيد بن معن على أبي العتاهية

ثم إنّ يزيد بن معن غضِب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعدى، وكان أبو العتاهية يشبِّب بها، فضربه مائة سوط، فهجاه وهجا إخوته، ثم أصلَح بينهم مندلُ بن عليٍّ العبدي، وهو مولى أبي العتاهية، فعادَ إلى ما كان عليه لهم.

فأخبرني وكيع قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه. وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قالا: قولُ أبي العتاهية:

يا خَليليَّ من بني شيبان

يخاطب به عبدَ الله ويزيد ابني مَعن بن زائدة، أو قال عبد الله وزائدة.

شعر أبي العتاهية في سعدى

أخبرني ابن عمار قال: حدّثني زيد بن موسى بن حماد. وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني محمد بن سعيد. قال حدّثني أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية قال:

[١٥/٢٧٨] كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحة[١]، لها حُسنٌ / وجمال ودَماثة، وكان ممن يهواها أيضاً عبدُ الله بن معن بن زائدة أبو الفضل؛ وكانت مولاةً لهم يقال لها سعدى، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها:

ألا يـا ذَواتِ السحـق فـي الغـرب والشـرق ... أفقـنَ فـإنّ النيـكَ أشهـى مـن السحـقِ
أفقـــن فـــإنَّ الخبـــز بـــالأدم يشتَهـــى ... وليـس يسـوغ الخبـزُ بـالخبـر فـي الحلـق
أراكـــنَّ تـــرقعـــن الخـــروقَ بمثلهـــا ... وأيُّ لبيـب يـرقـع الخـرق بـالخـرق
وهـــل يَصلُـــح المِـــراسُ إلاّ بعـــوده ... إذا احتيـج منـه ذاتَ يـومٍ إلـى الـدقّ

قال وقال فيه أيضاً:

قلـتُ للقلـب إذْ طـوى وَصـلَ سُعـدى ... لهـــواهُ البعيـــدة الأنســـابِ
أنـتُ مثـل الـذي يفـرُّ مـن القَـط ... ـــر جِـذارَ النـدى إلـى الميـزاب

قال محمد بن محمد في خبره: فغضبَ عبد الله بن معنٍ لسُعَدى[٢]، فضرب أبا العتاهيةِ مائةً فقال:

جلَـــــدتْنـــــي بكفِّهـــــا ... بنـــتُ معـــن بـــن زائـــدة
جلـــــدتنـــــي بكفِّهـــــا ... بـــأبـــي أنـــتِ جـــالـــده
جلـــــدتنـــــي وبـــــالغَـــــتْ ... مـــائـــةً غيـــرَ واحـــده

(١) كذا في ها، مب. وفي س: «نافحة». وفي جـ: «بامحة». وفي أ: «يافحة».
(٢) أ: «بسعدى» يقال غضب له، ولا يقال غضب به إلا للميت. أنشد في «اللسان» لدريد بن الصمة:

فـإن تعقـب الأيـام والـدهـر فـاعلمـوا ... بنـي قـارب أنـا غضـاب بمعبـد

اِجلــــدي اجلـــــدي اجلـــــدي إنّمــــا أنـــتِ والــــــده

بين عبد الله بن معن وأبي العتاهية

أخبرني وكيع قال: حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال:

احتال عبد الله بن معن فضربَ أبا العتاهية ضرباً غير مبرّح، إشفاقاً مما يغنّى[1] به، فقال:

اجلــــدي اجلـــــدي اجلـــــدي إنمــــا أنـــت والــــــده

[١٥/٢٧٩] / أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغلابي قال: حدّثني مهدي قال: [٥٧/١٤]

تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوّفَه ونهاه أن يعرض لمولاته سُعدى، فقال أبو العتاهية قوله:

ألا قــلْ لابــن معــن والــذي فــي الــودِّ قــد حــالا

لقـد بلِّغــتُ مــا قــال فمــا بــاليــتُ مــا قــالا

ولــو كــان مــن الأُســد لمــا راعَ ولا هــالا

فصُــغْ مــا كنــتَ حلّيــتَ بــه سيفَــك خَلخــالا

فمــا تصنــع بــالسيــف إذا لــم تــكُ قتّــالا

ولــو مَــدّ إلــى أذنيــه كفَّيــه لمــا نــالا

قَصيــر الطُّــول والطُّــول فــلا شــبٌ ولا طــالا

أرى قــومَــك أبطــالا وقــد أصبحــتَ بطّــالا

فزع عبد الملك وعبد الله بن معن من الهجاء

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسن بن علي الرازي قال حدّثني أحمد بن أبي فَنَن قال:

كنّا عند ابن الأعرابي فذكَر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي:

إذا كلّمَتــهُ ذاتُ دَلٍّ لحــاجــةٍ فهــمَّ بــأن يقضــي تنحنــحَ أو سعَــلْ

وأن عبد الملك بن سليمان بن عمير[2] قال: تركَني والله وإنّ السّعلة لتَعرِض لي في الخلاء فأذكر قولَه فأتركها. قال: فقلت له: هذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية:

فصُــغْ مــا كنــت حلّيــتَ بــه سيفَــك خلخــالا

ومــا تصنــعُ بــالسيــف إذا لــم تــكُ قتّــالا

/ قال: فقال عبد الله: ما لبست السيفَ قطُّ فلمحني إنسانٌ إلا قلت إنّه يحفظ شعر أبي العتاهية فيّ، فينظر [١٥/٢٨٠] إليّ بسببه. فقال ابن الأعرابي: اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه[3]! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان.

---

(١) أي من غنائه ها، مب: «من كثرة من» وفي سائر النسخ. ما عدا جـ: «ممن».

(٢) ط، ها، مب: «عبد الملك بن عمير».

(٣) ط، ها، مب: «اعجبوا لعبد يهجو مولاه».

هجاء أبي العتاهية لعبد الله بن معن

وقال محمد بن موسى في خبره: وقال أبو العتاهية يهجو عبدَ الله بن معن:

لا تُكثرا يا صاحبيَّ رحلي ... في شتم مَن أكثرَ من عذلي
سبحانَ من خصَّ ابنَ معنٍ بما ... أرى به من قلّة العقل
قال ابن معن وجلا نفسَه ... عليَّ من الجِلوةُ يا أهلي[1]
أنا فتاةُ الحيِّ من وائلٍ ... في الشّرَفِ الباذخ والنُّبلِ
ما في بني شيبان أهلِ الحِجى ... جاريةٌ واحدةٌ مثلي
يا ليتني أبصرتُ دلّالة ... تدلُّني اليوم على فحلِ
والهفتا اليومَ على أمردٍ ... يُلصِق منّي القُرط بالحجْلِ
أتيتُه يوماً فصافحتُه ... فقال دَعْ كفِّي وخذْ رِجلي
يُكنَى أبا الفضل فيا مَن رأى ... جاريةً تكنى أبا الفضل
قد نقّطتْ في خدِّها نقطةً ... مخافةَ العين من الكُحلِ[2]
/ إنْ زُرتموها قال حُجّابُها ... نحسنُ عن الزوّارِ في شغلِ
مولاتُنا خاليةٌ عندَها ... بعلٌ ولا إذنَ على البعلِ
قولا لعبد الله لا تجهلَنْ ... وأنتَ رأس النُّوك والجهلِ
أتجلِد الناسَ وأنت امرؤٌ ... تُجلَدُ في الدُّبْر وفي القُبْلِ
/ تبذُل ما يمنع أهلُ الندى ... هذا لعمري مُنتهى البذلِ
ما ينبغي للناس أن يَنسبُوا ... من كان ذا جودٍ إلى البخلِ

وقال في ضربِه إياه:

ضربَتْني بكفِّها بنت معنٍ ... أوجَعتْ كفَّها وما أوجعتْني
ولعمري لولا أذى كفِّها إذ ... ضربَتْني بالسَّوط ما تركتني

هجاء أبي العتاهية ليزيد بن معن

أخبرني ابن عمار قال حدّثني محمد بن موسى. وأخبرني محمدُ بن يحيى قال حدّثني جبلة بن محمد[3] قالا: لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غَضِبَ من ذلك أخوه يزيدُ بن معن، فهجاه أبو العتاهية فقال:

بَنى معنٌ ويهدِمُه يزيدُ ... كذاك الله يفعلُ ما يريدُ
فمعنٌ كان للحسّاد غمًّا ... وهذا قد يُسرُّ به الحسود
يزيدُ يزيد في مَنع وبُخل ... وينقُصُ في النوال ولا يزيد

---

(١) الجلوة، بالفتح والكسر: مصدر جلا العروس على بعلها. والجلوة بالكسر: ما تعطاه عند ذلك من مال أو هدية.
(٢) بعد هذا سقط في مب ينتهي في ٣٠١.
(٣) ما عدا ط، ها: «علي بن محمد».

استغاثة بني معن بمندل وحيان لذلك

أخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدّثني أبي قال: [لمّا][١] هجا أبو العتاهية بني معن فمضوا إلى مندلٍ وحيانَ[٢] ابني عليٍّ العَنَزيَّين الفقيهَين، وكانا من سادات أهل الكوفة، وهما من بني عمرو بن عمرو، بطن من يقدم بن عنزة[٣]، فقالوا لهما: نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ولا فرق بيننا[٤]، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيدِ الولاء لوجَبَ أن تردَعاه. فأحضَرَا أبا العتاهية ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيدَ ابنيْ معن، وضَمِنا عنه خُلوصَ النية، وعنهما ألاّ يتَّبعاه / بسوء، وكانا ممن لا يمكن خلافهُما، فرجعت الحال إلى [١٥/ ٢٨٢] المودَّة والصفاء، وجعل الناسُ يعذِلون أبا العتاهية فيما فرطَ منه، ولامه آخرون على صُلحه لهم، فقال:

مــا لعـذّالـي ومـالـي	أمَـرونـي بـالضـلالِ
عَـذلـونـي فـي اغتفـاري	لابـن معـن واحتمـالـي
أنـا منـه كنـت أكبَـى	زَنـدةً فـي كـل حـالِ
كـلُّ مـا قـد كـان منـه	فلقُبـح مـن فِعـالـي
إنّمـا كـانـت يمينـي	صَـرَمـتْ جهـلاً شِمـالـي[٥]
مـالُـه بـل نفسُـه لـي	ولـه نفسـي ومـالـي
قـل لمـن يعجَـب مـن حسـ	ـن رُجـوعـي وانتقـالـي
قـد رأينـا ذا كثيـراً	جـارِيـاً بيـن الـرجـال
رُبَّ وصـلٍ بعـد صَـدٍّ	وقِلًـى بعـد وصـال

رثاء أبي العتاهية لزائدة بن معن

٥٩/ ١٤

/ أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال:

كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية، ولم يُعِنْ أخويه عليه، فماتَ فرثاه فقال:

حـزِنـتُ لمـوت زائـدةَ بـنِ معـن	حقيـقٌ أن يطـولَ عليـه حـزنـي
فَتـى الفتيـانِ زائـدةُ المصفَّـى	أبـو العبـاس كـان أخـي وخِـدنـي
فَتـى قـومِـي وأيُّ فتـى تـوارت	بـه الأكفـانُ تحـت ثـرًى ولِبْـنِ[٦]
ألا يـا قبـرَ زائـدةَ بـنِ معـن	دعـوتُـك كـي تجيـبَ فلـم تجبْنـي
سـلِ الأيـامَ عـن أركـان قـومـي	أصِبـت بهـنّ ركنـاً بعـد ركـن[٧]

(١) هذه من ط، ها.

(٢) ما عدا ط، ها: «حيان» بالباء الموحدة.

(٣) كذا على الصواب في ها. وفي حـ، «تقدم بن عنزة» وفي ط: «صدم بن عنزة» وسائر النسخ: «تقدم من عنزة».

(٤) ما عدا ط، ها: «نحن واحد وأهل بيت لا فرق بيننا».

(٥) صرمت: قطعت. ما عدا ط، ها: «ضربت».

(٦) اللبن بالكسر: جمع لَبِنة، بالكسر أيضاً، وهي لغة في اللبنة كفرحة، وهي ما يضرب من الطين مربعاً.

(٧) كذا على الصواب في ط، ها. وفي جـ: «عن أن كان» وسائر النسخ: «عنى إن قومي».

[١٥/٢٨٣]

/ صوت

فمـا روضـةٌ بـالحَـزْن طيّبـةُ الثـرى ... يمـجُ النـدى جَثجـاثُها وعَـرارُهـا

بـأطيـبَ مـن أردانِ عَـزّة مـوهِنـاً ... وقـد أُوقِـدتْ بـالمَنْـدَلِ الـرَّطـبِ نـارهـا

فـإنْ خفِيـتْ كـانـت لعينيـك قُـرّةً ... وإن تبـدُ يـومـاً لـم يعمِّـك عـارهـا[١]

مـن الخفِـرات البيـض لـم تَـرَ شِقـوةً ... وفـي الحسـب المكنـون صـافٍ نِجـارُهـا

الشعر لكثيّر، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُريج. وللغريض في الرابع والثالث[٢] ثقيل أوّل بالبنصِر عن عمرو وحبش.

وذكر الهشامي أنّ في الأوّل والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى.

ذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملاً لابن جامع بالبنصر.

وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنه لمعبد، ويقال إنه للغريض، وأحسبه للغريض.

لقاء كثير لقطام صاحبة ابن ملجم وما جرى بينهما من هجاء

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة هكذا موقوفاً لم يتجاوز. وأخبرني أنّ كثيّر بن عبد الرحمن كان غالياً في التشيُّع. وأخبر عن قَطامِ صاحبةِ ابن مُلجَم في قَدمةٍ قدِمَها الكوفة فأرادَ الدخول عليها ليوبّخها، فقيل له: لا تُردها فإن لها جواباً. فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعَه فقالت: من هذا؟ فقال: كثيّر بن عبد الرحمن الشاعر. فقالت لبناتِ عمٍّ لها: تَنحيَّنَ حتى يدخل الرجل. فولجنَ البيتَ وأذِنت له، فدخلَ وتنحت من بين يديه، فرآها وقد ولّت / فقال لها: أنت قطامِ؟ قالت: نعم. قال: صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ [١٥/٢٨٤] قالت: صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم. قال: أليس فيك قُتِلَ علي بن أبي طالب؟ قالت: بل مات بأجَلِه. قال: أما والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ، فلما رأيتك نبَتْ عيني عنك، فما احلوليتِ في خَلَدي. قالت: والله إنّك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيحُ المنظر، وإنك لكما قال الأوّل: «تسمع بالمعَيديّ خير من أن تراه»[٣]. فقال:

رأتْ رجـلاً أودَى السِّفـارُ بـوجهـه ... فلـم يبـقَ إلا منظـرٌ وجَنـاجـن[٤]

فـإنْ أكُ معـروقَ العظـام فـإنّنـي ... إذا وُزِنَ الأقـوامُ بـالقـوم وازن[٥]

وإنـي لمـا استـودعتِنـي مـن أمـانـةٍ ... إذا ضـاعـت الأسـرار للسـر دافـن

---

(١) ما عدا ط: «لم يعمك».

(٢) إلى هنا تنتهي نسخة ط.

(٣) المعيدي هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر، رآه المنذر بن ماء السماء وكان يعجبه ما يبلغه عنه، فلما رآه حقره وأرسل فيه هذا المثل، فقال له شقة: أبيت اللعن وأسعد إلهك، إن القوم ليسوا بجزر - يعني الشاء - إنما يعيش الرجل بأصغريه: لسانه وقلبه. فأعجب المنذر كلامه وسره ما رأى منه. انظر «مجمع الأمثال للميداني».

(٤) السفار: السفر. والجناجن: جمع جنجن، وهي عظام الصدر. وفي «البيان» (١ : ٢٢٧): «فلم يبق إلا منطق».

(٥) معروق العظام، أي نحيلاً.

فقالت: أنت لله أبوكَ كثيِّر عزة؟ قال: نعم. قالت: الحمدُ لله الذي قصَّر بك فصرتَ لا تُعرَف / إلا بامرأة! ٦٠/١٤ فقال: الأمر كذلكَ، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذِكري، وقرُبَ من الخليفة مجلسي، وأنا لكما قلتُ:

فـــإن خفيـــتْ كـــان لعينـــك قُـــرَّةً ... وإن تبـدُ يـومـاً لـم يعمَّـك عـارُهـا

فمـا روضـةٌ بـالحـزنِ طيبـة الثـرى ... يمـجُّ النـدى جَثجاثهـا وعَـرارهـا

بـأطيـبَ مـن أردانِ عـزّة مَـوهِنـا ... وقـد أُوقِـدتْ بـالمنـدلِ اللَّـدنِ نـارُهـا

فقالت: بالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقصَ عقلاً منك، ولا أضعفَ وصفاً، أين أنت من سيدك امرىء القيس حيث يقول:

/ ألـم تـرَيـانـي كلّمـا جئـتُ طـارقـا ... وجـدت بهـا طيبـاً وإن لـم تَطَيَّـبِ [٢٨٥/١٥]

فخرج وهو يقول:

الحـــقُّ أبلـــج لا يُخِيـــل سبيلُـــه ... والحـــقُّ يعـــرفـــه ذوو الألبـــاب[١]

صوت

هـــاكَ فـــاشـــربْهـــا خليلـــي ... فـــي مَـــدَى الليـــلِ الطـــويـــلِ

قهـــوةً فـــي ظـــلِّ كـــرم ... سُبِيَـــتْ مـــن نهـــر بِيـــل[٢]

فـــي لســـانِ المـــرء منهـــا ... مثـــلُ طعـــمِ الـــزنجبيـــل

قـــل لمـــن يلحـــاكَ فيهـــا ... مِـــن فقيـــهٍ أو نبيـــل[٣]

أنـــتَ دعْهـــا وارجُ أخـــرى ... مِـــن رحيـــق السلسبيـــل

تَعطـــش اليـــومَ وتُسقَـــى ... فـــي غَـــدٍ نعـــتَ الطُّلـــول

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، والغناء لإبراهيم الموصلي، هزج بالبنصر عن حبش. ولإبراهيم بن المهدي في الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر، وقيل لعبد الرحيم[٤].

---

(١) لا يخيل: لا يشتبه ولا يلتبس.

(٢) سبى الخمر يسبيها: حملها من بلد إلى بلد. نهر بيل: طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق. وأنشد ياقوت هذه الأبيات في (نهر بيل)، وهي كذلك في «تاريخ بغداد» ٣٤٩١.

(٣) وكذا الرواية في «تاريخ بغداد». وفي «معجم البلدان»: «من وضيع أو نبيل».

(٤) ها، حـ: «لعبد الرحمن».

[١٥/٢٨٦]

/ ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

نسبه

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً.

من عليه السفاح

وهو أحد من مَنَّ عليه أبو العباس السفاحُ من بني أمية لمَّا قتلَ من وجَد منهم.

كان خليعاً ثم نسك

وكان آدم في أوّل أمره خليعاً ماجناً منهمِكاً[١] في الشراب، ثم نسَك بعد ما عُمِّر، ومات على طريقة محمودة.

عتاب المهدي له في شعر قاله

وأخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن سعيدٍ الدمشقي، عن الزبير بن بكار عن عمّه:

أنّ المهديَّ أنشِدَ هذه الأبياتَ وغنّى فيها بحضرته:

أنــــت دَعْهـــــا وارجُ أخـــرى ـــــن رحيـــق السلسبيـــلِ

فسئل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد العزيز، فدعا به فقال له: ويلَك تزندقتَ؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ومتى رأيتَ قرشيًا تزندق؟ والمِحنة في هذا إليك[٢]، ولكنّه طرَبٌ غلبني، وشِعرٌ طفَح على قلبي في حال الحَدَاثة فنطقتُ به. فخلى سبيله.

قال: وكان المهديُّ يحبه ويكرمه، لظَرفه وطِيب نفسه.

[١٥/٢٨٧] / ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق / بن إبراهيم الموصلي قال:

٦١
١٤

(١) حـ، أ، م: «منهوكاً». والمنهوك: المجهد المغلوب. والمنهمك: ذو اللجاجة والتمادي. وفي حديث خالد بن الوليد: «انهمكوا في الخمر». ها: «متهتكا».

(٢) المحنة: الامتحان. وفي حديث الشعبي: المحنة بدعة. وهي أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه، يقول فعلت كذا وفعلت كذا، فلا يزال به حتى يقول ما لم يفعله، أو ما لا يجوز قوله.

كان آدمُ بن عبد العزيز يَشرب الخمر ويُفرِط في المجون، وكان شاعراً، فأخذه المهديُّ فضربه ثلثمَائة سوط على أن يُقِرَّ بالزندقة، فقال: والله ما أشركتُ بالله طَرفةَ عين، ومتى رأيتَ قرشيًا تزندق؟ قال: فأين قولك:

اسقِنِي واسقِ غُصَينَا … لا تبِعْ بالنقد دينَا
اسقِنيها مُزَّة الطعـ … ـم تُريك الشَّينَ زَينا[١]

ـ في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم هزج بالبنصر ـ.

قال: فقال لئن كنتَ ذاك فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة. قال: فأينَ قولك:

اسقني واسقِ خليلي … في مَدَى الليلِ الطويلِ
قهوةً صهباءَ صِرفاً … سُبيت من نهر بيل
لونُها أصفرُ صافٍ … وهْي كالمسك الفتيلِ[٢]
في لسانِ المرء منها … مثلُ طعم الزنجبيل
ريحُها يَنفَح منها … ساطعاً من رأس ميلِ
مَن يَنَلْ منها ثلاثاً … يَنْسَ مِنهاجَ السبيل[٣]
فمتى ما نال خمساً … تركَتْه كالقَتيل
/ ليس يَدري حينَ ذاكمْ … ما دَبيرٌ من قَبيل[٤]

[٢٨٨/١٥]

إنَّ سمعي عن كلام الـ … ـلائمي فيها الثقيلِ
لشَديدُ الوَقْر، إنِّي … غيرُ مطواعٍ ذليلِ
قلْ لمن يلحاك فيها … مِن فقيهٍ أو نبيل
أنتَ دعها وارجُ أخرى … مِن رحيق السلسبيل
نعطش اليومَ ونسقى … في غدٍ نعتَ الطلول

فقال: كنت فتًى من فتيان قريش، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون، والله ما كفرتُ بالله قطُّ، ولا شككتُ فيه. فخلَّى سبيلَه ورقَّ له.

قال مصعب: وهو الذي يقول:

صوت

اسقني يا معاوية … سبعةً أو ثمانية

---

(١) في الأصول: «مرة الطعم»، وصوابه بالزاي، كما في «تاريخ بغداد».

(٢) أنشد هذا البيت في «اللسان» (فتل) وقال: «قال أبو حنيفة: ويروى كالمسك الفتيت. قال: وهو كالفتيل. قال أبو الحسن: وهذا يدل على أنه شعر غير معروف، إذ لو كان معروفاً لما اختلف في قافيته. فتفهمه جداً».

(٣) المنهاج: الطريق الواضح.

(٤) اختلف في تفسيره، ومعظم الأقوال أنه في الفتل، فما أقبل به إلى صدره فهو قبيل، وما أدبر به عنه فهو دبير. والمعنى أنه لا يعرف شيئاً.

اسقنيهـــــا وغنِّــــــي ... قبـــلَ أخــذِ الـــزَّبــانيــه
اسقنيهــــا مُـــــدامــــةً ... مُــــزَّةَ الطعـــم صــافيــةْ[1]
ثـــمَّ مَـــنْ لامَنـــا عليـــهـــا فـــذاك ابـــنُ زانيـــه

فيه خفيف رملٍ بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكي، وإلى حكم الواديّ.

شعر له في الخمر وفي الغزل

قال: وآدم الذي يقول:

أقـــولُ وراعَنـــي إيـــوانُ كســـرى ... بـــرأس مَعَـــانَ أو أدروسفـــان[2]
وأبصـــرتُ البِغـــالَ مـــربَطـــاتٍ ... بـــه مـــن بعـــد أزمِنـــةٍ حســـان[3]
[١٥/٢٨٩] / يعـــزُّ علـــى أبـــي ســـاسان كسرى ... بمـــوقفِكـــنَّ فـــي هـــذا المكـــان
٦٢/١٤ / شـــربـــتُ علـــى تـــذكُّـــر عيـــشِ كسرى ... شـــرابـــاً لـــونُـــه كـــالـــزعفـــران
ورحـــتُ كـــأنّنـــي كســـرى إذا مـــا ... عَـــلاهُ التـــاجُ يـــوم المِهـــرجـــانِ

قال وهو الذي يقول:

أحبُّـــك حُبّيـــنِ لـــي واحـــدٌ ... وآخـــر أنّـــكِ أهـــلٌ لـــذاكِ
فـــأمـــا الـــذي هـــو حـــبُّ الطبـــاع ... فشـــيءٌ خُصِصـــتِ بـــه عـــن ســـواكِ
وأمـــا الـــذي هـــو حـــبُّ الجمـــال ... فلســـتُ أرى ذاكِ حتّـــى أراكِ
ولســـتُ أمـــنُّ بهـــذا عليـــك ... لـــك المـــنُّ فـــي ذا وهـــذا وذاكِ

عتاب صديقه فليح له بعد لقائه خالصة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي عن فليح بن سليمان قال:

مررنا يوماً مع خالصةَ[4] في موكبها، فوقفَتْ على آدم بن عبد العزيز فقالت: يا أخي طلبتَ منا حاجةً فرفعناها لك إلى السيِّدة[5] وأمرَتْ بها وهي في الديوان، فساء ظنُّك بها فقعدْتَ عن تنجُّزها. قال: فموّه لها عذراً اعتذرَ به فوقفت عن الموكب حتّى مضت، ثم قلت له: أخمَلتَ نفسَك، والله ما أحسبُ أنّه حبسك عنها إلا الشراب، أنت ترى الناسُ يركُضون خلفها وهي تَرِفّ عليك لحاجتك[6]. فقال: والله هو ذاكَ، إذا أصبحْتَ فكُلْ كِسرةً ولو بملح،

(١) جاءت هنا على الصواب في حـ: «مزة». وفي سواها بالراء المهملة.
(٢) كذا ورد هذا العجز، وفي حـ، أ، م، ها: «ادرواسفان».
(٣) حـ: «حصان».
(٤) خالصة هذه جارية من جواري الخيزران أم الهادي والرشيد، وكانت ذات نفوذ عظيم. انظر الطبري (١٠: ٣٠، ٣٧) و «مجالس ثعلب» ٤٧٥.
(٥) هي الخيزران. أ: «إلى الميرة» حـ: «إلى الميدة» محرّفتان.
(٦) رفه: حاطه وعطف عليه، ونصح وأشفق.

وافتَحْ دَنَّكَ فإن كان حامضاً دبغَ معدتك، وإن كان حُلواً خَرطك[١]، وإن كان مدرِكاً فهو الذي أردت. / قلت: لا [١٥/٢٩٠] باركَ الله عليك. ومضيت، ثم أقلع بعد ذلك وتاب. فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب: ارفعوا الشراب فإنَّ هذا قد تاب وأحسَبه يكره أن يراه. فرُفع وأُذِن له، فلما دخَل قال: ﴿**إنِّي لأجد ريحَ يوسفَ لولا أن تفنِّدون**﴾. قال يعقوب: هو الذي وجدتَ، ولكنّنا ظنَنّا أن يثقل عليك لتركِك الشراب. قال: إي والله، إنّه ليثقُل عليّ ذاك. قال: فهل قلتَ في ذلك شيئاً منذُ تركتَه؟ قال قتل:

ألا هـل فتًـى عـن شُـربهـا اليومَ صـابـر ... لَيجـزِيَـه يـومـاً بـذلـك قـادرُ

شـربـتُ فلمَّـا قيـل ليـس بنـازعٍ ... نَـزعـتُ وثـوبـي مـن أذَى اللُّـوم طـاهـرُ

هجاؤه لسليمان بن المختار، ولأسيد لطول لحيتهما

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدّثني أبو هفان عن إسحاق قال:

كان مع المهدي رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار، وكانت له لحيةٌ عظيمة، فذهب يوماً ليركَب فوقعت لحيتُه تحت قدمِه في الركاب فذهَبَ عامّتُها، فقال آدمُ بن عبد العزيز قولَه:

قـد استـوجَـبَ فـي الحكـمِ ... سليمـانُ بـنُ مختـارِ

بمـا طَـوَّل مـن لحيـ ... ـتـهِ جَـزًّا بمنشـارِ

أو السيـفِ أو الحَلْـقِ ... أو التحـريـق بـالنـارِ

فقـد صـار بهـا أشهـ ... ـرَ مـن رايـةِ بَيطـارِ[٢]

فقال: ثم أنشدها عُمر بن بَزيع المهديَّ فضحك، وسارت الأبياتُ، فقال أسيد بن أسيد، وكان وافر اللحية: ينبغي لأمير المؤمنين أن يكفَّ هذا الماجنَ عن الناس. فبلغت آدمَ بنَ عبد العزيز فقال:

/ لحيـةٌ تمَّـتْ وطـالـت ... لأسِيـدِ بـنِ أسِيـدِ [١٥/٢٩١]

/ كشِـراعٍ مـن عَبـاءٍ ... قطعـت حَبْـلَ الـوريـدِ[٣] [٦٣/١٤]

يَعجـبُ النـاظـرُ منهـا ... مِـن قـريـبٍ وَبعيـدِ

هـي إنْ زادت قليـلاً ... قطعَـتْ حبـلَ الـوريـدِ

وقال: وكان المهديُّ يُدْني آدمَ ويحبّه ويقرّبه، وهو الذي قال لعبد الله بن علي لما أمرَ بقتله في بني أمية بنهر أبي فُطرُس[٤]: إنَّ أبي لم يكن كآبائهم، وقد علمتَ مذهبَه فيكم. فقال: صدقتَ، وأطلقَه. وكان طيِّب النفس متصوّفاً، ومات على توبةٍ ومذهب جميل.

---

(١) يقال خرطه الداء، أي مشاه، وكذلك خرطه تخريطاً.

(٢) ذكرها الثعالبي في «ثمار القلوب» ١٩٣. وأنشد هذا البيت.

(٣) كذا ورد هذا العجز لهذا البيت والبيت الرابع. حـ، م: «لشراع».

(٤) نهر أبي فطرس، بضم الفاء والراء: موضع قرب الرملة من أرض فلسطين كانت به وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع بني أمية سنة ١٣٢. وفي الأصول ما عدا «ها»: «أبي قرطس»، تحريف.

صوت

ألا يـــا صـــاحِ للعجَـــبِ دعَـــوتُـــكَ ثـــم لـــم تُجـــبِ
إلـــى القَينـــاتِ واللـــذَّا تِ والصَّهبـــاءِ والطَّـــربِ
ومنهـــنَّ التـــي تَبَلَـــتْ فـــؤادَك ثـــمّ لـــم تتـــبِ

الشعر ليزيد بن معاوية، يقوله للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. والغناء لسائب خاثر، خفيف رمل بالوسطى عن حبش.

منادمة مسلم بن زياد ليزيد بن معاوية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدّثني المدائني قال:

قدِمَ سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه، فقال له ليلةً: ألا أولِّيك خراسان؟ قال: بل وسِجِستان. فعقَد له في ليلته فقال:

[١٥/٢٩٢] / اِسقِنـــي شـــربـــةً فـــروّ عظـــامـــي ثـــم عُـــدْ واســـقِ مثلَهـــا ابـــنَ زيـــادِ
مـــوضـــع الســـرّ والأمـــانـــةِ منّـــي وعلـــى ثغـــر مَغْنمـــي وجِهـــادي

لوم الحسين بن علي ليزيد بن معاوية

قال: ولمّا رجع في خلافة أبيه جَلس بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه عبدُ الله بن العباس، والحسينُ بن علي، فأمر بشَرابه فرفع وقيل له: إنَّ ابن عباسٍ إن وجدَ ريحَ شرابك عرَفه. فحجبه وأذن للحسين، فلما دخَل وجد رائحة الشراب مع الطِّيب فقال: لله درُّ طِيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسبُ أحداً يتقدّمنا في صنعة الطيب، فما هذا يا ابنَ معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله، هذا طِيبٌ يصنع لنا بالشأم. ثم دعا بقَدح فشربه، ثم دعا بقدح آخر فقال: اسق أبا عبد الله يا غلام. فقال الحسين: عليك شرابَكَ أيها المرء، لا عينَ عليك منّي. فشرب وقال:

ألا يـــا صـــاحِ للعجـــبِ دعـــوتُـــك ثـــم لـــم تُجـــبِ
إلـــى القينـــاتِ واللـــذّا تِ والصّهبـــاءِ والطـــربِ
وبـــاطيـــةٍ مُكلَّلَـــةٍ عليهـــا ســـادةُ العـــربِ (١)
وفيهـــن التـــي تَبَلَـــتْ فـــؤادَكَ ثـــم لـــم تتـــبِ (٢)

فوثب الحسينُ عليه السلام وقال: بل فؤادُك يا ابن معاوية!.

---

(١) الباطية: إناء من الزجاج عظيم يملأ من الشراب ويوضع بين الشرب يغرفون منه ويشربون، إذا وضع فيه القدح سبح به ورقص من عظمه وكثرة ما فيه من الشراب. مكللة: محفوفة بالنور والزهر، كأن لها منه إكليلاً.

(٢) فيهن، أي في القينات.

صوت

أألن نادَى هديلاً يومَ فَلْج مع الإشراق في فَنَنٍ حمامُ[١]

ظلِلتَ كأنّ دمعَك دُرُّ سِلكٍ وهيَ خيطاً وأسلمَه النِّظام

/ تموتُ تشوُّقاً طوراً وتحيا وأنت جديرُ أنكَ مُستهام [١٥/٢٩٣]

/ كأنّك من تذكُّرِ أمّ عمرو وحبلُ وصالها خَلَقٌ رِمام[٢] ٦٤/١٤

سلامُ الله يا مطر عليها وليس عليكَ يا مطرُ السلام[٣]

فإنْ يكن النكاحُ أحلَّ أنثى فإنَّ نكاحها مطراً حرام[٤]

ولا غفَر الإله لمُنكِحِيها ذُنوبهمُ وإنْ صلُّوا أو صاموا

فطلِّقْها فلستَ لها بكُفءٍ وإلّا عضَّ مَفرِقَك الحسام[٥]

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر.

الأحوص وازدراؤه لسلفه مطر وقوله الشعر فيه

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خَلّاد الأنصاري قال: حدّثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاري قال:

قدِم الأحوص البصرةَ فخطب إلى رجلٍ من تميم ابنته، وذكر له نسبه، فقال: هات لي شاهداً واحداً يشهد أنّك ابن حمِيّ الدَّبر[٦] وأزوّجك. فجاءه بمن شهد له على ذلك، فزوّجه إياها، وشرطت عليه ألا يمنعها من أحد من أهلها، فخرج إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم، فقالت له: اعدل بي إلى أختي. ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن الناس، وكان / زوجُها في إبله، فقالت زوجة الأحوص له: أقِمْ [١٥/٢٩٤] حتّى يأتي. فلما أمسَوْا راح مع إبله ورِعائه، وراحت غنمُه فراح من ذلك أمرٌ كثير[٧]. وكان يسمّى مَطَرا، فلما رآه

---

(١) في الأصول: «هديلاً»، تحريف: ونادى الحمام الهديل، هو على ما يزعم العرب أن الهديل فرخ حمام كان على عهد نوح فمات ضيعة وعطشاً، فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه. أو الهديل مصدر هدل يهدل هديلاً. قال ذو الرمة:

أرى ناقتي عند المحصب شاقها رواح اليماني والهديل المرجع

(٢) الخلق: البالي، والرمام مثله.

(٣) البيت من «شواهد النحويين». انظر «الخزانة» (١: ٢٩٤) وسيبويه (١: ٣١٣).

(٤) س و «الخزانة»: «أحل شيء» وفي «أمالي الزجاجي» ٥٣: «أحل شيئاً»، وسائر النسخ: «أنثى».

(٥) في «الخزانة»: «وإلا يعل».

(٦) الدبر، بالفتح: جماعة النحل، وحميها، أي محميها. وحمى الدبر هو جد أبيه، عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. كان رسول الله ﷺ بعثه في بعث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثلوا به، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته منهم. «الإصابة» ٣٣٤٠ و «الخزانة» (١: ٢٣٢).

(٧) في «الخزانة» (١: ٢٩٥) نقلاً عن «الأغاني»: «شيء كثير».

الأحوصُ ازدراه واقتحمتْه عينُه، وكان قبيحاً دميماً[١]، فقالت له زوجتُه: قم إلى سِلْفك[٢] وسلِّم عليه. فقال وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه:

سـلامُ الله يـا مطـرٌ عليهـا ... وليـس عليـكَ يـا مطـرُ السـلام

وذكر الأبياتَ وأشار إلى مطرٍ بإصبعه، فوثب إليه مطرٌ وبنوه، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم.

قال الزبير: قال محمد بن ثابت: أبو عبد الله[٣] بن سعد الذي حدّث بهذا الحديث، أمه بنت الأحوص، وأمها التميميّة أخت زوجة مطر.

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال: حدّثنا حماد عن أبيه، أنّ امرأة الأحوص التي تزوّجها، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تميم. وذكر باقي القصيدة، وهو قوله:

كـأنـكَ مِـن تـذكُّـرِ أمّ عمـرٍو ... وحبـلُ وِصـالهـا خَلَـقٌ رِمـامُ

صَـريـع مُـدامـةٍ غَلبـتْ عليـه ... تمـوتُ لهـا المفـاصِـلُ والعِظـام

وأنّـي مِـن بـلادِكَ أمّ عمـرٍو ... سقَـى داراً تُحـلُّ بهـا الغمـام

تحـلُّ النّعـفَ مـن أُحـدٍ وأدنـى ... مَسـاكِنهـا الشُّبيكـة أو سَنـام[٤]

فلـو لـم ينكِحـوا إلا كِفيًّـا ... لكـان كفيُّهـا الملـكُ الهمـام

[١٠/٢٩٥] / أشعب وأبان بن سليمان

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبي: حدّثنا ابن كناسة قال:

مرَّ بنا أشعبُ ونحن جماعةٌ في المجلس، فأتى جارٌ لنا صاحب جوارٍ يقال له أبان بن سُليمان، وعليه رداء خَلَق، قد بدا منه ظهرُه وبه آثار، فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلامَ، فلما مضى قال بعضُ القوم: [٦٥/١٤] مَدَنيٌّ / مجلود! فأراه سمعَها أو سمعها رجلٌ يمشي معه فأخبره، فلما انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال:

سـلامُ الله يـا مطـرٌ عليهـا ... وليـس عليـكَ يـا مطـرُ السـلامُ

فقلت للقوم: أنتم والله مَطَر.

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة، خبرٌ له آخر شبيه به مع ابن حزم.

الأحوص يدس أبياتاً لمعمر بن عبد الله يلومه فيها على تزويجه لأخته

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير قال: حدّثنا محمد بن فضالة، عن جميع بن يعقوب قال:

---

(١) في «الخزانة»: «شيخا دميماً».

(٢) السلف بالكسر، وبفتح فكسر أيضاً: هو للرجل زوج أخت امرأته.

(٣) في الأصول: «قال محمد بن ثابت بن عبد الله بن سعد». والوجه ما أثبت.

(٤) في الأصول: «تحل النهد»، صوابه من «أمالي الزجاجي». والنعف هذا هو نعف سويقة قرب المدينة، وفيه يقول الأحوص:

ومـا تـركـت أيـام نعـف سـويقـة ... لقلبـك مـن سلمـاك صبـراً ولا عـزمـا

والشبيكة: موضع بين مكة والزاهر. وفي الأصول: «السكينة» صوابه في «أمالي الزجاجي». وسنام: جبل بالحجاز بين ماوان والربذة.

خطب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، إلى أخيها مَعمر بن عبد الله، فزوّجه إياها، فقال الأحوص أبياتاً وقال لفتًى من بني عمرو بن عوف: أنشِدْها معمرَ بنَ عبدِ الله في مجلسه ولك هذه الجُبّة. فقال الفتى: نَعم. فجاءه وهو في مجلسه فقال:

يا معمر يا ابن زيدٍ حين تَنكحها ... وتستبدُّ بأمر الغيِّ والرشَدِ

فقال: كان ذلك الرجل غائباً. فقال الفتى:

أما تذكّرتَ صيفيًّا فتحفظه ... أو عاصماً أو قتيلَ الشِّعب من أُحُدِ

/ قال: ما فعلتُ ولا تذكّرتُ. فقال الفتى: [١٥/٢٩٦]

أكنتَ تجهل حزماً حين تَنكِحها ... أم خفتَ، لا زلتَ فيها جائع الكبدِ

قال معمر: لم أجهَلْ حزماً. فقال الفتى:

أبعدَ صهرِ بني الخطّاب تجعلهمُ ... صِهراً وبعد بني العوّامِ من أسدِ

فقال معمر: قد كان ذلك. فقال الفتى:

هَبْها سليلةَ خَيلٍ غيرِ مُقْرِفةٍ ... مظلومةً حُبِست للعَير في الجددِ[١]

قال: نعم أعانَها الله وصَبّرها. فقال الفتى:

فكلُّ ما نالَنا من عارِ مَنكَحها ... سَوًى إذا فارقته وهي لم تلدِ

قال: نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة.

قال الزبير: أمّا قوله «صهر بني الخطاب» فإنّ جميلةَ بنتَ أبي الأقلح كانت عند عمر بن الخطاب، فولدت له عاصم بن عمرو. وأمّا «صهر بني العوام» فإنّ نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عُقبة، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، فولدت له أبا بكر ومحمداً.

كراهية أم جعفر لأصوات من الغناء القديم ومن بينها شعر للأحوص

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني مصعب قال: قال الهدير: كرهَتْ أمُّ جعفر أصواتاً من الغِناء القديم، فأرسلَتْ لها رسولاً يُلقيها في البحر، ثم غنتها جاريةٌ بعد ذلك:

سلامُ الله يا مطرٌ عليها ... وليس عليك يا مطرُ السلامُ

/ فقالت: هذا أرسِلُوا به رسولاً مفرداً إلى دَهلك[٢] ليلقيَه في البحر خاصّة. قال: والذي حمل أمَّ جعفرٍ على [١٥/٢٩٧] هذا التطير على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات، أيام محاربته المأمون فمنها قوله:

---

(١) المقرف: ما يداني الهجنة، أي أمه عربية لا أبوه، لأن الإقراف من قبل الفحل، والهجنة من الكلام ما يعيبك. ابن منظور. «لسان العرب» (١٥/٤٢) مادة (هجن) طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) دهلك: جزيرة بين اليمن والحبشة ضيقة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها.

كُلَيبٌ لَعَمري كان أكثرَ ناصراً … وأيسَرَ جرماً منك ضُرِّجَ بالدمِ[1]

ومنها قوله:

هُمُ قتلوه كي يكونوا مكانَه … كما غدرَتْ يوماً بكِسرى مَرازِبُه[2]

/ ومنها قوله:

٦٦ / ١٤

رأيت زهيراً تحت كلكل خالدٍ … فأقبلتُ أسعى كالعَجُول أبادر[3]

ومنها قوله:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا … حنانَيكَ بعضُ الشرِّ أهوَنُ من بعضِ[4]

مضى الحديث.

صوت

وكنّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقبةً … من الدَّهرِ حتّى قيل لن يتصدَّعا

فلما تفرَّقنا كأنّي ومالكاً … لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معاً

الشعر لمتمِّم بن نُوَيرة، يرثي أخاه مالكاً. والغناء لسباط.

(١) البيت للنابغة الجعدي، وقد سبق في ترجمته من «الأغاني». في معظم الأصول: «وأكثر جرماً» صوابه من ها، مب. ومما سبق في «الأغاني».

(٢) البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط، كما في «الكامل» ٤٤٤ ليبسك.

(٣) في الأصول: «أبا درة» تحريف. وقد سبق البيت منسوباً إلى زهير، في ترجمته. وبعده:

إلى بطلين ينهضان كلاهما … يريغان نصل السيف والسيف نادر

(٤) البيت لطرفة في «ديوانه» ٤٨.

/ ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

[١٥/٢٩٨]

نسبه

هو متمِّمُ بن نويرة بن عمرو[١] بن شداد بن عبيد بن ثَعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار. ويكنى متمِّم بن نويرَة أبا نهشل.

كنية أخيه مالك ولقبه

ويكنى أخوه مالك أبا المِغوار. وكان مالكٌ يقال له فارسُ ذي الخِمَار، قيل له ذلك بفرسٍ كان عنده يقال له «ذو الخمار»، وفيه يقول وقد أحمَدَه في بعض وقائعه:

جـزانـي دَوائـي ذُو الخمـار وصَنعتـي ... بمـا بـاتَ أطْـواءً بنـيَّ الأصـاغـرُ[٢]

مقتل مالك بن نويرة

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

كان مالك بن نويرة شريفاً فارساً، وكان فيه خُيَلاءُ وتقدُّم، وكان ذا لِمّة كبيرة، وكان يقال له الجَفول[٣].

وكان مالكٌ قُتِل في الرِّدّة، قتله خالدُ بن الوليد بالبِطاح في خلافة أبي بكر، وكان مقيماً بالبطاح، فلما تنبأتْ سَجاحِ اتّبعها ثم أظهرَ أنّه مسلم، فضربَ خالدٌ عنقَه صَبْراً، فطَعن عليه في ذلك جماعةٌ من الصحابة، منهم عُمر بن الخطاب، وأبو قَتادة الأنصاريّ، لأنه تزوّج امرأةَ مالكٍ بعده، وقد كان يقال إنّه يهواها في الجاهلية واتُّهم لذلك أنّه قَتله مسلماً ليتزوّج امرأتَه بعده.

[١٥/٢٩٩]

/ حدثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبري قال:

كتب إليّ السريّ بن يحيى، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمي، عن سيف بن عُمر، عن الصَّقعب بن عطية عن أبيه:

---

(١) في «شرح المفضليات» لابن الأنباري: «بن جمرة» بدل «بن عمرو».

(٢) الدواء، بفتح الدال: ما عولج به الفرس من تضمير، وبكسرها: مصدر داواه يداويه. والصنعة: حسن القيام عليه. وأطواء: جمع طوى بالتحريك، وهو الطاوي البطن الجائع. يقول: جزاني ذو الخمار الذي أحسنت القيام عليه وآثرته باللبن على عيالي فباتوا على الطوى زمناً، يقول: جزاني خيراً بما كان منه من إنقاذ في مأزق الحرب. في الأصول: «جزاني بلائي ذو الخمار وضيعتي» صوابه من كتاب «أسماء الخيل» لابن الأعرابي ص ٦٤.

(٣) إلى هنا ينتهي النقل من ابن سلام طبق ما في النسخة المطبوعة ص ٧٦.

أنّ رسول الله ﷺ استعمل عمالَه على بني تميم، فكان مالك بن نويرة عاملَه على بني يربوع. قال: ولمّا تنبأت سَجاحِ بنتُ الحارث بن سويد بن عُقْفان وسارت من الجزيرة، راسلت مالكَ بن نويرة ودَعَتْه إلى الموادعة، فأجابَها وقَنَاها[1] عن غَزْوها، وحَمَلها على أحياءِ [مِن][2] بني تميم، فأجابته وقالت: نَعَمْ فشأنَكَ بمن رأيت، وإنّما أنا امرأةٌ من بني يربوع، وإن كان مُلكٌ فهو مُلككم. فلمّا تزوّجها مسيلمةُ الكذّاب ودخل بها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحتْه أن يحمل عليها النِّصفَ من غَلّات اليمامة، فارعوَى حينئذٍ مالكُ بن نُويرة وندِم وتحيَّر في أمره، فلحِق بالبِطاح، ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يُكره إلّا ما بقي من أمر مالك بن نويرة ومَنْ تأشّب إليه[3] بالبِطاح، فهو على حاله متحيِّر ما يدري ما يصنع.

وقال سيف: فحدّثني سهلُ بن يوسف، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا: لما أراد خالدُ بن الوليد المسيرَ خرج [مِن ظَفَر[4]] وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً[5]، فسار يريد البِطاح دون الحَزْن، وعليها مالكُ بن نويرة / وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفتْ عنه، وقالوا: ما هذا بعهدِ الخليفة إلينا؟ / فقد عهد إلينا إن نحنُ فرَغنا من البُزاخة[6] واستبرأنا بلادَ القوم، أن يكتب إلينا بما نعمل. فقال خالد: إن يكنْ عَهِد إليكم هذا فقد عَهِد إليّ أن أمضي، وأنا الأميرُ وإليّ تنتهي الأخبار، ولو أنّه لم يأتني له كتابٌ ولا أمْر ثم رأيتُ فرصةً إن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتّى أنتهزَها. وكذلك لو ابتُلِينا بأمرٍ ليس منه عهدٌ إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل[7] ما بحضرتنا ونَعمَل به. وهذا مالك بن نُويرة بحيالنا، وأنا قاصدٌ له بمن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان، ولستُ أُكرِهُهم[8]. ومضى خالدٌ وبرِمت الأنصارُ وتذامروا[9] وقالوا: لئن أصاب القومُ[10] خيراً إنّه لخيرٌ حُرِمتموه، ولئنْ أصابتهم[11] مصيبةٌ ليجتَنِبُنَّكُم الناس. فأجمعوا على اللَّحاق بخالد، وجَرّدوا إليه رسولاً، فأقام عليهم حتّى لحِقوا به، ثم سار حتّى لحق البِطاح فلم يجد به أحداً.

[١٥/٣٠٠]
[٦٧/١٤]

قال السري عن شعيب، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العُقْفاني[12] عن عثمان بن سُويد، عن سويد بن المنعبة[13] الرياحي قال:

---

(١) قناها: كفها وردها. في م: «فهاما». وفي أ: «نهاها»، صوابهما في حـ. وفي ها، والطبري (٣: ٢٣٧): «قنأها»، وهي بمعنى كفها أيضاً.

(٢) التكملة من الطبري. على أن أبا الفرج قد اختصر نص الطبري اختصاراً شديداً.

(٣) تأشب: تجمع. وفي معظم الأصول: «وما ناسب»، صوابه في ها والطبري (٣ : ٢٤١).

(٤) التكملة من الطبري. وظفر: موضع قرب الحوأب في طريق البصرة إلى المدينة.

(٥) كذا في حـ، ها والطبري. وفي سائر الأصول: «وغنيا» تحريف.

(٦) البزاخة: ماء لبني أسد كانت به وقعة طليحة. حـ: «البراهة» وفي سائر النسخ: «البراهمة»، والصواب من ها والطبري.

(٧) كذا الصوب من الطبري. وفي حـ: «لم ندع أن تدع لفضل». وفي سائر النسخ: «لم ندع أن نرعى لفضل».

(٨) الطبري: «أكرهكم». وهما من الإكراه.

(٩) كذا في الطبري وها. وفي سائر الأصول: «وندمت الأنصار وتراموا»، وإنما هي تذامروا، كما في الطبري. والتذامر: أن يحض القوم بعضهم بعضاً على الجد في القتال.

(١٠) في الأصول ما عدا ها: «اليوم»، وصحته من الطبري.

(١١) في الأصول: «أصابتكم». والوجه ما أثبت من الطبري، وها.

(١٢) في الأصول: «جذيمة» و «سحرة» وفي بعضها «منحرة» و «الغفقاني». وأثبت ما في الطبري.

(١٣) في الطبري: «المثعبة».

قدِم خالد بن الوليد البطاحَ فلم يجدْ عليه أحداً، ووجد مالك بن نويرة قد فرّقهم[١] في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، فبعثَ السرايا وأمرهم بداعيةِ الإسلام[٢]، فمن أجابَ / فسالِمُوه ومن لم يُجبْ وامتنعَ فاقتلوه. وكان فيما [١٥/٣٠١] أوصاهم أبو بكر: إذَا نزلتم [منزلاً][٣] فأذّنوا وأقيموا، فإنْ أذّن القومُ وأقاموا فكفُّوا عنهم، وإنْ لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة. ثم اقتلوهم كلَّ قِتلة: الحرق فما سواه. فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم[٤]، فإن هم أقرّوا بالزكاة قَبِلتم منهم، وإلاّ فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة. فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع، ومن بني عاصم[٥]، وعبيد، [وعرين][٣]، وجعفر، واختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة. وكان ممن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا. فلما اختلفوا فيهم أمرَ بحبسهم، في ليلةٍ باردة لا يقوم لها شيء، وجعلَتْ تزداد برداً، فأمر خالدٌ منادياً فنادى: «دافئوا أسراكم». وكان في لغة كنانة إذا قالوا: «دافأنا الرجل وأدفئوه، فذلك معنى اقتلوه من الدفء. فظنّ القوم أنّه يريد القتل فقتلوهم[٦]. فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، فسمع خالدٌ الواعيةَ[٧]، فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وقد اختلف القومُ فيهم فقال أبو قَتادة: هذا عملك.

غضب أبي بكر لمقتل مالك

فزبره خالد [فغضب][٨] ومضى حتّى أتى أبا بكر، فغضِب عليه أبو بكر حتّى كلّمه عمر بن الخطاب فيه، فلم يرضَ إلا بأن يرجع إليه، فرجعَ إليه فلم يزل معه حتّى قدم المدينة، وقد كان تزوّج خالدٌ أم تميم بنت المِنهال[٩] وتركها لينقضيَ طُهرها، وكانت العرب تكره النساءَ في الحرب وتَعايَرُه، / فقال عُمر لأبي بكر: إنّ في سيف خالدٍ [١٥/٣٠٢] رَهَقاً، وحقّ عليه أن تُقيده[١٠]. وأكثَرَ عليه في ذلك. وكان أبو بكرٍ لا يُقِيد من عُمّاله ولا من وزَعَته[١١]، فقال: هَبْه يا عمر تأوّلَ فأخطأ، فارفعْ لسانك عن خالد. ووَدَى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه، ففعل وأخبره خبره فعذَره. وقَبِل منه، وعنّفه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك.

فذكر سيفٌ عن هشام بن عروة عن أبيه قال: شهد قوم من السرية أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فقُتِلوا. وقدم أخوه متمم يَنشُد أبا / بكرٍ دمَه ويَطلب إليه في سَبْيِهم، فكتب له بردّ السَّبي، [٦٨/١٤] وألحّ عليه عمر في خالد أن يعزله وقال: إن في سيفه لرَهقاً! فقال له: لا ياعمر، لم أكن لأَشِيمَ سيفاً سلّه الله على الكافرين.

---

(١) كذا في ها. وفي سائر الأصول: «ملك قد فرقهم». محرّف. وفي الطبري: «مالكاً قد فرقهم».

(٢) في معظم الأصول: «برعاية الإسلام» ووجهه من الطبري وها.

(٣) هذه التكملة من الطبري.

(٤) س: «فسالموهم» وفي سائر النسخ: «فسلوهم». وأثبت الصواب من ها والطبري.

(٥) الطبري: «من بني عاصم» بدون واو قبلها.

(٦) هذا نهاية سقط مب الذي بدأ في ص ٢٨٠.

(٧) الواعية: الجلبة، والصراخ على الميت ونعيه. حـ: «الراعية». وفي سائر النسخ ما عدا ها ومب: «الداعية» صوابها من النسختين والطبري.

(٨) هذه التكملة من الطبري.

(٩) في الأصول: «المهلب»، صوابه في الطبري، و«الإصابة». ٧٦٩ في ترجمة مالك بن نويرة. والمنهال هذا هو المنهال بن عصمة الرياحي، وهو الذي كفن مالكاً في ثوبيه.

(١٠) الطبري: «فإن لم يكن هذا حقاً حق عليه أن تقيده».

(١١) الوزعة: أصحاب السلطان. في جمهور الأصول: «من درعيه» والصواب من ها ومب والطبري.

كان مالك طويل الشعر

حدّثنا محمد بن إسحاق قال: كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة[1] عن عثمان عن سويد[2] قال:

كان مالكٌ من أكثر الناس شَعَراً، وإنّ أهل العسكر أثّفوا القُدور بروءسهم[3]، فما منها رأسٌ إلا وَصَلت النارُ إلى بشرته، ما خلا مالكاً فإنّ القدر نضِجت وما نضِج رأسُه من كثرة شَعره، ووقى الشعر البشرةَ من حرّ النار أن تبلغَ منه ذلك.

[٣٠٣/١٥] / قال: وأنشد متمم عمر بن الخطاب، ذكر خَمَصه - يعني قوله:

لقــد كفــن المِنهــالُ تحــت ردائــه ... فتــى غيــرَ مِبطــانِ العشيّــاتِ أروَعــا

فقال: أكذاكَ كان يا متمم؟ قال: أمّا ما أعني فنعم.

أخبرني اليزيديّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن فليح، عن موسى بن عُقبة، عن ابن شهاب. وحدّثنيه أحمد بن الجعد قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيِّبي قال: حدّثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب:

أنّ مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شَعراً، وأن خالداً لما قَتله أمر برأسه فجعل أُثفِيّة لقدرِ، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النارُ إلى شَواته.

خطأ خالد بن الوليد في قتله

أخبرني محمد بن جرير قال: حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة[4] عن ابن إسحاق، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

أن أبا بكر كان مِن عهده إلى جيوشه: أنْ إذا غَشِيتم داراً من دُور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسِكُوا عن أهلها حتّى تسألوهم ماذا نَقِموا، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشُنُّوا الغارةَ واقتلُوا[5] وحرِّقوا. فكان مِمن[6] شهدَ لمالك بالإسلام أبو قتَادة الأنصاري، واسمه الحارث بن رِبعيّ أخو بني سَلِمة، وقد كان عاهدَ الله أنّه لا يشهد حرباً بعدها أبداً. وكان يحدّث أنّهم لما غَشُوا القومَ راعُوهم تحت الليل، فأخذ القومُ السلاحَ. قال: فقلنا لهم: [إنا المسلمون. فقالوا: ونحن المسلمون. / قلنا][7]: فما بالُ السلاحِ معكم؟ فإن كنتم كما تقولون فضَعُوا السلاحَ. ففعلوا ثم صلينا وصلُّوا. وكان خالدٌ يعتذر في قتله أنّه قال له وهو يراجعه: ما إخال صاحبَكم - يعني النبيّ ﷺ - إلا وقد كان [٣٠٤/١٥]

---

(١) هو خزيمة بن شجرة. انظر ما مضى في ص ٣٠٠ وفي الأصول ما عدا مب: «عن سيف بن جذيمة»، صوابه من مب والطبري.

(٢) هذا ما في الطبري. وفي الأصول: «عن عثمان بن سويد».

(٣) أثف القدر تأثيفاً: وضعها على الأثافي. وفي معظم الأصول: «اتقوا»، صوابه من مب والطبري.

(٤) هو مسلمة بن الفضل، ذكر في ترجمته من «تهذيب التهذيب» أنه روى عن محمد بن إسحاق، وكذا ورد في ترجمة محمد بن إسحاق أن سلمة بن الفضل روى عنه. في معظم الأصول: «مسلمة»، والوجه ما أثبت من مب والطبري.

(٥) في الأصول ما عدا ها، مب: «فاقتتلوا»، وفي الطبري: «فقتلوا».

(٦) في معظم الأصول: «من»، وأثبت ما في الطبري، وها، مب.

(٧) التكملة من ها ومب والطبري.

يقول كذا وكذا. فقال خالد: أوَ ما تعدُّه صاحباً؟! ثم قدّمه فضربَ عنقَه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلُهم عمرُ بن الخطّاب تكلّم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه، وقال: عدوُّ الله عَدَا على امرىء مسلم فقتلَه، ثم نَزَا على امرأته. وأقبل خالدُ بن الوليد قافلاً حتّى دخل المسجدَ وعليه قباءٌ له، وعليه صدأُ الحديد، معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهُماً، فلما أنْ دخل المسجدَ قام إليه عُمر فانتزع الأسهمَ[1] من رأسه فحطّمها ثم قال: أقتلتَ امرأً مسلماً ثم نَزَوتَ على امرأته، والله لأرجُمنّك بأحجارك[2]! ولا يكلّمه خالد بنُ الوليد ولا يظنُّ إلاّ أن رأى أبي بكر على مثل رأي عمرَ فيه، حتّى دخل على أبي بكر فأخبره الخبرَ واعتذر إليه، فعذَره أبو بكرٍ وتجاوَزَ له عمّا كان في حربه تلك. فخرج خالدٌ حين رضي عنه أبو بكر، وعمرُ جالسٌ في المسجد الحرام، فقال: هلمَّ إليّ يا ابن أم شَملة[3]. فعرف عمرُ أن أبا بكرٍ قد رضي عنه، فلم يكلّمه ودخل بيتَه. وكان الذي قتل مالكَ بنَ نويرة عبدُ [بن][4] الأزوَر الأسديّ.

ضرار قاتل مالك

وقال محمد بن جرير: / قال ابن الكلبي: الذي قتل مالكَ بن نويرة ضِرارُ بن الأزور. ٦٩/١٤

/ حجج المختلفين في عذر خالد [٣٠٥/١٥]

وهكذا روى أبو زيد عُمر بن شَبّة[5] عن أصحابه، وأبو خليفة عن محمد بن سلام[6] قال:

قدِم مالكَ بن نُويرة على النبي ﷺ فيمن قَدِم من أمثاله من العرب، فولاّه صدقاتِ قومه بني يربوع، فلما ماتَ النبيُّ ﷺ اضطربَ فيها فلم يُحمَد أمرُه، وفرّقَ ما في يده من إبل الصدقة، فكلّمه الأقرع بن حابس المُجاشعيّ، والقَعقاع بن معبد بن زُرارة[7] الدارِميّ فقالا له: إنّ لهذا الأمر قائماً وطالباً، فلا تَعجَلْ بتفرقةِ ما في يدك. فقال:

أراني الله بالنَّعَم المندَّى ... ببرْقةِ رحرحانَ وقد أراني[8]
تَمشّى يا ابنَ عَوذةَ في تميمٍ ... وصاحبُك الأقيرعُ تَلْحيانِي
حميتُ جميعَها بالسّيف صَلتاً ... ولم تُرعَش يداي ولا بناني

يعني أمَّ القعقاع، وهي مُعاذةُ بنت ضِرار بن عمرو. وقال أيضاً:

وقلتُ خُذوا أموالَكم غيرَ خائفٍ ... ولا ناظرٍ فيما يجيءُ من الغدِ[9]
فإنْ قامَ بالأمرِ المخوّف قائمٌ ... مَنعنا وقلنا الدينُ دينُ محمّدِ

---

(١) في معظم الأصول: «السهم»، والوجه ما أثبت من ها، مب الطبري.
(٢) هذا الصواب من أ، م والطبري. وفي حـ: «بأحجاره» وفي س: «بأحجار».
(٣) حـ، أ، مب: «سلمة» وفي سائر النسخ «مسلمة» وأثبت ما في الطبري.
(٤) التكملة من الطبري. وترجمة عبد بن الأزور في «الإصابة» ٥٢٦٢، وهو أخو ضرار.
(٥) أبو زيد: كنية عمر بن شبة. وفي الأصول ما عدا حـ، مب: «أبو زيد بن عمر بن شبة». وكلمة «عن» مقحمة.
(٦) «طبقات الشعراء» لابن سلام ٧٩ ـ ٨٢.
(٧) في الأصول ما عدا «ها» مب: «زيادة» صوابه في ها و «الطبقات».
(٨) النعم: الإبل. وتنديتها: أن يوردها فتشرب قليلاً ثم يجيء بها ترعى ثم يردّها إلى الماء. «الخزانة» (١: ٢٣٦)، وفي «الخزانة» ستة أبيات.
(٩) البيتان في «الإصابة» أيضاً ٧٦٩٠.

قال ابن سلام[١]: فمن لا يعذِر خالداً يقول: إنه قال لخالد: وبهذا أمرك صاحبُك ـ يعني النبي ﷺ ـ وأنّه أراد بهذه القرشية. ومَن يعذر خالداً يقول: إنّه أراد انتفاءً من النبوّة ويحتجّ بشعرَيه المذكورين آنفاً. ويذكرُ خالدٌ أن النبيّ / ﷺ لما وجَّهه إلى ابن جُلندَى قال له: يا أبا سليمان، إنْ رأت عينُك مالكاً فلا تزايلْه أو تقتلَه. [١٥/٣٠٦]

قال محمد بن سلام: وسمعني يوماً يونُس وأنا أُرادُّ التميمية في خالدٍ وأعذرُه، فقال لي: يا أبا عبد الله، أمَا سمعتَ بساقَيْ أم تميم؟ يعني زوجةَ مالك التي تزوّجها خالدٌ لما قتله ـ وكان يقال إنّه لم يُر أحسَنُ من ساقيها. قال: وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمم بأنّ أخاه لم يُستشهَدْ. ففيه دليلٌ على غدر خالد.

إنشاد متمم أبا بكر شعراً في مقتل مالك

أخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدّثني محمد بن الحكم البجَلي عن الأنصاري قال:

صلَّى متمم بن نويرةَ مع أبي بكرٍ الصُّبح، ثم أنشدهُ قوله:

نِعمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَناوحَتْ ... تحتَ الإزار قَتلتَ يا ابنَ الأزورِ[٢]

أدعوتَه باللهِ ثُمّ قتلتَه ... لو هُو دَعاكَ بذِمّةٍ لم يَغدرِ[٣]

فقال أبو بكر: والله ما دعوتُه ولا قتلته. فقال:

لا يُضمِر الفحشاءَ تحتَ ردائه ... حلوٌ شمائلُه عفيفُ المِئزرِ

ولَنِعمَ حَشوُ الدِّرعِ أنتَ وحاسراً ... ولنعمَ مأوى الطارقِ المتنوِّرِ[٤]

قال: ثم بكى حتّى سالت عينُه، ثم انخرطَ[٥] على سِيَةِ قوسِه [متكئاً][٦]. يعني مغشيًّا عليه.

/ وصف متمم لأخيه مالك [١٥/٣٠٧]

أخبرني اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال حدّثني محمد بن صخر بن خلخلة قال:

ذكَر متمم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له: إنّك لتذكر أخاك، فما كانت صِفتُه، أو صِفْهُ لنا؟ فقال: «كان[٧] يركب الجمَلَ الثِّفَالَ[٨] في الليلة الباردة، يرتوي لأهله[٩] بين المزادتين المضرَّجتين[١٠]، عليه الشَّملةُ الفلوت[١١]، يقود الفرَس الجرور[١٢]، ثم يصبح ضاحكاً».

---

(١) في الأصول ما عدا «ها»، مب: «أبو سلام» والكلام لابن سلام في «الطبقات» ٨٠.

(٢) في «الكامل» ٧٦١: «خلف البيوت». وفي «الخزانة» (١: ٢٣٧): «فوق الكنيف».

(٣) ها، مب: «وإذا دعاك بربه لم يغدر».

(٤) «الكامل»: «كنت وحاسراً». «الخزانة»: «يوم لقائه».

(٥) «الكامل»: «ثم بكى وانحط على سية قوسه». (٦) التكملة من ها، مب.

(٧) في «الكامل»: «كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الأزيز والصراد». وانظر «البيان» (٣: ٢٥)، و«شروح سقط الزند» ٥٨٧.

(٨) الثفال، كسحاب: البطيء الذي لا يكاد ينبعث.

(٩) هذا الصواب من مب. وفي سائر النسخ: «يرتمي».

(١٠) المضرجتين: المشققتين. وفي «البيان» وها، مب: «النضوحين»، أي اللتين تنضحان الماء.

(١١) الشملة: كساء أو مئزر يتشح به. والفلوت: التي لا ينضم طرفاها لصغرها.

(١٢) الجرور: الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه، إنما يجر الحبل.

تكفين المنهال لمالك

أخبرني اليزيدي قال: حدّثنا أحمد بن زهير، عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره: أن المنهال: رجلاً من بني يربوع، مَرّ على أشلاءِ مالك بن / نويرة لما قَتَله خالد، فأخذ ثوباً وكفّنه فيه ودفنه، ففيه يقول متمم: ٧٠/١٤

صوت

لعمـري ومـا دَهـري بتـأبيـنِ مـالـكٍ ... ولا جَـزعٍ ممـا أصـابَ فـأوجَعـا[1]

لقـد كَفَّـنَ المِنهـالُ تحـت ردائِـه ... فتًـى غيـرَ مبطـانِ العشيـاتِ أروعـا

غنَّاه عمرو بن أبي الكَنَّاتِ، ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش.

/ متمم ينشد عمر رثاءه لأخيه مالك [١٥/٣٠٨]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا الحسن بن محمد البصري، قال: حدّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعي قال حدّثني أحمد بن عمار العبدي[2]، وكان من العلم بموضع قال: حدّثني أبي عن جدي قال:

صلّيتُ مع عمر بن الخطاب الصبحَ، فلما انفتلَ من صلاته إذا هو برجلٍ قَصير أعورَ متنكباً قوساً[3]، وبيده هِراوة، فقال: مَن هذا؟ فقال: متمم بن نويرة. فاستنشده قولَه في أخيه، فأنشده:

لعمـرِي ومـا دَهـرِي بتـأبيـن مـالـك ... ولا جَـزعٍ ممـا أصـابَ فـأوجعـا

لقـد كفّـن المِنهـال تحـتَ ثيـابـه ... فتًـى غيـرَ مبطـانِ العشيـاتِ أروعـا

حتّى بَلغ إلى قوله:

وكنـا كنَـدمـانَـيْ جَـذيمـةَ حِقبـةً ... مـن الـدهـر حتّـى قِيـل لـن يتصـدّعـا[4]

فلمـا تفـرّقنـا كـأنّـي ومـالكـاً ... لِطُـول اجتمـاعٍ لـم نَبِـتْ ليلـةً معـاً

فقال عُمر: هذا والله التأبين، ولَوددتُ أنّي أُحسِنُ الشّعر فأرثى أخي زيداً بمثل ما رثَيتَ به أخاك. فقال متمم: لو أنّ أخي ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته ـ وكان قُتل باليمامة شهيداً، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد ـ فقال عمر: ما عزّاني أحد عن أخي بمثل ما عزّاني به متمم.

قال: وكان عمر يقول: ما هبت الصّبا من نحو اليمامة إلاّ خُيِّل إليّ أنى أشم ريح أخي زيد[5].

---

(١) ها: «بتأبين هالك» ما دهري كذا، وما دهري بكذا، أي ما هو همي وإرادتي. التأبين: مدح الميت. جزع بالخفض عطف على تأبين للفظه، وبالنصب عليه لمحله على أن الباء زائدة.

(٢) كذا في ط. ها، مب: «محمد بن عمران العبدي» سائر النسخ «أحمد بن عمران العبدي».

(٣) ها: «متنكب قوسه».

(٤) لن يتصدعا: لن يتفرقا.

(٥) الخبر في «الكامل» وابن سلام وابن قتيبة في «الشعراء» ٢٩٧ برواية أخرى.

[٣٠٩/١٥] / **جزع متمم لمقتل أخيه**

قال: وقيل لمتمم: ما بلغَ من وجدك على أخيك؟ فقال أُصِبتُ بإحدى عينيّ فما قَطرت منها دمعةٌ عشرينَ سنة، فلما قُتِل أخي استهَلّت فما تَرقأ[١].

عائشة تتمثل بشعر متمم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدّثنا عبد الله بن لاحق، عن ابن أبي مليكة قال:

مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشِيّ خارج مكة[٢]، فحُمِل فدفن بمكة، فقدِمت عائشةُ فوقفَتْ على قبره وقالت متمثلة:

وكنا كندمانَيْ جذيمةَ حِقبةً ... من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرَّقنا كأني ومالكاً ... لطولِ اجتماع لم نبِتْ ليلة معاً

أما والله لو حضرتُكَ لدُفنتُ حيث مِتّ، ولو شَهِدتك ما زرتك.

متمم يصف نفسه وأخاه

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة:

أنّ متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مِثلَك. فقال: يا أمير المؤمنين أمَا والله إنّي مع ذلك لأركب الجمَل الثَّفال، وأعتقِل الرُّمحَ الشَّطون[٣]، وألبَسُ الشَّملَةَ الفَلُوت. ولقد أسرَتْني بنو تغلبَ في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديَني منهم[٤]، فلما رآه القومُ أعجبهم جَمالُه، وحدَّثهم فأعجبهم حديثُه، فأطلقوني له بغير فداء.

[٣١٠/١٥] / **إنقاذ مالك لأخيه متمم**

٧١/١٤ أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني / النوفلي عن أبيه وأهله قالوا:

لما أنشد متمم بن نويرة عمرَ بن الخطاب قولَه يرثي أخاه مالكاً:

وكنا كندمانَيْ جذيمة حِقبةً ... من الدهر حتّى قيل لن يتصدعا
فلمّا تفرقنا كأنّي ومالِكاً ... لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معاً

قال له عمر: هل كان مالكٌ يحبُّك مثلَ محبّتك إياه، أم هل كان مثلكَ؟ فقال: وأين أنا من مالك، وهل أبلغُ

(١) الخبر برواية أخرى عند ابن سلام.

(٢) حبشي، بالضم: جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك. والخبر عند ياقوت في رسمه هذا. ها، مب «جبل بمكة».

(٣) في معظم الأصول: «المثلوب» ولا وجه له، وفي ها، مب: «الشطوب». وأثبت ما في «الشعر والشعراء». والشطون: الطويل الأعوج. وقد تكون «المثلوث» ولكني لم أجدها في «المعاجم». وفي «المعاجم» أن المربوع والمخموس من الرماح: ما طوله أربع وخمس أذرع.

(٤) ها: «لينقذني منهم».

مالكاً، والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حيٌّ من العرب فشدّوني وَثاقاً بالقِدِ، وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبلَ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ في ناديهم، فلما نظر إليّ أعرضَ عنّي، ونظر القومُ إليه فعَدَل إليهم، وعرفتُ ما أراد، فسلَّم عليهم وحادثهم وضاحَكهم وأنشدهم، فوالله إنْ زال كذلك حتّى ملأهم سروراً، وحضر غَدَاؤهم فسأله ليتغدّى معهم فنزلَ وأكل، ثم نظر إليّ وقال: إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقىً بين أيدينا لا يأكل معنا! وأمسكَ يدَه عن الطعام. فلما رأى ذلك القومُ نَهضوا وصبُّوا الماء على قِدّي حتى لانَ وخلّوني، ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغَدَاء، فلمّا أكلنا قال لهم: أما ترون تَحرُّمَ هذا بنا وأكلَه معنا، إنّه لقبيح بكم أن تردُّوه إلى القِدّ، فخلُّوا سبيلي فكان كما وصفت. وما كذبتُ في شيء من صفته إلا أنّي وصفتُه خميصَ البطن، وكان ذا بطن.

مشاحنة زوجة متمم له

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن نصر العتيقي قال: حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي، عن أبيه عن مروان بن موسى. ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن علي بن حمزة العلويّ، عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه:

/ أن عمر بن الخطاب قال لمتمِّم بن نويرة: إنّكم أهلُ بيت قد تفَانيتم، فلو تزوّجتَ عسى أن تُرزقَ ولداً يكون [٣١١/١٥] فيه بقيّةٌ منكم. فتزوّج امرأةً بالمدينة فلم تَرضَ أخلاقه لشدّة حُزنه على أخيه، وقِلّة حَفْلِه بها، فكانت تُماظُّه[١] وتؤذيه، فطلَّقها وقال:

أقـول لهنـدٍ حيـنَ لـم أرضَ فِعلَهـا ... أهـذا دلالُ الحـب أم فعـلُ فـارِكِ[٢]

أمِ الصـرمُ مـا تبغـي، وكـلُّ مَفـارقٍ ... يسيـرٌ علينـا فقـدُه بعـدَ مـالـكِ

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أحمد بن معاوية، عن سلمويه بن أبي صالح[٣]، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازي قال:

بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكّة والمدينة إذْ عرَضَ لهما أعرابي، فوقفا ليمضيَ فوقف فتعجَّلا ليسبقاه فتعجّل، فقالا: ما أثقلكَ يا أعرابيّ تَعجّلنا لنسبقَك فتعجّلت[٤]، فوقفنا لتمضيَ فوقفت؟ فقال: لا إله إلا الله مُغْني أغدَر الناس[٥]، أغدر بأصحاب محمد ﷺ؟ هَبَاني خِفتُ الضَّلالَ فأحببت أن أستدلَّ بكما؛ أو خِفتُ الوَحشةَ فأحببت أن أستأنس بكما. فقال طلحة: من أنت؟ قال: أنا متمم بن نويرة. فقال طلحة: واسوأتاه، لقد مَلِلْتنا غيرَ مملول. هاتِ بعض ما ذكرتَ في أخيك من البكاء. فزوّجوه أمَّ خالد، فبينا هو واضعٌ رأسَه على فخذها إذْ بكى فقالت: لا إله إلا الله، أمَا تنسى أخاك. فأنشأ يقول:

/ أقـولُ لهـا لمـا نَهتْنـي عـن البُكـا ... أفـي مـالـكٍ تَلحَيْننـي أمَّ خـالـدِ ٧٢/١٤

(١) في حـ، أ، م: «تماطه»، وإنما هي بالظاء المعجمة. والمماظة: المنازعة والمخاصمة والمشاتمة.

(٢) الفارك: التي تفرك زوجها، تبغضه.

(٣) كذا في مب وفي حـ، أ: «سلمويه أبي صالح».

(٤) ما عدا ها، مب: «فوقفت» تحريف.

(٥) أ: «معنى». وما عدا حـ، ها: «أعدى الناس». والخبر مختصر في «الإصابة» في ترجمة متمم.

فـإنْ كـان إخـوانـي أصيبـوا وأخطـأتْ | بنـي أمـك اليـومَ الحُتـوف الـرواصـدُ
[٣١٢/١٥] / فكـلُّ بنـي أم سيمُـونَ ليلـةً | ولـم يَبـقَ مـن أعيـانِهـم غيـرُ واحـدِ

خبر نديمي جذيمة الأبرش

أمّا معنى قول متمم:

وكنا كندمانَيْ جذيمة حِقبة

فإنّه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك، وهو جذيمة [بن مالك][1] بن فهم[2] بن غانم بن دوس بن عُدثان[3] الأسْديّ[4].

وكان الخبر في ذلك ما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، عن محمد بن حبيب. وذكر ابن الكلبي عن أبيه والشرقيّ وغيره من الرواة أن جذيمة الأبرش ـ وأصله من الأزد، وكان أوّل من ملك قُضاعة بالحيرة، وأوّل من حَذَا النعال، وأدلج من الملوك، ورُفع له الشَّمَع[5] ـ قال يوماً لجلسائه: قد ذُكر لي عن غلامٍ من لخم، مُقيم في أخواله من إياد، له ظَرف ولُبٌّ، فلو بعثتَ إليه يكون في نِدماني، وولّيته كأسي والقيامَ بمجلسي، كانَ الرأي. فقالوا: الرأي ما رأى الملكُ، فليبعَثْ إليه. ففعل فلما قدم فَعل به ما أراد له، فمكث كذلك مدّة طويلةً ثم أشرفَتْ عليه يوماً رَقاشِ ابنةُ الملك، أختُ جذيمة، فلم تزلْ تراسلُه حتّى اتصل بينهما، ثم قالت له: يا عديّ، إذا سقيتَ القوم فامزجْ لهم واسقِ الملك صِرفاً، فإذا أخذتْ منه الخمر فاخطُبني إليه فإنّه يزوّجك، وأشهد القومَ عليه / إنْ هو فعل. ففعل الغلام ذلك فخطبَها فزوّجه، وانصرف الغلامُ بالخبر إليها فقالت: عرِّسْ بأهلك. ففعل فلما أصبحَ غدَا مضرَّجاً بالخَلُوق، فقال له جذيمة: ما هذه الآثارُ يا عديّ؟ قال: آثار العُرس. قال: أيُ عرس؟ قال: عرس رَقاشِ. قال: فنخَرَ وأكبَّ على الأرض، ورفع عديٌّ جراميزه، فأسرع جذيمةُ في طلبه فلم يحسسْهُ[6]، وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته: [٣١٣/١٥]

حَـدّثينـي رَقـاشِ لا تكـذِبينـي | أبحُـرٍّ زنيـتِ أم بهجيـنِ[7]
أم بعبـدٍ فـأنـتِ أهـلٌ لعبـدٍ | أم بِـدُونٍ فـأنـت أهـلٌ لـدونِ

قالت: بل زوّجْتني أمرأ عربياً. فنقلها جذيمة وحصّنها في قصره، واشتملت على حَملٍ فولدت منه غلاماً

---

(١) التكملة من كتاب «أسماء المغتالين» لابن حبيب و«الاشتقاق» ٢٩١ و«العمدة» (٢: ١٧٨) و«المعارف» ٢٧٩، ٢٨١ و«مروج الذهب» (٢: ٩٠).

(٢) في الأصول: «فهر»، صوابه من «كتاب ابن حبيب» و«العمدة» و«الاشتقاق».

(٣) حـ: «عوثان» ها «غوثان» وفي سائر النسخ ما عدا مب: «عدنان» والوجه ما أثبت من مب و«كتاب ابن حبيب» و«الاشتقاق».

(٤) الأسدي، بسكون السين. والأسد لغة في الأزد، بل هو بالسين أفصح كما في «اللسان». وفي ها ومب و«كتاب ابن حبيب»: «الأزدي».

(٥) ت، س: «وصنع له الشمع». وما في سائر النسخ يطابق ما أثبت من المعارف.

(٦) في «مروج الذهب»: «فلم يجده».

(٧) بدله في «مروج الذهب»:

أنـت زوجتنـي ومـا كنـت أدري | وأتـانـي النسـاء للتـزيـيـن
ذاك مـن شـربـك المـدامـة صـرفـا | وتمـاديـك فـي الصبـا والمجـون

وسمّته عمراً وربّته، فلما ترعرع حلّته وعطّرته وألبسته كُسوةَ مثله[١]، ثم أرته خالَه فأعجبَ به، وألقيتْ عليه منه مَحبّةٌ ومودّة، حتّى إذا وَصُف[٢] خرجَ الغلمان يجتنون الكمأة في سنةٍ قد أكمأت، وخرجَ معهم، وقد خرج جذيمة فبسِط له في روضةٍ، فكان الغلمانُ إذا أصابوا الكمأة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خبّأها، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يقدُمهم ويقول:

هــــذا جنــــايَ وخِيــــاره فيــــه ... إذ كــــلُّ جــــانٍ يــــده إلــــى فيــــه

فالتزمه جذيمةُ وحبّاه وقرّبَ من قلبه، وحلّ منه بكلّ مكان. ثم إنّ الجن استطارته، فلم يزلْ جذيمةُ يرسِل في الآفاق في طلبِه فلم يُسمَع له بخبر، فكفّ / عنه. ثم أقبل رجلانِ يقال لأحدهما عَقيل والآخر مالك، ابنا فالج، [١٥/٣١٤] وهما يريدان الملكَ بهدية، فنزلا على ماء ومعهما قينةٌ يقال لها أمّ عمرو، فنصبَتْ قدراً وأصلحت طعاماً، فبينما هما يأكلانِ إذْ أقبل رجلٌ أشعثُ أغبر، قد طالت أظفارُه وساءت حاله، حتّى جلس مَزْجَرَ الكلب، فمدّ يدَه فناولتْه شيئاً / ٧٣/١٤ فأكله، ثم مدّ يده فقالت: «إن يُعطَ العبدُ كُراعاً يتّسع ذراعاً»[٣] فأرسلَتْها مثلاً. ثم ناولتْ صاحبيها من شرابها وأوكأت دَنَّها، فقال عمرو بن عديّ:

صوت

صَــــددتِ الكــــأسَ عنــــا أمَّ عمــــرٍو ... وكــــان الكــــأسُ مَجــــراهــــا اليمينــــا

ومــــا شــــرُّ الثــــلاثــــة أمَّ عمــــرو ... بصــــاحِبِــــك الــــذي لا تَصبَحينــــا

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق في «كتابه الكبير». وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب[٤].

وأخبرنا اليزيدي قال: حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانيّ قال: حدّثنا حفص بن عمرو، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش[٥]، أنّ هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب في ربيعة بن نصرٍ اللخمي.

(١) في «مروج الذهب»: «كسوة فاخرة».

(٢) كذا على الصواب في حـ، ها، مب، يقال وصف الغلام بضم الصاد، وأوصف أيضاً، إذا شب، فهو غلام وصيف، والأنثى وصيفة. وفي سائر النسخ: «وصب»، تحريف.

(٣) في «مروج الذهب»: «طلب ذراعاً».

(٤) بل الأصح في نسبتهما أنهما لعمرو بن كلثوم في معلقته.

(٥) في الأصول: «عن ابن عباس»، وإنما هو: «ابن عياش» وهو عبدالله بن عياش المنتوف، ترجم له في «لسان الميزان» (٣ : ٣٢٢)، وذكر أن الهيثم بن عدي يروى عنه، وأنه كان ينادم المنصور ويجترىء عليه ويضحكه. وكذا ذكر في ترجمة الهيثم بن عدي أنه يروي عن عبد الله بن عياش.

[١٥/٣١٥] /

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان: ومن أنت؟ فقال: «إن تنكراني أو تنكرا نسبي، فإنّني عمرو وعديّ أبي»(١)، فقاما إليه فلثماه، وغسَلا رأسه وقلَّما أظفاره، وقصّرا من لِمَّتِه، وألبساه من طرائفِ ثيابهما وقالا: ما كُنا لنهديَ إلى الملك هديّةً أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صَفَدا(٢) من ابن أخته، فقد ردّه الله عز وجل إليه. فخرجا حتّى إذا دَفَعا إلى باب الملك(٣) بشّراه به، فصرفَه إلى أمّه، فألبسَتْه ثياباً من ثياب الملوك، وجعلَتْ في عنقه طوقاً كانت تُلبِسه إيّاه وهو صغير، وأمرَتْه بالدخول على خاله، فلما رآهُ قال: «شبَّ عَمرٌو عن الطوق» فأرسلَها مثلاً. وقال للرجلين اللذين قدما به: احكما فلكما حكمكما. قالا: منادمتُك ما بقيتَ وبَقِينا. قال: ذلك لكما. فهما نديما جذيمةَ اللذان ذكرهما متمّم، وضَربت بهما الشعراءُ المَثل. قالَ أبو خِراشٍ الهذَلي:

ألـــم تَعلمـــي أنْ قـــد تفـــرَّقَ قبلنـــا ... خليـــلاَ صفـــاءٍ مـــالـــكٌ وعقيـــلُ

قال ابن حبيب في خبره(٤): وكان جذيمةُ من أفضل الملوك رأياً، وأبعدِهم مُغاراً، وأشدِّهم نكاية، وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق، وكانت منازلُه ما بين الأنبار وبقّة وهِيت وعَين التمر، وأطراف البر والقُطقطانة(٥) والحيرة، فقَصد في جموعه / عمرو بن الظَّرِب بن حسان(٦) بن أذينة بن السميدع بن هَوبر(٧) [١٥/٣١٦] العاملي، من عاملة العماليق(٨)، فجمَع عمرو جموعَه ولقيه، فقتله جذيمةُ وفضَّ جموعه، فانفلُّوا(٩) وملّكوا عليهم ابنتَه الزبّاء، وكانت من أحزمِ الناس، فخافت أن تغزوَها ملوكُ العرب فاتّخذتْ لنفسها نَفَقاً في حصنٍ كان لها على شاطىء الفرات، وسَكَرت(١٠) الفراتَ في وقت قِلّة الماء، وبنتْ أزجاً(١١) من الآجُرّ والكِلْس، متصلاً بذلك النفق،

(١) جاء هذا الكلام في الأصول على هيئة الشعر، ولا يتقيم وزنه، وفي «مروج الذهب»: «إن تنكراني فلن تنكرا حسبي، أنا عمرو بن عدي».

(٢) الصفد، بالفتح، وبالتحريك: العطية.

(٣) دفعا إلى الباب، بالبناء للمعلوم والمجهول: انتهيا إليه. وفي الأصول ما عدا ها، مب: «رفعا».

(٤) هذا الخبر، هو فاتحة كتاب «أسماء المغتالين من الأشراف لابن حبيب»، نسخة دار الكتب المصرية.

(٥) القطقطانة، بضم القافين: موضع قرب الكوفة من جهة البرية. وفي الأصول: «القطقطانية»، صوابه في «كتاب ابن حبيب».

(٦) كذا على الصواب في مب. وفي حـ: «حنان» وسائر النسخ: «حيان»، صوابه في مب و «كتاب ابن حبيب» و «مروج الذهب».

(٧) حـ: «هوبز» وسائر النسخ: «هويز»، محرفتان.

(٨) في معظم الأصول «العمالين» صوابه في مب و «كتاب ابن حبيب» و «مروج الذهب».

(٩) كذا في مب. وانفلوا: انهزموا وانكسروا. وفي أ: «انقلبوا»: رجعوا. حـ: «وأنقلوا» وسائر النسخ: «وأنفلوا».

(١٠) سكر النهر سكراً: سده، وكل شق سد فقد سكر. وفي الأصول ما عدا ها، مب: «وسكنت» صوابه في ها و «كتاب ابن حبيب»

(١١) الأزج: بيت يبنى طولاً. حـ: «أرخا» ها: «أزجاء» وسائر النسخ: «أرحاء» صوابها في مب و «كتاب ابن حبيب».

وجعلت نَفقاً آخر في البرّيّة متصلاً بمدينةٍ لأختها، ثم أجرت الماء عليه، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النَفق. فلما اجتمعَ لها أمرُها واستحكم مُلكها أجمعت على غَزْو جذيمة ثائرةً بأبيها، فقالت لها أختُها وكانت ذاتَ رأيٍ وحزم: إنّكِ إن غزوتِ جذيمة فإنّه امرؤٌ له ما يصدّه، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأرَكِ، وإن ظَفِر بك فلا بقيّة لك، والحربُ سِجال، / ولا تدرين كيفَ تكون[1] ألكِ أم عليك، ولكن ابعثي إليك فأعلميه أنّكِ قد رغبتِ في أن تتزوّجيه وتجمعي ملكَك ٧٤/١٤ إلى ملكه، وسَليه أن يجيبَك إلى ذلك، لأنّه إن اغتر ففعل ظفِرتِ به بلا مُخاطَرة. فكتبت الزباءُ في ذلك إلى جَذيمة تقول له: إنها قد رغِبت في صلة بلدها ببلده، وإنَّها في ضعفٍ من سلطانها، وقلّة ضبطٍ لمملكتها، وإنها لم تجد كفئاً غيره، وتسأله الإقبالَ عليها وجَمْعَ ملكِها إلى مُلكه. فلما / وصلَ ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه، فشاور أصحابَه [١٥/٣١٧ فكلٌّ صوّبَ رأيهُ في قصدها وإجابتها، إلاَّ قصيرَ بنَ سعدِ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال[2] بن نُمارة بن لخم، فقال: هذا رأيٌ فاتر، وغدرٌ حاضر، فإن كانتْ صادقة فلتُقبلْ إليك وإلاّ فلا تمكنْها من نفسك فتقعَ في حبالها وقدْ وتَرتها في أبيها. فلم يوافقْ جذيمةَ ما قال وقال له: «أنت امرؤٌ رأيك في الكِنّ لا في الضِّحّ»[3]. ورحلَ فقال له قصير في طريقه: انصرفْ ودمُك في وجهك. فقال جذيمة: «ببَقَّةَ قُضِيَ الأمر» فأرسلَها مثلاً. ومضى حتّى إذا شارف مدينتهَا قال لقَصير: ما الرأي؟ قال: «ببقّة تركتُ الرأي». قال: فما ظنُّك بالزباء؟ قال: «القولُ رِدافٌ، والحزمُ عَيْرانَةٌ لا تخاف»[4]. واستقبله رسُلها بالهدايا والألطاف فقال: يا قَصير، كيف ترى؟ قال «خَطَر يسير في خطب كبير»[5]، وستلقاك الخيول، فإن سارتْ أمامَك فالمرأةُ صادقة، وإن أخذَتْ في جنبيك وأحاطت بك فالقومُ غادرون. فلقيته الخيولُ فأحاطت به، فقال له قصير: اركبِ العصا فإنّها لا تُدرَك ولا تُسبَق ـ يعني فرساً له كانت تُجنَب ـ قبلَ أن يَحُولوا بينك وبين جنودك. فلم يفعلْ، فجال قصيرٌ في ظهرها فمرّتْ به تعدو في أوّل أصحاب جذيمة. ولما أُحيط بجذيمةَ التفتَ فرأى قصيراً على فرسه العصا في أوّل القوم، فقال: «لَحَازِمٌ مَنْ يُجري العصا[6] في أوّل القوم». فذكر / أبو عبيدة والأصمعي أنها لم تكن تَقِف، حتّى جرت ثلاثين ميلاً، ثم وقفت فبالت هناك، [١٥/٣١٨ فبُني على ذلك الموضع برجٌ يسمّى العصا ـ وأُخِذ جذيمةُ فأُدخِلَ على الزباء فاستقبلْته قد كشفت عن فرجها، فإذا هي قد ضَفَرت الشعر عليه، فقالت: يا جَذِيم أذاتَ عروسٍ تَرى؟ قال: بل أرى مَتاع أمةٍ لَكْعاءَ غيرِ ذاتِ خفر. ثم قال: «بُلغ المَدَى، وجفَّ الثَّرَى، وأمرَ غدرٍ أرى. قالت: والله ما ذلك من عدم مَوَاسٍ[7]، ولا قلة أَواسٍ[8]، ولكنَّها شيمةُ ما أناسٍ[9]؛ ثم قالت لجواريها: خُذْن بعَضُدِ سيِّدِكنَّ. ففعلنَ ثم دعَتْ بِنطعٍ فأجلسنْه عليه، وأمرَتْ برواهشه[10]

---

(١) في الأصول ما عدا ها، مب: «تكونين» تحريف. (٢) عند ابن حبيب: «ابن هليل بن دمى بن نمارة».

(٣) الكن: ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن. والضح: كل ما أصابته الشمس.

(٤) الرداف: جمع ردف، وهو الذي يركب خلف الراكب. والعيرانة: الناقة السريعة في نشاط. أراد أن الحزم يمضي في شأنه في ثقة ولا يعبأ بالقول، بل ربما حطمه. وكلمة «لا» ساقطة من ب، س و «الميداني»، إذ فيها: «عثرانه تخاف»، وفي حـ: «عيران لا يخاف»، وفي م، أ: «عراف لا يخاف».

(٥) في «الميداني»: «خطب يسير في خطب كبير».

(٦) في ب، س: «الحازم». ها، مب: «الحازم ما تجري» وفي سائر الأصول: «ما يجري». وفي «مروج الذهب»: (٢: ٩٤): «ما ضل من تجري به العصا». وفي «الميداني»: «ويل أمه حزما على متن العصا».

(٧) المواسي: جمع موسى التي يحلق الشعر بها.

(٨) الأواسي: جمع آسة، وهي كناية عن الخاتن في لغة أهل البادية.

(٩) هذا ما في حـ و «مروج الذهب». و «ما» فيه زائدة. وفي سائر الأصول: «من أناس».

(١٠) الرواهش: عروق في باطن الذراع.

فقُطعت في طَستٍ من ذهب يسيلُ دمه فيه، وقالت له: يا جَذيم لا يضيعنّ مِن دمك شيءٌ فإنّي أريده للخَبْل[١]. فقال لها: وما يَحزُنكِ من دمٍ أضاعَه أهله. وإنما كان بعضُ الكهّان قال لها: إنْ نقَط من دمه شيءٌ في غير الطست أُدرِكَ بثأره. فلم يزلْ دمُه يجري في الطَّست حتّى ضعُف، فتحرّكَ فنقطت من دمه نُقطة على أسطوانة رخامٍ ومات.

قال: والعرب تتحدّث في أنَّ دماء الملوك شفاءٌ من الخَبْل. قال المتلمس[٢]:

مِـن الـدارِميِّـنَ الـذيـن دمـاؤهـمْ شِفـاءٌ مِـن الـداءِ المجَنَّـةِ والخبـلِ[٣]

[١٥/٣١٩] / قال: وجمعت دمَه في بَرنيّة وجعلته في خِزانتها، ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الحُرّ[٤] التَّنُوخي فقال له: اطلبْ بدم ابن عمك وإلّا سبَّتْك به العرب. فلم يحفِل بذلك فخرج قصيرٌ إلى / عمرو بن عديّ ابن أخت جذيمة فقال: هل لك في أن أصرفَ الجنودَ إليك على أن تطلبَ بثأر خالك؟ فجعلَ ذلك له، فأتى القادةَ والأعلامَ فقال لهم: أنتم القادةُ والرؤساء، وعندنا الأموالُ والكنوز. فانصرفَ إليه منهم بشَرٌ كثير، فالتقى بعمرٍو التنوخي فلما صافُّوا القتال[٥] تابَعَه التوخي ومالك بن عمرو بن عديّ، فقال له قصير: انظرْ ما وعدتَني في الزباء. فقال: وكيف وهي أمنعُ من عُقاب الجوّ؟ فقال: أمّا إذْ أبيتَ فإني جادعٌ أنفي وأذني، ومحتالٌ لقتلها، فأعِنّي وخَلاكَ ذمّ. فقال له عمرو: وأنت أبصَر. فجدعَ قصيرٌ أنفه ثم انطلق حتّى دخل على الزباء فقالت: من أنت؟ قال: أنا قصير، لا وربِّ البشَر ما كان على ظهر الأرض أحدٌ أنصحَ لخدمته منّي ولا أغشَّ لكِ حتّى جدَع عمرو بن عديّ أنفي وأذني، فعرفتُ أنّي لن أكونَ مع أحد أثقلَ عليه منك. فقالت: أيْ قصيرُ نقبَل ذلك منك، ونصرِّ لك في بِضاعتنا. وأعطتْه مالا للتجارة، فأتى بيت مالِ الحيرة فأخذ منه بأمر عديّ ما ظنَّ أنه يُرضيها، وانصرف إليها به، فلما رأت ما جاء به فرحَتْ وزادته، ولم يزلْ حتّى أنستْ به فقال لها: إنه ليس من ملكٍ ولا ملِكة إلّا وقد ينبغي له أن يتّخذ نَفقا يهرُب إليه عند حُدوث حادثة يخافها. فقالت: أمّا أنّي قد فعلتُ واتّخذْت نفقاً تحت سريري هذا، يخرجُ إلى نفَقٍ تحت سرير أختي. وأرتْه إياه، فأظهرَ لها سروراً بذلك، وخرج في تجارته كما كان يفعل، وعرف عمرُو بنُ عديٍّ مافعله، [١٥/٣٢٠] فركب عمرو في ألفَيْ دارعٍ على ألف بعير / في الجَوالِق حتى إذا صاروا إليها تقدّمَ قصيرٌ يسبق الإبل ودخَلَ على الزباء فقال لها: اصعَدي في حائطِ مدينتك فانظُري إلى مالكِ، وتَقدّمي إلى بوّابك فلا يعرضْ لشيءٍ من أعكامنا[٦]، فإني قد جئتُ بمالٍ صامت. وقد كانت أمِنته فلم تكن تتّهمه ولا تخافه، فصعِدت كما أمرها فلما نظَرتْ إلى ثِقل مَشْي الجمال قالت ـ وقيل إنه مصنوع منسوب إليها ـ:

مـــا للجمـــالِ مشيُهـــا وئيـــدا أجنــــدلاً يَحمِلـــنَ أم حـــديـــداً

---

(١) الخبل، بفتح الخاء وضمها، وبالتحريك أيضاً: الجنون أو شبهه.

(٢) في «الحيوان» (٢: ٦) و «عيون الأخبار» (٢: ٧٩) أنه الفرزدق، ولم أجد البيت في أحد «الديوانين». ونسب في «مروج الذهب» إلى البعيث. وفي ها: «قال البعيث»: وأشير في حاشيتها إلى أنه في نسخة أخرى «المتلمس».

(٣) المجنة: الجنون. وفي معظم الأصول: «المحبة» صوابه من ها ومن «الحيوان» و «عيون الأخبار»، و «اللسان» (جنن) و «مقاييس اللغة» (كلب).

(٤) كذا في «الأصول». وفي «الميداني» و «مروج الذهب»: «عبد الجن».

(٥) مب: «خافوا القتال». وفي «مروج الذهب»: «خافوا الفناء».

(٦) الأعكام: جمع عكم، بالكسر، وهو العدل ما دام فيه المتاع.

أم صَـرَفـانـاً بـارداً شـديـدا[١] ... أم الـرجـالُ جُثَّمـا قُعـودا

فلما دخل آخِرُ الجمال نخَس البوّابُ عِكماً من الأعكام بمِنخسةٍ معه، فأصابت خاصرةَ رجلٍ فضَرَط، فقال البوّاب: «شرٌّ والله عكمتم به في الجُوالقات»[٢]. فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدي فضربَها فقتلها، وقيل بل مَصّت خاتمَها وقالت: «بيدي لا بيدِ عَمرو»، وخُربت المدينة وسُبيت الذراريّ، وغنم عمرٌو كلَّ شيء كان لها ولأبيها وأختها، وقال الشعراء في ذلك تَذكُر ما كان من قصيرٍ في مَشُورته على جَذيمة، وفي جدعه أنفَه، فأكثروا. قال عديُّ بن زيد:

[١٥/٣٢١] / ألا يـا أيُّهـا المُثْـري المـرجَّـى ... ألـم تَسمـع بخَطْـب الأوّلينـا[٣]

دَعـا بـالبَقَّـة الأمـراءُ يَـومـا ... جـذيمـةَ ينتحـي عُصَبـا ثُبِينـا[٤]

فطـاوَعَ أمـرَهـم وعصـى قَصيـراً ... وكـان يقـول لـو سَمِـع اليقينـا

وهي طويلة. وقال المتلمس يذكر جَدْع قصيرٍ أنفه:

[٧٦/١٤] / ومِـن حَـذَر الأيـامِ مـا حَـزَّ أنفَـه ... قصيـرٌ وخـاضَ المـوتَ بـالسيـف بيهسُ[٥]

وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكرها.

كان جذيمة ملكاً شاعراً

وكان جَذيمة الملكُ شاعراً، وإنّما قيل له الوضاح لبرصٍ كان به، وكان يُعظِم أن يسمَّى بذلك، فجعل مكانه الأبرشَ والوضّاحَ. وهو الذي يقول:

والمُلـكُ كـان لـذي نُـوا ... سٍ حَـولـه تَـردي يحـابـر[٦]

بـالسـابغـات وبـالقَنـا ... والبِيـض تَبـرق والمَغَـافـر

أزمـانَ لا مُلـكٌ يُجيـ ... ـر ولا ذِمـامَ لمـن يُجـاور

أودَى بهـم غِيـرُ الـزمـا ... نِ فمنجـدٌ منهـم وغـائـر

وهو الذي يقول:

---

(١) الصرفان: الرصاص القلعي، والموت، وبهما فسر بيت الزباء في «اللسان» (صرف)، ثم روى تفسيراً ثالثاً لأبي عبيد، أن الصرفان: ضرب من التمر. قال أبو عبيد: ولم يكن يهدي لها شيء أحب من التمر الصرفان. وأنشد:

ولمـا أتتهـا العيـر قـالـت أبـارد ... مـن التمـر أم هـذا حـديـد وجنـدل

(٢) كذا في حـ، و«سيبويه» لا يجوز هذا الجمع. والجوالق، بضم الجيم يجمع على جوالق بفتحها، وكذلك على جواليق. ما عدا حـ: «في الجواليق».

(٣) في «مروج الذهب»: «أيها الملك المرجى».

(٤) البقة: موضع قرب الحيرة. ينتحي: يقصد. الثبون: جمع ثبة بضم ففتح، وهي الجماعة من الناس. «المروج» و«معجم البلدان»: «ينجوهم» صوابه بالحاء. مب: «عصر ينحوهم ثبينا».

(٥) ويروى: «جز» بالجيم.

(٦) ذو نواس: أحد ملوك اليمن وأذوائهم. «المعارف» ٢٧٧ و«العمدة» (٢: ١٧٧). وفي معظم الأصول: «الذي براش» صوابه في ها ومب و«مروج الذهب». في ب، س: «يزري بجابر»، وفي حـ: «بجابر» وفي «مروج الذهب»: «من ذي بحائر» وأثبت ما في مب.

رُبَّمـــا أوفيـــتُ فـــي عَلَـــم ... تَـــرفَعَـــن ثـــوبـــي شمـــالاتُ(١)

فـــي شبـــابٍ أنـــا رابئهـــم ... هـــمْ لـــدى العَـــورة صِمّـــاتْ(٢)

/ ليـــت شعـــري مـــا أطـــافَ بهـــم ... نحـــن أدلجنـــا وهُـــم بـــاتـــوا [٣٢٢/١٥]

ثُـــمَّ ابنـــا غـــانِميـــنَ وكـــم ... كَـــرَّ نـــاسٌ قبلنـــا مـــاتـــوا

فيه غناء يقال إنه ليمانٍ، ويقال إنّه لمعبد، ولم يصح.

صوت

فـــي كَفِّـــه خَيـــزُرانٌ ريحُـــه عَبِـــقٌ ... مـــن كـــفِّ أروعَ فـــي عِـــرنينـــه شَمَـــمُ

يُغضـــي حيـــاءً ويُغضَـــى مـــن مَهـــابتـــه ... فمـــا يُكلَّـــم إلا حيـــن يبتســـم

الشعر لحزينِ بن سُليمان الدِّيليّ، والغناء لإسحاق، ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش، وفيه لعريب رملٌ عمِلَه على لحن ابن سُريج.



(١) ها، مب: «ترفع الأثواب شملات».

(٢) رابئهم، أي ربيئة لهم يستطلع لهم خبر العدو. وفي الأصول: «رابعهم». العوة: الخلل في الثغر يخاف منه العدو ويخشى. والصمة، بالكسر: الشجاع.

/ أخبار الحزين ونسبه

[١٥/ ٣٢٣]

لقب الحزين ونسبه

ذكر الواقدي أنه من كِنانة وأنّه صَليبة[١]، وأنَّ الحزين لقبٌ غَلَب عليه، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وُهَيب بن مالك - ويكنى أبا الشَعثاء - بن حُرَيث بن جابر بن بُجير[٢] - وهو راعي الشمس الأكبر - بن يعمر بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة.

الحزين شاعر أموي من الهجائين

أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة، عن الواقدي.

قال: وأما عمر بن شبة فإنّه ذكر أنَّ الحزين مولًى، وأنه الحزين بن سليمان، ويكنى سُليمان أبا الشعثاء، ويكنى الحزين أبا الحكم. من شعراء الدولة الأموية حجازيّ مطبوعٌ ليس من فُحول طبقته. وكان هَجّاءً خبيثَ اللسان ساقطاً، يُرضيه اليسير، ويتكسَّب بالشّرّ[٣] وهجاءِ الناس، وليس ممن خَدَم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح، ولا كان يَرِيم الحجاز حتّى مات.

عبد الله بن عبد الملك الذي قال فيه الحزين الشعر

وهذا الشِّعر يقوله الحزينُ في عبد الله بن عبد الملك بن مروان. وكان عبد الله من فِتيان بني أمية وظرفائهم، وكان حسنَ الوجه حسنَ المذهب، وأمُّه أمُّ ولد. وزَوجةُ عبدِ الله رملةُ بنت عبد الله بن عبد الله - وعبد الله هذا هو عبد الحجر[٤] بن عبد المدان بن الديّان[٥] بن قطن بن زياد[٦] بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب / بن الحارث بن عمرو. وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطّلب بن أسَد بن عبد العزى[٧] بن قُصيّ - تزوّجها[٨] لِمَا كان يُقال إنها ناتق في وِلادها[٩]، / فمات عنها ولم تَلدْ[١٠] له، فخلَفه

[١٥/ ٣٢٤] [٧٧/ ١٤]

---

(١) صليبة، أي خالص النسب. يقال عربي صليبة.

(٢) س، ب: «بكر» حـ: «بحير» ها، مب: «بحر» وأثبت ما في سائر النسخ.

(٣) كذا في الأصول. وليس ما يوجب أن تكون «بالشعر».

(٤) كذا في ها. وفي سائر الأصول: «وعبد الله هذا هو عبد الحجر».

(٥) ما عدا حـ، م، ها، مب: «الريان» بالراء في هذا الموضع وتاليه.

(٦) كذا في ها، مب. وفي سائر الأصول: «بن قطر بن الديان».

(٧) في الأصول ما عدا «ها»، مب: «عبد العزيز» تحريف. انظر «الاشتقاق» ٥٧، ١٠١.

(٨) أي تزوج عبد الله بن عبد الملك رملة.

(٩) الناتق والمنتاق: الكثيرة الأولاد. والولاد: الولادة. م: «فاترة في أولادهما». ها، مب: «أنه كائن في أولادها» وفي سائر النسخ: «فاتن». وفي أ أيضاً: «أولادهما».

(١٠) أ، م: «فمات عنهما ولم تلدا».

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى، وبناتٍ.

أخبرني بذلك عُمر[١] بن عبد الله بن جميل العَتَكي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، ويحيى بن علي بن يحيى، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة عن ابن رَوَاحة وغيره. وأخبرني به الطوسيّ والحرمي عن الزبير عن عمه.

خشية عبد الله بن عبد الملك من الحزين

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمي أنّ عبد الله بن عبد الملك حَج؛ فقال له أبوه: سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة، وهو ذَرِب اللسان، فإياك أن تحتجبَ عنه، وأرضِه. وصِفتُه أنّه أشعرُ[٢] ذو بطنٍ عظيمُ الأنف. فلما قدِمَ عبد الله المدينة وصفَه لحاجبه وقال له: إيّاك أن تردّه. فلم يأتِ الحزين حتّى قام فدخَل لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفعَ. فلما ولّى ذَكر فلحقَه فقال: ارجعْ، فاستأذنَ له فأدخلَه، فلما صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءه، وفي يده قضيبُ خيزُران، وقف ساكتاً، فأمهله عبدُ الله حتّى ظنّ أنه قد أراح ثم قال له: السلامُ رحمك اللهُ أوّلاً. فقال: عليك السلامُ وحَيّا الله وجهكَ وجهَك أيُّها الأمير، إنّي قد كنت مدحتُك بشعر، فلما دخلتُ عليك ورأيت جمالَك / وبهاءَك أذهلَني عنه فأُنسيتُ ما كنتُ قلتُه، وقد قلتُ في مقامي هذا بيتين. فقال: ما هما؟ [١٥/٣٢٥] قال:

فـي كفّـه خيـزرانٌ ريحُهـا عبِـقٌ ... مـن كـفِّ أروعَ فـي عـرنينـه شمـمُ
يُغضِـي حيـاءً ويُغضَـى مـن مهـابتـه ... فمـا يكلَّـم إلا حيـن يبتسـم

فأجازه فقال: أخدمْني[٣] أصلحك الله، فإنّه لا خادم لي. فقال: اختر أحد هذين الغلامين. فأخذ أحدَهما فقال له عبد الله: أعلينا تُرذِل[٤]، خذ الأكبر.

الخلاف في نسبة بيتين للحزين

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام، التي أوّلها:

هـذا الـذي تعرِف البطحـاءُ وطـأتَـه ... والبيـتُ يعـرفـه والحِـلُّ والحـرم

وهو غلطٌ ممن رواه فيها. وليس هذان البيتان مما يُمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المُتعالَم ما ليسَ لأحد.

حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال: حدّثني محمد بن عمر العدني قال: حدّثني سفيان بن عيينة عن الزهري قال: ما رأيت هاشِمياً أفضلَ من علي بن الحسين.

---

(١) حـ: «عمرو».
(٢) الأشعر: الكثير الشعر.
(٣) أي اجعل لي خادماً.
(٤) أراد تأخذ الرذل، وهو الدون الخسيس.

أخبار في فضل علي بن الحسين

حدّثني محمد قال حدّثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدّثنا جرير بن المغيرة قال: كان علي بن الحسين يُبَخَّل، فلما مات وجدُوه يَعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة.

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن معرّس قال حدّثنا محمد بن ميمون قال حدّثنا سفيان عن ابن أبـي حمزة الثُّماليّ قال:

كان علي بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول: «إنّ صدقة اللَّيْل تطفىء غضبَ الربّ».

/ حدّثني أبو عبد الله الصَّيرفي قال حدّثنا الفضل بن الحسين[1] المصري قال: حدّثنا أحمد بن سليمان قال [٣٢٦/١٥] حدّثنا ابن عائشة قال: حدّثنا سعد بن عامر، عن جويرية بن أسماء، عن نافع قال:

قال علي بن الحسين: ما أكلتُ بقرابتي من رسول الله ﷺ شيئاً قطّ.

حدّثنا الحسن بن علي قال: حدّثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدّثني إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدّثنا يونس بن بكير، عن / محمد بن إسحاق قال: ٧٨/١٤

كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يَدرون مِن أين عَيْشُهم، فلما مات علي بن الحسين فَقَدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل.

الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها، فحدّثني بها أحمد بن محمد بن الجعد، ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدّثنا ابن عائشة قال:

حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه، ومعه رؤساءُ أهل الشام، فجهِد أن يستلم الحجَر فلم يقدِر من ازدحام الناس، فنُصِب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسنُ الناس وجهاً، وأنظفُهم ثوباً، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجرَ الأسود تنحّى الناس كلُّهم وأخلَوْا له الحَجر ليستلمه، هيبةً وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه، فقال رجل لهشام: مَن هذا أصلح الله الأمير؟ قال: لا أعرفه، وكان به عارفاً، ولكنه خافَ أن / يَرغَب فيه أهل الشام ويَسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كلّه [٣٢٧/١٥] حاضراً: أنا أعرِفه، فسَلْني يا شاميّ. قال: ومن هو؟ قال:

هـذا الـذي تعـرفُ البطحـاء وطـأتَـه ... والبيـتُ يعـرِفـه والحِـلُّ والحـرم
هـذا ابـنُ خيـرِ عبـاد الله كلِّهـم ... هـذا التقـيُّ النقـيُّ الطـاهـر العلم
إذا رأتـه قـريـشٌ قـال قـائلهـا ... إلـى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرم
يكـاد يُمسِكـه عِـرفـانَ راحتـه ... رُكـنُ الحطيـم إذا مـا جـاء يستلـمُ
فليـس قـولُـك مَـن هـذا بضـائِـرِه ... العَـرب تعـرِف مـن أنكـرتَ والعجـم

(١) حـ: «الحسن».

أيُّ الخلائق ليست في رقابهم لأوّليّة هذا أو له نِعَم[١]

مَن يعرف الله يعرفْ أوّليّةَ ذا فالدِّينُ من بيتِ هذا ناله الأمم

حبس هشام للفرزدق بسبب مديحه للحسين ثم عفوه عنه

فحبسه هشام فقال الفرزدق:

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوبُ الناس يَهوي مُنيبها

يُقلِّب رأساً لم يكن رأسَ سيدٍ وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها

فبعث إليه هشامٌ فأخرجه، ووجّه إليه عليُّ بن الحسين عشرةَ آلاف درهم وقال: اعذِرْ يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصَلْناك به. فردّها وقال: ما قلت ما كانَ إلا لله، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئاً. فقال له علي: قد رأى الله مكانَكَ فشكرك، ولكنا أهلُ بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه. فأقسم عليه فقبِلها.

الخلاف في نسبة الشعر السالف

ومن الناس أيضاً من يروي هذه الأبياتَ لداود بن سَلْم في قُثَم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه؛ فهي في روايته:

[١٥/٣٢٨] / كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ يَرجُوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ

أيُّ العمائر[٢] ليست في رقابهمُ لأوّليّةِ هذا أوْ له نِعَم

في كفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ من كفِّ أروعَ في عِرنينه شمم

يُغضِي حياء ويُغضَى من مهابته فما يُكلَّم إلا حينَ يبتسِم

٧٩/١٤ / وممن ذكر لنا ذلك الصولي عن الغلابي[٣] عن مَهديّ بن سابق، أنَّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل في شعره في علي بن الحسين عليه السلام.

وذكر الرياشي عن الأصمعي أنّ رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال:

يكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتِه رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلمُ

كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ في الناس يا قثمَ الخيراتِ يا قثم

فأمر له بجائزة سنية.

والصحيح أنّها للحزين في عبد الله بن عبد الملك. وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات. وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة، تنبيء عن نفسها، وهي:

الله يعلمُ أنْ قد جُبت ذا يمنٍ ثمّ العراقَين لا يَثنيني السَّأَمُ

ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفلَها كذاك تَسري على الأهوال بي القدمُ

---

(١) الأوّلية: مفاخر الآباء والأجداد. والمراد أصحاب المفاخر من آبائه. انظر «اللسان» (وأل).

(٢) العمائر: جمع عمارة، وهي الحي العظيم، أو هي أصغر من القبيلة.

(٣) كذا في أ، م، ها، مب. وفي حـ: «العلاء» وسائر النسخ: «العلائي».

ثــم المـــواســمَ قـــد أوطنتُهـــا زمنـــاً — وحيــث تُحلَــقُ عنــد الجمــرة اللِّمَــمُ
قـــالـــوا دِمشـــقُ يُنبِّيــك الخبيـــرُ بهـــا — ثـــم ائـــتِ مصـــرَ فثَـــمَّ النـــائـــلُ الغَمَـــم
لمَّـا وقفـت عليهـا فـي الجمـوع ضُحًـى — وقـــد تعـــرَّضَـــتِ الحجّـــابُ والخَـــدَمُ
/ حَيّيتــه بسَــلام وهـــو مـــرتفـــقٌ — وضَجَّـــةُ القـــوم عنـــد البـــاب تَـــزدحـــمُ [٣٢٩/١٥]
فـــي كفِّـــه خيـــزُران ريحُهـــا عِبـــقٌ — مـــن كـــفِّ أروعَ، فـــي عِـــرنينــه شممُ
يُغضِـي حيــاءً ويُغضَــى مِــنْ مهــابتــه — فمـــا يكلَّـــم إلاّ حيـــنَ يبتســـمُ
تـــرى رءوسَ بنـــي مَـــرْوانَ خـــاضعـــةً — يمشُـــون حـــولَ ركـــابَيـــهِ ومـــا ظلمـــوا
إنْ هـــشَّ هشُّـــوا لـــه واستبشَـــروا جـــذَلا — وإنْ هـــمُ آنســـوا إعـــراضَـــه وجَمـــوا[١]
كلتـــا يـــديـــه ربيـــعٌ عنـــد ذي خُلُـــفٍ — بحـــرٌ يَفيـــض وهـــادِي عـــارضٍ هِـــزم[٢]

ومن الناس من يقول: إن الحزينَ قالها في عبد العزيز بن مروان، لذكره دمشق ومصر. وقد كان ثَمّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضاً في مصر، والحزين بها.

وفود الحزين على عبد الله بن عبد الملك وإهداؤه غلاماً له

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد العزيز بن عمران[٣] الزهري قال:

وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك، وفي الرقيق أخَوان، فقال عبدُ الله للحزين: أيُّ الرقيق أعجبُ إليك؟ قال: ليخترْ لي الأمير. قال عبد الله: قد رضيتُ لك هذا ـ لأحدهما ـ فإنّي رأيتُه حسنَ الصلاح. قال الحزين: لا حاجة لي به فأعطني أخاه. فأعطاه إياه. قال: والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز، وتميم أبو محمد بن تميم، وهو الذي اختاره الحزين. قال: فقال في عبد الله يمدحه:

الله يعلم أنْ قد حيَّيت ذا يمن[٤]

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل.

/ خبر الحزين مع صفوان الطائف [٣٣٠/١٥]

أخبرني وكيع عن محمد بن علي بن حمزة العلوي قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ، عن أبي عبيدة قال:

كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان، مولى لآلِ مَخرمةَ بن نوفل، فجاء الحزينُ الدِّيلي إلى شيخٍ من أهل المدينة فاستعاره حمارَه[٥] وذهب إلى العقيق فشرِب، وأقبل على الحمار وقد سكِر، فجاء به الحمارُ حتّى وقفَ به

---

(١) حـ، أ، م: «إن يمشي يمشوا» تحريف.
(٢) حـ: «عند ذي خلق». الهادي: المقدّم. والعارض: السحا يعترض الأفق. والهزم: المتبعق الذي لا يستمسك.
(٣) عبد العزيز بن عمران الزهري، ترجم له في «تهذيب التهذيب»، وذكر ممن روى عنه أبا غسان محمد بن يحيى الكناني، م، أ: «بن عمران أن الزهري» وفي سائر النسخ: «بن عمر أن الزهري» والوجه ما أثبت.
(٤) ب، س: «أن قد جبت».
(٥) يقال استعاره ثوباً فأعاره إياه، يتعدى إلى اثنين. مب، ها: «فاستعار». حـ: «فاستماذه» وهذا تحريف.

٨٠/١٤ على باب المسجد / كما كان صاحبُه عوّده إياه، فمرّ به صفوانُ فأخذه فحبسَه وحبسَ الحمار، فأصبح والحمارُ محبوسٌ معه. فأنشأ يقول:

أيـا أهـل المـدينـة خبّـروني ... بـأيّ جـريـرة حُبِـس الحمـارُ
فمـا للعَيـر مـن جُـرمٍ إليكـم ... ومـا بـالعيـر إنْ ظُلِـم انتصـارُ

فرَدُّوا الحمار على صاحبه، وضربوا الحزينَ الحدّ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال:

نشَدْتُـك بـالبيـت الـذي طيـفَ حـولَـه ... وزمـزمَ والبيـتِ الحـرامِ المحجّـبِ
لِـزانيـةٍ صفـوانُ أم لعفيفـةٍ ... لأعلـمَ مـا آتـى ومـا أتجنّـب[١]

فقال مولاه: هو لِزانية. فخرج وهو ينادي: إنّ صفوان ابن الزانية! فتعلّق به صفوانُ فقال: هذا مولاك يشهدُ أنك ابنُ زانية. فخلّى عنه.

نصيحته لابن عم في عدم زواجه له من امرأة وما قال في ذلك

وقال محمد بن علي بن حمزة: وأخبرني الرياشي أنّ ابن عمٍّ للحزين استشارَه في امرأةٍ يتزوّجها، فقال له: إن لها إخوةً مشائيم وقد رَدُّوا عنها غيرَ واحد، وأخشى أن يردّوك فتُطْلِقَ عليك ألسُناً كانت عنكَ خُرْساً. فخطبها ولم يُقْبل منه فردّوه، فقال الحزين:

[١٥/٣٣١] / نهيتُـك عـن أمـرٍ فلـم تقبـل النُّهَـى ... وحـذّرتـك اليـومَ الغُـواةَ الأشـائمـا[٢]
فصـرتَ إلـى مـا لـم أكـنْ منـه آمنـا ... وأشمـتَّ أعـدائـي وأنطقـتَ لائمـا
ومـا بهـمُ مِـن رغبـةٍ عنـك قـلْ لهـم ... فـإن تسـألـونـي تسـألـوا بـيَ عـالمـا[٣]

شعره في هجاء سهيل بن عبد الرحمن ومديح سفيان بن عاصم

وأخبرني عيسى بن الحسن قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني عمر بن سلام مولى عمر بن الجعّاب[٥]:

أنّ الحزين الديلي خرجَ مع ابنٍ لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، إلى منتزهٍ لهم، فسكر الحزينُ وانصرف، فبات في الطريق وسُلِب ثيابَه، فأرسل إلى سُهيلٍ يخبره الخبرَ ويستمنحه فلم يمنحْه، وبلغ الخبرُ سفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه، وعوّضه ثمنَ ثيابه، فقال الحزينُ في ذلك:

هَـلاّ سُهيـلاً أشبهـتَ أو بعـض أعمـا ... مـك يـا ذا الخـلائـقِ الشكِـسَـه[٦]

---

(١) في البيت إقواء.
(٢) النهي: جمع نهية، بالضم، وهي اسم من النهي.
(٣) في بعض الأصول: «تسألوني عالماً».
(٤) ب، س: «الساعي» مب: «السامي».
(٥) مب، ها: «مولى عمر بن الخطاب».
(٦) ما، في هذا زائدة.

ضيَّعتَ نَدمانك الكريمَ ولم تُشْـ ـفِقْ عليه من ليلةٍ نَحِسه
ثم تعاللتَ إذْ أتاك له صُبحاً رسولٌ بعِلّة طفِسه[1]
لكنّ سفيانَ لم يكن وَكَلاً لمّا أتتنا صِلاتُه سلِسه[2]
سما به أروعٌ ونفسُ فتًى أروعَ ليست كنفسك الدنِسة

هجاؤه لبني كعب حين ضحكوا عليه

[١٥/ ٣٣٢]

حدّثنا الصولي قال: حدّثنا ثعلب قال حدّثني عبد الله بن شبيب قال:

مرّ الحزين الدِّيلي على مجلسٍ لبني كعب بن خُزاعة وهو سكران، فضحكوا عليه، فوقف عليهم وقال:

لا باركَ اللهُ في كعبٍ ومجلِسهم ماذا تجمَّعَ من لؤمٍ ومن ضَرَعِ[3]
لا يدرُسون كتابَ الله بينهمُ ولا يصومون من حِرص على الشِّبعِ

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه، وسألوه الكفَّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله، فأجابهم وانصرف.

الحزين يضرب على كل قرشي درهمين ويأبى إلا أن يهجو كثيراً

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا عمرو[4] بن أبي بكر المؤمّلي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال:

كان الحزين قد ضرب على كلِّ رجلٍ من قريش / درهمين درهمين في كلِّ شهر، منهم ابن أبي عَتيق، فجاءهُ لأخذ دِرهميه وهو على حمارٍ أعجفَ، قال: وكثيّر مع ابن أبي عتيق، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين: مَن هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيرّ بن أبي جمعة. قال: وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوَه ببيت؟ قال: لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي، ولكن أشتري عرضَه منك بدرهمين آخرين. ودعا له بهما، فأصغَى ثم قال: لا بدَّ لي من هجائه ببيت. قال: أوَ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال: ما أنا بتارِكه حتّى أهجوَه. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ فقال له كثير: ائذن له، وما عسى أن يقول فيّ؟! فأذن له ابن أبي عتيق فقال:

81 / 14

/ قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يَعَضُّ القُرادُ باستهِ وهو قائمُ

[١٥/ ٣٣٣]

شجاره مع كثير

فوثب كثيّر إليه فوكَزه[5] فسقط هو والحمار، وخلّص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير: قَبّحك الله أتأذن له وتبسطَ إليه يدَك. قال كثيّر: وأنا ظننته يبلغ في هذا كلِّه في بيتٍ واحد!.

ولكثير مع الحزين أخبار أخَر قد ذُكرت في أخبار كثيّر.

---

(١) الطفسة: القذرة.

(٢) الوكل، بالتحريك: الضعيف العاجز الذي يتكل على غيره.

(٣) الضرع: الذل والمهانة.

(٤) حـ، مب، ها: «عمر».

(٥) وكزه: دفعه وضربه. مب، ها، ف: «فلكزه». حـ، أ، م: «فذكره»، وهذه محرفة.

جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة

أخبرني الحرمي قال: حدّثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال: حدّثني ابن عُروة[1] بن أذينة قال:

كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ، وكان كثيراً ما يأتيه، وكان بالمدينة قَينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها، فبِيعت وأُخرجت عن المدينة، فأتى الحزينُ أبي وهو كئيبٌ حزين كاتمه، فقال له أبي: مالك يا أبا حكيم؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر:

لعمري لئن كانَ الفؤادُ من الهوى ... بَغَى سقَماً إني إذاً لسقيمُ[2]

سألت حكيماً أين شطَّت بها النوى ... فخبَّرني ما لا أحبُّ حكيم

فقال له أبي: أنت مجنونٌ إن أقمتَ على هذا.

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني مصعب، قال:

[١٥/٣٣٤] / مديحه لجعفر بن محمد حين كساه ليزور عبد الله بن عبد الملك

مرَّ الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبدَ الله بن نوفل بن الحارث، وعليه أطمارٌ، فقال له: يا ابنَ أبي الشعثاء، إلى أين أصبحتَ غادياً؟ قال: أمتع الله بك، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرَّةَ يريد الحجّ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأحسنَ إليّ. قال: أفما وجدتَ شيئاً تلبسُه غير هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة فلم يُعِرني أحد منهم غير هذه الثياب. فدعا جعفرٌ غلاماً فقال: ائتني بجبّة صوف، وقميصٍ ورداء. فجاءه بذلك فقال: أَبلِ وأخلِقْ. فلما ولّى الحزينُ قال جُلساء جعفرٍ له: ما صنعتَ؟! إنّه يَعمِد إلى هذه الثياب التي كسوتَه إيّاها فيبيعها، ويُفسد بثمنها. قال: ما أبالي إذا كافأتُه بثيابه ما صنعَ بها. فسمع الحزينُ قولَهم وما ردَّ عليهم، ومضى حتّى أتى عبدَ الله بن عبد الملك فأحسنَ إليه وكساه. فلما أصبح الحزينُ أتى جعفراً ومعه القومُ الذين لاموه بالأمس وأنشده:

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّدٍ ... إلى المجد حتّى عَبهلَتْه عواذله[3]

وقُلن له هلْ مِن طريفٍ وتالدٍ ... من المال إلاّ أنتَ في الحقّ باذله[4]

يُحاولنَه عن شيمةٍ قد عِلمنَها ... وفي نفسه أمرٌ كريمٌ يُحاوله[5]

/ ثم قال له: بأبي أنتَ وأميّ، سمعتُ ما قالوا وما رددتَ عليهم. ٨٢/١٤

هجاؤه لأبي بعرة

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

---

(١) ما عدا حـ، مب، «ابن أبي عروة»، محرف.

(٢) بعاه يبعوه ويبعيه: أصاب منه ونال. قال:

صحا القلب بعد الإلف وارتد شأوه ... وردت عليه ما بعته تماضر

حـ: «نعي» أ، م: «نفى»، صوابهما في س، ب. مب، ها، ف: «بغى».

(٣) عبهلته: تركته وأهملته. ف، مب: «جهلته».

(٤) الحق: واحد الحقوق، ما يحق على المرء ويجب.

(٥) في «الأصول» ما عدا مب، ها، ف: «قد علمتها» بالتاء.

صحبَ الحزينُ رجلاً من بني عامر بن لؤيّ يلقب أبا بعرة، وكان استُعمِل على سِعاياتٍ فلم يصنعْ إليه خيراً[١]، وكان قد صحب قبله عَمرو بن مُساحق وسعد بن نوفل[٢] فأحمدهما[٣]، فقال له:

/ صحبتُك عاماً بعد سَعدِ بن نوفلٍ ... وعمرٍو فما أشبهتَ سعداً ولا عمراً [١٥/٣٣٥]

وجاداً كما قصّرت في طلب العلا ... فحُزتَ به ذمًّا وحازا به شكرا

أبو بعرة وابن أبي عتيق

قال: وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث[٤] بجاريةٍ لابن أبي عتيق، فشكته إليه فقال لها: عِديه فإذا جاءكِ فأدخِليه إليّ. ففعلَتْ فأدخلته عليه، وهو وشيخ من نظرائه جالسان في حَجَلة[٥]، فلما رآهما قال: أقسم بالله ما اجتمعتما إلّا على ريبة. فقال له ابن أبي عتيق: استُر علينا سترَ الله عليك.

قال: وآل أبي بعرة هم موالي آل أبي سمير. قال: فلما ولِيَ المهديُّ باعوا ولاءهم منه.

بقية هجاء الحزين لأبي بعرة

قال الزبير: وأنشدني عمي تمامَ الأبياتِ التي هجا بها أبا بعرة ـ وسمّاه لي فقال: وكان اسمه عيسى ـ وهي:

أولاكَ الجِعادُ البيضُ من آل مالكٍ ... وأنتم بنو قَينٍ لحِقتم به نَزْرا

ـ نصب «نزرا» على الحال، كأنه قال: لحقتم به نزراً قليلاً من الرجال ـ

نسوق بيعورا أميراً كأنما ... نَسوق به في كلِّ مَجمعةٍ وَبرا[٦]

فإن يكن البيعور ذمَّ رفيقَه ... فقد كانت إمارتُه نكرا[٧]

ومتَّبع البيعور يرجُو نوالَه ... فقد زاده البيعورُ في فَقرِه فقرا[٧]

/ أخبرني الحرمي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني صالح، عن عامر بن صالح قال: [١٥/٣٣٦]

مدح الحزينُ عمرو بن عمرو بن الزبير فلم يُعطِه شيئاً.

هجاء الحزين لعمرو بن عمرو بن الزبير

وأخبرني بهذا الخبر عمي تامًّا واللفظ له، ولم يذكر الزبير منه إلّا يسيراً، قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثنا العمري قال: حدّثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال:

---

(١) السعاية: العمل على الصدقات. ب، س: «فلم يصنع معه خيراً».

(٢) حـ، أ، م: «عمرو بن مساحق» فقط.

(٣) أحمد فلاناً: رضي فعله ومذهبه. ب، س: «فحمدها»، وسائر النسخ: «فأحمدهما».

(٤) في جمهور الأصول: «يبعث»، والوجه ما أثبت من مب، ها، ف.

(٥) الحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب.

(٦) كذا في م، مب. وهو عبث باسمه «أبو بعرة». وفي حـ، أ: «بيغورا» وفي ها، ف: «بيقورا» وفي س، ب: «بغبور»، وبغبور، بالضم: لقب ملك الصين، وليس مراداً. ف «دبرا». وفي سائر النسخ ما عدا مب: «زبرا» تحريف. والوبر: دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء، يشبه بها الرجل تحقيراً له. انظر «اللسان» (وبر).

(٧) كذا في م، مب. وفي حـ، أ: «البيغور» وفي ها، ف: «البيقور»، وفي س، ب: «البغبور».

دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوام منزلَه، فامتدحَه وسأله حاجةً، فقال له: ليس إلى ما تطلبُ سبيل، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذيرَ، وما كلُّ مَن سألَنا حاجةً استحقّ أن نقضيها، ولرُبَّ مستحقٍّ لها قد منعناه حاجتَه. فقال الحزين: أفمِنَ المستحقِّين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقًّا لشيءٍ من الخير وأنت تشتم أعراضَ الناس[1] وتهتِك حريمَهم، وترميهم بالمُعضِلات، إنّما المستحق من كفَّ أذاه، وبذل نداه، ووقَمَ أعداه[2]. فقال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تُبعدني لا أمّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول:

حَلفتُ وما صبَرتُ على يمينٍ ... ولو أُدعى إلى أيمان صبرِ[3]
بربِّ الراقصاتِ بشُعثِ قومٍ ... يُوافون الجِمارَ لصُبحِ عشرِ[4]
لَو أنَّ اللؤم كان مع الثريّا ... لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو
ولو أنّي عرفتُ بأنّ عمراً ... حليفُ اللؤم ما ضيَّعتُ شِعري

[٢٣٧/١٥] / **هجاؤه لعمرو بن عمرو ومديحه لمحمد بن مروان**

٨٣/١٤ فقال العمري: وحدّثني لقيطٌ أنّ الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن / الحكم، وجاءه فشكا إليه عَمراً، فوصله وأحسن إليه. قال:

إذا لم يكنْ للمرء فضلٌ يَزينُه ... سِوى ما ادَّعَى يوماً فليس له فَضلُ
وتَلقى الفتى ضخماً جميلاً رُواؤه ... يَرُوعك في النّادي وليس له عقلُ
وآخرُ تنبو العين عنه مهذَّبٌ ... يجود إذا ما الضَّخمُ نَهنَهَهُ البخل
فيا راجياً عمرو بنَ عمرٍو وسَيبَه ... أتعرف عمراً أم أتاهُ بك الجهل[5]
فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطِيءُ الفتى ... وإن كنتَ ذا حزمٍ إذاً حارت النَّبل[6]
جهِلتَ ابنَ عمرو فالتمس سيبَ غيرِه ... ودونك مرمًى ليس في جِدِّه هزلُ
عليك ابنَ مروان الأغرَّ محمداً ... تجِدْه كريماً لا يطِيش له نَبلُ

قال لقيط: فلما أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشِّعرَ أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له: اكفُف يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك. فقال: لا والله ولا بحُمْرِ النَّعَم وسُودِها، لو أُعطيتها ما كففتُ عنه، لأنه ما علمتَ كثيرُ الشرّ، قليل الخير، متسلِّط على صديقه، فَظٌّ على أهله. «وخير ابن عمرو بالثريا معلق».

استثاره محمد بن مروان فهجا عمرو بن عمرو

فقال له محمد بن مروان: هذا شعر. فقال: بعد ساعةٍ يصير شعراً، ولو شئت لعجّلته. ثم قال:

---

(١) بعده سقط في مب، ما ينتهي في ص ٣٤٠.

(٢) الوقم: الإذلال والقهر. ما عدا حـ: «وأرغم أعداه».

(٣) ف: «حلفت يمين صبر».

(٤) الراقصات: الإبل ترقص في سيرها، وهو ضرب من الخبب. شعث: جمع أشعث. ما عدا حـ: «بشعب قوم» تحريف.

(٥) أي أتى بك الجهل إليه.

(٦) كذا في م، أي ضلت سهامك سبيل القصد. وفي أ: «حازت». وفي سائر النسخ: «جازت».

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرٌ لصديقه وخَيرُ ابن عمرٍو بالثريّا معلّقُ
ووجهُ ابن عمرٍو باسرٌ إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفّق[1]
/ فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدَتْ كتائبُ هيجاء المنيّة تبرق[2] [١٥/٣٣٨]
فلا زال عمرٌو للبلايا دريّةً تباكِره حتّى يموت وتطرُقُ[3]
يهزّ هريرَ الكلب عمرٌو إذا رأى طعاماً فما ينفكّ يبكي ويَشهَقُ

قال: فزجره محمد عنه، وقال له: أفٌّ لك، قد أكثرتَ الهجاء، وأبلغت في الشّتيمة.

أبيات أخرى في هجائه لعمرو بن عمرو

قال العمري: وحدّثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي، قال: قال الحزين الدّيلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمرٍو بماجدٍ ولكنّه كزُّ اليدينِ بخيلُ
ينام عن التقوى ويُوقظه الخنا فيخبطُ أثناءَ الظلام يجولُ[4]
فلا خَير في عمرٍو لجارٍ ولا له ذِمامٌ ولكنْ للئام وصولُ[5]
مواعيدُ عمرٍو تُرَّهاتٌ ووجهُه على كلّ ما قد قلت فيه دليل
جبانٌ وفحّاشٌ لئيمٌ مذمّمٌ وأكذبُ خلقِ الله حين يقول
كلام ابنِ عمرٍو صُوفةٌ وسطَ بَلقعٍ وكفُّ ابنِ عمرٍو في الرّخاء تطول[6]
[وإنْ حَزَبتهُ الحازباتُ تَشنَّجتْ يداه ورمحٌ في الهَياج كليلُ][7]

تعليق عروة بن أذينة على هذا الهجاء

فبلغ شعرُه عمراً فقال: ما له لعنَه الله ولعن مَن ولده، لقد هجاني بنيّةٍ صادقة ولسان صَنَع ذَلق، وما عدَاني إلى غيري. قال: فلقي الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات فقال له: وَيْحك، بعضُها كان يكفيك، فقد بنيتَها ولم تُقِمْ / أوَدَها، وداخَلْتها وجعلتَ معانيَها في أكْمتها. قال الحزين: ذلك والله أرغبُ لِلناس فيها. فقال له [١٥/٣٣٩] عروة: خيرُ الناس من حَلُم عن / الجهّال، وما أراه إلا قد حَلم عنك. فقال الحزين: حلُم والله عنّي شاءَ أو أبى، برغمه وصَغَره[8]. ٨٤/١٤

---

(١) بسر بسورا: كلح.
(٢) في جميع الأصول ما عدا ف: «فنفس الفتى»، تحريف.
(٣) الدرية: مسهل الدريئة، وهي الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها. تطرق: تجيئه ليلاً.
(٤) هذا ما ف. وفي سائر النسخ: «فسول» ولعلها «نسول» من النسلان، وهو الإسراع في المشي.
(٥) ما عدا ف: «فلا بشر من عمرو» تحريف.
(٦) ب، س: «الرخال»، وهي جمع رخل، وهي الأنثى من ولد الضأن.
(٧) التكملة من ف.
(٨) الصغر، بالتحريك: الذل والمهانة.

هجاؤه لبني أسد ما عدا بني مصعب

لقي شُبّانٌ من ولد الزُّبير الحزينَ، فتناولوه بألسنتهم، وهمُّوا بضربه، فحال بينهم وبينه ابنٌ لمُصعب بن الزبير[١]، فقال الحزينُ يهجوهم ويهجو جماعةً من بني أسد بن عبد العُزّى، سِوى بني مصعب الذين منعوهم منه، قال:

لحا الله حيًّا من قُريشٍ تحالفوا ... على البُخل بالمعروف والجودِ بالنُّكْرِ
فصاروا لخلق اللهِ في اللؤم غايةً ... بهم تضرب الأمثال في النثر والشعرِ
فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعباً ... حُمِدتَ ولكنْ أنت منقبضُ البِشْرِ
بني أسدٍ، سادَتْ قريشٌ بجودها ... معدًّا وسادتكُمْ معدٌّ يَدَ الدّهرِ[٢]
تجود قريشٌ بالنَّدى ورضِيتُم ... بني أسد باللُّؤم والذّلّ والغدرِ
أعمرو بنَ عمرٍو، لست ممن تَعدُّه ... قريشٌ إذا ما كاثَروا النَّاسَ بالفخرِ[٣]
أبتَ لك يا عمرو بنَ عمرٍو دناءةٌ ... وخُلقٌ لئيم أن تَريش وأن تَبرِي

هجاؤه لعاصم بن عمرو حين لم يقره

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن الضحاك الحزامي قال: حدّثني أبي قال:

كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنَّزْر إذا أُعطِيَه، ويهجو على مثله إذا مُنِع، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه، فقال يهجوه بقوله:

[١٥/٣٤٠]

/ سِيروا فقد جُنَّ الظّلامُ عليكمُ ... فباسَتِ الذي يرجو القرى عند عاصمِ[٤]
ظَلِلنا عليه وهو كالتَّيس طاعماً ... نَشُدّ على أكبادِنا بالعمائمِ[٥]
ومالي من ذنبٍ إليه علمتُه ... سوى أنَّني قد جِئتُه غيرَ صائمِ

فقيل له: إنّ عاصماً كثيراً ما تسمّي به قريش. فقال: أمَا والله لأبيِّنَنّه لهم فقال:

إليك ابن عثمان بن عفان عاصمِ بـ ... ـنَ عمرٍو وسرَتْ عَنْسِي فخابَ سُراها[٦]
فقد صادفَتْ كزَّ اليدَينِ مبخَّلا ... جباناً إذا ما الحرب شُبَّ لظاها
بخيلاً بما في رحلِه غير أنّهُ ... إذا ما خَلَتْ عِرسُ الخليل أتاها

---

(١) ما عدا ف: «بينهم وبينه مصعب بن الزبير»، تحريف.

(٢) يد الدهر، أي طول الدهر. ب، س: «مدى الدهر»؛ ف: «وسادتكم عليا معد».

(٣) ما عدا ف: «هاتروا الناس». والمعروف في المهاترة أنها المسابة بالباطل من القول.

(٤) يقال للقوم إذا استذلوا واستخف بهم: باست بني فلان، وهو شتم لهم. قال الحطيئة:

فباست بني عبس وأستاه طيىء ... وباست بني دودان حاشا بني نصر

حـ: «فاست» وفي معظم النسخ: «فأنت»، والصواب ما أثبت من ف مطابقاً لما في «البيان» (٣: ١٠٥) و «البخلاء» ١٨٥ ساسي. وقد نسب في البخلاء إلى مصعب بن عمر الليثي.

(٥) في «البيان» و «البخلاء»: «دفعنا إليه وهو كالذيخ خاظياً». ما عدا حـ، ف: «فشد»، تحريف. وكانوا يشدون على أوساطهم بالعمائم عند المجهدة.

(٦) في معظم النسخ: «عيسى»، العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. والأوفق «عنسي» كما أثبت من ف. والعنس: الناقة الصلبة.

قول الحزين لهلال بن يحيى

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: قال الحزين لهلالِ بن يحيى بن طلحة قوله:

هـلالُ بـن يحيى غُـرّةٌ لا خفَـا بهـا ... علـى النـاس فـي عُسـرِ الـزمـان ولا اليُسـرِ
وسعـدُ بـن إبـراهيـمَ ظُفـرٌ مـوسَّـخٌ ... فهـل يستـريـح النـاسُ مـن وسَـخِ الظفـرِ [١]

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وكان وليَ قضاءَ المدينة من هشام بن عبد الملك، فلم يُعطِ الحزينَ شيئاً فهجاه. وقال فيه أيضاً:

أتيـتُ هـلالاً أرتجـي فَضْـلَ سَيبِـه ... فـأفلتَنـي ممّـا أحـبُّ هِـلالُ [٢]
هِـلال بـن يحيـى غُـرّةٌ لا خفـا بهـا ... لكـلِّ أُنـاسٍ غُـرّةٌ وهـلال [٣]

/ صـوت [٣٤١/١٥]

ألـم تَشهـدِ الجـونيـنِ والشِّعـب ذا الصَّفـا ... وكَـرّاتِ قَيـس يـوم دَيْـرِ الجمـاجـم [٤]
/ تحـرَّض يـا بـنَ القَيـن قيسـاً ليَجعلـوا ... لقـومـك يـومـاً مثـلَ يـوم الأراقـم [٥] ٨٥/١٤
بسيـف أبـي رَغْـوان سيـف مُجاشـع ... ضـربـتَ ولـم تَضـربْ بسيـفِ ابـنِ ظـالـمِ
ضـربـتَ بـه عنـد الإمـام فـأُرعِشَـتْ ... يـداك وقـالـوا مُحـدَثٌ غيـر صـارمِ

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، ثقيل أوّل بالبنصر.

جرير يعير الفرزدق بضربة الروم والخبر في ذلك

وهذه الأبياتُ يقولها جريرٌ يهجو الفرزدق، ويعيِّره بضربةٍ ضربَها بسيفه رجلاً من الروم، فحضره سليمان بن عبد الملك فلم يَصنَعْ شيئاً.

فحدّثنا بخبره في ذلك محمَّد بنُ العباس اليزيدي قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا صالح بن سليمان، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة الكنديّ، وكان شيخاً كبيراً، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان، ثم كان من أصحاب المنصور، قال:

كنتُ حاضراً سليمان بن عبد الملك.

---

(١) ف: «متى يستريح».
(٢) حـ، ف: «بما أحب».
(٣) هنا ينتهي سقط مب، ها الذي نبهت عليه في ص ٣٣٦.
(٤) حـ: «ذي الغضا» وفي سائر النسخ: «والغضا» تحريف. وأثبت ما في مب، ها، ف و «الديوان» ٥٦٣ و «النقائض» ٤٠٩. وفي «تفسير النقائض»: «يعني شعب جبلة».
(٥) في الأصول ما عدا مب، ها، ف: «فحرض بابن القين» تحريف. وفي «الديوان» ٥٦١ و «النقائض» ٤٠٠: «تحضض يا ابن القين».

وأخبرنا علي بن سليمان الأخفش واليزيدي عن السكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة، وعن قتادة عن أبي عبيدة في كتاب «النقائض»، عن رؤبة بن العجاج قال:

حجّ سليمان بنُ عبد الملك ومعه الشُّعراءُ، وحججْتُ معهم فمرّ بالمدينة منصرِفاً فأُتيَ بأسرى من الرُّوم نحوٍ من أربعمائة[1]، فقعدَ سليمانُ وعنده عبد الله بن الحسن / بن الحسَن[2] بن علي عليهم السلام، وعليه ثوبان ممصَّران[3]، وهو أقربهم منه مجلساً، فأدنَوْا إليه بِطْرِيقَهم وهو في جامعةٍ[4]، فقال لعبد الله بن الحسن: قُمْ فاضرِب عنقه. فقام فما أعطاه أحدٌ سيفاً حتّى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً، فضربَه فأبانَ عنقَه وذراعَه، وأطَنَّ[5] ساعدَه وبعضَ الغُلّ. فقال له سليمان: اجلسْ فوالله ما ضربتَه بسَيفك ولكن بحَسبك[6]. وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه [وإلى الناس][7] فيقتلونهم، حتّى دفع إلى جريرٍ رجلاً، فدسَّتْ إليه بنو عبس سَيفاً قاطعاً في قِرابٍ أبيض، فضربَه فأبانَ رأسَه، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدسَّت إليه القيسية سيفاً كليلاً، فضربَ به الأسيرَ ضَرَباتٍ فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمانُ وضحِك الناس معه.

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة.

وأمّا سليمان بن أبي شَيخ فإنّه ذكر في خبره أنّ سليمان لما دَفَع إليه الأسير دفعَ إليه سيفاً وقال له: اقتلْه به. فقال: لا بل أضربُه بسيفِ مُجاشِع، واخترط سيفَه فضربَه به فلم يُغْنِ شيئاً، فقال له سليمان: أمَا والله لقد بقيَ عليك عارُها وشنَارُها! فقال جرير قَصيدتَه التي يهجوه فيها، ومنها الصوت المذكور، وأوّلها قوله:

ألَا حَــيِّ رَبْــعَ المنــزلِ المتقــادِمِ ... ومــا حُــلَّ مُــذْ حَلّــتْ بــه أمُّ ســالِــم

وهي طويلة. فقال الفرزدق:

اعتذار الفرزدق عن ضربة الرومي وما قال من الشعر في ذلك

صـوت

فهــل ضَــربــةُ الــرُّومــيِّ جــاعلــةٌ لكــم ... أبــاً عـــن كُليــبٍ أو أبــاً مِثــلَ دارمِ

كــذاك سيــوفُ الهِنــدِ تَنْبــو ظُبــاتُهــا ... وتَقطــعِ أحيــانــاً مَنَــاط التمــائــم

ولا نَقتــلُ الأســرى ولكــنْ نفكُّهــمْ ... إذا أثقَــلَ الأعنــاقَ حمــلُ المَغــارمِ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لابن محرز، ولم يجنّسه.

---

(١) في معظم الأصول: «أربع» وصوابه من مب، ها، ف، و «النقائض» ٣٨٣.

(٢) في معظم الأصول: «الحسين» وصوابه في مب، ها، ف، و «النقائض» و «اتعاظ الحنفاء» ٨.

(٣) ثوب ممصر: مصبوغ بحمرة خفيفة، أو بصفرة خفيفة.

(٤) الجامعة: الغل، لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

(٥) أطنه: قطعه.

(٦) في «النقائض»: «فقال سليمان: والله ما هو من جودة السيف أجاد الضربة، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه».

(٧) التكملة من «النقائض».

وقال يعرِّض بسليمان ويعيِّره بنبوِّ سيفِ ورقاءَ بنِ زهيرٍ العبسيّ عن خالِد بن جعفر ـ وبنو عبسٍ أخوال سليمان ـ قال:

/ فـإنْ يـكُ سيـفٌ خـانَ أو قـدَرٌ أتـى ... بتعجيـلِ نفسٍ حَتْفُهـا غيـر شـاهِـد[1]

فسيـفُ بنـي عَبْـسٍ وقـد ضَـربـوا بـه ... نَبَـا بيـدَيْ وَرقـاءَ عـن رأسِ خـالـدِ

كـذاك سيـوفُ الهنـد تنبـو ظُبـاتُهـا ... وتقطـع أحيـانـاً مَنـاطَ القَـلائـدِ

٥٦
١٤

ورُوِيَ هذا الخبرُ عن عَوانة بن الحكم، قال فيه:

إنّ الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هبْ لي هذا الأسير. فوهبَهُ له فأعتقَه، وقال الأبياتَ التي تقدّم ذِكرُها، ثم أقبلَ على رُواته وأصحابه فقال: كأنّي بابنِ المراغةِ وقد بلغه خَبَري فقال:

بسَيـفِ أبـي رَغْـوان سيـفِ مُجـاشـع ... ضَـربـتَ ولـم تضـربْ بسيـفِ ابنـه ظـالِـم

ضـربـتَ بـه عِنـد الإمـام فـأرعِشَـت ... يـداك وقـالـوا مُحـدَثٌ غيـر صـارمِ

قال: فما لبثنا غير مدّةٍ يسيرة حتّى جاءتنا القصيدةُ وفيها هذان البيتان، فعجبنا من فِطنة الفرزدق.

/ وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلفٍ وكيع قال: حدّثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلوي، قال: حدّثنا [١٥/٣٤٤] أبو عثمان المازني قال:

زعم جهم بن خلف أنّ رؤبة بن العجاج حدّثه. فذكر هذه القصيدةَ وزاد فيها.

قال: واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهَبه له سليمان، فأعتقَه وكساه، وقال قصيدتَه التي يقول فيها:

ولا نقتـلُ الأسـرى ولكـن نفكُّهـم ... إذا أثقـلَ الأعنـاقَ حمـلُ المغـارمِ

قال: وقال في ذلك:

تَبـاشَـرُ يـربـوعٌ بنبـوةِ ضـربـةٍ ... ضَـربـتُ بهـا بيـنَ الطُّـلا والحـراقـد[2]

ولـو شئـتُ قـدَّ السيـفُ مـا بيـن عُنْقـه ... إلـى عَلَـق بيـن الحجـابَيـنِ جـامـدِ[3]

فـإنْ يَنْـبُ سيـفٌ أو تـراخَـتْ منيّـةٌ ... لميقـاتِ نَفْـسٍ حتفُهـا غيـرُ شـاهـدِ

فسيـفُ بنـي عبـسٍ وقـد ضَـربـوا بـه ... نَبَـا بيـدَيْ ورقـاءَ عـن رأسِ خـالـدِ

قال: وقال في ذلك:

أيَضْحَـكُ النـاسُ أن أضحكـتُ سيّـدَهـم ... خليفـةَ الله يُستَسْقَـى بـه المطـرُ

فمـا نبـا السيـفُ عـن جُبـنٍ ولا دَهَـش ... عنـد الإمـام ولكـنْ أخّـرَ القـدرُ

(١) في «معظم الأصول»: «بتعجيل نفس» وظاهره أنه عكس المعنى، ويمكن أن يحمل على أنه عجل بإحضاره على حين أن حتفه بعيد. وفي مب و ف و «الديوان» ١٨٦: «بتأخير نفس». وفي «النقائض» ٣٨٤ و «العمدة» (١: ١٢٦): «لتأخير نفس». وفي «الحيوان» (٣: ٩٧): «لميقات يوم».

(٢) الطلا: جمع: طلوة وطلية، وهي أصل العنق. والحراقد، جمع حرقدة، وهي عقدة الحنجور. حـ، أ، م: «الحرائد» مب، ها، ف: «الحدائد» س، ب: «المحارد»، والصواب ما أثبت.

(٣) في «النقائض» ٣٨٤:

ولـو شئـت قـط السيـف مـا بيـن أنفـه ... إلـى علـق بيـن الشـراسيـف جـامـد

ولـو ضَـربـتُ بـه عمـراً مقلَّـدَه لخـرَّ جُثمـانُـه مـا فـوقَـه شَعـرُ[1]
ومـا يقـدِّم نفسـاً قبـل مِيتَتِهـا جَمـعُ اليـدَيـنِ ولا الصَّمصـامـةُ الـذكـرُ

[١٥/٣٤٥] / **خبر يوم الجونين**

فأمَّا يوم الجونين الذي ذكره جرير، فهو اليوم الذي أغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب، وهو يوم الرَّغام[2].

أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي، عن السكري عن ابن حبيب، ودماذ عن أبي عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه:

أنّ عتيبةَ بن الحارث بن شهابٍ أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائفَ من بني كلابٍ يوم الجونين فاطّرد إبلَهم، وكان أنسُ بن العباس الأصمُّ، أخو بني رِعلٍ من بني سليم، مجاوراً في بني كلاب، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رِعْل عهد: لا يُسفَك دم ولا يؤكل مال. فلمّا سمع الكلابيون الدّعوى: يال ثعلبة! يال عبيد! يال جعفر[3]! عرفوهم، فقالوا لأنس / بن العباس: قد عرَفنا ما بين بني رِعل وبني ثعلبة بن يربوع، فأدركْهم فاحبسْهم علينا حتّى تلحق. فخرج أنسٌ في آثارهم حتى أدركَهم، فلما دنا منهم قال عُتيبة بن الحارث لأخيه حنظلة: أغنِ عنّا هذا الفارس فاستقبله حنظلةُ فقال له أنس: إنّما أنا أخوكم وعَقيدُكم، وكنتُ في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه، وهو معكم. فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له: حيّاك الله، وهلم فَوَالِ إبلك[4]، أي اعزلْها. قال: والله ما أعرفها، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتُهم بالركوب في أثري، وهم أعرفُ بها منّي. فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلَهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس: إنّما هم بَنِيَّ وبنو أخي[5]. وإنما يربِّثُهم لتلحق فوارسُ بني كلاب. فلحقوا فحملَ / الحَوثرةُ بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتَلَه[6]، وحمَلَ لأم بن سَلَمة أخو بني ضِبارَى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مُزنة[7] أخو بني عاصم بن عبيد، فأسَراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صَبْراً، وهُزِم الكلابيّون ومضَى بنو ثَعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس، فلم تُقِرَّ أنساً نفسُه حتى اتّبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرة وهم يسيرونَ في شَجْراء[8]. فتخلّف عتيبةُ لقضاءِ حاجته، وأمسك برأسِ فرسه فلم يشعرْ إلّا بأنسٍ قد مرّ في آثارهم، فتقدَّم حتى وثب عليه فأسرَه، فأتى به عتيبةُ أصحابَه فقال بنو عبيدة: قد عرفنا أنّ لأم بن سلمة وابن مزنة[7] قد أسرَا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه؛ فأعقِبْهما[9] في أنسِ بن عبّاس، فمن قَتَلْتَه خيرٌ من أنس. فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتّى افتدَى أنسٌ نفسَه بمائتي بعير.

87/14 · [١٥/٣٤٦]

(١) هذا البيت لم يرد في «النقائض».
(٢) الرغام، بالفتح: رملة بعينها من نواحي اليمامة، وانظر «العمدة» (٢: ١٦٧).
(٣) في الأصول: «قال ثعلبة قال عبيد قال جعفر»، صوابه في «النقائض» ٤١٠.
(٤) من الموالاة. في معظم الأصول: «توال» وأثبت ما في مب، ها، ف و «النقائض».
(٥) في معظم الأصول: «إنما هم مني وبنو أخي»، وأثبت ما في مب، ها، ف و «النقائض».
(٦) هذا ما في مب وها، ف، و «النقائض». وفي سائر النسخ: «فقتل».
(٧) كذا في «النقائض» مب، ها، ف «امرأته». وفي أ، حـ، م: «مدية» وسائر النسخ: «مذنة».
(٨) الشجراء: الأرض الكثيرة الشجرة. وهذا ما في مب، ها، ف «النقائض»: «في سخواء»، وهي الأرض السهلة الواسعة. وفي سائر النسخ: «صحراء».
(٩) في معظم الأصول: «فأعفهما» تحريف. صوابه في مب، ها، ف.

تعيير العباس بن مرداس لعتيبة بن الحارث

فقال العبّاس بن مرداس يعيِّر عتيبة بن الحارث بفعلِه:

كثُـرُ الضَّجـاجُ ومـا سمعـتُ بغـادرٍ ... كعُتيبـةَ بـنِ الحـارث بـن شهـابِ
جَلّلـتَ حنظلـةَ المَخـانـةَ والخنـا ... ودنِسْـتَ آخـرَ هـذه الأحقـاب[1]
وأسَـرتُـم أنسـاً فمَـا حـاولتُـم ... بـإسـارِ جـارِكُـم بنـي المِيقـاب

ـ الميقاب: التي تلد الحمقى. والوقْب: الأحمق ـ.

بـاسـتِ التـي ولـدتـك واسـتِ معـاشـرٍ ... تـركـوك تمـرسهـم مـن الأحسـاب[2]

رد عتيبة بن الحارث عليه

فقال عتيبة بن الحارث:

[١٥/٤٧

/ غـدرتـمْ غـدرةً وغـدرتُ أُخـرى ... فليـسَ إلـى تـوافينـا سبيـلُ
كـأنّكُـم غـداة بنـي كـلابٍ ... ـ تفـاقـدتـمْ ـ علـيٌّ لكـم دليـلُ

قوله: تفاقدتم، دعاء عليهم أن يفقد بعضُهم بعضاً.

صوت

وبـالعُفْـر دارٌ مِـن جميلَـة هيجـت ... سـوالـفَ حُـبٌّ فـي فـؤادكَ مُنصِـبِ[3]
وكنـتَ إذا ناءت بهـا غـربـة النـوى ... شـديدَ القـوَى لـم تـدر مـا قـولُ مِشْغَـبِ[4]
كـريمـة حُـرّ الـوجـه لـم تـدْعُ هـالكـاً ... مـن القـوم هُلكـاً فـي غـدٍ غيـرِ مُعْقِـب
أسِيلـةُ مَجـرى الـدمـع خُمصـانـةُ الحشـا ... بَـرُوق الثنـايـا ذاتُ خَلْـقٍ مُشـرَعَـب[5]

العُفْر[6]: منازِل لقيس بالعالية. سوالف: مواضٍ. يقول: هيّجَتْ حبًّا قد كان ثُمّ انقطع. ومُنصِب: / ذو نصب. ونأت وناءت وبانت[7] بمعنًى واحد، أي بعدت. ومِشْغَب: ذو شغَب عليك وخلافٍ في حبها. ويروى: «مشعب» أي متعدّد يصرفك عنها. وقوله: «لم تَدعُ هالكاً» أي لم تندب هالكاً هلكَ فلم يُخْلِف غيره / ولم يُعقِب. ومعنى ذلك أنها في عددٍ وقوم يخلُف بعضُهم بعضاً في المكارم، لا كمن إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقُمْ أحد منهم مقامه. والمشرعب: الجسيم الطويل. والشَّرعبيّ: الطويل.

٨٨/١٤ [١٥/٤٨

الشعر لطفيلٍ الغنوي، والغناء لجميلة[8] ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وذكره حماد عن أبيه لها ولم يجنسه. وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أنّ هذا أحسن صوتٍ صنعته جميلة.

(١) المخانة: الخيانة: وفي معظم الأصول: «المجانة» صوابه في مب، ها، ف و «النقائض» ٤١١.
(٢) تقدّم مثل هذا في ص ٣٤٠ س ١.
(٣) العفر، بضم العين وسكون الفاء: كثبان حمر بالعالية في بلاد قيس، كما في «معجم ما استعجم»، وقد استشهد بهذا البيت. وفي معظم الأصول: «وبالعقر» بالقاف، صوابه في «المعجم» و «ديوان طفيل» ص ٢، مب، ها، ف.
(٤) في معظم الأصول: «ما ترك»، صوابه من مب، ها، و «الديوان» ص ٢.
(٥) في معظم الأصول: «بدور»، وأثبت ما في مب، ها، ف. وفي «الديوان» ص ٣ و «سمط اللآلىء» ٥٤٥: «برود».
(٦) في معظم الأصول: «العقر». وانظر ما مضى قريباً.
(٧) في معظم الأصول: «ونأيت» ولا وجه له. وأثبت ما في مب، ها، ف.
(٨) لعل في اسمها ما دعا إلى اختيار هذه المقطوعة لطفيل في غنائها.

[١٥/٣٤٩]

/ نسب الطُّفيل الغَنَويّ وأخباره

نسب طفيل الغنوي

قال ابن الكلبي: هو طفيل بن عوف [بن كعب بن خلف][١] بن ضُبَيْس بن خُليف[٢] بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنْم بن غَنيّ بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان.

ووافقه ابن حبيب في النسب إلا في خلف [ابن ضبيس][٢] فإنه لم يذكر خلَفاً وقال: هو طفيل بن عوف بن ضبيس. قال أبو عبيدة: اسم غنيّ عمرو[٣]، واسم أعصُر منبه، وإنما سمّيَ أعصُرَ لقوله:

قالتْ عُميرةُ ما لِراسِكَ بعدما … فُقِدَ الشبابُ أتى بلونٍ منكَرِ

أعُميرَ إنّ أباكِ غيَّر رأسَه … مرُّ الليالي واختلافُ الأعصرِ

فسمّي بذلك.

هو شاعر جاهلي فحل من أوصف العرب للخيل

وطفيلٌ شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، ويكنى أبا قُرّان، يقال إنه من أقدم شعراء قيس. وهو [من][١] أوصف العرب للخيل.

نعّات الخيل من الشعراء

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَف الخُزاعيّ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريبٍ الأنصاريّ قال: قال لي عمي:

إنّ رجلاً من العرب سمعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتَها والبَصَر بها، فقال: كان يقال إنّ طفيلاً رِكبَ الخيلَ ووليها لأهله، وإنّ أبا دُوَادٍ الأياديَّ ملَكها لنفسه / ووليها[٤] لغيره، كان يليها للملوك، وأنّ النابغة الجعدي لما أسلمَ الناسُ وآمَنوا اجتمعوا وتحدّثوا ووصفوا الخيل، فسمعَ ما قالوه فأضافَه إلى ما كان سمعَ وعَرَفَ قبل ذلك في صفة الخيل. وكان هؤلاء نُعّاتَ الخيل. [١٥/٣٥٠]

كان طفيل أكبر من النابغة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن، قال حدّثني عمي قال:

---

(١) التكملة من مب، ها، ف.

(٢) في «الديوان» برواية السجستاني عن الأصمعي: «طفيل بن عوف بن ضبيس بن دليف بن كعب بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر». وفي ب، س: «طفيل بن عوف بن خليف بن ضبيس».

(٣) ما عدا حـ، مب، ها، ف: «عمر»، تحريف.

(٤) حـ، أ، م: «ورداها»، تحريف. ف، ها: «ورآها».

كان طفيلٌ أكبرَ من النابغة: وليس في قيس فحلٌ أقدمَ منه.

اعتزاز معاوية به

قال: وكان معاوية يقول: خَلُّوا لي طُفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء.

تلقيبه بطفيل الخيل

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال: حدثنا محمد بن حبيب قال:

كان طفيلٌ الغنوي يسمَّى «طُفيلَ الخيل» لكثرة وصفِهِ إيّاها.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية، قال: حدّثني الرياشي قال: حدّثني الأصمعي قال:

كان أهل الجاهلية يسمُّون طفيلاً الغَنَويَّ «المحبِّر»؛ لحُسْن وصْفِه الخيل[1].

أوصف العرب للخيل

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن يزيد قال: قال أبو عبيدة: طُفيلٌ الغَنَويّ، والنابغة الجَعْديّ، وأبو دُوَادٍ الإياديّ، أعلمُ العربِ بالخيل وأوصفُهم لها.

أعف بيت

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرَاني قال: حدّثنا العمري عن لقيط قال: قال قتيبة بن مسلم لأعرابيّ من غَنيّ قدِمَ عليه من خُراسان: / أيُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ؟ قال: قولُ طفيلٍ الغنوي: 89/14

/ ولا أكـــونُ وِكـــاءَ الـــزاد أحبســـه لقـــد علمـــت بـــأنّ الـــزاد مـــأكـــولُ[2] [351/15]

أجود بيت في الحرب وفي الصبر

قال: فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجْوَد؟ قال: قول طفيل:

بحـــيٍّ إذا قيـــل اركبـــوا لـــم يقـــل لهـــم عَـــواويـــرُ يخْشَـــوْنَ الـــرَّدَى أيـــن نَـــركـــبُ[3]

قال: فأيّ بيتٍ قالته العرب في الصَّبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي:

ومِـــن خيـــرِ مـــا فينـــا مـــن الأمـــر أنّنـــا متـــى مـــا نُـــوافِـــي مَـــوطِـــنَ الصّبـــر نصبِـــر

قال: فقال قتيبة: ما تركت لأخوانك من باهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وإنّـــا أُنـــاسٌ مـــا تَـــزالُ سَـــوامُنـــا تنـــوِّر نيـــرانَ العـــدوّ منـــاسمُـــه[4]

---

(١) ب، س، م: «يسمون طفيلاً الغنوي طفيل الخيل لشدة وصفه الخيل».

(٢) في «الديوان» ٣٢: «إني لأعلم أن الزاد».

(٣) في معظم الأصول: «يجيء» و «عواوين» صوابهما في مب، ف و «الديوان» ص ٢٠. وفي «الشعر والشعراء» ٤٢٣: «بخيل». والعواوير: جمع عوار، كرمان، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار.

(٤) نسب البيتان في ملحق «ديوان طفيل» ص ٦٥ إليه، مع أن النص هنا يقطع بأنهما لشاعر من باهلة.

وليس لنا حيٌّ نُضافُ إليهمُ ولكن لنا عَودٌ شديدٌ شكائمُه

[حُسامٌ وإن صَلَّيْتَه ودَهنته تأوَّده ما كان في السيف قائمُه][1]

أبيات الصوت قالها طفيل في وقعة أوقعها قومه بطيء

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيلٌ في وقْعةٍ أوقعَها قومُه بطيء، وحربٍ كانت بينَه وبينهم.

سبب وقعته بطيء

وذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ والطُّوسيُّ فيما رواه عن الأصمعيّ وأبي عبيدة:

أنَّ رجلاً من غنيّ يقال له قَيس النَّدامَى[2]، وفَد على بعض الملوك، وكان قيسٌ سَيداً جواداً، فلما حفَل المجلسُ أقبلَ الملك على مَن حضره من وفود العرب فقال: لأضعَنَّ تاجي على أكرمِ رجلٍ من العرب، فوضعه على رأسِ قيس وأعطاه ما شاء، / ونادَمه مُدّة، ثم أذِن له في الانصراف إلى بلده، فلما قرُب من بلادِ طيّئٍ خرجوا إليه [٣٥٢/١٥] وهم لا يعرفونه، [فلقُوه برَمّان][3] فقتلوه، فلما علموا أنّه قيس ندِموا لأياديه[4] كانت فيهم، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً. ثم إنّ طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغارَ على طيّئٍ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلَى كثيرة. وكانت هذه الوقعة بين القَنَان وشرقيّ سَلْمَى[5]، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة:

فذُوقوا كما ذُقْنا غَداةَ محجَّرٍ من الغَيظ في أكبادنا والتحوُّبِ[6]

فبِالقتلِ قَتْلٌ والسَّوامُ بمثلِه وبالشَّلِّ شَلُّ الغائطِ المتصوِّبِ[7]

تمثل أعرابي ببيت من شعر طفيل حين شمت بالحجاج بن يوسف

أخبرني علي بن الحسن[8] بن علي قال: حدّثنا الحارث بن محمد، عن المدائني، عن سلمة بن محارب قال:

لما مات محمد بن الحجاج بن يوسف جزِعَ عليه الحجاجُ جزعاً شديداً، ودخل الناسُ عليه يعزُّونه ويسلُّونه، وهو لا يَسلُو ولا يزداد إلاّ جزَعاً وتفجُّعاً، وكان فيمن دخَلَ عليه رجلٌ كان الحجاج قتلَ ابنَه يومَ الزاوية، فلما رأى جزعَه وقلّة ثَبَاته للمصيبة شمِتَ به وسُرّ لما ظَهر له منه، وتمثّلَ بقول طُفَيل:

فذُوقوا كما ذُقْنا غداةَ محجَّرٍ من الغَيظ في أكبادنا والتحوب

وفي هذه القصيدة يقول طفيل:

---

(١) التكملة من مب، ها، ف.

(٢) في معظم الأصول: «الدارمي»، صوابه في مب، وها، ف و «معجم البلدان» (رمان) و «سمط اللآلىء» ٥٤٦.

(٣) التكملة من حـ، أ، مب، ها، ف. وهي في أ: «برقان»، تحريف. وقد أورد القصة ياقوت في رسم (رمان).

(٤) ما عدا حـ، مب، ها، ف: «لأياد له».

(٥) سلمى: أحد جبلي طيىء.

(٦) رواية «الديوان» ص ١٤: «في أجوافنا». والتحوب: التوجع.

(٧) يقال غاط في الوادي يغوط، إذا ذهب فيه. والتصويب: الانحدار. وانظر «ديوان طفيل» ص ١٤.

(٨) حـ: «الحسين».

/ تَـرى العيـنُ مـا تَهـوى وفيهـا زيـادةٌ ... مـن اليُمْـنِ إذْ تبـدو ومَلْهًـى لِملعـبِ[١] [١٥/٣٥٣

وبيـت تهـبُّ الـرِّيـحُ فـي حَجَـراتـه ... بـأرضِ فضـاءٍ بـابُـه لـم يحجَّـب[٢]

سَمَـاوتُـه أسمـالُ بُـرْدٍ محبَّـرٍ ... وصَهـوتُـه مِـنْ أتحمِـيّ معصَّـبِ[٣]

سؤال عبد الملك عن أكرم بيت وصفته العرب

أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال: حدّثنا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال:

قال/ عبد الملك بن مَرْوان لولده وأهله: أيُّ بيتٍ ضربته العربُ [على عصابة][٤] ووصفَتْه أشرفُ حِواء، وأهْلاً وبناءً؟ فقالوا فأكثروا، وتكلّمَ من حضرَ فأطالوا، فقال عبد الملك: أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيلٍ الذي يقول فيه: ب/١٤

وبيـتٍ تهـبُّ الـرِّيـحُ فـي حَجَـراتِـهِ ... بـأرضِ فضـاءٍ بـابُـه لـم يحجَّـب

سَمَـاوتُـه أسمـالُ بُـرْدٍ محبَّـرٍ ... وصَهـوتُـه مِـن أتحمـيّ معصَّـبِ[٥]

وأطنـابُـه أرسـانُ جُـرْدٍ كـأنّهـا ... صُـدورُ القَنـا مـن بـادىءٍ ومعقِّـب[٦]

نصبـتُ علـى قـومٍ تُـدِرّ رمـاحُهـم ... عـروقَ الأعـادِي مـن غَـريـرٍ وأشيَـبِ[٧]

/ شعر طفيل في المن على قبيلتين من العرب [١٥/٣٥٤

وقال أبو عمرو الشيباني: كانت فزارةُ لقِيتْ بني أبي بكر بن كلاب وجيرانَهم من مُحارب، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم أدركتْهم غنيٌّ فاستنقذَتْهم، فلما قتلتْ طيِّىءٌ قيسَ النَّدامى، وقتلتْ بنو عَبسٍ هُرَيم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة[٨] بن عبيد بن سعد بن كعبِ بن جِلّان بن غَنْم[٩] بن غنيٍّ، وكان فارساً حَسِيباً قد ساد ورأس، قتله ابن هِدْم العبسيّ طريد الملك، فقال له الملك[١٠]: كيف قتلته؟ قال: «حملت عليه في الكَبّة، وطعنتُه في السَّبّة، حتى خرجَ الرمح من اللَّبّة[١١]». وقُتِل أسماءُ بن واقدِ بن رُفَيد بن رياح بن يربوع بن ثَعلبة بن سعد بن

---

(١) هذا الصواب من مب، وها، ف، و «الديوان» ٣. وفي معظم الأصول:

يـرى السيـن مـا يهـوى وفيهـا زيـادة ... مـن اليمـن أن تبـدو وملهـى وملعـب

وفي «تفسير الديوان»: «وفيها لمن أراد اللهو ملهى فملعب».

(٢) الحجرات، بفتحتين: جمع حجرة، بالفتح، وهي الناحية.

(٣) سماوة كل شيء: أعلاه. والمعصب، كأنه مأخوذ من العصب، وهو ضرب من برود اليمن يعصب غزله ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. ويروى: «مشرعب».

(٤) التكملة من مب، ها، ف. والعصابة: الجماعة.

(٥) ما عدا حـ، مب: «الحمى»، تحريف. وفي جميع الأصول ما عدا مب، ها، ف: «مصعب».

(٦) البادىء: الذي غزا أول غزوة. والمعقب: الذي غزا غزوة بعد غزوة.

(٧) الغرير: الشاب الذي لا تجربة له. حـ: «غرين» وسائر النسخ: «عرين» صوابه في مب، ها، ف و «الديوان» ٤.

(٨) في «الديوان» ١٨: «خرشبة».

(٩) كذا في حـ، مب، ها، ف. وفي سائر النسخ: «جلان بن تميم».

(١٠) في «اللسان» (سبب) أنه النعمان بن المنذر.

(١١) الكبة، بالفتح: الحملة في الحرب والدفعة في القتال. والسبة: الاست. واللبة: وسط الصدر والمنحر. وفي «اللسان» (سبب، كبب): «طعنة في السبة». وفي «اللسان» (سبب): «فقلت لأبي حاتم: كيف طعنه في السبة وهو فارس؟ فضحك وقال: انهزم فاتبعه فلما رهقه أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعنه في سبته».

عوف بن كعب بن جِلّان، [وهو من النجوم]، وحصن بن يربوع بن طريف وأمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف. فاستغاثت غنيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل في ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم في نُصرتهم، ويرثي القتلى، قال:

تأوَّبَني هَمٌّ من اللَّيل مُنصِبُ ... وجاء من الأخبار ما لا أكذِّبُ

تتابَعْنَ حتّى لم تكن لِيَ ريبةٌ ... ولم يكُ عمّا خَبَّروا مُتعقَّبُ[1]

وكان هُرَيمٌ من سِنانٍ خليفةً ... وحصنٍ ومن أسماءَ لمّا تَغَيَّبوا[2]

/ ومن قيسٍ الثّاوي بِرَمّانَ[3] بيتُه ... ويومَ [حَقِيلٍ فادَ آخرُ][4] مُعجِب

أشمُّ طويلُ السّاعدين كأنه ... فَنِيقُ هِجانٍ في يديه مُركَّب[5]

وبالشُّهبِ ميمونُ النَّقيبة قولُه ... لملتمس المعروف أهلٌ ومَرحَبُ[6]

[١٥/٣٥٥]

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ ... بَدا وانجلت عنه الدُّجُنَّةُ كَوكَبُ

الغناء لسليم أخي بابويه، ثاني ثقيل عن الهشامي. وهي قصيدةٌ طويلة، وذكرتُ منها هذه الأبياتَ من أجلِ الغناء الّذي فيها. ومن مختار مرثيته فيها قوله:

لعمري لقد خَلّى ابنُ جندع ثَلمةً ... ومن أينَ إنْ لم يرأب اللهُ تُرأَبُ[7]

نداماي أمسَوْا قد تخلَّيتُ عنهمُ ... فكيف أَلَذُّ الخمرَ أم كيف أشرب[8]

مضَوْا سلفاً قَصْدَ السَّبيل عليهمُ ... وصَرْفُ المنايا بالرجال تقلَّبُ

صوت

فَدَيتُ من باتَ يغنِّيني ... وبِتُّ أسقيه ويَسْقيني

/ ثم اصطَبَحْنا قَهوةً عُتِّقَتْ ... مِن عَهدِ سابورَ وشِيرين

٩١/١٤

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعة، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر، لا نعرف له صنعة غيره.

---

(١) في «ديوان طفيل» ١٧: «تظاهرن»، «ولم يك عما أخبروا». وفي «شرحه»: «تظاهرن: تتابعن جاء بعضهن في إثر بعض. منعقب: لم أستطع تعقب أخبارهم بتكذيب لما ظهر.

(٢) في تفسير «الديوان»: «سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة، وهريم عم سنان. أسماء بن واقد بن وقيد بن رباح بن يربوع».

(٣) الثاوي: المقيم. رمان، سبق ذكره في ص ٣٥٢. حـ؛ أ: «بريثان» وفي سائر النسخ ما عدا مب: «برثيان» صوابه من «الديوان».

(٤) حقيل: موضع في بلاد بني أسد وفاد يفيد: مات. وموضع هذه التكملة بياض في حـ، أ، م وإثباتها من مب، ها، ف، و «الديوان» ١٨ و «معجم البلدان» (رمان، حقيل)، وفي س، ب: «ويوم الوغى ليث لدى الكر معجب».

(٥) الفنيق: الفحل المكرم. والبيت لم يرو في «الديوان».

(٦) في معظم الأصول: «بالشهب»، تصحيف، صوابه في مب وها، ف و «الديوان» ١٩ وسيبويه (١ : ١٤٩).

(٧) في «الديوان»: «ابن جيدع».

(٨) أمسوا، هي في ب، س، أ: «سواء» وم: «سوا» حـ: «انيسوا» والوجه ما أثبت من مب. وفي «الديوان»: «أضحوا». وفيه أيضاً «منهم» بدل «عنهم».

[١٥/٣٥٦]

/ نسب محمد بن حمزة بن نُصَير الوصيف وأخباره

نسب محمد بن حمزة وتلقيبه وجه القرعة

هو محمد بن حمزة بن نَصير الوصيف مولى المنصور، ويكنى أبا جعفر، ويلقَّب وَجهَ القَرعة.

مكانه بين المغنين

وهو أحد المغنِّين الحُذّاق الضُّرَّاب الرُّواة. وقد أَخَذ عن إبراهيم الموصلي وطبقتِه، وكان حسنَ الأداء طيِّبَ الصوت، لا علّة فيه، إلا أنَّه كان إذا غنَّى الهزَجَ خاصّةً خرج بسببٍ لا يعرف[١]، إلا لآفة تعرض للحِسّ في جنسٍ من الأجناس فلا يصحُّ له بتَّةً.

تقدير إسحاق الموصلي له

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمي حدثه عن أبيه، أنه شهد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليَّ عند عمه هارون بن عيسى، وعنده محمد بن الحسن بن مُصعَب، قال: فأتانا محمدُ بن حمزةَ وجهُ القرَعة، فسرَّ به عمّي[٢]. وكان شرسَ الخُلُق أبيَّ النَّفس، فكان إذا سُئل الغِناءَ أباهُ، فإذا أُمسِكَ عنه كان هو المبتدِىء به، فأمسكْنا عنه حتى طلبَ العُودَ فأُتيَ به فغنَّى، وقال:

مــــرَّ بـــي سِــربُ ظِبـــاءِ رائحـــاتٍ مــــن قبـــاءِ[٣]

قال: وكان يُحسِنه ويُجيده، فجعل إسحاقُ يشرب ويستعيده حتّى شرب ثلاثة أرطال ثم قال: أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء لي وأنت تتقدّمُني فيه، ولا يُخلقُ الغناءُ ما دام مثلُك ينشأ فيه[٤].

[١٥/٣٥٧]

/ إعجاب مخارق بغنائه

قال: وحدثني إسحاقُ الهاشمي عن أبيه قال:

كنا في البستان المعروف ببستان خالصٍ النصرانيّ ببغداد، ومعنا محمد بن حمزة وجهُ القرعة، فيغنِّينا[٥] قولَه:

يـــا دارُ أقفـــرَ رسمُهـــا بيـــن المحصَّـــب والحَجُـــونِ

يـــا بشـــرُ إنِّـــي فـــاعلمـــي واللهِ مجتهـــداً يمينـــــي[٦]

(١) مب، ها، ف: «لا لسبب يعرف».

(٢) في معظم النسخ: «فسمي به عمي» والوجه ما أثبت من مب، ها، ف.

(٣) قباء، بالضم: قرية على ميلين من المدينة.

(٤) هذا الصواب من مب، ها، ف، وفي ب، س: «ينشر لحنه». وفي سائر النسخ: «لعنة». وفي جميع النسخ: «ولأدعن» بدل «ولا يخلق».

(٥) أ، م: «فتغنينا».

(٦) ما عدا حـ، م، مب، ها، ف: «مجتهد».

فإذا برجلٍ راكب على حمارٍ يؤمُّنا وهو يصيح: أحسنتَ يا أبا جعفر، أحسنتَ واللهِ! فقلنا: اصعد إلينا كائناً مَن كنت. فصعِد وقال: لو منعتموني من الصُّعود لما امتنعتُ. ثم سَفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارِق، فقال: يا أبا جعفر أعِدْ عليَّ صوتَك. فأعاده فشرِب رِطلاً من شرابنا وقال: لولا أنّي مدعوٌّ الخليفةِ لأقمتُ عندكم واستمعتُ هذا الغناء الذي هو أحسَنَ من الزَّهَر، غِبَّ المَطَر.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

منها:

صوت

مـــرّ بـــي سِـــربُ ظِبـــاءِ رائحـــاتٍ مـــن قُبـــاءِ
زُمَـــراً نحـــوَ المصلّـــى يَتمشَّيـــنَ حِـــذائـــي (١)
فتجـــاسَـــرتُ وألقيْـــتُ سَـــرابيـــلَ الحيـــاء
وقـــديمـــاً كـــان لَهْـــوِي وفُتـــونـــي بـــالنِّســـاءِ (٢)

/ الغناء لإسحاق مما لا يشكّ فيه من صنعته، ولحنه من ثقيلٍ أوّلَ مطلقٍ في مجرى الوسطى / وذكر محمد بن أحمد المكي أنه لجدِّه يحيى. وذكر حبشٌ أنّ فيه لابن جامع ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. [٣٥٨/١٥] ٩٢/١٤

ومنها:

صوت

يـــا بِشـــرُ إنـــي فـــاعلِمـــي واللهِ مُجتهـــداً يمينـــي (٣)
مـــا إن صـــرمـــتُ حِبـــالَكـــمْ فصِلـــي حبـــالـــي أو ذَرينـــي
استبـــدَلُـــوا طَلَـــبَ الحِجـــا زِ وسُـــرّةِ البلـــدِ الأميـــن
بحـــدائـــقٍ محفـــوفـــةٍ بـــالبيـــتِ مـــن عِنَـــبٍ وتيـــنِ
يـــا دارُ أقفَـــرَ رسمُهـــا بيـــن المحصَّـــب والحَجُـــون
أقـــوَتْ وغيَّـــرَ آيَهـــا طُـــولُ التَّقـــادُم والسّنيـــنِ

الشعر للحارث بن خالد، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأوَل، رمل بالوسطى، ولابن سريج في الخامس والسادس والأول والثاني ثقيل أول بالبنصر.

---

(١) زمراً: جماعات.

(٢) الفتون: الفتنة.

(٣) ما عدا حـ، م، مب، ها، ف: «مجتهد».

علو كعبه في الغناء وانتصار إسحاق له

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني الفضل بن المغنّي، عن محمد بن جبر قال:

دخلنا على إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ نعودُه من علّةٍ كانَ وجدَها، فصادفْنا عنده مُخارِقاً، وعَلُّويةَ، وأحمد بن المكي وهم يتحدَّثون، فاتَّصل الحديث بينهم، وعرَضَ إسحاقُ عليهم أن يقيموا عندَه ليتفرَّجَ[1] بهم، ويُخرِجَ إليهم سِتارتَه يغنُّون من ورائها، / ففعَلوا وجاء محمدُ بن حمزة وجهُ القرعَة على بقيّةٍ[2] ذلك فاحتبسه [١٥/٣٥٩] إسحاقُ معهم، ووُضِع النبيذ وغنَّوا، فغنَّى أو عَلُّويةُ صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمدٌ فيه وفي صانعه، وطال مِراؤهما في ذلك، وإسحاقُ ساكت، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمدٍ وراجعه علوية، فقال له إسحاق: حسبُك، فوالله ما فيكم أدرَى بما يخرج من رأسِهِ منه. ثم غنَّى أحمد بن يحيى المكّيّ قوله:

قل للجُمانةِ لا تَعجَلْ بإسراجِ[3]

فقال محمد: هذا اللَّحن لمعبد ولا يُعرف له هزَجٌ غيره. فقال أحمد: أمَّا على ما شرَطَ أبو محمد آنفاً من أنّه ليس في الجماعة أدرَى بما يَخرُج من رأسه منك فلا مُعارضَ لك. فقال له إسحاق: يا أبا جعفرٍ، ما عنيتُك والله فيما قلتُ، ولكنْ قد قال إنّه لا يُعرف لمعبدٍ هزجٌ غير هذا، وكلّنا نعلم إنّه لمعبد، فأكذِبْه أنت بهزَجٍ آخرَ له مما لا يُشَكّ فيه. فقال أحمد: ما أعرف.

نسبة هذا الصوت

استماع جواري إسحاق إلى غنائه وإعجابهن به

قال محمد بن الحسن: وحدثني إسحاقُ الهاشميّ عن أبيه:

أنّ محمداً دخلَ معه على إسحاقَ الموصليّ مهنئاً له بالسلامة من عِلّةٍ كان فيها، فدعا بعُود، فأمرَ به إسحاقُ فدُفع إلى محمد، فغنّى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم، وأصواتاً لإسحاق، في إيقاعاتٍ مختلفة، فوجّه إسحاقُ خادماً بين يديه إلى جوارِي أبيه، فخرجْنَ حتّى سمعْنَه من وراء حجابٍ، ثم ودَّعَهُ وانصرف، فقال إسحاقُ للجواري: ما عندكنّ في هذا الفتَى؟ فقلن: ذكَّرنَا والله أباك فيما غنّاه. فقال: صَدَقتنّ. ثم أقبلَ علينا فقال: هو مغنٍّ مُحْسِن، ولكنّه لا يصلحُ للمطارحة لكثرة زوائِده، ومثله إذا طارحَ جَسَر الذي يأخُذُ عنه[4] فلم ينتفعْ له، ولكنّهُ ناهيكَ به مِنْ مغنٍّ مُطْرِب.

/ طلب مخارق منه أن يصلح غناء جواريه [١٥/٣٦٠]

/ قال إسحاق: وحُدِّثت أنه صار إلى مخارقٍ عائداً، فصادف عنده المغنِّين جميعاً، فلما طلعَ تغامَزُوا عليه، ٩٣/١٤

---

(١) ب، س، أ: «ليفرح» وسائر النسخ: «ليفرج» والصواب ما أثبت من مب، ها، ف.

(٢) مب، ها، ف: «على تفية ذلك».

(٣) أ، م: «للجماعة».

(٤) جسر، بالجيم في جميع النسخ، أي عجز. وأصله من قولهم: «جسر الفحل وفدر وجفر، إذا ترك الضراب. مب، ها، ف: «حير».

فسلَّم على مخارقٍ وسأله به، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له: يا أبا جعفر، إنّ جواريَك اللواتي في مِلكي قد تركن الدَّرسَ مِن مُدّة، فأحبُّ أن تدخلَ إليهن وتأخذَ عليهنّ وتُصلح من غنائهن. ثم صَاح بالخدم فسعَوْا بين يديه إلى حُجرةِ الجواري، ففعلَ ما سأله مخارق، ثم خرجَ، فأعلمَه أنه قد أتى ما أحبَّه، والتفت إلى المغنِّين فقال: قد رأيتُ غَمْزكم، فهل فيكم أحدٌ رضيَ أبو المهَنّا أعزّه الله حِذقَه وأدبَه وأمانته، ورَضيه لجواريه غَيري؟ ثم ولَّى فكأنما ألقمَهُم حَجَراً، فما أجابه أحد.

صوت

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها ... بِمنًى تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها

فَمَدافعُ الرّيّانِ عُرِّيَ رسمُها ... خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامَها

فاقنعْ بما قسمَ الإلهُ فإنَّما ... قَسَم الخلائقَ بيننا عَلّامُها[1]

عروضه من الكامل. عفت: درست. ومِنًى: موضعٌ في بلاد بني عامر، وليس منى مكّة. تأبّد: توحَّش. والغَول والرِّجام: جبَلانِ بالحِمى. والرّيانُ: وادٍ. مدافعهُ: مَجاري الماء فيه. وعُرِّيَ رسمها، أي تُرك[2] وارتُحِل عنه. يقول: عُرِّيَ من أهله. وسِلامها: صُخورها، واحدتها سَلِمة.

الشعر للبيدِ بن ربيعةَ العامريّ، والغناء لابن سُرَيج، رملٌ بالسبابة في مجرى البِنصِر عن إسحاق، وفيه لابن مُحرز خفيفُ رملٍ أوّلَ بالوسطى عن حَبَش، وذكر الهشاميّ[3] إنّ فيه رملاً آخر للهذلي في الثالث والأول.

(١) ما عدا مب، ها، ف: «فارض بما».

(٢) ب، س: «نزل» وسائر النسخ «ترل»، والصواب ما أثبت من مب، ها، ف.

(٣) ما عدا مب: «الهاشمي».

/ نسب لبيد وأخباره [١٥/٣٦١]

نسبه

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك[١] بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر.

والد لبيد ومقتله

وكان يقال لأبيه «ربيعُ المقْترِين»[٢] لجوده وسخائه. وقتلته بنو أسد[٣] في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه.

عمه أبو براء

وعمُّه أبو بَرَاءٍ عامرُ بن مالك ملاعب الأسنة، سمي بذلك لقول أوسِ بن حجر فيه:

فلاعَبَ أطرافَ الأسنّة عامرٌ ... فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ[٤]

أم لبيد

وأمُّ لبيد تامرة[٥] بنت زِنباع العبسية، إحدى بنات جَذِيمة بن رَوَاحة.

صفات لبيد

ولبيدٌ أحد شعراء الجاهليةَ المعدودين فيها والمخضرَمين ممّن أدرك الإسلام، وهو من أشراف الشُّعراء المُجيدين الفُرسان القُرّاء المعمَّرين، يقال إنه عمِّر مائةً وخمساً وأربعين سنة.

أخبرني بخبره في عُمره أحمد بن عبد العزيزي الجوهري قال: حدثنا عُمَر بن شبّة عن عبدالله بن محمد بن حكيم. وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا / ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن علي بن الصباح، [١٥/٣٦٢]

---

(١) في «الخزانة» (١ : ٣٣٧): «بن ربيعة بن عامر بن مالك».

(٢) هذا يطابق ما في «الشعر والشعراء» ٢٣١. وفي مب، ها، ف «المفتر». وسائر النسخ «المعترين». والصواب في ذلك كله «ربيع المقترين». ومما يشهد له قول لبيد نفسه يذكر أباه:

ولا من ربيع المقترين رزئته ... بذي علق فاقني حياءك واصبري

انظر «معجم البلدان» (علق).

(٣) في معظم الأصول: «بنو لبيد»، صوابه من مب، ها، ف «الشعر والشعراء».

(٤) في معظم الأصول: «لها»، صوابه في مب، ها، ف و «الديوان» ١١ و «الخزانة» (١ : ٣٣٨) و «الشعر والشعراء» ٢٣٥.

(٥) ها، ف: «تامر».

عن ابن الكلبي، وعن عليّ بن المِسور عن الأصمعيّ، وعن المدائني وعن رجالٍ ذكرهم، منهم أبو اليقظان وابن دأب، وابن جعدبة، والوقاصي.

عمر لبيد

٩٤/١٤ أن لبيدَ بن ربيعة قدِم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب بعدَ وفاة أخيه أربَدَ / وعامرِ بن الطُّفيل، فأسلَمَ وهاجر وحسُن إسلامه، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأقامَ بها. ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائةً وخمساً وأربعين سنة، منها تسعون سنةً في الجاهلية، وبقيَّتُها في الإسلام.

ما قاله من الشعر في طول عمره

قال عمر بن شبة في خبره: فحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم أنّ لبيداً قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة:

قـامـت تَشَكّـى إلـيَّ النَّفسُ مُجْهِشـةً ... وقـد حَمَلتـك سبعـاً بعـد سبعينـا[1]

فـإنْ تُـزادِي ثـلاثـاً تبلُغـي أمـلاً ... وفـي الثّـلاثِ وفـاءٌ للثمـانينـا

فلما بلغ التسعينَ قال:

كـأنّـي وقـد جـاوزتُ عِشـريـن حِجّـةً ... خلعـتُ بِهـا عـن مَنكِبـيَّ ردائيـا

فلما بلغ مائةً وعشراً قال:

أليـسَ فـي مـائـةٍ قـد عـاشَهـا رجـلٌ ... وفـي تكـامُـلِ عَشْـرٍ بعـدَهـا عُمُـرُ

فلما جاوزها قال:

ولقـد سئِمـتُ مـن الحيـاةِ وطُـولها ... وسُـؤالِ هـذا النـاسِ كيـفَ لَبيـدُ

غَلَـبَ الـرِّجـالَ وكـان غيـرَ مغلَّـبٍ ... دَهـرٌ طـويـلٌ دائـمٌ ممـدود

/ يـومـاً أرى يـأتـي علـيَّ وليلـةٌ ... وكـلاهمـا بَعـدَ المضـاءِ يعـودُ [١٥/٣٦٣]

وأراه يـأتـي مثـلَ يـوم لقيتُـه ... لـم يُنتَقَـصْ وضَعُفـتُ وهـو يـزيـد

وفوده على النعمان ونكايته بالربيع بن زياد

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم[2] السجستاني قال حدّثنا الأصمعي قال:

وفد عامر بن مالكٍ ملاعبُ الأسنّة، وكان يكنَى أبا البَرَاء، في رهطٍ من بني جعفر، ومعه لبيدُ بن ربيعة، ومالكُ بن جعفر، وعامر بن مالكٍ عمّ لبيد، على النُّعمان، فوجدوا عنده الربيعَ بن زيادٍ العبسيّ وأمُّه فاطمةُ بنت الخُرشُب، وكان الربيع نديماً للنُّعمان مع رجلٍ من تُجّار الشام يقال له زَرجون بن توفيل[3]، وكان حريفاً للنُّعمانِ يُبايعه[4]، وكان أديباً حسنَ الحديث والنِّدام، فاستخفّه[5] النعمان، وكان إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بعَثَ إليه وإلى

(١) في معظم النسخ: «سبعين» و «للثمانين». وأثبت ما في مب وها، ف، و «الخزانة» و «والمعمرين» للسجستاني ٦٢.
(٢) في معظم الأصول: «أبو حامد»، تحريف، صوابه في مب، ها، ف.
(٣) حـ: «نفيل» وسائر النسخ: «نوفل» وأثبت ما في مب، ها.
(٤) حريف الرجل: معامله في حرفته، وهو العميل.
(٥) م: «فاستحقه».

النُّطاسيّ: متطبِّب[١] كان له، وإلى الربيع بن زياد فخلاَ بهم، فلما قدم الجعفريُّون كانوا يحضرُون النعمانَ لحاجتهم، فإذا خرجوا مِن عنده خلا به الربيعُ فطعَن فيهم وذكر مَعايبَهم، وكانت بنو جعفرٍ له أعداء[٢]، فلم يزل بالنُّعمانِ حتَّى صدّه عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً، وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم، فخرجوا غِضاباً ولبيدٌ متخلِّف في رحالِهم يَحْفظ متاعهم، ويغدو بإبلهم كلَّ صباحٍ يرعاها، فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون أمرَ الربيع، فسألهم عنه فكتموه، فقال: والله لاحفظتُ لكم متاعاً، ولا سرَّحتُ لكم بعيراً أو تُخبروني / فيم أنتم؟ وكانت أم لبيدٍ [١٥/٣٦٤] يتيمةً في حِجْر الربيع، فقالوا: خالُكَ قد غَلَبنا على الملِكِ وصَدّ عنا وجهَه. فقال لبيد: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجُرَه عنكم بقولٍ مُمِضّ[٣] لا يلتفت إليه النعمان أبداً؟ فقالوا: وهل عندك شيء؟ قال: نعم. قالوا: فإنّا نَبْلُوك. قال: وما ذاك؟ قالوا: تشتم هذه البَقْلة ـ وقدّامهم بَقلةٌ دقيقة القُضْبان، قليلةُ الورق، / لاصقة $\frac{95}{14}$ بالأرض، تدعى التَّرِبةَ[٤] ـ فقال: «هذه التَّرِبة التي لا تُذكِي ناراً ولا تُؤهِل داراً، ولا تُسرُّ جاراً، عودُها ضئيل، وفرعها كليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعًى، وأقصرها فرعاً، وأشدُّها قلعاً. بلدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فالقَوْا بي أخا عَبْس، أردّه عنكم بتَعْس، وأتركه من أمره في لَبْس». قالوا: نصبحُ ونَرَى فيك رأينا. فقال عامر: انظروا إلى غلامكم هذا ـ يعني لبيداً ـ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، إنما هو يتكلّم بما جاء على لسانه، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبُه. فرمَقوه فوجدوه وقد ركب رَحْلاً وهو يكدم وسطه[٥] حتَّى أصبح، فقالوا: أنت والله صاحبُه. فعَمَدوا إليه فحلقوا رأسَه وتركوا ذؤابته، وألبسوه حُلَّةً ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان، فوجدوه يتغدَّى ومعه الربيعُ بن زيادٍ، وهما يأكلان لا ثالثَ لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوُفود، فلما فَرغ من الغداء أذِن للجعفريِّين فدَخلوا عليه، وقد كان أمرُهم تقارَبَ، فذكروا الذي قدِموا له مِن حاجتهم، فاعترض الربيعُ بن زياد في كلامهم، فقال لبيد في ذلك:

أكُـلَّ يـومٍ هـامتـي مقـزَّعـهْ ... يـا رُبَّ هيجـا هـي خيـرٌ مـن دَعَـه

نحـن بنـي أمِّ البنيـنَ الأربعـة ... سيـوفُ حَـزٌّ وجفـانٌ مُتـرَعَـه

/ نحـن خيـارُ عـامـر بـن صعصعـة ... الضـاربـون الهـام تَحـتَ الخَيْضَعـة [١٥/٣٦٥]

والمطمعـون الجَفنـةَ المُـدعـدَعـه[٦] ... مهـلاً أبيـتَ اللَّعـنَ لا تـأكـلْ معـه /

إنّ استَـه مـن بَـرَص مُلمَّعـه[٧] ... وإنّـه يُـدخـل فيهـا إصبعـه

يُـدخِلهـا حتَّـى يُـواري أشجعَـه[٨] ... كـأنّـه يطلُـب شيئـاً ضيعـه

---

(١) المتطبب: «الذي يعاني الطب. وفي معظم الأصول: «متطيب» صوابه في مب، ها، ف.

(٢) في معظم الأصول: «لهم أعداء» صوابه في مب، ها، ف.

(٣) في معظم الأصول: «محيص» صوابه في مب، ها، ف.

(٤) التربة بكسر الراء وفتحها: شجرة شاكة وثمرتها كأنها بسرة معلقة. «اللسان» (ترب). ف، س: «الثربة» و معظم الأصول: «الثرية» وأثبت ما في مب.

(٥) الكدم: العض.

(٦) المدعدعة: المملوءة.

(٧) الملمعة: ذات اللمع. واللمعة: كل لون خالف لوناً.

(٨) الأشجع: مغرز الإصبع.

الشعر الذي أرسل به إلى النعمان

فرفع النعمانُ يدَه من الطعام وقال: خَبُثَتْ واللهِ عليَّ طعامي يا غلام؛ وما رأيتُ كاليوم. فأقبل الربيعُ على النعمان فقال: كذَبَ واللهِ ابنُ الفاعلة[1]، ولقد فعلتُ بأمّه كذا وكذا. فقال له لبيد: مثلُك فعل ذلك بربيبةِ أهلِه والقريبةِ من أهله، وإن أمي من نساءٍ لم يكنَّ فواعلَ ما ذكرت. وقضى النعمانُ حوائج الجعفريِّين، ومضى مِن وقتِه وصَرَفهم، ومضى الربيعُ بن زياد إلى منزله مِن وقته، فبعث إليه النعمانُ بِضعفِ ما كان يَحبوه، وأمره بالانصراف إلى أهله، فكتب إليه الربيع: إنّي قد عرفتُ أنّه قد وقَعَ في صدرك ما قال لبيد، وإنّي لستُ بارحاً حتّى تبعثَ إليّ من يجرِّدني فيعلَم مَنْ حضرَكَ من الناس أنّي لست كما قال لبيد. فأرسل إليه: إنّك لستَ صانعاً بانتفائك مما قال لبيدٌ شيئاً، ولا قادراً على ردِّ ما زَلّت به الألسُن، فالحقْ بأهلك. فلحِقَ بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبياتِ شعرٍ قالها، وهي:

لئـن رحلـتُ جِمـالِ لا إلـى سَعـةٍ ... مـا مثلُهـا سَعـةٌ عـرضـاً ولا طُـولا

بحيـثُ لـو وردَتْ لخـمٌ بـأجمعهـا ... لـم يَعدِلـوا ريشـةً مـن رِيش سَمـويـلا[2]

[٣٦٦/١٥] / تـرعـى الـروائـمُ أحـرارَ البقـولِ بهـا ... لا مثـلَ رَعيكـم مِلحـاً وغَسْـويـلا[3]

فـاثبُتْ بـأرضـك بعـدي واخـلُ متكئـاً ... مـع النُّطـاسـيّ طـوراً وابـن تُـوفيـلا

إجابة النعمان له بالشعر

فأجابه النعمانُ بقوله:

٩٦/١٤ / شـرِّدْ بـرحلـكَ عنّـي حيـثُ شئـتَ ولا ... تكثِـر علـيَّ ودغ عنـكَ الأبـاطيـلا

فقـد ذُكِـرتَ بشـيءٍ لسـتُ نـاسيَـه ... مـا جـاورت مصـرُ أهـلَ الشّـام والنّيْـلا

فمـا انتفـاؤك منـه بعـد مـا جَـزَعَـتْ ... هُـوجُ المطـيِّ بـه نحـو ابـن سَمـويـلا[4]

قـد قيـلَ ذلـك إنْ حقّـاً وإنْ كـذبـاً ... فمـا اعتـذارُك مـن قـولٍ إذا قيـلا

فـالحـقْ بحيـثُ رأيـتَ الأرضَ واسعـةً ... فـانشـر بهـا الطَّـرفُ إنْ عـرضـاً وإن طُـولا

شعره في هجاء الربيع بن زياد

قال: وقال لبيد يهجو الربيعَ بنَ زياد ـ ويزعمون أنها مصنوعة. قال:

رَبيـعُ لا يَسُقـكَ نحـوي سـائـقُ ... فتُطلَـبَ الأذحـالُ والحقـائـقُ[5]

---

(١) م، أ، حـ، مب، ها، ف: «ابن الحمق».

(٢) في «اللسان» (سمل): «سمويل: طائر. وقيل بلدة كثيرة الطير».

(٣) الروائم: التي ترأم أولادها: تعطف عليها. في معظم الأصول: «حراز البقول» والصواب ما أثبت من ف. وأحرار البقول: ما رق منها ورطب، وذكورها: ما غلظ وخشن. والغسويل بفتح العين المعجمة: نبت ينبت في السباخ. في الأصول ما عدا مب، ها، ف: «عسويلا»، تصحيف.

(٤) جزعت: قطعت. م: «ابن شمويلا». ف: «عيرا شماليلا».

(٥) الأذحال: جمع ذحل، وهو الثأر. في معظم الأصول: «الادخال» تصحيف، صوابه في مب وها و «الديوان» ٩.

ويُعلَمَ المُعْيا به والسّابقُ[١] ... ما أنتَ إن ضُمّ عليك المازِقُ[٢]
إلّا كشيءٍ عاقَه العوائقُ ... إنّك حاسٍ حُسوةً فذائقُ
لا بدّ أن يغمز منك العاتقُ[٣] ... غمزاً ترى أنّك منه ذارق[٤]
إنّك شيخٌ خائن منافقُ ... بالمخزيات ظاهرٌ مطابقُ

/ كان يخفي بعض شعره ثم أظهره [١٥/ ٣٦٧]

وكان لبيد يقول الشعر ويقول: لا تُظْهروه، حتى قال:

عفَت الدِّيار محلُّها فمُقامها

وذكر ما صنع الربيع بن زياد، وضَمْرة بن ضمرة[٥]. ومَنْ حَضَرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيدٌ حينئذٍ: أظهروها.

قال الأصمعي في تفسير قوله: الخيضعة، أصله الخضعة بغير ياء، يعني الجلبة والأصوات، فزاد فيها الياء. وقال في قوله «بالمخزيات ظاهر مطابق»: يقال طابق الدابةُ، إذا وضَعَ يديه ثم رفَعهما فوضع مكانَهما رجليه، وكذلك إذا كان يطأ في شوك. والمأزق: المضيق. والنازق: الخفيف.

سؤال الوليد له عما كان بينه وبين الربيع

نسخت من كتاب مرويّ عن أبي الحكم قال: حدثني العلاء بن عبد الله الموقِّع قال:

اجتمع عندَ الوليد بن عقبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم لبيدٌ، فسأل لبيداً عما كان بينه وبين الربيع بن زيادٍ عند النُّعمان، فقال له لبيد: هذا كانَ من أمر الجاهلية وقد جاء اللهُ بالإسلام. فقال له: عزمتُ عليك ـ وكانوا يَرَون لعَزْمة الأميرِ حقًّا ـ فجعَل يحدّثُهم، فحسده رجلٌ من غنيٍّ فقال: ما عَلِمْنا بهذا. قال: أجَلْ يا ابن أخي، لم يُدرِكْ أبوك مثلَ ذلك، وكان أبوك ممّن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك.

لم يسمع منه فخر في الإسلام غير يوم واحد

أخبرني عمي قال حدّثنا الكراني قال حَدّثني العمريّ قال: حدثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال:

/ لم يُسمَع من لبيدٍ فخرُه في الإسلام غيرَ يومٍ واحد، فإنّه كان في رَحَبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سَجّى نفسَه بثوبه، إذ أقبل شابٌّ من غنيّ فقال: قَبَحَ الله طُفيلاً حيث يقول: [١٥/ ٣٦٨]

جزَى الله عنّا جعفراً حيثُ أشرفَتْ ... بنا نعلُنا في الواطئين فزَلَّتِ

---

(١) في معظم الأصول: «المعنى»، صوابه من مب، ها و «الديوان».
(٢) ما عدا حـ، مب، ها، ف و «الديوان»: «إليك المازق» تحريف.
(٣) العاتق: ما بين المنكب والعنق. وفي معظم الأصول: «العائق» وفي مب، ها «الفائق».
(٤) ذارق، من قولهم ذرق يذرق: خذق بسلحه. أ، م، حـ: «ذائق»، وأثبت ما في «الديوان»، مب، ها، ف.
(٥) في معظم الأصول: «حمزة بن ضمرة»، تحريف صوابه في مب، ها، ف، وانظر «الاشتقاق» ١٤٩ و «البيان» (١: ١٧١).

أبَــوْا أن يَملُّـــونـــا ولـــو أنّ أمنَّـــا تُـــلاقِـــي الـــذي يَلقَـــوْن منّـــا لملَّـــت

فـــذو المـــال مسوفـــورٌ وكـــلُّ مُعصَّـــبٍ إلـــى حُجُـــرات أدفـــأت وأظَلَّـــت[١]

وقـــالـــت هلُمُّـــوا الـــدار حتّـــى تبيَّنـــوا وتنجلـــيَ الغَمَّـــاءُ عمّـــا تجلَّـــت[٢]

ليت شعري ما الذي رأى من بني جعفرٍ حيثُ يقول هذا فيهم؟ قال: فكشفَ لبيدٌ الثَّوبَ عن وجهه وقال: يا ابن أخي، إنَّكَ أدركتَ الناس وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يرعُون[٣] بعضَهم / عن بعض، ودارُ رزقٍ تَخرجُ الخادمُ بجرابها فتأتي برزقِ أهلها، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتَهم، ولو أدركتَ طُفيلاً يوم يقول هذا لم تَلُمْه. ثم استلقى وهو يقول: أستغفر الله. فلم يزل يقول: أستغفر الله؛ حتى قام.

٩٧/١٤

سؤال بني نهد له عن أشعر العرب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد قال:

قال مَرّ لبيدٌ بالكوفة على مجلسِ بني نَهْد[٤] وهو يتوكأ على مِحجنٍ له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب، فسأله فقال: الملك الضِّليل ذو القُروح. فرجعَ / فأخبرهم فقالوا: هذا امرؤ القيس. ثم رجع إليه فسأله: ثم من؟ فقال له: الغلامُ المقتول من بني بكر. فرجعَ فأخبرهم فقالوا: هذا طرفة. ثم رجع فسأله ثم من؟ فقال: ثم صاحب المحجَن، يعني نفسه.

٣٦٩/١٥ د

لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عبيدة قال:

لم يقل لبيدٌ في الإسلامِ إلاّ بيتاً واحداً، وهو:

الحمـــد لله إذْ لـــم يـــأتـــني أجَلـــي حتّـــى لبســـتُ مـــن الإســـلام سِـــربـــالا[٥]

كتاب عمر إلى المغيرة أن يستنشد من قبله من الشعراء

أخبرني أحمد قال: أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلَّبي قال: حدثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشَّعبي قال:

كتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة: أن اُستنشِد من قِبَلك من شُعراء مِصرك ما قالوا في الإسلام. فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْليّ، فقالَ له: أنشدني. فقال:

---

(١) المعصب، بكسر الصاد المشدّدة كما في «القاموس»: من يعصب بطنه بالخرق من الجوع. في معظم الأصول: «مصعب» تحريف صوابه في مب، ها. وانظر «مجالس ثعلب» ٤٦١ و «ديوان طفيل» ٥٧.

(٢) في معظم الأصول: «العمياء» مب، ها: «العوراء» والصواب من ف.

(٣) الكلمة محرفة في الأصل. فهي في م، حـ، ها، ف: «يرعون» ب، س: «يدعون». والصواب في أ.

(٤) في معظم النسخ: «نهل» ج: «بهر» وكلاهما محرف عما أثبت من مب، ها، ف.

(٥) في «الإصابة» ٧٥٣٥: «قال أبو عمرو: البيت الذي أوله «الحمد لله إذ لم يأتني أجلي» ليس للبيد، بل هو لقردة بن نفاثة». وقيل إن البيت الذي قاله في الإسلام:

مـــا عـــاتـــب الحـــر الكـــريـــم كنفســـه والمـــرء يصلحـــه الجليـــس الصـــالـــح

«الخزانة» (١: ٣٣٧).

أرجَــــزاً تـــــريــــدُ أم قصيـــــدا لقـــد طلبـــتَ هيّنـــاً مـــوجــوداً

تفضيله على الأغلب العجلي في العطاء

ثم أرسلَ إلى لبيدٍ فقال: أنشِدْني. فقال: إنْ شئت ما عُفِيَ عنه ـ يعني الجاهلية ـ فقال: لا، أنشِدْني ما قلتَ في الإسلام. فانطلق فكتب سُورة البقرة في صحيفةٍ ثم أتى بها وقال: أبدلَني الله هذه في الإسلام مكانَ الشعر. فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمرَ، فنقص من عَطاءِ الأغلبِ خمسَمائةٍ وجعَلَها في عطاء لبيد، / فكان عطاؤه ألفين [١٥/٣٧٠] وخمسَمائة، فكتبَ الأغلب: يا أمير المؤمنين أتنقُص عطائي أن أطعتُك؟! فردَّ عليه خمسَمائة وأقرَّ عطاءَ لبيدٍ على ألفين وخمسمائة.

محاولة معاوية إنقاص عطائه

قال أبو زيد: وأراد معاويةُ أن ينقُصَه من عطائه لمّا ولي الخلافة، وقال: هذان[١] الفَودان ـ يعني الألفين ـ فما بال العِلاوة؟ يعني الخمسَمائة. فقال له لبيد: إنما أنا هامةُ اليومِ أو غد، فأعرِني اسمها[٢]، فلعلّي لا أقبضُها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان[٣]. فرقَّ له وترك عطاءَه على حاله، فمات ولم يقبضْه.

خبر جوده وإعانة الوليد له على جوده

وقال عمر بن شبّة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم. وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا:

كان لبيد من جُودَاء العرب[٤]، وكان قد آلَى في الجاهلية أن لا تَهُبَّ صبا إلاّ أطعم، وكان له جفنتان يَغدو بهما ويَروحُ في كلِّ يومٍ على مسجد قومه فيُطعِمهم، فهبّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعِد الوليدُ المنبر فخطبَ الناس ثم قال: إنّ أخاكم لبيدَ بن ربيعة قد نذَر في الجاهلية ألا تَهبَّ صَباً إلاّ أطعم، وهذا يومٌ من أيامه، وقد هبّتْ صباً فأعينوه، وأنا أوّلُ من فَعَل. ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائةِ بكرة، وكتب إليه بأبياتٍ قالها:

أرى الجـــزّارَ يشحَـــذُ شفـــرتَيـــهِ إذا هبّـــتْ ريـــاحُ أبـــي عَقيـــلِ
/ أشــمُّ الأنــف أصيــدُ عــامــريٌّ طــويــلُ البــاع كــالسّيــفِ الصَّقيــلِ
وفَـــى ابـــنُ الجعفـــريّ بحَلْفَتيـــه علـــى العِـــلاّتِ والمـــالِ القليـــلِ[٥]
بِنَحـــرِ الكُـــوم إذ سُحِبـــت عليـــه ذيـــولُ صبـــاً تَجَـــاوَبُ بـــالأصيـــلِ

٩٨/١٤

---

(١) هذه الكلمة من ها، ف.

(٢) هذا الصواب من مب، ها، ف. وسائر النسخ: «فأعدني اسمها». وفي أ: «فأعد في اسمها».

(٣) في «معظم الأصول»: «العودان» صوابه من مب، ها، ف و «الشعر والشعراء» ٣٣٣ و «الخزانة». والفود في الأصل: العدل من الأعدال. والعلاوة: ما يكون بين العدلين من خشبة ونحوها. وانظر الخبر برواية أخرى في «المعمرين» ٦١.

(٤) الجوداء: جمع جواد. ما عدا في، ها، ف: «أجود العرب».

(٥) على العلات: على أكمل حال في عسره ويسره.

[١٥/ ٣٧١] / **إجابة بنته للوليد**

فلما بلغت أبياتُه لبيداً قال لابنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أعيا بجوابِ شاعر. فقالت ابنته:

إذا هبَّتْ رياحُ أبي عَقيلٍ ... دعَوْنا عند هَبَّتِها الوليدا
أشمَّ الأنف أروعَ عبشميّاً ... أعانَ على مروءته لَبيدا
بأمثالِ الهضابِ كأنّ رَكْباً ... عليها من بني حامٍ قُعودا[١]
أبا وهبٍ جَزاكَ اللهُ خيراً ... نَحرناها فأطعَمْنا الثَّريدا
فعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعادٌ ... وظنِّي يا ابنَ أروى أن تَعُودا[٢]

فقال لها لبيد: أحسنتِ لولا أنكِ استطعمتِه. فقالت: إنّ الملوكَ لا يستحيا من مسألتهم. فقال: وأنتِ يا بنيةُ في هذه أشعرَ.

سجود الفرزدق عند سماع شعر له

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن عمران الضبي قال: حدّثني القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبي قال:

قدم الفرزدق فمرّ بمسجد بني أُقَيصِر، وعليه رجلٌ يُنشِد قول لبيد:

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أقلامُها

فسجَد الفرزدق فقيل له: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفونَ سجدة القرآن، وأنا أعرفُ سجدةَ الشعر.

سؤال القراء الأشراف له عن أشعر الشعراء

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدّثنا يعقوب الثقفي، وابن عَيّاش، ومسعر بن كدَام، كلُّهم عن عبد الملك بن عُمَير قال:

[١٥/ ٣٧٢] / أخبرني مَنْ أرسله القراء الأشراف ـ قال الهيثم: فقلت لابن عياش: من القرّاءِ الأشراف؟ قال: سُليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، والمسيَّب بن نَجَبة الفزاري[٣]، وخالد بن عُرفُطة الزُّهري، ومسروق بن الأجْدَع الهَمداني، وهانىء بن عروة المُرادي[٤] ـ إلى لبيد بن رَبيعة وهو في المسجد، وفي يده مِحجَن فقلت: يا أبا عَقِيل، إخوانك يُقرونك السلام ويقولون: أيّ العربِ أشعر؟ قال: الملك الضِّليل ذو القروح. فرَدُّوني إليه وقالوا: ومَنْ ذو القروح؟ قال: امرؤ القيس. فأعادوني إليه وقالوا: ثم مَنْ؟ قال: الغلام ابن ثمانِ عَشْرة سنة. فرَدُّوني إليه فقلت: ومن هو؟ فقال: طَرَفة. فردُّوني إليه فقلت: ثم من؟ قال: صاح المحجَن حيث يقول:

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ ... وبإذن الله رَيْثي وعَجَلْ
أحمَدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ ... بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فعَلْ

---

(١) ما عدا أ، م، مب، ها، ف: «تجاذب».
(٢) هذا ما في مب، ها، وفي ف: «بابن اروى أن يعودا». وفي سائر النسخ: «لا أبالك أن تعودا».
(٣) كان المسيب ممن شهد القادسية وحروب علي. ترجم له في «تهذيب التهذيب».
(٤) هانىء بن عروة المرادي، مخضرم سكنَ الكوفة، وكان من خواص علي. ترجم له في «الإصابة».

مَــن هَــداه سُبُــلَ الخيــرِ اهتــدى ... نــاعــمَ البــالِ ومَــنْ شــاءَ أضــلّ[1]

يعني نفسه. ثم قال: أستغفرُ الله.

جلس المعتصم وغناه بعض المغنين شعراً للبيد بعد تغييره

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شَبَّة عن ابن البواب قال:

جلس المعتصمُ يوماً للشراب، فغنَّاه عض المغنِّين قولَه:

وبَنُــو العبــاس لا يــأتــون «لا» ... وعلــى ألسنهــم خفّــت «نَعَــمْ»

/ زَيّنــت أحــلامُهــم أحســابَهُــمْ ... وكــذاك الحلــمُ زَيــنٌ للكــرمْ

99/14

/ فقال: ما أعرِفُ هذا الشعر، فلمن هو؟ قيل: للبيد. فقال: وما للبيد وبني العبّاس؟ قال المغنّي: إنما قال: [15/373]

وبنو الدّيان[2] لا يأتون

فجعلتُه «وبنو العباس». فاستَحْسَنَ فعلَه ووصلَه.

إعجاب المعتصم بشعر لبيد

وكان يُعجَب بشعر لبيدٍ فقال: من منكم يروي قوله:

بلينا وما تَبلَى النجومُ الطوالع

فقال بعض الجلساء: أنا. فقال: أنشِدْنيها. فأنشد:

بَلِينــا ومــا تَبلَــى النُّجــومُ الطــوالــعُ ... وتَبقَــى الجبــالُ بعــدَنــا والمصــانــعُ

وقــد كنــتُ فــي أكنــافِ جــارِ مَضَنّــةٍ ... ففــارقنــي جــارٌ بــأربــدَ نــافــعُ[3]

فبكى المعتصمُ حتَّى جرت دموعهُ، وترحَّم على المأمون، وقال: هكذا كانَ رحمة الله عليه! ثم اندفعَ وهو يُنشِد باقيها ويقول:

فــلا جــزِعٌ إنْ فــرّقَ الــدَّهــرُ بيننــا ... فكــلُّ امــرىءٍ يــومــاً لــه الــدهــرُ فــاجــعُ

ومــا النــاسُ إلاّ كــالــدِّيــارِ وأهلِهــا ... بهــا يــومَ حلُّــوهــا ويَغــدُ بــلاقــعُ[4]

ويَمضُــون أرســالاً ونخلُــف بعــدَهــمْ ... كمــا ضــمَّ إحدى الــراحتيــنِ الأصــابــعُ

ومــا المــرءُ إلا كــالشّهــابِ وضــوئــه ... يَحُــورُ رَمــاداً بعــدَ إذْ هــو ســاطــع

ومــا البــرُّ إلا مُضمَــراتٌ مــن التُّقــى ... ومــا المــالُ إلا عــاريــاتٌ ودائــعُ[5]

/ أليــسَ ورائــي إنْ تــراخَــتْ منيَّتــي ... لُــزومُ العصــا تُحنَــى عليهــا الأصــابــع [15/374]

(1) «ديوان لبيد» ص ١١.

(2) بنو الديان، من بني الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب. «تاج العروس» (دين). وقد مدحهم السموأل. «الأمالي» (١: ٢٧٠). وأمية بن أبي الصلت. «الأمالي» (٣: ٣٨). في الأصول: ما عدا مب، ها، ف: «وبنو السريان»، تحريف.

(3) في معظم الأصول: «دار مضنة» و «بأربة»، صوابهما في ف و «الديوان» و «الشعر والشعراء» ٢٣٦.

(4) في معظم الأصول: «وتغدو» صوابه في مب، ها، و «الديوان» و «الشعر والشعراء»: «وغدوا بلاقع».

(5) في معظم الأصول: «وما المرء» صوابه في مب، ها، ف، و «الديوان» و «الشعر والشعراء».

أخبِّر أخبارَ القرونِ التي مضت ... أدبُّ كأنّي كلما قمتُ راكعُ
فأصبحتُ مثلَ السَّيفِ أخلَقَ جَفنَه ... تقادمُ عهدِ القَينِ والنصلُ قاطع
فلا تَبعَدَنْ إنّ المنيةَ موعِدٌ ... علينا فدانٍ للطُّلوع وطالع
أعاذلُ ما يُدريك إلاّ تَظَنِّياً ... إذا رحَل الفِتيانُ مَنْ هو راجع[1]
أتجزعُ مما أحدَثَ الدهرُ بالفتى ... وأيُّ كريم لم تُصِبْه القوارع
لعمركَ ما تدري الضَّواربُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صانع

قال: فعَجِبنا والله من حُسن ألفاظه، وصحّة إنشاده، وجودة اختياره.

تبرؤ عثمان بن مظعون من جوار الوليد بن المغيرة

أخبرني الحسين بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه. وحدّثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال[2]:

كان عثمان بن مظعون في جوارِ الوليد بن المغيرة، فتفكَّر يوماً في نفسه فقال: والله ما ينبغي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوار كافر ورسولُ الله ﷺ خائف. فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له: أحبُّ أن تبرأ من جِوارِي. قال: لعلَّه رابَكَ رَيب. قال: لا، ولكن أحبُّ أن تفعل. قال: فاذهبْ بنا حتّى أبرأ منك حيثُ أجرتك[3]. فخرج معه إلى المسجد الحرام فلمّا وقفَ على جماعةِ قريش قال لهم: هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرته ثم سألني أن أبرأ منه، أكذاك يا عثمان؟ / قال: نعم. قال: اشهدوا أني منه بريء. [١٥/٣٧٥]

تصديق عثمان بن مظعون وتكذيبه له في بيت شعر

قال: وجماعة يتحدَّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم، فجلس عثمان مع القوم فأنشدَهم لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله بَاطلُ

/ فقال له عثمان: صدَقت. فقال لبيد: ١٤/٨٠٠٠٠

وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ

فقال عثمان: كذبتَ. فلم يدر القومُ ما عنَى. فأشار بعضُهم إلى لبيدَ أن يُعيد، فأعاد فصدَّقه في النصف الأول وكذَّبه في الآخر، لأنّ نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشرَ قريش، ما كان مثلُ هذا يكون في مجالسكم. فقام أُبيُّ بن خَلَف أو ابنُه فلطم وجهَ عثمان، فقال له قائل: لقد كنتَ في مَنعَةٍ من هذا بالأمس. فقال له: ما أحوجَ عيني هذه الصحيحةَ إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأخرى في الله.

خبر للشعبي مع عبد الملك فيه رواية لشعر لبيد

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عَيّاش قال:

---

(١) التظني: التظنن، وهو الظن.
(٢) الخبر برواية أخرى عن ابن إسحاق في «الخزانة» (١ : ٣٤١). كما أن البغدادي سرد روايات أخرى في تكذيب لبيد وتصديقه.
(٣) في معظم الأصول: «أخذتك»، صوابه في مب، ها.

كتب عبدُ الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبيِّ إليه، فأشخصَه فألزمه ولدَه، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم، قال: فدعاني يوماً في عِلّته التي مات فيها فغَصَّ بلقمةٍ وأنا بين يديه، فتساندَ طويلاً ثم قال: أصبحتُ كما قال الشاعر:

كأنّي وقد جاوزتُ سبعين حجّةً ... خلعتُ بها عنّي عذارَ لجامِ

إذا ما رآني الناسُ قالوا ألم يكنْ ... شديدَ مَحالِ البطشِ غيرَ كَهامِ

رمتني بناتُ الدّهر من حيث لا أرى ... وكيف بمن يُرمَى وليس بِرامِ

ولو أنّني أُرمَى بسهمٍ رأيتُه ... ولكنّني أرمي بغير سهامِ

فقال الشعبيّ: فقلت: إنّا لِلّه، استسلم الرّجل واللهِ للموت! فقلتُ: أصلحكَ الله، ولكن مثلك ما قال لبيد:

/ باتت تَشكّى إليّ الموتَ مُجْهشةً ... وقد حملتُك سبعاً بعد سبعينا [١٥/٣٧٦]

فإن تُزادي ثلاثاً تبلغي أملاً ... وفي الثّلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فعاشَ إلى أن بلغ تسعين سنة فقال[١]:

كأنّي وقد جاوزتُ تِسعِينَ حِجةً ... خلعتُ بها عن مَنكبيّ ردائيا[٢]

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين. فقال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفي تكاملِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

فعاشَ إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال:

ولقد سئِمتُ من الحياة وطولِها ... وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لبيدُ

غَلَبَ الرجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ ... دَهرٌ جديدٌ دائم ممدود

يومٌ أرى يأتي عليه وليلةٌ ... وكلاهما بَعدَ المضاءِ يَعودُ

فرح عبد الملك بسماع شعر لبيد، ووفاته عقب ذلك

ففرِح واستبشر وقال: ما أرى بأساً، وقد وجَدْتُ خَفّاً[٣]. وأمرَ لي بأربعة آلافِ دِرهم، فقبضتُها وخرجت، فما بلغتُ البابَ حتّى سمِعتُ الواعيةَ[٤] عليه.

وغنّى في هذه الأبيات التي أوّلها:

غلَب الرجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ

عمرُ الواديّ خفيفَ رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو.

---

(١) التكملة من مب، ها، ف.

(٢) ما عدا مب، ها، ف: «سبعين حجة».

(٣) الخف، بالفتح: الخفة. ب، س: «خفة».

(٤) الواعية: الصراخ على الميت. ما عدا حـ، مب: «الناعية».

تفرّس النابغة فيه النجابة وهو صغير

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدثنا هارون بن مسلم عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حمادٍ الراوية قال:

[١٥/٣٧٧] / نظر النابغةُ الذبياني إلى لبيدِ بن ربيعة وهو صبيٌّ، مع أعمامه على باب النُّعمان بن المنذر، فسأل عنه فنُسِب له، فقال له: يا غلام، إنّ عينَيك لَعَينَا شاعرٍ، أفتقرِض من الشِّعر شيئاً؟ قال: نَعَمْ يا عمّ. قال: فأنشدْني شيئاً مما قلته. فأنشده قوله:

ألم تَربَعْ على الدِّمن الخوالي[1]

فقال له: يا غلامُ، أنت أشعر بني عامر، زِدْني يا بنيّ. فأنشده:

طللٌ لخولة بالرُّسَيس قديمُ

فضرب بيدَيه إلى جنبيه وقال: اذهبْ فأنت أشعرُ من قيسٍ كلِّها، أو قال: هوازنَ كلّها.

لقيه النابغة بعد خروجه من عند النعمان وشهد له

وأخبرني بهذا الخبر عمي قال: حدّثنا العمري عن لقيط عن أبيه، وحمادٌ الراويةُ عن عبد الله بن قَتادة المحاربي قال:

كنتُ مع النابغة بباب النُّعمان بن المنذر، فقال لي النابغة: هل رأيتَ لبيد بن ربيعة فيمن حضَر؟ قلت: نعم. قال: أيُّهم أشعر؟ قلت: الفتى الذي رأيتَ من حاله كَيْتَ وكيت. فقال: اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا. قال: فجلسنا فلما خرجَ قال له النابغة: إليَّ يا ابن / أخي. فأتاه فقال: إنشِدْني. فأنشده قوله: [١٠١/١٤]

ألـم تُلِمـمْ علـى الـدِّمَـن الخـوالـي ... لسَلْمَـى بـالمـذَانِـب فـالقُفَّـالِ[2]

فقال له النابغة: أنتَ أشعرُ بني عامر، زِدْني. فأنشده:

طَلَـلٌ لخـولـةَ بـالـرُّسَيسِ قـديـمُ ... فبعـاقـلٍ فـالأنعَمَيـن رُسـوم[3]

[١٥/٣٧٨] / فقال له: أنت أشعرُ هوازنَ، زدْني. فأنشده قوله:

عفَـت الـدِّيـارُ محلُّهـا فمُقـامهـا ... بمنًـى تـأبَّـدَ غَـولُهـا فـرِجـامهـا

فقال له النابغة: اذهبْ فأنت أشعر العرب.

وصيته لابن أخيه حينما حضرته الوفاة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن

---

(١) ربع كمنع. وقف وانتظر وتحبس.

(٢) في معظم الأصول: «بالمذائب»، صوابه من مب، ها، ف و «الديوان» ١٠٨ طبع ١٨٨٠. والقفال، بالضم، كما في «معجم البلدان».

(٣) الرسيس، بهيئة التصغير: وادٍ بنجد لبني كاهل من بني أسد. وعاقل: وادٍ بنجد أسفله لبني أسعد. في معظم الأصول: «بمعاقل»، صوابه من مب، ها، ف و «الديوان» ٩١. وجاء أيضاً في شعر لبيد:

ونـائحتـان تنـديـان بعـاقـل ... أخـا ثقـة لا عيـن منـه ولا أثـر

=

سعيد، أنّ لبيداً لما حضرتْه الوفاة قال لابن أخيه ولم يكن له ولدٌ ذكر: يا بنيّ، إنّ أباك لم يمُتْ ولكنّه فنِي. فإذا قُبِض أبوك فأقبِلْه القِبلةَ[1] وسجِّه بثوبه، ولا تَصرُخَنّ عليه صارخةٌ، وانظر جَفنتيّ اللتين كنت أصنعُهما فاصنَعْهما ثم احملْهما إلى المسجد، فإذا سلَّمَ الإمامُ فقدِّمْها إليهم، فإذا طَعِموا فقلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم. ثم أنشد قوله:

وإذا دفنـــتَ أبـــاك فـــاجـ ... ـعَــلْ فــوقَــه خشبــاً وطِينــا[2]

وسَقَـــائفــاً صُمّــاً رَوَا ... سِيهــا يسـدُّدن الغصــونــا[3]

ليقيـــن حُــرَّ الــوجــهِ سفـ ... ـسافَ التُّــراب ولـــن يَقِينــا

قال: وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة.

وقد ذكر يونس أنّ لابن سُريجٍ لحناً في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه، ولم يجنِّسه.

صوت

أبُنَــيَّ هــل أبصــرتَ أعـ ... ـمــامــي بنــي أمِّ البنينــا

وأبــي الــذي كــان الأرا ... مُــل فــي الشِّتــاء لــه قَطِينــا

وأبــا شَــريــك والمُنــا ... زِلَ فــي المضِيــق إذا لقينــا[4]

/ مــا إنْ رأيــتُ ولا سمعـ ... ـتُ بمثلهــمْ فــي العــالَمينــا [٣٧٩/١٥]

فبقيـــتُ بعـــدَهُـــم وكنـ ... ـتُ بطــول صُحبتهــم ضَنِينــا

دَعْنـــي ومــا ملكـــت يَميـ ... ـنــي إنْ ســددت بهــا الشــؤونــا[5]

وافعـــل بمــالِـــك مــا بــدا ... لـــك مُستعــانــاً أو مُعينــا

ما قال من الشعر لابنتيه حين احتضر

قال: وقال لابنتَيه حين احتُضِر[6]، وفيه غناء:

تمنّــى ابنتــايَ أن يعيــشَ أبــوهمــا ... وهَــلْ أنــا إلاّ مِــن ربيعــةَ أو مُضَــرْ

فــإنْ حــانَ يــومــاً أن يمــوت أبــوكمــا ... فــلا تَخمِشــا وجهَــا ولا تحلِقَــا شَعَــرْ

وقــولا هــو المــرءُ الــذي لا حليفَــه ... أضــاعَ، ولا خــانَ الصَّــديــقَ ولا غَــدَرْ

= والأنعمان: جبل ببطن عاقل. «رسوم» كذا في «الديوان»، مب، ها، ف. وفي سائر النسخ: «وشوم».

(١) أقبله الشيء: جعله يلي قبالته.

(٢) «الديوان» ص ٤٦ طبع ١٨٨١.

(٣) في معظم الأصول: «رواسبها» صوابه من «الديوان» مب، ها، ف.

(٤) في «الديوان»: «وأبو شريح».

(٥) في «الديوان»: «إن رفعت به شؤوناً». مب، ها. «شزونا»، وأثبت ما في سائر النسخ.

(٦) ما عدا مب، ها، ف: «لما حضرته الوفاة».

إلــى الحَــولِ ثــم اســمُ السَّــلامِ عليكمــا ومَــن يَبــكِ حــولاً كــامــلاً فقــد اعتــذر

١٠٢/١٤ في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى. وذكر الهشامي إنّه لإسحاق. وذكر / أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم.

كانت ابنتاه ترثيانه ولا تعولان

قال: فكانت إبنتاه تَلبسان ثيابَهما في كلِّ يوم، ثم تأتيان مجلسَ بني جعفر بن كلاب فتَرثِيانِه ولا تُعْوِلانِ، فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفَتَا.

صوت

سَــألنــاهُ الجــزيــلَ فمــا تــأبَّــى فــأعطــى فــوقَ مُنْيَتِنــا وزادا
وأحســنَ ثــمَّ أحسَــنَ ثــم عُــدْنــا فــأحسَــنَ ثــم عُــدتُ لــه فعــادا
مــراراً مــا دنــوتُ إليــه إلاّ تبسَّــم ضــاحكــاً وثَنَــى الــوِســادا

الشعر لزياد الأعجم، والغناء لشارية، خفيف رمل بالبنصر مطلق.

/ أخبار زيادِ الأعجم ونسبه

[١٥/ ٣٨٠]

نسبه

زياد بن سليمان[١]، مولى عَبد القيس، أحد بني عامر بن الحارث، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية[٢].

علة تسميته بالأعجم

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري. وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عن ابن حبيب قال:

هو زياد بن جابر بن عمرو، مولى عبد القيس. وكان ينزل إصطَخْر فغلبت العجمةُ على لسانه، فقيل له الأعجم.

مولده ومنشؤه

وذكر ابنُ النَّطاح مثلَ ذلك في نسبه، وخالف في بلده، وذكر أنّ أصلَه ومولده ومنشأه بأصبهان ثمّ انتقلَ إلى خراسان، فلم يَزَلْ بها حتّى مات.

وكان شاعراً جَزْل الشِّعر فصيحَ الألفاظ على لُكنةِ لسانِه، وجَريِه على لفظ أهل بلدِه.

مثل من لكنة زياد الأعجم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن موسى قال:

حُدِّثت عن المدائني أنّ زياداً الأعجمَ دعا غلاماً له ليُرسِله في حاجة، فأبطأ فلما جاءه قال له: منذ لدُنْ دَأَوْتُك إلى أن قلتَ لبّى[٣] ما كنت تسنأ؟ يريد منذُ لدُنْ دعوتُك إلى أن قلتَ لبَّيك ماذا كنتَ تصنع.

فهذه ألفاظه كما ترى في نهاية القُبْح واللُّكنة.

رثاؤه للمغيرة بن المهلب

وهو الذي يقول يرثي المُغيرةَ بن المهلّب[٤] بقوله:

---

(١) وكذا في «المؤتلف» ١٣١ . وفي «الشعر والشعراء» ٣٩٥ و «الخزانة» (٤ : ١٩٣): «زياد بن سلمى».

(٢) في «المؤتلف»: «أحد بني عامر بن الحارث، ثم أحد بني الخارجية».

(٣) في الأصول، ما عدا مب، ها: «لي»، تحريف. وفي «الخزانة»: «لبى».

(٤) كذا على الصواب في أ، مب، ها، وهو المطابق «للشعر والشعراء» ٣٩٧ و «أمالي القالي»، (٢ : ٨) و «الخزانة» و «معجم الأدباء» (١١ : ١٧٠). وفي سائر النسخ: «المهلب بن المغيرة»، تحريف.

[٣٨١/١٥] / صوت

قُلْ للقَوافِلِ والغَزِيِّ إذا غَزَوْا ... والباكِرِينَ وللمجدِّ الرائحِ (١)
إنّ المروءةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريقِ الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرِه فاعقِرْ بِهِ ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرفٍ سابِحِ (٢)
وانضَحْ جوانبَ قَبرِه بدِمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ
يا مَن بمهوَى الشَّمسِ من حيٍّ إلى ... ما بين مَطلعِ قَرنِها المتنازحِ (٣)
ماتَ المغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ ... للموتِ بين أسنّةٍ وصفائحِ
والقتلُ ليس إلى القتالِ ولا أرى ... حَيّاً يؤخَّر للشَّفيقِ الناصحِ

وهي طويلة. وهذا من نادر الكلام، ونقيِّ المعاني، ومختار القصيد، وهي معدودة من مراثي الشُّعراء في عصر زياد ومقدِّمها.

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأوَل غناءٌ أوّله نشيدٌ كلُّه، ثم تعود الصَّنعةُ إلى الثاني والثالث في طريقة الهزج بالوسطى.

[٣٠٣/١٤] وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن السكّري عن محمد بن حبيب، أنّ من الناس مَن / يروي هذه القصيدةَ للصَّلتان العبديّ. وهذا قولٌ شاذّ، والصحيح أنّها لزياد قد دوّنها الرواةُ، غيرَ مدفوعٍ عنها.

مثل آخر من أمثلة لكنته

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال:

[٣٨٢/١٥] / رثَى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب فقال:

إنّ الشَّجاعةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريقِ الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرِه فاعقِرْ بِهِ ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلب: يا أبا أمامة، أفعَقَرتَ أنت عنده؟ قال: كنتُ على بنت الهمار(٤). يريد الحمار.

أبيات لعض المحدثين في نحو معنى مرثيته السابقة

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال:

كنت حاضراً في مجلس أبي العباس، فقلت وقد قرىء عليه شعرُ زيادِ الأعجم، فقرئت عليه قصيدته:

قُل للقوافِلِ والغَزِيِّ إذا غَزَوا ... والباكرين وللمجدِّ الرائحِ (٥)

---

(١) الغزي: اسم جمع للغازي. ب، س: «للقرى إذا قروا»، تحريف. ويروى: «والغزاة إذا غزوا».
(٢) الطرف، بالكسر: الجواد الكريم الطرفين: الأب والأم. والسابح: السريع كأنه يسبح بقوائمه.
(٣) كذا في ف. وفي مب، ها: «بمعزى الشمس» وسائر النسخ: «ليعد الشمس». وفي «الأمالي»:
يا من بمغدى الشمس أو بمراحها ... أو من يكون بقرنها المتنازح
(٤) في جمهور الأصول: «بيت الحمار»، صوابه في مب، ها، ف.
(٥) ب، س: «والقرى إذا قروا». وانظر ما سبق في ص ٣٨١.

قال: فقلت إنّها من مختار الشعر، ولقد أُنشِدت لبعض المحدَثين في نحوِ هذا المعنى أبياتاً حسنة. ثمّ أنشدَنا:

أيُّهــا النــاعيــانِ مَــن تنعيــانِ ... وعلــى مَــنْ أراكمــا تبكيــانِ
انــدُبــا المــاجِــدَ الكــريــمَ أبــا إسـ ... ـحــاق ربَّ المعــروفِ والإحســانِ
واذهبــا بــي إنْ لــم يكــنْ لكمــا عَقْـ ... ـرٌ إلــى جنــب قَبــرِه فــاعقِــرانــي
وانضحَــا مــن دمِــي عليــه فقــد كــا ... ن دمــي مِــن نَــداهُ لــو تعلمــانِ

قصته مع حبيب بن المهلب في شأن الحمامة وديتها

أخبرني وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيهِ قال:

[١٥/ ٨٣] / كان المهلب بن أبي صُفرة بخُراسان، فخرج إليه زيادٌ الأعجم فمدحَه، فأمر له بجائزةٍ فأقام عندهُ أياماً. قال: فإنّا لبِعشيّةٍ نَشرب مع حبيب بن المهلَّب في دارٍ له، وفيها حمامةٌ، إذْ سجعت الحمامةُ فقال زياد:

تَغَنَّــيْ أنــتِ فــي ذِممِــي وعَهــدي ... وذمّــةِ والــدي إنْ لــم تُطــاري
وبيتُــك فــاصلِحيــهِ ولا تخــافــي ... علــى صُفْــرٍ مــزغَّبــة صِغــارِ
فــإنّــكِ كلَّمــا غنّيــتِ صــوتــاً ... ذكــرتُ أحبّتــي وذكــرتُ داري
فــإمّــا يَقتلــوكِ طلبــتُ ثــاراً ... لــه نبــأٌ لأنــك فــي جِــواري

فقال حبيبٌ: يا غلام، هاتِ القوس. فقال له زياد: وما تصنعُ بها؟ قال: أرمي جارتَك هذه. قال: واللهِ لئنْ رميتَها لاستعدِينَّ عليك الأمير. فأتي بالقوس فنزع لها سهماً فقتلَها، فوثب زيادٌ فدخل على المهلَّب فحدّثه الحديثَ وأنشده الشعر، فقال المهلَّب: عليَّ بأبي بِسطام، فأُتِيَ بحبيب فقال له: أعطِ أبا أمامةَ ديةَ جارته ألفَ دينار. فقال: أطال اللهُ بقاءَ الأمير، إنّما كنتُ ألعب. قال: أعطه كما آمرُك. فأنشأ زيادٌ يقول:

فللــه عينَــا مَــنْ رأى كَقضيّــةٍ ... قَضَــى لــي بهــا قَــرْمُ العِــراق المهلَّــبُ
رمــاهــا حبيــبُ بــن المهلَّــب رميــةً ... فــأثبتَهــا بــالسَّهــم والسهــمُ يغــرب[١]
فــألــزمَــه عَقْــلَ القتيــل ابــنُ حُــرّةٍ ... وقــال حبيــبٌ: إنّمــا كنــت ألعــبُ
/ فقــال: زيــادٌ لا يــروَّعُ جــارُه ... وجــارة جــاري مثــل جِلــدي وأقــربُ[٢]

١٠٤/ ١٤

/ نصر المهلب له على ولده حبيب

[١٥/ ٨٤]

قال: فحمَلَ حبيبٌ إليه ألفَ دينار على كره منه، فإنّه ليشرب مع حبيبٍ يوماً إذا عربدَ عليه حبيبٌ، وقد كان حبيب ضَغِن عليه ممّا جرى، فأمر بشقّ قَبَاءِ ديباجٍ كانَ عليه، فقام فقال:

لعمــرك مــا الــدِّيبــاجَ خــرّقْــتَ وحــدَهُ ... ولكنّمــا خــرّقْــتَ جلــدَ المهلَّــبِ

---

(١) أثبتها: قتلها مكانها. يغرب، من قولهم سهم غرب، إذا أتى من حيث لا يدري. وفي معظم الأصول: «يقرب»، والوجه ما أثبت من مب، ها.

(٢) ما عدا مب، ها: «مثل جاري».

فبعث المهلَّب إلى حبيب فأحضَرَه، وقال له: صدَق زِياد، ما خرّقت إلاّ جلدي، تبعث هذا على أن يهجوَني. ثم بعث إليه فأحضره، فاستلّ سخيمتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصَرَفه.

نصر المهلب له على ولده يزيد

وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً. قال أحمد بن الهيثم بن فراس، قال العمري عن الهيثم بن عديّ قال:

تهاجَى قَتادةُ بن مُغْرب[1] اليشكُري وزيادٌ الأعجمُ بخراسان، وكان زيادٌ يخرج وعليه قَباءُ دِيباج، تشبُّها بالأعاجم، فمر به يزيدُ بن المهلَّب وهو على حاله تلك، فأمر به فقُنِّعَ أسواطاً، ومزّقت ثيابه وقال له: أبأهل الكفرِ والشّرك تتشبه[2] لا أمّ لك؟ فقال زياد:

لعمـركَ مـا الـديبـاجَ خَـرَّقْـتَ وحـدَه ... ولكنَّمـا خـرّقـتَ جلـدَ المهلَّـبِ

وذكر باقيَ الخبر مثله وقال فيه:

فدعا به المهلَّب فقال له: يا أبا أمامة، قلتَ شيئاً آخر؟ قال: لا والله أيُّها الأمير. قال: فلا تقُلْ. وأعتبَه[3] وكساه وحَمَله، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له: اعذِرْ ابنَ أخيك يا أبا أمامة، فإنه لم يَعرفْك.

[٣٨٥/١٥] / وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ يقولها زيادٌ الأعجم في عُمَر بن عبيد الله بن معمر التَّيمي.

شعر له في عراك الفقيه

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شَبّة قال:

أتى زيادٌ الأعجم عمرَ بن عَبيد الله بن مَعمرٍ بفارس، وقدِم عليه عِراك[4] بن محمّد الفقيهُ من مِصر، فكان عِراكٌ يحدِّثه بحديث الفقهاء، فقال زياد:

يحـدِّثنـا أنَّ القيـامـةَ قـد أتَـتْ ... وجـاء عِـراكٌ يبتغـي المـالَ مـن مِصـر

فكـم بيـنَ بـابِ التُّـوبِ إنْ كنـتَ صـادقـاً ... وإيـوان كسـرى مـن فَـلاةٍ ومِـن قصـرِ[5]

وقال يمدح عُمر بن عُبيد الله:

سـألنـاه الجـزيـلَ فمـا تـأبّـى ... وأعطـى فـوقَ مُنْيَتِنـا وزادا

وذكر الأبياتَ الثلاثة.

استنجازه وعداً لابن معمر وشعره في ذلك

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: أخبرني محمد بن زياد، عن ابن عائشة. وأخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، وخبرُ ابنِ أبي الدُّنيا أتمّ. قال:

---

(١) أ، م، ها، مب، ف: «معرب» وفي سائر النسخ: «مقرب»، صوابهما من «الشعر والشعراء»، وسيأتي على الصواب قريباً.

(٢) س، ب، أ: «أبا المهلب والترك تتشبه». وفي حـ، ها، ف: «أبأهل الشرك تتشبه». وأثبت ما في م، مب.

(٣) أعتبه: أزال عتبه، أي أرضاه.

(٤) ما عدا مب، ها، ف: «غزال» في هذا الموضع والشعر بعده.

(٥) في معظم الأصول: «باب الترك»، صوابه في مب، ها، ف. ويعني بباب النوبة، مصر. حـ فقط: «وأبواب كسرى».

كان زيادٌ الأعجم صديقاً لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يَلي، فقال له عمر: يا أبا أمامة، لو قَد وَلِيت لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبداً. فلما وليَ فارسَ قصدهُ، فلمَّا لقيَه أنشأ يقول:

أبلـغْ أبـا حفـصٍ رسـالـةَ نـاصـح أتـتْ مـن زيـادٍ مستبينـاً كـلامُهـا
فـإنّـكَ مثـلُ الشَّمـس لا سِتـرَ دونَهـا فكيـف أبـا حفـص علـيَّ ظَـلامُهـا

/ فقال له عمر: لا يكون عليك ظلامُها أبداً. فقال زياد: [٣٨٦/١٥]

لقـد كنـتُ أدعـو الله فـي السِّـرّ أن أرى أمـورَ معـدٍّ فـي يـديـك نظـامُهـا

فقال له: قد رأيتَ ذلك. فقال:

/ فلمـا أتـانـي مـا أردتُ تبـاشَـرَتْ بنـاتـي وقلـنَ العـامَ لا شـكَّ عـامُهـا ١٠٥/١٤

قال: فهو عامهنّ إن شاء الله تعالى. فقال:

فـإنّـي وأرضـاً أنبت فيهـا ابـنَ معمـرٍ كمكّـةَ لـم يَطـربْ لأرضٍ حمَـامهـا[1]

قال: فهي كذلك يا زياد. فقال:

إذا اختـرتَ أرضـاً للمقـامِ رضيتُهـا لنفسـي ولـم يثقُـلْ علـيَّ مُقـامُهـا
وكنـتُ أمنّـي النفـسَ منـك ابـنَ معمـر أمـانـيَّ أرجـو أن يتـمَّ تمـامُهـا

قال: قد أتمَّها الله عليك. فقال:

فـلا أكُ كـالمُجـرِي إلـى رأسِ غـايـةٍ يُـرجّـي سَمـاءً لـم يصِبْـه غَمـامُهـا

مديحه لعبد الله بن الحشرج

قال: لستَ كذلك فسَلْ حاجتَك. قال: نَجيبةٌ ورحالتها[2]، وفرسٌ رائع وسائسُه، وبَدْرةٌ وحاملها، وجاريةٌ وخادمُها، وتَختُ ثيابٍ[3] ووصيفٌ يَحمِله. فقال: قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ، وهو لك علينا في كلِّ عام. فخرج مِنْ عنده حتّى قدم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابُور، فأنزلَه وألطفَه[4]، فقال في ذلك:

إنَّ السَّمـاحـةَ والمـروءةَ والنَّـدَى فـي قُبَّـةٍ ضُـرِبـت علـى ابـن الحَشْـرَج
مَلِـكٌ أغـرُّ متـوَّجٌ ذو نـائـلٍ للمُعْتَفِيـن يمينُـه لـم تَشنـج
/ يـا خيـرَ مـن صعِـد المنـابـر بـالتقـى بعـد النبـيِّ المصطفـى المتحـرِّج [٣٨٧/١٥]
لمـا أتيتُـك راجيـاً لنـوالكـمْ ألفيـتُ بـابَ نـوالكـم لـم يُـرتَـجِ[5]

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

(١) الطرب: الشوق.
(٢) النجيبة: الناقة الكريمة. والرحالة: الرحل.
(٣) التخت: وعاء يصان فيه الثياب.
(٤) ألطفه: أتحفه بالهدايا والألطاف.
(٥) أ، م: «راجياً أموالكم».

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه: «أتى زيادُ عبدَ الله بن عامر بن كريز». والخبر الأوّلُ أصحُّ. وزاد في الشعر:

أخٌ لــك لا تــراه الــدّهــرَ إلّا ... علــى العِــلّاتِ بسّــامــاً جَــوادا

فقال له عمر: أحسنت يا أبا أمامة، ولكَ لكلِّ بيتٍ ألف. قال: دعْني أتمّها مائة. قال: أمَا إنّك لو كنت فعلتَ لفعلتُ، ولكن لك ما رُزِقتَ.

رثاء عبد الملك لعمر بن عبيد الله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا ابن عائشة قال: حدّثني أبي قال:

لما خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمر بن عبيد الله بن مَعْمر ليَقْدَمَ عليه، فلما كان بضُمَيرٍ، وهي من الشأم، ماتَ بالطاعون، فقام عبدُ الملك على قبره وقال: أمَا والله لقد علمَتْ قريشٌ أن قد فَقَدتِ اليومَ ناباً من أنيابها. وقال جدّ خَلّاد بن أبي عمرو الأعمى، وكانوا مواليَ أبي وَجْرَة بنِ أبي عمرو بن أميّة: أهو اليوم نابٌ لمّا ماتَ، وكان أمسِ ضِرساً كَلِيلة؟! أمَا والله لوَدِدْتُ أنّ السماء وقَعَتْ على الأرض فلم يعِش بينهما أحدٌ بعده! وسمعها عبد الملك فتغافَلَ عنها.

رثاء الفرزدق لعمر بن عبيد الله

قال: وقال الفرزدق يرثيه:

يــا أيُّهــا النــاس لا تَبكُــوا علــى أحــدٍ ... بعــد الــذي بضُمَيــرٍ وافَــقَ القَــدرا

كــانــت يــداه لنــا سَيفــاً نَصُــول بــه ... علــى العــدُوّ وغيثــاً ينبِــت الشَّجَــرا

/ أمّــا قــريــشٌ أبَــا حفــصٍ فقــد رُزِئــت ... بــالشّــام إذا فــارقتــكَ البــأسَ والظفَــرا [١٥/٣٨٨]

/ مَــن يقتــلُ الجــوعَ مــن بعــد الشهيــدِ ومَــنْ ... بــالسيــف يقتــل كَبْشَ القــوم إذ عَكَــرا[1] ١٠٦/١٤

إنّ النــوائــح لــم يَعــدُدْنَ فــي عُمــرٍ ... مــا كــان فيــه إذَا المــولــى بــه افتخــرا

إذا عــدَدنَ فعــالاً أو لَــهُ حسبــاً ... ويــومَ هيجــاءَ يُغْشــى بــأسُــه البصــرا

كــم مِــن جبــانٍ إلــى الهيجــا دنــوتَ لــه ... يــومَ اللّقــاء ولــولا أنــت مــا صَبَــرا

ثناء عبد الله بن عمر على عمر بن عبيد الله

أخبرنا أحمد حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عفان بن مسلم، قال: حدّثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا حميد عن سليمان بن قَتّة[2] قال:

بعث عُمر بن عُبيد الله بن مَعمَر إلى ابن عُمر[3]، والقاسم بن محمد، بألفِ دينار، فأتيتُ عبد الله بن عُمر وهو

---

(١) الكبش: رئيس القوم وسيدهم. في جمهور الأصول: «كيس» صوابه في مب، ها، ف، و «ديوان الفرزدق» ٢٩٢. وفي جمهور الأصول: «إن غدرا» والوجه ما أثبت من مب، ها، ف و «الديوان». عكر: كر وعطف.

(٢) حـ: «سلمان بن قبة». وفي سائر الأصول: «سلمان بن عتبة»، صوابه في مب، ها، ف.

(٣) في معظم الأصول: «إلى عمر» صوابه في مب، ها، ف.

يغتسل في مُستحَمٍّ له، فأخرج يدَه فصببتها في يده، فقال: وصَلتَ رحِماً، وقد جاءتنا على حاجة. وأتيتُ القاسمَ فأبى أن يَقْبَلها، فقالت لي امرأته: إنْ كان القاسمُ ابنَ عمِّه فأنا لابنةُ عمِّه. فأعطيتُها. قال: فكان عمرُ يبعث بهذه الثِّياب العَمرية يقسِّمها بين أهل المدينة، فقال ابن عُمر: جَزَى الله مَن اقتنى هذه الثيابَ بالمدينة خيراً. وقال لي عمر: لقد بلغني عن صاحبك شيءٌ كرهتُه. قلت: وما ذاك؟ قال: يُعطِي المهاجرين ألفاً ألفاً، ويُعطي الأنصار سَبعَمائة سبعَمائة. فأخبرته فسوَّى بينهم[1].

/ شراء عمر بن عبيد الله جارية ثم ردّها على صاحبها [٣٨٩/١٥]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو زيد قال:

كانت لرجل جاريةٌ يهواها، فاحتاج إلى بيعها، فابتاعها منه عُمر بن عُبيد الله بن معمر، فلما قبضَ ثمنَها أنشأتْ تقول:

هنيئاً لك المال الذي قد قبضتَه ... ولم يبق في كَفَّيّ غير التحسُّرِ
فإنّي لحُزْنٍ من فِراقك مُوجَعٌ ... أناجِي به قلباً طويلَ التفكّر

فقال: لا ترحلي. ثم قال:

ولولا قُعود الدّهر بي عنكِ لم يكن ... يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذري
عليك سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وَصلَ إلا أنْ يشاء ابنُ معمرِ

فقال: قد شئتُ، خذِ الجارية وثمنَها. فأخذَها وانصرف.

شعر لزياد في استبطاء عمر بن عبيد الله

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن زياد قال: حدّثني ابن عائشة قال:

استبطأ زيادُ الأعجم عُمر بن عبيد الله بن مَعمر في زيارته إياه فقال:

أصابت علينا جودَكَ العينُ يا عُمرْ ... فنحنُ لها نبغي التمائم والنُّشَرْ[2]
أصابتك عينٌ في سماحك صلبةٌ ... ويا رُبَّ عينٍ صُلبةٍ تَفلِق الحجَرْ
سنَرقيكَ بالأشعارِ حتى تَملَّها ... فإنْ لم تُفِقْ يوماً رقَيناكَ بالسُّوَر[3]

فبلغته الأبياتُ فأرضاه وسرَّحه.

هجاء زياد الأعجم عباد بن الحصين

أخبرني عمي قال: حدثني الكُرانيّ قال حدثني العمريّ قال: حدثني من سمع حماداً الراوية يقول:

---

(١) حـ: «بينهما».
(٢) النشر: جمع نشرة، بالضم، وهي ضرب من الرقية.
(٣) ما عدا أ، مب، ها، ف: «وقيناك».

[١٥/ ٣٩٠] / امتدح زيادٌ الأعجم عبّاد بن الحُصين الحَبَطي[١] وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[٢] الذي يقال له «القُبَاع»، وطلب حاجة فلم يَقضِها، فقال زياد:

سـألـتُ أبـا جَهضَـمٍ حـاجـةً ... وكنـتُ أُراه قـريبـاً يسيـرا
فلـو أنني خِفـتُ منـه الخِـلا ... فَ والمنـعَ لـي لـم أسَلْـهُ نَقِيـرا
[١٠٧/١٤] / وكيـف الـرَّجـاءُ لِمَـا عنـدَه ... وقـد خـالـط البخـلُ منـه الضميـرا
أَقِلْنـي أبـا جَهضـمٍ حـاجَتـي ... فـإنـي امـرؤٌ كـان ظَنّـي غُـرُورا

هجاؤه ليزيد بن حبناء حينما وعظه

أخبرني عمي قال: حدثني الكُرَانيّ عن العُمَري، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال:

مرَّ يزيد بن حَبْناء الضبّيّ بزيادِ الأعجم وهو ينشِد شعراً قد هجا به قَتادةَ بن مغرِب، فأفحشَ فيه، فقال له يزيدُ بن حبناء: ألم يأنِ لك أن تَرعوِيَ وتتركَ تمزيق أعراضِ قومِك، وَيْحك! حتّى متى تتمادَى في الضلال، كأنّك بالموت قد صَبَّحك أو مَسّاك! فقال زياد فيه:

يحـذّرنـي المـوتَ ابـنُ حبنـاءَ والفتـى ... إلـى المـوت يَغـدو جـاهـداً ويَـرُوحُ
وكـلُّ امـرىءٍ لا بـدّ للمـوتِ صـائـرٌ ... وإن عـاشَ دهـراً فـي البـلاد يسيـح
فقـل ليـزيـدٍ يـا ابـنَ حَبْنـاء لا تَعِـظْ ... أخـاك وعِـظْ نفسـاً فـأنـت جَنـوحُ
[١٥/ ٣٩١] / تـركـتَ التُّقـى والـديـنُ ديـنُ محمّـدٍ ... لأهـل التُّقـى والمسلميـن يلـوحُ
وتـابَعْـتَ مُـرّاقَ العـراقَيـنِ سـادراً ... وأنـتَ غليـظ القُصْـرَيَيْـنِ صحيـح[٣]

فقال له يزيد بن عاصم الشَنّيّ[٤]: قَبَحَك الله، أتهجو رجلاً وعظَك وأمرَك بمعروف بمثلِ هذا الهجاء، هلاّ كففتَ إذ لم تقبل، أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تَحْبَقُ فيك عَنْزان[٥]، اذهبْ ويحك فأتِه واعتذر إليه لعلَّه يَقبلُ عذرَك. فمشَى إليه بجماعةٍ مِن عبد القيس فشفَعوا إليه فيه، فقال: لا تثريبَ، لستُ واجداً عليه بعد يومي هذا.

مدحه للمهلب ببيت جائزته ثلاثون ألف درهم

أخبرني أحمد بن علي قال: سمعت جدي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جُعفيٍّ قال:

---

(١) الحبطي: نسبة إلى الحبطات بفتحتين، وهم أبناء الحبط بفتح فكسر، وهو الحارث بن عمرو بن تميم بن مر. «الاشتقاق» ١٢٤ و «المعارف» ٣٥. وذكر ابن دريد في «الاشتقاق» والجاحظ في «البيان» (٤ : ٣٦) عباد بن الحصين الحبطي. حـ: «الحنطي» وب، س، م «الحنطبي» ف: «الحنظلي» صوابه في أ، مب، ها.

(٢) في جمهور الأصول: «الحارث أيام عبد الله بن ربيعة»، والصواب ما أثبت من مب، ها، ف. انظر «البيان» (١ : ١٩٦) و «الشعر والشعراء» ٥٣٦.

(٣) المراق: الخوارج، جمع مارق. والقصريان: مثنى القصرى، وهي آخر ضلع الجنب أسفل الأضلاع.

(٤) ما عدا حـ، مب، ها، ف: «الليثي».

(٥) هذا الصواب من مب، ف. وفي جمهور الأصول: «ثم لا يحيق فيك غيران». تحبق: تضرط. وانظر لهذا المثل «أمثال الميداني» (٢ : ١٥٧) و «البيان» (٢ : ١٥).

كنتُ جالساً عند المهلّب إذ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب، فلما رآه المهلّب قال: اللهمَّ إني أعوذُ بك من شَرّه! فجاء فقال: أصلحَ الله الأمير، آنّي قد مدحتك ببيتٍ صَفَدُه مائة ألف درهم[1]. فسكت المهلّب، فأعاد القول فقال له: أنشدْه. فأنشده:

فتًى زادَهُ السُّلطانُ في الخيرِ رغبةً ... إذا غيَّرَ السُّلطانُ كلَّ خليلِ

فقال له المهلّب: يا أبا أُمامة، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا ولكنْ ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ. وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعجم.

[١٥/٢٩٢]

/ هجاؤه للفرزدق وفزع الفرزدق منه

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني وأبو العيناء عن القَحذميّ قال:

لقي الفرزدقُ زياداً الأعجمَ فقال له الفرزدق: لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس، وأصفَ من فَسْوِهِم شيئاً. قال له زياد: كما أنتَ حتّى أسمعَك شيئاً. ثم قال: قل إن شئتَ أو أمسِك. قال: هات. قال:

وما تَرَكَ الهاجون لي إن هجوتُه ... مَصَحّاً أراه في أديمِ الفرزدقِ

فإنّا وما تُهدِي لنا إنْ هجوتَنا ... لكالبحرِ مَهما يُلقَ في البحرِ يَغرقِ

فقال له الفرزدق: حَسبك هَلُمَّ نَتَتارك[2]. قال: ذاك إليك. وما عاودَه بشيء.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: حدثني خِراش[3]، وكان عالماً راوية لأبي، ولمؤرِّج[4]، ولجابر بن كلثوم، قال:

أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناسَ في المِربَد وقد اجتمعوا حولَه، فقال: مَن هذا؟ قيل: الأعجم. فأقبل نحوه / فقيل له: هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك. فقام فتلقّاه وحيّا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، فقال له الفرزدق: ما زالت تنازعُني نفسي إلى هجاءِ عبد القيس منذُ دهر. قال زياد: وما يدعوك إلى ذلك؟ قال: لأنّي رأيتُ الأشقريَّ هجاكم فلم يصنَعْ شيئاً، وأنا أشعرُ منه، وقد عرفتُ الذي هيّج بينك وبينه. قال: وما هو؟ قال إنّكم اجتمعتم في قُبّة عبد الله بن الحَشرج بخُراسان، فقلتَ له قد قلت شيئاً فمن قال مثلَه فهو أشعر منّي، ومن لم يَقُلْ مثلَه ومدَّ إليّ عنقَه فإنّي أشعر منه. فقال لك: وما قلتَ؟ فقلتَ: قلتُ:

١٠٨/١٤

/ وقافيةٍ حَذّاءَ بِتُّ أحُوكُها ... إذا ما سُهيلٌ في السّماءِ تَلألا[5]

[١٥/٢٩٣]

فقال لك الأشقريّ:

وأقلفَ صلّى بعدَ ما ناكَ أمَّه ... يرى ذاك في دِينِ المجوسِ حَلالا

---

(١) الصفد: العطاء.

(٢) ما عدا حـ، مب، ها، ف: «نتشارك»، تحريف. والمراد بالمتاركة المهادنة.

(٣) أ: «خداش».

(٤) بالراء المشدّدة المكسورة، وهو أبو فيد عمرو بن الحارث السدوسي، قال في «القاموس»: سمي بذلك لتأريجه الحرب بين بكر وتغلب. والتأريج: الإغراء.

(٥) قصيدة حذاء: سائرة لا عيب فيها ولا يتعلق بها شيء من القصائد لجودتها.

فأقبلْتَ على من حضَر فقلت: يا لَأُمِّ كعبٍ أخزاها الله تعالى، ما أنمَّهَا حين تُخبر ابنها بقُلْفتي! فضحك الناسُ وغلبت عليه في المجلس.

فقال له زياد: يا أبا فراس، هَبْ لي نفسك ساعةً ولا تعجَل حتّى يأتيك رسولي بهديّتي ثم ترى رأيك. وظنّ الفرزدقُ أنه سيُهدي إليه شيئاً يستكِفّه به، فكتب إليه:

وما تَرك الهاجُون لي إن أردتُه ... مَصَحًّا أراهُ في أديم الفرزدقِ
وما تركوا لحماً يدقّون عَظْمَه ... لآكِلِه ألقَوْه للمتعرِّق
سأحطِمُ ما أبقَوْا له من عِظامه ... فأنكتُ عظمَ الساق منه وأنتقي[1]
فإنا وما تُهدي لنا إنْ هجوتَنا ... لكالبحر مَهما يُلْقَ في البحر يَغرَق

فبعث إليه الفرزدق: لا أهجو قوماً أنتَ منهم أبداً.

زياد أهجى من كعب الأشقري

قال أبو المنذر: زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ، وقد أُوثِرَ عليه في عدّة قصائد. منها التي يقول فيها.

قُبَيّلةٌ خيرُها شرُّها ... وأصدقُها الكاذب الآثمُ[2]
وضَيفهمُ وَسْطَ أبياتهم ... وإن لم يكن صائماً صائمُ

وفيه يقول:

إذا عذَّبَ الله الرجالَ بشِعرهم ... أمِنْتُ لكعبٍ أنْ يعذَّبَ بالشعرِ

[١٠/٣٩٤] / وفيه يقول:

أتتكَ الأزدُ مصفَرًّا لِحَاها ... تَساقَطُ من مناخرِها الجُوَافُ[3]

هجاؤه لأبي قلابة الجرمي

أخبرني وكيعٌ قال: حدثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدثنا الهيثم عن ابن عياش قال:

دخل أبو قِلابةَ الجَرْميّ مسجدَ البصرة وإذا زيادٌ الأعجم، فقال زياد: مَن هذا؟ قال: أبو قِلابة الجَرميّ، فقام على رأسه فقال:

قُمْ صاغراً يا كهلَ جَرمٍ فإنّما ... يقال لكَهل الصِّدق قُمْ غيرَ صاغر

---

(١) يقال نكت العظم: ضرب طرفه بشيء ليخرج مخه. والانتقاء: استخراج النقي، وهو المخ. في جمهور الأصول: «فأنكب»، صوابه من مب، ها، ف، و «الشعر والشعراء» ٩٦ و «معجم الأدباء».

(٢) قبيلة: مصغر قبيلة.

(٣) الجواف: ضرب من السمك، واحدته جوافة. وفي جمهور الأصول: «من مباديها الحراف»، والوجه ما أثبت من مب، ها، ف، و «الشعر والشعراء».

فـــإنّـــك شَيـــخٌ ميّـــت ومـــورّثٌ قُضـاعـةَ ميـراثَ البَسـوسِ وقـاشِـر[١]

قضـى الله خَلْـقَ النّـاس صـم خُلِقْتُـم بقيّـــةَ خَلْـــق الله آخِـــرَ آخِـــرِ

/ فلـم تسمعـوا إلاّ بمـا كـان قبلَكـم ولـم تُـدرِكـوا إلاّ بـدقِّ الحـوافـرِ[٢]

109/14

فلـو ردّ أهـلُ الحـق مَـن مـات منكُـم إلـى حقّـه لـم تُـدفَنـوا فـي المقـابـر

فقيل له: فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة؟ قال: في النّواويس[٣].

تم الجزء الخامس عشر من كتاب الأغاني



(١) البسوس: مثل في الشؤم، وهي البسوس بنت منقذ التميمية، خالة جساس بن مرة. وحرب البسوس مشهورة في كتب الأيام. وقاشر: فحل مشؤوم، كان لبني عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ما عدا مب، ها، ف: «ناشر» ولا وجه له.

(٢) أي إلا بتتبع آثار ما تدقه الحوافر.

(٣) النواويس: جمع ناوس، وفي «اللسان»: «والناوس مقابر النصارى، إن كان عربياً فهو فاعول منه».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء الخامس عشر







كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي



الجزء السادس عشر

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

/ بسم الله الرحمن الرحيم [١٦/٣]

الجزء السادس عشر
من كتاب الأغاني

أخبار شارية

نسبها وتعلمها الغناء

قال أبو الفرج عليّ بن الحسين:

كانت شارية مولدة من مولدات البصرة، يقال إن أباها كان رجلاً من بني سامة بن لؤيّ المعروفين ببني ناجية[١]، وأنه جحدها، وكانت أمها أمَة، فدخلت في الرق. وقيل بل سُرقت فبيعت، فاشترتها امرأة من بني هاشم، فأدّبتها، وعلمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي، فأخذت غناءها[٢] كله أو أكثره عنه، وبذلك يحتج من يقدّمها على عَريب، ويقول: إن إبراهيم خرَّجها، وكان يأخذها بصحة الأداء / لنفسه، وبمعرفة ما يأخذها به. [١٦/٤] ولم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبي[٣] لم يكن يقارب إبراهيم في العلم، ولا يقاس به في بعضه[٤]، فضلاً عن سائره.

ابن المعتز يؤلف عنها

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قُرَيص[٥]:

أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألّفه في أخبارها، وقال له أن يرويه عنه، فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب، وسمعته أنا عمن رويته عنه.

---

(١) سامة بن لؤي بن غالب: أخو كعب الجد السادس للنبي ﷺ. واختلف فيه: فقال أبو الفرج الأصبهاني: إن قريشاً تدفع بني سامة، وتنسبهم إلى أمهم ناجية. وقال الهمداني: يقول الناس: بنو سامة، ولم يعقب ذكراً، إنما هم أولاد بنته، وكذلك قال عمر وعليّ، ولم يفرضا لهم، وهم ممن حرم. وقال ابن الكلبي والزبير بن بكار: فولد سامة بن لؤي الحارث وغالباً (انظر «تاج العروس» الزبيدي في: سوم).

(٢) كذا في ف، وفي بقية الأصول: غناءه.

(٣) كذا في ف، مب، و«نهاية الأرب» (٥: ٩٦) وهو عبد الله بن إسماعيل المراكبي، مولى عريب، ومخرجها في الغناء. وفي بقية الأصول: المرادي، تحريف.

(٤) كذا في ف. وفي أ، م: ولا يقاس في بعضه. وفي ج: ولا يقاس بعضها بعضه.

(٥) هو قريص المغني، قال ابن النديم في «الفهرست» (مصر ٢٢٢): قريص الجراحي، كان في جملة أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، واسمه . . . . «من حذاق المغنين وعلمائهم» وقريص: بصاد مهملة كما في ف وبعض النسخ، لا بالضاد كما في بعض آخر؛ يؤيد ذلك الجناس في بيت جحظة البرمكي، من أبيات يهجوه بها:

أكلنا قريصاً وغنى قريص ... فبتنا على شرف الفالج

توفي قريص سنة أربع وعشرين، وفيها مات جحظة. انظر «الفهرست» لابن النديم.

بيعها

قال ابن المعتز: حدثني عيسى بن هارون المنصوري:

أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية، من ولد جعفر بن سليمان. فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فأعطى بها ثلثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها. فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها. فقالت له مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار، وأنت أيها الأمير، أعزك الله، بها أحق. فقال: زنوا لها ما قالت. فوُزن لها، ثم دعا بقيمته، فقال: خذي هذه [٥/١٦] الجارية ولا ترينيها[1] سنة، وقولي للجواري يطرحن عليها، / فلما كان بعد سنة أخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها. فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه، وأراه إياها، وأسمعه غناءها. وقال: هذه جارية تباع، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار، وهي رخيصة بها. قال له إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا. قال: هذه الجارية التي عَرَضَتْها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار، فلم تقبل. فبقي إسحاق متحيراً، يعجب من حالها وما انقلبت إليه.

وقال ابن المعتز: حدثني الهشامي[2] عن محمد بن راشد: أن شارية كانت مولدة البصرة، وكانت لها أمّ خبيثة منكرة، تدّعي أنها بنت محمد بن زيد، من بني سامة بن لؤي.

قال ابن المعتز: وحدثني غيره، أنها كانت تدّعي أنها من بني زُهْرة.

قال الهشامي: فجيء بها إلى بغداد، وعُرِضت على إبراهيم بن المهدي، فأعجب بها إعجاباً شديداً، فلم يزل يعطي بها، حتى بلغت ثمانية آلافَ درهم. فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: إنه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق، فقال لي: ويحك! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً، وليس عندنا شيء. فقلت له: نبيع ما نملكه حتى الخَزف. ونجمع ثمنها. فقال لي: قد فكرت[3] في شيء؛ اذهب إلى عليّ بن هشام، فأقرئه مني السلام، وقل [١١٠/١٤] له: جعلني الله فداءك! قد عرضت / عليّ جارية قد أخذت بمجامع قلبي، وليس عندي ثمنها، فأحب أن تقرضني عشرة آلاف درهم. فقلت له: إن ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم، لا بدّ أن نكسوها، ونقيم لها ما تحتاج إليه.

[٦/١٦] / فصرت إلى عليّ بن هشام، فأبلغته الرسالة، فدعا بوكيل له، وقال له: ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً، وقل له: أنا لا أصلك، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة[4]. قال: فصرت إلى أبي بالدراهم، فلو طلعتُ عليه بالخلافة، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم.

خبث أمها

وكانت أمها خبيثة، فكانت كلما لم يعطِ إبراهيم ابنتها ما تشتهي، ذهبت إلى عبد الوهاب بن عليّ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

(١) في «نهاية الأرب» (٥: ٧٩): تزينيها.

(٢) كذا في ف، ج. وفي بقية الأصول: الهاشمي، تحريف.

(٣) كذا في ف. وفي بعض الأصول: تذكرت، وفي بعضها: تفكرت.

(٤) كذا في الأصول و«نهاية الأرب» (٥: ٨٠) ولعله يريد ليست هي بقرض ولا صدقة، ولكنها هبة.

قال ابن المعتز: وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصريّ، صاحب إبراهيم بن المهدي:

أن إبراهيم وجَّه به إلى عبد الوهاب بن عليّ، في حاجة كانت له، [قال[1]]: فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة. فلما نظرت في وجهي سترت وجهها. فأخبرني شاكري[2] أن المرأة هي أم شارية، جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم، وقلت له: أدرك، فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب، وهي من تعلم، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك[3]. وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دُواد، وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدلين عنده، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً. وأمر بإخراج شارية، / فخرجت، فقال لها: اسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت. [٧/١٦] فقال لها: تسمَّى. فقالت: أنا شارية أمتك. فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوّجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. يا شارية مولاة إبراهيم بن المهديّ، أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدي قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم به عليّ. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطَيَّبهم وانصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دُواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن عليّ، فأقرأ عمه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترَض عليَّ طاعتك، وصيانتك عن كل ما يُعرك[4]، إذ كنتَ عمي، وصِنو أبي، وقد رفعتْ إليّ امرأة من قريش قصة، ذكرت فيها أنها من بني زُهرة صَليبة[5]، وأنها أم شارية، واحتجت بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية بنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك، وسترها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ من جعلتَها عنده بإطلاقها، وكان في ذلك الحظ لك في دينك ومروءتك؛ وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى منزلك، وقد زال عنك القول / الذي لا يليق بك ولا يحسن. [٨/١٦] فقال له إبراهيم: فديتك يا أبا إبراهيم، هب شارية بنت زُهْرة بن كلاب، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟ فقال عبد الوهاب: لا. فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه السلامة، وأخبره أن شارية / حرة، وأني قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول. ١١١/١٤

---

(١) قال: عن «نهاية الأرب».

(٢) الشاكريّ: أحد الجنود الشاكرية؛ من جند الخلفاء العباسيين. انظر رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة للجاحظ ص ١٨.

(٣) كذا في ف. وفي بقية الأصول: ثم أشهد الله أنه على مثل ما أشهدني عليه.

(٤) كذا في ف. وفي بعض الأصول: يضرك. وفي «نهاية الأرب» للنويري (٥ : ٨١): يسوءك.

(٥) صلبية: بتقديم الياء المثناة على الباء، كذا في ف، أ. وفي ترجمة أبي تمام («الأغاني» طبعة الساسي ١٥ : ٩٦). وكذلك جاءت في أخبار أبي تمام للصولي (ص ٥٩ طبعة ترجمة التأليف والترجمة). وهي منصوبة إما على أنها صفة لمحذوف، أي نسبة صلبية، وهي الخالصة. قال في «أساس البلاغة»: عربي صليب: خالص النسب، وامرأة صلبية: كريمة المنصب عريقة. وإما على أنها حال من بني زهرة، وهم فرع من قريش. وفي ج، م، س، ب: صليبة، بتقديم الموحدة على المثناة، نسبة إلى الصلب. يريد أن اباءها من بني زهرة أنفسهم، وليست مولاة لهم، فكلا اللفظين إذن صحيح.

وقد كان الشهود بعد منصرّفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دُواد. فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره، فسألهم عنه، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية، وتزوّج إبراهيم إياها. فركب إلى المعتصم، فحدّثه بالحديث معجَّباً له منه. فقال: ضلّ سَعْي عبد الوهاب. ودخل عبد الوهاب على المعتصم، فلما رآه يمشي في صحن الدار، سدّ المعتصم أنف نفسه، وقال: يا عبد الوهاب، أنا أشم رائحة صوف مُحرَق، وأحسب أن عمي لم يقنعه ردّك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها، فشِممتُ رائحتها منك. فقال: الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح.

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم، أبتاع إبراهيم منه بنته ميمونة شارية، بعشرة آلاف درهم، وستر ذلك عنها، فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره، ثم أبتاعها من ميمونة، فحل له فرجُها، فكان يطؤها على أنها أمته، وهي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة. فلما توفي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته في الثُّمن، فأظهرت خبرها. وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن الخبر، فأخبرا به المعتصم. فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار، فحوّلت إلى داره، فكانت في ملكه حتى تُوفّي.

قال أبن المعتز: وقد قيل إن المعتصم أبتاعها بثلثمائة ألف درهم.

قال: وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم أقترض ثمن شارية من ابنته، وملكها إبراهيم ولها [٩/١٦] سبع سنين، فرباها تربية الولد، حتى لقد ذكرت / أنها كانت في حجره جالسة، وقد أُعجب بصوت أخذته منه، إذ طُمِثت أوّل طمثها، فأحس بذلك، فدعا قَيِّمة له، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام، فلفه عليها، فقال: أحمليها، فقد أقشعرّت، وأحسب برد الحُشّ قد آذاها[1].

حسن وجهها وغنائها

قال: وحدّثت شارية أنها كانت معه في حَرَّاقة قد توسط بها دجلة، في ليلة مقمرة، وهي تغني إذ أندفعت فغنت:

لقـــد حثـــوا الجِمـــال ليهـــــربـــوا منـــا فلـــم يَئِلـــوا

فقام إليها، فأمسك فاها، وقال: أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناءً، فما يؤمنني عليك؟ أمسِكي.

قال: وحدّث حمدون بن إسماعيل: أنه دخل على إبراهيم يوماً، فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قط؟ قال: نعم. فقال: هاتوا شارية، فخرجت، فأمرها أن تغني لحن إسحاق:

* هل بالديار التي حَيَّيْتَها أحد؟ *

قال حمدون: فغنتني شيئاً لم أسمع مثله قُط، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا. فقال: أتحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ فقلت: لا يكون. فقال: بلى والله تقر بذاك. فقلت: على أسم الله. فغناه هو، فرأيت فضلاً عجيباً. فقلت: ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل. قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك؟ فقلت: هذا الذي لا يكون. فقال: بلى والله. فقلت: فهات. قال: بحياتي يا شارية، قوليه وأحيلي[2] حلقك فيه. فسمعت والله [١٠/١٦] فضلاً / بيناً، فأكثرت التعجب. فقال لي: يا أبا جعفر، ما أهون هذا على السامع! تدري بالله كم مرّة رددت عليها

(١) الحش: البستان. وفي بعض النسخ: الخيش.

(٢) كذا في ف، س. ومعناه: حوّلي حلقك في أثناء الغناء من حال إلى حال، ارتفاعاً وانخفاضاً. وفي أ: وأحلي. وفي ج: واجيلي.

موضعاً في هذا الصوت؟ قلت: لا. قال: فقل وأكثر. قلت: مائة مرّة. قال: أصعد ما بدالك. قلت: ثلثمائة. قال: أكثر والله من ألف مرّة، حتى قالته كذا.

عقوبتها

قال: وكانت /رَيِّق تقول: إن شارية كانت إذا أضطربت في صوت، فغاية ما عنده من عقوبتها، انه يقيمها تغنيه على رجليها، فإن لم تبلغ الذي يريد، ضَرَبت ريق[1]. ١١٢/١٤

شارية تضرب بالعود

قال: ويقال إن شارية لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل، لمّا اتصل الشرّ بينها وبين عرِيب، فصارت تقعد بها عند الضرب، فضربت هي بعد ذلك.

إبراهيم يمتنع من بيعها

قال أبن المعتز: وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم، المعروف بسهل الأحول، وكان قاضي الكتاب في زمانه، وكان يكتب لإبراهيم، وكان شيخاً ثقة، قال: أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار، فامتنع من بيعها. فعاتبتُه على ذلك، فلم يجبني بشيء. ثم دعاني بعد أيام، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة. فأحضره الغلام سَفُّوداً فيه ثلاث فراريج، فرمى إليّ بواحدة، فأكلتها وأكل أثنتين، ثم شرب رِطلاً وسقانيه، ثم أُتِي بسفود آخر، ففعل كما فعل، وشرب كما شرب وسقاني. ثم ضَرَب ستراً كان إلى جانبه، فسمعت حركة العِيدان، ثم قال: يا شارية تَغَنّى. فسمعت شيئاً ذهب بعقلي. فقال: يا سهل، هذه التي عاتبتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار، لا والله، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار.

/ نسبها وبيعها [١٦/١١]

قال: وكانت شارية تقول: إن أباها من قريش، وإنها سُرِقت صغيرة، فبيعت بالبصرة من أمرأة هاشمية، وباعتها من إبراهيم بن المهديّ. والله أعلم.

رأي في غنائها

أخبرني عمي، قال: حدّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: أمرني المعتز ذات يوم بالمُقام عنده، فأقمت. فأمر فمدّت الستارة، وخرج من كان يغني وراءها، وفيهنّ شارية، ولم أكن سمعتها قبل ذلك. فاستحسنت ما سمعت منها، فقال لي أمير المؤمنين المعتز: يا عبيد الله، كيف ما تسمع منها عندك[2]؟ فقلت: حظ العجب من هذا الغناء، أكثر من حظ الطرب. فاستحسن ذلك، وأخبرها به فاستحسنته.

تلعب النرد مع ريق

قال أبن المعتز: وأخبرني الهشاميّ، قال: قالت لي رَيِّق: كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم، وهو متكيء على مِخدّة ينظر إلينا، فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب، فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة.

---

(١) أي أخلت من شارية العود، وضربت هي به، لتضبط اللحن.

(٢) ف: كيف ما تسمع مما عندك؟

فاستوى إبراهيم جالساً، وقال: أرك تستخفين بها، فوالله لا أحد[١] يخلفكَ غيرها. وأومأ إلى حلقه بيده[٢].

إبراهيم لم يدخل بها

قال: وحدّثني الهشاميّ، قال: حدّثني عمرو بن بانة، قال: حضرت يوماً مجلس المعتصم، وضُرِبت الستارة، وخرجت الجواري، وكنت إلى جانب مخارق، فغنت شارية، فأحسنت جداً. فقلت لمخارق: هذه الجارية في [١٢/١٦] حسن الغناء على / ما تسمع، ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرّم[٣] بها إبراهيم بن المهديّ؟ فقال لي: أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة مَنْعُ إبراهيم بن المهديّ من ذلك.

جواري المعتصم وجواري

قال عبد الله بن المعتز: وحدّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى، عن ريق قالت:

أستزار المعتصم من إبراهيم بن المهديّ جواريه، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام، فنالته ضَيقة. قالت: فتحمل ذهابنا إليه على ضعف، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة، فجعلنا نَرى جواريَ المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا، فطرب المعتصم على غنائنا، ورآنا أَمْثَل من جواريه، فتحوّلت إلينا أنفسنا في التيه والصلف، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم.

شارية أحسن الناس غناءً

[١١٣/١٤] قال: وحدّثني أبو العبيس[٤]، عن أبيه قال: / كانت شارية أحسن الناس غناءً، منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق.

افتضها المعتصم

قال أبو العبيس: وحدّثني ريق أن المعتصم أفتضها، وأنها كانت معها في تلك الليلة.

تعلم الغناء

والمعتمد يعشق جاريتها

قال أبو العُبَيس: وحدّثتني طِباع[٥] جارية الواثق: أن الواثق كان يسميها سِتي. وكانت تعلم فريدة، فلم تبق [١٣/١٦] في تعليمها غاية، إلى أن وقع بينهما شيء[٦] / بحضرة الواثق، فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها، فلم

---

(١) كذا في ف. وفي الأصول: ما أجد أحداً.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول ما عدا م: حلقة بيدها. وفي م: خلقة بيدها، وهما تحريف.

(٣) في «التاج»: وتحرم منه بحرمة: إذا تمنع وتحمى بذمة أو صحبة أو حق. كأنه يريد: لماذا لم يعتقها ويتزوّج بها، فتكون من حرمه فلا تباع.

(٤) أبو العبيس، كما في ف: هو أحد المغنين، وليس هو أبو العنبس كما ورد اسمه محرفاً في مواضع مختلفة من «الأغاني»، جاء في الجزء الأوّل من طبعة دار الكتب ص ٩٩، هذه العبارة: غنى أبو العبيس بن حمدون... الخ، ويستفاد منها أمران: الأوّل: أنه مغن. والثاني أن اسم أبيه حمدون. أما أبو العنبس فهو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري الشاعر، كما قال الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١ : ٢٣٨).

(٥) م: تباع.

(٦) ج: شر.

تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلا نقصت من نغمه. وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح، وعجز عن شرائها. فسأل أمّ المعتز أن تشتريها له، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار، وأهدتها إليه. ثم تزوّجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني، وكان يتعشقها. فقال عبد الله بن المعتز، وكان يتعشقها:

أقــول وقــد ضــاقــت بــأحــزانهــا نفســي ألا رب تطليــقٍ قــريــب مــن العُــرسِ

لئــن صِــرتِ للبقــال يــاشــر زوجــة فلا عجب قد يربُض[1] الكلب في الشمس

ابن وصيف يودع جوهره عندها

وقال يعقوب بن بنان: كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف. فلما بلغه رحيل موسى بن بُغا من الجبل يريده، بسبب قتله المعتز، أودع شارية جوهره. فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك. فلما أوقع موسى بصالح، استترت شارية عند هارون بن شعيب العُكْبَرِي[2]، وكان أنظف خلق الله طعاماً، وأسراه مائدة، وأوسخه[3] كل شيء بعد ذلك؛ وكان له بسر من رأى منزل، فيه بستان كبير، وكانت شارية تسميه أبي، وتزوره إلى منزله. فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه، حتى الحصير الذي تقعد عليه.

من أكرم الناس

قال: وكانت شارية من أكرم الناس، عاشرها[4] أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا، ثم أضاق في وقت، فاقترض منها على غير رهن، عشرة آلاف دينار، ومكثت عليه أكثر من سنة، ما أذكرته بها، ولا طالبته، حتى ردّها ابتداء[4].

/ تحزب أهل سر من رأى للمغنين

[١٦/ ١٤]

قال يعقوب بن بنان: وكان أهل[5] سر من رأى متحازِبين، فقوم مع شارية، وقوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء، ولا أصحاب هذه في هؤلاء. فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل[6] عريبياً، فدعا عليّ بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، وعنده عرِيب وجواريها. فاتصل الخبر بشارية، فبعثت بجواريها إلى عليّ بن الحسين بعد يوم أو يومين، وأمرت إحداهن، وما أدري من هي: مِهرجانُ، أو مطربُ، أو قمرية، إلا أنها إحدى الثلاثة، أن تغني قوله:

لا تعــــودنّ بعـــــدهــــــا فتــــرى كيـــــف أصنــــــع

فلما سمع عليّ الغناء ضحك، وقال: لست أعود.

---

(١) أ، م: يركض.

(٢) كذا في ف، مب، وفي «نهاية الأرب». وفي الأصول: العكري.

(٣) كذا في ف، مب، و «نهاية الأرب». وفي الأصول: وأسخاه في.

(٤ ـ ٤) العبارة ساقطة من جميع الأصول، ماعدا ف، مب، و «نهاية الأرب».

(٥) أهل: زيادة عن س يقتضيها السياق. وفي «نهاية الأرب»: الناس بسر من رأى.

(٦) هو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل أحد وزراء الخليفة المعتمد (٢٦٥ ـ ٢٧٧).

المعتمد لا يأكل إلا طعامها

قال: وكان المعتمد قد وثق بشارية، فلم يكن يأكل إلا طعامها. فمكثت دهراً من الدهور[١] تعدّ له في كل يوم جُوْنتين[٢]، وكان طعامه منهما في أيام المتوكل.

إبراهيم بن المهدي يدعوها بنتي

قال ابن المعتز: وحدثني أحمد بن نعيم عن ريق، قالت: كان مولاي إبراهيم يسمي شارية بنتي، ويسميني أختي.

المعتمد يمنحها ألف ثوب

حدثني جحظة، قال: كنت عند المعتمد يوماً، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه:

يــا طــول عِلــةِ قلبــيَ المعتــادِ ... إلــفَ الكــرامِ وصحبــةَ الأمجــادِ

[١٥/١٦] / فقال لها: أحسنتِ واللهِ. فقالت: هذا غنائي وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسية؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة، فحمل ذلك إليها. فقال لي عليّ بن يحيى المنجم: / اجعل انصرافك معي. ففعلت، فقال لي: هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية؟ قلت: لا. فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام، فتصفحناها كلها؛ فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك. ١١٤/١٤

نسبة هذا الصوت

صوت

يــا طــول عِلــةِ[٣] قلبــيَ المعتــادِ ... إلــفَ الكــرامِ وصحبــةَ الأمجــاد

مــا زلــت آلــف كــل قَــرْم مــاجــدٍ ... متقــدمِ الآبــاء والأجــداد

الشعر لإبراهيم بن المهدي، والغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه.

تغنى بشعر لخديجة بنت المأمون

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، قال: حدثني محمد بن مالك الخزاعيّ، قال: حدثتني مُلَح العطارة، وكانت من أحسن الناس غناءً، وإنما سميت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب، قالت: غنت شارية يوماً بين يدي المتوكل وأنا واقفة مع الجواري:

بــالله قــولــوا لــي لمــن ذا الــرَّشــا ... المثقــلُ الــردفِ الهضيــمُ الحشــا

أظــرف مــا كــان إذا مــا صحــا ... وأملــح النــاس إذا مــا انتشــى

وقــد بنــى بــرج حمــام لــه ... أرســل فيــه طــائــراً مُــرعَشــا

---

(١) كذا في ف، مب، ج، س. وفي بقية الأصول: الدهر. وفي «نهاية الأرب»: فمكثت دهراً، وهي أحسن.

(٢) الجونة: سلة صغيرة مستديرة مغشاة أدماً، يوضع فيها الطيب أو الثياب أو نحوهما، جمعها جون، وقد تهمز الواو في المفرد والجمع، والهمز هو الأصل.

(٣) أ، م: غلة، بالغين المنقوطة.

/ يا ليتني كنت حَماماً له أو باشَقاً يفعل بي ما يشا [١٦/١٦]

لو لبس القُوهيّ[١] من رقّة أوجعه القُوهيّ أو خدّشا

وهو هَزَج[٢]، فطرب المتوكل، وقال لشارية: لمن هذا الغناء؟ فقالت: أخذته من دار المأمون، ولا أدري لمن هو. فقلت له أنا: أعلم لمن هو. فقال: لمن هو يا ملح؟ فقلت: أقوله لك سراً. قال: أنا في دار النساء، وليس يحضرني إلا حُرَمي، فقوليه. فقلت: الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه، وغنت فيه هذا اللحن. فأطرق طويلاً، ثم قال: لا يسمعْ هذا منك أحد.

صوت

أحبك يا سَلْمى على غير ريبة وما خير حب لا تعف سرائرهْ

أحبك حباً لا أعنّف بعده محباً، ولكني إذا ليم عاذرهْ

وقد مات حُبّي[٣] أوّل الحب فانقضى ولو مت أضحى الحب قد مات آخرهْ

ولما تناهى الحب في القلب وارداً أقام وسدّت فيه عنه مصادرهْ

الشعر للحسين بن مُطَير الأسدي، والغناء لإسحق: هزج بالبنصر.

(١) القوهي: ضرب من الثياب البيض، منسوب إلى قوهستان.
(٢) يريد أن لحنه من الهزج. أما الشعر فمن السريع.
(٣) أ، م: قلبي.

[١٦/١٧]

/ أخبار الحسين بن مَطِير ونسبه

نسبه وشعره

هو الحسين بن مُطير بن مكمَّل، مولى لبني أسد بن خُزيمة، ثم لبني سعد[١] بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد. وكان جده مكمل عبداً، فأعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى أدّاها وأعتق. / وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز، فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس.

١١٥/١٤

سكنه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحَرون: أنه كان من ساكني زُبالة[٢]، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. وذلك بيِّن في شعره.

إدراكه بني أمية

ومما يدل على إدراكه دولة بني أمية، ومدحه إياهم، ما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، قال: أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، عن مرون بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفيّ، والحسين بن مطير الأسدي، في عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها[٣]، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعراً، وقف الوليدَ على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حماد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد / لأنشده، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة. فتهانف[٤] الشيخ، ثم قال: يأبن أخي، أنا رجل أكلم العامة، وأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل، فقلت: نعم، لابن مقبل. فأنشدته:

[١٦/١٨]

سَلِ الدار من جنبي حِبِرٍ فواهبٍ ... إلى ما رأى هضبَ القليب المُضَيحُ[٥]

---

(١) كذا في ف، ج، س، ب، و «نهاية الأرب»، و «تاج العروس». وفي أ، م: شعبة. تحريف.

(٢) زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة. وهي قرية عامرة، بها أسواق، فيها حصن وجامع لبني غاطرة، من بني أسد. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٣) كذا في ف. وفي الأصول: عريش قد غاب عنا.

(٤) التهانف كما في ف: الضحك بالسخرية. نقله صاحب «تاج العروس» عن نسخة من «الكامل» للمبرد. وقيل إنه خاص بالنساء. وفي الأصول: فتهافت، أي تساقط قطعة قطعة، من الهفت، وهو السقوط. وأكثر ما يستعمل في الشر.

(٥) ورد هذا البيت محرّفاً في نسخ «الأغاني». وأثبتناه مصححاً عن «معجم البلدان» لياقوت، و «معجم ما استعجم» للبكري، و «منتهى الطلب من أشعار العرب»، لابن ميمون. وحبر وواهب: جبلان لبني سليم. وهضب القليب: ماء لبني قنفذ، من بني سليم. والمضيح (بصيغة اسم المفعول): ماء لبني البكاء. وفي بعض ألفاظ البيت روايات أخر: يروى «واصف» في موضع «واهب»، وهو اسم ماء. ويروى «إذا» في موضع «إلى»، ويروى «يرى» في موضع «رأى».

ثم جزت. فقال: قف. ماذا يقول؟ فلم أدرِ ما يقول. فقال: يأبن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان: إذا تقابلا.

يفد على معن بن زائدة فينقد شعره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن عليّ، ويحيى بن عليّ، قالوا: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ، قال: حدّثني أبي:

أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما وَلِي اليمن وقد مدحه، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتـك إذ لـم يبـق[1] غيـرَك جـابـر ... ولا واهـب يعطِـي اللُّهـا والـرغـائبـا

/ فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن تَوْسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة، [١٦/١٩] في مِسمع بن مالك.

قلـدتُـه عُـرا الأمـورِ نِـزار ... قبـل أن تهلِـك السـراة البحـور[2]

قال: وأوّل هذا الشعر:

اظعنـي مـن هـراة[3] قـد مـر فيهـا ... حِجـج مـذ سكنتِهـا وشهـور

اظعنـي نحـو مِسمـع تجـديـهِ ... نعـم ذو المُنْتَـى[4] ونعـم المَـزور

سـوف يكفيـك إن نبـتْ بـك أرض ... بخـراسـان أو[5] جفـاك أميـر

مـن بنـي الجِحصـن عـامـلِ بـن بـريـح ... لا قليـلُ النـدى ولا منـزور[6]

والـذي يفـزع الكمـاة إليـه ... حيـن تـدمـى مـن الطعـان النحـور

فـاصطنـع يـأبـن مـالـك آل بكـرٍ ... واجبـرِ العظـم إنـه مكسـور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأوّلها:

/ * حديث ريا حَبّذا إدلالُها * ١١٦/١٤

* تسأل عن حالي وما سؤالها *

* عن امرىء قد شفَّه خيالها *

* وهي شفاء النفس لو تنالها *

---

(١) كذا في ف، و«معجم الأدباء» لياقوت (١٠: ١٦٧) و «الخزانة» (٢: ٤٨٥). وفي ج: «أتيتك لما لم يبق». وفي بقية النسخ: «أتيتك لما يبق». واللها: جمع لهوة، بضم اللام وفتحها: العطية، دراهم أو غيرها.

(٢) السراة: أعالي الناس وأشرافهم، واحدهم سريّ. ونهار بن توسعة بن أبي عتبان من بني حنتم، من بكر بن وائل. وكان أشعر بكر بخراسان، في أيام الدولة الأموية، هجا قتيبة بن مسلم، ثم مدحه.

(٣) هراة: مدينة عظيمة في مدن خراسان.

(٤) في جميع النسخ: «ذا المنثى». وفي «الخزانة»: «ذي المنتأى». والصحيح: «ذو» لأنه فاعل بنعم. والمنتأى: المكان البعيد، أو مصدر ميمي، ومعناه: أن مسمعا نعم الرجل النائي المحل، الذي يجزل العطاء لقاصده. ومعنى «نعم ذو المنتى»: نعم الرجل ينثني عنه قاصده بخير كثير.

(٥) في «الخزانة»: «إذ». ورواية الأصول أجود.

(٦) كذا في ف، و «خزانة الأدب» (٢: ٤٨٦). وفي الأصول: «من بني الحضر عامر بن سريج».

[١٦/٢٠] / يقول فيها يمدحه:

* سلّ سيوفاً محدثاً صِقالُها *

* صاب[١] على أعدائه وبالها *

* وعند معن ذي الندى أمثالها *

فاستحسنها، وأجزل صِلته.

دعبل يأخذ من شعره

أخبرني ابن عمار ويحيى بن عليّ، قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مِهرويه، قال: حدّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصم قال:

كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدعبِل بن عليّ:

* أين الشبابُ وأيةً سلكا *

فاستحسنا قوله[٢]:

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ... ضحِك المشيب برأسِه فبكى

فقال الأصمعيّ: هذا أخذه من قول الحسين بن مطير:

أين أهل القِباب بالدهناءِ ... أين جِيراننا على الأحساءِ

فارقونا والأرض مُلبَسة نَو ... ر الأقاحي يُجَاد بالأنواء[٣]

كلَّ يوم بأقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماء[٤]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدّثني محمد بن القاسم الدينوريّ، قال: حدّثني محمد بن عمران الضبيّ، قال:

أبياته تسهر المهدي

قال المهدي للمفضل الضبيّ: أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسديّ. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله:

[١٦/٢١] / وقد تغدر الدنيا فيضحي فقيرها ... غنياً ويغنى بعد بؤسٍ فقيرُها

فلا تقرب الأمر الحرام فإنه ... حلاوته تفنى ويبقى مَريرها

وكم قد رأينا من تغير عيشة ... وأخرى صفا بعد أكدار غديرها

فقال له المفضل: مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين.

---

(١) صاب: انصب في غزارة.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: فاستحسنها. وفي «الخزانة»: «فاستحسنها كل من كان حاضراً في المجلس، وأكثروا التعجب من قوله».

(٣) في «الخزانة»: «جاورونا» في موضع: «فارقونا». و «تجاد»: في موضع «يجاد».

(٤) كذا في ف و «الخزانة». وفي الأصول: «عن مهل السماء».

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبيّ: قال المفضل الضبيّ:

كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعليّ عشرة آلاف درهم[1]، إذ جاءني رسول المهديّ، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقلت: ما بعث إليّ في هذا الوقت إلا لسعاية ساع. وتخوّفته، لخروجي ـ كان ـ مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن[2]، فدخلت منزلي، فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين، وصِرت إليه. فلما مثلت بين يديه سلمت، فردّ عليّ، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أيّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. وكان مستلقياً فاستوى جالساً، ثم قال: وأي بيت هو؟ قلت قولها:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداة به ... كأنه عَلَم في رأسه نار

فأومأ إلى إسحاق بن بَزِيع[3]، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه. فقلت: الصواب ما قاله أمير المؤمنين. ثم قال: حدّثني يا مفضل. قلت: أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال: حديث النساء. فحدّثته حتى انتصف النهار، ثم قال لي: / يا مفضل، أسهرني البارحة بيتا ابن مطير، وأنشد / البيتين المذكورين في الخبر الأوّل. ثم قال: ألهذين ثالث يا مفضل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله: [٢٢/١٦] ١١٧/١٤

وكم قد رأينا من تغير عِيشةٍ ... وأخرى صفا بعد أكدرار غديرها

وكان المهديّ رقيقاً فاستعبر، ثم قال: يا مفضل، كيف حالك؟ قلت: كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: اقض دينك، وأصلح شأنك. فقبضتها وانصرفت.

يمدح المهدي فيمنحه سبعين ألف درهم

أخبرني يحيى بن عليّ، عن عليّ بن يحيى إجازة، وحدّثنا الحسن[4] بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم، عن عبد الله بن أبي سعد[5]، قال: حدّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سوار بن الحارث الأسديّ، قال: أخبرني جدّي موسى بن مجمع، قال:

قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين تعسفت ... بنا البيدَ هَوجاءُ النَّجاء خَبوب[6]

ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت ... جبال بها مغبرة وسُهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد ... ومن غير تأديب الرجال أديب

---

(١) كذا في ف. وفي الأصول: وعلى يومئذ عشرة آلاف درهم دين.

(٢) خرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن العلويّ على أبي جعفر المنصور العباسيّ في البصرة سنة ١٤٥ هـ (عن الفخري لابن الطقطقي).

(٣) أ، ج: بزيغ.

(٤) ج: الحسين.

(٥) في بعض النسخ: ابن أبي سعيد. والصحيح: سعد، ويلقب بالوراق. ذكر في «أسانيد الموشح» للمرزباني في عدّة مواضع.

(٦) تعسفت: من العسف، وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم (بتحريك اللام). والهوجاء من الإبل: الناقة المسرعة، كأن بها هوجاء، وهو الطيش والتسرع. والنجاء: الإسراع. وخبوب: صيغة مبالغة من الخبب، وهو ضرب من عدو الإبل. وفي الأصول: جنوب. تحريف.

عـلا خَلْقُـه خَلـق الـرجـال وخُلْقـه إذا ضـاق أخـلاق الـرجـال رحيـب

[١٦/٢٣] / إذا شـاهـد الفـؤاد سـار أمـامهـم جـريء علـى مـا يتقـون وَثـوب

وإن غـاب عنهـم شـاهـدتهـم مهـابـةٌ بهـا يقهـر الأعـداء حيـن يغيـب

يعـف ويستحـي إذا كـان خـاليـاً كمـا عـف واستحيـا بحيـث رقيـب

فلما أنشدها المهديّ أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد.

مسكنه

وكان الحسين من الثعلبية[١]، وتلك داره بها. قال ابن أبي سعد: وأرانيها الشيخ.

يمدح المهدي بأبيات فيعطيه لكل بيت ألف درهم

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحق بن عيسى، قال:

دخل الحسين بن مُطَير على المهدي، فأنشده قوله:

لـو يعبـد النـاس يـا مهـدي أفضلهـم مـا كـان فـي النـاس إلا أنـت معبـود

أضحـت يمينـك مِـن جـودٍ مصـوّرة لا بـل يمينـك منهـا صُـوِّر الجـود

لـو أن مـن نـوره مثقـال خـردلـة فـي السـود طـرا إذن لابيضـت السـود

فأمر له لكل بيت بألف درهم.

المهدي يطرده لمدحه معن بن زائدة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي، قال:

خرج المهديّ يوماً، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشدهُ قوله:

أضحـت يمينـك مـن جـود مصـوّرة لا بـل يمينـك منهـا صـوّر الجـود

فقال: كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد، بعد قولك في مَعْن بن زائدة حيث تقول:

ألِمـا بمعـنٍ ثـم قـولا لقبـره سُقِيـت الغـوادي مَـرْبَعـاً ثـم مـربعـا

أخرجوه عني، فأخرجوه.

[١٦/٢٤] / وتمام الأبيات:

١١٨/١٤ / أيـا قبـر معـن كنـت أوّل حفـرةٍ مـن الأرض خُطـت للمكـارم مضجعـا[٢]

أيـا قبـر معـنٍ كيـف واريـت جـوده وقـد كـان منـه البـر والبحـر متـرَعـا

(١) الثعلبية: موضع بجوار زبالة التي كان يسكنها الحسين.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: للسماحة.

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضِقت حتى تصدعا
فتى عِيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه ممرِعا[١]
أبَى ذكر معن أن تموت فِعاله ... وإن كان قد لاقى حِماما ومصرعا

أشعر العباسيين

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة[٢] قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن عبيد الكوفي[٣] قال: حدّثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال:

كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه، فقال لعبد الله بن طاهر: يا أبا العباس، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً. فقال له: على ذاك فقل، وتكلم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم الذي يقول:

أيا قبر معن كنت أوّل خِطة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا[٤]

فقال أحمد بن يوسف: بل أشعرهم الذي يقول:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي ... متأخَّر عنه ولا متقدم[٥]

/ فقال: أبيت يا أحمد إلا غزلاً! أين أنتم عن الذي يقول: [٢٥/١٦]

يا شقيق النفس من حكِم ... نمتَ عن ليلي ولم أنم[٦]

أبو عبيدة يعجب بشعره

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو خليفة عن التّوزِي، قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله:

مخصرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودُها
فصفر تراقيها، وحمر أكفها ... وسود نواصيها، وبيض خدودها

وصفه للسحاب والمطر

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير، قال:

كان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً ولي المدينة، فدخل عليه الحسين بن مطير، فقيل له: هذا من أشعر الناس. فأراد أن يختبره، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت، وتتابع منها الرعد والبرق، وجاءت بمطر جَوْد. فقال له: صف هذه السحابة. فقال:

---

(١) في «شرح التبريزي» على «الحماسة» (٢: ٣ بولاق): مرتعاً.
(٢) كذا في ف. وفي الأصول: أحمد بن عبيد الله بن عمار.
(٣) كذا في ف. وفي الأصول: علي بن عبيد الله الكوفي.
(٤) كذا في ف. وفي الأصول: ... حفرة ... للمكارم مضجعا.
(٥) البيت مع أبيات أخرى لأبي الشيص. («الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص ٥٣٥ و «الأغاني» آخر هذا الجزء).
(٦) البيت مطلع قصيدة لأبي نواس.

مستضحِكٍ بلوامعٍ مستعبِر بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاء[1]
فله بلا حزنٍ ولا بمسرة ضِحكٌ يراوِح بينه وبكاء[2]
كثرت لكثرة ودقه أطباؤه فإذا تَحَلَّبَ فاضتِ الأطباء[3]
[١٦/٢٦] / وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء

صوت

إذا ما أم عبد الله لم تحلل بواديه
ولم تمس قريباً هيـ ـج الحزن دواعيه[4]
[١١٩/١٤] / غزال راعه القنا ص تحميه صياصيه[5]
وما ذكرى حبيباً و قليل ما أواتيه[6]
كذي الخمرِ تمناها وقد أُنْزِف ساقيه[7]
عرفت الربع بالإكليـ ـل عفته سوافِيه[8]
بجو ناعم الحوذا ن ملتف روابيه[9]

الشعر مختلط، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري، وبعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الأخير، وباقيها ليزيد بن معاوية[10]. ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني؛ وجدت ذلك عنه في كتابه، / وخالد بن كلثوم، [١٦/٢٧] نسخته من كتاب[11] أبي سعيد السكري في مجموع[12] شعر النعمان. وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه، فإنها متوالية[13]، قال:

(١) لم تمرها الأقذاء: لم يسل دمعها وقوع القذى فيها. وأصل المري: الحلب.
(٢) يراوح: كذا في الأصول. وفي «معجم الأدباء» لياقوت (١٠: ١٧٢): يؤلف.
(٣) الودق: المطر. والأطباء: جمع طبي بوزن قفل، وهو ثدي الحيوان. والبيت ساقط من الأصول ما عدا ف، مب.
(٤) في «معجم البلدان» لياقوت (إكليل): ولم تشف سقيما.
(٥) الصياصي: أعالي الجبال.
(٦) في «معجم البلدان»: قليلا.
(٧) أنزف: ذهب عقله كله.
(٨) الإكليل: موضع. والسوافي: جمع سافية، وهي الريح تسفي أي تحمل التراب والرمال.
(٩) الجو: الوادي المتسع. والحوذان: نبت، أو بقلة من بقول الرياض، لها نور أصفر طيب الرائحة («اللسان» عن الأزهري).
(١٠) مب: وسائرها ليزيد بن معاوية. والعبارة ساقطة من بقية الأصول.
(١١) كذا في ف. وفي الأصول: خط.
(١٢) كذا في ف. وفي الأصول: جامع.
(١٣) ف: تعزى إليه.

فبحت اليوم بالأمر الـ ... ـلذي قد كنت تخفيه[١]

فإن أكتمه يوماً ... فإني سوف أبديه

وما زلت أفدّيه ... وأدنيه وأرقيه

وأسعى في هواه أ ... بداً حتى ألاقيه

فبات الريم مني حـ ... ـذراً زلت مراقيه[٢]

والغناء لمعبد: خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، ولم ينسبه إلى أحد. وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى، عن الهشامي وحنين.



(١) س: أخفيه. يخاطب نفسه.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: دلت مراقيه. والمراقي: لعله يريد بها أرجله التي يرقى بها.

[١٦/٢٨]

/ أخبار النعمان بن بشير ونسبه

نسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة[١] بن خَلَّاس[٢] بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج. وأمه عَمْرة بنت روَاحة، أخت عبد الله بن رواحة، التي يقول فيها قيس بن الخطيم:

أجَدَّ بعمرة غُنيانُها فتهجرَ أم شأنُنا شأنُها[٣]

وعمرة من سَروات النسا ءتنفح بالمسك أردانها

وله صحبة بالنبيّ ﷺ، ولأبيه بشير بن سعد. وكان جاء إلى النبيّ ﷺ ومعه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرهما[٤] فردّهما.

أبوه

وأبوه بشير بن سعد أوّل من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه، ثم توالت الأنصار فبايعته. وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها، واستشهد يوم عين التمر[٥] مع خالد بن الوليد.

هواه مع عثمان بن عفان

وكان النعمان عثمانياً، وشهد مع معاوية صِفين، ولم يكن معه من الأنصار غيره، وكان كريماً عليه، رفيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده، وعمر إلى خلافة / مروان بن الحكم، وكان يتولى حِمص. فلما بويع لمروان، دعا إلى ابن الزبير، وخالف على مروان، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط. فلم يجبه أهل حِمص إلى / ذلك. فهرب منهم، وتبعوه فأدركوه فقتلوه، وذلك في سنة خمس وستين.

[١٦/٢٩] [١٢٠/١٤]

أوّل مولود للأنصار بعد الهجرة

ويقال إن النعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إياها. وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير، إلا أن النعمان أوّل مولود ولد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

---

(١) ف، مب: معد بن حصين بن ثعلبة. وبقية الأصول: سعد بن نصر بن ثعلبة. والظاهر أن كلاً من لفظي حصين ونصر من حشو الناسخين، فليس لهما وجود في نسب النعمان الذي أورده ابن دريد في «الاشتقاق» ص ٢٧١ والخزرجي في «الخلاصة» ص ٥٠ ومقدمة «ديوان النعمان» طبع دهلي بالهند ص أ.

(٢) خلاس، بفتح الخاء وتشديد اللام: كذا في الأصول، و «تاج العروس» (خلس) وجامع الأصول. وفي «الاشتقاق» و «خلاصة» الخزرجي: جلاس، بضم الجيم وتخفيف اللام.

(٣) غنيانها: مصدر غنيت المرأة بزوجها، أي استغنت.

(٤) ف: فاستصغره.

(٥) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة ١٢ للهجرة في عهد أبي بكر.

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ كثيرا.

يروي الحديث العدل بين الأولاد

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء. قال حدّثني أبو بكر بن أبي شَيْبة، قال: حدّثنا عباد بن العوّام، عن الحصين، عن الشعبيّ، قال:

سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت أمي عمرة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ. فأتى رسولَ الله فقال: ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك. فقال: أعطيتَ كل ولدك مثل هذا؟ قال: لا. فقال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

يرفض أن يعطي الكوفيين زيادتهم في العطاء لهواهم مع علي

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا محمد بن سعيد، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال:

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير، وكان عثمانياً، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في عليّ عليه السلام. فأبى النعمان أن ينفذها لهم. فكلموه وسألوه بالله، فأبى أن / يفعل. وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن. وكان يقول: لا ترون على منبركم هذا أحداً [٣٠/١٦] بعدي يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ. فصعد المنبر يوماً فقال: يأهل الكوفة. فصاحوا[1]: ننشدك الله والزيادة. فقال: اسكتوا. فلما أكثروا قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: لا. قال: مثل الضبع والضب والثعلب: فإن الضبع والثعلب أتيا الضب في وِجاره، فنادياه: أبا الحِسْل. فقال: سَميعا دعوتما. قالا: أتيناك لتحكم بيننا. قال: في بيته يؤتى الحكم. قالت الضبع: إني حللت عَيْبَتي. قال: فِعلَ الحرة فعلت. قالت: فلقطت ثمرة. قال: طيباً لقطتِ. قالت: فأكلها الثعلب. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بجُرْمه. قالت: فلطمني. قال: حر أنتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: حدث أمرأة حديثين، فإن أبت فعشرة[2].

/ فقال عبدُ الله بن هَمّام السَّلولي: [٣١/١٦]

زيـــادَتنـــا نعمـــانَ لا تحبِسنهـــا خَـفِ اللهَ فينـا والكتـابَ الـذي تتلـو[3]

---

(١) في الأصول غير (ف): فقام إليه أهل الكوفة فقالوا...

(٢) روى هذا المثل الميداني في «مجمع الأمثال» ٢: ١٣) على لسان الأرنب والثعلب والضب. ورواه أبو هلال العسكري في «جمهرة الأمثال»، في باب الحاء. وروايته أقرب إلى رواية المؤلف هنا. وقوله: «حدّث امرأة حديثين... إلخ» روايته في «الجمهرة» و «مجمع الأمثال» هكذا: «حدّث حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة». قال الميداني: أي زد. ويروى: فاربع، أي كف. وأراد بالحديثين: حديثاً واحداً تكرره مرتين، فكأنك حدّثتها بحديثين. والمعنى: كررّ لها الحديث، لأنها أضعف فهماً، فإن لم تفهم فاجعلهما أربعة. وقال أبو هلال: يضرب مثلاً لسوء الفهم، وظاهره خلاف باطنه. وحقيقته أنها إذا كانت لا تفهم حديثين، كانت بألا تفهم أربعة أقرب. وقال بعض العلماء: إنما هو: إن لم تفهم فأربع، أي أمسك، وذلك غلط. ولم نجد في روايات «كتب الأمثال»: فعشرة. والمراد: تكرار الحديث، لا حقيقة العدد. وكان الضب وقد تمثل بهذا المثل يوبخ الضبع لأنها أنثى لم تفهم كلامه من أول مرة.

(٣) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: لا تحرمننا. ورواه أبو زيد الأنصاري في «نوادره» ص ٤: تق الله فينا. وانظر «شرح الرضى على شواهد الشافية» ص ٤٩٦.

فإنك قد حُمِّلت منا أمانة — بما عجزت عنه الصَّلاخمة البُزْل[١]
فلا يك باب الشر تحسن فتحه — وباب الندى والخيْرات له قفل[٢]
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن — لغيرك جَمّات الندى ولك البخل
وأنت أمرؤ حلو اللسان بليغه — فما باله عند الزيادة لا يحلو
وقبلك قد كانوا علينا أئمة — يهمهمُ تقويمنا وهمُ عُضْل[٣]
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا — ولكنّ حسن القول خالفه الفعل[٤]
يذمون دنياهم وهم يرضِعونها — أفاويقَ حتى ما يدرّ لهم ثُعل[٥]
[١٦/٣٢] / فيا معشر الأنصار إني أخوكُم — وإني لمعروفٍ أتى منكم[٦] أهل
[١٢١/١٤] / ومن أجل إيواء النبيّ ونصره — يحِبكُمُ قلبي وغيركُمُ الأصل[٧]

فقال النعمان بن بشير: لا عليه ألا يتقرّب[٨]، فوالله لا أُجيزها ولا أنفِذها أبداً.

يسمع غناء عزة الميلاء

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا الأصمعيّ[٩]، قال: حدّثني شيخ قديم[١٠] من أهل المدينة. وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة[٩] قال: حدّثنا أبو غسان، عن أبي السائب المخزوميّ. وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسِيّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسيّ[١١] قال:

---

(١) الصلاخمة: جمع صلخم كجعفر: يريد الجمال الصلبة الشديدة. والبزل: جمع بازل، وهو الجمل الذي انشق نابه، وذلك في العام التاسع من عمره.

(٢) كذا روى البيت في ف وفي مب:

فلا تك باب الشر تحسن فتحه — لدينا، وباب الخير أنت له قفل

وفي بقية الأصول المخطوطة:

وإن يك بباب الشعر تحسن فتحه — فلا يك باب الخير ليس له قفل

وفي س: «باب الشر». وفي «رغبة الآمل» للمرصفي (١: ١٨٦): «باب الخير منك».

(٣) أ، م: كرام بهم تقويمنا. والعصل: جمع أعصل: وهو المعوج فيه صلابة وشدّة.

(٤) نصبوا للقول: تهيئوا له. وأصل النصب: أن يقوم المرء رافعاً رأسه. وفي الأصول «أنصتوا للقول».

(٥) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: «يذمون دنيانا... يدر لها». وأفاويق: جمع أفواق، وهو جمع فيقة، بكسر الفاء، اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين، يريد أنهم يرضعونها، ثم يتركونها. مقدار ما يجتمع اللبن، فيرضعونها ثانية وهكذا. والثعل: خلف زائد صغير في أخلاف الناقة وضرع الشاة، لا يدرّ من اللبن شيئاً، وإنما ذكره للمبالغة في الارتضاع.

(٦) أتى: حان. وفي مب: أبى، وفي بقية الأصول: أتى، بالتاء.

(٧) «وغيركم الأصل»: يريد إني أحبكم وإن كان غيركم أهل.

(٨) يتقرّب: وهي رواية ف، مب ج. وفي بقية الأصول: يقترب. يريد لا بأس عليه في ألا يكون قريباً من الأنصار.

(٩) هذه العبارة عن ف، مب، و «الأغاني» ٩: ١٣.

(١٠) في «الأغاني» (٩: ١٣): قدم من المدينة.

(١١) «الأغاني» (٩: ١٣): السدوس.

دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، فقال: والله لقد أخفقتْ أذناي من الغِناء، فأسمِعوني. فقيل له: لو وجهت إلى عزة الميلاء، فإنها من قد عرفت. فقال: إي ورب الكعبة، إنها لممن تزيد النفس طيباً، والعقل شحذاً. ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبتْ صِرت إليها. فقال له بعض القوم: إن النقلة تشتدّ عليها، لثقل بدنها، وما بالمدينة دابة تحملها. فقال النعمان بن بشير: وأين النجائب عليها الهوادج؟ فوجه إليها بنجب، فذكرت علة. فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه: أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا. فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها. فأذِنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها، وقال لها: غني، فغنت:

[٣٣/١٦]

صوت[١]

أجِـدَّ بعَمْـرة غُنيـانها ... فتهجرَ أم شـأنُنا شـأنُها

وعمـرة مـن سَـروات النسـا ... ء تنفَـح بـالمسك أردانها

قال: فأشير إليها أنها أمه، فأمسكت. فقال: غني، فوالله ما ذكرتِ إلا كرماً وطيباً، ولا تغنّي سائر اليوم غيره. فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

قال إسحاق: فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفة؟ فقلنا: بلى، يا أبا عبد الرحمن. فقال: قال لقيط ونحن عند سعيد الزبيريّ[٢]، قال عامر الشعبيّ:

اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء، فصار إلى منزل عزة المَيْلاء، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له. فلما خرج شكت إليه كثرة غِشيان زوجها إياها، فقال النعمان: لأقضين بينكما بقضية لا تُردّ عليّ، قد أحل الله له من النساء أربعاً: مثنى، وثلاث، ورباع، له مرتان[٣] بالنهار، ومرتان[٣] بالليل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدّثني عمي، عن العباس بن هشام[٤]، عن أبيه؛ وأخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبي[٥]. وأخبرني عمي قال: حدّثنا الكِرانِيّ قال: حدّثني العُمَرِيّ عن الهيثم بن عديّ، قالوا:

[٣٤/١٦]

/ **أعشى همدان يمدحه**

خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حِمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له. فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه. فقال: أعطه ديناراً، واجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له:

---

(١) صوت: ساقطة من الأصول غير ف، مب.

(٢) ف، مب: سعيد الزبيريّ.

(٣) مرتان: كذا في الموضعين بدون همز بين الراء والتاء في جميع الأصول المخطوطة، وهي لغة الحجاز بين الذين يفرّون من الهمز. وفي المطبوعتين ب، س: مرأتان. وفي «الأغاني» (٩: ١٤): امرأتان. أو لعله تثنية مرة أي يأتيها مرتين نهاراً، ومرتين ليلاً، فكأنه يأتي أربع نساء، اثنتين ليلاً، واثنتين نهاراً.

(٤) ف: العباس عن هشام. تحريف.

(٥) كذا في ف. وفي الأصول: ابن الكلبي.

أعطه إياه من بيت المال، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعا منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أر للحاجات عند التماسها كنعمانَ نعمانِ الندى ابن بشير

١٢٢/١٤ / إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن كمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور

متى أكفرِ النعمان لا ألْف شاكراً وما خير من لا يقتدي بشكور

فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ثَوَى ماثوى لم ينقلب بنَقِير

الأخطل يهجو الأنصار

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلّبي قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا يحيى الزبيري[1] قال حدّثني ابن أبي زريق، قال: شبّب عبد الرحمن بن حسان برَمْلة بنت معاوية، فقال:

رمَل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمني

إذ تقولين عَمْرَكَ اللهَ هل شيء وإنْ جلّ سوف يُسْليكَ عني

أم هَلُ اطمِعْتُ منكم يابن حسا ن كما قد أراك أطمعتَ مني[2]

[١٦/٣٥] / فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العِلج[3] من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يا يزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن أمهل حتى يقدَم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلما قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختاً يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً، فيُكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجُعَيل، فقال: أهجُ الأنصار. فقال: أفرَق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: أهج الأنصار. فقال: أفرَق من أمير المؤمنين. قال: لا تخف شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفُرَيعة خِلته كالجحش بين حمارة وحمار[4]

لعن الإله من اليهود عصابة بالجِزْع بين صُليصل وصُدار[5]

---

(١) ف: أبا يحيى الزهري.

(٢) كذا في ف. وفي بقية الأصول: اطمعت يابن حسان في ذاك.

(٣) للعلج في «لسان العرب» معان، منها الرجل الغليظ، والرجل من كفار العجم، وهو لفظ شائع عندهم في السب. وفي ج: العجل، تحريف.

(٤) ابن الفريعة: كنية حسان بن ثابت الأنصاري، والفريعة: أمه، وهي فريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان. وأصل معنى القريعة: القملة. أو لعله الفارعة ثم صغره تصغير الترخيم.

(٥) اليهود: كذا في ف، (ب ١٣ : ١٤٨). وفي بقية الأصول: المهور، ولعله تحريف. وصليصل: تصغير صلصل، موضع بناحية المدينة، على سبعة أميال منها. وصدار، كغراب: موضع قرب المدينة، وفي ف: وصفار.

[١٦/٣٦] / قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم حمراً عيونهمُ من المُسْطار[١]

خَلُّو المكارم لستُم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار[٢]

إن الفوارس يعرفون ظهوركم أولادَ كل مقبَّح أكّار[٣]

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار[٤]

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وخيراً. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أوَفعل ذلك؟ قال: نعم. قال لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتي به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولاً، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئاً. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جَمْرتنا[٥]؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبل قوله عليه، وهو المدعى/لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئاً أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل: ١٢٣/١٤

وإني غداة استعبرتْ أم مالك لراضٍ من السلطان أن يتهددا[٦]

[١٦/٣٧] / ولولا يزيد ابن الملوك وسعيهُ تجللتُ حِدْباراً من الشر أنكدا[٧]

فكم أنقذتني من خطوب حبالُه وخَرْساء لو يُرْمَى بها الفيل بَلّدا[٨]

ودافع عني يوم جِلِّقَ غمرة وهمّا ينسِّيني الشراب المبرَّدا[٩]

وبات نَجيّاً في دمشقَ لحيةٍ إذا همّ لم يَنَمِ السليمُ وأقصدا[١٠]

يُخافته طوراً، وطوراً إذا رأى من الوجه إقبالاً ألحّ وأجهدا[١١]

أبا خالد دافعت عني عظيمة وأدركت لحمي قبل أن يتبددا

---

(١) المسطار: كذا في ف. وفي (ب ١٣: ١٤٨)، وفي بقية الأصول: المصطار، وهما لغتان في الخمر التي اعتصرت حديثاً من أبكار العنب، أو الخمر الحامضة.

(٢) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد، يجرف بها الطين من على وجه الأرض. يهجوهم بأنهم حراثون، يقلبون الأرض بمساحيهم. وبنو النجار: فريق من أهل المدينة.

(٣) الأكار: الحراث الزارع.

(٤) كذا في ف. وفي أكثر الأصول: «بالمكارم كلها».

(٥) أصل الجمرة: القبيلة التي لا تنضم إلى غيرها بحلف أو نحوه في القتال؛ والمراد هنا: الجماعة مطلقاً.

(٦) «غداة استعبرت»: كذا في ف و«الأغاني» (ب ١٣: ١٤٨). وفي جميع الأصول هنا: «وإن استعبرت». ويلزم على هذه الرواية قطع همزة الوصل للضرورة.

(٧) تجللت: علوت. والحدبار من النوق: الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال، وبدا عظم ظهرها. وجعل ذلك مثلاً للأمر الصعب. وهذه رواية (ب ١٣: ١٤٩). وفي سائر الأصول هنا «تحللت جرباذاي» تحريف.

(٨) الخرساء: كذا في «الأغاني» (ب ١٣: ١٤٩) وفي سائر الأصول: كرساء. تحريف. والخرساء: الداهية. وبلد: ضعف واستكان، أو سقط إلى الأرض. وفي ف: «عردا».

(٩) الغمرة: الشدة. والشراب: كذا في ف. وفي الأصول: السلاف. وهو خالص الخمر، أو ما سال من العنب قبل أن يعصر.

(١٠) نجيا: مسارا. والحية هنا: الرجل الداهي الشديد. والسليم: الملدوغ. وأقصدت الحية الرجل: إذا عضته فمات في مكانه.

(١١) البيت عن ف، مب.

وأطفأت عني نار نعمان بعدما أغذ لأمر فاجر وتجردا[١]

ولما رأى النعمان دوني ابن حرة طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا[٢]

حدّثني عمي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال:

لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً آوَوا رسول الله ﷺ / ونصروه؟! قال: أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدله على الأخطل. [٣٨/١٦]

تهاجي عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب، قال:

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي، وتفاحشا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد، وما مدح أحداً غيره قط، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما. ثم ولي مروان. فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مئة سوط، ولم يضرب أخاه. فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية:

ليت شعري أغائبٌ ليس بالشا م خليلي أم راقدٌ نعمان[٣]

أيةً ما يكن فقد يرجع الغا ئب يوماً ويوقظ الوسنان

إن عمراً وعامراً أبوينا وحراماً قِدْما على العهد كانوا

أفهم مانِعوك أم قلة الكُـ ـتّاب أم أنت عاتب غضبان

أم جفاء أم أعوزتك القراطيـ ـس أمَ أمري به عليك هوانُ

يوم أُنبئتَ أن ساقيَ رُضَّت وأتتكم بذلك الركبان

ثم قالوا إن ابن عمك في بلـ ـوى أمور أتى بها الحِدثانُ

/ فنسيت[٤] الأرحام والودّ والصحـ ـبة فيما أتت به الأزمان [٣٩/١٦]

إنما الرمح فاعلمنّ قناة أو كبعض العيدان لولا السنان

وهي قصيدة طويلة. فدخل النعمان بن بشير على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة، فلم يفعل، ثم وليت أخاه، / فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه: قال. فتريد ماذا[٥]؟ ١٢٤/١٤

(١) أغذ: أسرع، وهذه رواية ف، مب. وفي بقية الأصول: أعد.

(٢) البيت عن ف، مب. وعرد عنه: انحرف وبعد.

(٣) ليس بالشام كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: أنت بالشام. وراقد: كذا في (ب ١٣: ١٥٢). وفي مب: شاهد. وفي بقية الأصول: عاتب، ويؤيد الرواية الأولى قوله في البيت بعده: «ويوقظ الوسنان».

(٤) كذا في ب، وفي سائر الأصول المخطوطة: فتنظ.

(٥) أخر ماذا عن صدر الجملة مع أنها من ألفاظ الاستفهام التي لها صدر الكلام، وهو أسلوب عربي مخصوص بما إذا ركبت مع ذا (انظر حاشية يس على «التصريح»: باب الاسم الموصول).

قال: أن تكتب إليه بمثل ما كتبتِ به إلى سعيد. فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة. فضربه خمسين، وبعث إلى ابن حسان بحُلة، وسأله أن يعفو عن خمسين. ففعل، وقال لأهل المدينة: إنما ضربني حد الحر مئة، وضربه حد العبد خمسين. فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم. فجاء إلى أخيه فأخبره، وقال: لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان. فبعث إليه مروان: لا حاجة لنا فيما تركت، فهلم فاقتص من صاحبك. فحضر فضربه مروان خمسين أخرى.

امرأته الكلبية

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب[١]:

أن معاوية تزوج امرأة من كَلْب، فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن معاوية: ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه[٢]. فأتتها فنظرت إليها، ثم رجعت فقالت: ما رأيت مثلها، ولقد رأيت خالاً تحت سرتها ليوضَعنّ تحت مكانه في حجرها / رأس زوجها. فتطير من ذلك، فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها، فتزوجها النعمان بن [١٦/٤٠] بشير، فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها.

مقتله

قالوا: وكان النعمان بن بشير لما قُتل الضحاك بن قيس بمرج راهط، في خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، وكان عاملاً عليها، فخالف ودعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص، فقتلوه واحتزوا رأسه. فقالت امرأته هذه الكلبية: ألقوا رأسه في حجري، فأنا أحق به. فألقوه في حجرها، فضمته إلى جسده، وكفنته ودفنته.

يغضب من معاوية فيرضيه

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال:

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه، فراقه حسناً وشارة وجسماً، فاستنطقه فوجده سديداً. فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين. قال: عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة، الكثير عددها، التي لا تمنع من دخل فيهم، ولا تبالي من خرج منهم. فغضب النعمان بن بشير، ووثب من بين يديه، وقال: أما والله أنك ما علمتُ لسيء المجالسة لجليسك، عاقّ بزَوْرك[٣]، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك. فأقسم عليه إلا جلس فجلس. فضاحكه معاوية طويلاً، ثم قال له: إن قوماً أولهم غسان وآخرهم الأنصار، لكرام. وسأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضي.

أول شعر قاله

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه: أخبرنا ابن حبيب، قال: قال خالد بن كلثوم.

/ خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن، حتى نزلوا بأرض من الأردنّ يقال لها [١٦/٤١]

---

(١) كذا في ف، مب وفي بقية الأصول: مسلمة بن محارب.

(٢) كانت ميسون بنت بحدل أم يزيد كلبية أيضاً، وكليب من قضاعة.

(٣) الزور: مصدر مراد به الزائر أو الزائرون.

حَفير[1]، وحاضرتها بنو القَين. فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى، هدية[2]. فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم: يا نعمان هل قلت شعراً؟ قال: لا والله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج[3] يقال له ثابت بن سِماك: لم تقل شعراً قط؟ قال: لا. قال: فأقسم عليك لَتُربَطن إلى هذه السرحة، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم، أو تقول شعراً. فقال عند ذلك، وهو أول شعر قاله:

يا خليليّ ودعا دار ليلى ... ليس مثلي يحل دار الهوان

إن قَيْنية تحل مُحِبا ... وحفيراً فجنبتي تَرْفُلان[4]

لا تؤاتيك في المغيب إذا ما ... حال من دونها فروع قَنان[5]

125/14 / إن ليلى ولو كلفت بليلى ... عاقها عنك عائق غيرُ وان[6]

قال: وضرب الدهر على ذلك، وأتى عليه زمن طويل. ثم أن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك، وهو أمير على حمص، فلما رآها عرفها فأنشأ يقول:

ألا استأذنت ليلى فقلنا لها لِجِي ... ومالكِ ألا تدخلي بسلام

فإن أناساً زرتِهم ثم حَرَّموا ... عليك دخول البيت غير كرام

وأحسن صلتها، ورفدها[7] طول مقامها، إلى أن رحلت عنه.

[16/42] / **الأنصار خير ألقاب أهل المدينة**

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من الأنصار، قال:

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة[8] ـ وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان ـ فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال لهم عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ اردُد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إني أخاف من ذلك الشُنعة. فقال: هي كلمة تقولها، إن مضت عضتهم[9] ونقصتهم، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظراً

(١) كذا في ف، مب و معجم البلدان» لياقوت وفي البيت الثاني من الأبيات الآتية. وقد اشتبه أمره على ياقوت، فذكر الشعر الآتي مرة ثانية في رسم ضفير. والصواب: حفير، بالحاء المهملة.

(٢) ج: هبة.

(٣) كذا في ف، مب، ج. وفي الأصول: الحارث بن الحارث. وفي ج بعدها خرم بمقدار اثني عشرة صفحة من مطبوعة بولاق.

(٤) محب وحفير وترفلان: مواضع بالشام. وفي «معجم البلدان» لياقوت: «فحفيرا فجنتي ترفلان».

(٥) قنان: جبل بأعلى نجد.

(٦) في «معجم البلدان»: وإن، في موضع: ولو. وهي أجود. وغيروان: كذا في ف، مب، و «معجم ياقوت». وفي الأصول: «وأوان». تحريف.

(٧) كذا في ف، مب. وفي الأصول: فاستحسن صلتها وزودها. وفي س و «الديوان»: فأحسن صلتها وزودها.

(٨) كذا في ف، مب. وفي الأصول: أبو درة.

(٩) كذا في ف. وفي مب، و «الديوان»: عضضتهم. وفي الأصول: عرتهم.

منكراً، فقال له: باعدتَ جداً. فقال: اخرج فقل: من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل[١] أحد. فقال له معاوية: أُخرج فقل: من كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدُمهم النعمان بن بشير وهو يقول:

يا سعد لا تُعِد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار[٢]

نسب تخيّره الإله لقومنا ... أثْقِل به نسباً على الكفار[٣]

إن الذين ثَوَوْا ببدر منكُم ... يوم القَليب همُ وقود النار

/ فقال معاوية لعمرو: قد كنا أغنياء عن هذا[٤]. [٤٣/١٦]

الشعراء من آل النعمان

والنعمان بن بشير: هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً، جده شاعر، وأبوه شاعر، وعمه شاعر، وهو شاعر، وأولاده وأولاد أولاده شعراء.

فأما جده سعد بن الحصين[٥] فهو القائل.

إن كنت سائلة والحق مَعْتبة ... فالأزد نسبتُنا والماء غسان[٦]

شم الأنوف لهم عز ومكرمة ... كانت لهم من جبال الطَّوْد أركان[٧]

وعمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد، القائل:

إذا لم أزل إلا لآكلَ أكلة ... فلا رفعت كفي إليّ طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جَوْعة إن جعتها بغرام

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول[٨]:

---

(١) عن ف ومب.

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: لا تجب الدعاء. وفي «الديوان»: لا تعد النداء... نجيب له.

(٣) كذا في ف، مب و «الديوان». وفي الأصول: إلى الكفار.

(٤) زاد «الديوان» في هذا الخبر هنا: «فقام مغضباً فانصرف، فبعث فيه معاوية، فرده وترضاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار، وقال لعمرو: قد كنا عن هذا أغنياء».

(٥) كذا في جميع الأصول. وهو غلط منَ المؤلف نبه عليه ناشر «الديوان». ولعل صوابه: سعد أبو الحسين. والحسين: عم النعمان بن بشير. والبيتان المنسوبان إليه ينسبان أيضاً إلى حسان بن ثابت، وهما في «ديوانه» مع بعض اختلاف في الرواية.

(٦) معتبة: موجدة. يريد أن الحق يثقل على النفوس سماعه، فيورث العتاب والغضب. وفي «ديوان حسان»: مغضبة. ويروى الشطر الأول في «ديوان النعمان» (ص ١٣) و «سيرة ابن هشام» (١: ١٠) «إما سألت فإنا معشر نجب»، وفي «ديوان حسان» و «سيرة ابن هشام»: «الأسد نسبتنا»: والأسد: لغة في الأزد، وهو الأسد بن الغوث، من أجود الأنصار. وغسان: ماء بسد مأرب باليمن، كان شرباً لبني مازن بن الأزد بن الغوث، وهم الأنصار وبنو جفنة وخزاعة. ويقال: غسان: ماء بالمشلل، قريب من الجحفة: (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٧) جبال الطود: هي جبال السراة. وفي «ديوان حسان»: «كجبال الطود»، وفيه أيضاً: «لهم مجد».

(٨) ذكر ياقوت الأبيات: ١، ٢، ٥ وبيتاً آخر من القصيدة، ونسبها لبشير بن سعد أبي النعمان، ونسبها السكري إلى حسان بن ثابت، وهي في «ديوانه» (ص ٤٢). وتنسب أيضاً لسعد بن الحصين من بني الحارث بن الخزرج. ويبدو أن الأبيات المذكورة هنا ملفقة من أقوال هؤلاء الشعراء لأن المعنى غير متسق فيها جميعها.

[٤٤/١٦] / لعمرةَ بالبطحاء بين معرَّفٍ ... وبين المطافِ مسكن ومحاضر (١)

لعمري لَحَيٌّ بين دار مزاحم ... وبين الجُثَا لا يجشم السير حاضر (٢)

وحي حِلال لا يروع سَرْبُهم ... لهم من وراء القاصيات زوافر (٣)

أحق بها من فتية وركائب ... يقطع عنها الليلَ عوج ضوامر (٤)

[١٢٦/١٤] / تقول وتذري الدمع عن حُر وجهها ... لعلك نفسي قبل نفسك باكر (٥)

أباح لها بِطريق فارس غائطا ... لها من ذرا الجَوْلان بقل وزاهر (٦)

[٤٥/١٦] / فقرَّبتها للرحلِ وهي كأنها ... ظَلِيم نعامٍ بالسماوة نافر

فأوردتها ماء فما شربت به ... سوى أنه قد بُلّ منها المشافر

فباتت سُراها ليلة ثم عرست ... بيثرب والأعراب بادٍ وحاضر

قال خالد بن كلثوم:

غضبه من هجاء الأخطل للأنصار

ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقول:

معاويَ إلّا تعطنا الحق تعترف ... لِحَى الأزد مشدوداً عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ضَلّة ... وماذا الذي تجدى عليك الأراقم (٧)

(١) الظاهر من رواية (ف) أن البطحاء، هي بطحاء مكة. ومعرف: موضع الوقوف بعرفات، والمطاف: حيث يطوف الناس بالبيت. وفي الأصول: بيت، في مكان: «بين» الأولى. والبطاح، في مكان: «المطاف». والمعنى على هذه قريب من معنى الرواية الأولى. فهما تحددان مواضع قرب مكة. وفي «ديوان حسان» و «معجم البلدان» لياقوت: «لعمرك» في مكان «لعمرة». وفي «ديوان حسان» أيضاً: «نطاة» في مكان «البطاح». وفي «معجم ياقوت»: «النطاق»، وعلى هذه الروايات الأخيرة يختلف معنى البيت، إذ يكون قصد الشاعر تحديد مكان قريب من المدينة، وهو الأشبه بالشاعر، لقرب موطنه (المدينة) من هذه الأماكن.

(٢) الجثا: الحجارة التي توضع على حدود الحرم، أو هي الأنصاب التي كانت تذبح عليها الذبائح، واحدتها جثوة. وجثا أيضاً كربا: جبل من جبال أجأ، مشرف على رمل طيىء. والجثوة أيضاً: حجارة من تراب متجمع كالبقر.

(٣) الحي الحلال: القوم المقيمون بأرضهم. والسرب: المال الراعي من الإبل، أو من جميع الماشية. والقاصيات: جمع قاصية: موضع، ولعله جمعه بما حوله. والزوافر: جمع زافرة، وهم الرهط والعشيرة والأنصار. وفي الأصول: «وحي حلال لا يكثر»، تحريف. وفي «ديوان حسان»: لا يكمش، أي لا يساق بإعجال.

(٤) قبل هذا البيت في «ديوان حسان» بيت آخر، وهو:

إذا قيل يوماً اظعنوا قد أتيتم ... أقاموا ولم تجلب إليهم أباعر

ويظهر لنا أن الأبيات غير متلاحقة، أو ليست من قصيدة واحدة، لغموض الصلة بينها. والعوج: جمع أعوج وعوجاء، وهو من الخيل والإبل ما كان في يديه عوج، وهو من الصفات المستحسنة فيها. والضوامر: جمع ضامر وضامرة، وهي القليلة اللحم والشحم.

(٥) لعل الضمير في تقول يرجع إلى «عمرة». وتذري: تسقط. وباكر: وصف من بكر إذا تقدّم، تريد أنك مقدم على إهلاكي قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة.

(٦) الغائط: المكان المنخفض يزرع.

(٧) الأراقم: أحياء من تغلب، وهم ستة: جشم، ومالك، وعمرو، وثعلبة، ومعاوية، والحارث، بنو بكر بن حبيب بت غنم بن تغلب. ويريد بعبد الأراقم: الأخطل. أي عبد من الأراقم.

فمالِيَ ثأرٌ غيرَ[1] قطعِ لسانِه فدونك من يرضيه عنك الدراهمُ

وَأَرْعِ رويداً لا تَسُمْتَنا دَنِيَّةً لعلك في غِبِّ الحوادث نادمُ[2]

متى تلقَ منا عصبةٌ خزرجيةٌ أو الأوس يوماً تخترمْك المخارمُ[3]

وتلقاك خيلٌ كالقطا مسبطِرَّةٌ شماطيطُ أرسالٌ عليها الشكائمُ[4]

يسوِّمها العَمْرانِ عمرو بن عامرٍ وعِمرانُ حتى تستباحَ المحارمُ

ويبدو من الخَودِ الغريرةِ حجلُها وتبيضّ من هول السيوف المقَادمُ

فتطلبَ شَعْبَ الصدعِ بعد انفتاقِهِ فتعيا به فالآنَ والأمرُ سالمُ

/ وإلا فبَزِّي لأْمةٌ تُبَّعِيَّةٌ مواريثُ آبائي وأبيضُ صارمُ [٤٦/١٦]

وأجردُ خوّارُ العِنانِ كأنه بدَوْمةَ موشيّ الذراعينِ صائمُ[5]

وأسمرُ خَطِّيٌّ كأن كعوبَه نوى القَسْبِ فيها لَهْذَمِيٌّ ضُبارِمُ[6]

فإن كنتَ لم تشهد ببدرٍ وقيعةً أذلّتْ قريشاً والأنوفُ رواغمُ

فسائلْ بنا حيَّ لؤيِّ بن غالبٍ وأنت بما تخفي من الأمر عالمُ

ألم تبتدِرْكم يومَ بدرٍ سيوفُنا وليلُك عما نابَ قومَك نائمُ[7]

ضربناكُمُ حتى تفرّق جمعُكم وطارت أكفٌّ منكُمُ وجماجمُ

وعاذت على البيت الحرام عوانسٌ وأنت على خوفٍ عليك تمائمُ[8]

وعضّت قريشٌ بالأنامل بِغضةً ومن قبلُ ما عُضّت علينا الأباهمُ[9]

فكنا لها في كل أمرٍ تكيده مكانَ الشَّجا والأمرُ فيه تفاقمُ

فما إن رمى رامٍ فأوهى صَفاتَنا ولا ضامنا يوماً من الدهر ضائمُ

وإني لأغضي عن أمورٍ كثيرةٍ ستُرقَى بها يوماً إليك السلالمُ

أصانعُ فيها عبدَ شمسٍ وإنني لتلك التي في النفس مني أكاتمُ

---

(١) «غير» كذا في ف. وفي الأصول: «دون».

(٢) «وأرع رويدا» أي كن برعيتك شفيقا. وفي الأصول عدا ف: «وراغ».

(٣) تخترمك: تهلكك. والمخارم: الطرق في الجبال. يريد: تغزوك فتصبح طريداً تتجاذبك مخارم الجبال، فتهلك.

(٤) مسبطرة: طويلة سريعة. والشماطيط: المتفرّقة المتتابعة. والأرسال: جمع رسل، بمعنى الشماطيط.

(٥) البيت عن ف وحدها، مب. ورواية الأخيرة: صارم.

(٦) القسب: التمر اليابس يتفتت في الفم، صلب النوى، تشبه بنواه الرماح في الصلابة. واللهذم واللهذمي: القاطع من الأسنة. والضبارم: الشديد الخلق من الأسد، استعاره وصفا للرمح. وفي ف، مب: خثارم. وفي بقية الأصول: حيازم، ولعلها تحريف عما أثبتناه.

(٧) «ليلك نائم»: كذا في ف. يريد وأنت نائم غافل في ليلك. وفي الأصول: قائم. وهي صحيحة.

(٨) عاذت على البيت: كذا في الأصول. والذي في «المعاجم»: عاذ بكذا، إذا التجأ إليه، فلعل الأصل: عاذت إلى البيت.

(٩) كذا في ف، مب. وفي الأصول: الأداهم.

فلا تشتُمَنّا يابن حرب فإنما ... ترقّي إلى تلك الأمورِ الأشائم[1]

فما أنت والأمرَ الذي لستَ أهله ... ولكن ولي الحق والأمر هاشم

[١٦/٤٧] / إليهم يصير الأمر بعد شتاته ... فمن لك بالأمر الذي هو لازم

بهم شَرَعَ الله الهدى واهتدى بهم ... ومنهم له هادٍ إمامٌ وخاتم

ينصر عبد الرحمن بن حسان

١٢٧/١٤ / قال: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه، ليقطع لسانه. فاستجار بيزيد بن معاوية، فمنع منه، وأرضَوُا النعمان، حتى رضي وكف عنه.

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد، ولم يضرب أخاه، حين تهاجيا وتقاذفا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه، فدخل إلى معاوية، وأنشأ يقول:

يابن أبي سفيانَ ما مثلُنا ... جار عليه ملك أو أمير

اذكر بنا مَقْدمَ أفراسنا ... بالجِنْسِ إذ أنت إلينا فقير

واذكر غداة الساعديّ الذي ... آثركم بالأمر فيها بشير[2]

واحذر عليهم مثل بدر فقد ... مر بكم يومٌ ببدر عسير

إن ابن حسان له ثائر ... فأعطه الحق تَصِحّ الصدور[3]

ومثلُ أيام لنا شتت ... ملكاً لكم أمرك فيها صغير

أما ترى الأزد وأشياعها ... نحوك خُزْراً كاظمات تَزير[4]

يطوف[5] حولي منهُم معشر ... إن صُلْتُ صالوا وهم لي نصير

[١٦/٤٨] / يأبى لنا الضيم فلا يعتلي ... عز منيع وعديد كثير

وعنصر في حُرٍّ جرثومة ... عاديّة تنقل عنها الصخور[6]

لقب الأنصار

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن الهيثم الفِراسي، قال: حدّثني العمري، عن الهيثم بن عديّ، قال:

---

(١) البيت: عن ف، مب. والأشائم بالرفع نعت مقطوع عما قبله.

(٢) الساعديّ: يريد اليوم الساعدي، نسبة إلى بني ساعدة من الأنصار أصحاب السقيفة، وقد كان بشير بن سعد أبو النعمان أوّل أنصاري بايع أبا بكر بالخلافة، مؤثراً بها قريشاً على قومه.

(٣) ثائر: ناصر، يثور له ويطالب بحقه.

(٤) نحوك: كذا في ف، مب. وفي الأصول: تجول. والخزر: جمع أخزر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه غضباً. وتزير: تصيح غضباً كالأسد، وأصله تزئر، بوزن تضرب، فسهل الهمزة.

(٥) يطوف: كذا في ف، مب. وفي الأصول: يصول.

(٦) حر جرثومة: كذا في ف. وفي الأصول: عز جرثومة. والجرثومة: الأصل.

حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد أبو دُرّة، وكان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال: استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية: الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً؟ أرددهم إلى نسبهم. فقال معاوية: إن علينا في ذلك شناعة. قال: وما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة، ولا مردّ لها. فقال له معاوية: اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له: أخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فنادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول:

يا سعد لا تُعِد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا ... أثقل به نسباً على الكفار

إن الذين ثَوَوا ببدر منكم ... يوم القَليب هُمُ وقود النار

وقام مغضباً وانصرف. فبعث معاوية فردّه، فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار.

مختار شعره

ومن مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها:

إذا ذُكرت أم الحويرث أخضلت ... دموعي على السربال أربعة سكبا[1]

/ كأنيَ لما فرَّقتْ بيننا النَّوى ... أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا [١٦/٤٩]

/ وكنا كماء العين والجفنِ لا ترى ... لواش بغَى نقض الهوى بيننا إرْبا[2] ١٢٨/١٤

فأمسى الوشاة غيَّروا وُدَّ بيننا ... فلا صلةً ترعَى لديّ ولا قُربَى

جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت ... كأنّي - ولم أذنب - جَنيتُ لها ذنبا

فإن تصرميني تصرمي بيَ واصلا ... لَدَي الود مِعْراضا إذا ما النوى صعبا

عَزوفاً إذا خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطي مودته غصبا

فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت كلفني نُصْبا[3]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، وأوّلها:

أهيَّجَ دمعَك رسمُ الطللْ ... عفا غيرَ مطَّردٍ كالخِللْ[4]

نعم فاستهلّ لعرفانه ... يَسِح ويَهْمِي بفَيْضٍ سَبَلْ[5]

ديار الألوف وأترابها ... وأنت من الحب كالمختَبَلْ[6]

(١) أخضل الدمع الثوب: بله. وقد ضمنه الشاعر معنى سقط، فعداه بعلي.

(٢) الجفن: كذا في ف، مب. وفي الأصول: الحسير. تحريف. والإرب: الحاجة.

(٣) النصب: الداء والبلاء والشر.

(٤) الخلل: جمع خلة، وهي بطانة تنقش بالذهب، يغشى بها جفن السيف.

(٥) استهل: جرى وسال. والسبل: المطر الجود الهاطل. ورواية الشطر الثاني في «الديوان» ص ١٠: «سراعاً وجادت بفيض سبل».

(٦) رواية الشطر الثاني في «الديوان»: «إذا أنت ملحب كالمختبل».

ليـالـيَ تَسْبِـي قلـوب الـرجـا ... ل تحـت الخـدور بحسـن الغـزل
مـن النـاهضـات بـأعـجازِهـنّ ... حـيـن يقـوم جـزيـلُ الكفـل
كـأن الـرُّضـاب وصَـوْب السحـا ... بِ بـات يُشـاب بـذَوْب العسـل
مـن الليـل خـالـط أنيـابهـا ... بُعيـد الكـرى واختـلافِ العَلـل (١)

[١٦/٥٠] / أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال:

وكـأن طـارقهـا علـى عَلَـل الكـرى ... والنجـمُ وَهْنـا قـد دنـا لتَغَـوُّر (٢)
يشتـمّ ريـح مـدامـةٍ معلـولـة ... بِسحيـقِ مسـك فـي ذكـي العنبـر (٣)

وفي هذه القصيدة يقول النعمان:

وأورعَ ذي شـرف حـازم ... صـروم وصـولٍ حبـال الخُلـل (٤)
كـريـم البـلاء صبـور اللقـا ... ءِ صـافـي الثنـاء قليـل العـذَل (٥)
عظيـم الـرمـاد طـويـل العمـا ... دِ واري الـزنـاد بعيـد القَفَـل (٦)
أقمـت لـه ولأصحـابـه ... عمـود السُّـرَى بـذمـولٍ رمـل (٧)
مـداخَلـةٍ سَـرْحـة جسـرة ... علـى الأيـن دَوْسَـرة كـالجمـل (٨)

[١٦/٥١] / **عبد الله بن النعمان**

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، وهو القائل:

مـاذا رجـاؤك غـائبـا ... مـن لا يَسُـرُّك شـاهـدا
وإذا دنـوت يـزيـده ... منـك الـدنـو تبـاعـدا

---

(١) اختلاف العلل: حدوث النوم بعد النوم. ورواية «الديوان»:

مـن الليـل شـارك أنيـابهـا ... بعيـد الـرقـاد وبعيـد الكسـل

(٢) وهنا: ساعة في وسط الليل.

(٣) يشتم: كذا في ف، مب. وفي الأصول: كنسيم. وفي «الأغاني» (٨: ١٠١): يستاف: وهو بمعنى يشتم. ورواية البيت في هذا الموضع من «الأغاني»:

يستـاف ريـح مـدامـة معجـونـة ... بـذكـي مسـك أو سحيـق العنبـر

(٤) الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه. والخلل: جمع خلة، وهي الحبيبة. ورواية الشطر الأول في «الديوان»:

* وأفيح ذي سرب حازم *

(٥) في «الديوان»: «قليل العلل».

(٦) القفل: كذا في مب، و«الديوان»، وهو الرجوع من أماكن الغزو البعيدة. وفي بقية الأصول: العقل. تحريف.

(٧) العمود: طريق السير الذي تستقيم عليه السيارة. والذمول: الناقة تسير الذميل، وهو ضرب من سير الإبل فوق العنق. ورمل: أي ذات رمل، وهو ضرب من السير السريع، وهو الهرولة. وفي «الديوان»: «ولأشباهه» في مكان «ولأصحابه».

(٨) مداخلة: كذا في ف، مب، أ، «الديوان». وهي المكتنزة المدمجة الخلق. وفي س: بذعلبة، وهي الناقة السريعة، شبهت بالذعلبة، وهي النعامة. والسرحة: الطويلة الجسم، وأصلها الشجرة العظيمة. والجسرة: الماضية، أو الطويلة الضخمة. والأين: التعب والكلال. والدوسرة: الضخمة الشديدة.

عبد الخالق بن أبان

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر، وهو القائل في قصيدة طويلة:

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر   بأعلى ذرا العلياء ركنا تأثلا

وخطّ حياض المجد مترعة لنا   ملاءً فعلَّ الصفوَ منها وأنهلا

وأشرع فيها الناس بعدُ، فما لهم   من المجد إلا سُؤْرُه حين أفضلا[1]

وفي غيرنا مجد من الناس كلهم   فأما كمثل العُشْرِ من مجدنا فلا

/ وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها.

١٢٩/١٤

شبيب بن يزيد

ومنهم شبيب بن يزيد[2] بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر مُجيد، وهو القائل من قصيدة طويلة، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده، أوّلها:

يا قلب صبرا جميلا لا تمتْ حَزَنا   قد كنتَ من أن تُرى جَلْد القُوَى قَمِنا[3]

يقول فيها:

بل أيها[4] الراكبُ المُزْجِي مطيته   لُقِّيتَ حيث توجهتَ الثَّنا الحسنا

/ أبلغْ أمية أعلاها وأسفلَها   قولا ينفِّر عن نُوّامها الوَسَنا

[٥٢/١٦]

إن الخلافة أمر كان يُعْظِمه   خيارُ أوّلكم قِدْما وأوّلنا

فقد بقرتم بأيديكم بطونكُم   وقد وُعظتم فما أحسنتُم الأَذَنا[5]

أغريتُم بكُم جهلا عدوكُم   في غير فائدة فاستوسَقوا سَنَنا[6]

لما سفكتم بأيديكم دماءكُم   بغيا وغشَّيْتُمُ أبوابكم درنا

إبراهيم بن بشير

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد، أخو النعمان، شاعر مكثر، وهو القائل في قصيدة طويلة:

أشاقتك أظعانُ الحُدوجِ البواكرِ   كنخل النُّجَير الشامخاتِ المَواقرِ[7]

---

(١) أشرع فيها الناس: أي وردوا حياض المجد بعده. والسؤر: البقية تبقى في الحوض ونحوه بعد الشرب. وكذا ورد البيت في مب. وفي ف: ما لهم من الجد. وفي بقية الأصول و «الديوان»: فنالهم من المجد.

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: زيد.

(٣) يقال: قمن بكذا، وقمن منه: جدير به.

(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول و «الديوان»: يأيها.

(٥) أذن له أذنا (بتحريك الذال): استمع.

(٦) البيت عن ف، مب. وفي مب: أعثرتم، في موضع: أغريتم. واستوسقوا: اجتمعوا والسنن: الطريق الواضح. يريد: اجتمعوا واتفقوا على عدوانكم.

(٧) النجير: مكان. والمواقر: جمع موقرة، وهي ذوات الأحمال. وفي «الديوان»: الكارعات، في موضع: الشامخات.

على كل فَتْلاء الذراعين جَسْرةٍ وأعْيَسَ نَضّاخ المَهَدّ عُذافِر[١]

نعم فاستدرت عبرة العين لوعة وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر

ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة من الدهر إلا وقفةً بالمَشاعر

ألا رُبَّ ليل قد سريتُ سواده إلى رُدُح الأعجاز غُرّ المحاجر[٢]

[٥٣/١٦] / لياليَ يدعوني الصِّبا فأجيبه أجر إزاري عاصيا أمر زاجري

وإذ لِمتي مثل الجناح أثيثةٌ أمشّي الهُوَيْنَى لا يروِّع طائري

فأصبحت قد ودعت كُلاًّ بغيره مخافة ربي يوم تُبلَى سرائري[٣]

حميدة بنت بشير

وبنت النعمان بن بشير، واسمها حُميدة، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر، فكانت تهجو أزواجها. وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي، وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه:

كهولُ دمشقَ وشبانُها أحب إليّ من الجاليةْ[٤]

صُماحهمُ كصُماحِ التيو س أعيا على المسك والغاليه[٥]

وقملٌ يدب دبيبَ الجرادِ أكاريسَ أعيا على الفاليه[٦]

فطلقها. فتزوّجها رَوْح بن زِنْباع، فهجته، وقالت تخاطب أخاها الذي زوّجها من رَوح، وتقول:

أضل الله حلمك من غلام متى كانت مَناكحنَا جذامُ

أترضى بالأكارع والذُنابَى وقد كنا يقِر لنا السنام

وقالت تهجو رَوحاً.

بكى الخزُّ من روح وأنكر جلدَه وعَجَّت عجيجا من جُذامَ المطارفُ

وقال العَباء نحن كنا ثيابهم وأكسيةٌ كُدْرِيَّة وقطائف[٧]

---

(١) فتلاء الذراعين: في ذراعيها فتل وبعد عن الجنبين، وهو صفة مستحسنة في الناقة. والجسرة: الماضية أو الطويلة الضخمة. وفي الأصول عدا ف: مهجر، وهي الناقة الفائقة في الشحم والسمن. وجمل أعيس: فيه أدمة. والنضاخ: من النضخ وهو شدة فور الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه. والمهد: مصدر ميمي بمعنى المهدّ، وهو هدير الفحل، شبه صوته عند هديره بجيشان الماء إذا فارعن الينبوع. وجمل عذافر: صلب عظيم شديد.

(٢) ردح: جمع رداح، وهي الضخمة. وفي مب: رجح. والأعجاز: كذا في ف، مب. وفي الأصول: الأكفال.

(٣) تبلى: تختبر.

(٤) الجالية: القوم الذين جلوا عن بلادهم.

(٥) الصماح: العرق المنتن، وهو الصنان. وصماحهم كصماح: كذا في ف، مب. وفي الأصول: صنانهم كصنان. وفي «ديوان النعمان» (ص ٤١): له دفر كصنان. والدفر: هو الصنان.

(٦) أكاريس: جمع أكراس، وهذا جمع كراس بالكسر، وهو الجماعة من كل شيء. كذا رواية الشطر في ف. وفي الأصول و «الديوان»: (د أعيا على الغالي والغالية). وفي مب: (د أعيا الغداة على الغالية).

(٧) العباء: نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن. ورواية الشطر الأول في «الديوان»: «وقال العبا قد كنت حينا ثيابهم».

[١٦/٥٤] / فطلقها رَوح، وقال: سلط الله عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيئها في حجرك. فتزوّجت بعده الفيض بن أبي عَقيل [١٣٠/١٤] الثقفي، وكان يسكر ويقيء في حجرها. فكانت تقول: أجيبت فيّ دعوة روح. وقالت في الفيض:

سُمِّيت فَيْضاً وما شيءٌ تفيض به ... إلا بسَلْحك بين الباب والدار[١]

فتلك دعوة رَوْح الخير أعرفها ... سقى الإله صَداه الأَوْطَفَ الساري[٢]

وقالت فيه:

وَهَل أنا إلا مُهْرة عربية ... سليلة أفراس تجلّلها بغل[٣]

فإن نُتِجت مهراً كريماً فبالحَرَى ... وإن كان إقرافٌ فما أنجب الفحل[٤]

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لما تزوّج الحجاج أخته هنداً.

وهي القائلة لما تزوّج الحجاج أختها أم أبان:

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراجْ ... أن تنكحيه ملكاً أو ذا تاجْ

إذا تذكرت نكاح الحجاجْ ... تضرّم القلب بحزن وهّاجْ

وفاضت العين بماء ثَجّاجْ ... لو كان نعمان قتيلُ الأعلاجْ

مستويَ الشخص صحيحَ الأوداجْ ... ما نلتَ ما تلتَ بخَتْل الدُّراجْ[٥]

فأخرجها الحجاج من العراق، وردها إلى الشام.

/ صوت

[١٦/٥٥]

نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرَّةٍ ... بُنِيتْ على طلْقِ اليدين وَهوبِ

لا تنفري يا ناقَ منه فإنه ... شِرِّيب خمر مِسْعر لحروب

لا يَبْعَدنّ ربيعةُ بن مكدَّم ... وسقى الغوادي قبره بذَنوب

لولا السِّفارُ وبُعْد خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تحبو على العُرْقوب[٦]

(١) بسلحك: كذا في الأصول. وفي «الديوان» (ص ٣٩): بجعرك.

(٢) البيت عن ف و «الديوان». والصدى: عظام الموتى تصير هامة فتطير كزعم الجاهلية (عن «تاج العروس»). والأوطف: السحاب المسترخي الجوانب لكثرة مائه.

(٣) روى ابن قتيبة في «أدب الكتاب» الشطر الأول: «وهل هند إلا مهرة عربية» ونسب الشعر إلى هند بنت النعمان بن بشير، أخت حميدة. وأنكر بعضهم لفظ «بغل» بالباء، وقالوا: هي تصحيف، والصواب نغل بالنون، بوزن سهم وكتف، وهو الخسيس من الناس والدواب، أو الفاسد النسب (انظر «التاج» في نغل).

(٤) إقراف: كذا في ف. وفي الأصول: إقرافاً. وفي «الديوان»: وإن يك إقراف فما أنجب: وكذا في مب. وفي بقية الأصول و «الديوان»: فمن قبل الفحل.

(٥) ختل: خداع. والدراج: طائر شبيه بالحجل وأكبر منه، أرقط بسواد وبياض، قصير المنقار، شبهت به أختها.

(٦) يريد لولا طول رحلته في الفلوات المترامية لعقر ناقته على قبر ربيعة بن مكدم. قال صاحب «العقد الفريد» (يوم الكديد): وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره في الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره.

يقال إن الشعر لحسان بن ثابت الأنصاريّ، ويقال: إنه لضرار بن الخطاب الفهريّ.

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بني فهر بن مالك. ومن الناس من يرويها لمُكَرَّز بن حفص بن الأحنف الفهري[1]، وعمرو بن شقيق أولى بها.

والغناء[2] لمالك: خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر[2].



(١) الفهري: كذا في ف. وفي بقية الأصول: العامري. ونسب أبو تمام في «الحماسة» (٢: ١٨٧) الأبيات إلى حفص بن الأحنف الكناني. ونسبها التبريزي عن أبي رياش إلى حفص بن الأحنف العامري، وإلى كرز بن خالد الفهري. وفي الاسم الذي ذكره المؤلف تلفيق من هذه الأسماء. ويوم الكديد مذكور في «شرح الحماسة»، مع بعض الاختلاف في التفاصيل والأقوال والأشعار.

(٢ ـ ٢) العبارة عن ف، مب.

/ أخبار مقتل ربيعة ونسبه [٥٦/١٦]

نسبه ومقتله

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فُرسان مُضَر المعدودين، وشجعانهم المشهورين، قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَمي في يوم الكَديد.

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة؛ ونسخْته أيضاً من رواية الأصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم، فجمعتها ههنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تدارؤ[١] بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيم بن منصور،/ ثم إنهم ودَوْهما. ثم ضرب الدهر ١٣١/١٤ ضَرَبانَه، فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً، فلقي ظُعُنا من بني كنانة بالكديد، في نفر من قومه، وبَصُر بهم[٢] نفر من بني فراس بن مالك، فيهم عبد الله بن جذلْ الطعان بن فراس، والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم أبو الفَرْعة، أخو ربيعة بن مكدم، قال: وهو مجدور يومئذ يُحمَل في محفة، فلما رآهم أبو الفارعة، قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال أخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى أعلم علم القوم، فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم، فلما وَلَّى، قال بعض الظعن: هرب / ربيعة. فقالت أخته أم عزة بنت مكدم: أين تنتهي نَفْرة الفتى؟ [٥٧/١٦] فعطف وقد سمع قول النساء، فقال:

لقد علمنَ أنَّني غير فَرِقْ ... لأطعُنَنْ طعنة وأعتنقْ
أُعْمِل فيهم حين تحمر الحَدَق ... عَضْبا حساما وسنانا يأتلق[٣]

قال: ثم انطلق يعدو به فرسه، فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد له في طريق الظعت. وانفرد به رجل من القوم، فقتله ربيعة. ثم رماه نبيشة أو طعنه، فلحق بالظعن يستدمي، حتى أتى إلى أمه أم سيار، فقال: اجعلي على يدي عصابة، وهو يرتجز ويقول:

* شدي عليّ العَصْب أم سيارْ *
* لقد رُزِيتِ فارسا كالدينار *
* يطعُن بالرمح أمام الأدبار *

---

(١) تدارؤ: تدافع في خصومة واختلاف.

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: في ركب من قومه وظفر بهم.

(٣) كذا ورد الشعر في مب. وفي ف: «وأصبحهم حين تحمر الحدق». وفي بقية الأصول: «أصبحهم صاح بمحمر الحدق». وكلاهما محرف.

فقالت أمه:

إنا بنو ثعلبة بن مالكِ ... مُرَزَّأً أخيارنا كذلكِ

من بين مقتول وبين هالك ... ولا يكون الرزء إلا ذلك

قال أبو عبيدة: وشدّت أمه عليه عصابة. فاستسقاها ماء، فقالت: إنك إن شربت الماء مت، فكُرَّ على القوم. فكَر راجعاً يشد على القوم ويَذُبّهم، ونزفه الدم حتى اثخن، فقال للظعُن: أَوْضِعن[1] ركابكن خلفي، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي، فإني لما بي، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة، وأعتمد على رمحي، فلن يقدَموا عليكن لمكاني. ففعلن ذلك، فنجون إلى مأمنهن.

[٥٨/١٦] / قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره. قال: وإنه يومئذٍ لغلام له ذؤابة. قال: فاعتمد على رمحه، وهو واقف لهن على متن فرسه، حتى بلغن مأمنهن، وما تقدّم القوم عليه. فقال: نُبيشة بن حبيب: إنه لمائل العنق، وما أظنه إلا قد مات. فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه. فرماها فقمصت وزالت، فمال عنها ميتاً. قال: ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة. فانصرفوا عنه، وقد فاتهم الظُّعُن.

قال أبو عبيدة: ولحقوا يومئذٍ أبا الفَرعة الحارث بن مكدم، فقتلوه، وألقَوا على ربيعة أحجاراً.

أشعار في رثائه

فمر به رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة. فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره، وحض على قتلته، وعيَّر من فر وأسلمه من قومه:

نفرت قلوصي من حجارة حَرّة ... بُنيت على طلق اليدين وهوبِ

لا تنفري يا ناق منه فإنه ... سَبّاء خمر مِسْعَر لحروب

لولا السِّفار وبعد خرق مهمه ... لتركتها تحبو على العرقوب

/ فر الفوارس عن ربيعة بعدما ... نَجّاهُم من غُمَّة المكروب[2]

يدعو علياً حين أسلم ظهره ... فلقد دعوتَ هناك غير مجيب

لله در بني عليّ إنهم ... لم يُحمشوا غزواً كولْغ الذيب[3]

نِعْمَ الفتى أدى نبيشة بَزَّه ... يوم الكديد، نبيشةُ بن حبيب[4]

لا يبعَدن ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادي قبره بذَنوب

[١٣٢/١٤]

[٥٩/١٦] / قال أبو عبيدة: ويقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مِرداس، أحد بني محارب بن فهر. وقال آخر: هو حسان بن ثابت. وقال الأثرم: أنشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت:

* وسقى الغوادي قبره بذَنوب *

---

(١) الإيضاع: نوع من السير سريع.

(٢) غمة: كذا في ف، مب. وفي الأصول: غمرة.

(٣) هذا البيت والذي بعده عن ف، مب. ويحمشوا: يحرضوا على القتال ويلهبوه. والولغ: مصدر ولغ الذئب في الماء: شرب منه.

(٤) البز: السلاح، درعاً وغيرها.

واحتج به في قول الله عز وجل: ﴿ذَنُوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾[1]. فسألته لمن هذا البيت، فقال: لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف، أحد بني عامر بن لؤي، رجل من قريش الظواهر؛ ولم يسمه ههنا.

وقال عبد الله بن جِذل الطعان واسمه بَلْعاء:

لأطلبـنْ بـربيعـة بـن مكـدم … حتـى أنـال عُصَيّـة بـن مَعِيـص

يقال إن عصية من بني سليم، وهو عُصية بن مَعِيص بن عامر بن لؤي

وتُقـاد كـل طِمـرةٍ ممحـوصـةٍ … ومقلَّص عَبْل الشَّوَى ممحوص[2]

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدم. وقال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت، يحض على قتلته.

ولأصـرِفـنّ سِـوى حـذيفـة مِـدْحتي … لفتـى الشتـاء وفـارس الأجـراف[3]

مـأوى الضَّـريـك إذا الـريـاح تنـاوَحـتْ … ضخـم الـدَّسيعـة مُخلِـفٍ مِتـلاف[4]

/ مـن لا يـزال يَكُـبّ كـل ثقيلـة … كَـوْمـاء غيـر مُسـائـل منـزاف[5] [١٦/٦٠]

رَحْـب المَبـاءة والجنـاب مـوطَّـأ … مـأوًى لكـل مُعتَّـق بسَـواف[6]

فسقـى الغـوادي قبـرك ابـن مكـدم … مـن صَـوْب كـل مُجلجِـل وَكّـاف[7]

أبلـغ بنـي بكـر وخُـصّ فـوارسـا … لحِقـوا المـلامـة دون كـل لحـاف

أسلمتُـمُ جِـذل الطعـان أخـاكُـمُ … بيـن الكـديـد وقُلّـة الأعـراف[8]

الأعراف: رمل، قال الأثرم: الأعراف كل ما ارتفع، ومنه قول الله تعالى: ﴿ونادَى أصحابُ الأعْرَافِ﴾.

حتـى هـوى مُتـزايِـلا أوصـالـه … لِلَّحْـد بيـن جنـادل وقِفـاف[9]

---

(١) سورة الذاريات آية: ٥٩.

(٢) الطمرة: الفرس الطويلة القوائم الخفيفة المستعدة للعدو. والممحوصة: القليلة لحم القوائم، التي خلصت من الرهل. والمقلص: الحصان الطويل القوائم المنضم البطن. وعبل الشوى: ضخم الأطراف.

(٣) لفتى الشتاء: الذي يطعم في الشتاء وقت الجدب. وفي «ديوان قيس بن الخطيم»: لفتى العشي. وفي الأصول: لفتى اليسار. والأجراف: موضع («التاج»). وذكر البكري في «التنبيه» (ص ٦٧) أن اللغويين يروون البيت على أن «سوى» هنا بمعنى «قصد»، ثم قال إن الشاعر إنما قال: «إلى حذيفة» أما «سوى» فموضوع.

(٤) الضريك: المحتاج. وتناوحت الريح: هبت من جهات مختلفة متقابلة، وذلك في السنة، وقلة الأندية، ويبس الهواء، وشدة البرد. والدسيعة: مائدة الرجل إذا كانت كريمة، أو الجفنة.

(٥) الثقيلة: يريد الناقة الضخمة السمينة. والكوماء: العظيمة السنام. وغير مسائل: أي لا يسأل أحداً عوناً على الكرم كما يفعل أصحاب الميسر. والشطر الثاني في «ديوان قيس بن الخطيم»: «وزماء غير محاول الإنزاف».

(٦) المباءة: المنزل. والمعتق من الإبل: المسن. والسواف: مرض يصيب الإبل. يريد أنه لم يبق غير مسان الإبل التي أصابها المرض، أما شبابها فإنه ينحرها للضيفان. وفي ف: معتق مسواف. وفي مب: مدفع مسواف. وفي «ديوان قيس»: معصب مسواف.

(٧) قبرك: كذا في ف. وفي الأصول: رمسك. والمجلجل: المطر ذو الرعد. والوكاف: المنهمر.

(٨) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة.

(٩) متزايلاً: كذا في ف، مب. وفي الأصول: متداثلاً: أي مسرعاً. والقفاف: جمع قف، وهو الأرض الغليظة.

لله در بنـــي علـــيّ إنْ هُـــمُ ... لـم يثـأروا عـوفـا وحـيَّ خِفـاف[1]

قال الأثرم: وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه، فقال:

* تذكَّر ليلى حُسنَها وصفاءَها *

[١٦/٦١] / وقال ابن جِذل الطعان في ذلك أيضاً:

ألا لله در بنـــي فِـــراس ... لقـد أورثتُـمُ حـزنـاً وجيعـا

غـداة ثـوى ربيعـة فـي مَكَـرّ ... تمـج عـروقـه عَلَقـاً نَجيعـا[2]

فلـن أنسـى ربيعـة إذ تَعـالَـى ... بكـاء الظُّعْـن تـدعـو يـا ربيعـا

وقال كعب بن زهير، وأمه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة، يرثي ربيعة بن مكدم، ويحض على بني سُليم، ويعير بني كنانة[3] بالدماء التي أدّوها إلى بني سليم، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بِدَرَك قتل فيهم ولا دية:

١٣٣/١٤ / بـان الشبـابُ وكـل إلـفٍ بـائـن ... ظعـنَ الشبـاب مـع الخليـط الظـاعـنِ

قـالـت أُميمـة مـا لجسمـك شـاحبـا ... وأراك ذا بَـثٍّ ولسـتَ بـدائـن

غُضّـي مـلامـك إن بـي مـن لـومكـم ... داءً أظـن مُمـاطِلـي أو فـاتِنـي

أبلـغ كنـانـة غثَّهـا وسمينهـا ... البـاذليـن رِبـاعهـا بـالقـاطـن[4]

أن المـذلـة أن تُطَـلَّ دمـاؤكـم ... ودمـاء عـوفٍ ضـامـن فـي العـاهـن[5]

أمـوالكـم عـوض لهـم بـدمـائهـم ... ودمـاؤكـم كَلَـف لهـم بظعـائـن[6]

طلبـوا فـأدرك وتـرَهـم مـولاهُـم ... وأبـت محـاملكـم إبـاء الحـارن[7]

[١٦/٦٢] / شُدوا المـآزر فـاثـأروا بـأخيكُـمُ ... إن الحفـائـظ نِعْـم ربـح الثـامِـن[8]

كيـف الحيـاة ربيعـةَ بـن مكـدم ... يُغـدَى عليـك بِمِـزْهَـر أو قـائِـن[9]

---

(١) بنو عليّ: قبيلة من كنانة، وهم بنو عبد مناة، وليسوا من كنانة قريش. وإن هم: كذا في ف، مب. وفي الأصول: إنهم.

(٢) البيت عن ف، مب. والعلق: الدم. والنجيع: الدم، أو الدم المصبوب، أو دم الجوف.

(٣) العبارة عن ف، مب.

(٤) الباذلين: كذا في الأصول. ولعله يريد التاركين لأعدائهم ديارهم بمن فيها من القطان. وفي ف، مب: النازلين.

(٥) ضامن: مضمون. والعاهن: الثابت.

(٦) ف: عوض... كلف لكم. وفي الأصول: غرض... كلف لهم. يريد: إذا قتلتموهم دفعتم أموالكم في دياتهم، وإذا سبيتم ظعائنهم لم يكفوا عن حربكم وقتلكم.

(٧) محاملكم: كذا في الأصول. وفي ف، مب: محاصلكم. وفي «ديوان كعب بن زهير» (٢٢٩ طبعة دار الكتب): سعاتكم.

(٨) كذا روي البيت في ف، مب. وفي الأصول: واثأروا... ربح الثامن. وفي «ديوان كعب»:

شـدوا المـآزر فـانعشـوا أمـوالكـم ... إن المكـــارم ... ...

(٩) المزهر: العود. والقائن: صاحب القيان ومدربهن. وفي ف، مب: وأقائن. وفي الأصول: أو كائن، وفي «الديوان»:

كيـف الأسـى وربيعـة بـن مكـدم ... يـودي عليـك بقتيـة وأفـاتـن

وهـو التَّـريكـة بـالعـراء وحـارثٌ ... فَقَـعُ القَـراقـر بـالمكـان الـواتـن[1]

كـم غـادروا لـك مـن أرامـلَ عُيَّـل ... جَـزَر الضِّبـاع ومـن ضَـريـك واكـنِ[2]

وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة:

مـا بـال عينـك منهـا الـدمـع مهـراقُ ... سَحًّـا ولا عـازب لالا ولا راقـي[3]

أبكِـي علـى هـالـك أودى وأورثنـي ... بعـد التفـرق حـزنـاً بعـده بـاقـي

لـو كـانَ يَـرجِـع ميتـاً وجـدُ ذي رحِـم ... أبقـى[4] أخـي سـالمـاً وجـدي وإشفـاقـي

/ أو كـان يُفـدَى لكـان الأهـل كلُّهـمُ ... ومـا أُثمِّـر مـن مـال لـه واقـي [٦٣/١٦]

لكـنْ سهـام المنـايـا مـن نصَبْـن لـه ... لـم ينجـه طِـب ذي طِـب ولا راقـي[5]

فـاذهـب فـلا يُبعِـدنْـك الله مـن رجـل ... لاقـى الـذي كـلُّ حـي مثلـه لاقـي

فسـوف أبكيـك مـا نـاحـت مطـوقـة ... ومـا سـريـتُ مـع السـاري علـى سـاقـي

أبكَـى لـذكـرتـه عَبْـرى مفجَّعـة ... مـا إن يجـف لهـا مـن ذكـره مـاقِـي

وقال عبد الله يرثيه:

خَلَّـى علـيَّ ربيعـة بـن مكـدم ... حـزنـاً يكـاد لـه الفـؤاد يـزولُ

فـإذا ذَكـرتُ ربيعـةَ بـن مكـدم ... ظلـت لـذكـراه الـدمـوع تسيـل

نِعْـم الفتـى حيـا وفـارسُ بُهمـة ... يَـرْدِي بشِكتـه أقـبُّ ذءُول[6]

سقـت الغـوادي بـالكُـديِّـد رِمّـة[7] ... والنـاس إمـا هـالـك وقتيـل

فـإذا لقيـتَ ربيعـة بـن مكـدم ... فعلـى ربيعـة مـن نـداه قبـول

كيـف العـزاء ولا تـزال خـريـدة ... تبكـي ربيعـة غـادة عُطبـول[8]

---

(١) التريكة: يعني ربيعة بن مكدم، والتريكة: البيضة يتركها النعام حين تنقف، ويدفنها تحت التراب. أراد أن ربيعة تريكة بالقاع مدفون، كما تركت هذه البيضة. وفي «الديوان»: «وهو التريكة بالمكر». وفي مب: رهن العريكة. وفي ف: «رهن الفريكة بالعراق». وفي الأصول: «ومن العريكة بالعراق». والعراق: تحريف عن العراء. وحارث: هو أخو ربيعة. وفقع القراقر: مثل يضرب للذليل. وأصل الفقع أردأ الكمأة، تطؤه الدواب بحوافرها. والواتن: الثابت المقيم.

(٢) جزر الضباع: طعاماً للضباع. والضريك: الفقير السيء الحال. والواكن: الجالس عجزاً. ورواية «الديوان»:

كـم غـادروا مـن ذي أرامـل عـائـل ... جـزر السبـاع ومـن ضـريـك حـاجـن

والحاجن: المقيم بالداء.

(٣) راقي: مخفف عن راقيء، وهو الساكن. وفي «ذيل الأمالي» (١٢): «فلا عازب عنها ولا راقي».

(٤) كذا في ف، مب و «ذيل الأمالي». وفي الأصول: «أديم لي سالماً».

(٥) نصبن: كذا في ف، مب، و «ذيل الأمالي». وفي الأصول: تصير. وفي الأصول أيضاً: «لم يغنه».

(٦) البهمة: الشجاع الذي لا يدري قرنه من أين يأتيه. والشكة: الدرع. والأقب: الضامر البطن من الخيل. والذءول: من الذألان، وهو مشي سريع خفيف.

(٧) كذا روى الشطر الأول في ف. وفي مب: سقت الكديد ومن به رجبية. وفي الأصول: (سبقت به أم الكديد رمية). تحريف.

(٨) العطبول: الجارية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

يـأبـى لـيَ الله المـذلـة إنمـا يعطَـى المـذلـة عـاجـز تنبيـل[1]

وقال عبد الله أيضاً يرثيه:

نـادى الظعـائنُ يـا ربيعةُ بعد مـا لـم يبـق غيـرُ حُشاشـة وفُـواق[2]

[٦٤/١٦] / فـأجـابهـا والـرمـح فـي حيـزومـه أنَقَـا بطعـن كـالشَّعيـب دُفـاق[3]

١٣٤/١٤ / يـا رَيْـطَ إن ربيعـة بـن مكـدم وربيـع قـومـك آذنـا بفـراق[4]

ولئـن هلكـت لـرُبَّ فـارِس بُهْمـة فـرجـتُ كُـرْبتـه وضيـق خِنـاق

وقال أيضاً يتوعد بني سليم:

ولسـت لحـاضـرِ إن لـم أُزِركـم كتـائـب مـن كنـانـة كـالصـريـم[5]

علـى قُـبِّ الأيـاطـل مضمَـرات أضـرَّ بنيِّهـا علـكُ الشكيـم[6]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثني الطلحي، قال: أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحي ومحمد بن الحسن بن زُبالة في مجلس واحد، قالا: مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني[7]، بثنية كعب، ويقال: بثنية غزال، فقلصت به راحلته، فقال[7]:

نفـرت قلـوصـي مـن حجـارة حَـرَّة بنيـت علـى طلـق اليـديـن وهـوب

لا تنفـري يـا نـاقَ منـه فـإنـه شِـرِّيـب خمـر مِسْعـر لحـروب

لـولا السِّفـار وبعـد خَـرق مهمـه لتـركتهـا تحبـو علـى العـرقـوب

فبلغ شعره بني كنانة، فقالوا: والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق.

[٦٥/١٦] / **يقتل فارسين من أصحاب دريد بن الصمة فيهب له رمحه**

أخبرني محمد بن الحسين بن دريد، قال: حدّثنا السجستانيّ، قال: حدّثنا أبو عبيدة، قال:

خرج دُريد بن الصِّمة في فوارس من بني جُشَم، حتى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على بني كنانة، رُفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه. فانتهى إليه الرجل، فصاح به، وألح عليه. فلما أبى ألقى الزمام وقال للظعينة:

---

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: يأبى لك. والتنبيل: كذا في الأصول، وليس في «المعاجم» فعليل من تنبل. والمراد: القصير العاجز.

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: دعت الظعينة. والفواق: ريح يخرج من المعدة إلى الفم.

(٣) مب: علقا. في موضع: أنفا.

(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول: دنا بفراق.

(٥) الحاضر: الحي المقيمون في أرضهم صيفاً وشتاءً. يريد: لست منسوباً إلى حي قوي. وفي مب: «الحاصن»، وهي المرأة العفيفة الشريفة. وفي الأصول: «ولست لصاحبي إن لم تجئكم». والصريم: الليل، يريد أنها لكثرتها يكون منظرها أسود كالليل.

(٦) الأياطل: جمع أيطل، وهو الخاصرة. الأياطل: كذا في ف. وفي الأصول: البطون. والنيّ: الشحم. وأضربه: أزاله.

(٧ ـ ٧) العبارة عن ف، مب.

سِيري على رِسْلِك سير الآمِن ... سير رَداحٍ ذات جأش ساكن

إن انثنائي دون قِرني شائني ... وابلِيْ بلائي واخبُري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فأعطاه الظعينة. فبعث دريد فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعاً. فصاح به، فتصامم عنه، فظنّ أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول:

خلِّ سبيل الحُرة المنيعة ... إنك لاقٍ دونها ربيعة

في كفه خَطِّيةٌ مطيعة[1] ... أو لا، فخذها طعنةً سريعه

* فالطعن مني في الوغى شريعه *

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجرر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الظعينة. فقال لها ربيعة: أقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريد من شَتيم عابِس[2] ... ألم تر الفارس بعد الفارِس

* أرداهما عامل رمح يابِس؟ *

/ ثم طعنه فصرعه، وانكسر رمحه. فارتاب دريد، وظنّ أنهم قد أخذوا الظعينة، وقتلوا الرجل. فلحق بهم، فوجد [٦٦/١٦] ربيعة لا رمح معه وقددنا من الحيّ، ووجد القوم قد قتِلوا. / فقال دريد: أيها الفارس، إن مثلك لا يُقتل، وإن الخيل ١٣٥/١٤ ثائرة بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً، وأراك حديث السنّ، فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي، فمثبِّط عنك. فأتى دريد أصحابه، وقال: إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فوارسكم، وانتزع رمحي، ولا طمع لكم فيه. فانصرف القوم. وقال دريد في ذلك:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله ... حامي الظعينة فارساً لم يُقتلِ

أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْزة ... ثم استمرّ كأنه لم يفعل[3]

متهلِّلاً تبدو أسِرّةُ وجهه ... مثلَ الحسام جلته كفُ الصيقل[4]

يُزجِي ظعينته ويسحب رمحه ... متوجهاً بيُمْناه نحو المنزل[5]

وترى الفوارسَ من مخافة رمحه ... مثل البَغاث خَشِين وقع الأجدل[6]

يا ليت شعري من أبوه وأمه ... يا صاح من يك مثلَه لم يُجهل!

فقال ربيعة:

---

(١) في الأصول عدا ف، مب: منيعة.

(٢) شتيم: كريه الوجه.

(٣) نهزة: فرصة لمن يريدهم بشر.

(٤) في الأصول عدا ف، مب: أيدي الصيقل.

(٥) في «سمط اللآلىء» (ص ٩١٢): يسحب ذيله. وبمناه: كذا في ف، وفي الأصول: يمناه، من اليمن، يقال: توجه فلان يمينه ويمناه: أي توجه ظافراً ميموناً، وضدّه: توجه فلان شماله: أي على أمر مشئوم.

(٦) البغاث (مثلث الباء): الطيور الضعيفة. والأجدل: الصقر.

إن كـان ينفعـك اليقيـنُ فسـائلي عنـي الظعينـة يـوم وادي الأخـرمِ
عـل هِـي لأول مـن أتـاهـا نُهـزة لـولا طعـان ربيعـة بـن مكـدم
[٦٧/١٦] / إذ قـال لـي أدنـى الفـوارس ميتـة خَـلِّ الظعينـة طـائعـاً لا تنـدم
فصـرفـتُ راحلـة الظعينـة نحـوه عمـداً ليعلـم بعـض مـا لـم يعلـم
وهتكـت بـالـرمـح الطـويـل إهـابـه فهـوى صـريعـاً لليـديـن وللفـم
ومنحـت آخـر بعـده جيـاشـة نجـلاء فـاغـرة كشِـدق الأضجـم[1]
ولقـد شفعتهمـا بـآخـر ثـالـث وأبـى الفـرارَ لـيَ الغـداة تكـرمـي

قال:

فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد، فقتلوا وأسروا وغنموا، وأسروا دريد بن الصمة، فأخفى نسبه. فبينا هو عندهم محبوس، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه. فصرخت أمرأة منهنّ، فقالت: هلكتم وأهلكتم، ماذا جرّ علينا قومنا؟ هذا والله ألذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة. ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا آل فِراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي. فسألوه من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة، فمن[2] صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم، قال:[2] فما فعل؟ قالوا: قتله بنو سليم، قال: فمن الظعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة: رَيطة بنت جِذل الطعان، وأنا هي، وأنا أمرأته. فحبسه القوم، وآمَروا أنفسهم، وقالوا: لا ينبغي أن تُكْفر نعمة دريد على صاحبنا. وقال بعضهم: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المُخارق الذي أسره. وانبعثت المرأة في الليل، فقالت:

[٦٨/١٦] / سنجـزي دريـداً عـن ربيعـة نعمـة وكـل فتـى يُجـزَى بمـا كـان قَـدَّمـا
فـإن كـان خيـراً كـان خيـراً جـزاؤه وإن كـان شـراً كـان شـراً مـذمّـمـا
سنجـزيـه نُعمـى لـم تكـن بصغيـرة بـإعطـائـه الـرمـح السـديـد المقـوّمـا
فقـد أدركـتْ كفـاه فينـا جـزاءه وأهـلٌ بـأن يجـزَى الـذي كـان أنعمـا
١٣٦/١٤ / فـلا تكفـروه حـق نُعمـاه فيكُـمُ ولا تـركبـوا تلـك التـي تمـلأ الفمـا
فلـو كـان حيـاً لـم يضـق بثـوابـه ذراعـاً، غنيـاً كـان أو كـان معـدِمـا
ففُكّـوا دريـداً مـن إسـار مُخـارق ولا تجعلـوا البـؤسَـى إلـى الشـر سلمـا

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم، فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه. ولم يزل كافاً عن غزو بني فِراس حتى هلك.

---

(١) منحت: كذا في ف، ق، مب. وفي أ: نسخت. وفي س: نفضحت، وكلاهما تحريف. وجياشة: طعنة تجيش بالدم. والأضجم: صفة من الضجَم، وهو عوج في الفم، وميل في الشدق. وفي ف: الأسحم، ومعناه: الأسود، يريد زق الخمر.
(٢ ـ ٢) العبارة عن ف، مب.

أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدّثني محمد بن يعقوب بن أبي مَريم العَدويّ[١] البصري، قال: حدّثني محمد بن عمر الأزدي، قال: حدّثني أبو البلاد[٢] الغطفاني وقبيصة بن ميمون[٣] الصادري، قالا:

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن مَعْدِ يكرِب الزُّبيدي: من أشجع من رأيت؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أحْيل[٤] الناس، وعن أشجع الناس، وعن أجبن الناس. فقال له عمر: هات. فقال: أربَعت المدينة، فخرجتُ كأحسن ما رأيت، وكانت لي فرس شَمَقْمقة[٥] طويلة سريعة الإبقاء[٦]، تَمطّق[٧] بالعرق تمطق الشيخ / بالمرق، فركبتها، ثم آليت لا ألقي أحداً إلا قتلته. فخرجت وعليّ مُقْدّى[٨]، فإذا أنا بفتى بين غرضين[٩]، [٦٩/١٦] فقلت له: خذ حذرك، فإني قاتلك. فقال: والله ما أنصفتني يا أبا ثور، أنا كما ترى أعزل أمْيَل[١٠] عُوّارةَ - والعوارة: الذي لا تُرس معه - فأنْظِرتي حتى آخذ نبلي. فقلت: وما غنَاؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروّعني حتى آخذها. فأثلجته، فقال: وإله قريش لا آخذها أبداً. فسلم والله مني وذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

ثم مضيت حتى اشتمل عليّ الليل، فوالله إني لأسير في قمر زاهر[١١]، كالنور الظاهر[١٢]، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة، وهو يقول:

يـــا لُـــدَيْنـــا يـــا لُـــدَيْنـــا ليتنـــا يُعـــدَى علينـــا

ثم يُبْلَى مالدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته، فيرمي بها في السماء، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمِشْقص[١٣] من نبله. فصحت به: خذ حذرك ثكلتك أمك، فإني قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض. فقلت: إنْ هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، وصحت به: ويلك: ما أجهلك! فما تحلحلَ ولا زال عن موضعه، فشككت الرمح في إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت وتركته؛ فهذا أجبن الناس.

---

(١) الأصول عدا ف، مب: العذري.

(٢) في الأصول عدا ف، مب: أبو العلاء.

(٣) في الأصول عدا ف، مب: منهور.

(٤) أحيل: كذا بالياء من الحيل بمعنى الحيلة، أي الحذق (انظر «تاج العروس»).

(٥) الشمقمقة: الطويلة.

(٦) يريد بشريعة الإبقاء، أنها تسرع استئناف الجري بعد التعب.

(٧) التمطق: إلصاق اللسان بالغار الأعلى، فيسمع له صوت عند استطابة الشيء، يريد أن العرق يسيل من وجهها إلى فمها، فتتمطق، لالفها الجري ومزاولة الأسفار.

(٨) المقد: حديدة يقد بها الجلد، يريد بها سيفه.

(٩) الغرض: شعبة في الوادي غير كاملة.

(١٠) أعزل: لا سلاح معه. وأميل: لا يستقر على الخيل.

(١١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: باهر.

(١٢) ف: الناظر.

(١٣) المشقص: نصل طويل غير عريض.

[١٦/٧٠] ثم مضيت فأصبحت بين دكادك[١] هَرْشَى[٢] إلى غزال[٣]، فنظرت إلى أبيات، / فعدلت إليها، فإذا فيها جَوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا. فبكين حين رأينني، فقلت: ما يبكيكن؟ فقلن: لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت هي أجمل منا. فأشرفت من فدفد، فإذا بمن لم أر شيئاً قط أحسن من وجهه، وإذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها. فلما نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً، ثم ركض، فسبقني إلى البيوت، فوجدهن قد ارتعن، فسمعته يقول لهن:

مهـلا نُسَيّـاتـي إذن لا تـرتعْـنْ ... إن يُمنـع اليـوم نسـاء تُمنعْـنْ

* أرخِين أذيالَ المروط وارتَعنْ[٤] *

فلما دنوت منه، قال: أتطردني أم اطردك؟ قلت: أطردك. فركض وركضت في أثره، حتى إذا مكنت السنان[٥] في لفتته ـ واللفتة أسفل من الكتف ـ اتكأت عليه، فإذا هو والله مع /لَبَب[٦] فرسه، ثم استوى في سرجه. فقلت: أَقِلْني. قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان في ماضِغيه اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسنان ماض زالج. واستوى على فرسه، فقلت: أقلني. قال: اطرد. فطردته، حتى إذا مكنت السنان في متنه، اتكأت عليه وأنا أظن أني قد فرغت منه، فمال في ظهر فرسه[٧] حتى نظرت إلى يديه[٨] في الأرض، ومضى السنان زالجاً. ثم استوى وقال: أبعد ثلاث؟ تريد ماذا؟ أطردني ثكلتك أمك. فوليت وأنا مرعوب منه. فلما غشيني ووجدت حسن [١٦/٧١] السنان، التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، / فكف عني واستنزلني، فنزلت ونزل، فجز ناصيتي، وقال: انطلق، فإني أنفَس بك عن القتل. فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت؛ فذاك أشجع من رأيت. وسألت عن الفتى، فقيل: ربيعة بن مكدم الفراسي، من بني كنانة.

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف للأول. قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني محمد بن موسى الهذلي، قال: حدّثني سُكين بن محمد، قال:

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أبا ثور، من أين أقبلت؟ قال: من عند سيد بني مخزوم، أعظمها هامة، وأمدّها قامة، وأقلها ملامة، وأفضلها حلماً، وأقدمها سلماً، وأجرئها مُقدَما. قال: ومن هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله[٩]، قال: وأيّ شيء صنعت عنده؟ قال: أتيته زائراً، فدعا لي بكعب وقوس وثور[١٠]. فقال عُمر: وأبيك إن في هذا لشبعا. قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك. قال

(١) الدكادك: جمع دكدك، وهو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض بالأرض، ولم يرتفع كثيراً.

(٢) هرشى: هضبة ململمة لا تنبت شيئاً، على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة.

(٣) غزال: واد بين هرشى والجحفة.

(٤) («اللسان»: حلق): رخين أذيال الحقى. وفي «شرح التبريزي للحماسة» (٤: ١٥٩): أسبلن أذيال الحقى واربَعْنْ. والحقى: جمع حقو، وهو الإزار. وزاد «اللسان» بيتاً رابعاً هو: «مشي حميات كأن لم يفزعن». وترتيب الأبيات مختلف فيه عنه في «الأغاني».

(٥) من هنا يتصل الكلام في م بعد انقطاعه بمقدار اثنتي عشرة صفحة من صفحات س.

(٦) لبب الفرس: نحره.

(٧) في الأصول عدا ف: فمال في سرجه.

(٨) في الأصول عدا ف: بدنه.

(٩) يريد خالد بن الوليد.

(١٠) الكعب: الصبة من السمن. والقوس: ما يبقى في أصل الجلة من التمر. والثور: الكتلة من الأقط («لسان العرب»: كعب).

له: فوالله إني لآكل الجَذَعة، وأشرب التِّبْن من اللبن رَثيئة و[١] صِرْفا، فلِمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: أي أحياء قومك خير؟ قال: مَذحِج، وكل قد كان فيه خير، شِداد فوارسها، فوارس أبطالها، أهل الربا والرباح[٢]. قال عمر: وأين سعد العَشِيرة؟ قال: هم أشدنا شَريساً، / وأكثرنا خميسا[٣]، وأكرمنا رئيسا، وهم الأوفياء البَرَرة، [٧٢/١٦] المساعير[٤] الفَجَرة. قال عمر: يا أبا ثور، ألك علم بالسلاح؟ قال: على الخبير سقطت، سل عما بدا لك. قال: أخبرني عن النَّبْل. قال: منايا تخطىء وتصيب. قال: فأخبرني عن الرمح قال: أخوك وربما خانك. قال: فأخبرني عن التُّرس. قال: ذاك مِجَنٌّ وعليه تدور الدوائر. قال: أخبرني عن الدرع. قال: مَشْغَلة للفارس، مَتْعبة للراجل. قال: أخبرني عن السيف. قال: عنه قارعتُك[٥] لأمك الهَبَل، قال: لا، بل لأمك. قال عمرو: بل لأمك، فرفع عمر الدِّرَّة، فضرب بها عَمراً، وكان عمرو محتبياً، فانحلت حُبوته، فاستوى قائماً، وأنشأ يقول:

أتضربني كأنك ذو رُعَين ... بخير معيشة أو ذو نواس[٦]

فكم مُلْك قديم قد رأينا ... وعز ظاهر الجبروت قاسي[٧]

فأضحى أهله بادوا وأضحى ... ينقَّل من أناس في أناس[٨]

/ قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك لما جلست. فجلس. فقال له عمر: هل [٧٣/١٦] كَعَعْتَ[٩] من فارس قط ممن لقيت؟ قال:

اعلم يا أمير المؤمنين، أني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف أستحله في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي، خيل بني زُبيد، أغيروا بنا على بني البَكّاء. فقالوا: بعيد علينا المُغار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على / قوم سَرَاة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سَرَاة. قال: رأيت مَزاود خيلهم كثيرة، وقدوراً مثفّاة[١٠]، ١٣٨/١٤ وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلي حَجْرة[١١]، وجلست في موضع أتسمع كلامهم، فإذا بجارية منهم

---

(١) الجذعة من الغنم: ما تكون سنها بين ستة أشهر وسنة. والتبن: القدح الكبير. والرثيئة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض، فيروب من ساعته. والصريف: اللبن الذي ينصرف عن الضرع حاراً وقت حلبه.

(٢) الربا والرباح: النماء والكثرة. ولعله يريد أنهم ذوو عدد وفير، أو ذوو مال كثير، أو أنهم يجزلون العطاء لمن يصنع إليهم خيراً.

(٣) الشريس: الشراسة، وهي عسر الخلق والشدة. والخميس: الجيش. وفي «اللسان»: هم أعظمنا خميساً، وأشدنا شريساً.

(٤) المساعير: جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العين)، ومسعر الحرب: موقدها ومهيجها، وهو من صيغ المبالغة.

(٥) المقارعة: أصلها المضاربة بالسيوف في الحرب، ولعل المقصود بها هنا: المصاولة باللسان. وظاهر العبارة أن عمراً يرى أن السيف هو أعظم السلاح، بدليل قوله فيما نقله الإبشيهي في «المستطرف» في وصف السيف (١: ٢٢) «هو العدة عند الشدة». وانظر «سرح العيون، في شرح رسالة ابن زيدون» (ص ٣١٢).

(٦) في «مروج الذهب» للمسعودي (١: ٢١٧ دار الرجاء): أتوعدني... بأنعم عيشة.

(٧) في «مروج الذهب»:

فكم قد كان قبلك من مليك ... عظيم ظاهر ... ...

(٨) الشطر الأول في «مروج الذهب»: «فأصبح أهله بادوا وأمسى». وزاد بعده البيت:

فلا يغررك ملكك كل ملك ... يصير مذلة بعد الشماس

(٩) كععت: ضعفت وجبنت.

(١٠) مثفاة: منصوبة على الأثافي، استعداداً للطبخ.

(١١) حجرة: جانباً وناحية.

قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم[1] دعت وليدة من ولائدها، فقالت: ادعي فلاناً. فدعت لها برجل من الحي، فقالت له: إن نفسي تحدّثني أن خيلاً تغير على الحي، فكيف أنت إن زوجتك نفسي؟ فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وأقبلت على صواحباتها، فقالت: ما عنده خير، ادعى لي فلاناً. فدعت بآخر. فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا خير أيضاً. ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكَدَّم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسه، ولكني إذا لقيت أعذرت، وحسب المرء غَناء أن يُعذِر. فقالت له: قد زوّجتك نفسي، فاحضرُ غداً مجلس الحي، ليعلموا ذلك. فانصرف من عندها، وانتظرتُ حتى ذهب الليل، ولاح الفجر، فخرجتُ / من مَكمني، وركبت فرسي، وقلت لخيلي: أغيري، [١٦/٧٤] فأغارت، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكشفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن. فلما ملأتْ بصرها مني، أهوت إلي درعها فشقته وقالت: واثكلاه؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز[2]، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط، فتهلك ضيعة، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم. فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة. فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد، أهلبَ[3] أغلب، يخصف نعله، وإلى جنبه فرسه وسلاحه. فلما رآني رمى بنعله، ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه، ومضى ولم يحفل بي. فطفقت أشجره بالرمح خَفْقاً[4]، وأقول له: يا هذا استأسِر[5]. فمضى ما يحفل بي، حتى أشرف على الوادي. فلما رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً، وأنشأ يقول:

قد علمتْ إذ[6] منحتني فاها ... أني سأحوي اليوم من حَواها

بل ليت[7] شعري اليوم من دهاها

فأجبته:

عمرو على طول الوجىَ[8] دهاها ... بالخيل يحميها على وجاها[9]

حتى إذا حل بها احتواها[10]

[١٦/٧٥] / فحمل عليّ وهو يقول:

---

(١) سقط من أ، م بقية أخبار ربيعة بن مكدم، وأول أخبار المغيرة بن شعبة.

(٢) القوز بالفتح: الرمل المستدير المرتفع.

(٣) الأهلب: الكثير شعر الرأس والجسد. وعبارة المسعودي في «مروج الذهب» (ج ١ ص ٢١٨): فإذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب. ولعله محرف عن أهلب أو أهدب بالدال، وهو الكثير شعر العينين.

(٤) شجره بالرمح: طعنه حتى اشتبك فيه. والخفق: الضرب بشيء عريض، ولعله يريد أنه يضربه بزج الرمح لا بسنانه، أو لعله الضرب الخفيف، من الخفقة، وهي النعسة الخفيفة.

(٥) استأسر: كن أسيرالي.

(٦) في «مروج الذهب»: أقول لما. وبعده: «وألبستني بكرة رداها».

(٧) كذا في ف، مب. وفي الأصول: يا ليت. وفي «مروج الذهب»: فليت.

(٨) الوجى: الحفا، وهو أن يرق القدم أو الحافر وينسحج من طول السفر. وفي «المروج»: الردى.

(٩) في «المروج»: «بالخيل تتبعها على هواها».

(١٠) في «المروج»: حواها.

أَهْـوِن بنضـر العيـش فـي دار نَـدَمْ أفيـض دمعـاً كلمـا فـاض انسجمْ

أنـا ابــن عبـد الله[1] محمــود الشيـم مــؤتَمــن الغيــب وفــيّ بــالــذمـم

أكـرم[2] مــن يمشــي بســاق وقــدم كــالليــث إن هــم بتَقْصــام قَصَــم

فحملت عليه وأنا أقول:

أنـا ابـن ذي التقليـد فـي الشهـر الأصمّ أنـا ابـن ذي الإكليـل قتـال البُهَـم[3]

مــن يلقَنــي يُــودِ كمــا أودت إرَم أتــركــه لحمــاً علــى ظهــر وَضَــمْ[4]

/ وحمل علي وهو يقول: ١٣٩/١٤

هــذا حِمــىً قــد غــاب عنــه ذائــده المــــوت وِرْد والأنــــام وارده

وحمل علي فضربني، فرُغْت وأخطأني، فوقع سيفه في قَرَبوس[5] السرج، فقطعه وما تحته، حتى هجم على مِسْح الفرس. ثم ثنَّى بضربة أخرى، فرُغْت وأخطأني، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس، وصرت راجلاً. / فقلت: ويحك! من أنت؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليّ إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم، [٧٦/١٦] للعُجْب والخيلاء؛ وعامر بن الطفيل للسن والتجربة؛ وربيعة بن مكدم للحداثة والغِرَّة، فمن أنت ويلك؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت؟ قلت: عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكدم. قلت: يا هذا، إني قد صرت راجلاً، فاختر مني إحدى ثلاث، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز، وإن شئت اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني. قال: الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة، وما بي أيضاً على قومي هوان. قلت: فذاك لك. وأخذت بيده، حتى أتيت أصحابي، وقد حازوا نَعَمه، فقلت: هل تعلمون أني كَعَعْت عن فارس قَطُّ من الأبطال إذا لقيته؟ قالوا: نعيذك من ذاك. قال: قلت: فانظروا هذا النعم الذي حُزتموه، فخذوه مني غداً في بني زُبيد، فإنه نَعَم هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حيّ. فقالوا لحاك الله فارس قوم! أشقيتنا[6] حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتّنا[7] عنها. قال: قلت إنه لا بد لكم من ذلك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم. فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم. فردوها وسالمتُه، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك.

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدم غناء، نَسَبْتُه، وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد، وهو:

---

(١) في «المروج»: أنا عبيد الله.

(٢) في «المروج»: وخير. وبعده: «عدوه يفديه من كل السقم».

(٣) التقليد: أن يجعل في عنق البدنة ونحوها شيئاً يعلم به أنه هدى. والشهر الأصم: رجب، لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح، لأنه من الأشهر الحرم. والإكليل: كذا في «المروج»، وهو التاج، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي من اليمن، وملوكهم يلبسون التيجان. وفي مب: أنا ابن عبد الله. وفي بقية الأصول: أنا ابن ذي الأكال.

(٤) الوضم: الخوان من الخشب أو نحوه يقطع عليه القصاب اللحم. ويقال: فلان لحم على وضم، مثل يضرب للذليل.

(٥) القربوس كحلزون: حنو السرج أي الجزء المرتفع من مقدمه ومن مؤخره. والمسح: ثوب غليظ من الشعر يجعل تحت السرج.

(٦) كذا في مب. وفي ف: أسقيتنا. وفي بقية الأصول: أنسأتنا.

(٧) فثأه: ثبط عزيمته وسكنه.

[١٦/٧٧]

صوت

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ ... أنا ابن عبد الله قتّال البُهَمْ

أكرم من يمشي بساق وقدم ... من يلقني يود كما أودت إرَم

أتركه لحماً على ظهر وَضَم ... كالليث إن همّ بتقصام قَصَم

* مؤتمنُ الغيب وفيٌّ بالذمم *

ذكر أحمد بن يحيى المكي: أن الغناء في هذا الشعر لحنين، خفيف ثقيل، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وذكر الهشاميّ أنه لابن سرجيس الملقب بقراريط.

حدّثتني قمرية العُمَرية جارية عمرو بن بانة، أنها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن، فقال لها: انظري أيّ صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن مخارق، فلما استوى لي قال لي مخارق: انظر أي صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكي، فلما غنيته الرشيد أطربه، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم.

أجود بيت في وصف الطعنة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الطُّرسوسيّ، عن ابن الأعرابيّ، قال:

أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدم، حيث يقول:

ولقد طعنتُ ربيعة بن مكدمٍ ... يوم الكديد فخرّ غير موسَّدِ

في ناقع شَرِقت بما في جوفه ... منه بأحمر كالعقيق المُجسَد

[١٦/٧٨]

صوت[١]

أدركتِ ما منيتُ نفسي خاليا ... لله درك يابنة النعمانِ!

إني لِحَلْفِك بالصليبِ مصدق ... والصُّلْب[٢] أصدق حَلْفةِ الرهبان

ولقد رددتِ على المغيرةِ ذهنه ... إن الملوك بطيئة الإذعان

يا هند حسبكِ قد صدقتِ فأمسِكي ... والصدق خير مقالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي، يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر، وقد خطبها فردّته. وخبره في ذلك وغيرِه يذكر ها هنا إن شاء الله. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ وإبراهيم.

---

(١) سقط هذا الصوت وأول ترجمة المغيرة من جميع النسخ عدا (ف، مب). وقد نشر في مجلة جمعية المستشرقين الألمانيين في المجلد الخمسين سنة ١٨٩٦ صفحة ١٤٥. ونثبت الساقط عن هذه الأصول الثلاثة.

(٢) الصلب، بضم الصاد واللام: جمع صليب، وسكنت اللام للشعر.

تنبيه ـ أوردت (ف، مب) بعد أخبار ربيعة بن مكدم صوتاً من الغناء، من شعر عنترة، ثم أوردتا: «ذكر عنترة ونسبه وأخباره»، ثم ذكرتا «أخبار المغيرة ونسبه».

/ أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه [٧٩/١٦]

نسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيّ، وهو ثقيف. ويكنى أبا عبد الله. وكان يكنى أبا عيسى، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكناه أبا عبد الله. وأمّه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُوَيلِم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوِية بن بكر بن هوازن.

دهاؤه

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمَتها، وذوي الرأي منها، والحيل الثاقبة، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي، وكان يقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما.

مشاهده

وصحِب النبيّ ﷺ، وشهد معه الحديبية وما بعدها. وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النُّجير[١]. وشهِد فتح اليمامة وفتوح الشام. وكان أعور، أصيبت عينه في يوم اليرموك، وشهِد القادسية مع سعد بن أبي وقّاص. فلما أراد مراسلة رستم، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب.

ولايته وحروبه

وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عِدّة ولايات، إحداها البصرة. ففتح وهو واليها مَيسان ودست ميسان وأبَرقُباذ. وقاتل الفرس بالمِرغاب فهزمهم، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز، فقاتلهم وهزمهم، وفتحها[٢]. وانحازوا إلى نهر تِيرَى ومَناذِر الكبرى، فزحف إليهم، فقاتلهم وهزمهم وفتحها. وخرج / إلى المشرِق مع النعمان بن المُقرِّن، وكان المغيرة على[٣] مسيرته، وكان عمر قد عهد: إن هلك النعمان، فالأمير حذيفة، فإن هلك حذيفة، فالأمير المغيرة بن شعبة. [٨٠/١٦]

ولما فتحت نهاوند، سار المغيرة في جيش إلى هَمَذان ففتحها.

وولاه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة، فقتِل عمر وهو واليها. وولاه أيضاً إياها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فكان عليها إلى أن مات بها.

وهو أوّل من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة، ورتب الناس فيه. فأعطاهم على الديوان. ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه.

---

(١) النجير، بصيغة التصغير: حصن باليمن، تحصن فيه الأشعث بن قيس بن معد يكرب وأبضعة بن معد يكرب لما ارتدا، من المهاجر بن أبي أمية. (انظر رسم النجير في «معجم ما استعجم» للبكري).

(٢) كذا في مب. وفي ف: ونهض وفتحها.

(٣) المغيرة ساقطة من ف، مب.

إسلامه

قال محمد بن سعد كاتب الواقديّ: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني محمد بن سعيد الثقفيّ، وعبد الرحمن بن[1] عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفيّ وعبد الله بن عبد الرحمن[1] بن يعلى بن كعب، ومحمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة:

كنا قوماً من العرب متمسكين بديننا، ونحن سَدنة اللات، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم. فأجمع[2] نفر من بني مالك الوفود[2] على المقوقس، وأهدوا له هدايا. فأجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمي عروة بن مسعود، فنهاني، وقال لي: ليس معك من بني أبيك أحد. فأبيت إلا الخروج، وخرجت معهم، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطِل على البحر. فركب قارباً حتى حاذيت مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، وأمر من يسائلني ما أنا[3]؟ وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، [٨١/١٦] / وقدومنا عليه. فأمر بنا أن ننزِل في الكنيسة، وأجرى علينا ضِيافة. ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه، وأجلسه معه، ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلا رجلاً واحداً من الأحلاف. فعرّفه إياي، فكنت أهون القوم عليه. ووضعوا هداياهم بين يديه، فسرّ بها، وأمر بقبضها. وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصَّر بي، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له.

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم[4] وهم مسرورون، ولم يعرض عليّ أحد منهم مُواساة. وخرجوا، وحملوا معهم خمراً، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تَدَعني معهم. وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا[5] وما حَباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي، وازدرائه إياي. فأجمعت على قتلهم. فقلت: أنا أجد صُداعاً، فوضعوا شرابهم ودعوني. فقلت: رأسي يُصدَّع، ولكني أجلس وأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً، وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح. فلما دبّت الكأس فيهم، اشتهُوا الشراب، فجعلت أصَرِّف لهم وأُترِع الكأس، فيشربون ولا يدرون. فأهْمَدتهم[6] الكأس، حتى ناموا ما يعقلون. فوثبت إليهم، فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم.

فقدِمت على النبيّ ﷺ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه، وعلى ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام. فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة، وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عُرْوة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام. / فقال أبو بكر رضي الله عنه: [٨٢/١٦] أفمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك، فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليَخمُسها، ويرى فيها

(١ ـ ١) العبارة ساقطة من ف.

(٢ ـ ٢) ف: فاجتمع... للوفود.

(٣) ف: ممن أنا.

(٤) ف: لأهاليهم.

(٥) ف: أرادوا.

(٦) كذا في مب ومجلة المستشرقين الألمانية. وفي ف: فهمدتهم. ولعل الكلمة محرفة عن أخمدتهم، أو عن: فهدتهم. يقال: هدني الأمر وهدّ ركني: إذا بلغ منه وكسره.

رأيه، فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أما إسلامك فنقبله[1]، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً، ولا نَخْمُسها[1]، لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه. فأخذني ما قَرُب وما بعد، وقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة. قال: فإن الإسلام[2] / يَجُبُّ ما كان قبله. وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً. فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف، فتداعو للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمي عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِية.

١٤٠/١٤

قال المغيرة: وأقمت مع النبيّ ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية، في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، فكانت أوّل سَفْرة خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر، وألزم النبيّ ﷺ فيمن يلزم.

وبعثتْ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبيّ ﷺ، فأتاه يكلمه، وجعل يمس لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه، مقنَّع في الحديد. فقلت لعروة، وهو يمس لحية رسول الله ﷺ: اكفُفْ يدك قبل ألا تصل إليك. فقال عروة: يا محمد، من هذا؟ ما أفظَّه وأغلظه! فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال عروة: يا عدوّ الله، ما غَسَلْتُ عني سوءتك إلا بالأمس، يا غُدَر.

/ أول ما عرف من دهائه

[١٦/٨٣]

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدّثني أحمد[3] بن الهيثم الفِراسي، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: قال المغيرة بن شعبة:

أوّلُ ما عرفني به العرب من الحزم[4] والدهاء، أني كنت في ركب من قومي، في طريق لنا إلى الحيرة. فقالوا لي: قد اشتهينا الخمر، وما معنا إلا درهم زائف. فقلت: هاتوه وهَلُمُّوا زِقَّين. فقالوا: وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد؟ فقلت: أعطوني ما طلبت وخَلاكم ذم، ففعلوا وهم يهزءون بي. فصببت في أحد الزقين شيئاً من ماء، ثم جئت إلى خمار، فقلت له: كِلْ لي مِلء هذا الزق. فملأه. فأخرجت الدرهم الزائف، فأعطيته إياه، فقال لي: ما هذا؟ ويحك! أمجنون أنت؟ فقلت: مالك؟ قال: إن ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً، وهذا درهم زائف. فقلت: أنا رجل بدويّ، وظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صَلَحَ، وإلا فخذ شرابك. فاكتال مني ما كاله، وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته في الزق الآخر، وحملتهما على ظهري، وخرجت، وصببت في الزق الأوّل ماء.

ودخلت إلى خمار آخر، فقلت: إني أريد مِلء هذا الزق خمراً، فانظر إلى ما معي منه، فإن كان عندك مثله فأعطني. فنظر إليه، وإنما أردت ألا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه. فلما رآه قال: عندي أجود منه. قلت: هات. فأخرج لي شراباً، فاكتلته في الزق الذي فيه الماء. ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه.

(١ ـ ١) ف: فقبلته. . . ولا أخمسه.
(٢) إلى هنا ينتهي الساقط من بعض النسخ.
(٣) ج: محمد.
(٤) ج، ف، مب: بالحزم.

فقلت: خذ خمرك. فأخذ ما كان كاله لي، وهو يرى أني خلطته بالشراب الذي أريته إياه. وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل.

[١٦/٨٤] / ولم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحِيرة، حتى ملأت زقي الأوّل وبعض الآخر. ثم رجعت، إلى أصحابي، فوضعت الزقين بين أيديهم، ورددت دِرهمهم. فقالوا لي: ويحك! أيَّ شيء صنعت؟ فحدّثتهم، فجعلوا يعجبون. وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم.

هو أول من خضب بالسواد

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري، قال: حدّثنا داود بن خالد، عن العباس بن عبد الله بن معبد[١] بن العباس، قال:

أوّل من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة. خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر، فعجب الناس منه.

يغضب لأبي بكر الصديق

قال محمد: وأخبرني شهاب بن عباد، قال: حدّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي خازم، عن المغيرة بن شعبة، قال:

١٤١/١٤ كنت جالساً عند / أبي بكر، إذ عُرِض عليه فرس له، فقال له رجل من الأنصار: احملني عليها. فقال أبو بكر: لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غُرْلته[٢]، أحب إليّ من أن أحملك عليها. فقال له الأنصاري: أنا خير منك ومن أبيك. قال المغيرة: فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فقمت إليه، فأخذت برأسه، فركبته، وسقط على أنفه، فكأنما كان عَزَالِي[٣] مزادة. فتوعدني الأنصار أن يستقيدوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر. فقام فقال: أما بعد. فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أني مُقِيدهم من المغيرة. ووالله لأن أخرجهم من دارهم، أقرب إليهم من أن أقيدهم [مِن] وَزَعة الله[٤] الذين يَزَعون إليه.

[١٦/٨٥] / **يخطب هند بنت النعمان فترفض**

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلّبي، قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: حدّثنا حسان بن العلاء الرياحيّ، عن أبيه، عن الشعبي، قال:

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند[٥]، منتصِّرة عمياء، بنت تسعين سنة. فقالت له: من أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة. قالت: أنت عامل هذه المَدَرة؟ تعني الكوفة. قال: نعم. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً إليك نفسك. قالت: أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوّجناك، ولكنك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب، فتقول: تزوّجت بنت النعمان بن المنذر؛ وهذا والصليبِ أمر

(١) ف: سعيد.

(٢) يريد: ركبها في صغره، واعتادها قبل أن يختتن. والغرلة: القلفة.

(٣) يريد أن أنفه انفجر بالدم كأنه فم مزادة. وقد تحرفت هذه العبارة في الأصول، فجاءت في س: فكأنما عدلي مزادة. وفي ج: فكأنما عدلي مزادة. وفي أ، م: فكأنما عزل لي مزادة. وفي مب، ف: فكأنما كان عزلتي مزادة. وهذه أقربها إلى الصواب. والعزالي: جمع عزلاء وهو فم المزادة الأسفل ينصب منه الماء بكثرة.

(٤) من: ساقطة من الأصول. والوزعة: جمع وازع، وهو الذي يكف الناس عن الإقدام على الشر. وفي ف: وزعة الدين.

(٥) أ، م، س: يومئذ، في مكان بدير هند. وفي ف: بديرهم.

لا يكون أبداً، أَوَ ما يكفيك فخراً أن تكون في مُلْك النعمان وبلاده، تدبرهما كما تريد! وبكت.

فقال لها: أي العرب كان أحب إلى أبيك. قالت: ربيعة. قال: فأين كان يجعل قيساً؟ قالت: ما كان يستعتبهم من طاعة[1]. قال: فأين كان يجعل ثقيفاً؟ قالت: رُوَيداً لا تعجل. بينا أنا ذات يوم جالسة في خِدر لي، إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول: إن ثقيفاً منا، فأنشأ أبي يقول[2]:

/ إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ولم يناسب عامراً ومازنا [٨٦/١٦]

* إلا قريباً فانشر[3] المحاسنا *

فخرج المغيرة وهو يقول:

أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خاليا لله درك يا ابنة النعمانِ!

وذكر الأبيات التي مضت، وذكرتُ الغناء فيها.

يسمع هجاء من حسان فيجيزه

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرنا الحارث بن محمد، قال: قال أبو عبيدة: قال العلاء بن جرير العنبري:

بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف، إذ زفر زفرة، ثم أنشأ يقول:

وكأن حافرها بكل خميلةٍ صاعٌ يكيل به شحيح معدِمُ

عاري الأشاجِع من ثقيفٍ أصله عبد ويزعم أنه مِن يَقْدُم[4]

قال: والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث بهذه؟ قال: المغيرة بن شعبة، سمع ما قلت. فقال: واسوءتاه! وقَبِلها.

تزوّج أكثر من ثمانين امرأة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكي[5]، قال حدثنا محمد بن سلام الجمحيّ، قال:

أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي / سفيان بن حرب، وفيهن حفصة [١٤٢/١٤] بنت سعد بن أبي وقاص، وهي أم ابنة حمزة بن المغيرة، وعائشة بنت جرير بن عبد الله.

---

(١) كذا في ف. وفي بعض الأصول: كان يستعفيهم من طاعته. وفي مب: قالت بحيث كان يراهم من طاعته.

(٢) كذا في الأصول. وفي «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (٢: ٣٩٣) اختلاف عما هنا، قال: «قالت: أذكر وقد اختصم إليه رجلان منهم. أحدهما ينتهي إلى إياد، والآخر إلى هوازن، فقضى للإيادي، وقال:

إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ولم يناسب عامراً ومازنا

فقال المغيرة: أما نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ما شاء. ثم انصرف».

(٣) فانشر: كذا في ج، ف، مب. وفي أ، م: فانشدوا. وفي س: فانشروا.

(٤) يقدم كينصر: أبو قبيلة، وهو ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، يريد أن عبداً ينتسب إلى أعرق العرب نسباً.

(٥) ف: الثقفي. وفي سائر الأصول: إسماعيل بن عيسى.

[١٦/٨٧] / **يخاف العزل فيقدم العيد**

وقال أبو اليقظان:

صلى المغيرة بالناس سنة أربعين، في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فجعل يوم الأضحى يوم عرفة، أظنه خاف أن يُعزل، فسبق ذلك. فقال الراجز:

سِيري رُويداً وابتغي المغيرة كلفتُها الإدلاج بالظهيره

رجل مطلاق

قال: وكان المغيرة مِطلاقاً. فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكني رجل مِطلاق، فاعتدِدْن.

يصف النساء

وكان يقول: النساء أربع، والرجال أربعة: رجل مذكَّر وامرأة مؤنَّثة، فهو قَوّام عليها؛ ورجل مؤنَّث وامرأة مذَكَّرة، فهي قوامة عليه؛ ورجل مذكر وامرأة مذكرة، فهما كالوَعِلين ينتطحان؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة، فهما لا يأتيان بخير، ولا يفلحان.

تزوّج تسعاً وثمانين امرأة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعيّ قال: حدثنا أبو هلال عن مطير[١] الوراق، قال: قال المغيرة بن شعبة:

نكحت تسعاً وثمانين امرأة، أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حب؛ أُمسِكها لولدها، ولحسبها، ولكذا ولكذا.

يصف العربيات

قال أبو زيد: وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة، فقال: أنا أعلمكم بهن: تزوجت ثلاثاً وتسعين امرأة، منهن سبعون بكراً، فوجدت اليمانية كثوبك: أخذت بجانبه فاتبعك بقيته؛ ووجدت الرَّبَعية أَمَتك: أمرتها فأطاعتك؛ ووجدت المُضَرية قِرْناً ساوَرْته، فغلبته أو غلبك.

[١٦/٨٨] / **رأى امرأة له تخلل في الصباح فطلقها**

حدثنا ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم قال: رأى المغيرة امرأة له تَخَلَّل بعد صلاة الصبح، فطلقها. فقالت: علام طلقني[٢]؟ قيل: رآك تَخَلَّلين، فظن أنك أكلت. فقالت: أبعده الله! والله ما أتخلل إلا من السواك[٣].

---

(١) ف، مب: مطر.

(٢) كذا في س، ف، مب. وهو الصواب، بدليل أن الجواب بصيغة المبني للمجهول. وفي أ، ج، م: طلقتني.

(٣) ذكر هذا الخبر المسعودي في «مروج الذهب» (في أخبار الحجاج) ونسب الحادثة فيه إلى الحارث بن كلدة الثقفي مع الفارعة زوجته؛ قال: دخل عليها مرة سحراً، فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها؛ فقالت: لم بعثت إليّ بطلاقي؟ هل لشيء رابك مني؟ =

عمر يغير كنيته

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني موسى بن إسمعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم:

أن رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي عيسى، على أمير المؤمنين. فقال عمر: أيكم أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا. فقال له عمر: هل لعيسى من أب؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله، وأبي عبد الرحمن! فقال له رجل من القوم: أشهد أن النبي ﷺ كناه بها. فقال له عمر: إن النبي ﷺ قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنا لا أدري ما يُفْعل بي. فكناه أبا عبد الله.

أعرابي يصف عور الكوفة

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: حدثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، قال:

/ كان الجَمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة؛ وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس؛ [٨٩/١٦] وحُجْر بن عديّ، وكلهم كان أعور؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقِفين بالكوفة بالكُناسة، فطلع عليهم أعرابي. فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جواباً يُؤْثَر. قال: لا بد. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابي، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعورَ زانيا. فوجَم. ثم تجلد فقال: هل / تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعَرى قومه[1]. قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك. ١٤٣/١٤ قال: فهل تعرف جرير بن عبدا الله؟ قال: وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عُرفت عشيرته. قالوا له: قَبَحك الله، فإنك شر جليس، فهل تحب أن نُوقِر لك بعيرك هذا مالا وتموتَ أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلي إذن؟ فانصرفوا عنه وتركوه.

حوار له مع ابن لسان الحمرة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني أبو سعيد السكريّ، قال: حدثنا محمد بن أبي السريّ ـ واسم أبي السريّ سهل بن سلام الأزدي ـ قال: حدثني هشام بن محمد قال: أخبرنا عَوانة بن الحكم، قال:

خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعيّ، بعد غِبّ مطر، يسير بظهر الكوفة والحوف، فلقي ابن لسان[2] الحُمَّرة، أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة:

= قال: نعم، دخلت عليك في السحر وأنت تتخللين؛ فإن كنت بادرت الغداء، فأنت شرهة؛ وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة. فقالت: كل ذلك لم يكن، لكنني تخللت من شظايا السواك. وذكر ابن عبد ربه في كتابه «العقد»: أن الفارغة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبة، وأنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل. وانظر الخبر في «وفيات الأعيان» لابن خلكان، في ترجمة الحجاج.

(١) كذا جاءت هذه العبارة في ف، ج، مب. وفيها إشارة إلى أنه حائك ابن حائك. وفي بقية الأصول: لا يعدى قومه. تحريف.

(٢) الحمر: ضرب من العصافير. وابن لسان الحمرة: هو عبد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر بن كلاب التيمي. وقيل: هو ورقاء بن الأشعر، كان خطيباً بليغاً نسابة، ضرب به المثل، فقيل: «أنسب من ابن لسان الحمرة». (عن «مجمع الأمثال» للميداني، و «تاج العروس» للزبيدي).

[١٦/٩٠] من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من / السماوة. قال: فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضةٌ أريضة[١]. قال: وكيف كان المطر؟ قال: عَفَّى الأثر، وملأ الحُفَر. قال: مِمن أنت؟ قال: من بكر بن وائل. قال: فكيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم. قال: فما تقول في بني شيبان؟ قال: سادتنا وسادة غيرنا. قال: فما تقول في بني ذُهْل؟ قال: سادة نَوْكَى. قال: فقيس بن ثعلبة؟ إن جاورتهم سرقوك، وإن ائتمنتهم خانوك: قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاء البقر[٢]، وعراقيب الكلاب. قال: فما تقول في بني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولى. (قال هشام: لأن في ألوانهم حمرة). قال: فعِجْل؟ قال: أحلاس[٣] الخيل. قال: فحنيفة؟ قال: يطعمون الطعام، ويضربون الهام. قال: فعَنَزة! قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤما[٤]. قال: فضُبيعة أضجم؟[٥] قال: جَدْعاً وعَقْراً[٦]. قال: فأخبرني عن النساء. قال: النساء أربع: ربيع مُربِع، وجميع تَجْمع، وشيطان سَمَعْمع، وغُلّ لا يخلَع[٧]. [١٦/٩١] قال: / فَسِّر. قال: أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أقسمت عليها أبَرَّتك؛ وأما التي هي جميع تجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبها؛ وأما الشيطان السمعمعُ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت، والمولولة في أثرك إذا خرجت؛ وأما الغل الذي لا يخلع، فبنت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التي قد نثرت لك بطنها، إن طلقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك. فقال له المغيرة: بل أنفك. ثم قال له: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال: أعورُ زَنّاء. فقال الهيثم: فض الله فاك! ويلك! هذا الأمير المغيرة. فقال: إنها كلمة والله تقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله، وعنده يومئذ أربع نسوة، وستون أو سبعون أمة. قال له: ويحك! هل يزني الحر وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: ارمين إليه بحُلاكن. ففعلن، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة.

ينصح علياً ثم يغشه

أخبرني عبيد الله بن محمد، قال: حدثنا الخرّاز، عن المدائني، عن أبي مخنف، وأخبرني أحمد[٨] بن عيسى العِجلي قال: حدثنا الحسن بن نصر، قال: حدثني أبي نصر بن مزاحم قال: حدثنا عُمر بن سعد[٩]، عن أبي مِخْنف عن رجاله:

(١) أرض أريضة: معشبة خصبة.

(٢) ف، مب: النقد، وهي صغار الغنم.

(٣) أحلاس الخيل: شجعان فرسان، ملازمون لركوب الخيل.

(٤) لعله يريد أنهم لا يكفون عن ثلب الناس والفخر عليهم.

(٥) كذا في ف، مب. وفي أ، م، ج: أحجم. تحريف. وضبيعة أضجم: هو ضبيعة بن أسد بن ربيعة، أو ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وهو المعروف بالأضجم، كما في «المقدمة الفاضلية» لابن الجواني النسابة؛ ومعناه: المعوج الفم. وضبيعة بن أسد بن ربيعة؛ قال ابن دريد: وهي ضبيعة أضجم.

(٦) جدعاً وعقراً: دعاء عليهم بالجدع والعقر، يريد أصابهم الاستئصال والفناء.

(٧) ذكر صاحبا «اللسان» و «التاج» كلام ابن لسان الحمرة في وصف النساء أتم تفصيلاً مما ذكره المؤلف هنا. قالا: «النساء أربع: فربيع مربع، وجميع تجمع، وشيطان سمعمع، وغل لا يخلع. فقال: فسر. قال: الربيع المربع: الشابة الجميلة التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك. وأما الجميع التي تجمع: فالمرأة تتزوّجها ولك نشب، ولها نشب، فتجمع ذلك. وأما الشيطان السمعمع: فهي المرأة الكالحة في وجهك إذا دخلت، المولولة في إثرك إذا خرجت. قال: وأما الغل التي لا تخلع: فبنت عمك القصيرة الفوهاء: الدميمة السوداء، التي نثرت لك ذا بطنها، فإن طلقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها أمسكتها على مثل جدع أنفك». وفي «اللسان»: أمرأة سمعمعة: كأنها غول أو ذئبة. والورهاء: التي لا تعني بالكحل. وهي رواية الأصول عدا ف، مب.

(٨) ج: محمد.

(٩) ف: شبة.

أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أُكتب إلى معاوية فوَلّه الشام، ومره بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك. فقال عليّ عليه السلام: ﴿ما كنتُ / متَّخِذَ المُضِلِّين عَضُداً﴾. فانصرف المغيرة وتركه. فلما كان من غد جاءه، فقال: إني فكرت فيما أشرتُ به عليك أمس، فوجدته خطأً، ووجدت رأيك أصوب. فقال له علي: لم يَخْفَ عليّ ما أردت؛ قد نصحتني في الأولى، وغششتني في الآخرة، ولكني والله لا آتي أمراً أجد فيه فساداً لديني، طلباً لصلاح دنياي. فانصرف المغيرة. [١٤٤/١٤]

/ يخدع مصقلة بن هبيرة الشيباني [٩٢/١٦]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين، قال: حدثني محمد بن يونس الشيرازي، قال: حدثني محمد بن غسان الضبيّ، قال: حدثني زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال:

كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانيّ تنازع، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مَصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شُرَيح، وهو القاضي يومئذٍ، فأقام عليه البينة، فضربه الحد. فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حياً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثم دخل الكوفة، فتلقاه قومه، وسلموا عليه. فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنك تريد أن ترجم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعاً لصديقك، ضائراً[1] لعدوّك، وما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً ... وخصيماً ألدّ ذا معلاق[2]

حيةٌ في الوجار أربدُ لا ينـ ... ـفع منه السليمَ نفثُ الراقي

/ وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبيّ: [٩٣/١٦]

أن مصقلة قال له: والله إني لأعرف شبهي في عُرْوة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحدّ. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

يحاول أن يخدع عمر بن الخطاب فلا ينخدع

أخبرني محمد بن عبد الله[3] الرازيّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، عن مسلمة[4] بن محارب، قال:

---

(١) ضائراً: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: صابراً.

(٢) يقال: رجل معلاق، وذو معلاق: أي خصم، شديد الخصومة، يتعلق بالحجج ويستدركها. والمعلاق: اللسان البليغ. ورواه ابن دريد: ذا مغلاق؛ قال الزمخشري عن المبرد: من رواه بالعين المهملة فمعناه: إذا علق خصماً لم يتخلص منه؛ وبالغين المعجمة فتأويله: يغلق الحجة على الخصم. (انظر «تاج العروس» في علق).

(٣) ف، مب: عبيد الله بن محمد الرازي.

(٤) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: سلمة.

قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر، فتَحْفظه بعد وفاته، وتخلُفه في أهله. فقال عمر: بلى، إني لأحب ذاك؛ فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعد إلي بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حباً وكرامة[١]. ودخل إليها بعَقِب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة. فقال لها: مالك يا أم المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إن هذه جارية حَدَثة، وأردت لها ألين عيشاً من عمر. فقال لها: عليّ أن أكفيك. وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال: بالرِّفاء والبنين، قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله، وخِطْبتك أم كلثوم. فقال: قد كان ذاك. قال: إلاّ أنك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخُلُق على أهلك، وهذه صبية حديثة السن، فلا تزال تنكر عليها الشيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمك ذلك، وتتألم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدد لهم المصيبة به، [١٦/٩٤] مع قرب عهدها في كل / يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة[٢]، واصدقني؟ فقال: آنفاً. فقال عمر: أشهد أنهم ١٤٥/١٤ كرهوني، فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى / عائشة، فأخبرها بالخبر، وأمسك عمر من معاودتها.

قضية الزنا

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا عليّ بن محمد النوفلي، عن محمد بن سليمان الباقلاني، عن قتادة، عن غنيم بن قيس، قال:

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرَّقْطاء، فلقيه أبو بكرة، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان[٣]. فأخذ بتلابيبه، وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

وحدّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه، أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز، قالا: حدثنا عمر بن شبة، فرواه عن جماعة من رجاله، بحكايات متفرقة.

قال عمر بن شبة: حدثني أبو بكر العُلَيمي، قال: أخبرنا هشام، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جَوشن، عن أبيه، عن أبي بكرة.

قال عمر بن شبة: وحدّثنا عمرو بن عاصم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة.

قال أبو زيد عمر بن شبة: وحدثنا عليّ بن محمد بن حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبيّ.

قال: وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ، قال: حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير.

قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقديّ: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة، عن أبيه، عن مالك بن أوس[٤] بن الحَدَثان.

---

(١) ف: نعم وحب وكرامة. مب: نعم وكرامة.

(٢) ف: متى عهدك بعائشة.

(٣) آل فلان: كذا في ج، س، مب. وفي أ، م: دار فلان. وفي ف: فلاناً.

(٤) في الأصول: أنس. والتصويب عن «الخلاصة» للخزرجي.

/ قال: وحدثني محمد بن الجهم، عن علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبلة، عن عبد العزيز بن [٩٥/١٦] صهيب، عن أنس بـن مالك:

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْط النهار، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتي حاجة. فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يزار ولا يزور.

قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة. قال: فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد، ورجل آخر، يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة. فضربت الريح باب المرأة ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها. فقال أبو بكرة: هذه بلية ابتُليتم بها، فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزِلنا. قال: وذهب ليصلي بالناس الظهر، فمنعه أبو بكرة، وقال له: لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصلّ، فإنه الأمير، واكتبوا بذلكم إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعاً، المغيرة والشهود.

وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى: وبعث عمر بأبي موسى الأشعريّ على البصرة. وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة. قال: قال عليّ بن أبي هاشم[١] في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته: أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين: نتركه يتجهز ثلاثاً، ثم يخرج. قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المِربد، ودخلنا المسجد، فإذا هم يصلـون: الرجال والنساء مختلطين. فدخل رجل على المغيرة، فقال له: إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد، عليه / بُرْنُس. فقال له المغيرة: ما جاء زائراً ولا تاجراً. فدخلنا[٢] [٩٦/١٦] عليه ومعه صحيفة ملء يده[٣]، فلما رآنا[٤] قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثاً.

وقال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته. فقال له المغيرة: لقد علمتَ ما وُجهتَ فيه، فألا تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء. فقال له / المغيرة: فإني أحب أن أقيم ثلاثاً $\frac{١٤٦}{١٤}$ لأتجهز. فقال: قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك، حتى أرحِّلَك إليه. قال: إن شئت شَفَّعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين. قال: وكيف؟ قال: تؤجلني إلى الظهر، وتمسك الكتاب في يدك. قالوا: فقد رُئي أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً، وإن الكتاب لفي يده معلقاً بخيط. فتجهز المغيرة، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة، جارية عربية من سَبْي اليمامة، من بني حنيفة؛ ويقال إنها مولدة الطائف، ومعها خادم لها. وسار المغيرة حين صلى الظهر، حتى قدم على عمر. وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاريّ: فلما قدم على عمر. قال له: إنه قد شُهِد عليك بأمر إن كان حقاً لأن تكون مت قبل ذلك كان خيراً لك.

قال أبو زيد: وحدّثني الحكم بن موسى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاريّ، عن مصعب بن سعد:

---

(١) كذا في ف. وفي مب، ج، أ، م، س: علي بن هشام.
(٢) أ، م، س، ج: فدخلت.
(٣) ملء يده: كذا في ب. وفي سائر النسخ: مثل هذه.
(٤) أ، م: رآها.

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس، ودعا المغيرة والشهود. فتقدم أبو بكرة. فقال له: أرأيته بين [٩٧/١٦] فخذيها، قال: نعم والله، لكأني أنظر إلى تشريم / جُدَريّ بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له: لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرود في المُكْحُلة. فقال: نعم أشهد على ذلك. فقال له: اذهب عنك مُغيرة، ذهب رُبْعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلج فيه وُلوج المِرود في المكحلة. فقال: نعم حتى بلغ قُذَذه[1]. فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نِصفك. ثم دعا الثالث، فقال: علام تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبيّ. فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام: اذهب عنك مغِيرة، ذهب ثلاثة أرباعِك. قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. وبكى إلى أمهات المؤمنين، حتى بكين معه، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقدِم على عمر. فلما رآه جلس له في المسجد، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار. قال المغيرة: ومعي كلمة قد رفعتها لأكلم القوم. قال: فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزيَ الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحدّثنا عفان، قال: حدّثنا السَّريّ بن يحيى، قال: حدّثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهديّ، قال:

لما شهد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة، تغير لذلك لون عمر. ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك [٩٨/١٦] انكساراً شديداً. ثم جاء رجل شابّ[2] يخطِر بين يديه، فرفع / عمر رأسه إليه، وقال له: ما عندك يا سَلْح العُقاب. وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر. قال عبد الكريم: لقد كِدت أن يُغْشَى عليّ.

وقال آخرون: قال المغيرة: فقمت إلى زياد، فقلت له: لا مَخبأ لعطر بعد عَروس. ثم قلت: يا زياد، اذكر الله، واذكر موقف يوم القيامة؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت، فلا يحملك شر منظر رأيته على أن تتجاوزه إلى ما لم تر، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها. قال: فترنقت عيناه، واحمرّ وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين، أما أن أُحُقَّ ما حق القوم فليس ذلك عندي؛ ولكني رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفَساً حثيثاً وانبهاراً، ورأيته متبطِّنها. فقال له: أرأيته يدخله كالمِيل في المكحلة. فقال: لا.

١٤٧/١٤ وقال غير هؤلاء: إن زياداً قال له: / رأيته رافعاً برجليها، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها، ورأيت حَفَزاً شديداً، وسمعت نفَساً عالياً. فقال له: أرأيته يدخله ويخرجه كالمِيل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قم إليهم فاضرِبهم. فقام إلى أبي بكرة، فضربه ثمانين، وضرب الباقين، وأعجبه قول زياد، ودرأ عن المغيرة الرجْم. فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب: فإني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا. فهم عمر بضربه، فقال له عليّ عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. ونهاه عن ذلك.

---

(١) قذذه: جمع قذة، وهي جانب الحياء.

(٢) شاب: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: شديد.

قال: يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين، فوجب بذلك الرجم على المغيرة.

قال: واستتاب عمر أبا بكرة. فقال: إنما تستتيبني لتقبل شهادتي. قال: أجَل. قال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا. قال: فلما ضُرِبوا الحدّ / قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذي أخزاكم. فقال له عمر: اسكت [١٦/٩٩] أخزى الله مكاناً رأوك فيه[1]. قال: وأقام أبو بكرة على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى رَقْط فخذيها. قال: وتاب الاثنان، فقُبلت شهادتهما. قال: وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعِي إلى شهادة يقول: اطلب غيري، فإن زياداً قد أفسد عليّ شهادتي.

قال أبو زيد: وحدّثني سليمان بن داود بن عليّ، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جدّه، قال:

لما ضُرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذُبحت، وجعلت جلدها على ظهره. قال: فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

حدّثنا ابن عمار والجوهريّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عليّ بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال:

كانت أم جميل بنت عمر، التي رُمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة، تختلف إلى المغيرة في حوائجها، فيقضيها لها. قال: ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت عليّ[2]. فقال: له عمر: أتتجاهل عليّ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلا خفت أن أُرمَى بحجارة من السماء.

حدّثني أحمد بن الجعد، قال: حدّثنا محمد بن عباد، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال:

/ قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره. وقال غيره: لئن أخذت المغيرة [١٦/١٠٠] لأتبعنه أحجاره.

حسان يهجو المغيرة

أخبرني ابن عمار والجوهريّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا المدائني، قال:

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصة:

لـوَ أن اللـؤم ينسَـب كـان عبـدا	قبيـح الـوجـه أعـور مـن ثقِيـف
تـركـتَ الـديـن والإسـلام لمـا	بـدت لـك غُـدوةً ذاتُ النَّصيـف
وراجعـت الصِّبـا وذكـرت عهـدا	مـن القَينـات والغمـز اللطيـف[3]

(١) رأوك فيه: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: واراك.

(٢) مب: عاتكة بنت معاوية.

(٣) كذا رواية البيت في ف. وفي سائر النسخ: ... لهوا ... العمر اللطيف.

يتزوّج وهو في طريقه إلى المحاكمة

أخبرني الجوهريّ وابن عمار، قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا المدائني عن عبد الله بن سلم الفِهري، قال:

لما شخص المغيرة إلى عمر، رأى في طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له: أنت على هذه الحال؟ قال: وما عليك؟ إن أُعفَ، فهو الذي تريد؛ وإن أقتل ترِثني. فزوّجه.

قال أبو زيد: قال الواقدي. تزوّجها بالرَّقَم[1]. وهي امرأة من بني مرة. فلما قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب، طويل الشَّبَق.

١٤٨/١٤ وقال محمد بن سعد: أخبرني محمد بن / عبد الله الأسدِيّ، قال: حدّثنا مِسعر، عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول: استغفروا لأميركم هذا، فإنه كان يحب العافية[2].

[١٠١/١٦] / **صفته**

قال: وكان المغيرة أصهب الشعر جداً، أكشف، يفرُق رأسه قروناً أربعة، أقلص الشفتين، مهتوماً، ضخم الهامة، عَبل الذراعين، بعيد ما بين المنكِبين.

وفاته

قال: وقال الواقديّ، حدّثني محمد بن موسى الثقفي، عن أبيه، قال: مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين، في خلافة معاوية، وهو ابن سبعين سنة. وكان رجلاً طُوالاً أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك.

صــوت

جِنيــــة ولهـــا جِـــن يعلمهـــا ... رمـى القلـوب بقـوس مـا لهـا وتـرُ

إن كـــان ذا قـــدَراً يعطِيـــك نـــافلـــة ... منـا ويحـرِمنـا، مـا أنصـف القـدر

الشعر لمحمد بن بشير الخارجيّ، والغناء لإبراهيم: هزج بالبِنصر، عن الهشاميّ.

---

(١) الرقم: موضع بالحجاز قريب من وادي القرى.

(٢) مب: العاقبة.

/ أخبار محمد بن بشير الخارجيّ ونسبه [١٦/٠٢

نسبه وشعره

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان[1] بن عديّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجيّ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نُسبا إلى أمهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حِجازيّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة القرشي، أحد بني أسد بن عبد العزى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشِيّ؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَراثٍ مختارة، وهي عيون شعره، وكان يبدو في أكثر زمانه، ويقيم في بوادي المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس.

رواة أخباره

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مُصعَب الزبيريّ. قال أحمد: وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش[2] السعدي وعمي مصعب. وحدّثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش. وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه.

يخطب عائشة بنت يحيى فترفض السفر معه

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزبير، عن سليمان بن عياش:

/ كان الخارجيّ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن [١٦/٠٣ بكر، شاعراً فصيحاً، ويكنى أبا سليمان. فقدم البصرة في طلب ميراث له بها، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجية؛ من خارجة عدوان. فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة، ويترك الحجاز، ويكون أمرها في الفرقة إليها. فأبى أن يفعل، وقال في ذلك:

أرِق الحـزيـنُ وعـاده سُهـدُهْ ... لطـوارق الهـم التـي تَـرِدُهْ[3]

وذكـرتُ مـن لانـت لـه كبـدي ... فـأبـى فليـس تليـن لـي كبـده

ونـأى فليـس بنـازل بلـدي ... أبـداً، وليـس بمُصلِحـي بلـده[4]

---

(١) ف، مب: سيار.

(٢) أ، م، ج: عياس.

(٣) كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: الذي يرده.

(٤) كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: فأبى.

فصُدِعت حين أبى مودتَه صَدْعَ الزجاجة دائم أبده
149/14 / وعرفت أن الطير قد صدقت يوم الكِدانة شرَّ ما تَعِده
فاصبر فإن لكل ذي أجل يوماً يجيء فينقضي عدده
ماذا تعاتب من زمانك إذ ظعن الحبيب وحل بي كمده[1]

قالا: وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك، فقال له: إنها امرأة بَرْزة عاقلة، لا يُفتات على مثلها بأمرها، وما عندها عنك من رغبة، ولكنها امرأة في خلقها شدّة، ولها غيرة، وقد بلغني أن لك زوجتين، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما؛ فانظر في أمرك، وشاور فيه: فإما أن أقمت بالبصرة معها، فعَفَت لك عن / صاحبتيك، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرة، وإن شئت فارقتهما[2] وأُخْرِجها معك. فصار إلى رحْله مغموماً. وشاور ٱبن عم له يقال له وَرّاد بن عمرو في ذلك، فقال له: إن في يحيى بن يعمر لرغبة، لثروته وكثرة ماله، وما ذكرته[3] من جمال ابنته، وما نحب أن تفارق زوجتيك ـ وكانت إحداهما ٱبنة عمه، والأخرى من أشجع ـ فتقيم معها السنة بالبصرة، ونمضي نحن[4]، فإن رغبت فيها تمسكت بها، وأقمت بمكانك، وإن رغبت في العود إلى بلدك، كتبت إلينا فجئناك، حتى تنصرف معنا إلى بلدك. [16/104]

قصيدته في زوجه أم سعد

ففكر ليله أجمع في ذلك، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز، وقال:

لئن أقمتُ بحيث الفيضُ في رجب حتى أُهِلَّ به من قابلٍ رَجَبا[5]
وراح في السَّفْر ورّاد فهيجني إن الغريب إذا هيجته طربا[6]
إن الغريب يَهيج الحزنُ صَبْوته إذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أمس لوارد وصاحبه عُوجا على الخارجيّ اليوم واحتسِبا[7]
وأبلغا أم سعد أنّ عانيَها أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا[8]
لما رأيت نجِيَّ القوم قلت لهم هل يعدُوَنّ نجيُّ القوم ما كُتبا[9]
/ وقلت إني متى أجلب شفاعتكم أندم وإنّ أشقّ الغيّ ما اجتُلِبا[10] [16/105]

(١) كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: أن ظعن.
(٢) كذا في ف، وفي مب: ففارقهما. وفي سائر النسخ: مفارقتهما.
(٣) ج: ذكره.
(٤) نحن: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: تمضي بخير. تحريف.
(٥) الفيض: نهر البصرة. وهي رواية ف، مب. وفي سائر النسخ: القبض. تحريف. يريد: أقمت بهذا الموضع، وأهل الرجل الهلال: رآه.
(٦) ف: وراث في السفر.
(٧) احتسبا: يريد اصنعا فيّ معروفاً، وعدا أجره عند الله.
(٨) العاني: الأسير.
(٩) النجيّ، بوزن فعيل: الذي يسارك ويناجيك، مفرد وجمع. ورواية البيت كما في ف، مب. وفي سائر النسخ: قلت له: هل يقدرن.
(١٠) كذا روى البيت في مب، وفيه تحريف في سائر النسخ.

وإنّ مثلي متى يسمع مقالتكم ... ويعرف العين يندم قبل أن يجِبا[1]
إني وما كبّر الحُجّاج تحملهم ... بُزْل المطايا بجنبي نخلةٍ عُصَبا[2]
وما أهلّ به الداعي وما وقفت ... عُلْيا ربيعة ترمي بالحصى الحصِبا[3]
جهداً لَمَنْ ظن أني سوف أُظعنها ... عن ربع غانية أخرى لقد كذبا[4]
أأبتغي الحسن في أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا[5]
وما انقضى الهم من بُعدى وما عَلِقت ... مني الحبائل حتى رمتُها حِقَبا[6]
وما خلوت بها يوماً فتعجبني ... إلا غدا أكثرَ اليومين لي عجبا[7]
بل أيها السائلي ما ليس يدركه ... مهلاً فإنك قد كلفتني تعبا[8]
كم من شفيع أتاني وهو يحسُب لي ... حَسْباً فأُقصِرُه من دون ما حَسَبا[9]
فإن يكن لهواها أو قرابتها ... حب قديم فما غابا ولا ذهبا
هما عليّ: فإن أرضيتها رضيا ... عني وإن غضبتْ في باطل غضبا
/ كائنْ ذهبتُ فرَدّاني بكيدهما ... عما طلبت وجاءاها بما طلبا[10]
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة ... إلا أنازع من أسبابها سببا
وَيْلُمُّها خُلّةً لو كنتِ مُسجِحة ... أو كنتَ ترجع من عَصْرَيْك ما ذهبا
أنت الظعينة لا تُرْمَى برمتها ... ولا يفجِّعها ابن العم ما اصطحبا[11]

[١٦/١٠٦]
١٥٠/١٤

يغضب لعربية تزوّجت مولى ويفرّق بينهما

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي، قال:

قدم أعراب من بني سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء، فزوّجه. فركب محمد بن بشير الخارجيّ إلى المدينة، وواليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن

(١) العين: كذا في جميع النسخ، ولعله تحريف عن الغبن. يريد الغبن في الرأي الذي أشاروا به عليه. وفي ف، مب: ينزع، في موضع: يندم. والنزوع: الاشتياق.
(٢) بجنبي: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: إلى، وبها يختل وزن البيت. ونخلة: موضع على ليلة من مكة (عن «معجم ما استعجم» للبكري). والعصب: الجماعات.
(٣) يريد بالحصب هنا: المحصب بمنى، وهو موضع رمي الجمار.
(٤) ربع: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: دفع، وهذه غامضة. يريد: لا أجعل لناقتي مقراً ولا رحلة إلا من ربع هذه الحبيبة.
(٥) ف: والأدبا.
(٦) ف، مب: ولا انقضى... ولا علقت.
(٧) ف، مب: أكبر اليومين.
(٨) ف، مب: يأيها السائلي.
(٩) ف: وهو يحسبني أسلو. يريد كم شفيع أتاه يعدله كثير المحاسن في نساء أخر، فكان يردّه.
(١٠) ذهبت: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: دهيت. وضمير الفاعل في رداني وجاءاها وطلبا: يعود على الهوى والقرابة.
(١١) أنت: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: ليت.

هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجيّ على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين، وفرق بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. فقال محمد بن بشير في ذلك:

شهدتُ غداةَ خصم بني سُليم ... وجوهاً من قضائك غير سود[1]

قضيتَ بسنة وحكمت عدلا ... ولم تَرِث الحكومة من بعيد

إذا غُمِز القنا وُجِدتْ لعمري ... قناتك حين تغمَز خيرَ عُود

إذا عض الثِّقاف بها اشمأزت ... أبيُّ النفس بائنة الصعود[2]

حمى حَدَبا لحوم بنات قوم ... وهم تحت التراب أبو الوليد

وفي المِتَيْنِ للمولى نكال ... وفي سلب الحواجب والخدود

/ إذا كافأتهم ببنات كسرى ... فهل يجد الموالي من مَزيد

فأي الحق أنصف للموالي ... مِن اصْهار العبيد إلى العبيد

[١٠٧/١]

كان له عبد غير وفي

حدّثني عمي[3]، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال:

كان للخارجيّ عبد، وكان يتلطف له ويخدمه، حتى أعتقه وأعطاه مالاً، فعمل به، وربح فيه. ثم احتاج الخارجيّ بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته، فبعث إلى مولاه في ذلك، وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئاً، فقال الخارجيّ في ذلك:

يسعى لك المولى ذليلاً مُدقِعا ... ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ

فأمسِك عليك العبد أوّل وَهْلةٍ ... ولا تنفلِت من راحتيك حبائله

وقال أيضاً:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا ... لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا

يتزوّج ثالثة إذ تأخر عنه زوجتاه

حدّثني عيسى بن الحسين[4]، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش السعديّ، قال:

كان محمد بن بشير الخارجيّ بين زوجتين له، وكان يسكن الروحاء، فأجدب عليه منزله، فوجه غنماً إلى سحابة وقعت برُجْفان، وهو جبل يطل على مضيق يَلْيل، فشقت غيبتها عليه. فقال لزوجتيه: لو تحوّلتما إلى غنمنا. فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، وتصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيك فيه. فمضى وزوّدتاه وَطْبين، وقالتا له: اجمع لنا اللبن، ووعدتاه موضعاً من رُجفان، يقال له / ذو القِشع. فانطلق،/ فصرف غنمه إلى ذلك الموضع،

[١٠٨/١ — ١٥١/١٤]

(١) ف، مب: وجوهاً من فضائل.

(٢) النفس: كذا في ف. وفي سائر النسخ: القصر.

(٣) ف، مب: عيسى بن الحسين.

(٤) كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: حدّثني محمد بن عيسى.

ثم انتظرهما، فأبطأتا عليه. وخالفته سحابة إليهما، فأقامتا، وقالتا: يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا. فجعل يصعَد في الجبل وينزل، يتبصرهما فلا يراهما. فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا[1]، فقال: أنزل فأتحدّث إليهما، فإذا هو بامرأة مسنة، ومعها بنت لها شابة، فأعجبته، فقال لها: أتزوّجينني ابنتك هذه؟ قالت: إن كنت كفؤاً. فانتسب لها، فقالت: أعرف النسب ولا أعرف الوجه، ولكن يأتي أبوها. فجاء أبوها فعرفه، فأخبرته امرأته بما طلب. فقال: نعم، وزوّجه إياها. فساق إليها قطعة من غنمه، ثم بنى بها، وانتظر، فلم ير زوجتيه تَقْدَمان عليه، فارتحل إليهما بزوجته وبقية غنمه. فلما طلع عليهما وقف، فأخذ بيدها، ثم أنشأ يقول:

كـأنّـي مُـوفٍ للهـلال عشيـة ... بـأسفـل ذات القِشـع منتظِـرَ القَطْـرِ

وأنتـن تلبسـن[2] الجـديـدة بعـدمـا ... طُـردت بطَـيِّ الـوَطْـب فـي البُلْـق والعُفْـرِ

فكـان الـذي قلتـن أغْـدِذ بضـاعـة ... لنـاهـد بيضـاء التـرائـب والنحـر

كـأنّ سُمـوط الـدر منهـا معلـق ... بجَيْـداءَ فـي ضـالٍ بـوَجْـرة أو سـدر

تكـون بـلاغـا ثـم لسـت بمخيـر ... إذا وُدِيـت لـي مـا وددتـن مـن أمـري

فارقته المزنية فقال فيها شعراً

أخبرني الحسن[3] بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب، قال: حدّثني أحمد بن زهير؛ وحدّثني الزبير بن بكار، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قالا:

/ كان محمد بن بشير يتحدّث إلى امرأة من مُزَينة، وكان قومها قد جاوروهم، ثم جاء الربيع، وأخصبت بلاد [١٠٩/١٦] مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن بشير:

لـو بيَّنـتْ لـك قبـل يـوم فـراقِهـا ... أن التفـرّق مـن عشيـةَ أو غـدِ

لشكـوت إذ علِـق الفـؤاد بهـائـم ... علـقِ حبـائـلَ هـائـم لـم يُعهـدِ

وتبـرجـت لـك فـاستبَتْـك بـواضـح ... صَلْـت وأسـود فـي النصيـف معقّـد[4]

بيضـاء خـالصـة البيـاض كـأنهـا ... قمـر تـوسـط ليـل صيـف مُبْـردِ

مـوسـومـة بـالحسـن ذات حـواسـد ... إن الجمـال مِظنـة للحسّـدِ

لـم يُطْغِهـا سَـرَف الشبـاب ولـم تضـع ... عنهـا معـاهـدة النصيـح المـرشـدِ[5]

خَـود إذا كثـر الكـلام تعـوّذت ... بحِمَـى الحيـاء وإن تكلـمْ تُقصِـدِ

---

(١) ف، مب: قوماً قد نزلوا.

(٢) ف، مب: تبلين.

(٣) الحسن: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: الحسين.

(٤) هذا البيت عن ف، مب.

(٥) كذا روي البيت في ف، مب. وفي سائر النسخ:

لـم يطـرهـا ... ... ولـم يضـع ... فيهـا معـاشـرة ... ...

ومعاهدة النصيح: تعهده إياها بالنصيحة.

وكـــأن طعـــم سُـلافـــة مشمـــولـــةٍ ... تنصـــبّ فـــي إثـــر الســـواك الأغيـــدِ
وتـــرى مـــدامعهـــا تُـــرَقْـــرِق مقلـــة ... حـــوراء تـــرغـــب عـــن ســـواد الإثمـــد
مـــاذا إذا بـــرزت غـــداة رحيلهـــا ... مِ الحســـن تحـــت رِقـــاق تلـــك الأبـــرد[١]
وُلِـــدت بـــأسعـــدِ أنجـــمٍ فمحلهـــا ... ومسيـــرهـــا أبـــدا بطلـــق الأسعُـــدِ
الله يُسعـــدهـــا[٢] ويُسْقِـــي دارهـــا ... خَضِـــلَ الـــرَّبـــاب سَـــرَى ولمـــا يُـــرْعِـــدِ

رفضت قضاعية أن تتزوّجه فقال فيها شعراً

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

[١٦/١١٠] / صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكة[٣]، وكانت فيهم أمرأة جميلة، فكان يسايرها ويحادثها. ثم [١٥٢/١٤] خطبها إلى نفسها[٤]، فقالت: لا سبيل إلى ذلك، لأنك لست لي / بعشير[٥]، ولا جاري في بلدي، ولا أنا ممن تطمعه[٦] رغبة عن بلده ووطنه. فلم يزل يحادثها ويسايرها[٧] حتّى انقضى الحج، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما، فقال الخارجيّ في ذلك:

أستغفـــر الله ربـــي مـــن مخـــدَّرة ... يـــومـــاً بـــدا لـــي منهـــا الكشـــحُ والكتِـــدُ
مـــن رُفقـــة صـــاحبـــونـــا فـــي نـــدائهـــمُ ... كـــلٌّ حـــرام فمـــا ذُمُّـــوا ولا حُمِـــدوا
حتـــى إذا البُـــدْن كـــانـــت فـــي مناحـــرهـــا ... يعلـــو المنـــاسـمَ منهـــا مُـــزبِـــد جَسِـــد[٨]
وحلّـــق القـــوم واعتمّـــوا عمـــائمهـــم ... واحتـــل كـــل حـــرامٍ راسُـــه لَبِـــد
أقبلـــتُ أســـألهـــا مـــا بـــالُ رُفقتهـــا ... ومـــا أبـــالـــي أغـــاب القـــوم أم شهِـــدوا
فقـــربـــت لِـــيَ واحلـــولـــت مقـــالتهـــا ... وعـــوّقتنـــي وقـــالـــت بعـــضَ مـــا تجـــد[٩]
أنّـــى ينـــال حِجـــازيّ بحـــاجتـــه ... إحـــدى بنـــي القيـــن أدنـــى دارِهـــا بَرِد[١٠]

---

(١) ف: إذا ندرت. م الحسن: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: من حسن.
(٢) ف، مب: يصحبها.
(٣) عبارة الأصول ما عدا مب: فكان إلى مكة. وهي غامضة محرفة. وقد سقطت من ف.
(٤) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: نفسه.
(٥) ف، مب: بعشري.
(٦) ف، مب: تظعنه؛ والكلمة غير منقوطة.
(٧) ف: يسايرها ويحدثها.
(٨) كانت: كذا في ف. وفي مب: كاست. والمناسم: كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: المحاسن. تحريف. وجسد: كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: جمد.
(٩) كذا رواية البيت في ف. وفي سائر النسخ:
تفـــرقـــت لـــي واحلـــولـــت مقـــالتهـــا ... وخـــوفتنـــي ... ...
(١٠) أدنى: كذا في ف، مب. وفي سائر الفصول: إذما. تحريف. وبرد: جبل قريب من تيماء.

/ **خطب امرأة فطلبت إليه أن يطلق زوجته** [١١١/١٦]

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال:

خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوّجك. فأبى وانصرف عنها، وقال في ذلك:

أأطلب الحسن في أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا

هي الظعينة لا يُرْمَى برُمتها ... ولا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا

فما خلوت بها يوما فتعجبني ... إلا غدا أكثر اليومين لِي عجبا

يحتال على الأنصار ليحدث نساءهم

حدّثني عيسى قال: حدّثنا الزبير، قال: بلغني عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجُمَحي، يروي شيئاً من أخبار الخارجيّ وأشعاره، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال:

زعم الخارجيّ، واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عَدوان، وكان يسكن الرَّوْحاء، قال:

بينا نحن بالروحاء في عام جدب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته[١]، وإذا بقطار ضخم كثير الثَّقَل يهوِي، قادم من المدينة، حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربي، بيننا وبينهم الوادي، وإذا هم من الأنصار، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فلبثنا أياماً، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي: أرسَل إليّ النساء يقلن: أمالكم في الحديث حاجة؟ فقلت لهن: فكيف برجالكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحباً يعرف بالخارجيّ، / صاحب صيد، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه، وخلوتم فتحدّثتم. قال: فقلت لسليمان: [١١٢/١٦] بئس لعمر الله ما أردت مني، أأذهب إلى القوم فأُغُرّهم، وآثَم وأتعبَ وتنالون أنتم حاجتكم دوني؟ ما هذا لي برأي. قال لي سليمان: فأنظِرني إذنْ، أُرْسِل إلى النساء وأخبرهن بقولك. فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت. فقلن: قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك، وعلينا أن نحتال لك المرة الأخرى.

قال الخارجيّ: فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم، وذكرت لهم الصيد، فطارت إليه أنفسهم. فخرجت بهم، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً، وتزودنا لثلاث. وانطلقت أحدثهم وألهيهم، فحدّثتهم بالصدق حتى نفِد. ثم[٢] حدثتهم بما يشبه الصدق حتى نفِد[٢]. / ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث، وجعلت لا أحدثهم ١٥٣/١٤ حديثاً إلا قالوا: صدقت. وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عاينّا صيداً، فقلت في ذلك:

إنـي لأعجَبُ مني كيف أُفكِههم ... أم كيف أخدع قوماً ما بهم حُمُق[٣]!

أظل في البِيد أُلهيهم وأخبرهم ... أخبار قوم وما كانوا وما خُلقوا

(١) كذا في ف. وفي سائر الأصول: ابن أخيه.
(٢ ـ ٢) العبارة عن ف، مب.
(٣) أفكههم: كذا في ف، مب. وفي الأصول: أفككهم.

ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا حين انطلقنا وآتي ساعة انطلقوا(١)

أم كيف تُخْرَم أيد لم تخن أحدا شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا

ونرتمي اليوم حتى لا يكون له شمس ويرمون حتى يَبرُق الأفق

[١٦/١١٣] / يرمون أحور مخضوبا بغير دم دفعا وأنت وشاحا صيدك العَلَق

تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم صيد يرجَّى قليلاً ثم يُختنق

ما زلت أحدوهم حتى جعلتهم في أصل مَحْنية ما إن بها طَرَق(٢)

ولو تركتهم فيها لمزقهم(٣) شيخا مزينة إن قالا انعِقوا نعقوا

إن كنتم أبداً جاريْ صديقكم والدهر مختلف ألوانه طرق

فمتعوني فإنني لا أرى أحدا إلا له أجل في الموت مستَبَق

مات سليمان بن الحصين فرثاه

قال سليمان بن عياش: ومات سليمان بن الحصين هذا، وكان خليلاً للخارجيّ، مصافياً له، وصديقاً مخلصاً، فجزع عليه، وحزن حزناً شديداً، فقال يرثيه:

يا أيها المتمني أن يكون فتىً مثل ابن ليلى لقد خلَّى لك السبلا

إن ترحل العيسَ كي تسعى مساعيه يُشفَقْ عليك وتعملْ دون ما عملا

لو سرت في الناس أقصاهم وأقربهم في شُقة الأرض حتى تُحسِر الإبلا

تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا

اعْدُد ثلاث خصال قد عُرفن له هل سُب من أحد أو سَبَّ أو بخلا

قال سليمان بن عياش: لما مات عبد العزيز بن مروان، ونُعِي إلى أخيه عبد الملك، تمثل بأبيات الخارجيّ هذه، وجعل يرددها ويبكي.

شعر حسن في امرأة كريمة

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني عمي عن أبيه؛ قال: قال الرشيد يوماً لجلسائه:

[١٦/١١٤] / أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفِرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه يابن مصعب، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جنح ليل مُبردِ

موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد

---

(٢) بها طرق بالتحريك: كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: لها طرق، والطرق: مناقع الماء. يريد أن ماءها جار غير مستنقع.
(٣) لمزقهم: كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: لمربهم.

وتـرى مـدامعهـا تُـرقـرق مقلـة حـوراء تـرغـب عـن سـواد الإثمـد
خَـوْد إذا كثـر الكـلام تعـوذت بحمـى الحيـاء وإن تكلـم تُقْصـد
لـم يطغهـا شـرف الشبـاب ولـم تضـع منهـا مُعـاهَـدة النصيـح المـرشـد
وتبـرجـت لـك فـاستبتـك بـواضـح صَلْـت وأسـود فـي النصيـف معقـد
/ وكـأن طعـم سـلافـة مشمـولـة بـالـريـق فـي أثـر السـواك الأغيـد

١٥٤/١٤

فقال الرشيد: هذا والله الشعر، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم! ثم أمر[(١)] مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فروّاهما الأبيات.

يتحدث إلى أيم فينهاها قومها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

كان محمد بن بشير الخارجيّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسان المُزَنية، ويَقِيل[(٢)] عندها أحياناً، وربما بات عندها ضيفاً، لإعجابه بحديثها، فنهاها قومها عنه، وقالوا: ما مبيت رجل بامرأة أَيِّم؟ فجاءها ذات يوم، فلم تدخله خباءها، وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمسى، فمنعته المبيت، وقالت: لا تبت عندنا، فيُظَن بي وبك شر[(٣)]، فانصرف وقال فيها:

[١١٥/١٦]

/ ظللـتُ لـدى أطنـابهـا وكـأننـي أسيـرٌ مُعَنًّـى فـي مُخلخَلـه كَبْـلُ
أخيِّـر إمـا جَلسـةٌ عنـد دارهـا وإمـا مَـرَاح لا قـريـب ولا سهـل[(٤)]
فـإنـكِ لـو أكـرمـتِ ضيفـكِ لـم يعـب عليـكِ الـذي تـأتيـن حَمْـوٌ ولا بعـل
وقـد كـان يَنميهـا إلـى ذروة العـلا أب لا تخطـاه المطيـة والـرحْـل
فهـل أنـتِ إلا جِنَّـة عبقـريـة يخـالـط مـن خـالطتِ مـن حبكـم خَبْـل[(٥)]
وهـل أنـت إلا نبعـة كـان أصلهـا نضـاراً فلـم يفضحـك فـرع ولا أصـل
صـددت امـرأ عـن ظـل بيتـك مـالـه بـواديـك لـولاكـم صـديـق ولا أهـل

عابته أسلميه فأحبها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

---

(١) ف، مب: ثم أمر محمداً الأمين وعبد الله المأمون برواية الأبيات.
(٢) ف، مب: يقيم.
(٣) ف، مب: سوء.
(٤) كذا ورد البيت في ف. وفي مب: جلسة عند كاره. وجاء في سائر الأصول محرفاً:

أعبـدة إمـا جلسـة عنـد كـاره وإمـا مـزاح لا قـريـب ولا سهـل

(٥) البيت عن ف، مب.

خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان، حتى أتيا امرأة من الأنصار، من بني ساعدة، فبرزت لهما، وتحدثا عندها، وقالا لها: هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت: من هو؟ قالا: محمد بن بشير الخارجي. قالت: لا حاجة بي إلى لقائه، ولا تجيئاني به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما[1]. فجاءا به معهما، وأخبراه بما قالت لهما، وأجلساه في بعض الطريق، وتقدما إليها، فخرجت إليهما، وجاءهما الخارجيّ بعد خروجها إليهما، فرحبا به، وسلما عليه، فقالت لهما: من هذا؟ قالا: هذا الخارجيّ الذي كنا نخبرك عنه. فقالت: والله ما أرى فيه من خير، وما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجَون. فاستحيا الخارجيّ، وجلس هُنيهة، ثم قام من عندها، وعَلِقها قلبه، فقال فيها:

[١١٦/١٦] / ألا قد رابني ويريب غيري ... عشية حكمها حيفٌ مريبُ
وأصبحت المودة عند ليلى ... منازل ليس لي فيها نصيب
ذهبتُ وقد بدا ليَ ذاك منها ... لأهجوها فيغلبني النسيب
وأنسى غيظ نفسي إن قلبي ... لمن واددت فَيْئته قريب
فلا قلب مُصِرٌّ كل ذنب ... ولا راض بغير رضا، غضوب[2]
فدعها لست صاحبها وراجع ... حديثك إن شأنكما عجيب[3]

تعيره زوجته بقول الأنصارية له فيتغزل فيها

قال: وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية، فعيرته بذلك، وكانت[4] إذا أرادت غيظه كنته[4] أبا الجَون، فقال في ذلك:

وأيدي الهدايا ما رأيتُ مُعاتبا ... من الناس إلا الساعديةُ أجملُ
/ وقد أخطأتني يوم بطحاء منعم[5] ... لها كِفَّف يُصطاد فيها وأحبلُ
وقد قال أهلي خير كسب كسبته ... أبو الجَون[6] فاكسب مثلها حين ترحل
فإن بات إيضاعي بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن في العيش أطول

١٥٥/١٤

نهاه رجل عن حديث النساء وهو محرم فقال شعراً

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثَيِّر بمكة، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن حتى تفرقن، وبقيت / واحدة منهن تحدّث الخارجيّ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا؛ [١١٧/١٦]

---

(١) ف، مب: لم أبرز.

(٢) البيت عن ف، مب. يريد أن قلبه ليس قلباً غضوباً يحمل الحقد، ولا يرضى بما لا يرضي.

(٣) صاحبها: كذا في ف. وفي سائر الأصول: هاجيها.

(٤ ـ ٤) ف: وكانت تغيظه بأن تلقبه. وفي مب: وكانت تغيظه بأن تكنيه.

(٥) مب: بطحاء معمر.

(٦) ف، مب: حين كنيت كنية أبا الجون.

فقال لهم رجل مر بهم: أما تبرحون عن هذا الشعر[1] وأنتم حُرُم، ولا تَدَعون إنشاده وقول الزور في المسجد! فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل. فانصرف الرجل، وقال فيها الخارجيّ:

أمـالـك أن تـزور وأنـت خِلْـو ... صحيـح القلـب أخـت بنـي غفـار؟

فمـا بـرحـت تُعِيـرك مقلتيهـا ... فتعطيـك المنيـة فـي استتـار

وتسهـو فـي حـديـث القـوم حتـى ... يُبيـنَ بعـض ذلـك مـا تـوارى[2]

فمـت يـا قلـب مـا بـك مـن دفـاع ... فينجيَـك الـدفـاع ولا فـرار

فلـم أر طـالبـاً بـدم كمثلـي ... أودَّ وحسـن مطلـوب بثـار

إذا ذكـروا بثـأري قلـت سقيـا ... لثـأري ذي الخـواتـم والسـوار

ومـا عـرفـت دمـي فتبـوءَ منـه ... بـرهـن فـي حبـالـي أو ضِمـار[3]

وقـد زعـم العـواذل أن يـومـي ... ويـومـك بـالمحصَّـب ذي الجمـار[4]

مـن الإغبـاء ثـم زعمـت أن لا ... وقلـت لـدى التنـازع والتَّمـارِ[5]

كـذبتـم مـا السـلام بقـول زُور ... ومـا اليـوم الحـرام بيـوم ثـار[6]

ولا تسليمنـا حُـرُمـا بـإثـم ... ولا الحـب الكـريـم لنـا بعـار[7]

فـإن لـم نلقكـم فسقـى الغـوادي ... بـلادكِ والـرويّـاتُ السـواري

/ قصيدته في الغفارية بعد فراقهما [١١٨/١٦]

قال سليمان: وفي هذه المرأة يقول الخارجيّ وقد رحلوا عن مكة، فودعها وتفرقوا:

يـا أحسـن النـاس لـولا أن نـائلهـا ... قِـدْمـا لمـن يبتغـي ميسـورهـا عَسِـرُ[8]

وإنمـا دَلُّهـا سحـر تصيـد بـه ... وإنمـا قلبهـا للمشتكـي حجـر[9]

هـل تـذكـريـن كمـا لـم أنـس عهـدكـم ... وقـد يـدوم لعهـد الخُلَّـة الـذُّكر[10]

قَـوْلـي وركبـك قـد مـالـت عمـائمهـم ... وقـد سقـاهـم بكـأس الشقـوةِ السفـرُ

---

(١) كذا في ف. وفي سائر الأصول: أما تزدجرون نحن حذاء الشعر. تحريف.

(٢) ذلك: كذا في ف. وفي سائر الأصول: أهلك.

(٣) تبوء منه: تخلص منه بالاعتراف ودفع رهن أو دين. والضمار من الدين: ما لا يرجى، أو ما كان بلا أجل معلوم.

(٤) ف: وقد علم العواذل.

(٥) الإغباء: الإخفاء. وفي مب: لذي التنازع.

(٦) ف، مب: ولا اليوم.

(٧) ف، مب: حرماً بجرم.

(٨) ف، مب: إلا أن نائلها. وفي سائر الأصول: قاتلها، في موضع: نائلها. وفي «لسان العرب»: أجر): يرتجى معروفها.

(٩) تصيد به: كذا في «اللسان». وفي سائر النسخ: لطالبه.

(١٠) في «اللسان»: ولما أنس. وفي ف، مب: وقد يذم بعهد الخلة.

يـا ليـت أنـي بـأثـوابـي وراحلتـي عبـد لأهلـك هـذا العـام مـؤتجـر

فقـد أطلـتِ اعتـلالا دون حـاجتنـا بـالحـج أمسِ فهـذا الحِـل والسفـر[(١)]

مـا بـال رأيـك إذ عهـدي وعهـدكـم إلفـان ليـس لنـا فـي الـود مُـزدجَـر

فكـان حظـك منهـا نظـرةً طـرفـتْ إنسـانَ عينـك حتـى مـا بهـا نظـر

/ أكنتِ أبخـل مـن كـانـت مـواعـده دَينـا إلـى أجلٍ يـرجَـى وينتظـر[(٢)]

وقـد نظـرتُ ومـا ألفيـت مـن أحـد يعتـاده الشـوق إلا بـدؤه النظـر[(٣)]

أبقـت شجـيً لـك لا ينسـى وقـادحـة فـي أسود القلـب لـم يشعـر بهـا أخِـر[(٤)]

جِنيـة أوْلهـا جـن يعلمهـا رمـي القلـوب بقـوس مـالهـا وتـر[(٥)]

/ تجلـو بقـادمتـي ورقـاء عـن بَـرَد حمـر المفـاغـر فـي أطـرافهـا أشـر[(٦)]

خَـوْد مبتلَّـة ريـا معـاصمهـا قـدرَ الثيـاب فـلا طـول ولا قصـر

إذا مجـاسـدهـا اغتـالـت فـواضلهـا منهـا روادف فَعْمـات ومـؤتـزر[(٧)]

إن هبـت الـريـح حنـت فـي وشـائحهـا كمـا يجـاذب عـودَ القينـة الـوتـر[(٨)]

بيضـاء تعشـو بهـا الأبصـار إن بـرزت فـي الحـج ليلـة إحـدى عشـرة القمـر[(٩)]

ألا رسـول إذا بـانـت يبلغهـا عنـا وإن لـم تـؤلَّـف بيننـا المِرر[(١٠)]

أنـي ـ بـآيـة وجـد قـد ظفـرتِ بـه منـي ولـم يـك فـي وجـدي بكـم ظفـر

ـ قتيـلُ يـومَ تـلاقَينـا وأن دمـي عنهـا وعمـن أجـارت مـن دمـي هَدَر[(١١)]

تقضيـن فِـيَّ ولا أقضـي عليـك كمـا يقضـي المليـك علـى المملـوك يقتسـر

(١) أمس: كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: أمض. تحريف. والسفر: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: النفر، بتسكينها، وهو الارتحال بعد الحج.

(٢) دينا: كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: تأتي. تحريف.

(٣) وقد: كذا في ف، مب. وفي ج: ومن. وفي سائر الأصول: وما. وفي ف، مب: وما أبقيت من أجل.

(٤) الأخر: الأبعد، يريد من لم يصب بحبها. وفي مب: بشر.

(٥) في «اللسان»: ترمي القلوب.

(٦) المفاغر: جمع مفغر: مشق الفم، يريد الشفتين. والأشر: حدة ورقة في أطراف الأسنان.

(٧) المجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب يلي الجسد. والفعمات: الممتلئات. والمؤتزر: موضع الإزار.

(٨) الوشائح: جمع الوشاح، وهو حلي للنساء ينسج من أديم عريضاً، ويرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها. وفي مب: في تنسمها. وحنت: صوتت.

(٩) ف: تعشوبها... كمثل ليلة إحدى عشرة. يقول: تتطلع إليها الأبصار كما تتطلع أبصار الحاج إلى القمر ليلة إحدى عشرة من ذي الحجة في منى.

(١٠) لم تؤلف: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: تمس يؤلف. تحريف. والمرر: جمع مرة: وهي طاقة الحبل وقوته. يريد وإن لم تربط بيننا أسباب الحب المتينة. وفي سائر النسخ: المزر. تحريف.

(١٠) هذا البيت والذي قبله ساقطان من جميع الأصول ما عدا ف، مب.

[١٥٦/١٤] [١١٩/١٦]

إن كان ذا قَدَراً يعطيك نافلة ... منا ويحرمنا، ما أنصف القدر[1]

ندمه على طلاقه زوجته العدوانية

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

/ كان الخارجيّ قدم البصرة، فتزوّج بها امرأة من عَدْوان، كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة، ثم [١٦/١٢٠] توخم[2] البصرة، فطالبها[3] بأن ترحل معه إلى الحجاز، فقالت: ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع، وأمضيَ معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق، فإما أن أقمتَ ها هنا أو طلقتني. فطلقها وخرج إلى الحجاز، ثم ندم وتذكرها، فقال:

دامت[4] لعينك عَبرة وسُجوم ... وثوت بقلبك زَفرة وهُمومُ

طيف لزينب ما يزال مؤرقي ... بعد الهدوّ فما يكاد يَريم

وإذا تعرض في المنام خيالها ... نكأ الفؤادَ خيالُها المحلوم

أجعلتِ ذنبكِ ذنبه وظلمتِه ... عند التحاكم والمُدِل ظلومُ

ولئن تجنيتِ الذنوب فإنه ... ذو الداء يَعْذِر والصحيح يلوم

ولقد أراكِ غداة بنتِ وعهدُكم ... في الوصل لا حَرج ولا مذموم

أضحت تُحكمكِ التجارب والنهي ... عنه، ويُكلِفه بك التحكيم[4]

صوت[5]

بَرَأ الأُلى علِقوا الحبائل قبله ... فنَجوا وأصبح في الوَثاق يهيم

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني ... عَلَق بقلبي من هواك قديم

ضعفت معاهد حبهن مع الصبا ... ومع الشباب فبِن وهو مقيم[6]

/ يبقى على حدث الزمان وريبه ... وعلى جفائك إنه لكريم [١٦/١٢١]

وجنيتِ[7] حين صَحَحْت وهو بدائه ... شتان ذاك مصحَّحٌ وسقيم

وأَدَيْتِه زمنا فعاذ بحلمه ... إن المحب عن الحبيب حليم[8]

/ وزعمت أنك تبخلين وشفّه ... شوق إليك، وإن بخلت، أليم [١٥٧/١٤]

---

(١) ف، مب: ويعجزنا.

(٢) ف، مب: استوخم. وهما بمعنى، أي لم يوافقه هواؤها.

(٣) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: فطلبها.

(٤) ف، مب: باتت لعينك.

(٥) كلمة صوت في ف، مب بعد البيت الذي تحتها.

(٦) هذا البيت في ف متأخر بعد الذي يليه.

(٧) ف، مب: وعتبت بصيغة المتكلم.

(٨) أديته: يريد ختلته. وهي رواية م. وفي مب: «وأربته ريباً». وفي سائر النسخ: أذيته. والبيت ساقط من ف.

غنى في هذه الأبيات الدارِميّ خفيفَ رمل بالوسطى عن الهشامي؛ وفيه لعَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق، وهو الذي يغني الآن، ويتعارفه الناس.

يرثي أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش السعديّ، قال:

كان الخارجيّ منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وكان يكفيه مؤونته، ويُفضِل عليه، ويعطيه في كل سنة ما يكفيه ويُغنيه، ويغني قومه وعياله، من البُرّ والتمر والكسوة في الشتاء والصيف، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن، وابنه الحسن بن زيد، وكلهم به برّ، وإليه محسن. فمات أبو عبيدة، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل، وكان الخارجي ينزل الروحاء، فقال يرثيه:

ألا أيها الناعي ابن زينب غدوة ... نعيت الندى دارت عليه[1] الدوائر

لعمري لقد أمسى قِرى الضيف عاتما[2] ... بذي الفَرش لما غيبتك المقابر

[١٦/١٢٢] / إذا سوفوا نادَوا صداك ودونه ... صفيح وخَوّار من الترب مائرُ

ينادون من أمسى تَقَطَّعُ دونه ... من البعد أنفاس الصدور الزوافر

فقومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَى ... أباً مثله تسمو إليه المفاخرُ

قال الزبير: فحدّثني سليمان بن عياش، قال:

كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً، ووجدت وجداً عظيماً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل إليها، فيعزيها ويسليها[3] عن أبيها، فدخل إليها معه. فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته:

قومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَيْ ... أبا مثله تسمو إليه المفاخر

وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والدا ... يزين كما زان اليدينِ الأساور

فإن تُعْوِليه يشفِ يوماً عويلُه ... غليلَك أو يعذرك بالنوح عاذر

وتحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي الفرش ليلات تسر قصائر

فلقاه رب يغفر الذنب رحمة ... إذا بُليت يوم الحساب السرائر

إذا ما ابن زاد الركب[4] لم يمسِ ليلة ... قفا صفرٍ لم يقرب الفَرشَ زائر

لقد علم الأقوام أن بناتِه ... صوادقُ إذ يندبنه وقواصر

---

(١) عليه: كذا في ف. وفي سائر الأصول: عليك.

(٢) عاتماً: بطيئاً مؤخراً. وانظر بعض هذه الأبيات في «معجم ما استعجم» للبكري في رسم (ملل).

(٣) ف، مب: ويؤسيها. والأبيات التالية متصلة بسابقتها.

(٤) زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جد أبي عبيدة. وأزواد الركب: لقب ثلاثة من قريش: مسافر بن أبي عمرو، وأبو أمية بن المغيرة، وزمعة هذا، لقبوهم بذلك لأنهم لم يكن يتزود معهم أحد في سفر: يطعمونه ويكفونه الزاد ويغنونه. وصفر: جبل أحمر كريم المغرس بالفرش. والفرش: موضع بين المدينة وملل، يقال له فرش ملل. والبيت ساقط من الأصول ما عدا ف، مب.

/ قال: فقامت هند، فصكت وجهها وعينيها، وصاحت بويلها وحَرَبها، والخارجيّ يبكي معها، حتى لقيا [١٦/١٢٣] جهداً، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دعوتك ويحَك؟ فقال له: أفظننت أني أعزيها عن أبي عبيدة؟ والله ما يسليني عنه أحد؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده[١]!

قوله يذم من مطله ويمدح زيد بن الحسن

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص، فمطله، فقال فيه يذمه، ويمدح زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

لعلك[٢] والموعود حق وفاؤه ... بدا لك في تلك القَلوص بَدَاءُ
فإن الذي ألقى إذا قال قائل ... من الناس: هل أحسستها لعناء[٣]
/ يقول الذي يبدي الشّماتَ وقوله ... عليّ وإشمات العدوّ سواء[٤]
دعوتُ ـ وقد أخلفتني الوعد[٥] ـ دعوة ... بزيد فلم يَضْلِل هناك دعاء
بأبيض مثل البدر عظّم حقه ... رجال مِنَ آل المصطفى ونساء[٦]

158/14

/ فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه بقَلوص من خيار إبله، فقال يمدحه: [١٦/١٢٤]

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلْعة ... نفى جدبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شَتْوة ... إذا أخلفت أنواؤها ورعودها
حمول لأشناق الديات كأنه ... سراج الدجى إذ قارنته سعودها

يبكي سليمان بن الحصين

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: نظر الخارجيّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج، فهتف بهم، فقال:

ألم تروا أن فتىً سيداً ... راح على نعش بني مالك
لا أنفَسُ العيش لمن بعده ... وأنفَس الهُلك على الهالك

وقال فيه أيضاً:

---

(١) ف، مب: ولا لي عزاء عن فقده، فكيف... ليس يسلوه.

(٢) في الأصول ما عدا س، مب: (تعلل) في موضع (لعلك). وفي «الخزانة» و «كتب شواهد النحو»: حق لقاؤه. وفي ف، مب: ذاك القلوص.

(٣) هل أحسستها لعناء: كذا في ف، مب. «وخزانة الأدب» (٤ : ٣٧) نقلاً عن «الأغاني». وفي سائر الأصول: هل للواعدين وفاء.

(٤) رواية الشطر الثاني في ب، س: «عليّ به بين الأنام عناء».

(٥) الوعد: كذا في ف و «الخزانة». وفي سائر النسخ: الوأى. وهو بمعنى الوعد.

(٦) هذا البيت عن ف، مب، و «الخزانة».

ألا أيها الباكي أخاه وإنما تفرّق يوم الفدفد الأخوان[1]

أخي يوم أحجار الثُّمام[2] بكيته ولو حُمّ يومي قبله لبكاني

تداعت به أيامه فاختر منه وأبقين لي شجوا بكل زمان[3]

فليت الذي ينعَى سليمان غُدوة بكى عند قبري مثلها ونعاني[4]

فلو قسمت في الجن والإنس لوعتي عليه بكى من حرّها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فِدية إليه وصرف الدهر ما ألوَاني[5]

[١٢٥/١٦] / **أرجوزة له في المولى الصائد**

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: خرج محمد بن بشير يرمي الأروَى ومعه جماعة، فيهم رجل من الموالي من أهل السَّيَالَة[6]، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها، فزلت قدمه عنها، فصاح حتى سقط على الأرض، وأحدث في ثيابه، فقال الخارجيّ في ذلك:

حُرِّق يا صَفاة في ذُراكِ بالنارِ إن لم تمنعِي أرواكِ[7]

تَعَلَّمِي أن بذي الأراكِ - أيتها الأروى - ذوي عِراكِ[8]

قَوماً أَعَدُّوا شَبَكَ الشُّبّاكِ[9] يبغون ضَبْعاً قتلت أباكِ

نِعْمَ مُلَوِّي الحِيدِ المَدَاكِ[10] إذ صوت الجالب[11] في أحراكِ

ولم يقل منتصحاً: إياكِ بين مقاطيها ركبتِ فاكِ[12]

فَعُدتِ والطعن على كُلاكِ مثل الأضاحي بيد النساكِ

يُرْمَى بالأكتافِ على الأوراكِ كما أطحتِ العبد عن صفاكِ

---

(١) كذا روي الشطر الثاني في ف، مب. وفي سائر النسخ: يبكي بيوم الفدية الأخوان.

(٢) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: اليمام. ويعرف أيضاً: بصخيرات الثمام. وهو موضع على طريق مكة من المدينة.

(٣) ف، مب: مكان.

(٤) ف، مب: دعا عند قبري مثله فنعاني.

(٥) كذا روي الشطر الثاني في ف، مب. وفي سائر الأصول: وقاه صروف الدهر بي وفداني.

(٦) السيالة: كذا في ف، مب. وسيأتي تفسيرها قريباً. وفي بقية الأصول: البادية.

(٧) جاء هذا الرجز محرفاً في الأصول كلها مخطوطة ومطبوعة، كما اضطرب ترتيبه فيها، بحيث غمض معناه، واعتمدنا فيه على مب. وهي أقلها تحريفاً. والذرا: جمع الذروة، وهي أعلى الشيء المرتفع.

(٨) ذوي عراك: كناية عن نفسه وصحبه من أهل الصيد.

(٩) كذا روي البيت في مب. وفي جميع الأصول: قوماً أعدوا نسك النساك. وسقط البيت والذي بعده من ف.

(١٠) البيت عن ف، مب. والحيد: جمع حيدة، كبدرة وبدر، وهي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل. والمداك: الحجر يسحق عليه الطيب. شبه قرن الأروية به.

(١١) الجالب: الصائح ذو الجلبة. وفي بعض الأصول: الحالب. ولعله تحريف.

(١٢) المقاطي: جمع مقطى، وهو موضع القطاة: أي العجز.

أمــا السّيــالــيّ [١] فلــن ينســاكِ   لــو يــرتميــك النــاس مــا رمــاك [٢]

[١٢٦/١٦]

/ يعاتب زوجته

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: كانت عند الخارجيّ بنت عم له، فهجاه بعض قرابتها، فأجابه الخارجيّ، فغضبت زوجته، وقالت: هجوت قرابتي. فقال الخارجيّ في ذلك:

/ أمّا مــا أقــول لهــم فعــابَــتْ   علــيّ وقــد هُجيــت فمــا تعيــب
فــرمــت وقــد بــدا لــي ذاك منهــا   لأهجــوهــا فيمنعنــي النسيــب [٣]
فــلا قلــب يبصّــر كــل ذنــب   ولا راض بغيــر رضــا، غَضُــوبُ [٤]

١٥٩/١٤

أسنت زوجته فتزوّج أخرى

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثني مصعب قال: وحدّثني الزبير عن سليمان بن عياش، قالا:

تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة، وقد أسنّ وأسنت زوجته العَدوانية. فضربت دونه حِجاباً، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها، يلهون ويتغنّين ويضربن بالدفوف، وعرف ذلك محمد فقال:

لئن عــانسٌ قــد شــاب مــا بيــن قَــرْنهــا   إلــى كعبهــا وأبيــضّ [٥] عنهــا شبــابُهــا
صَبَــتْ فــي طِــلاب اللهــو يــومــاً وعَلّقــتْ   حجــابــاً لقــد كــانــت يَسيــراً حجــابُهــا
لقــد مُتّعــت بــالعيــش حتــى تشعّبــتْ [٦]   مــن اللهــو إذ لا ينكــر اللهــوَ بــابُهــا
/ فبِينِــي بــرغــمٍ ثــم ظَلّــي فــربمــا   ثــوى الــرغــم منهــا حيــث يشوِي نقــابهــا [٧]
لبيضــاءَ لــم تُنسَــبْ لجــدٌ يَعيبهــا [٨]   هِجــانٍ ولــم تنبَــخ لئيمــاً كــلابهــا
تــأوّدُ فــي المَمْشــى كــأنّ قنــاعَهــا   علــى ظبيــة أدْمــاءَ طــابَ شبــابهــا
مُهفهفــة الأعطــافِ خَفّــاقــة الحَشَــى   جميــل محيــاهــا قليــلٍ عِتــابهــا

[١٢٧/١٦]

---

(١) السياليّ: يريد المولى الذي سقط، وهو منسوب إلى السيالة، وهي قرية جامعة على الطريق من المدينة إلى مكة، بينها وبين ملل سبعة أميال، وبينها وبين الروحاء التي كان ينزلها الشاعر اثنا عشر ميلاً، وهي لولد الحسن بن علي الذي مدح الشاعر ابنه زيداً.

(٢) رماك: كذا في ف، وفي سائر الأصول: ارتماك.

(٣) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: فيغلبني.

(٤) يبصر: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: أضر بكل ذنب. تحريف.

(٥) أبيض شبابها: يريد أبيض شعرها، وهذه رواية ف. وفي سائر الأصول: امتص.

(٦) في ف: لقد متعت بالعيش حتى تمتعت. . . من العيش. وفي سائر الأصول:

* لئن متعت بالعين حتى تشعبت *

ومعنى تشعبت من اللهو: تغيرت أخلاقها. وربما كانت تشعبت محرفة عن تشغبت بالغين، أو عن تشبعت.

(٧) ثم ظلي: يريد: بيني بذل وابقي به. وفي جميع الأصول: طلي، بالطاء، ولا معنى له هنا.

(٨) ف: يشينها. وقوله لبيضاء، أي لأجل حبي بيضاء.

إذا ما دعتْ بابني نِزار وقارَعتْ ... ذَوِي المجد لم يُرْدد عليها انتسابها[1]

استعطف إبراهيم بن هشام المخزومي فوصله

حدّثنا الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي عن الضحاك بن عثمان، قال:

لما وَلِي إبراهيم بن هشام الحَرَمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ، وكان له قبل ذلك صديقاً. فأعرض عنه، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً. ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد، فأعرض عنه، وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تياهاً، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به:

يابن الهِشامَيْنِ طُرًّا حُزت مجدَهما ... وما تَخَوَّنه نقضٌ وإمرارُ

لا تُشمِتنّ بي الأعداءَ إنهمُ ... بيني وبينك سُمّاع ونُظّار

وإن شكرِيَ إنْ رُدُّوا بغيظهمُ ... في ذمة الله إعلانٌ وإسرار[2]

فاكْرر بنائلك المحمود مِنْ سعة ... عليّ إنك بالمعروف كَرّار

[١٢٨/١٦] / فقال لحاجبه: قل له يرجعْ إليّ إذا عُدْت. فرجع، فأدخله إليه، وقضى دينه، وكساه ووصله، وعاد إلى ما عهده منه.

ردّه على شعر لعروة بن أذينة

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب عن أبيه قال:

عَثَر بعُروة بن أُذَينة حمارُه عند ثنية العُوَيقِل[3]، فقال عروة:

ليتَ العُوَيْقلَ مسدودٌ وأصبحَ من ... فوق الثنيةِ فيه رَدمُ يأجوجِ[4]

فتستريحَ ذوو الحاجات من غِلَظ ... ويَسْلُكَ السهلَ يمشِي كلُّ مَنْتوجِ[5]

فقال محمد بن بشير الخارجيّ يردّ عليه:

سبحانَ ربك تب مما أتيتَ به ... ما يسدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مَرْتوجُ

(١) رواية البيت في ف، مب:

إذا ما دعت يابني نزار ونازعت ... ذرا المجد لم يردد عليها انتسابها

(٢) البيت عن ف، مب.

(٣) العويقل: نقب في موضع يقال له الجياء بين شويلة والحورة، ومن أودية الحورة هذه واد ينزع في الفقارة، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون والخارجيون رهط الشاعر.

(٤) ف: مأجوج. وفي «معجم ما استعجم» للبكري، (رسم الأشعر):

ليت العويقل سدته بجمتها ... ذات الجيساء عليه ردم مأجوج

(٥) المنتوج: المولود. وفي «معجم البكري»:

* ويسلكوا السهل ممشى كل منتوج *

وهــل يُسَــدّ وللحُجّــاج فيــه إذا | مــا أصعــدوا فيــه تكبيــر وتلْجِيــج[١]
/ مـا زال منــذُ أذلّ[٢] اللهُ مَــوطِنَــه | ومنــذ آذَنَ أنّ البيــت مَحْجــوج
تَهـدِي لـه الـوفـدَ وفـدَ الله مَطْـرَبَـة[٣] | كـأنـه شُطَـب بـالقِـدّ منسـوج
/ خـل الطـريـق إليهـا إن زائـرهـا | والسـاكنيـنَ بهـا الشـمُّ الأبـاليـج[٤]
لا يسـدُّد اللهَ نقبـاً كـان يسلكـه الـ | ـبيـض البهـاليـل والعُـوج العَنـاجِيـج[٥]
لـو سـدّه الله يـومـاً ثـم عَـجّ لـه | مـن يسلـك النقبَ أمسـى وهـو مفـروج

١٦٠/١٤ ١٢٩/١٦]

قوله يعاتب أخاه بشاراً

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مصعب، قال: كان للخارجيّ أخ يقال له بَشّار بن بشير، وكان يجالس أعداءه، ويعاشر[٦] من يعلم أنه مُباين له. وفيه يقول:

وإنـي قـد نَصَحْـت فلـم تُصـدِّق | بنصحـي واعتَـددتُ فمـا تبَـالـي[٧]
وإنـي قـد بـدا لـيَ أنّ نُصحـي | لغيـبـكَ واعتـدادي فـي ضـلال
فكـمْ هـذا أذودُك عـن قِطـاعـي | كـتـذويـد المَحـلأة النِّهـال
فـلا تبـغِ الـذنـوب علـيَّ واقصِـدْ | لأمـرِكَ مـن قِطـاع أو وصـال
فسـوف أرى خـلالـكَ مَـنْ تُصـافـي | إذا فـارقتنـي وتـرى خِـلالـي[٨]
وإن جـزاءَ عهـدِك إذ تـولّـى | بـأن أغضِـي وأسكـتَ لا أبـالـي[٩]

/ **قوله في زوجته سعدى**

١٣٠/١٦]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال:

---

(١) في «معجم ما استعجم» للبكري:

وكيـف يـوثقـه سـدا وهـم لهـم | لبيـك لبيـك تكبيـر وتضجيـج

(٢) كذا في ف، مب. وفي «معجم البكري»: أذال.

(٣) المطربة: الطريق الضيق في الجبل، لا يكون إلا به أو بالحرة.

(٤) الأباليج: جمع أبلج، وهو الأبيض النقي الوجه. ورواية البيت في «معجم البكري»:

خلـوا الطـريـق إليـه إن زائـره | والسـاكنيـن بـه الشـم الأبـاليـج

(٥) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد. والعوج: جمع عوجاء، وهي الناقة الضامرة. والعناجيج: جمع عنجوج، وهي النجيبة، أو الطويلة العنق.

(٦) ف: يخالط.

(٧) كذا روي البيت في ف، مب. وفي سائر الأصول:

* واعتذرت فلم يبال *

(٨) الخلال: المخالة والمصادقة. يريد سأرى أصدقاءك الذين ستصافيهم حين نفترق، وسترى أصدقائي. وفي ف: من تصابى.

(٩) يريد أني أكافئك على قطعك عهد الأخوة، بنسياني إياك، وعدم مبالاتي بك. ورواية البيت هذه عن ف، مب. وفي سائر الأصول:

وإنـك تستـريـح إذا تـولـى | بـأن أعصـي وأسكـت لا أبـالـي

كان الخارجيّ معجباً بزوجته سُعدَى، وكانت من أسوأ الناس خُلقاً، وأشدّه على عَشِير[١]، فكان يلقَى منها عَنَتاً. فغاضبها يوماً لقول آذته به، واعتزلها، وانتقل إلى زوجته الأخرى، فأقام عندها ثلاثاً. ثم اشتاق إلى سُعدى، وتذكرها، وبدا له في الرجوع إلى بيتها، فتحوّل إليها، وقال:

أراني إذا غالبتُ بالصبر حُبَّها ... أبى الصبرُ ما ألقى بسُعدَى فأُغلَبُ
وقد علِمَتْ عند التعاتب أننا ... إذا ظَلَمتْنا[٢] أو ظَلَمنا سنُعْتِب
وإنّي وإن لم أجن ذنباً سأبتغي ... رضاها وأعفو ذنبها حين تذنب
وإنّي وإن أنْبتُّ فيها يزيدني ... بها عَجَباً من كان فيها يؤنب

قوله يعاتب أخاه أيضاً

أخبرني عيسى قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا سليمان بن عياش قال: كان بشار بن بشِير أخو محمد بن بشير يعاديه، ويجالس أعداءه[٣]. فقال الخارجيّ فيه:

كفاني الذي ضيَّعتَ مني وإنما ... يُضيعُ الحقوقَ[٤] ظالماً من أضاعَها
صنيعةَ من وَلاّك سوءَ صنيعها ... وولى سواكَ أجرَها واصطناعَها
أبى لك كسبَ الخير رأيٌ مُقَصِّرٌ ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حثَّته على الخير مرةً ... عصاها وإن همت بشر[٥] أطاعها
[١٣١/١٦] / فلولا رجالٌ كاشحون يَسُرُّهم ... أذاكَ، وقُربَى لا أحبُّ انقطاعَها
إذاً بان إن زلّتْ بك النعلُ زَلَّةً ... فِراقُ خِلال لا تُطيق ارتجاعها[٦]
وأنّي متى أُحْمَل على ذاك أطَّلِعَ ... عليك عيوباً لا أحبُّ اطلاعها[٧]
[١٦١/١٤] / فإنْ تك أحلامٌ تردُّ إخاءنا ... علينا فمن هذا يردُّ سماعها
سأنهاك نهياً مُجمِلاً وقصائدا ... نواصح تشفي من شئونٍ صُداعَها[٨]
ومن يجتلب نحوي القصائد يجتلب ... قِراه[٩] ويتبع من يُحِبّ اتباعَها

(١) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: عليه غيرة.
(٢) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: ما ظلمنا.
(٣) كذا في ف. وفي سائر الأصول: ويهجوه.
(٤) ف، مب: يضيع حقوقاً.
(٥) ف: بسوء.
(٦) في ف، مب: إذا بان . . . . . فراق خلال. وترتيبه في غير ف بعد: فلولا رجال . . . الخ.
(٧) اطلع عليك عيوباً: أعلمها. وجاء هذا البيت في ف بعد «فلولا رجال».
(٨) وقصائدا: يريد وأبعث قصائد. والشئون جمع شأن، وهي مواصل عظام الرأس وملتقاها. ورواية الشطر الثاني من البيت في ف:

* نواضح تسقى من شئون ضباعها *

(٩) ف: جزاه.

إذا مـا الفتـى ذو اللـب حلـت قصـائـد ... إليـه فَيُخْـلِ للقـوافـي ربـاعَهـا[١]

قوله يرثي زيد بن حسن

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال:

لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذ بعِضادتي الباب، وقال:

أعينـيّ جـوداً بـالـدمـوع وأسعِـدا ... بنـي رحِـم مـا كـان زيـدٌ يُهينُهـا

/ ولا زيـدَ إلا أن يجـود بعَبـرة ... علـى القبـر شـاكـي نكبـة يستكينهـا[٢] [١٦/١٣٢]

ومـا كنـتَ تلقـى وجـهَ زيـد ببلـدة ... مـن الأرض إلا وجـهُ زيـد يـزينهـا

لعمـر أبـي النـاعـي لعمّـتْ مصيبـةٌ ... علـى النـاس واختصـت قُصَيًّـا رَصينهـا[٣]

وأنّـى لنـا أمثـالُ زيـد وجَـدُّه ... مبلّـغُ آيـات الهـدَى وأمينُهـا[٤]

وكـان حَليفيـه السمـاحـةُ والنّـدى ... فقـد فـارق الـدنيـا نـداهـا ولِينهـا

غـدت غُـدْوةً تـرمـي لُـؤيَّ بـن غـالـب ... يَجْعـد الثّـرى فـوق امـرىء مـا يَشِينهـا

أغـرُّ بِطـاحِـيٌّ بكـت مـن فـراقـه ... عُكـاظُ فبطحـاء الصفـا فحَجـونهـا

فقـل للتـي يعلـو علـى النـاس صـوتُهـا ... الا[٥] لا أعـان الله مَـنْ لا يُعينهـا

وأرملـةٍ تبكـي وقـد شُـقّ جيبُهـا ... عليـه فـآبـت وهـيَ شُعْـث قـرونهـا[٦]

ولـو فقِهـت مـا يفقـه[٧] النـاس أصبحـت ... خـواشـعَ أعـلامُ الفَـلاة وعِينهـا

نعـاه لنـا النـاعـي فظَلنـا كـأننـا ... نـرى الأرضَ فيهـا آيـةٌ حـانَ حِينهـا

وزالـت بنـا أقـدامنـا وتقلبـتْ ... ظهـورُ روابيهـا[٨] بنـا وبطـونهـا

---

(١) رواية الشطر الثاني في ف، مب:

* به فتحلى للقوافي رباعها *

ولعله محرف عما أثبتناه، بتقدير جزمه بلام الأمر المحذوفة. يقول لأخيه:
إذا كانت حالك تتطلب أن أعظك وأذكرك بقصائد زاجرة، فعليك أن تفهم قولي، وتنزل أشعاري منازلها اللائقة بها.

(٢) يستكينها: يخضع لها ويذل. يقول: ذهب زيد فلا يعرف قدره إلا من أصابته نكبة شديدة، فلم يجد من يعينه، فوقف على قبره يبكيه.

(٣) الرصين هنا: المصيبة الثقيلة.

(٤) ف: ومبينها.

(٥) كذا في ف. وفي سائر الأصول: به.

(٦) البيت عن ف، مب.

(٧) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: فهمت. وأعلام الفلاة: جبالها. والعين: جمع عيناء، أي واسعة العين، يريد بقر الوحش.

(٨) ف: روابينا.

وآب ذوو[1] الألبـاب منـا كـأنمـا يـرون شِمـالا فـارقتهـا يمينهـا

سقـى الله سُقْيَـا رحمـةٍ تُـربَ حُفـرة مقيـم علـى زيـدٍ ثـراهـا وطينهـا

قال: فما رُؤي يوم كان أكثر باكياً من يومئذٍ[2].

[١٦/١٣٣] / **قوله في بنت عم له تزوّجها واستخفت به**

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثني العُمَري عن لقيط، قال:

كان محمد بن بشير الخارجيّ من أهل المدينة، وكانت له بنت عم سَرِيّة جميلة، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش، فلم ترضه. فقال لأبيه: زوِّجنيها. فقال له: كيف أزوّجكها وقد ردّ عمك عنها أشرافَ قريش. فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، وقرَّب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوّجه إياها. فغضبت الجارية، وقالت له: خطبني إليك أشرافُ قريش فرددتهم، وزوّجتني هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، وأولى الناس بك. فلما بنى لها جعلت تستخف به وتستخدمه، وتبعثه في غنمها مرة، وإلى نخلها أخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعراً، ثم خلا في بيت يترنم به ويُسْمِعها. وهو:

تثـاقلـتِ أن كُنـتُ ابـنَ عـمّ نكحتِـه فملـتِ وقـد يُشْفَـى ذوو الـرأي بـالعَـذْلِ

[١٦٢/١٤] / فـإنـك إلاّ تتـركـي بعـضَ مـا أرى تُنـازِعْـك أخرى كـالقَـرينـة فـي الحبـلِ

تَلُـزُّك[3] مـا اسطـاعـت إذا كـان قَسْمُهـا كقَسْمِـك حَقّـا فـي التّـلاد وفـي البعْـل

متـى تحمليهـا منـك يـومـا لحـالـة فتتبعْهـا تحمِلْـك منهـا علـى مِثـلِ[4]

قال: فصلَحت، ولم ير منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه.

[١٦/١٣٤] / **صوت**

عـلامَ هَجـرتِ ولـم تُهْجَـرِي ومثلُـكِ فـي الهجـر لـم يُعـذَرِ

قطعـتِ حبـالَـكِ مـن شـادنٍ أغـنَّ قَطـوفِ الخُطـا أحْـورِ[5]

الشعر لسُدَيف مولى بني هاشم: والغناء لأبي العُبَيس[6] بن حمدون. خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى.

---

(١) ف، مب: أولو.

(٢) جاءت هذه العبارة بصور مختلفة في الأصول، فرتبناها على هذه الصورة، لأنها أوضح.

(٣) تلزك: تلتصق بك وتضايقك.

(٤) ف، مب: يوماً.

(٥) ف، مب: أغر.

(٦) كذا في «معجم الأدباء» لياقوت. وفي ف: لأبي العباس. وفي سائر النسخ: لأبي العنبس، والصواب ما أثبتناه.

/ ذكر سَدَيف وأخباره[١] [١٦/١٣٥]

اسمه ونسبه وولاؤه لبني هاشم

هو سُديف بن ميمون مولىً خزاعة. وكان سبب ادعائه ولاء بني هاشم أنه تزوّج مَوْلاه لآل أبي لَهَب، فادعى ولاءهم، ودخل في جملة مَواليهم على الأيام. وقيل: بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللَّهَبيين، فولدت منه سُدَيفاً. فلما يَفَع، وقال الشعر، وعُرف بالبيان وحسن العارضة، ادّعى الولاء في موالي أبيه، فغلبوا عليه.

حجازي متعصب لبني هاشم

وسُديف شاعر مُقِلّ، من شعراء الحِجاز، ومن مخضرمي الدولتين، وكان شديد التعصّب لبني هاشم، مظهراً لذلك في أيام بني أمية. فكان يخرج إلى أحجار صفاً في ظهر مكة، يقال لها صُفِيّ السِّباب، ويخرج مولى لبني أمية معه يقال له سَبّاب[٢]، فيتسابان ويتشاتمان، ويذكران المثالب والمعايب. ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا. فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجِراح والشِّجاج، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم، ويعاقِب الجناة. فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسِّفلة. فكانوا صنفين، يقال[٣] لهما السُّدَيفية والسَّبّابية، طول أيام بني أمية. ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم، وصارت العصبية بمكة في الحناطين والحرّارين[٤].

بينه وبين أبي جعفر المنصور وقد سمع قصيدة له

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل[٥] العَتَكي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني فُلَيح بن إسماعيل قال:

/ قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن[٦]، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن. فلما أتى على هذا البيت: [١٦/١٣٦]

يا سوءَتا للقوم لا كَفُّوا ولا إذ حاربوا كانوا من الأحرار

فقال له المنصور: أتحضهم[٧] عليّ يا سُديف؟ فقال: لا، ولكني أؤنبهم يا أمير المؤمنين.

---

(١) ف: أخبار سديف.

(٢) ف، مب: سبب.

(٣) ف، مب: السيلبية.

(٤) ف: الحرارين، صناع الحرير.

(٥) ف: بن ممثل.

(٦) زادت ف، مب هنا كلمة: ومخرجهم.

(٧) ف، مب: أتحرضهم.

إنكار بعض بني عبد الدار انتسابه إلى قريش

وذكر ابن المعتز أن العَوْفيّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحيّ قال:

سلّم سُديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار. فقال له العبدريّ: من أنت يا هذا؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سُدَيف بن ميمون. فقال له: والله ما في قومي سُدَيف ولا ميمون. قال: صدقت، لا والله ما كان قطُّ فيهم ميمون ولا مبارك.

١٦٣/١٤

/ صوت

لعمـــرُك إنـنـــي لأحـــب دارا ... تكـون بهـا سُكينـة والـرَّبـابُ

أحبهمــا وأبــذل جُــلَّ مــالــي ... وليـس لعـاتـب عنـدي عتـاب

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام. والغناء لابن سريج: رَمَل بالبنصر. وفيه للهذلي ثقيل أول بالسبابة، في مجرى الوسطى، عن إسحاق.



/ أخبار الحسين بن علي ونسبه[١] [١٣٧/١٦]

اسم الحسين ونسبه

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وقد تكرر[٢] هذا النسب في عدّة مواضعَ من هذا الكتاب. واسم أبي طالب: عبد مناف، واسم عبد المطلب: شَيْبة، واسم هاشم: عمرو. وأم عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وكانت أول هاشمية تزوّجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب. وأم الحسين بن عليّ بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وأمها خديجة بنت خُويلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ. وكانت خديجة تُكْنى أم هند، وكانت فاطمة تكنى أم أبيها[٣]، ذكر ذلك قعْنب بن مُحرز، قال: حدّثنا أبو نَعيم، عن حسين[٤] بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه. وكان عليّ بن أبي طالب سمى الحسن حرباً، فسماه رسول الله ﷺ الحسن[٥]. ثم ولد له الحسين فسماه حرباً[٥]، فسماه رسول الله ﷺ الحسين.

/ حدّثني بذلك أحمد بن الجعد، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدّثنا يحيى بن عيسى قال: [١٣٨/١٦] حدّثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد[٦] قال: قال عليّ بن أبي طالب.

كنت رجلاً أحب الحرب، فلما وَلد الحسن هممت أنْ أسميه حرباً، فسماه رسول الله ﷺ الحسن، فلما[٧] ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً، فسماه رسول الله ﷺ الحسين[٧]. ثم قال سميتهما باسمي ابني[٨] هارون: شَبَّر وشُبير[٨].

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدّثنا محمد[٩] بن يحيى الأحول قال: حدّثنا خلاد المقرىء قال: حدّثنا[٩] قيس بن الربيع بن أبي حُصَين، عن يحيى بن وَثّاب، عن ابن عمر، قال:

كان على الحسن والحسين تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام.

---

(١) كذا في مب. وفي ف: أخبار الحسين بن عليّ عليهما السلام. وفي بقية الأصول: ذكر الحسين ونسبه.

(٢) ف، مب: ذكرت.

(٣) كذا وردت العبارة في مب. وفي ف: وكانت خديجة تكنى أم هند، وكانت فاطمة أم أبيها. وفي سائر الأصول: وكانت خديجة أم هند تكنى أم أبيها. والصواب ما أثبتناه، لأن السيدة خديجة كان لها ابن أسمه هند، من زوجها أبي هالة، وكانت تكنى به.

(٤) ف، مب: الحسن.

(٥ ـ ٥) العبارة عن ف وحدها.

(٦) كذا في ف، مب «وخلاصة تهذيب الكمال» للخزرجي. وفي سائر الأصول: أبي الحمد.

(٧ ـ ٧) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول في موضعها: وكذلك الحسين.

(٨ ـ ٨) العبارة عن ف، مب. والضبط كما في «اللسان».

(٩ ـ ٩) العبارة عن ف، مب. وفي مب أحمد بن يحيى الأحول.

شعر الحسين في امرأته الرباب

وهذا الشعر يقوله الحسين بن عليّ في امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وبَرَة بن تغلب[1] [ابن حُلوان] بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ[2] بن حصين بن كعب بن عُلَيم بن كلب؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين. واسم سُكينة: أميمة، وقيل أمينة، وقيل آمنة، وسُكينة لقب لقبت به.

[١٦/١٣٩] / قال مصعب فيما أخبرني به الطُّوسي عن زُبير عنه:

اسمها آمنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أبو نعيم، عن عمَر بن ثابت، عن مالك بن أعْين، قال:

سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسنُ أبي في أمي، فقال:

لعمـــركَ إنّنـــي لأحـــبُّ دارا ... تكـون[3] بهـا سُكينـة والـرَّبـاب

أحبهمـا وأبـذل جُـلّ مـالـي ... وليـس لعـاتـب عنـدي عتـاب

الخلاف في اسم سكينة

١٦٤/١٤ / حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ[4] قال: حدّثنا الخليل بن أسد قال: حدّثنا العُمَريّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه، قال:

قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن: ما اسم سكينة بنت الحسين؟ فقلت: سكينة. فقال: لا. اسمها آمنة[5].

وروي أن رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة. فقال: أمينة[6]، فقال له: إن ابن الكلبي يقول أميمة. فقال: سل ابن الكلبي عن أمه؟ وسلني عن أمي. وقال المدائني: حدّثني أبو إسحاق المالكي قال: سكينة لقب، واسمها آمنة. وهذا هو الصحيح.

أسلم أبو الرباب على يد عمر

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد[7]، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدّثنا شيخ من قريش، قال: حدّثنا أبو حُذافة[8] أو غيره، قال:

---

(١) كذا في الأصول وكتب «الأنساب». وفي مب: ثعلبة.
(٢) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: مروان.
(٣) ف: تحل. هنا وفيما تقدم.
(٤) ف: النهدي.
(٥) ف، مب: لا، أميمة.
(٦) ف: آمنة.
(٧) ف، مب: سعد.
(٨) ف: ابن حذافة.

أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما صلى لله صلاة[1] حتى ولاه عمر، وما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرباب / على ابنه الحسين، فزوّجه إياها. فولدت[2] له عبد الله [١٦/١٤٠] وسكينة ولَدَي الحسين عليهما السلام. وفي سكينة وأمها يقول:

لعمـــرُك إنّنـــي لأحـــب دارا تحـل بهـا سُكينـة والـرَّبـاب

وذكر البيت الآخر، وزاد على البيتين[3]:

فَلَسْتُ لهـم وإن غـابـوا مُضِيعـا[4] حيـاتـــي أو يغيّبنـــي التـــرابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي[5] عبد الرحمن الغَلاّبيّ، وهو أتم. قال:

حدّثنا عليّ بن صالح، عن عليّ بن مجاهد، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبيّ، قال: أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال: حدّثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زَبّان بن سَيّار الفزاريّ؛ قال حدّثني عوف بن خارجة المُرّيّ، قال:

والله إني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج أجلَى أمعَر[6]، يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدي عمر. فحياة بتحية الخلافة، فقال له عمر: فمن أنت؟ قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ. قال: فلم يعرفه عمر[7]. فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فَلْج. قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه / عمر رضي الله عنه، فقبله. ثم دعا [١٦/١٤١] له برُمْح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة. فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه. قال عوف: فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصَلِّ لله ركعة قط أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله.

ونهض عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه، فأخذ بثيابه. فقال له: يا عم، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهْره، وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته، وقد رغبنا في صِهْرك فأنكحنا. فقال: قد أنكحتك يا عليّ المُحياة بنت امرىء القيس، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرىء القيس، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرىء القيس.

وقال هشام بن الكَلْبي: كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهن. فخُطبت بعد قتل الحسين عليه السلام، فقالت: ما كنت لأتخذ حَماً بعد رسول الله ﷺ.

قال المدائني: حدّثني أبو إسحاق المالكي، قال:

---

(١) ف: ركعة.

(٢) ف، مب: فأولدها.

(٣) في الأصول: وذكر البيتين وزاد فيهما.

(٤) ف، مب: ولست لهم وإن عابوا مطيعا.

(٥) ف، مب: ابن.

(٦) الأفحج: الذي تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه إذا مشى. والأجلى: الذي انحسر مقدم شعره. وفي ف، مب: أجلح، وهو بمعناه. والأمعر: الذي سقط شعره.

(٧) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: فعرفه عمر.

اسمها شعار لها

قيل لسكينة واسمها آمنة، وسكينة لقب: أختك فاطمة ناسكة[١] وأنت تمزحين كثيراً؟ فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة - تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ - وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام. ١٦٥/١٤ / تعني آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ.

[١٤٢/١٦] / **قول الرباب ترثي زوجها الحسين**

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكناني[٢]، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن محمد بن الحكم، عن عَوانة، قال:

رثت الرَّباب بنت امرىء القيس أم سكينة بنت الحسين، زوجَها الحسينَ عليه السلام حين قتل، فقالت:

إنّ الـذي كـان نـوراً يُستضـاء بـه ... بكَـربـلاءَ قتيـلٌ غيـر مـدفـونِ

سِبْـطَ النبـيّ جَـزَاكَ الله صـالحـةً ... عنـا، وجُنِّبْـتَ خُسـران المـوازيـنِ

قـد كنـت لـي جَبَـلاً صعْبـاً ألـوذ بـه ... وكنـت تصحبنـا بـالـرُّحـم والـدِّيـن

مـن لليتـامَـى ومـن للسـائليـنَ ومَـن ... يُغْنِـي ويَـأوِي إليـه كـلُّ مسكيـن

والله لا أبتغـي صهـراً بصهـركُـم ... حتـى أغيَّـبَ بيـن الـرمـل والطيـن

أخبرني الطوسي قال: حدثني الزبير عن عمه قال: أخبرني إسماعيل بن بكار قال: حدّثني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوي[٣]، عن الزبير عن عمه، قال: وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى، قالا:

كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين عليهم السلام: يابن أخي، قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله، فخيره في ابنتيه فاطمة وسُكينة. فاختار فاطمة، فزوّجه إياها. وكان يقال: إن امرأة تُختار[٤] على سُكينة لمنقطعة القرين في الحسن. وقال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيره، فاستحيا، فقال له: قد اخترت لك فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله، ﷺ.

[١٤٣/١٦] / **بين سكينة وبنت لعثمان**

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثني يحيى بن الحسن العلويّ قال: كتب إليّ عَبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي يحيى بن سُليمان بن الحسين العلويّ قال:

كانت سُكَينة في مَأتَم فيه بنت لعثمان، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد. فسكتت سكينة. فلما قال المؤذن. أشهد أن محمداً رسول الله، قالت سكينة: هذا أبي أو أبوكِ؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

(١) أختك فاطمة ناسكة: كذا في مب. وفي ف: باسلة. وهي العابسة، وفي سائر الأصول: أمك فاطمة يا سكينة. تحريف.

(٢) ف، مب: الكراني.

(٣) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: الحسن الغنوي.

(٤) ف، مب: مرذولها سكينة.

أخبرني أحمد بن محمد قال: حدّثنا يحيى قال: حدّثنا مروان بن موسى القروي قال: حدّثنا بعض أصحابنا قال:

سكينة تشتم من يشتم علياً

كانت سُكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم، إذا صعد المنبر، فإذا شتم علياً، شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريَها.

كانت سكينة عفيفة برزة

أخبرني الطوسيّ عن الزُّبَير عن عمه مصعب، قال:

كانت سكينة عفيفة سَلِمَة[1] بَرْزَة من النساء، تجالس الأجلّة[2] من قريش، وتجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة.

سكينة تصف نفسها

أخبرني الطوسيّ قال: حدّثنا الزّبير عن عمه قال: حدّثني معاوية بن بكر، قال:

قالت سكينة: أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدة.

/ كانت سكينة تحسن تصفيف شعرها

[١٦/١٤٤]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن موسى، عن أبي أيو المديني، عن مصعب، قال:

كانت سُكينة أحسن الناس شَعراً؛ فكانت تُصَفِّف جُمَّتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه، حتى عُرف ذلك. فكانت تلك الجُمة تسمى السُّكَينية. وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صَفَّف جُمته السُّكينيةَ جلده وحلقه.

أهدت إلى بعض أخوالها غالية

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي / شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحِميريّ، قال: ١٦٦/١٤

بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغالية، لأنه كان من أخوالها. فلما وصلت إليه قال: فأين كانت ـ حبيشَ بن دلجة ـ عن الصَّيّاح[3]؟ يقدِّر أن الصَّيّاح أرفع من الغالية.

مثال من مزاح سكينة

قال محمد بن سلام.

كانت سكينة مَزَّاحة، فلسعتها دَبْرة فولولت. فقالت لها أمها: مالك يا سيدتي وجزعت؟ فقالت[4]: لَسَعتني دُبَيْرة، مثل الأُبَيْرة، فأوجعتني قُطَيْرة[5].

---

(١) سلمة: مسالمة. وفي ف، مب: مسلمة.

(٢) الشيوخ المسنين. وفي ف، مب: الأجلاء.

(٣) الصياح ككتان: عطر أو غسل من الخلوق ونحوه

(٤) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: فضحكت وقالت.

(٥) قطيرة: أي إيجاعاً يسيراً لا شديداً. وفي «اللسان» و «التاج»: (دبر): وفي حديث سكينة بنت الحسين: «جاءت إلى أمها وهي صغيرة =

وقال هارون بن أبي عبيد الله، حدّثني ضمرة بن ضمرة، قال:

أجلَستْ سكينة شيخاً فارسياً على سَلّة بيض، وبعثت إلى سليمان بن يسار، كأنها تريد أن تسأله عن شيء. فجاءها إكراماً لها، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السَّلَّة فيها البيض. فولّى يُسبِّح.

[١٤٥/١٦] / قال: وبعثت سُكينة إلى صاحب الشُّرْطة بالمدينة: أنه دخل علينا شاميّ، فابعث إلينا بالشُّرَط. فركب ومعه[1] الشرط. فلما أتى إلى الباب، أمرت ففتح له، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثاً. فقال: ما هذا؟ قالت: هذا الشاميّ الذي شكوناه. فانصرفوا يضحكون.

مثال من طمع ابن أشعب

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدّثنا أحمد بن القاسم قال: حدّثنا أبو هَفّان قال: حدّثنا سيف[2] بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي قال: حدّثني إبراهيم بن المهدي:

أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صُحبة دُبَيْة والغاضريّ وعُبيدة بن [. . .][3] وحكم والوادي. فوهبهم له، فأشخصهم معه.

قال: فكان فيما حدثني به عبيدة قال: قال إبراهيم:

ركبت حمارة وهو عَديلي، ونمت على ظهرها. فلما بلغنا ثنية العُقاب، اشتد عليّ البرد، فاحتجت إلى الزيادة من الدِّثار. فدعوت بدُوَّاجِ سَمُّور، فألقيته على ظهري، ودعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة، وكانوا حولي. فقلت لابن أشعب: حدّثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك. فقال: أعجب من طمع أبي طمع ابنه. فقلت: وما بلغ من طمعك؟ فقال: دعوت آنفاً لما اشتد عليك البرد بدُوّاج سَمُّور، لتستدفىء به، فلم أشكَّ أنك دعوتَ به لتجعله عليّ. فغلبني الضحك، وخلعت عليه الدُّواج. ثم قلت له: ما أحسب لك قَرابة بالمدينة. فقال: اللهم غَفرا، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات. قلت: أيكونون عشرة؟ قال: وما عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: اللهم غفرا، [١٤٦/١٦] لا تذكر العشراتِ ولا المئين، / وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها. قلت: ويحَك! ليس بينك وبين أشعب أحد، فكيف يكون هذا؟ فقال:

إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوّج سُكينة بنت الحسين. فخف أبي على قلبها، فأحسنت إليه، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه. فمال إليها بكليته.

قال: وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فاستأذن زيد بن عمرو سُكَينة، وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة، وأنه لا يمكنه التخلّف عن الحج معه. وكانت لزيد ضيعة يقال له العَرْج، وكان له فيها جَوارٍ. فأعلمتْه أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعبُ معه، فيكون عَيناً لها عليه، وما نعا له من العدول إلى العَرْج، ومن اتخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته. فقنع بذلك، وأخرجَ أشعب معه. وكان له فرس كثير الأوضاح، حسن المنظر، يصونه عن

= تبكي، فقالت لها: مالك؟ فقالت: مرت بي دبيرة، فلسعتني بأبيرة. وهي تصغير الدبرة: النحلة. ولم يذكرا الفقرة الثالثة: «فأوجعتني قطيرة». وفي «التاج»: القطرة بالضم: الشيء التافه اليسير الخسيس. تقول: أعطني منه قطرة وقطيرة. والأخيرة: تصغير قطرة.

(١) كذا في مب. وفي سائر الأصول: فركب معه.

(٢) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: يوسف.

(٣) غير واضح في الأصل.

الركوب إلا في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة؛ وله سرج يصونه، لا يركب به غير ذلك الفرس. وكان معه طيب لا يتطيب به إلا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه؛ وحُلّة مَوْشية يصونها عن اللُّبس إلا في يوم يريد التجمّل / فيه بها. ١٦٧/١٤ فحج مع سليمان، وكانت له عنده حوائج كثير، فقضاها ووصله، وأجزل صلته. وانصرف سليمان من حَجّه، ولم يسلك طريق المدينة. وانصرف بن عثمان يريد المدينة، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة. ودعا أشعب، فأحضره وصَرَّ صُرّة فيها أربعمائة دينار، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال؛ وأنه إن أذن له في المسير إليها، والمبيت بها عند جواريه، غَلّس إليه، فوافى وقتَ ارتحال الناس، ووهب له أربعمائة الدينار. فقبل يده ورجله، وأذن له في السير إلى حيث أحب، وحلف له أنه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجَة، أنه ما سار إلى العَرْج، ولا اتخذ جارية منذ فارق سُكَينة إلى أن رجع إليها. فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى.

/ قال أبو إسحاق: قال ابن أشعب: حدّثني أبي أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي [١٦/١٤٧] كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قِربتان. فألقتا القربتين، وألقتا ثيابهما عنهما، ورمتا بأنفسهما في الغدير، وعامتا فيه، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبه واستحسنه. فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما. فأعلمتاه أنهما من إماء نسوة خُلُوف، لبني عامر بن صعصعة، هن بالقرب من ذلك الغدير. فسألهما: هل سبيل إلى مولياتهما، لمحادثة شيخ حسن الخلق، طيب العشرة، كثير النوادر؟ فقالتا: وأنى لهن بمن هذه صفته؟ فقال لهما: أنا ذاك. فقالتا: انطلق معنا. فوثب إلى فرس زيد، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه، ودعا بحلته التي كان يضن بها فلبسها، وأحضر السَّفَط الذي كان فيه طيبه، فتطيب منه، وركب الفرس، ومضى معهما حتى وافى الحيّ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر. فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ، وقد انصرفوا غانمين من غزاتهم، وأقبلت تمر به الرِّعلة بعد الرِّعلة، فيقفون به فيقولون: ممن الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقول كل من اجتاز به: ما نرى به بأساً. وينصرفون عنه. إلى قرب غروب الشمس، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز، فسأله مثلما يسألون عنه، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه، فقال مثل قولهم.

قال ابن أشعب: قال أبي: ثم رأيت الشيخ قد وقف بعد قوله، فأوجست منه خيفة، لأني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه، فرفعهما، ثم استدار ليرى وجهي. فركبت الفرس، فما استويت عليه حتى سمعته يقول: أقسم بالله ما هذا قرشيّ، وما هذا إلا وجه عبد. فركضت وركض خلفي، فرأى حِجْره / مقصرة[١]. فلما يئس من [١٦/١٤٨] اللحاق بي، انتزع سهماً فرماني به، فوقع في مؤخرة السرج، فكسرها. ودخلتني من صوته روعة[٢] أحدثت لها في الحلة. ووافيت رحل مولاي، فغسلت الحُلّة ونشرتها، فلم تجف ليلاً. وغلّس مولاي من العَرْج، فوافاني في وقت الرحيل، فرأى الحلة منشورة، ومؤخرة السرج مكسورة، والفرس قد أضر بها الركض، وسَفَط الطيب مكسور الختم[٣]. فسألني عن السبب، فصَدَقْتُه. فقال لي: ويحك! أما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبتَ في نسبي، فجعلتني[٤] عند أشراف قومي من العرب جَمّاشا[٤]، وسكتَ عني، فلم يقل لي: أحسنت ولا أسأت حتى وافينا

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: فركضت فرسي وهو يقول: من أنت؟ واتبعني.
(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: ودخلتني روعة من ضربته أحدثت لها.
(٣) كذا في ف. وفي الأصول: مفضوض الخاتم. وفي مب: مكسوراً مفضوض الخاتم.
(٤ ـ ٤) العبارة عن ف، مب. والجماش: الذي يغازل النساء ويلاعبهن.

المدينة، فلما وافاها سألته سُكينة عن خبره. فقال لها: يا بنت رسول الله، وما سؤالك إياي ولم يزل ثقتك[1] معي، وهو أمين عليّ، فسليه عن خبري يصدقك عنه. فسألتني، فأخبرتها/ أني لم أنكر عليه شيئاً، ولم أمكنه من ابتياع جارية، ولم أطلق له الاجتياز بالعَرْج. فاستحلفتني على ذلك، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمّك، وثب فوقف بين يديها، وقال: أي ابنة عم، ويا بنت رسول الله، كذبك والله العِلج، ولقد[2] أخذ مني أربعمائة دينار، على أن أذن لي في المصير إلى العرج[2]؛ فأقمت بها يوماً وليلة، وغسلت بها عدّة من جواريّ، وها أنا ذا تائب إلى الله مما كان مني، وقد جعلت توبتي هبتهن لك، وتقدّمت في حملهنّ إليك، وهن موافيات المدينة في عشية اليوم، فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه، وأنت أعلم بما تَرين في العبد السّوء. فأمرتني / بإحضار أربعمائة دينار، فأحضرتها. فأمرتْ بابتياع خَشَب بثلثمائة دينار، وأمرت بنشره، وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه. ثم أمرتْ بأن يتخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية. ثم أمرت بابتياع بيض وتِبن وسِرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجارين. ثم أدخلتني البيت، وفيه البيض والتبن والسِّرْجين، وحلفت بحق جدّها ألا أخرُج من ذلك البيت حتى أحضُن ذلك البيض كله إلى أن يُفقَس، ففعلت ذلك، ولم أزل أحضُنه حتى فُقِس كله. فخرج منه الألوف من الفراريج، وربيت في دار سكينة، فكانت تنسبهنّ إليّ، وتقول: بنات أشعب.

قال أبو إسحاق. قال لي: وبقي ذلك النسلُ في أيدي الناس إلى الآن، فكلهم إخواني وأهلي. قال: فضحكت والله حتى غُلِبت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم، فحملت بحضرتي إليه.

الخلاف في أزواج سكينة

أخبرني الطوسيّ[3] والحَرَميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي مصعب قال:

تزوّجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج، أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ، وهو ابن عمها وأبو عُذْرتها، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن عثمان الحِزامي، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، ولم يدخل بها، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولم يدخل بها.

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوي: إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر، وأمه بنت السَّليل بن عبد الله البَجَلي، أخي جرير بن عبد الله، قال: / ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوّجه إياها أخوها علي بن الحسين، ومهرها مصعب ألفَ ألفِ درهم.

قال مصعب: وحدّثني مصعب بن عثمان: أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه، فأعطاه أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينة:

دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القَرّة.

قال: فولدت من مصعب بنتاً، فقال لها: سميها زهراء[4]. قالت: بل أسميها باسم إحدى أمهاتي وسمتها

(١) ف: عينك.

(٢ ـ ٢) عن ف، مب.

(٣) كذا في ف. وفي الأصول: أخبرني الفارسيّ.

(٤) كذا في ف. وفي الأصول: ربربا. وفي كتاب «المردفات من قريش» للمدائني (ص ٦٤): زبراء.

الرباب[١]. فلما قتل مصعب ولَي أخوه عُروة تركته، فزوّجها يعني الرَّباب بنت مصعَب ابنه عثمان بن عُروة، فماتت وهي صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار.

قال الزبير: فحدّثني محمد بن سلاّم عن شعيب بن صخر[٢]، عن أمه سعدة[٣] بنت عبد الله بن سالم، قالت:

لقيتُ سكينة بين مكة ومِنى، فقالت: قفي لي يابنة عبد الله، فوقفت. فكشفت عن بنتها من مصعب، فإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ، فقالت: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه.

قال الزبير: وحدّثني عمي عن الماجشون[٤]، قال:

/ اختصام سكينة وعائشة بنت طلحة إلى عمر بن أبي ربيعة [١٦/١٥١]

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك. وقالت عائشة: / بل أنا. فاختصمنا إلى عمر بن أبي ربيعة، فقال لأقضين بينكما؛ أما أنت يا سُكَينة فأملَح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها. فقالت سكينة: قضيتَ لي والله. وكانت سكينة تسمّي عائشة ذات الأذنين، وكانت عظيمة الأذنين. (١٦٩/١٤)

خطب عبد الملك سكينة فلم ترض أمها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني أحمد بن زهير[٥] قال: حدّثنا المدائني، قال:

خطب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان. فقالت أمها: لا والله لا يتزوّجها أبداً وقد قتل ابن أخي[٦]، تعني مصعباً.

وأما محمد بن سلام الجمحيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه:

أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن عليّ. ثم خلف عليها العثماني، ثم مصعب بن الزبير، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان. فقال فيه بعض المدنيين[٧]:

نكَحَتْ سُكينة بالحساب ثلاثةً ... فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

قال: وكان يتولى مصر، فكتبت إليه: إن أرض مصر وخمة. فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصبغ. وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إياها، فنفِس بها عليه. فكتب إليه. اختر مصر أو سُكَينة: فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها، ومتّعها بعشرين ألفَ دينار. ومروا بها في طريقها على منزل، فقالت: ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: جوف الحِمار. قالت: ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً.

/ وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرياشيّ عن شعيب بن صخر أن الحزاميّ عبد الله بن عثمان [١٦/١٥٢]

---

(١) كذا في الأصول. وفي كتاب «المردفات» (ص ٦٥) خديجة أو فاطمة.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: سعد بن صخر.

(٣) كذا في ف. وفي الأصول: سيدة.

(٤) كذا في مب. وفي بقية الأصول: ابن الماجشون.

(٥) كذا في ف. وفي الأصول: الحارث.

(٦) مب: ابن أختي.

(٧) كذا في ف؛ مب. وفي الأصول: المبغضين. والقائل هو أيمن بن خريم («المردفات» ص ٦٦).

خلف الأصبغ عليها، وولدت منه بنتاً. وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتها بنتها من الحزاميّ، وقد أثقلتها باللؤلؤ، وهي في قُبّة، فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أنها تفضح الحليّ بحسنها، لأنها أحسن منه.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن صالح بن حسّان وغيره:

أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوّجها مصعَب بن الزبير. فلما قتل مصعب، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه: أبلغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها؟ فأمسك عن ذلك.

بنانة تحب أن ترى جلبة في بيت مولاتها سكينة

قال: ثم تنفّست يوماً بُنَانة جارية سكينة وتنهدت، حتى كادت أضلاعها تتحطم. فقالت لها سكينة: مالكِ ويْلَكِ! قالت: أحب أن أرى في الدار جَلَبَة. تعني العُرْس. فدعت مولى لها تثق به، فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فقل له: إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه؛ أنت من أخوال رسول الله ﷺ، فأحضِر بيتك. قال: فجمع عِدّة من بني زُهرة، وأفناء قريش من بني جُمَحَ وغيرهم، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين. ثم أرسل إلى علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وغيرهم من بني هاشم. فلما أتاهم الخبر اجتمعوا، [١٦/١٥٣] وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. / فتنادَى بنو هاشم واجتمعوا، وقالوا: لا يخرجَنّ أحد منك إلا ومعه عصا. فجاءوا وما بقي إلا الكلام. فقال: اضربوا بالعصيّ. فاضطربوا هم وبنو زُهْرة، حتى تشاجُوا، فشُجَّ بينهم يومئذٍ أكثر من مائة إنسان. ثم قالت / بنو هاشم: أين هذه؟ قالوا: في هذا البيت. فدخلوا إليها، فقالوا: أبلغ هذا من صنعك؟ ثم جاءوا بكساء طاروقيّ[١]، فبسطوه ثم حملوها، وأخذوا بجوانبه ـ أو قال: بزواياه الأربع ـ فالتفتت إلى بُنانة فقالت: يا بُنانة، أرأيت في الدار جَلَبَة؟ قالت: إي والله إلا أنها شديدة.

وقال هارون بن الزيات: أخبرني أبو حذيفة عن مصعب، قال:

كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن عليّ، قتل عنها ولم تلد له. وخلف عليها مصعَب، فولدت له جارية[٢]. ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فنشزت عليه، فطلقها. ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً. فقال الشاعر:

نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة ... فإذا دخلت بها فأنت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه ... خاب البقيعُ وخاب فيه الزارع

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، وقال: أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا! فطلِّقها. فطلقها فخلف عليها العثماني، وشرطت عليه ألاّ يطلقها[٣]، ولا يمنعها شيئاً تريده، وأن يقيمها حيث خَلّتها أم منظور، ولا يخالفها في

---

(١) طاروقي: كذا في جميع الأصول، ولم نعثر على شرحه في «المعاجم» اللغوية.

(٢) ف، مب: كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن علي، وخلف عليها مصعب بن الزبير، قتل عنها ولم تلد له.

(٣) ف: مب: ألا يغيرها، أي يجعلها تغار، باتخاذ الإماء ونحو ذلك.

أمر تريده. فكانت تقول له: يابن عثمان اخرج بنا إلى مكة. فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين، / قالت: ارجع [١٦/ ١٥٤] بنا إلى المدينة. فإذا رجع يومه ذاك، قالت: اخرج بنا إلى مكة. فقال له سليمان بن عبد الملك: أعلَمُ أنك قد شرطت لها شروطاً لم تف بها، فطلقها. فطلقها. فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل. فبعث إليها يخيرها. فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه، فقال لها: جُعلت فداءَك، قد خيرتك فاختاريني. فقالت[(١)]: قلت ماذا بأبي، تهزأ به. فعرف ذلك[(١)]، فانصرف. وخيروها، فقالت: لا أريده.

قال: وماتت فصلى عليها شَيبة بن نِصاح[(٢)].

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهريّ، عن عَمر بن شبة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، عنه:

أن أوّل أزواجها الأصبغ، ومات ولم يرها، ثم زيد بن عمرو العثماني، قال: وولدت له ابنة عثمان الذي يقال له قرين، ثم الحِزامي، ثم خلف عليها مصعب، فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها.

قال عمر بن شبة: وحدّثني محمد بن يحيى قال:

تزوّج مصعب سكينة وهو يومئذ بالبصرة، عامل لأخيه عبد الله بن الزبير، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السّلاَّس، وهو الذي جاء بنعيه، فقال ابن قيس فيه:

قد أتانا بما كرهنا أبو السلاّ ... س كانت بنفسه الأوجاع

/ وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه. وهذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب، [١٦/ ١٥٥] وإنما هي مع ابن جعفر.

قال محمد بن يحيى: ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف، كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... من ناصح لك لا يريد خِداعا

بُضْع الفتاة بألف ألف كاملٍ ... وتبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي ... وأبث ما أبثتكم لارتاعا

قال: وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتاباً إلا جاء به، فلما أتاه بهذا الكتاب قال: / صدق والله، لو يقول [١٧١/ ١٤] هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألفِ ألفِ درهم. ثم قال: إن مصعباً لمَا وليته البصرة أغمد سيفه، وسل أيره، وعزله عن البصرة، وأمره أن يجيء على ذات الجيش، وقال: إني لأرجو أن يخسف الله بك فيها. فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب، فقال: لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره.

(١ ـ ١) العبارة عن ف، مب وكتاب («المفردات» ص ٦٦).

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: النطاح. وهو شيبة بن نصاح مولى أم سلمة، المدني القاضي القارىء. توفي سنة ثلاثين ومئة. (عن «خلاصة الخزرجي»).

مغاضبة زيد عمرو العثماني لسكينة

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهريّ قال:

ذُكِر أن زيد: بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال له مغاضباً لسكينة، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاستعدته سكينة على زيد، وذكرت غَيبته مع ولائده سبعة أشهر، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيء من ماله، أو منعها مخرجاً تريده، فهي خَلِية[1]، فبعث إليه عمر فأحضره، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما.

[١٥٦/١٦] / قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله، قال: بعثني عمر، وبعث معي محمد بن معقِل بن يسار الأشجعي، إلى ابن حزم، وقال: اشهدا قضاءه، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحَجَلة[2] جالسة، وجاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها. فقالت: والله لا أدخل إلا ومعي ولائدي، فأدخلن معها، فلما دخلت قالت: يا جارية اثني لي هذه الوسادة. ففعلت، وجلست عليها، ولصق زيد بالسرير، حتى كان يدخل في جوفه خوفاً منها. فقال لها ابن حزم: يابنة الحسين، إن الله عز وجل يحب القصد في كل شيء، فقالت له: وما أنكرت مني، إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه، ولا يرى الخشبة في عينه. فقال لها: أما والله لو كنتِ رجلاً لسطوت بك. فقالت له: يابن فَرْتَنَى ألا تزال لتوعدني؟ وشتمته وشتمها. فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العَدَوي: ما بهذا أُمِرنا، فأمض الحكم ولا تُشاتم. فقالت لمولاة لها: من هذا؟ قالت: أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم. فقالت: لا أراك[3] ههنا وأنا أشتم بحضرتك. ثم هتفت برجال قريش، وحضت ابن أبي الجهم، وقالت: أما والله لو كان أصحاب الحَرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إياي، أي عدوّ الله، تشتمني وأبوك الخارج مع يهودَ صبابة بدينهم لما أخرجهم رسول الله ﷺ إلى أريحاء، يابن فَرْتَنَى. قال: وشتمها وشتمته.

قال: ثم أحضرنا زيداً، فكلمها وخضع لها، فقالت: ما أعْرَفَني بك يا زيد، والله لا تراني أبداً، أتراك تمكث [١٥٧/١٦] مع جواريك سبعة أشهر لا تقربُهن؟ املأ عينك / الآن مني، فإنك لا تراني[4] بعد الليلة أبداً، وجعلت تردد هذا القول ومثله، فكلما تكلمت ترفُث[5] لابن حزم وامرأته في الحَجَلة، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه. ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته، وإلا فاليمين على زيد. فقامت وقالت لزيدٍ، يابن عثمان: تزوّد مني بنظرة، فإنك والله لا تراني بعد الليلة أبداً، وابن حزم صامت. ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية، فسألَنا عن الخبر، فأخبرناه، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه، ثم دعا زيداً من غد، فأحلفه وردّ سكينة عليه.

---

(١) خلية: كناية عن مطلقة.

(٢) الحجلة: مقصورة تجلس فيها النساء، وتزين بالثياب والستور.

(٣) ف، مب: ألا أراك... الخ.

(٤) كذا في ف. وفي مب. سبعة أشهر ثم تطمع في، إملأ عينيك الآن مني فإنك لن تراني. وفي بقية الأصول: سبعة أشهر ثم أعود إليك. والله لا تراني.

(٥) كذا في ف، أي تفحش في القول. وفي بقية الأصول: برقت.

أرادت سكينة أن تحدث في الدار خبراً يتحدث به الناس

وأخبرني الحَرَمِي بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكار عن عمه قال:

قالت سكينة لأم أشعب: سمعت للناس خبراً؟ قالت: لا، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته، وبلغ ذلك بني هاشم / فأنكروه، وحملوا العصيّ، وجاءوا فقاتلوا بني زُهرة حتى كثر الشُّجاج، ثم فُرِّق [١٧٢/١٤] بينهم، وخُيرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت: أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إي والله - بأبي أنت - وأي خبر[١].

قال هارون بن الزيات: وجدت في كتاب القاسم بن يوسف: حدّثني الهيثم بن عديّ، عن أشعب، قال:

كان زوجها زيد بن عمرو بن عثمان شديد البخل

تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة، وكان أبخل قرشيّ رأيته، فخرج حاجاً وخرجت سكينة معه، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة / إلا حملته معها، وأعطتني مائة دينار، وقالت[٢]: يابن أم حميدة، [١٥٨/١٦] اخرج معنا[٢]. فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال، فلما أتينا السَّيَالة نزلنا، وأمرت بالطعام أن يقدم، فلما جيء بالأطباق، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد، فلما رآهم قال: أوّهْ. خاصرتي. باسم الله، ارفعوا الطعام، وهاتوا التّرياق والماء الحار، فأُتِي به فجعل يتوجَّرهما[٣] حتى انصرفوا، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعاً، فلم آكل إلا مما اشتريته من السَّويق[٤]. فلما كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما الله أعلم به، ودعا بالطعام وأُتِي به. قال: فأمر بإسخانه، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلمون عليه، فلما رآهم اعتل بالخاصرة، ودعا بالتِّرياق والماء الحار، فتوجَّره ورفع الطعام، فلما ذهبوا أمر بإعادته، فأُتِي به وقد برد، فقال لي: يا أشعب، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل؟ فقلت له أخبرني عن دَجاجك هذا؟ أمن آل فرعون، فهو يُعْرَض على النار غُدُوًّا وعَشيا.

كانت سكينة تبغض أهل الكوفة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال:

جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سُكَينة فقالت لهم: الله يعلم أني أبغضكم: قتلتم جدي علياً، وأبي الحسين، وأخي علياً، وزوجي مصعباً، فبأيّ وجه تَلْقَونني، أيتمتموني صغيرة، وأرملتموني كبيرة.

/ حرص سكينة على معرفة أخبار الناس [٥٩/١٦]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال: بينما سكينة ذات ليلة تسير، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول:

* لولا ثلاث هنَّ عيشُ الدهرِ *

فقالت لقائد قطارها. ألحِق بنا هذا الرجل، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث. فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت

---

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: بلى، بأبي أنت وأمي.

(٢ - ٢) العبارة عن ف، مب.

(٣) توجر الدواء: صبه في حلقه شيئاً بعد شيء.

(٤) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: السوق.

لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

* الماء والنوم وأم عمرو *

فقالت: قَبَّحَه الله! أتعبني منذ الليلة.

حج أشعب مع سكينة

قال: وحدّثني المدائني أن أشعب حج مع سكينة، فأمرت له بجمل قويّ يحمل أثقاله، فأعطاه القيِّم جملاً ضعيفاً، فلما جاء إلى سكينة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عِرسُه الطلاق، لو أنه حمل قَتَباً على الجمل لما حمله، فكيف يحمل محملاً[1].

كانت ترمي الجمار فرمت خاتمها بدل حصاة سقطت منها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ، عن سفيان بن حرب، قال:

رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجِمار، فسقطت من يدها الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

استبدلت بمالها في الزوراء قصراً بلزق الجماء أعجبها حسنه

وقال هارون بن الزيات: حدّثني أبو حُذافة السهميّ قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة:

[١٦/١٦٠] / أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء، إلى قصر يقال له البَريديّ[2] بلَزْق الجماء، فلما سال العقيق، خرجت ومعها جواريها تمشي، حتى جاءت السيل، فجلست على جِرْفه، ومالت برجليها في السيل، ثم قالت: هذا في است المغبون[3]. والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء. قال[4]: وكان البريديّ قصراً لا غلة له، وإنما يُتَنزه فيه، وكانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة[4].

خرجت بها سلعة فأجريت لها جراحة

١٧٣/١٤ وقال / هارون: وحدّثني علي بن محمد النوفليّ عن أبيه، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين:

أن سكينة بنت الحسين عليه السلام، خرجت بها سَلَعة[5] في أسفل عينها، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها، وعظُم شأنها، وكان بدراقُس منقطعاً إليها في خدمتها، فقالت له: ألا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال: لها أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أعالجك؟ قالت: نعم. فأضجعها، وشق جلد وجهها حتى ظهرت السَّلَعَة، ثم كشط الجلد عنها أجمع، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة، وكان منها شيء تحت الحدقة،

(١) ف، مب: فقال لها: امرأته الطلاق، لو أنه حمل قتب على الجمل ما حمله، فكيف يحمل حملاً. وقوله «عرسه الطلاق» يريد أنها طالق، فعبر بالمصدر بدل الصفة.

(٢) ف، مب: الزينبي.

(٣) ف: الميت والله المغبون. والعبارة غامضة.

(٤ ـ ٤) العبارة عن ف، مب.

(٥) السلعة: ورم كالخراج يحدث في أي موضع في الجسم، يكون حجمه أولاً كالحمصة، ثم يكبر إلى حجم البطيخة.

فرفع الحَدَقة عنه، حتى جعلها ناحية، ثم سل عروق السلَعَة من تحتها. فأخرجها أجمع، ورد العين إلى موضعها، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن، حتى فرغ مما أراد، فزال ذلك عنها، وبرئت منها، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخَر عينها، فكان أحسن شيء في وجهها، وكان أحسن على وجهها من كل حَلْي وزينة، ولم يؤثر ذلك في نظرها، ولا في عينها.

/ نقدها شعر جماعة من الشعراء ثم إجازتهم [١٦/١٦١]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه، قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائني. وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام. وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عُمر بن شبة موقوفاً عليه، قالوا:

اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكُثَيِّر وجميل ونُصَيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنتْ لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

هما دلّتاني من ثمانينَ قامةً ... كما انحط بازٍ أقتم الريشِ كاسرُهْ

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحيٌّ يُرَجَّى أم قتيل نحاذرهْ

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادِرهْ

أبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا ... وأحمر[١] من ساج تَبِصُّ مسامرهْ

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلاّ سترتها وسترت نفسك[٢]؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلك.

ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

تُجْرى السواكَ على أغرَّ كأنه ... بَرَدٌ تحدر من مُتُون غَمام

/ لو كان عهدكِ كالذي حدثِتنا ... لوصلتِ ذاك فكان غير رِمام[٣] [١٦/١٦٢]

إني أواصل من أردتُ وصاله ... بحبالِ لا صلِفٍ ولا لَؤّام

قال: نعم. قالت: أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم كُثَيِّر؟ فقال: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عَزُّ منك خلائق ... كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ

---

(١) مب: وأسمر. وفي «الديوان» (١: ٢٥٥ ـ ٢٦٢) خلاف في ترتيب الأبيات وبعض الكلم.

(٢) كذا في ف. وفي بقية الأصول: هلا سترت عليك وعليها.

(٣) رمام: كذا في ف، مب. يريد المتقطع. وفي بقية الأصول: لمام.

١٧٤/١٤

/ دنُوك حتى يطمعَ الطالبُ الصِّبا ... ودفعك أسباب الهوى حين يَطمع[١]

وقطعُك أسبابَ الكريم ووصلك الـ ... ـلئيم وخَلاّت المكارم ترفع[٢]

فوالله ما يدري كريم مماطَلٌ ... أينساك إذا باعدتِ أم يتَضرعُ[٣]

قال: نعم. قالت: مَلّحتَ وشَكَّلت. خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك.

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم نُصَيْب؟ قال: هأنذا. قالت: أأنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نُصَيْب ... لقلت بنفسيَ النَّشَأُ الصِّغارُ

بنفسي كل مهضوم حشاها ... إذا ظُلِمَتْ فليس لها انتصار

قال: نعم. قالت: ربيتنا صغاراً، ومدحتنا كباراً. خذ هذه الأربعة الآلاف، والحق بأهلك.

[١٦/١٦٣] / ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تُقرِئك السلام، وتقول لك: والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً ... بوادي القُرَى إني إذا لسعيدُ

لكل حديثٍ بينهن بشاشة ... وكلُّ قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف[٤] الدينار، والحق بأهلك.

تحكيم الرواة إياها في شعر الشعراء

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيريّ، قال:

اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر. فحكموا سكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقادَون[٥]، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حِينَ[٦] الزيارةِ فارجعي بسلامِ

وأيُّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قَبّح الله صاحبك، وقَبّح شعره! ألا قال: فادخلي بسلام!

[١٦/١٦٤] / ثم قالت لراوية كُثَيِّر: أليس صاحبُك الذي يقول:

---

(١) كذا روي البيت في ف، مب. وفي بقية الأصول:

دنوّك حتى يدفع الجاهل الصبا ... ورفعك أسباب المنى حتى يطمع

(٢) البيت عن ف وحدها.

(٣) أم يتضرع: كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: أو يتصدع.

(٤) كذا في مب. وفي بقية الأصول: هذه الألف الدينار.

(٥) يتقادون: كذا في ف، مب. أي يتبارون في التفاخر بأصحابهم. وفي الأصول: يتهادون. يريد: يتهادون الشعر، أي يفخر به بعضهم على بعض. (انظر «اللسان»: قدا).

(٦) حين: كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول و«الديوان»: وقت.

يَقَرّ بعيني ما يقَرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قَرّتِ

فليس شيء أقرّ لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن يُنكحَ؟ قَبّح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تَركَتْ عقلِي معي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوًى، إنما يطلب عقله، قَبّح الله صاحبَك وقَبّح شعره! ثم قالت لراوية نُصَيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أَمُت فيا حَرَبَا[1] من ذا يهيم بها بعدِي

فما أرى له همة إلاّ من يتعشقها بعده! قَبّحه الله وقبح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أَمت فلا صَلَحت دعد لذي خُلّة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبُك الذي يقول:

مِن عاشقين تواعدا وتراسلا[2] ليلا إذا نجمُ الثريا حَلّقا

/ باتا بأنعمِ ليلة وألذها حتى إذا وضَح الصباحِ تفرّقا ١٧٥/١٤

قال: نعم، قالت: قَبّحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم تُثْن على أحد منهم في ذلك اليوم، ولم تقدّمه.

قال: وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه الرواية، وقال: فقالت، لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فياليتني أعمى أصمُّ تقودني بُثَينة لا يَخْفى علي كلامها

/ قال: نعم. قالت: رحم الله صاحبَك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له. [١٦/١٦٥]

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغان تذكر ها هنا نسبتها.

فمنها:

صوت

هما دلتاني من ثمانين قامةً كما انقض بازٍ أقتم[3] الريش كاسرهْ

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحَيٌّ يرجَّى أم قتيل نحاذرهْ

عروضه الطويل. الشعر للفرزدق، والغناء للحَجَبيّ، رمَل بالبنصر عن الهشاميّ وحبش[4].

---

(١) كذا في ف. وفي بقية الأصول: فواحزناً.
(٢) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: تراسلا وتواعدا.
(٣) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: أفتخ.
(٤) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: الهشامي ويونس.

شعر للفرزدق في غلامه وقاع

وأخبرني: أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدّثنا محمد بن سلام عن يونس، وحدّثنا به اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا محمد بن سلام عن يونس قال:

كان للفرزدق غلامان، يقال لأحدهما وَقّاع، وللآخر زُنْقطة. قال: ولوقّاع يقول الفرزدق:

تغلغل وقّاعٌ إليها فأقبلت ... تخوض خُدارِيا من الليل أخضرا[1]

لطيف إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى ... إذا هو للظبي المَرُوعِ تَقَتَّرا[2]

[١٦٦/١٦] / وله يقول أيضاً:

فأبْلَغَهنّ وحيَ القولِ عني ... وأدخل رأسه تحت القِرام

أُسَيِّد ذو خُرَيِّطةٍ نهارا ... من المتلقِّطي قَرَدِ القُمامِ[3]

فقلن له نواعدك الثريا ... وذاك إليه مجتمعُ الرِّجام

صوت[4]

ثلاث واثنتان فهن خمسٌ ... وسادسة تميل مع السَّنام

خرجن إليّ لم يطمثنَ قبلي ... فَهُن أصح من بيض النعام

فبتن بجانبيّ مُصَرَّعات ... وبت أفُضُّ أغلاق الختام[5]

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع، خفيف رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ، وفيها هَزَج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر حبش أن الهزج لفُليح، وأن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

شعر للفرزدق وهو بالمدينة

أخبرني أبو خليفة قال: حدّثنا محمد بن سلام، قال: قال الفرزدق وهو بالمدينة:

هما دلتاني من ثمانين قامةً ... كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحَيٌّ يُرَجّى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنا ... ووليت في أعجاز ليل أبادره[6]

أبادر بوابَيْن قد وُكّلا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تبِص مسامرُهْ

---

(١) خداريا: كذا في ف، مب، أي مظلماً. وفي الأصول: صلابيا.

(٢) انغل: دخل. وفي «الديوان»: انسل. وتقتر: تهيأ وتلطف. وفي «الديوان» (٢: ٤٢٧): للطنء. المخوف تقتراً. والطنء: الريبة.

(٣) البيت عن ف، مب.

(٤) كلمة (صوت): عن مب وحدها.

(٥) البيت عن ف، مب.

(٦) البيت عن ف، مب.

وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت مُغَلَّقةً دوني عليها دساكرُهْ[(١)]

/ قال: فأنكرتْ ذلك قريش عليه، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية، وأجَّله ثلاثة أيام، فقال: [١٦٧/١٦]

يا مَرْوَ إنّ مطيتي محبوسة ترجو الحِباءَ[(٢)] وربها لم ييأسِ

وأتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ أخشى عليّ بها حِباءَ النِّقْرِسِ

/ ألقِ الصحيفة يا فرزدقُ لا تكن نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمسِ[(٣)] ١٧٦/١٤

وقال في ذلك:

وأخرجني وأجَّلني ثلاثاً كما وُعِدت لمهلِكِها ثمودُ

وذكر ذلك جرير في مناقضته إياه، فقال:

وشبهتَ نفسك أشقى ثمودِ فقالوا ضَلَلْت ولم تهتدِ

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً. وقال فيه أيضاً جرير:

تدليتَ تزني من ثمانين قامةً وقَصَّرتَ عن باع العلا والمكارم

وهما قصيدتان.

الفرزدق ينشد سليمان من أشعاره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمر بن شبة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله:

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ وأنكرت من حَذراء ما كنت تعرفُ

/ فقال له: زِدني. فأنشده قوله: [١٦٨/١٦]

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى الشمام[(٤)]

فقال له سليمان: ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة؛ أقررت بالزنا عندي وأنا إمام، ولا بد لي من إقامة الحد عليك. قال: إن أخذت فيّ بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال الله عز وجل؟ قال: قال: ﴿والشعراء يتبعُهُمُ الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾[(٥)]. فضحك سليمان، وقال: تلافيتها ودرأتَ عن نفسك، وأمر له بجائزة سنية، وخَلَع عليه.

---

(١) البيت عن ف، مب.

(٢) الحباء: كذا في مب. وفي بقية الأصول: الغناء.

(٣) كذا روي الشطر الثاني في ف، مب. وفي بقية الأصول:

* في الصحف مثل صحيفة المتلمس *

(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول: مع السنام، وقد مرت.

(٥) سورة الشعراء آية: ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

حادث للفرزدق يخشى أن يعيره به جرير

أخبرني هاشم[١] بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ؛ عن أبي عبيدة، قال:

نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب، فأنزلوه وأكرموه، وأحسنوا قِراه، فلما كان في الليل دبَّ إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فصاحت، فتبادر القوم إليها، فأخذوها من يده وأنبوه، فجعل يفكر واهتم، فقال له الرجل الذي نزل به: مالك؟ أتحب أن أزوجك من هذه الجارية. فقال: لا، والله. ما ذلك بي، ولكني كأني بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر، فقال فيّ:

وكنتَ إذا حللتَ بدار قوم ... رحلتَ[٢] بخَزْيَة وتركت عارا

فقال له الرجل: لعله لا يفطُن لهذا. فقال: عسى أن يكون ذلك. قال: فوالله ما لبثوا[٣] أن مر بهم راكب ينشد هذا البيت، فسألوه عنه، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل، وفيها هذا البيت بعينه.

[١٦/١٦٩] / ومنها:

صوت

من شعر جرير

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا ... حِين[٤] الزيارةِ فارجعي بسلامِ

تُجرِي السواكَ على أغرَّ كأنه ... بَرَد تحدَّر من مُتون غَمام

هيهاتَ منزلُنا بجوِّ سُوَيْقَةٍ ... ممن يَحلّ بواطن الآجام[٥]

إقر السلام على سُعادَ وقل لها ... لَوْمَا[٦] تردّ رسولنا بسلام

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج: ثاني ثقيل بالسبابة في مَجرى البِنصر عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً ولم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى. وذكره عمرو /بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع [١٧٧/١٤] في هذه الطريقة، وذكر عليّ بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني والثالث، وأنكر ذلك حبش[٧]، وقال: هو بالوسطى. قال عليّ بن يحيى: ومن الناس من ينسبه إلى سِياط. وذكر حبش أن فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر، وللغريض[٨] ثاني ثقيل بالوسطى. ومنها[٨]:

---

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: هشام.

(٢) ف: ظعنت.

(٣) كذا في ف. وفي الأصول: ما بعد.

(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول: وقت الزيارة.

(٥) ف، مب: منزلنا بجزع برام. والآجام: كذا في مب. وفي ف: الأجمام. وفي بقية الأصول: الأحلام، وهو تحريف.

(٦) لوما: كذا في مب. وفي بقية الأصول: يوما.

(٧) ف، مب: ووافقه حبش.

(٨ ـ ٨) العبارة عن ف، مب.

صوت

مِن عاشقين تراسلا وتواعدا ... بِلِقاً إذا نجم الثريا حَلَّقا[1]
بعثا أمامهما مخافة رِقبة ... رَصَداً فمزَّق عنهما ما مَزَّقا
باتا بأنعم ليلة وألذها ... حتى إذا وضح[2] الصباحُ تفرقا

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي.

/ رجع الحديث إلى أخبار سكينة

[١٦/١٧٠]

سكينة تسأل الفرزدق من أشعر الناس

وروى أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ، عن أبي يعقوب الثقفيّ، عن عامرٍ الشعبيّ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى:

أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سُكَينة بنت الحسين عليه السلام مسلماً، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

بنفسيَ من تجنُّبه عزيزٌ ... عليَّ ومن زيارته لِمامُ
ومن أُمسِي وأصبح لا أراه ... ويَطْرُقُني إذا هجعَ النِّيامُ

قال: والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه. قالت: أقيموه، فأخرج[3]. ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبارُ[4] ... ولزرت قبرَكِ والحبيب يزارَ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها ... كُتِم الحديث وعفَّتِ الأسرارُ
لا يُلْبِث القرناءَ أن يتفرقوا ... ليلٌ يكُرّ عليهم ونهارُ

فقال: والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه. فأمرت به فأخرج؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحولها مولَّدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأُعجِب بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ فقال: أنا. فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:

/ إن العيون التي في طرفها مَرَض ... قتلننا ثم لم يُحْيِين قتلانا

[١٦/١٧١]

(١) تراسلا وتواعدا: كذا في ف. وفي مب: تواعدا وتراسلا. وفي بقية الأصول: تزايلا وتواعدا. وفي ف: ملثا، في موضع: بلقا.
(٢) وضح: كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: برق.
(٣) كذا في ف، مب. وفي الأصول: قالت: لا أحب، فاخرج عني.
(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول: لهاجني استعبار.

يَصْرَ عن ذا اللب حتى لا حَرَاك به ... وهن أضعفُ خلق الله أركانا

فقال: يا بنت رسول الله ﷺ، إن لي عليكِ حَقاً عظيماً. ضربتُ إليك من مكة أريد التسليم عليك، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إياي أن أسمعك[1]، وبي ما قد عِيل معه صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإن /أنا مت فمري أن أُدرج في كفني، وأدفن في حِرِ تلك الجارية، يعني الجارية التي أعجبته، فضحكت سُكينة، وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذاً برَيْطتها، وأمرت الجواري أن يدفَعْن في أقفائهما، ثم قالت: يا فرزدق، أحسن صحبتها، فإني آثرتك بها على نفسي.

١٧٨/١٤

موت سكينة والصلاة عليها

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ[2]، قال: حدثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم:

أنه لم يصلَّ على أحد بعد رسول الله ﷺ بغير إمام إلا سكينة بنت الحسين عليه السلام، فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه، فآذنوه بالجنازة، وذلك في أول النهار في حر شديد، فأرسل إليهم: لا تُحدِثوا حدثاً حتى أجيء فأصلي عليها، فوضع النعش في موضع المصلَّى على الجنائز، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء، فجاءت العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء، كل ذلك يرسلون إليه، / فلا يأذن لهم حتى صليت العَتَمة ولم يجيء، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: من أعان بطيب رحمه الله! قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظن قوم، أن تُنْتن. قال: فأُتِي بالمجامر، فوضعت حول النعش، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العُثماني، فأتى عطّاراً كان يعرف عنده عُوداً، فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به، فسُجِر حول السرير، حتى أصبح وقد فُرِغ منه، فلما صُلِّيت الصبح أرسل إليهم: صلوا عليها وادفِنوها. فصلى عليها شَيبةُ بن نِصاح[3].

[١٦/١٧٢]

وذكر يحيى بن الحسين في خبره: أن عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

صوت

وأنا الأخضرُ من يعرفني ... أخضرُ الجِلدة من[4] بيت العَرَبْ

من يساجلْني يساجلْ ماجدا ... يملأ الدلوَ إلى عَقْد الكَرَبْ[5]

إنما عبد مناف جوهر ... زَيَّن الجوهرَ عبدُ المطلِبْ

---

(١) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: فكأن جزائي منك تكذيبي ومنعي من أن أسمعك.

(٢) كذا في ف. وفي مب: محمد النوفلي: وفي الأصول: أحمد بن علي النوفليّ.

(٣) شيبة بن نصاح، بكسر النون: مولى أم سلمة، المدني القاضي القارىء (ت. ١٣).

(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول: في بيت.

(٥) ف: إلى حدّ الكرب.

كــل قــوم صيغــة مــن فضــة وبنــو عبــد منــاف مــن ذَهَــبْ[١]

نحــن قــوم قــد بنــى الله لنــا شــرفــاً فــوق بُيــوتــات العــرب

بنبــي اللهِ وابنــي عمــه وبعبــاس بــن عبــد المطَّلِــبْ

/ الشعر للفضل بن العباس اللَّهَبِيّ، والغناء لمعبد، ثقيل أوّل بالبنصر، في الأوّل والثاني والثالث. ولابن محرز في [١٦/١٧٣] الأوّل والثاني خفيفِ ثقيل أوّل مطلق في مَجْرى البنصر. وذكر يونُس أن فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مِسْجَح وابن سريج خمسة ألحان. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رَمَل، ولحن مالك خفيف رَمَل، ولحن معبد خفيفُ ثَقيل، ولحن ابن محرز ثَقيل أوّل. وذكر ابن المكيّ أن الثقيل الأوّل لمالك. وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل. وذكر[٢] الهشاميّ أن فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، ولأبي الحسن مولى سكينة، في الثالث والرابع، خفيف ثقيل[٢]. وذكر حبش أن لابن صاحب / الوضوء[٣] في [١٧٩/١٤] الأوّل والثاني ثانيَ ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه: أن لابن عائشة فيهما لحناً، ووافقه ابن المكيّ. وذكر أنه خفيف رَمَل. قال: وقيل[٤] إنه لدُحْمان[٤]. وذكر ابن خرداذبه أن لخُليدة المكية[٥] في الرابع والثالث خفيفَ رمل، وفي الخامس والسادس والأوّل رَمَل، يقال إنه لإبراهيم، ويقال إنه لإسحاق. والخامس والسادس من هذه الأبيات، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللهَبي، فليس من القصيدة التي فيها:

* وأنا الأخضر من يعرفني *

/ لكن من قصيدة له أوّلها: [١٦/١٧٤]

شــاب رأســي ولِــداتــي لــم تشــبْ بعــد لهــو وشبــاب ولُعِــبْ

شيــبَ المَفْــرِق منــي وبــدا فــي حفــافَــيْ لحيتــي مثــلُ العطَــبْ

في هذين البيتين لهاشم ونُفَيلة[٦] خفيفُ رَمَل بالوسطَى، والقصيدة التي فيها:

وأنــا الأخضــر مــن يعــرفنــي أخضــر الجلــدة مــن نســل العــرب

أوّلها قوله:

طَــرِبَ الشيــخُ ولا حيــنَ طَــرَبْ وتصــابــيَ وصِبــا الشيــخِ عَجَــبْ

---

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: من تبرهم.

(٢ ـ ٢) العبارة عن ف، مب.

(٣) كذا في ف، مب. وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله («الأغاني» ٣: ١١٦). وفي بقية الأصول: لابن الحاجب الصولي.

(٤ ـ ٤) العبارة عن ف، مب.

(٥) لخليدة المكية: كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: لخويلد.

(٦) ونفيلة: كذا في ف. وفي مب: لهاشم بن زنقطة. وهي ساقطة من بقية الأصول.

[١٦/١٧٥] ٢/١٥

/ أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

اسمه ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وأسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم. وكان شديد الأدمة. ولذلك قال:

* وأنا الأخضر من يعرفني *

وهو هاشميّ الأبوين؛ وأمه بنت العباس بن عبد المطلب.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه عبيد الله، عن أبن حبيب. وإنما أتاه السواد من قِبل أمه: جدته[١]، وكانت حبشية.

وكان النبيّ ﷺ زوج عُتبة إحدى بناته. فلما بعثه الله تعالى نبياً، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها. فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أُشهد من حضر أني[٢] قد كفرت بربك، وطلقت ابنتك. فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله. فبعث الله عز وجل عليه أسداً فافترسه[٣].

[١٦/١٧٦] **/ قتل السبع عتبة بدعوة النبي عليه**

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلّى قال: حدّثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة الثمالي، عن عِكرمة قال:

لما نزلت: ﴿والنجمِ إذا هوى﴾[٤]، قال عتبة للنبيّ ﷺ: أنا أكفر برب النجم إذا هوى. فقال رسول الله ﷺ: اللهم أرسل عليه كلباً من كلابِك. قال: فقال أبن عباس: فخرج إلى الشأم في ركب فيهم هَبّار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة، وهي مَسْبَعة، نزلوا ليلاً، فافترشوا صفاً واحداً، فقال عتبة: أتريدون أن تجعلوني حَجْرة؟ لا، والله، لا أبيت إلا وسطكم. / فباب وسْطَهم. قال هبار: فما أنبهني إلا السبع يشمّ رؤوسهم رجلاً رجلاً، حتى أنتهى ٣/١٥

---

(١) جدته: بدل من أمه.

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: أشهد أني نصراني. تحريف.

(٣) خالف بعض المؤرخين أبا الفرج فيمن أكله الأسد، وصرحوا بأنه عتيبة بن أبي لهب، لاعتبة. قال السهيلي في «الروض الأنف» (٢: ٨١): وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ تحت عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تحت عتيبة. فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما، حين نزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾. فأما عتيبة فدعا عليه النبي ﷺ أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم نيام حوله. وأما عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فأسلما، ولهما عقب.

(٤) سورة النجم آية: ١.

إليه، فأنشب[١] أنيابه في صدغيه، فصاح: أيْ قوم، قتلني[٢] دعوة محمد[٢]، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات في أيديهم.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: حدّثنا علي بن إبراهيم قال: حدّثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله. إلا أنه قال: قال عتبة: أنا بريء من الذي ﴿دنا فتدلَّى﴾. قال: وقال هَبّار: فضغمه الأسد ضَغْمة، فالتقت أنيابه عليه.

بين الأحوص والفضل

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ. وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، إلا أن رواية ابن النطاح أتم، واللفظ له، قال:

/ مر الفضل اللَّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد، وقد اجتمع الناس عليه، فحسده، فقال له: يا أحوص إنك لشاعر، [١٦/١٧٧] ولكنك لا تعرف الغريب، ولا تُعرب. قال: بلى، والله إني لأبصر الناسِ بالغريب والإعراب، فأسألك[٣]؟ قال: نعم. قال:

مـا ذاتُ حَبْـلٍ يـراهـا النـاس كلهـمُ ... وَسْـط الجحيـم فـلا تخفَـى علـى أحـدِ

كـل الحِبـالِ حبـالِ النـاسِ مـن شَعَـرٍ ... وحبلهـا وَسْـطَ أهـلِ النـار مـن مسـدِ

فقال له الفضل بن العباس:

مـاذا أردتَ إلـى شتمِـي ومَنْقَصتِـي ... مـاذا أردت إلـى حمَّـالـةِ الحطـبِ؟

أذكَـرْتَ بنـتَ قُـروم سـادةٍ نُجُـبٍ ... كـانـت حليلـة شيـخ ثـاقـبِ النَّسـبِ

فانصرف عنه.

بين الفضل والحزين الديلي

قال ابن النطاح:

وحُدثت أن الحزين الدِّيلي[٤] مر بالفضل يوم جمعه، وعنده قوم ينشدهم، فقال له الحزين: أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة؟ فقال الفضل: ويلَك يا حزين! أتتعرض لي، كأنك لا تعرفني. قال: بلى والله، إني لأعرفك، ويعرفك معي كل من قرأ سورة ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾[٥]. وقال يهجوه:

إذا مـا كنـت مفتخِـراً بجَـد ... فعـرِّج عـن أبـي لهـبٍ قليـلا

---

(١) ف: فالتقت. مب: فالتفت إلى أنيابه.

(٢) ـ ٢) ف، مب: قتلني قتلني، دعوني أستمّت به.

(٣) فأسألك: كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: أفتسمع.

(٤) كذا في الأصول. والصواب: الدؤلي، نسبة إلى الدئل، بضم فكسر، فرع من كنانة قريش، وإليه ينسب أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ وليس الحزين الشاعر منسوباً إلى الديل، بالدال المكسورة والياء، لأن هذه قبيلة من عبد القيس. وهو عمرو بن عبيد بن وهب الكناني الشاعر، كما في «تاج العروس» (حزن).

(٥) سورة المسد: آية ١.

فقــد أخــزَى الإلــه أبــاك دهــرا وقلّــد عِــرســه حبــلاً طــويــلا

فأعرض عنه الفضل، وتكرم عن جوابه. وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه.

بينه وبين الفرزدق

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال:

[١٧٨/١٦] / دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عُتبة ينشد:

مــن يساجِلْنـي يساجِـلْ ماجِـدا يمـلأ الـدلـو إلـى عَقْـدِ الكَـرَبْ

فقال الفرزدق: مَن المنشِد؟ فأُخبِر به، فقال: ما يساجلُك إلا من عَضّ بَظْر أمه.

سأل الوليد فأعطاه وسليمان فحرمه

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثنا محمد بن الحكم، قال:

قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً إلى مكة وهو خليفة، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة، فشكا إليه كثرة العيال، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً. فلما مات الوليد وَلِيَ سليمان فحج، فأتاه فسأله، فلم يعطِه شيئاً، فقال:

يـا صاحـب العِيسِ التي رُحِلت محبــوســة لعِشيــةِ النَّفْــرِ

٤/١٥ / امرر علـى قبـر الـوليـدِ فقـل لـه صلَّـى الإلـه عليـك مـن قبـر

يـا واصـل الـرَّحـم التـي قُطِعـت وأصـابهـا الجَفَـوات فـي الـدهـر

إنـي وجـدت الخِـلّ بعـدك كـاذبـاً فبـرِئـت مـن كـذبٍ ومـن غـدْر

ولقـد مـررت بنسـوةٍ ينـدبنـه بيـضِ السـواعـدِ مـن بنـي فِهـر

تبكـي لسيـدهـا الأجـل ومـا يبكيــن مــن نــابٍ ولا بَكْــر

يبكِينـه ويقلـن: سَيـدَنـا ضـاع الخـلافـةُ آخـر الـدهـر[١]

مـاذا لقيـتُ، جـزِيـتَ صـالحـة مـن جفـوةِ الإخـوان لـو تـدرِي

كان منقطعاً إلى الوليد وسأله أن يفرض لحماره

أخبرني وكيع بهذا الخبر، قال: حدّثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثنا أبو غسان قال: أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت، قال:

[١٧٩/١٦] / كان الفضل بن العباس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه، فقال:

يـا راكـب العيـسِ التـي وُقِفـت لِلنفْـرِ يـوم صبيحـةِ النحـرِ[٢]

وذكر الأبيات. قال: وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كل سنة، فقال: يا أمير المؤمنين، بقِي شارب الريح. قال: وما شارب الريح؟ قال: حماري، افرِض له شيئاً. ففرض له خمسة دنانير، فأخذها ولم يكن يطعمه، فعمَد

(١) كذا روي البيت في ف، مب، وفي الأصول: يندبنه... تاج الخلافة.

(٢) كذا روي البيت في ف، مب، وفي الأصول: يا صاحب... صبيحة النصر.

رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار، وعلقها في عنقه[١]، وجاء بها إلى القاضي، فأضحك منه الناس.

كان الفضل بخيلاً

حدّثنا اليزيديّ، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبو الشكر مولى بن هاشم، كوفيّ ظريف، قال:

كان الفضل بن العباس بخيلاً، فقدم عليّ بن عبد الله بن العباس حاجاً، فأتاه في منزله مسلماً عليه، فقال له: كيف أنت، وكيف حالك؟ قال: بخير، نحن في عافية. قال: فهل من حاجة؟ قال: لا والله، وإني لأشتهي هذا العنب، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج. فغمز غلاماً له، فذهب فأتاه بسَلة عظيمة من عنب، فجعل يغسل له عنقوداً عنقوداً ويناوله، فكلما فعل ذلك قال: بَرَّتك رحِم.

كان يسأل علف حماره

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال:

كان الفضل بن العباس بخيلاً، وكان ثقيل البدن، إذا أراد أن يمضي في حاجة أستعار مركوباً، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله، فقال له بعض / بني هاشم: أنا أشتري لك حماراً تركبه، وتستغني عن العاريَّة. ففعل، [١٦/١٨٠] وبعث به إليه، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه، فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجاً. فلما طال عليه ذلك، أشترى سرجاً بخمسة دراهم، وقال:

ولمـا رأيـت المـال مَـألـف أهلـهِ ... وصـان ذوي الأخطـار[٢] أن يتبـذلـوا

رجعـت إلـى مـالِـي فـأعتبـت بعضـه ... فـأعتبنـي إنـي كـذلـك أفعـل[٣]

ثم قال للذي أشترى له الحمار: إني لا أُطيق عَلَفه، فإما أن تبعث إليّ علفه وإلا رددته. فكان يبعث إليه بعلَفِ كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كل أحد يأنس به علفاً لحماره، فيبعث به إليه، فيعلفه التبن دون الشعير، حتى هَزَل وعطِب. فرفع الحزينُ الكِنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، وكتب في رأسها قصة حمار / الفضل اللهبي، وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس، ويعلفه التبن، ويبيع الشعير، $\frac{٥}{١٥}$ ويأخذ ثمنه، ويسأل أن يُنصَف منه. فضحك لما قرأ الرقعة، وقال: لئن كنت مازحاً إني لأراك صادقاً. وأمر بتحويل حمار اللَهبي إلى إصطبله، ليعلِفه ويُقضِمه، فإذا أراد ركوبه دُفع إليه.

أخبرني وكيع قال: حدّثني محمد[٤] بن سعد الشاميّ، عن ابن عائشة، قال:

---

(١) أي علقها الرجل في عنق نفسه.

(٢) كذا في ف، وفي الأصول: الإحسان. ولعله: الأحساب، بالياء.

(٣) كذا روي البيت في ف. ومعنى الإعتاب هنا طلب العتبي، وهي الرضا، يريد أنه طلب من ماله أن يرضيه فأرضاه. وفي مب: فعاتبت بعضه. وفي الأصول: فكاتبت بعضه... فأنجبني. تحريف.

(٤) كذا في مب. وفي بقية الأصول: سليمان.

كان الفضل اللهبي بغير سرج، فاستعار سرجا، فمطله الرجل، حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته، وأنشأ يقول:

* ولما رأيت المال مألف أهله *

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً.

[١٦/١٨١] / **بيتان له في مدح بني هاشم**

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال:

كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر، فأفاضوا في ذكر بني هاشم، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه ﷺ، فمن مَنشد شعراً، ومتحدث حديثاً، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلامَ الفضلَ بن العباس اللَّهَبي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

ما بات قومٌ كرام يدّعون يدا إلا لقومي عليهم مِنّة ويدُ

نحن السَّنام الذي طالت شظِيَته فما يخالطه الأدواء والعَمَد

فمن صلى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله ﷺ يداً عليه، بما هداه الله عز وجل إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك مِنة لنا على الناس.

وفي هذين البيتين غِناء لابن محرز، هَزَج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة. وقوله «وطالت شظيته»، الشظية: الشَّظَى[١]، قال دريد بن الصمة.

سليم الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شنِج النَسا أمين القُوى نهدٌ طويل المقلَّد

والعمد: داء يصيب البعير من مُؤْخِر سنامه إلى عجزه، فلا يُلْبثه أو يقتلَه[٢].

قدم على عبد الملك ومدحه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، قالا: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، قال:

[١٦/١٨٢] / قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزياديّ: والله ما أسمع شعراً، فلما كان العشيّ راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين:

أتيتك حالاً وابن عم وعمة ولم أك شَعْباً لاطه بك مِشعَبُ[٣]

---

(١) في «اللسان»: الشظية: كل فلقة من شيء، والقطعة المرتفعة في رأس الجبل، جمعها: شظايا. وهذا المعنى هو المناسب لبيت الفضل. أما الشظى فعظيم دقيق إذا زال عن موضعه شظي الفرس، أي تألم له. وهذا المعنى مناسب لشعر دريد بن الصمة. ويبدو أن أبا الفرج خلط بين المعنيين.

(٢) العمد: مصدر عمد البعير (بكسر الميم) أي ورم سنامه عن عض القتب والحلس (انظر «اللسان»).

(٣) لاطه: ألصقه، وفي الشعر تعريض بزياد بن أبيه وقصة استلحاقه.

فِصَلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة ... ألا صِلةُ الأرحام أبقَى وأقرب

ولا تجعلنّي كامرىء ليس بينه ... وبينكُم قربى ولا متنسّب

أتحدِبُ من دون العشيرةِ كلها ... فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزياديّ: هذا، والله يا أمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك: النَّخْس يكفيك البطيء[1]. وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده[2]، وأحسن صلته.

عطية المهدي للأحيحي

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن / عمار قال: حدّثني النوفليّ قال: حدّثني عمي قال: ٦/١٥

لما قدم الفضل اللَّهَبيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها. فلما قدم الأُحيحي[3] على المهديّ فمدحه، قال المهدي لمن حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللَّهَبيّ لما مدحه، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثل عطية أبيه. فأمر للأُحَيحيّ بثلاثين ألف درهم.

/ أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني أحمد بن معاوية، عن [١٦/ ١٨٣] عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال:

خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تُجنَب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

يأيها البكر الذي أراكا ... عليك سهلَ الأرضِ في ممشاكا

ويلَك هل تعلم من علاكا ... إن ابن مروان على ذُراكا

خليفة الله الذي امتطاكا[4] ... لم يَعْلُ بكراً مثلُ من علاكا

فعارضه الفضل اللَّهبي، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس، فقال:

يأيها السائل عن عليّ ... سألت عن بدر لنا بدريّ

أغلبَ في العلياء غالبيّ[5] ... ولَيِّنِ الشيمةِ هاشمي

* جاء على بكر له مَهْرِيّ *

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلما أعطى قريشاً مر به اسمه فحرمه، وقال: يعطيه عليّ. هكذا رواية عُمر بن شبة.

---

(١) هذا مثل، معناه أن الحث يحرك البطيء الضعيف، ويحمله على السرعة. («الميداني» ٢: حرف النون).

(٢) كذا في الأصول، ومعنى العبارة غامض.

(٣) الأحيحي: شاعر، ولعله ينسب إلى أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية.

(٤) ف: اصطفاكا.

(٥) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: أغلب في العلياء غلابي.

بينه وبين سليمان

وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفليّ عن عمه:

أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللّهبيّ يستقي، فجعل يرتجز ويقول:

يـأيهـا السـائـل عـن علـيّ ... سـألـت عـن بـدرٍ لنـا بـدريّ

مقـدَّم فـي الخيـر أبطحـيّ ... وليـنِ الشيمـةِ هـاشمـيّ

زمـزمَنـا بـوركـتِ مـن ركـيّ ... بـوركـتِ للسـاقـي وللمسقـيّ

[١٦/١٨٤] / فغضب سليمان، وهم بالفضل. فكفه عنه عليّ بن عبد الله، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فأخذه من يده كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحب، ووضعه في يده ولم يشربه. فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً.

حسد الحارث بن خالد المخزومي له

نسخت من كتاب ابن النطاح، قال:

ذكر أبو الحسن المدائني أن الحارث بن خالد المخزوميّ، كان يحسد الفضل اللهبي على شعره ويعاديه، لأن أبا لهب كان قامر جده العاصيَ بن هشام على ماله فقَمَره، ثم قامره على رِقِّهِ فقَمره[١]، فأسلمه قَيْناً، ثم بعث به بديلاً يوم بدر، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكان[٢] إذا أنشد شيئاً من شعره يقول: هذا شعر ابن «حَمّالة الحطب». فقال الفضل في ذلك:

مـاذا تحـاول مـن شتمـي ومَنقصتـي ... مـاذا تُعَيِّـر مـن حمـالـة الحطـبِ

[٧/١٥] /غـراء سـائلـة فـي المجـد غُـرتهـا ... كـانـت حليلـة شيـخ ثـاقـبِ النسـب

إنـا وإن رسـول الله جـاء بنـا ... شيـخ عظيـم شُئُـونِ الـرأس والنشـبِ

يـا لعـن الله قـومـاً أنـت سيـدهـم ... فـي جلـدة بيـن أصل الثِّيـل[٣] والـذنـبِ

أبـا لقيـون تـوافينـي تفـاخـرنـي ... وتـدعـي المجـد قـد أفـرطـتَ فـي الكـذبِ

وفـي ثـلاثـةِ رهـطِ أنـت رابعهـم ... تـوعـدنـي واسطـاً جـرثـومـةَ العـربِ

فـي أسـرة مـن قـريـش هـم دعـائمهـا ... تشفِـي دمـاؤهـمُ للخبْـل والكَلَـبِ

أمـا أبـوك فعبـدٌ لسـتَ تنكـره ... وكـان مـالكَـه جـدي أبـو لهـب

النبـعُ عيـداننـا والمجـدُ شيمتنـا ... لسنـا كقـومـك مـن مَـرْخ ولا غَـرَبِ

---

(١) قمره: غلبه.

(٢) الضمير يرجع إلى أبي لهب، كما هو ظاهر من البيت الثامن.

(٣) الثيل: وعاء قضيب البعير والتيس، وقد يقال للإنسان.

/ داينه عقرب حناط فهجاه [١٦/١٨٥]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي، قال:

كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْربُ حَنّاط قد داين الفضل اللَّهَبيّ فمطله، ثم مر به الفضل وهو يبيع حِنطة له، ويقول:

جاءت بها ضابطة التُّجّارِ ... صافية كقطع الأوتارِ

فقال الفضل:

قد تَجَرت عَقْربُ في سوقنا ... يا عجَبا للعقربِ التاجرهْ

قد صافتِ[1] العقربُ واستيقنت ... أنْ مالها دنيا ولا آخرهْ

فإن تعدْ عادت لما ساءها ... وكانتِ النعلُ لها حاضرهْ

إنْ عدُوا كيدُه في إستِهِ ... لَغَيرُ ذي كيدٍ ولا نائرهْ[2]

كل عدو يُتَّقى مقبلا ... وعَقْرب تُخْشَى من الدابِرهْ

كأنها إذ خرجت هَوْدجٌ ... شُدَّت قُواه رُفْعَة باكرهْ

مفاخرته مع عمر بن ربيعة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا دَماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه، والروايتان كالمتفقتين:

أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخِل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له:

لا أنعم الله بقَيْن عينا ... تحية السخطِ إذا التقينا

أأنت لا أم لك القائل:

/ صوت [١٦/١٨٦]

نظرت إليها بالمحصَّب مِن مِنًى ... ولي نظر لولا التحرُّج عارِمُ

فقلت: أشمس أم مصابيح بِيعةٍ ... بدت لك خلف السجفِ أم أنت حالم

بعيدةُ مَهْوَى القُرطِ إمّا لنوفل ... أبوها وإما عبدُ شمس وهاشِمُ[3]

---

(١) لعله من صاف عن الشيء: إذا عدل عنه، يريد عدلت عن الإيذاء. ويقال: أصاف الله عني شر فلان، أي صرفه وعدل به (انظر «اللسان»). وفي مب: ضاقت.

(٢) النائرة: العداوة والشحناء.

(٣) هاشم ليس معطوفاً على (لنوفل) بالجر، وإنما هو مرفوع على أنه خبر مبتدأ، تقديره: وإما أبوها عبد شمس وهاشم.

الغناء لابن سريج: رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة، ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه. ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق: ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر[1]، أوّله:

* بعيدة مهْوَى القرط إما لنوفل *

وفي لحن معبد خاصة قوله:

٨/١٥ / ومد عليها السجف يوم لقيتها ... على عجلٍ تُبّاعها والخوادم

وتمام الشعر:

فلم أستطعها غير أنْ قد بدا لنا ... عشية راحت كفُّها والمعاصمُ

معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحَى ... عصاها، ووجه لم تَلُحْه السَّمائم

نرجع إلى سياقة الخبر:

ثم قال له عبد الملك: قاتلك الله! ما ألأمك! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك! فقال عمر: بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم، على شَحْط الدار، ونأْي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدِعاً عن ذلك؟ فقال: إني إلى الله تعالى تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوبَ الله عليك، وسيحسن جائزتك. ولكن أخبرني عن منازعتك اللِّهَبيّ في المسجد الجامع، / فقد أتاني نبأ ذلك، وكنت أحب أن أسمعه منك. قال [١٦/١٨٧] عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بَطنُ مكة مقشعِرّاً ... كأن الأرضَ ليسَ بها هِشام[2]

فأقبل عليّ وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبحبحَ[3] بها عبد المطلب، وبُعِث منها رسول الله ﷺ، واستقرّ بها بيت الله عز وجل، لحقيقة ألا تَقْشَعِرّ لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ من يقول:

إنما عبد مناف جوهر ... زَيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلِب

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

إن الدليل على الخيراتِ أجمعِها ... أبناءُ مخزومَ[4]، للخيرات مخزومُ

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريلُ أهدَى لنا الخيراتِ أجمعَها ... إذ أمّ هاشمَ[4] لا أبناءَ مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله. ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ، فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزومِ الحريقُ إذا ... حركته تارة[5] ترى ضَرَما

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: الوسطى.

(٢) هو هشام بن إسماعيل المخزومي أمير الحجاز.

(٣) تبحبح: تمكن في المقام والحلول.

(٤) مخزوم وهاشم: اسمان للقبيلتين، فلذلك منعاً من الصرف.

(٥) في «بدائع البداهة» لعلي بن ظافر ص ١٥: «حركت نيرانه».

يَخــرج منــه الشَّــرارُ مــعْ لَهَــبٍ مــن حــادَ عــن حَــرِّه فقــد سلِمــا

/ فوالله ما تلعثم[1] أن أقبل عليّ بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول: [١٦/١٨٨]

هــاشــمُ بحــرٌ إذا سمــا[2] وطمــا أحمــد حَــرّ الحــريــق واضطــرمــا

واعْلَــم وخيــر المقــال أصدقُــه بــأنّ مــن رام هــاشمــاً هُشِمــا

قال: فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساختْ بي، ثم تجلدت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبنــاءُ مخــزومَ أنجــمٌ طلعــتْ للنــاس تجلــو بنــورهــا الظُّلَمــا

/ نجــود بــالنَّيــل قبــلَ تُسْــألــه جُــوداً هنيئــاً وتضــربُ البُهَمــا[3] ٩/١٥

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ[4]، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هــاشــمُ شمــسٌ بــالسَّعْــدِ مَطْلَعهــا إذا بَــدَت أخفــت النجــومَ مَعَــا

اختــار منهــا ربِّــي النبــيَّ فمــن قــارَعَهــا[5] بعــد أحمــدٍ قُــرِعــا

فاسودَّت الدنيا في عيني، ودِيربي، وانقطعت، فلم أُحِر جواباً. ثم قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ، فما يسعنا مفاخرتك. فقال: كيف؟ لا أمّ لك، والله لو كان منك لفخرتَ به عليّ. فقلت: صدقتَ وأستغفر الله، إنه لموضع الفَخار. وداخلني السرور لقطعه الكلام، ولئلا ينالني عَوَز[6] عن إجابته فأفتضح. ثم إنه ابتدأ بالمناقضة، فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلتَ فلم أجدْ بُدًّا من الاستماع، فقلت: هات. فقال:

/ نحــنُ الــذيــن إذا سمــا لِفَخــارهــم ذو الفخــر أقعــده هنــاك القُعْــدُدُ[7] [١٦/١٨٩]

افخــر بنــا إن كنــتَ يــومــاً فــاخــراً تَلْــقَ الأُلَــى فخــروا بفخــرك أُفْــرِدوا

قــلْ يــابــن مخــزومٍ لكــل مفــاخــرٍ منــا المبــاركُ ذو الــرســالــة أحمــد

مــاذا يقــول ذوو الفَخــار هُنــا لِكُــمْ هَيهــاتَ ذلــك، هــل يُنــال الفــرقَــدُ

فحَصرت والله وتبلَّدت، وقلت له: إن لك عندي جواباً فأنظرني. وأفكرت مَليّاً، ثم أنشأت أقول:

لا فَخْــرَ إلا قــد عــلاه محمــدٌ فــإذا فخــرتَ بــه فــإنــي أشهــدُ

أنْ قَــدْ فخــرتَ وفُقْــتَ كــلَّ مفــاخــرٍ وإليــك فــي الشــرف الــرفيــعِ المَعْمــدُ

ولنــا دعــائــم قــد بنــاهــا أوّلٌ فــي المكــرمــات جــرى عليهــا المَــوْلِــدُ

---

(١) ما تلعثم: ما توقف.

(٢) «بدائع البدائه»: همي. ومضارعه يهمي.

(٣) جمع بهمة، وهو الشجاع ينبهم أمره على قرنه، فلا يدري من أين يصيبه.

(٤) «بدائع البدائه»: أسرع من البرق.

(٥) كذا في ف. وفي الأصول و «بدائع البدائه»: قارعنا.

(٦) كذا في ف، مب. في «بدائع البدائه»: عجز عن إجابته. وفي الأصول: خور عن إجابته.

(٧) القعدد: اللئيم الخامل القاعد عن المكارم. وفي «بدائع البدائه»: الزمان القعدد.

مــن رامهــا حــاشــى النبــيُّ وأهلــه ... بــالفخــر غطمطــه الخليــجُ المُــزْبِــد[(١)]

دعْ ذا ورُحْ لِغنــســاء خَــــوْدٍ بَضَّــــةٍ ... ممــا نطقــتَ بــه وغَنَّــى مَعْبَــدُ

مــعْ فتيــة تَنْــدى بطــونُ أكفهــم ... جُــوداً إذا هَــرّ[(٢)] الــزمــانُ الأنكَــدُ

يتنــاولــون سُــلافــة عــانيــة ... طــابــت[(٣)] لشــاربهــا وطــاب المقْعَــد

فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أجابني بجواب كان أشد علي من الشعر. قال لي: يا أخا بني مخزوم، أريك السُّهَا وتريني القَمَر ـ قال أبو عبد الله اليزيديّ[(٤)]: أدُلُّك على الأمر الغامض، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح. وهذا مَثَلٌ ـ أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح، وهي الخمر المحرمة؟ فقلت له: أما علمت أصلحك الله / أن اللهَ عز [١٦/١٩٠] وجل يقول في الشعراء: ﴿وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾[(٥)]. فقال: صدقت، وقد استثنى الله قوماً منهم، فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[(٦)]، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر. فقلت: أصلحك الله، لا أجد للمستخذي شيئاً أصلح من السكوت. فضحك وقال: أستغفر الله. وقام عني.

قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى، وقال يابن أبي ربيعة، أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنةً لا تطاق، ارفع حوائجك. قال: فرفعتها فقضاها، وأحسن جائزتي وصرفني[(٧)].

$\frac{11}{15}$ واللفظ في هذا الخبر لمحمد / بن العباس[(٨)].

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممن ذكرت صنعته في هذا الخبر

خليدة المكية

منهم خُليدة المكية، وهي مولاة لابن شَمّاس، كانت هي وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك.

فأخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال:

كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية[(٩)]، وكان محمد بن هشام يصنع الطعامَ الرقيق، فيشير إليهم، فيمسكون عن الأكل، فيفطُن هِشام، فيقول: لقد حدث شيء، ثم يقوم محمد، فيتسلَّل القوم إليه، وجاءت

(١) بالفخر: كذا في ف، مب و «بدائع البدائه». وفي الأصول: في الأرض. وغطمطه: اضطربت به أمواجه.

(٢) هر: ساء خلقه واشتد. وفي «بدائع البدائه»: غلج الحرون الأنكد. ويقال غلج الفرس: خلط في سيره واضطرب.

(٣) «بدائع البدائه»: لذت.

(٤) هو محمد بن العباس اليزيدي النحوي (ت ٣١٠ هـ). ومن لفظه نقل أبو الفرج هذا الخبر؛ كما سيأتي في آخره. وفي الأصول: الزبيري. تحريف. والتصويب عن «بدائع البدائه»، لعلي بن ظافر.

(٥) سورة الشعراء آية: ٢٢٦.

(٦) سورة العصر آية: ٣، وسورة التين آية: ٦ وسورة الانشقاق آية: ٢٥.

(٧) قال علي بن ظافر في «بدائع البدائه» ص ١٧ تعليقاً على هذه القصة: «وأحسب الحكاية مصنوعة، لأن أشعارها ضعيفة».

(٨) هو أبو عبد الله اليزيدي (انظر ترجمته في هامش ص ١٨٩).

(٩) كذا في ف. وفي الأصول: وبنو ناجية. تحريف.

/ خُليدة المكية، فصعِدُوا غُرفة، فلما غَنَّت إذا حَفْز[1] ونفس، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد: [١٦/١٩١]

يـا قـدمـيّ ألحقـانـي بـالقـومْ لا تَعِـدَانـي كَسَـلاً بعـد اليـومْ

فلما رآهم، قال: أحسبه قد جلس معهم. وقال لخُليدة: غني. فغنت. فقال لها: اكتبي في صدرك ﴿قل هو الله أحد والمعوِّذتين﴾ لا تصيبك العين.

كان ابن جامع يطرب لغنائها

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خُرْدَاذْبه قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيمَ الموصليّ، عن الفضل بن الربيع قال:

ما رأيت ابن جامع يضرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكية، وكانت سوداء، وفيها يقول الشاعر:

يــا لقــومِ خُلَيــدة المكيــة فتَنَـت كـاتـبَ الأميـرِ رِيـاحـا[2]

أرسل إليها محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان يخطبها

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبة، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه، قال: حدّثني عمر بن شبة قال:

بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليه. فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسترها، ثم وثبت، فقالت: إنما ظننتك بعض سفهائك، ولكني ألبس لك ثياب مِثلك، ثم أخرج إليك. ففعلت. وقالت: قل. قال: أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين بين رسول الله ﷺ وبين عليّ وعثمان، وهو ابن عم أمير المؤمنين، يخطِبك. وقالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع نسبي أنا، بأبي أنت. / إن أبي بِيع على غير عَقْد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً، ومات وفي رجله قيد، وفي عنقه سلسلة، وعلى الإباق والسِرقة؛ وولدتني أمي على غير رِشدة، وماتت وهي آبقة، فأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحاً مُباحاً، أو زناً صُرَاحاً، فهلم إليه، فنحن له. فقال: إنه لا يدخل في الحرام. قالت: ولا ينبغي أن يستحيَ من الحلال. فأما نكاح السِّر فلا. والله لا فعلته، ولا كنت عاراً على القِيان. قال: فأتيت محمداً فأخبرته، فقال: ويلك! أتزوّجها مُعْلِناً وعندي بنت طلحة بن عُبيد الله! لا. ولكن ارجع إليها، فقل لها تختلف إليّ أردد بصري فيها، لعلي أسلو. فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت، وقالت: أما هذا فنعم. لسنا نمنعه منه. [١٦/١٩٢]

صوت

رُبَّ ليـلٍ نـاعـم أحييتُـه فـي عفـافٍ عنـد قَبّـاءِ الحشَـى

/ ونهار قد لهونا بالتي لا نـرى شبهـاً لهـا فيمـن مَشَـى ١١/١٥

لِطلـوعِ الشمـس حتـى آذنـت بغـروب عنـد إبـان العِشـا[3]

---

(١) الحفز: الدفع، وتتابع النفس في الصدر. وفي الأصول: صفر.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: رباحاً.

(٣) رواية الشطر الثاني في الأصول: «لغروب أنت تهوى من تشا».

لِسُلَيْمَى مَا دعت قُمْرِيَّة بهديل فوق غصن من غَضَى
وعُقَارٍ قهوةٍ باكرتُها في ندامَى كمصابيح الدُّجَى
وجواد سابح أقحمته حَوْمة الموت على زُرق القَنا

[١٦/١٩٣] / الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد، فيما ذكر الزُّبير بن بكّار. وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ وخالدُ بن كُلثوم: أنه لابنه خالد بن المهاجر. والغناء لابن محرز، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان، أحدهما هزج خفيف بالسبابة، في مجرى البنصر، عن إسحاق وابن المكي، والآخر رمل بالبنصر، عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر، عن ابن المكيّ. قال: وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر، نشيد[١]، ووافقه عمرو والهشامي. وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز، والمعمول عليه الرواية الثانية.



(١) كذا في مب. وفي بقيّة الأصول: «نشيد مسجح».

/ أخبار المهاجر بن خالد ونسبه، وأخبار ابنه خالد

[١٦/١٩٤]

اسمه ونسبه

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وكان الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش، وجواداً من جُوَدائها[1]. وكان يلقب بالوَحيد. وأمه صَخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس، امرأة من بَجِيلة، ثم من قَسْر. ولما مات الوليد بن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة، لإعظامها إياه، حتى كان عام الفيل، فجعلوه تاريخاً. هكذا ذكر ابن دأب.

وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤَمَّليّ، أنها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة، فأرّخوا بها.

بلاء خالد في الإسلام

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله ﷺ والغَناء في حروبه المحل المشهور، ولقّبه رسول الله ﷺ سيف الله، وهاجر إلى النبيّ ﷺ قبل الفتح وبعد الحُدَيْبِية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة. فقال النبيّ ﷺ لما رآهم: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. وشهد فتح مكة مع النبيّ ﷺ؛ فكان أوّل من دخلها في مُهاجِرة العرب من أسفل مكة، وشهد يوم مُؤْته. فلما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة، ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم، انحاز بهم، وحامَى عليهم حتى سلموا، فلقّبه يومئذ رسول الله ﷺ: سيف الله.

حدّثنا بذلك أجمع الحَرَميّ بن أبي العلاء والطوسيّ عن الزبير بن بكار.

/ وكان خالد يوم حنين في مقدمة رسول الله ﷺ ومعه بنو سليم، فأصابته جِراح كثيرة، فأتاه رسول الله ﷺ [١٦/١٩٥] بعد هزيمة المشركين، فنَفث على جِراحه، فاندملت ونهض. وله آثار في قتال أهل الرِّدَّة، في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة، يطول ذكرها. وهو فَتَح الحِيرة، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن / بُقَيلة، فكلمه خالد، فقال ١٢/١٥ له: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي. قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل وامرأة. قال: فأين أقصَى أثرك؟ قال: منتهى عمري. قال: أتعقِل؟ قال: نعم، وأُقَيِّد. قال: ما هذه الحصون؟ قال: بنيناها نتقي بها السفيه حتى يردعه الحليم. قال: لأمر ما اختارك قومك، ما هذا في يدك؟ قال: سَمٌّ ساعة. قال: وما تصنع به؟ قال: أردت أن أنظر ما تردني به: فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم، وإلا شربته، فقتلت نفسي، ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون. فقال له خالد: أرنيه. فناوله إياه. فقال خالد: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثم أكله، فتجللته غشية، ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه.

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: أجوادها، وهما بمعنى.

فرجع ابن بُقيلة إلى قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين، وما لكم بهم طاقة، فصالِحوهم على ما يريدون. ففعلوا.

أخبرني بذلك إبراهيم بن السِريّ، عن يحيى التميمي، عن أبيه، عن شعيب بن سيف. وأخبرني به الحسن بن عليّ عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد، عن الواقديّ.

وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جبَل، فرضوا به وبإمارته.

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد حَلَق رأسه ذات يوم، فأخذ خالد شَعره، فجعله في قلنسوة له، فكان لا يلقَى جيشاً وهي عليه إلا هزمه.

[١٦/١٩٦] / وروى عن النبيّ ﷺ الحديث، وحُمل عنه. ورآه النبيّ ﷺ مُتَدلّياً من هَرْشَى فقال: نِعْم الرجل خالد بن الوليد.

أخبرنا بذلك الطوسِيّ والحَرَميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن أبي سعيد[1] المقبريّ، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال ذلك له.

ما صنعه النساء عند موت خالد

قال الزبير: وحدّثني محمد بن سَلاّم، عن أبان بن عثمان قال:

لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لِمَّتها على قبره، يعني حلقت رأسها، ووضعت شعرها على قبره.

قال ابن سَلاّم: وقال يونس النحوي: إن عمر رضي الله عنه قال حينئذ: دعوا نساء بني المغيرة يَبكين أبا سليمان، ويُرِقن من دموعهن سَجْلا أو سجلين، ما لم يكن نقع أو لقلقة.

قال: والنقع: مد الصوت بالنحيب. واللقلقة: حركة اللسان بالولولة ونحوها.

قال الزبير، فيما ذكره لي من رويت عنه: حدّثني محمد بن الضّحاك عن أبيه:

كان خالد أشبه الناس بعمر

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشبهَ الناس بخالد بن الوليد، فخرج عمرُ سَحَراً، فلقيه شيخ، فقال له: مَرْحَباً بك يا أبا سليمان، فنظر إليه عمر، فإذا هو عَلْقمة بن عُلاثة، فردّ عليه السلام. فقال له علقمة: عزلك عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: نعم. قال: ما شَبِع، لا أشبع الله بطنه! قال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلا السمع والطاعة.

[١٦/١٩٧] / فلما أصبح عمر دعا بخالد، وحضره علقمة بن عُلاثة، فأقبل على خالد، فقال له: ماذا قال لك علقمة؟ قال: ما قال لي شيئاً. قال: اصدُقْني. فحلفَ خالد بالله ما لقيه، ولا قال له شيئاً. فقال له علقمة: حِلا[2] أبا

(١) كذا في ف. وفي مب: سعد. وفي بقية الأصول: سعيد المقبري.

(٢) حلا: أي تحلل من حلفك.

سليمان. فتبسم عمر، فعلم خالد أن عَلقمة قد غلِط، فنظر إليه، وفَطَن علقمة، فقال له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فاعفُ عني، عفا الله عنك. فضَحِك عمر وأخبره الخبر.

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حدّثنا / المدائني، عن شيخ من أهل الحجاز، عن ١٣/١٥ زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، وعن أبي ذئب[١]، عن أبي سُهيل أو ابن سهيل:

دس معاوية لعبد الرحمن بن خالد من يقتله

أن معاوية لما أراد أن يُظْهِرَ العهْد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كَبِرت سنه، ورق جِلده، ودق عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودس ابن أُثال الطبيب إليه، فسقاه سَمّاً فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكة، وكان أسوأ الناس رأياً في عَمِّه، لأن أباه المهاجر كان مع عليّ عليه السلام بصِفِّين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشميّ المذهب، ودخل مع بني هاشم الشِّعْب، فاضطغن ذلك ابنُ الزُّبَير عليه، فألقى عليه زِق خمر، وصبّ بعضه على رأسه، وشنّع عليه بأنه وجده ثَمِلاً من الخمر، فضربه الحدّ. فلما قُتِل عمه عبد الرحمن مَرَّ به / عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد: أتدع ابن أُثال [١٦/١٩٨] يَنْقِي[٢] أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مُسْبِل إزارك، تجره وتخطِر فيه متخايلاً؟ فحمِي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بد من قتل ابن أُثال، وكان نافع جَلْداً شهماً.

فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أُثال يُمْسِي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فإني أضربه، ولكن احفظ ظهري، واكْفِني من ورائي، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثَب عليه فقتله، وثار إليه مَن كان معه. فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غَشُوْهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً، ففاتا القوم. وبلغ معاويةَ الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقلبوا الزُّقاق الذي دخل فيه. ففُتِّش عليه، فأُتي به. فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً، قتلت طبيبي. قال: قتلت المأمور ويقي الآمِر. فقال له: عليك لعنة الله! أما والله لو كان تَشَهَّد مرة واحد لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى والله ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فوُجد، فأُتي به، فضربه مِئة سوط. ولم يهج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أُثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيتَ المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهَد، حتى وَلِيَ عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذُه السلطان لنفسه، وأثبتَ الذي يدخل بيت المال.

وخالد بن المهاجر الذي يقول:

---

(١) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: سليمان بن أبي ذئب.

(٢) ينقي: أي يستخرج المخ من العظام. يريد أن يعبث بأعضاء الزبير بعد قتله إياه، لأنه لا يعبأ بأحد من أهله. والكلمة في ف غير واضحة تماماً، وقد تقرأ: يفني، أو يقي، ولا معنى لهما هنا. وانظر الكلمة مرة ثانية في صفحة (٢٠٠ سطر ٢).

[١٦/١٩٩]

/ صوت

يا صاحِ يا ذا الضامِرِ العَنْسِ والرحلِ ذي الأنساعِ والحِلْسِ
سَيْرَ النهارِ ولستَ تاركه وتُجِدُّ سَيْراً كلما تمسي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون، لحنان: ثقيل أوّل، وخفيف ثقيل. ذكر يونس أن أحدهما لمالك، ولم يذكر طريقة لحنه، ووجدته في جامع غناء معبد، عن الهشاميّ. ويحيى المكي له فيه خفيف ثقيل. وهكذا ذكر عليّ بن يحيى أيضاً، ولعله رواه عن ابن المكيّ. وإن كان هذا لمعبد صحيحاً، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل. وذكر حبش، وهو ممن لا يحصِّل قوله: أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى.

١٤/١٥

/ رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

خالد يحرض عروة بن الزبير على قتل بن جرموز

قال: ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحَبْس:

إمّا خُطايَ تقارَبَتْ مَشْيَ المقيَّد في الحِصارِ
فبما أُمَشّي في الأبا طِحِ يقتفي أثري إزاري
دع ذا ولكنْ هل ترى ناراً تُشَبُّ بذي مُرَار[١]
ما إن تُشَبُّ لِقُرَّةٍ للمصطلين ولا قُتار
ما بالُ ليلكَ ليس يَنْـ ـقُص طُولَه طولُ النهارِ
لتقاصُرِ الأزمانِ أم غَرَضِ الأسيرِ من الإسارِ؟[٢]

[١٦/٢٠٠] / قال: فبلغت أبياتُه معاويةَ، فرق له وأطلقه. فرجع إلى مكة. فلما قدمها لقِي عروة بن الزبير، فقال له: أما ابن أُثال فقد قتلتُه، وذاك ابن جُرموز يُنْقِي[٣] أوصالَ الزُّبير بالبصرة، فاقتله إن كنتَ ثائراً. فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسِك عنه، ففعل.

غنى إبراهيم بن المهدي في شعر للمهاجر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن نعيم قال: حدّثني إسحاق بن محمد قال: حدّثني عيسى بن محمد القَحْطَبيّ قال: حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

غنى إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر:

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتابِ والحِلْسِ

---

(١) ذو المرار: أرض كثيرة المرار، وهو حمض أو شجر مر من أفضل العشب وأضخمه، إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها، فبدت أسنانها («تاج العروس»).

(٢) الغرض: مصدر غرض: إذا ضجر وقلق.

(٣) انظر التعليق على هذه الكلمة في (ص ١٩٨: سطر ١).

قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: تأمر سيدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي، فهو أحب إليّ منها؟ فقال له: يا عم، ألق هذا الصوت على محمد. فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخُذه قال: اذهب فأنت أحذقُ الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغدُ غداً عليّ. فغدوت عليه، فأعاده ملتوياً[1]، فقلت له: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد؛ أنت ابن الخليفة، وأخو الخليفة، وعمّ الخليفة، تجود بالرغائب، وتبخل عليّ بصوت؟ فقال: ما أحمَقك! إن المأمون لم يستبقني محبة لي، ولا صلة لرحمي، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره. قال: فأعلمتُ المأمون بمقالته. فقال: إنا لا نكدِّر على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت / أيام المعتصم نشِط للصَّبوح يوماً، فقال: أحضروا عمِّي. فجاء في [١٦/٢٠١] دُرّاعة بغير طَيْلَسَان، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّاً، فقال: يا عمّ غنِّني:

يـا صـاحِ يـا ذا الضـامـرِ العنـسِ … والـرحـلِ ذي الأقتـاب والحلـسِ

فغناه. فقال: ألقه على محمد، فقال: قد فعلت، وقد سبق مني قول ألا أعيدَه عليه. ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضُر.

صوت

أقفـرَ بعـد الأحبّـة البلَـدُ … فهـو كـأنْ لـم يكـنْ بـه أحـدُ

شَجـاك نُـؤيٌ عَفَـت معـالمُـهُ … وهـامـدٌ فـي العِـراص مُلتبـدُ

أمُّـك عَنسيـة مهـذَّبـة … طـابت لهـا الأمّهـات والقَصَـدُ[2]

/تُـدْعـى زهيـريـة إذا انتسبـتْ … حيـث تـلاقـى الأنسـابُ والعَـدَد [١٥/١٥]

الشعر لحمزة بن بِيض، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكيّ.

(١) ف، مب: متلونا.

(٢) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: والنحد. والقصد: اسم جنس جمعي واحده قصدة بالتحريك، وهي من كل شجرة ذات شوك، أن يظهر نباتها أول ما ينبت. يريد طابت أمهاتها ومنابتها.

[١٦/٢٠٢]

/ أخبار حمزة بن بيض[1] ونسبه

هو شاعر إسلامي خليع

حمزة بن بِيض الحَنفيّ: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كوفيّ خليع ماجن، من فحول طبقته. وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبي صُفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بُردة. واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً، ولم يدرك الدولة العباسية.

تكسبه بالشعر

أخبرني عمي قال: حدّثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن بِيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف دِرهم، من مال وحُملان[2] وثياب ورقيق غير ذلك.

بلال بن أبي بردة يمزح معه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو تَوْبة، قال:

قدم حمزة بن بِيض على بلال بن أبي بُردة، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه: استأذن لحمزة بن بِيض الحنفيّ، فدخل الغلام إلى بلال، فقال: حمزة بن بِيض بالباب. وكان بلال كثير المزح معه، فقال: اخرج إليه فقل: حمزة بن بِيض ابن مَن؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك. فقال: ادخل فقل له: الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد، تسأله أن يهب لك طائراً، فأدخلك[3] وناكك، ووهب لك طائراً[3]. فشتمه الحاجب. فقال له: ما أنت وذا؟ بعثك برسالة، / فأخبره بالجواب. فدخل الحاجب وهو مغضَب، فلما رآه بلال ضحك، وقال: ما قال لك قبّحه الله؟ قال: ما كنت لأخبر الأمير بما قال. فقال: يا هذا، أنت رسول فأدِّ الجواب. قال: فأبى. فأقسم عليه حتى أخبره. فضحك حتى فحص برجله، وقال: «قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه، ورفعه، وسمع مديحه، وأحسن صلته.

[١٦/٢٠٣]

قال: وأراد بقوله (ابن بِيض ابن مَنْ؟) قول الشاعر فيه:

أنت ابن بِيض لعمري لست أنكره ... وقد صدقت، ولكن مَن أبو بِيض؟

يمدح مخلد بن يزيد فيثيبه

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، وأخبرني وكيع قال: حدّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان، قال: حدّثني أبو الحسن الشّيباني قال: حدّثني شعيب بن صفوان، قال:

---

(١) ضبطه ابن بري والمطرز بكسر الباء. وضبطه ابن حجر بالفتح. وقال الفراء: إنه جمع أبيض وبيضاء (عن «تاج العروس»).

(٢) الحملان: الدواب التي تحمل الهبات خاصة.

(٣ ـ ٣) هذه العبارة في الأصول، وسقطت من ف. والسياق بعدها يقتضيها.

قدم حمزة بن بِيض على مَخْلد بن يزيدَ بن المهلب وعنده الكميت، فأنشده قوله فيه:

أتينـاك فـي حـاجـة فـاقضِهـا ... وقـل مـرحبـا يَجِـبِ المـرحـبَ

ولا تكِلَنّـــا إلـــى معشـــر ... متـى يعِـدوا عِـدة يكـذبـوا

فـإنـك فـي الفـرع مـن أسـرة ... لهـم خضـع الشـرق والمغـرب

وفـي أدبٍ منهـمُ مـا نشـأتَ ... ونعْـمَ لعمـرُك مـا أدّبـوا[1]

بلغـت لعَشـر مضـت مـن سنيـ ... ـك مـا يبلـغ السيـدُ الأشيـب

فهَمُّـك فيهـا جسـام الأمـور ... وهُـم لِـداتـك أن يلعبـوا

/ وجُـدْتَ فقلـت ألا سـائـل ... فيعطَـى ولا راغـبٌ يـرغـب [١٦/ ٢٠٤]

فمنـك العطيـة للسـائليـن ... وممـن ينـوبـك أن يَطلُبـوا[2]

/ فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها. وقال أيضاً ١٦/١٥ في خبره: فحسده الكميت. فقال له: يا حمزة، أنت كمُهْدِي التمر إلى هَجَر، قال: نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر.

مرضه

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثني محمد بن يزيدَ النحويّ، قال: قال الجاحظ:

أصاب حمزةَ بن بِيض حُصْر[3]، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القُولَنْج، إذ ضرط رجل منهم، فقال حمزة: من هذا المنعَم عليه؟

نبوءة شعرية له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه قال: قال عليّ بن الصباح: حدّثني هشام بن محمد، عن الشَّرْقيّ، قال:

زعم هشام بن عروة أن عبد الرحمن بن عنبسة مَرّ فإذا هو بغلام أصبَح الغلمان وأحسنهم، ولم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له: يتيم من أهل الشام، قدم أبوه العراق في بَعْث[4] فقُتل، وبقي الغلام هاهنا، فضمه ابن عنبسة إليه، وتبناه. فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا، ومرّ يوماً على بِرذون ومعه خدم على ابن بِيض، وحول ابن بِيض عِياله في يوم شات، وهم شُعْث غُبْر عُراة، فقال ابن بِيض: من هذا؟ فقيل: صَدَقة يتيم ابن عنبسة. فقال:

---

(١) البيت ساقط من ف، مب.

(٢) البيت عن ف، مب.

(٣) الحصر: احتباس البطن أو البول.

(٤) البعث: الجيش.

يَشْعَث صِبيانُنا وما يَتموا ... وأنت صافي الأديم والحدقهْ
فليت صِبيانَنا إذا يتموا ... يلقَون ما قد لقيت يا صدقهْ
[١٦/٢٠٥] / عوّضك الله من أبيك ومن ... أمك في الشام بالعراق مِقهْ
كفاك عبد الرحمن فَقدَهما[١] ... فأنت في كُسوة وفي نَفَقهْ
تظل في دَرْمك[٢] وفاكهة ... ولحمِ طير ما شئت أو مرقهْ
تأوي إلى حاضن وحاضنة ... زادا على والديك في الشفقهْ
فكل هنيئاً ما عاش ثم إذا ... مات فَلَغْ في الدماء والسِرقهْ
وخالف المسلمين قِبلَتهم ... وضَلّ عنهم وخادِنِ الفسقهْ
واشتر نهد التليل ذا خصَلٍ ... لصوته في الصهيلِ صَهْصَلَقَه[٣]
واقطع عليه الطريق تُلْفَ غدا ... رَبَّ دنانيرَ جمةٍ ورِقَهْ[٤]

فلما مات عبد الرحمن، أصابه ما قال ابن بِيض أجمع: من الفساد والسِرقة وصحبة اللصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأُخِذ وصُلِب.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ عن أبيه. قال ابن عمار: وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي عن أبي سفيان الحميريّ قال:

نبوءة أخرى

خرج حمزة بن بِيض يريد سفراً، فاضطره الليل إلى قرية عامرة، كثيرة الأهل والمواشي، من الشاءِ والبقر، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيراً، فغدا عليهم، وقال:

لعن الإله قرية يممتها ... فأضافني ليلاً إليها المغربُ
الزارعين وليس لي زرع بها ... والحالبين وليس لي ما أحلُب
[١٦/٢٠٦] / فلعل ذاك الزرع يُودِي أهلُه ... ولعل ذاك الشاء يوماً يَجْرب
ولعل طاعوناً يصيب علوجها ... ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

١٧/١٥ // قال: فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون، فأباد أهلها، وخربت إلى اليوم. فمر بهم ابن بِيض، فقال: كَلاّ، زعمتُ أني لا أُعطَى مُنْيَتي. قالوا: وأبيك لقد أعطيتها، فلو كنت تمنيت الجنة كان خيراً لك. قال: أنا أعلم بنفسي، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكني أرجو رحمة ربي عز وجلّ.

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: همهما.
(٢) الدرمك: الدقيق الأبيض.
(٣) النهد: المرتفع. والتليل: العنق. والصهصلقة: شدة الصوت.
(٤) الرقة: الدراهم المضروبة.

هجو من لم يحسن ضيافته

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلاّبيّ قال: قال ابن عائشة:

خرج ابن بِيض في سفر، فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس، وألقوا لِبغلته تبناً، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته، فقال:

أحسُبيهـــا ليلـــة أدلجتُهـــا   فكلـــي إن شئـــتِ تِبْنـــاً أو ذري

قـــد أتـــى ربَّـــكِ خبـــزٌ يـــابـــس   فتعـــزّي معـــه واصطبـــري[1]

الفرزدق يفحمه

حَدَّثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدّثنا المدائني، قال:

قال حمزة بن بِيض يوماً للفرزدق: أيُّما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: لا أسبقه ولا يسبقني، ولكن نكون معاً. فأيُّما أحب إليك، أن تدخل إلى بيتك، فتجد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك، أو تجد امرأتك قابضه على أيره؟ فقال: كلام لا بد من جوابه، والبادي أظلم، بل أجدها قابضة على أيره، قد أَغْبته[2] عن نفسها.

/ **جبنه** [١٦/٢٠٧]

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميني[3]: قال ابن الأعرابي:

وقع بين بني حنيفة بالكوفة، وبين بني تميم شر، حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بِيض: ألا تأتي هؤلاء القوم، فتدفعَهم عن قومك، فإنك ذو بيان وعارضة؟ فقال:

ألا لا تلمنـي يـا بـن مـاهـان إننـي   أخـاف علـى فَخّـارتـي[4] أن تَحَطَّمـا

ولـو أننـي أبتـاع فـي السـوق مثلَهـا   وجـدِّك[5] مـا بـاليـت أن أتقـدّمـا

مفاضلة بين ناسك وشارب للنبيذ

قال: وكان لابن بِيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألفَ درهم، واستودع مثلَها رجلاً نبيذياً، فأما الناسك فبنى بها داره، وتزوّج النساء، وأنفقها وجحده. وأما النبيذيّ فأدّى إليه الأمانة في ماله، فقال حمزة بن بِيض فيهما:

ألا لا يغـــرَّنّـــك ذو سجـــدة   يظـــل بهـــا دائبـــاً يَخْـــدَع

كـــأن بجبهتـــه جُلْبـــة[6]   يسبـــح طـــوراً ويستـــرجـــع

---

(١) رواية الشطر الثاني في الأصول عدا ف، مب:

* فتغذي وتعزي واصبري *

(٢) أغبته: أخرته وأبعدته.

(٣) الشايميني: كلمة غير واضحة في الأصول. ولم نجد الاسم في المراجع.

(٤) يريد: رأسي.

(٥) ف، مب: وعيشك.

(٦) الجلبة: قشرة رقيقة تعلو الجرح عند البرء، شبه بها أثر السجود.

ومـا للتُّقَـى لـزِمْـت وجهـه ... ولكـن ليغتـرَّ مستـودع

فـلا تنفِـرنَّ مِـنَ أهـل النبيـذِ ... وإن قيـل يشـرب لا يُقْلِـع

فعنـدك علـم بمـا قـد خبـر ... تُ إن كـان علـم بهـم ينفـع

ثـلاثـون ألفـاً حـواهـا السجـود ... فليسـت إلـى أهلهـا تَـرجـع

بنـى الـدار مـن غيـرمـا مـالـه ... وأصبـح فـي بيتـه أربـعُ

مهـائـرُ مـن غيـر مـال حـواه ... يقـاتـون أرزاقهـم جُـوَّعُ[1]

[١٦/٢٠٨] / وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصَّحَّاف، قال: حدّثنا قَعْنب بن المحرِز، قال: حدّثنا أبو عبيدة والأصمعي، وكَيسان بن المعرف، فذكروا نحو هذا الخبر، إلا أنه حكى أن حمزة بن بِيض هو الذي استودع الرجلين المال، وقال:

١٨/١٥ / وأدى أخـو الكـأس مـا عنـده ... ومـا كنـت فـي ردهـا أطمـع

نقيضة بينه وبين أبي الجون السحيمي

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثني أحمد بن محمد، عن ابن داجة، قال:

اختصم أبو الجَون السُّحَيمي وحمزة بن بِيض، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابيّ، وهو على اليمامة، فوثب عليه حمزة وقال:

غَمَّضتُ فـي حـاجـة كـانـت تـؤرقني ... لـولا الـذي قلـتَ فيهـا قـلَّ تغميضـي

فقال: وما الذي قلت لك؟ قال:

حلفـت بـالله لـي أن سـوف تنصفنـي ... فساغ في الحلق ربقِي بعد تجريضي

قال: وأنا أحلِف لأنصفنك. قال:

سـل هـؤلاءِ إلـى مـاذا شهـادتهـم ... أم كيـف أنـت وأصحـابَ المعـارِيـض

قال: أوجعهم ضرباً. فقال:

وسـل سُحيمـا إذا وافـاك أجمعُهـم ... هـل كـان بـالشرَ حـوض قبل تحويضي

قال: فقضى له. فأنشأ السحيمي يقول:

أنـت ابـن بِيـض لعمـري لسـتُ أنكـره ... حقـاً يقينـاً، ولكـن مـن أبـو بِيـض؟

إن كنـت أنبضـت لـي قـوسـاً لتـرمينـي ... فقـد رميتـك رميـاً غيـر تنبيـض

أو كنـت خَضْخضـت لـي وطْبـاً لتسقِينـي ... فقـد سقيتـك محضـاً غيـر ممخـوض

---

(١) مهائر: أي حرائر يعطين المهر عند التزوّج بهن. ولسن إماء مملوكات.

قال: فوجَم حمزة وقُطع به. فقيل له: ويلَك! مالك لا تجيبه؟ قال: وبم أجيبه؟ والله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بِيض ما نفعني ذلك، بعد قوله: ولكن من أبو بِيض؟

/ وأخبرني بهذا الخبر ابن دُريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله. وقال فيه: إن المخاصِم له أبو [٢٠٩/١٦] الحويرِث السُّحَيمي.

يمدح يزيد بن المهلب في السجن فيكافئه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرنا السَّكْن بن سعيد، عن محمد بن عباد، قال:

دخل حمزة بن بِيض على يزيدَ بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلِق دون السماح والجود والنجدة باب حديدُهُ أشِبُ
ابنُ ثلاث وأربعين مضت لا ضِرع واهن ولا نكِب[1]
لا بَطِر إن تتابعت نِعَم وصابر في البلاء محتسِب
بَرَّزْتَ سبقَ الجواد في مَهَل وقصَّرتْ دون سعيك العَرب

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا منزل[2] لك، ثم رفع مقعداً تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه، فقال له سراً: خذه ولا تُخدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فأردت أن أردّه عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة، فإذا فَص ياقوت أحمر، كأنه سِقط زَنْد، فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق، ليُعْلَمنّ أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً، فلما / قبضت المال وصار الفَص في يده، قال لي: / والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي [٢١٠/١٦] جمرة، فلما رأى تغير وجهي قال: إني رجل تاجر، ولست أشك أني قد غممتك. قلت: إي والله وقتلتني. فأخرج إليّ مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفر عليك تلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي:

دخل حمزة بن بِيض على يزيدَ بن المهلّب، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه:

أصبح في قيدك السماحة والحاملُ للمعضلات والحَسَبُ
لا بِطرٌ إن تتابعت نعمٌ وصابرٌ في البلاء محتسِبُ

فقال له: ويحك أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنتَ هكذا لطالما أثبْت على الثناء، فأحسنت الثواب والرِّفْد، فهل بأس أن نُسلِفك الآن. قال: أما إذ جعلته سَلَفاً فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. وأمر

---

(١) الضرع: بفتح الراء وكسرها: الضعيف الجبان. وفي ف: لا سرف. وفي مب: لا ورع. والنكب، بكسر الكاف: من يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً.

(٢) ف، مب: ولا مترك لك.

غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، ويمنع الحق، يعطي الشعراء، ويمنع الأمراء.

يمدح سليمان بن عبد الملك فيكافئه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الأوّل بن مَزيد، قال: حدّثنا العُمَري عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرني مَخْلد بن حمزة بن بِيض قال:

قدم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فأنشده:

ساس الخلافةَ والداك كلاهما ... من بين سَخْطة ساخط أو طائعِ

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً ... وعلى جبينك نُور مُلْك الرابعِ

[٢١١/١٦] / سَرَّيتَ خوف بني المهلّب بعدما ... نظروا إليك بسَمٍّ موتٍ ناقِعِ

ليس الذي ولاك ربُّك منهُمُ ... عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفاً.

يغار من الكميت لمدحه مخلد بن يزيد ومكافأته إياه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثني عُيينة بن المِنهال قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: حدّثني أبو يعقوبَ الثقفيّ قال:

قال لي حمزة بن بِيض: لما وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أباه على خراسان، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها:

* هلا سألتَ معالم الأطلالِ *

وهي التي يقول فيها:

يمشين مشي قطا البطاحِ تأوُّدا ... قُبَّ البطون رواجح الأكفالِ

وقصيدته التي يقول فيها:

* هلا سألت منازلا بالأبرقِ *

أعطاه مِئة ألفِ درهم، سوى العُروض والحُمْلان، فقدِم الكوفة في هيئة لم يُرَ مثلها، فقلت في نفسي: واللهِ لأنا أولَى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت، وعلى مُضَر جميعاً. فهيأت لمَخْلد مديحاً على رويّ قصيدَتَي الكميت وقافيتيهما، ثم شخصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضَرَ في البدو، فقالوا: إنك تأتي مَخْلداً وهو فتى العرب، [٢١٢/١٠] ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك، ولكن / إذا فَرَغ من أمرك، فأعلمه مَمشانا إليك، ومسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن / تكون عند ظننا. فلما قدمت على مخلد خُراسان أنزلني، وفَرَّش لي، وأخْدَمني، وحملني، وكساني، وخلطني بنفسه، فكنت أسمرُ معه، فقال لي ليلة: أعليك دين يابن بِيض؟ قلت: دعني من مسئلتك إياي عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، وإلا لم أدخل الكوفة، ولم أعيَّر بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال

٢٠/١٥

لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت. فأمر لي بمئة ألف درهم، كما أعطي الكميت، وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكِرة بحاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته:

أتينـاك فـي حـاجـة فـاقضِهـا ... وقُـلْ مـرحبـاً يجـبِ المَـرحَـبُ
ولا تَكِلَنّـا إلـى معشـر ... متـى يعِـدوا عِـدة يكـذِبـوا
فـإنـك فـي الفـرع مـن أسـرة ... لهـم خضـع الشـرق والمغـرب
وفـي أدب منهـم مـا نشـأتَ ... ونِعْـم لعمـرُك مـا أدَّبـوا
بلغـت لعشـرٍ مضـت مـن سِنيـ ... ـك مـا يبلـغ السيـدُ الأشيـب
فهمُّـك فيهـا جِسـام الأمـورِ ... وهـمُّ لِـداتـك أن يلعبـوا

فقال: مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت: حَمالات في ديات. فتبسم، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أوَ غير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قلت: أُدَلّ على قبر المهلّب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده. فتبسم، ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت: بل أدَل على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف، / حتى بلغت سبعين[1] ألفاً. فخشيت والله أن [٢١٣/١٦] يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاءك. فقال مَخلد: أما والله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه.

مجلس المأمون والنضر بن شميل

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني النضر بن شميل، قال:

دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْو وعليّ أطمار مترعبلة[2]؛ فقال لي: يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حَرّ مرو لا يُدفَع إلا بمثل هذه الأخلاق. فقال: لا. ولكنك رجل متقشّف. فتجارَيْنا الحديث، فقال المأمون: حدّثني هُشَيم بن بَشِير[3]، عن مجالد، عن الشعبيّ، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز». هكذا قال: سَداد بالفتح. فقلت: صدق، يا أمير المؤمنين. حدّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن، أن النبي ﷺ قال: «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان فيه سِداد من عَوَز»، وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً، وقال: السَّداد لحن يا نضْر عندك؟ قلت: نعم هاهنا يا أمير المؤمنين؛ وإنما هُشَيم لَحّن، وكان لحانة، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السَّداد: القصد في الدّين / والطريقة والسبيل. والسِّداد: البُلْغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سِداد. وقد قال العَرْجيّ: ٢١/١٥

أضـاعـونـي وأيَّ فتـىً أضـاعـوا ... ليـوم كـريهـة وسِـداد ثغـرِ

---

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول: تسعين.

(٢) ممزقة.

(٣) ف، مب: هشيم بن يسار. وانظره في «خلاصة» الخزرجي.

[١٦/٢١٤] / قال: فأطرق المأمون مَلِيّاً، ثم قال: قَبَح الله من لا أدب له! ثم قال: أنشِدني يا نضر أخلب بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين:

تقول لي والعيون هاجعة: أقم علينا يوماً، فلم أُقِم

قالت: فأيَّ الوجوه؟ قلت لها: لأيّ وجه إلا إلى الحَكَم؟

متى يُقلْ حاجباً سرادِقِه: هذا ابن بِيض بالباب، يبتسم

قد كنت أسلمت فيكَ مُقْتَبِلاً فهات إذ حلَّ أعطني سَلَمِي [١]

فقال المأمون: لله درّك، كأنما شُق لك عن قلبي! فأنشِدني أنصف بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عَروبة المدني [٢]:

إني وإن كان ابن عمي عاتبا [٣] لَمُزاحِمٌ مِن خلفه وورائِه

ومُفيده نصري وإن كنت [٤] امرأ متزحزحا عن أرضه وسمائه

وأكون والِيَ سِره وأصونه حتى يحين عليّ وقت أدائه

وإذا الحوادث أجحفت بسَوامِه قُرِنت صَحيحتنا إلى جَرْبائه

وإذا دعا باسمي ليركب مَرْكبا صعبا قعدتُ له على سِيسائِه

وإذا أتى من وجهه بطريفة لم أطَّلع مِمّا [٥] وراء خِبائه

وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل: يا ليت أن عليَّ حسنَ ردائه

فقال: أحسنت يا نضر؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسديّ:

[١٦/٢١٥] / إني امرؤ لم أزل، وذاك من الله قديما، أعلّم الأدبا

أقيم بالدار ما اطمأنت بيَ الدار وإن كنت نازحا طربا

لا أجتوي خُلَّة الصديق ولا أُتبِع نفسي شيئاً إذا ذهبا

أطلب ما يطلب الكريم من الرزق بنفسي وأُجمِل الطلبا

وأحلب الثرة الصفِي ولا أجهَد أخلاف غيرِها حَلَبا

إني رأيت الفتى الكريم إذا رغَّبته في صنيعة رغِبا

(١) أسلمت: أسلفت. يريد أنه قدم إليه مديحه ولم يأخذ جائزته. ومقتبلاً: مستأنفاً. وسلمي: سلفي، يري جائزتي. وفي الأصول:

* هات أدخلن ذا واعطني سلمى *

(٢) كذا في ف و«معجم الأدباء» لياقوت «ترجمة النضر بن شميل». وفي مب: ابن أبي عروبة. وفي هامشها: المزني. وفي «طبقات النحويين» للزبيديّ ص ٥٧: «عروبة المدني». ونسبت هذه الأبيات في «الحماسة» إلى الهذيل بن مشجعة البولاني «شرح التبريزي» طبعة الأميرية ٤: ١٠٤.

(٣) ف، مب: غائباً.

(٤) كذا في ف، مب. وفي الأصول: وإن كان.

(٥) ف والأصول: فيما.

والعبـــد لا يطلـــب العَـــلاء ولا يعطيـــــك شيئــــــاً إلا إذا رهِبـــا
مثـلُ الحمـار المُـوَقَّـع السَّـوْءِ لا يُحســـن مَشْيـــا إلا إذا ضُـــربـــا [١]
قـد يُـرزَق الخـافـضُ المقيـمُ ومـا شـد بعيـس رحـلاً ولا قَتَبـا [٢]
ويُحـرَمُ الـرزقَ ذو المطيـة والـر حـل ومـن لا يـزال مغتـربـا
ولـم أجـد عُـدّة الخـلائـق إلاّ الـدِّيـن لمـا اعتبـرتُ والحَسَبـا [٣]

فقال: أحسنت يا نضر! وكتب لي إلى الحسن[٤] بن سهل بخمسين ألفاً، وأمر خادماً بإيصال رقعة، وتنجيز ما أمر به لي، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، وقال لي: يا نضْر، أنت الملحّن / لأمير المؤمنين؟ قلت: لا، بل لهشيم. قال: فذاك إذنْ، وأطلق لي الخمسين ألفَ درهم، وأمر لي بثلاثين ألفاً. ٢٢/١٥

عبد الملك بن بشر يعبث به

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: حدّثنا حماد عن أبيه، قال:

بلغني أن حمزة بن بِيض الحنفيّ كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان، وكان / عبد الملك يعبث به عبثاً [٢١٦/١٦] شديداً، فوجه إليه ليلة برسول، وقال: خذه على أي حال وجدته عليها، ولا تدعه يغيرها، وحلّفه على ذلك، وغلّظ الأيمان عليه. فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن يدخل الخَلاء، فقال: أجب الأمير. فقال: وَيْحَك، إني أكلت طعاماً كثيراً، وشربت نبيذاً حُلْواً، وقد أخذني بطني. قال: والله لا تفارقني أو أمضيَ بك إليه، ولو سَلَحت في ثيابك. فَجَهد في الخلاص، فلم يقدر عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعداً في طارمة[٥] له، وجارية جميلة كان يتحظاها جالسة بين يديه، تسجُر النّدّ في طارمته، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه.

قال: فعرضت لي ريح، فقلت: أسرحها وأستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البَخور، فأطلقتها، فغلبت والله ريح النّدّ وغَمرته، فقال: ما هذا يا حمزة! قلت: عليَّ عهد الله وميثاقه، وعليّ المشي والهَدْي إن كنت فعلتها. وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة. فغضب واحتفظ، وخجلت الجارية، فما قدَرت على الكلام، ثم جاءتني أخرى فسَّرحتها، وسطع والله ريحها. فقال: ما هذا ويلك! أنت والله الآفة. فقلت: امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها. قال: وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال: ويلكِ ما قصتكِ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حِسّاً، فزاد خجلها وأطرقت. وطمِعت فيها، فسرَّحت الثالثة، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال: خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك، وامض فقد نغصت عليّ ليلتي.

فأخذت والله بيدها، وخرجت، فلقيني خادم له، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت: أمضي بهذه. قال: لا

---

(١) الموقع: الذي في ظهره سحج، وقيل في أطراف عظامه، من الركوب؛ وربما انحص عنه الشعر، ونبت أبيض. وفي «اللسان»: الموقع الظهر وفي الأصول: لا يحمل شيئاً.

(٢) القتب: الرحل.

(٣) في الأصول عدا ف، مب: لما اختبرت.

(٤) في الأصول عدا ف، مب: الفضل.

(٥) الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرب، عن «تاج العروس».

[٢١٧/١٦] تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً / لا تنتفع به بعدها أبداً، وهذه مِئة دينار، فخذها ودع الجارية، فإنه يتحظاها، وسيندم على هبته إياها لك. قلت: والله لا نقصتك من خَمس مِئة دينار. فلم يزل يزايدني حتى بلغ مِئتي دينار، ولم تطب نفسي أن أضيعها، فقلت: هاتها، فأعطانيها، وأخذها الخادم.

فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك، فلما قربت من داره لقيني الخادم، فقال: هل لك في مِئة دينار وتقول ما لا يضرك، ولعله أن ينفعك؟ قلت: وما ذاك؟ قال: إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ الفَسَوات، ونسبتها إلى نفسك، وتنفح[1] عن الجارية ما قرفتها به. قلت: هاتها. فدفعها إليّ، ودخلت على عبد الملك، فلما وقفت بين يديه قلت: ألِي الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك، وتضحك منه؟ قال: لك الأمان. قلت: أرأيت ليلة حضوري وما جرى؟ قال: نعم. فقلت: فعليّ وعليّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري. فضحك حتى سقط على قفاه. ثم قال: ويلَك! فلم لم تخبرني؟ قلت: أردت بذلك خِصالاً، منها أن قمتِ فقضيت حاجتي، وقد كان رسولك منعني منها، ومنها أني أخذت جاريتك، ومنها أن كافأتك على أذاك لي بمثله. فقال: فأين الجارية؟ قلت: ما برحتُ من دارك ولا خرجتُ حتى سلمتها إلى فلان الخادم، وأخذت / مائتي دينار. فسُرّ بذلك، وأمر لي بمئتي دينار أخرى، وقال: هذه لجميل فِعلك بي، وتركك أخذ الجارية.

٢٣/١٥

سباق غريب

قال حمزة بن بِيض: ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم يرَ الناس أنتن إبطاً منه، فقال لي: يا حمزة، سأبق غلامي حتى يفوح صُنانكما، فأيكما كان صُنانته أنتن، فله مِئة دينار. فطمعت في المائة، ويئست منها لِما أعلمه من نَتْنِ إبط الغلام، فقلت: أفعل. وتعادينا، فسبقني، فسلحت في يدي، ثم لطخت[2] إبطي / بالسُّلاح، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصة، فلما دنا الغلام منه فشمه، وثب، وقال: هذا والله لا يساجِله[3] شيء. فصحت به: لا تعجل بالحكم، مكانَك. ثم دنوت منه، فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد خالط دِماغه، وأنا ممسك لرأسه تحت يدي. فصاح: الموت والله! هذا بالكُنُف أشبه منه بالآباط! فضحك عبد الملك، ثم قال: أفحكمت له؟ قال: نعم. فأخذت الدنانير.

[٢١٨/١٦]

رؤيا شعرية

أخبرني عمي قال: حدّثني جعفر العاصميّ قال: حدّثنا عيينة بن المنهال، عن الهيثم بن عديّ، عن أبي يعقوبَ الثقفيّ، قال: قال حمزة بن بِيض:

دخلت يوماً على مَخلَد بن يزيد، فقلت:

أنّ المشــــارق والمغــــارب كلهــــا[4] ... تُجْبَــى وأنــت أميــرهــا وإمــامُهــا

فضحك ثم قال: مه؟ فقلت:

---

(١) تدفع. وفي ف، مب: تنضح، وهو بمعنى تدفع أيضاً.

(٢) ف، مب: طليت.

(٣) ف، مب: لا يشاكله.

(٤) رواية الشطر الأول في الأصول غير ف:

* ليت المشارق والمغارب أصبحت *

أغفيتُ قبل الصبح نومَ مسهَّدٍ ... في ساعة ما كنت قبلُ أنامها

قال: ثم ماذا كان؟ قلت:

فرأيت أنك جُدت لي بوصيفة ... موسومة حَسَنٍ عليَّ قيامُها

قال: قد فعلت. فقلت:

وببَدرة حُملت إليَّ وبغلة ... سَفْواء ناجية يصِلُ لجامها[1]

قال: قد حقق الله رؤياك. ثم أمر لي بذلك كله، وما عَلِم الله أني رأيت من ذلك شيئاً.

/ قال مؤلف هذا الكتاب: وقد رُوِي هذا الخبر بعينه لابن عبدلٍ الأسديّ، وذكرته في أخباره. [١٦/٢١٩]

شعره في ابن عمه الذي حج معه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، قال: حدّثنا عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، قال:

حج حمزة بن بِيض الحنفيّ، فقال له ابن عم له: أَحجِج بي معك. فأخرجه معه، فحوقل[2] عليه بعد نشاطه، فقال ابن بِيض فيه:

وذي سِنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعتسِف خَرْقا من الأرض مَجْهلا[3]

ولم يدر ما حَلُّ الجبال وعقدُها ... إذا البردُ لم يترك لكفيه مَعْملا

ولم يقرِ مأجوراً ولا حج حِجةً ... فيضربَ سهماً أو يصاحبَ مِكتلا[4]

غدونا به كالبغل ينفض رأسَه ... نشاطاً بناه الخير حتى تفتَّلاَ[5]

ترى المَحْمِل المحسور ناءَ عُرَامه ... ويابا إذا أمسى من الشر مُقْفلا[6]

وإن قلت ليلا: أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا

يسوق مطيّ القوم طوراً وتارة ... يقسود وإن شئنا حداً ثم جلجلا[7]

فأجّلته خمساً وقلت له: انتظر ... رُوَيداً؛ وأجلنا المطيّ ليدبُلا

---

(١) السفواء: قليلة شعر الناصية، والسريعة. وفي مب: شقراء. ويصل: يصوت لما فيه من الحلية.

(٢) حوقل: مشى فأعيا وضعف.

(٣) اعتسف الطريق: ركبه على غير هداية ولا دراية. والخرق: الأرض الواسعة يشتد فيها هبوب الرياح. والمجهل: المفازة لا أعلام فيها، أو لا يهتدي فيها.

(٤) المأجور: ما يستأجر في السفر من دابة أو خادم. والمكتل: الزنبيل من خوص. وفي ف، مب: ولم يغز مأجورا... فيصحب سهماً.

(٥) تفتل: اشتد.

(٦) المحمل: كذا في ف، مب. ولعله يريد دابة الحمل. أو لعل اللفظة محرفة عن: الجمل. والمحسور: المتعب المكدود. وناء: بعد، وهو مقلوب نأى، أو لغة فيه. وعرامه: قوته ونشاطه. وفي غير ف، مب: «ويأبى إذا أمسى من الشر مقبلا».

(٧) سائق المطي: من يدفعها من خلفها. وقائدها: من يسحبها من قدامها.

[١٦/٢٢٠] ٢٤/١٥

/ فلما صدرنا عن زُبالة وارتمت ... بنا العيس منها مُنْقلا ثم مَنْقلا(١)
ترامت به المَوْماة حتى كأنما ... يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا(٢)
وحتى نَبا عن مِزود القوم ضِرْسُه ... وعادى من الجهدِ الثريدَ المرعبلا(٣)
وحتى لَوَ ان الليثَ ليثَ خَفيَّة ... يحاوله عن نفسه ما تَحَلْحلا
وحتى لَوَ ان الله أعطاه سؤله ... وقيل له: ما تشتهي؟ قال: محملا
فقلت له لما رأيتُ الذي به ... وقد خِفت أن ينضَى لدينا ويهزِلا
أطعني وكُلْ شيئاً، فقال معذِّرا ... من الجهد: أطعِمني تراباً وجندلا
فللموت خير منك جاراً وصاحبا ... فدعِني فلا لبيك ثم تَجَدلا(٤)
وقال: أقلني عثرتي وارعَ حرمتي ... وقد فسر مني مرتين لِيقفِلا
فقلت له: لا ـ والذي أنا أعبده ـ ... أقيلُك حتى تمسح الركن أوّلا

يعاتب مخلد بن زيد لتأخيره مكافأته فيرضيه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدثني أبو عمر العُمَري، قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال:

قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب، فوعده أن يصنع به خيراً، ثم شُغِل عنه، فاختلف إليه مراراً، فلم يصل إليه، وأبطأت عليه عِدته، فقال ابن بِيض:

أمَخْلَد إن الله ما شاء يصنع ... يجود فيعطي من يشاء ويمنعُ
وإنّيَ قد أملت منك سحابة ... فحالت سراباً فوق بيداء تلمع
[١٦/٢٢١] / فأجمعت صُرْماً ثم قلت: لعله ... يثوب إلى أمر جميل فيرجع
فأيأسني من خير مخلدَ أنه ... على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه ... من البغض والشَّنْآن أمسى يُقَطَّعُ
ويَبْخَل بالمعروف عمن يوَدُّه ... فوالله ما أدري به كيف أصنع؟
أأصرِمه فالصُّرم شرٌّ مغبّة ... ونفسي إليه بالوصال تَطَلَّع
وشتانَ بيني في الوصال وبينَه ... على كل حال أستقيمُ ويَظْلَع

(١) زبالة: موضع من ضواحي المدينة («التاج»). والمنقل: الطريق في الجبل.
(٢) أي صار دمعه غزيراً كمن يسف الحنظل مع الخزيرة أو الحريرة، وهي طعام من دقيق ولبن يحلى بالعسل أو التمر. يريد أنه ضجر وبكى من طول السفر ووعورته.
(٣) المرعبل: المقطع قطعاً كبيرة.
(٤) تجدلا: سقط على الجدالة وهي الأرض، من الإعياء.

وقد كان دهراً واصلاً لي مودةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرع [١]

وأعقبني صُرماً على غير إحنة ... وبخلا وقِدْما كان لي يتبرع

وغيَّره ما غيّر الناسَ قبلَه ... فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فأدخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف صفة ابن بِيض، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه، وأمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فإياك أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا والله، أصلحك الله، لا أحمل كتاباً لمن أعرف، ولا لمن / لا أعرف. قال له مَخْلد: [٢٥/١٥] احذَر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي؛ وبعث إلى ابن بِيض، فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا. فحدثه مَخْلد بقصته، فقال ابن بِيض: والله، أصلحك الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين / سَوْطاً مع الخمس مائة [١٦/٢٢٢] أبداً. فضحك مَخْلد، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخمسة أثواب، وقال: وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً. قال: أَجَلْ والله، ولكن من لي بمثلك يُعْتِبُني إذا استعتبته، ويفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال:

وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذي جئت أسألُ

ويُعتِبني يوماً إذا كنت عاتباً ... وإن قلت، زدني: قال: حقًّا سأفعلُ

تراه إذا ما جئته تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذي جئتَ تسألُ

فلله أبناءُ المهلّب فتيةً ... إذا لَقِحتْ حرب عَوانٌ تأكّلُ

هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ ... بسُمْر القنا والمشرفيةُ من عَلُ [٢]

ترى الموت تحت الخافقات أمامَهُمْ ... إذا وردوا عَلُّوا الرماح وأنهلوا

يجودون حتى يحسِب الناس أنهم ... لجودهم نذر عليهم يُحَلَّل [٣]

غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سِمام لأقوام ذُعافٌ يُثَمِّلُ [٤]

وفَى ليَ أبناءُ المهلّب إنهم ... إذا سئلوا المعروف لم يَتَسَعَّلُوا [٥]

فذلك مِيراث المهلّب إنه ... كريم نَماه للمكارم أوّل

جرى وجرت آباؤه فتحرَّزوا ... عن الذمّ في عَيطاء لا تُتَوَقَّل [٦]

---

(١) رواية البيت في الأصول عدا ف.

بوده * ومعروفه يعدو البريد المفرع

(٢) كانع: قريب، متجمع للوثبة، مترقب.

(٣) ف، مب: محلل.

(٤) ذعاف: قاتل من ساعته. ويثمل: سم تقع أياماً حتى اختمر. وفي الأصول: صحاة وثمل.

(٥) ف: لم يتنسلوا. مب: يتبسلوا: أي يتجهموا.

(٦) العيطاء: الهضبة المرتفعة. وتتوقل: يصعد فيها.

فلما أنشده ابن بِيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وقال: نزيدك ما زدتنا، ونضعف لك. فقال:

[١٦/٢٢٣] / أمَخْلَدُ لم تترك لنفسي بُغْيَةً ... وزدت على ما كنت أرجو وآملُ
فكنتَ كما قد قال مَعْنٌ فإنه ... بصير بما قد قال إذ يتمثَّلُ
وَجَدْتُ كثير المالِ إذ ضَنَّ مُعْدِماً ... يُذَمُّ ويَلْحاه الصديقُ المؤَمِّل
وإن أحقّ الناس بالجودِ مَن رأى ... أباه جَواداً للمكارم يُجْزل
تَرُبُّ الذي قد كان قَدَّم والد ... أغَرُّ إذا ما جئته يَتَهلل[١]
وَجَدْتَ يزيداً والمهلَّبَ بَرَّزا ... فقلت: فإني مثلَ ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية ... يُقَصِّر عنها السابق المتمهِّل
فأنت غِياث لليتامى وعِصمة ... إليك جِمال الطالِبي الخيرِ تُرحل
أصاب الذي رجَّى نداك مُخيلة ... تصُبّ عزاليها عليه وتَهطِل[٢]
ولم تُلْفَ إذ رَجَّوا نوالَك باخلا ... تضَن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ[٣]
وموت الفتى خير له من حياته ... إذا كان ذا مال يَضَنُّ ويبخل

فقال له مخلد: احتكم. فأبى، فأعطاه عشرة آلاف[٤] دينار وجارية وغلاماً وبِرذَوناً.

الصداقة بينه وبين حماد بن الزبرقان

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال:

٢٦/١٥ كان حمزة/ بن بِيض شاعراً ظريفاً، فشاتم حمادَ بن الزبرقان، وكان من ظُرفاء أهل الكوفة، وكلاهما صاحب شراب، وكان حمّاد يُتَّهم بالزندقة، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا، فدخلا يوماً على بعض وُلاة الكوفة، فقال [١٦/٢٢٤] لابن بِيض: / أراك قد صالحت حماداً، فقال ابن بِيض: نعم، أصلحك الله، على ألا آمرَه بالصلاة، ولا ينهاني عنها.

شعره في التشوق لأهله لطول مقامه بالبصرة

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحّاف قال: حدّثنا قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال:

قدم حمزة بن بِيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى، وبينهما مودة منذ الصِّبا، فطال مقامه عنده، فاشتاق إلى أهله وولده، فكتب إلى بلال:

---

(١) مب: «إذا مازرته». والبيت ساقط كله من ف.
(٢) العزالي: جمع عزلاء، وهي مصب الماء من القربة.
(٣) كذا في الأصول. وفي ف: يفصل. وفي مب:
* يظل على المعروف والمال يفضل *
(٤) في الأصول: ألفي دينار.

كَلَّتْ رحالي وأعواني وأحراسي ... إلى الأمير وإدلاجي وإملاسي[1]

إلى امرىء مُشْبَع مجداً ومكرُمة ... عادية[2] فهو حالٍ منهما كاسي

فلستُ منك ولا مما مَتَنْتَ به ... من فضل ودك كالمَرميّ في راسي

إني وإياك والإخوانَ كلَّهم ... في العسر واليسر لو قِيسوا بمقياس

وذاك مما ينوبُ الدهرُ من حَدَث ... كالورد في المَثَل المضروب والآس[3]

يبيد هذا فيبلَى بعد جدّته ... غَضًّا وآخره رهن بإيناس[4]

وأنت لي دائم باقي بشاشته ... يهتز في عود لا عَشٌّ ولا عاسي[5]

فعجل له بلال صلته، وسرّحه إلى الكوفة.

يستكسي سليمان بن عبد الملك فيكسوه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال: حدّثنا أبو المُعارِك الضَّبِيّ قال: حدّثني أبو مِسكين قال:

دخل حمزة بن بِيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

رأيتك في المنام شننت خزا ... عليّ بَنَفْسَجاً وقضيت ديني

فصدق يا فدتْك النفس رؤيا ... رأتها في المنام لديك عَيْني

/ فقال سليمان: يا غلام أدخله خزانة الكِسوة، واشنُن عليه كل ثوب خَزٍّ بَنَفْسَجِيّ فيها: فخرج كأنه مِشْجَب[6]. ثم قال له: كم دَينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها. [١٦/٢٢٥]

صوت

من سره ضرب يُرعبلُ بعضه ... بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَق[7]

فليأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها ... بين المَذاد وبين جِزْع الخَندَقِ

ويروى: يُمَعْمِع بعضه بعضاً. والمعمعة: وتُسَنّ: اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها. والمأسدة: الموضع الذي تجتمع فيه الأُسْد. وتُسَنّ: تحدّ. يقال: سيف مسنون. والمَذاد: موضع بالمدينة. والخندق: يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله ﷺ وأصحابه حول المدينة. والشعر لكعب بن مالك الأنصاريّ. والغناء لابن محرز: خفيف رَمَل، بإطلاق الوَتَر في مَجرى الوُسطى، عن إسحاق وعمرو.

---

(١) الإملاس: السوق الشديد. (٢) عادية: قديمة متأصلة.

(٣) ف: كالحبل، وهي محرفة عن الجبل، بمعنى الورد يريد أنه كالورد سريع الذبول. وكالآس في طول خضرته ونضرته، فإن ذبل طرف منه، بقي آخره ناضراً، صالحاً للشم والإيناس.

(٤) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: وغابره رهن بإيناس.

(٥) العش من الشجر: اللئيم المنبت، ومن النخل القليل السعف. والعاسي: اليابس.

(٦) المشجب: ما تعلق عليه الثياب من أعواد متشابكة.

(٧) يرعبل: يقع بعضه على بعض. والأباء: القصب. واحدته: أباءة.

أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه

[١٦/٢٢٦]

نسبه

[٢٧/١٥] هو كعب بن مالك بن أَبِي كعب. واسم أبي كعب: عمرو بن القَيْن بن كعب بن سواد. وقيل: القَيْن بن سواد (هكذا قال ابن الكلبيّ) بن غَنْم بن كعب بن سَلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد بن الغوث.

أسرة شاعرة محدّثة

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين، وهو بَدْري عَقَبِيّ. وأبوه مالك بن أبي كعب بن القَين شاعر، وله في حروب الأوس والخزرج، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر. وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدراً، وهو شاعر أيضاً، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس. وخبره في ذلك يذكر في موضعه، بعد أخبار كعب وأبيه.

ولكعب بن مالك أصل عريق[١]، وفرع طويل في الشعر: ابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشِير بن عبد الرحمن شاعر[٢]، والزُّبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطّاب شاعر، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر، وكلهم مجيد مُقَدَّم.

وعُمِّر كعب بن مالك، ورَوى عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً، وكل بني كعب بن مالك قد رَوى عنه الحديث.

[١٦/٢٢٧] فمما رواه ابن ابنه بَشير[٣] عن أبيه عنه: حدّثني أحمد بن الجَعْد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال: حدّثنا عَتّاب[٤] بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال: كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيدهِ، لكأنما تنضحونهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشعر».

ومما رواه عنه ابنه عبد الله: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدثنا عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصِرون مواقع النَّبل حين يرمون.

---

(١) في الأصول: أصيل.

(٢) «وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر»: هذه العبارة ساقطة من ف، مب.

(٣) ف: بشر. ونظنه محرفاً، لاتفاق أكثر الأصول على «بشير».

(٤) كذا في ف، مب. وفي بعض الأصول: «غياث».

ومما رواه ابنه محمد: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طِهمان، عن أبي الزُّبير، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدّثه: أن النبي ﷺ بعثه وأوسَ بن الحَدَثان[1] أيام التشريق، فنادى:

«إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام مِنًى أيام أكل وشرب».

/ **هواه مع عثمان بن عفان** [١٦/٢٨

ويقال: كان كعب بن مالك عثمانياً، وهو أحد من قعَد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلم يشهد معه حروبه، وخاطبه في أمر عثمان وَقَتَلَته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره، ثم اعتزله. وله مَراثٍ في عثمان بن عفان رحمه الله، وتحريض للأنصار على نُصْرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك، منها قوله:

فلو حُلْتُمُ من دونه لم يزلْ لكم ... يَدَ الدهر عِزٌّ لا يبوخُ ولا يَسْري

ولم تَقْعدوا والدار كابٍ دُخانُها ... يُحَرَّق فيها بالسعير وبالجمر

فلم أرَ يوماً كان أكثر ضَيْعةً ... وأقربَ منه للغَواية والنُّكْر

يعاون عثمان ويرثيه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسانَ دَماذ، عن أبي عبيدة قال:

كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد من عاون عثمانَ على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد / عثمان الناس ٢٨/١٥ أن يُغْمِدوا سيوفهم انصرف، ولم ير أن الأمر يخلُص إليه، ولا يَجْري القوم إلى قتله؛ فلما قُتِل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله ﷺ، فأنشدهم:

مَنْ مُبلِغُ الأنصارِ عنّيَ آيةً ... رُسُلاً تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا

أن قد فعَلْتم فَعْلةً مذكورة ... كسَتِ الفُضُوح وأبدَتِ الشَّنْآنا[2]

بقعودكم في دوركم وأميركم ... تُخْشَى ضواحي داره النيرانا

بينا يُرجِّي دفعَكم عن داره ... مُلِئت حَريقاً كابياً ودُخانا

حتى إذا خَلَصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا

يُعلُون قُلَّته السيوفَ وأنتمُ ... متلبِّثون مكانكم رِضوانا[3]

/ الله يَعلم أنني لم أرضَه ... لكُمُ صنيعاً يوم ذاك وشانا [١٦/٢٩

يا لَهْفَ نفسي إذ يقول: ألا أرى ... نَفَراً من الأنصار لي أعوانا

---

(١) الحدثان، بفتح الحاء والدال، كذا ضبطه في «التاج» وقال: أوس بن الحدثان بن عوف بن ربيعة النصري، صحابي مشهور من هوازن، نادى أيام منى: «إنها أيام أكل وشرب». روى عنه ابنه مالك. والحدثان: اسم منقول من حدثان الدهر، أي صروفه ونوائبه. اهـ.

(٢) الشنآن: البغضاء. وفي ف، مب: الذلانا، أي الأذلاء.

(٣) رضواناً: مصدر رضى، في محل الحال: أي راضين. وفي ف: إخالكم صواناً.

والله لو شهد ابن قيسٍ ثابتٌ ومعاشر كانوا له إخوانا

يعني ثابتَ بن قيس بن شَمّاس.

وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ[1] ثابتٌ وأخو المَشاهد من بني عَجْلانا

أبو دجانة: سِماك بن خَرَشة. وابن أرقم: ثابت البلَوِيّ. وأخو المَشاهد من بني عَجْلان: مَعْن بن عَدِيّ، عَقَبِيّ.

ورِفاعة العُمَرِيُّ وابن مُعاذِهم وأخو مُعاويَ لم يخف خذلانا

رفاعة: ابن عبد المنذر العُمَرِيّ. وابن معاذ: سعد بن معاذ. وأخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعديّ، عَقَبي بَدْرِيّ.

قومٌ يَرَوْن الحق نصرَ أميرِهم ويَرون طاعةَ أمره إيمانا

إن يُتْركوا فَوْضَى يَرَوْا في دينهم أمراً يُضَيِّق عنهمُ البُلْدانا

فلَيُغْلِبنَّ الله كعبَ وَليِّه ولَيَجعلَنَّ عَدُوَّه الخُذْلانا

إني رأيت محمداً إختاره صِهراً وكان يَعُدُّه خُلْصانا[2]

مَحْضَ الضرائبِ ماجداً أعراقُهُ من خيرِ خِنْدِفَ مَنصِباً ومَكانا

عَرَفَتْ له عُلْيا مَعَدٍّ كلُّها بعدَ النبيّ الملكَ والسلطانا

من مَعْشَر لا يغدرون بجارهم كانوا بمكة يَرْتَعون زمانا

يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارُهم فيهم ويُرْدُون الكُماة طِعانا

/ فلَوَ أنكم مع نصركم لنبيكم يوم اللقاء نصرتُمُ عثمانا!

أنَسِيتُمُ عهد النبيّ إليكمُ ولقد ألَظَّ ووَكَّد الأيمانا[3]

[١٠/ ٢٣٠]

قال: فجعل القوم يبكون، ويستغفرون الله عز وجل.

يناقض راجزاً من قريش في حداء لهما

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيبُ بن نصر المهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثنا أبو عامر، عن ابن جُرَيج، عن هشام بن عُروة، عن أبيه قال:

رجز راجز من قريش[4] برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

/ لم يَغْذُها مُدٌّ ولا نَصيفُ ولا تُمَيراتٌ ولا تَعْجِيفُ[5]

٢٩/ ١٥

(١) في هامش مب: ابن أقرم.

(٢) قطع همزة «اختاره» لضرورة الشعر. والخلصان: الصديق الخالص، يستوي فيه المفرد والجمع.

(٣) ألظ: ألح.

(٤) هو سلمة بن الأكوع، كما في («اللسان»: عجف).

(٥) المد: مكيال. والنصيف: نصفه. والتعجيف: حبس الدواب عن الطعام حتى تهزل. أو هو حبس الدابة عن الطعام وهو له مشته، ليؤثر به غيره («اللسان»).

لكـن غـذاهـا اللبـنُ الخـريـفُ والمَخْـضُ والقـارصُ والصَّـريـفُ

قال: فاحْتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُد والتمر، فقالوا لكعب بن مالك: انزل، فنزل، فقال:

لـم يَغـذهـا مُـدٌّ ولا نَصِيـفُ لكـن غـذاهـا الحنظـلُ النَّقِيـفُ

ومَـذْقَـةٌ كطُـرَّةِ الخنيـفِ تبيـتُ بيـن الـزَّرْب والكَنِيـف(١)

فقال رسول الله ﷺ: اركبا.

أخبرني الجوهريّ والمُهلّبي قالا: حدثنا عُمَر بن شَبّة قال: حدثنا هَوذة بن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سِيرين، في حديث طويل قال:

[١٦/٢٣١]

/ المهاجمون لقريش من شعراء الأنصار

كان يهجوهم يعني قريشاً، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَواحة. وكان حَسّان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالِب، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرُهُم بالكفر، وينسبُهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شرّ من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رَواحة، فلما أسلموا وفقِهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رَواحة.

يستأذن الرسول في هجاء قريش

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكرِ السَّهميّ قال: حدثني حاتم بن أبي صَغيرة قال: حدثنا سِماك بن حرب قال:

أُتِي رسول الله ﷺ فقيل: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. فقال له: أنت الذي تقول: فثبّت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

فثبـت الله مـا أعطـاك مِـن حَسَـنٍ تثبيـت مُـوسَـى، ونَصْـراً كـالـذي نَصَـرا

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: هَمّت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

همـت سَخِينَـةُ أَنْ تغـالِـبَ ربَّهـا وليُغْلَبَـنَّ مُغـالِـبُ الغَـلاّب(٢)

فقال: أما إن الله لم ينس لك ذلك.

[١٦/٢٣٢]

/ الرسول يحكم بحسن شعره

أخبرني الجوهريّ والمهلبيّ قالا: حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال: حدّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدّثنا مجالد، عن الشعبيّ قال:

---

(١) المذقة: الشربة من اللبن الممزوج. والطرة: الحاشية. والخنيف: نوع غليظ من أردأ الكتان. شبه بحاشيته اللبن الممزوج في لونه، لتغير لونه وذهابه بالمزج. والزرب: الحظيرة تأوي إليها الأغنام. والكنيف: الموضع الساتر. يريد أنها تعلف في الحظائر والبيوت، لا بالكلأ في المراعي. ويلاحظ أن البيتين الأخيرين من الرجز فيهما إقواء.

(٢) سخينة: طعام من دقيق وسمن أو دقيق وتمر أغلظ من الحساء. وكانت قريش تكثر من اكلها فعيرت بها، حتى سموا سخينة.

لما انهزم المشرِكون يوم الأحزاب، قال رسول الله ﷺ: إن المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟ فقام عبد الله بن رواحة، فقال: أنا. فقال: إنك لحسن الشعر. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: وإنك لحسن الشعر.

حسان أجودهم شعرهم

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدّثنا عُمَر بن شبة قال: حدّثني محمد بن منصور قال: حدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثني جُويرية بن أسماء قال:

بلغني أن رسول الله ﷺ قال: أمرتُ عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرت حَسَّاناً فشفى واشتفى.

الرسول يغير كلمة في شعر له

أخبرني الجوهريّ والمهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: / أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبدالله بن أُنَيس عن أمه، وهي بنت كعب بن مالك: ٣٠/١٥

أن النبي ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله ﷺ يُنْشد، فلما رآه كأنه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله ﷺ: فأنشد، فأنشد حتى أتى على قوله:

* مُقاتَلُنا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمةٍ[1] *

[١٦/٢٣٣] / فقال رسول الله ﷺ لا تقل عن جِذمنا، ولكن قل: مُقاتَلُنا عن ديننا.

ينشد الرسول ثلاث مرات في موقف واحد

قال أبو زيد: وحدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال:

وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك، فخرج فقال له رسول الله ﷺ: إيِهِ، فأنشده، ثم قال: إيهِ فأنشده، ثم قال: إيهِ فأنشده (ثلاث مرات). فقال رسول الله ﷺ: لهَذا أشدّ عليهم من مَواقع النَّبْل.

علي بن أبي طالب يطرده من المدينة لمعارضته إياه

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعِيّ، وذكر أنه إسناد شآمٍ، هكذا قال، قال ابن عمار في الخبر، وذكر حديثاً فيه طول، لحسان بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك، فذكرت ما كان لكعب فيه، قال:

لما بُويع لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير ـ وكانوا عثمانية ـ أنهم يقدّمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشأم خير من المدينة. واتصل بهم أن ذلك قد بلغه،

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه: * مذربَة فيها القوانس تلمع *
وهو من قصيدة يجيب بها كعب بن مالك الأنصاري هبيرة بن أبي وهب المخزومي (انظر الشعر الذي قيل في غزوة أحد في «السيرة لابن هشام»، طبعة الحلبي ٣: ١٣٩ ـ ١٤١). والفخمة: الكتيبة العظيمة. وفي «السيرة»: (مجالدنا) في موضع (مقاتلنا). والجذم: الأصل.

فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين؛ أخبِرْنا عن عثمان: أَقُتِل ظالماً، فنقولَ بقولك؟ أم قتل مظلوماً، فتقولَ بقولنا، ونكلَك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه، فهاتِه نعرفه، ثم قال:

كَفَّ يديهِ ثم أغلقَ بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافِل
وقال لمن في داره: لا تقاتلوا ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتِل
فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصُل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهُمُ ... وولّى كإدبار النعام الجوافِل

/ فقال لهم عليّ عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأَثَرة، وجزِعتم فأسأتم الجزع، [١٦/٢٣٤] وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذِرُنا به. فقال عليّ عليه السلام: أتردون عليّ بين ظَهْرانَي المسلمين، بلا بيّنة صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا عني، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً. فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولى النُّعمان بن بشيرٍ حِمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

بيته في الشجاعة

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال: قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه. فقال له رَوْح بن زِنباع: قول كعب بن مالك:

نَصِل السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا ... قِدْماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَقِ

فقال له معاوية: صدقت.

أبوه وشعره

وأما أبوه مالك بن أبي كعب، أبو كعب بن مالك، فإني أذكر قبل أخباره شيئاً مما يغنّى فيه من شعره، فمن ذلك قوله:

صوت

/ لَعمرُ أبيها لا تقول حليلتي: ... ألا فَرَّ عني مالك بن أبي كعبِ $\frac{٣١}{١٥}$
وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه ... ترى حوله الأبطال في حَلَقٍ شُهْب

/ الشعر لمالك بن أبي كعب. والغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهِشاميّ. وفيه لإبراهيم خفيف [١٦/٣٥] ثقيلٍ بالوسطى، جميعاً عن الهِشاميّ. وزعم ابن المكيّ أن خفيف الثقيل هو لحن مالك.

الخصومة بين أبيه وبرذع بن عدي

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظَفَر، يقال له بَرْذَع بن عديّ.

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصميّ عن عيينة بن المِنهال، ونسخته من كتاب أعطانيه عليّ بن سليمان الأخفش:

أن رجلاً من طيىء قدم يثرب بإبل له يبيعها، فنزل في جوار بَرذع بن عديّ أخي بني ظَفَر، فباع إبله، واقتضى أثمانها، وكان مالك بن أبي كعب بن القَين أخو بني سَلِمة، اشترى منه جملاً، فجعله ناضحاً، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله، وحضر شخوص الطائيّ، فشكا ذلك إلى برذع، فمشى معه إلى منزل مالك، ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله، أو يرده عليه، فلم يجدا مالكاً في منزله، ووجدا الجمل باركاً بالفناء، فبعثه برذع، وقال للطائيّ: انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النَّبيت، فأمنا، فارتحل الطائيّ بالجمل إلى بلاده، وبلغ مالكاً ما صنع برذع، فكره أن يَنْشَب بين قومه وبين النبيت حرب، فكف وقد أغضبه ذلك، وجعل يُسَفِّه برذعاً في جراءته عليه وما صنع، فقال برذع بن عديّ في ذلك:

أمِن شَحَط دار من لُبابة تجزعُ ... وصرف النوى مما يُشِتُّ ويَجمعُ

وليس بها إلا ثلاثٌ كأنها ... مُسَفَّعة أو قد علاهنَّ أيدع[1]

قد اقتربت لو كان في قرب دارها ... جَداء ولكن قد تضَن وتمنع

وكان لها بالمنحنى وجُنوبِه ... مِصيف ومشتّى قبل ذاك ومَرْبع

/ أتاني وعيد الخزرجيّ كأنني ... ذليل له عند اليهوديّ مَضْرَع [١٦/٢٣٦]

متى تَلْقني لا تلقَ نُهْزَة واجد ... وتعلمُ أني في الهزاهز أروع[2]

معي سَمْحة صفراء من فَرْع نَبْعَةٍ ... ولَيْنٌ إذا مسّ الضريبةَ يقطع

ومطَّرِدٌ لَدْنٌ إذا هُزَّ متنهُ ... متين كخرْصِ الذابلات وأهزع[3]

فلا وإلهي لا يقول مجاوري: ... ألا إنني قد خانني اليوم برذع[4]

وأحفظ جاري أن أخاتلَ عِرسه ... ومولاي بالنَّكراء لا أتطلع

وأجعل مالي دون عِرضيَ إنه ... على الوُجْد والإعدام عِرض ممنَّع

وأصبِر نفسي في الكريهة إنه ... لِذي كل نفس مستقر ومصرع

وإني بحمد الله لا ثوبَ فاجر ... لبست ولا من خَزْيَةٍ أتقنع

فأجابه مالك بن أبي كعب، فقال:

---

(١) مسفعة: علاها سواد وحمرة. والأيدع: الزعفران.

(٢) الواجد: الغاضب الحاقد. وفي الأصول: واحد. الهزاهز: الشدائد، لا واحد له. والأروع: الشهم الذكي.

(٣) الخرص: الرمح القصير السنان. والذابلات: الرماح الدقيقة. والأهزع: الرمح المضطرب المهتز.

(٤) رواية ف، مب:

ولا وإلهي لا يقول محاربي: ... ألا إنني قد خانني اليوم برذع

صوت

هـل للفـؤاد لـدى شَنْبـاءَ تنـويـلُ ... أم لا نـوالٌ فـإعـراضٌ وتحميـل[(1)]

/ إن النساء كـأشجـار نبتـن معـا ... منهـن مُـرّ وبعـض المُـرّ مـأكـول[(2)]

٣٢/١٥

إن النسـاء ولـو صُـوّرن مـن ذهـب ... فيهـن مـن هفـوات الجهـل تخبيـل

الغناء لسليم، هَزَج بالوسطى عن الهِشاميّ وبذل.

/ إنـك إن تنـهَ إحـداهـن عـن خلـق ... فـإنـه واجـب لا بـدّ مفعـول

[٢٣٧/١٦]

ونعجـةٍ مـن نِعـاج الـرمـل خـاذلـةٍ ... كـأن مَـأْقِيَهـا بـالحسـنِ مكحـول[(3)]

ودَّعتهـا فـي مُقـامـي ثـم قلـت لهـا: ... حيـاك ربـكِ إنـي عنـكِ مشغـول

وليلـةٍ مـن جُمـادَى قـد شـربـت بهـا ... والـزِّق بينـي وبيـن الشَّـرج مَعـدول[(4)]

ومُـرجَحـنٌ علـى عمـد دَلَفـت بـه ... كـأنـه رجـل فـي الصـفّ مقتـول[(5)]

ولا أهـاب إذا مـا الحـرب حَـرَّشهـا الْـ ... ـأبطـال واضطـربـت فيهـا البهـاليـل

أمضِـي أمـامَهُـمُ والمـوت مكتنِـعٌ ... قُـدْمـاً إذا مـا كبـا فيهـا التَّنـابيـل[(6)]

علـيّ فَضْفـاضـة كـالنِّهـي سـابغـة ... وصـارم مثـل لـون المِلـح مصقـولُ[(7)]

ولـدنـةٌ فـي يـدي صفـراء تعلَبُهـا ... بعـامـل كشهـاب النـار مـوصـول[(8)]

إنـي مـن الخـزرج الغُـرّ الـذيـن هُـم ... أهـلُ المكـارم لا يلفـى لهـم جيـل

فـي الحـرب أنْهـكَ منهـم للعـدوّ إذا ... شُبـت وأعظـمَ نَيـلاً إن هـمُ سِيلـوا

أشبهـتُ مـن والـدي عِـزّاً ومَكـرُمـةً ... وبـرذَعٌ مُـدغَـم فـي الأوس مجهـول

نُبِّئتـه يـدَّعـي عـزاً ويُـوعِـدنـي[(9)] ... نُـوكـاً وعنـدي لـه بـالسيـف تنكيـل

---

(١) رواية الشطر الثاني في ف، مب:

* أم لا، فيأس وإعراض وتحميل *

(٢) ف، مب: وبعض النبت.

(٣) النعجة هنا: كناية عن المرأة. والخاذلة: التي تركت أصحابها أو أولادها وانفردت. وفي ف: «بالخير مكحول». وفي مب: «بالخير».

(٤) الشرج: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. يريد أنه يشرب مرة ثم يرسل الزق إلى مسيل الماء البارد، ليخلط الخمر ببعض مائه.

(٥) المرجحن: المهتز، ولعله يقصد به الرمح، يصفه بالاهتزاز ثم بالطول.

(٦) مكتنع: حاضر دان. وقدماً: مخفف، وأصله بضمتين. يريد أتقدم في الحرب ولا أتأخر. والتنابيل: جمع تنبال، وهو اللئيم الجبان. والبيت ساقط من ف.

(٧) الفضفاضة: يريد بها درعاً واسعة. والنهي: الغدير.

(٨) الثعلب: طرف الرمح. والعامل: صدر الرمح الذي يلي السنان.

(٩) ف: عزاً ومكرمة.

[١٦/٢٣٨] / حيلة مالك في التخلص من برذع حين حاصره هو وآخرون

قال: ثم إن مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته، فبينا هو يمشي وحده، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظَفَر، فلما رأوا مالكاً أقبلوا نحوه، فبَدَرهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف، فقام عليه، وأخذ في يده أحجاراً، وأقبلوا حتى دنَوا منه، فشاتموه وراموه بالحجارة؛ وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه، كأنه يستبطىء ناساً، فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك:

لعمــرُ أبيهــا لا تقــول حليلتــي: ألا فـرَّ عنـي مـالـكُ بـن أبـي كَعْـبِ
أقــاتــل حتــى لا أرى لــي مُقــاتِــلا وأنجـو إذا غُـمَّ الجبـان مـن الكَـرْبِ
أبــى لِــيَ أن أُعْطَــى الصَّغــار ظــلامــةً جـدودي وآبـائـي الكـرامُ أولـو السَّلْـب[١]
هُــم يضـربــون الكبـشَ يَبـرُق بيضُــه تـرى حـولـه الأبطـال فـي حَلَـق شُهْـب
وهــم أورثــونــي مجــدَهــم وفَعــالَهــم فــأُقسـم لا يُــزْرِي بهــم أبــداً عَقْبِــي

ويروَى: لا يُخْزِيهِمُ.

وأرعَــى لجـاري[٢] مــا حييـتُ ذِمـامَـه وأعـرِف مـاحقُّ الـرفيـق علـى الصحْـبِ
ولا أُسمِــع النَّـدْمــان شيئـاً يَـريبُـه إذا الكـأس دارت بـالمـدام علـى الشَّـرْبِ
إذا مــا اعتـرى بعـضُ النـدامَـى لحـاجـةٍ فقـولـي لـه: أهـلاً وسهـلاً وفـي الـرحـب
/ إذا أنفدُوا الــزِّقَ الــرويَّ وصُــرِّعــوا نَشـاوَى فلـم أنقـع[٣] بقـولهُـم: حَسْبِـي
بعثــت إلــى حــانــوتهــا فــاشتبــأتُهــا بغيـرِ مكـاس فـي السَّـوام ولا غصْـب
/ وقلـت: اشـربـوا رِيًّـا هنيئـاً فـإنهـا كمــاء القَليــب فــي اليســارة والقُــرب
يطــاف عليهــم بــالسَّــديـف وعنــدهــم قيــانٌ يَلهُّيــنَ المــزَاهــرَ بــالضــربِ
فــإن يصبِــروا لِــي الـدهـرَ أُصبِـرْهـم بهــا ويَـرحُـبْ لهـم بـاعـي ويغـزرْ لهـم شِـرْبـي
وكــان أبــي فــي المَحْــل يطعــم ضيفــه ويُــروِي نــدامــاه ويصبِــرُ فــي الحـرب
ويمنــــع مــــولاه ويــــدرك تَبْلَــــه ولـو كـان ذاك التبـلُ فـي مـركـبٍ[٤] صعـب
إذا مــا منعــت المــال منكــم لثــروةٍ فــلا يَهْنئنـي مــالـي ولا ينـمُ لـي كسبـي

[١٦/٢٣٩]

٣٣/١٥

---

(١) في ف، مب:

أبــى لــي أن أعطــي ظــلامــة معشــري جــدودي وآبــائــي الكــرام ذوو الشغــب

(٢) ف، مب: علي لجاري.
(٣) في الأصول عدا ف: أقطع.
(٤) في الأصول عدا ف: مطلب.

وقد رُوِي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبي كعب، وذُكر له خبر في ذلك.

قصة منتحلة عن شعر لأبيه

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حدثنا العُمَرِيّ، عن الهيثم بن عديّ، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبي، قال:

كان رجل من مُراد يُكْنَى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكاً، وبنت يقال لها طُرَيْفة، فزوج ابنه مالكاً امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك: إني قد اشتقت إلى أهلي ووطني، ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وَبِي، فنزلت على أهلي، لكان عيشنا أرغد، وشَمْلنا أجمع؛ فأطاعها، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحيّ كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، وأحدقوا به، / وقالوا له: استسْلم وسلم الظعينة. فقال: أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا، وقاتلهم حتى صُرِع، فقال وهو [١٦/٢٤٠] يجود بنفسه:

لعمــــر أبيهـــا لا تقـــول حليلتـــي ... ألا فـرَّ عنـي مـالـك بـن أبـي كعـب

وذكر باقيَ الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر.

قال مؤلف هذا الكتاب: وأحسب هذا الخبر مصنوعاً، وأن الصحيح هو الأول.

صوت

خُيِّرتُ أمـريـن ضـاع الحـزم بينهمـا ... إمـا الضَّيـاعُ وإمـا فِتنـة عَمَـمُ

فقـد هممـت مِـراراً أن أسـاجلهـم[1] ... كـأسَ المنيـةِ لـولا اللهُ والـرَّحِـمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشميّ، والغناء لمتيّم الهاشمية، خفيف رمَل، من روايتي ابن المعتز والهشاميّ.

---

(١) ف: أخالسهم.

[٢٤١/١٦]

/ أخبار عيسى بن موسى ونسبه

نسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وقد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب. وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد.

مولده ونشأته

وعيسى ممن وُلد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام، وكان من فحول أهله وشجعانهم، وذوي النجدة والرأي والبأس / والسُّودَد منهم. وقبل أن أذكر أخباره، فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له، إذ كان الشعر ليس من شأنه، ولعل منكِراً أن ينكر ذلك إذا قرأه. ٣٤/١٥

أخبرني حبيب بن نصرٍ المُهَلَّبيّ وعمي قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد، فقابلت به ما روياه؛ فوجدته موافِقاً.

شعره في خلع المنصور إياه وبيعة المهدي

قال ابن أبي سعد: حدثني عليّ بن النطاح قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال:

لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى، وبايع للمهديّ، قال عيسى بن موسى:

خُيِّرْت أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما صَغار وإما فتنة عَمَمُ

وقد هممت مِراراً أن أساقِيَهم ... كأس المنية لولا اللهُ والرَّحِم

ولو فعلت لزالت عنهمُ نِعَمٌ ... بكفر أمثالها تُستَنْزَل النِقَمُ

على هذه الرواية في الشعر، رَوَى من ذَكرت. وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف في الألفاظ يُغَنّى.

[٢٤٢/١٦] / أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشميّ قال: أنشدني ابن بُرَيهة المنصوريّ[١] هذه الأبيات، وحَكَى أن ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلةَ أتاه خبر المنصور وما دبَّره عليه من الخلع، قال: فجعل يتململ على فِراشه ويُهَمْهِم، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات، فعلمت أنه كان يهمهم بها، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى، شفقة عليه.

(١) ف: الأنصاري.

رؤيا موسى بن محمد

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكره عنهم: وحدّثني محمد بن يوسف الهاشمي قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحيم قال: حدّثتني كلثم بنت عيسى قالت: قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس:

رأيت في المنام كأني دخلت بستاناً، فلم آخذ منه إلا عُنقوداً واحداً، عليه من الحبّ المرصّف ما الله به عليم، فوُلد له عيسى بن موسى، ثم وُلد لعيسى من قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا: وحدّثني عليّ بن مسلم الهاشميّ قال: حدّثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك، مولى عيسى بن موسى، قال: حدّثني أبي قال:

يكره الغناء

كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحِيرة، فأرسل إليّ ليلة من الليالي، فأخرجني من منزلي، فجئت إليه، فإذا هو جالس على كرسيّ، فقال لي: يا عبد الرحمن، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قطُّ إلا ليلةَ بالحُمَيْمَة والليلة، فانظر ما هو. فدخلت أستقرِي الصوت، فإذا هو في المطبخ، وإذا الطباخون قد اجتمعوا، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود، فكسرت العود، وأخرجت الرجل، وعُدْت إليه فأخبرته، فحلف لي أنه ما سمعه قطُّ إلا تلك الليلةَ بالحُمَيْمَة وليلَته هذه.

/ **يحج الناس بحجه** [١٦/٢٤٣]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء والطُّوسي، قالا: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال:

حدّثني عبدُ الله بن محمد بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عُروة عن أبيه قال:

كان عيسى بن موسى إذا حج، يحُج ناس كثير من أهل المدينة: يتعرَّضون لمعروفه فيصلهم؛ قالت: فمر أبي بأبي الشدائد الفزاريّ، وهو ينشد بالمصلَّى:

* عصابة إن حج عِيسى حجُّوا *
* وإن أقام بالعراق دَجُّوا *
* قد لَعِقوا لُعَيقةً فلَجُّوا *
* فالقوم قوم حَجُّهم مُعْوَجُّ *
* ما هكذا كان يكون الحج *

/ قال: ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي، فسلم عليه، فلم يردد عليه، فقال له: مالك يا أبا عبدالله لا تردّ السلام عليّ؟ فقال: ألم أسمعك تهجو حاجَّ بيت الله الحرام؟ فقال أبو الشدائد: ٣٥/١٥

* إني وربِّ الكعبةِ المبنيَّةْ *
* واللهِ ما هجوتُ مِن ذِي نيهْ *
* ولا امرىء ذي رِعَةٍ نقيةْ *
* لكِنني أُزْرِي على البريةْ *

* من عُصبةٍ أَغْلَوا على الرعِيةْ *

* بغير أخلاق لهم سَرِيةْ *

[٢٤٤/١٦] / صوت

آثـــار ربـــع قَـــدُمـــا أعيـــا جـــوابـــاً صَمَمـــا

ســـحـــت عليـــه دِيـــمٌ بمـــائهـــا فـــانهـــدَمـــا

كـــان لسُعْـــدَى علمـــا فصـــار وَحْشـــاً رِمَمـــا

أيـــامَ سُعـــدَى سَقَـــمٌ وهْـــي تـــداوي السَّقَمـــا

الشعر للرَّقاشيّ، والغناء لابن المكيّ، رَمَل بالوُسْطَى، عن عَمرو بن بانة.



/ أخبار الرقاشي ونسبه

[١٦/٢٤٥]

نسبه ومكانته الشعرية

هو الفضل بن عبد الصمد مَوْلى رقاشٍ. وهو من ربيعة، وكان مطبوعاً سهل الشعر، نقيّ الكلام، وقد ناقض أبا نواس، وفيه يقول أبو نواس:

وجـدنـا الفضـل أكـرم مِـن رقـاشٍ ... لأن الفضـل مـولاه الـرسـول

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه، لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه، وذهب أبو نواس إلى قول النبي ﷺ: أنا مولى من لا مولى له.

انقطاعه للبرامكة ووفاؤه لهم

وذكر إبراهيم بن تميم، عن المعلّى بن حُمَيد:

أن الرقاشيّ كان من العجم من أهل الريّ.

وقد مدح الرقاشيّ الرشيدَ وأجازه، إلا أن انقطاعه كان إلى آل بَرْمَكَ، فأغنَوه عن سواهم.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ قال: حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال: حدّثني أبي، قال:

كان الفضل الرقاشيّ منقطعاً إلى آل بَرْمَك، مستغنياً بهم عن سواهم، وكانوا يصولون به على الشعراء، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره، ويدونون القليل والكثير منها، تعصباً له، وحفظاً لخدمته، وتنويهاً باسمه، وتحريكاً لنشاطه، فحفِظ ذلك لهم، فلما نُكِبوا صار إليهم في حبسهم، فأقام معهم مدّة أيامهم، ينشدهم ويسامِرهم، حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر[١]، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط، حتى نَشَر منها ما كان مطوياً، وأذاع منها ما كان مستوراً؛ وجرى على شاكلته / بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم. ثم انقطع [١٦/٢٤٦] إلى طاهر[٢] وخرج معه إلى خراسان، فلم يزل بها معه حتى مات.

مجونه

وكان مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً، متهاوناً بمروءته ودينه، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة، وهي التي أوّلها:

أوصَـى الـرقـاشـيُّ إلـى إخـوانِـهِ ... وصِيـة المحمـودِ فـي نُـدمـانِـهِ

---

(١) سقطت بقية هذا الخبر والذي يليه من أخبار الرقاشي، من جميع الأصول ما عدا ف، مب.

(٢) يريد طاهر بن الحسين القائد الفارسي الكبير.

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نعامة، من جملة قصيدة له طويلة، يهجو فيها جماعة، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشيّ.

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني ابن أبي الخنساء، عن أبيه، قال:

لما قال أبو دُلَف:

صوت

ناولينـي الرمـح قـد طـا ... ل عـن الحـرب جَمـامِـي[1]

مـرّ لـي شهـران مـذ لـم ... أرمِ قـومـاً بِسِهـامِـي

قال الرقاشِيّ يعارضه:

جنبيني الـدّرعَ قـد طـا ... ل عـن القَصْـف جَمـامـي

واكسِـرِي المِطْـرد والبَـ ... ـيْـض وأتنـي بـالحُسـامِ

واقـذفـي فـي لُجّـة البحـ ... ـرِ بقـوسِـي وسِهـامِـي

وبتُـرسِـي وبـرُمحـي ... وبِسـرجـي ولجـامِـي

فبحسبـي أن تَـرَيْنـي ... بيـن فِتيـانٍ كِـرام

سـادةٍ نغـدو مُجِـديـ ... ـن علـى حَـرْب المـدامِ

/ واصطِفـاقِ العـودِ والنـا ... يـاتِ فـي جـوف الظـلامِ [٢٤٧/١٦]

هَـزْم أرواح دِنـانِ ... لـم ننلهـا باصطـلامِ

نهـزِمِ الـراح إذا مـا ... هَـمَّ قـوم بـانهـزامِ

ثـم خـلٍّ الضـرب والطعـ ... ـن لأجسـاد وهـامِ

لِشقِـيّ قـال: قـد طـا ... ل عـن الحـرب جَمـامِـي

يرثي العباس بن محمد البرمكي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن موسى، عن ابن النطاح، قال:

تُوُفِّي العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلد، والرشيد بالرُّصافة، في يوم جمعة، فأخرجتْ جنازته مع العصر، وحضر الرشيد والأمين، وأخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان، وفُرِش للرشيد في مسجد هناك، وجاء الرشيد في الحِلق بالأعلام والحِراب، فصلى عليه، ووقف على قبره حتى دفن؛ فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر، قَبّلا يد الرشيد، وسألاه الانصراف، فقال: لا، حتى يُسَوّى عليه التراب، ولم يزل قائماً حتى فُرِغ من أمره، وعزّاهما وأمرهما بالركوب، فقال الرَّقاشي يرثي العباس بن محمد بن خالد بن برمك:

---

(١) مب: بحمام.

أتحسِبُنـي بـاكـرتُ بعـدك لـذة ... أبـا الفضـلِ أو رَفَّعـت عـن عـاتـقٍ سِتـرا
أوِ انتفعـت عينـايَ بعـدُ بنظـرة ... أوَ اُذنيـتُ مـن كـأسٍ بمشمـولـة ثغـرا
جفـانـي إذن يـومـاً إلـى الليـل مـؤنسـي ... وأضحـت يمينـي مـن ذخـائـرهـا صفـرا
ولكننـي استشعـرت ثـوب استكـانـة ... وبِـتُّ كـأن المـوت يحفِـر لـي قبـرا

غَنَّى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرّفّ، ثانيَ ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى. وفيه ثقيل أوّل مجهول، أحسبه لبعض جواري البرامكة. وفيهما لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل، عن عبد الله بن موسى.

/ **رثاؤه جعفر البرمكي** [١٦/٤٨]

ومن ذلك قوله في جعفر[1]:

كـم هـاتـفٍ بـك مـن بـاكٍ وبـاكيـةٍ ... يـا طيـبَ للضيـفِ إذ تُـدْعَـى وللجـارِ
إن يُعْـدَمِ القطـر كنـتَ المُـزنَ بـارقُـه ... لمـعُ الـدنـانيـرِ لا مـا خَيَّـل السـارِي

وقوله:

لعمـرك مـا بـالمـوت عـار علـى الفتـى ... إذا لـم تصبـه فـي الحيـاة المعَـايِـرُ
ومـا أحـد حـيٌّ وإن كـان سـالمـا ... بـأسلـم ممـن غيبتـه المقـابـرُ
ومـن كـان ممـا يُحـدث الـدهـر جازِعـا ... فـلا بـد يـومـاً أن يُـرَى وهـو صـابـر
وليـس لـذي عيـش عـن المـوت مَقْصَرٌ ... وليـس علـى الأيـام والـدهـر غـابـر
/ وكل شبـاب أو جـديـدٍ إلـى البِلـى ... وكـل امـرىء يـومـاً إلـى الله صـائـر
فـلا يُبْعِـدَنْـك الله عَنـي جعفـرا ... بِـروحـي ولـو دارت علـي الـدّوائـر
فـآلَيْـت لا أنفـكُّ أبكيـك مـا دَعـتْ ... علـى فَنَـنٍ ورقـاءُ أو طـار طـائـر

[٣٦/١٥]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن محمد بن عبد العزيز:

أن الرقاشيّ الشاعر فنِيَ في حب البرامكة حتى خيف عليه.

حبه للبرامكة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدثني أبي عن أبي عكرمة، قال:

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني[2].

---

(١) يريد: من مراثي الرقاشي في البرامكة. وهذا الخبر وما بعده ساقطان من ف، مب.
(٢) جاء السند الأول لرواية هذا الخبر في ف، مب. والسند الثاني في سائر الأصول، فجمعنا بينهما، لما اعتاده المؤلف في الجمع بين الأسانيد المتكررة من الطرق المختلفة.

[٢٤٩/١٠ / رثاؤه جعفر بن يحيى البرمكي

أنه(١) لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمِر بقتل جعفر بن يحيى وصُلِب، اجتاز به الرّقاشيّ الشاعر وهو على الجِذع، فوقف يبكي أحرَّ بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما واللهِ لولا خوف واشٍ … وعين للخليفة لا تنامُ
لَطُفْنا حول جِذعك واستلمنا … كما للناس بالحَجَر استلام
فما أبصرتُ قبلك يابن يحيى … حساماً قدَّهُ(٢) السيفُ الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً … ودولة آلِ برمكَ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركتني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال: وكم كان يُجْرِي عليك؟ قال: ألفَ دينار في كل سنة. قال: فإنا قد أضعفناها لك.

شعره في أصدقائه المتفرقين

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف، قال: حدثنا الرّياشيّ قال:

كان الفضل الرّقاشيّ يجلس إلى إخوان له يحادثهم، ويألفونه ويأنسون به، فتفرقوا في طلب المعاش، وترامت بهم الأسفار، فمر الرقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلاً، ثم استعبر وقال:

لولا التطيُّر قلتُ غيَّركم … ريبُ الزمان فخنتُم عهدي
درستْ معالمُ كنت آلَفُها … من بعدكمْ وتغيرتْ عِندي

يعشق بأذنه

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ قال: حدثنا محمد(٣) بن القاسم قال: حدثني أبو هِفان، عن يوسف بن الدّاية قال:

[٢٥٠/١ / كان أبو نواس والفضل الرّقاشي جالسين، فجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاءَ نجلاء، زجّاءَ دعجاء، كأنها خُوط بان، أو جَدْل عِنان، فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ، وأحسن لسان، وأجمل خطاب. فقال الرقاشيّ: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أوَ تعرِفها؟ قال: لا واللهِ، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

صفاتٌ وظَنٌّ أورثا القلب لوعةً … تضرَّم في أحشاء قلب متيَّمِ(٤)
تُمَثّلها نفسي لعيني فأنثني … إليها بطرف الناظر المتوسِّمِ

---

(١) ف، مب: لما قتل جعفر بن يحيى وصُلب...
(٢) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: حتفه.
(٣) ف، مب: أحمد.
(٤) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: وحسن. وفي مب: صب متيم.

يحمِّلنــي حبِّــي لهــا فــوق طــاقتــي ... مــن الشــوق دأْبَ الحــائِــر[1] المتقسِّــم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: / حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانيّ قال: ٣٧/١٥

قيل لابن دراج الطفيليّ أتتطفّل على الرؤوس؟ قال: وكيف لي بها؟ قيل: إن فلاناً وفلاناً قد اشترياها، ودخلا بستان ابن بَزِيع، فخرج يُحْضِر خوفاً من فوتهما، فوجدهما قد لَوَّحَا بالمظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثل قول الرَّقاشِيّ:

آثــار رَبْــع قَــدُمــا ... أعيــا جــوابــي صَمَمَــا

وابن دراج هذا يقال له عثمان، وهو مولًى لكندة، وكان في زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة، يجري ذكرها ههنا.



(١) ف: الحائن.

[٢٥١/١٦] / # أخبار ابن درّاج الطُّفَيلي[1]

يخاف الكلب

أخبرني الجوهريّ عن ابن مهرويه، عن أبيه قال:

قيل لعثمان بن دراج: أتعرف بستان فلان؟ قال: إي والله، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا. قيل له: فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره، تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال.

سبب عدم إقلاعه عن التطفل

أخبرني الجوهريّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرّاني قال:

كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابي، أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويْحَك! إني أبخل بأدبك وعلمك، وأصونك وأضَن بك عما أنت فيه من التطفيل، ولي وظيفة راتبة في كل يوم، فالزمني وكن مدعوّاً أصلح لك مما تفعل. فقال: رحمك الله أين يُذْهَب بك؛ فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال: فأما إذ أبيت ذاك، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فِئَة لك. قال: أما هذا فنعم.

يمنع الطفيليين

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابيّ مولاة له، فقالت له: جُعِلْتُ فِداك. زوّجت ابنتي من ابن عمّ لها، ومنزلي بين قوم طُفَيليين، لا آمنهم أن يهجموا عليّ، فيأكلوا ما صنعت، ويبقى من دعوت، فوجّه معي بمن يمنعهم. فقال: نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد. فقال: مُرّي بين يدَيّ، وقام وهو يقول:

ضجت تميمٌ أن تُقَتَّل عامرٌ ... يومَ النسار فأُعتِبوا بالصَّيْلم

[٢٥٢/١٦] / ### كيف يصنع بأهل العروس ليدخلوه

قال: وقال الخطابي هذا لابن درّاج: كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يُدْخلوك؟ قال: أنوح على بابهم، فيتطيّرون بذلك، فيدخلوني.

سبب صفرة لونه

قال: وقال له رجل: ما هذه الصفرة في لونك؟ قال: من الفترة بين القَصْعَتين، ومن خوفي كل يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع.

---

(١) أثبتنا هذا العنوان عن الأصول غير (ف، مب، فإنهما ذكرتا ابن دراج بلا عنوان).

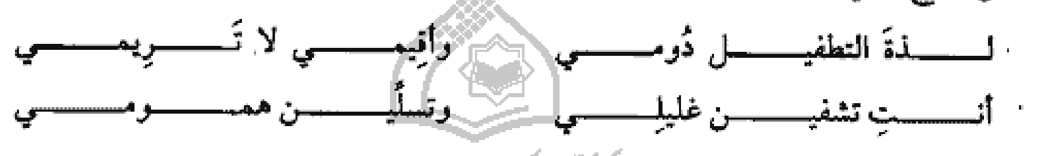
صفة بيته

أخبرني أحمد قال: حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد:

أن ابن دراج صار إلى باب عليّ بن زيد، أيام كان يكتب للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، وقال: ليس هذا وقتك، قد رأيتَ القواد يُحْجبون، فكيف يؤذن لك أنت؟ قال: ليست سبيلي سبيلهم، لأنه يحب أن يراني، ويكره أن يراهم، فلم يأذن له. فبيناهما على ذلكَ إذ خرج عليّ بن زيد، فقال: ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل؟ فقال: منعني هذا البغيض. فالتفت إلى الحاجب، فقال: بلغ بك بغضك أن تحجب هذا؟ ثم قال: يا أبا سعيد، ما أهديت إليّ من النوادر؟ قال: مرت بي جنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول: بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وِطاء،/ ولا ضيافة ولا غطاء؛ ولا خبز فيه ولا ماء. فقال لي ابني: يا أبة، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة. فقلت له: وكيف ويلَك! قال: لأن هذه صفة بيتنا. فضحك عليّ وقال: قد أمرت لك بثلاثة مئة درهم. قال: قد وفّر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك. قال: وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس، فقال: هي عليك مُوَفَّرة كلها، وتتغدّى معنا. ٣٨/١٥

لذة التطفيل

وعثمان ابن دراج الذي يقول:



لـــــذةَ التطفيـــــل دُومــــــي وأقيمــــــي لا تَـــريمـــــــي

أنـــــتِ تشفيــــن غليلــــي وتسلّيـــــن همـــــومــــــي

/ عود إلى الرقاشي: [١٦/٢٥٣]

خضاب الرقاشي

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العكليّ قال:

دخل الرقاشيّ على بعض أمراء الصدقة، فقال له: قد أصبح خِضابك قانياً. قال: لأني أمسيت له معانيا. قال: وكيف تفعله؟ قال: أنْعِم الحناء عَجْناً، وأجعل ماءه سخنا، وأرَوّي شَعْري قبله دُهْنا، فإن بات قَنَا[1]، وإن لم يفعل أغنى.

صوت

مـــن لِعيـــن رأت خيـــالاً مطِيفــا واقفــاً هكـــذا علينـــا وقـــوفـــا

طـــارقـــاً مـــوهِنـــاً ألـــم فحيـــا ثـــم ولّـــى فهـــاج قلبـــاً ضعيفـــا

ليـــت نفســي وليـــت أنفـس قـومِـي يـــا يـــزيـــد النـدى تقيـك الحتـــوفـــا

عَتَكِـــــي مُهَلَّبـــــيّ كــــريــــم حـــاتمـــي قـــد نـــال فـــرعـــاً منيفـــا

عروضه من الخفيف، والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي. والغناء لعبد الرحيم الرف[2]، خفيف رملٍ بالوسطى، عن عمرو.

(١) في «اللسان»: فغلفها بالحناء. والكتم حتى قنا لونها: أي احمرّ، يقال: قنا لونها يقنو قنواً، وهو أحمر قان. وفي الأصول: «قنى». والقنو الذي هو حمرة اللون واوي لا يائي.

(٢) كذا في ف. وفي بقية الأصول: الدفاف.

[٢٥٤/١٦]

/ أخبار رَبيعة الرَّقّي ونسبه

مجمل أخباره

هو ربيعة بن ثابت الأنصاريّ، ويكنى أبا شَبَابة. وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان ينزل الرَّقة، وبها مولده ومنشؤه، فأشخصه المهديّ إليه، فمدحه بعدة قصائد، وأثابه عليها ثواباً كثيراً، وهو من المكثرين المجيدين، وكان ضريراً، وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته، بُعده عن العِراق، وتركه خدمة الخلفاء، ومخالطة الشعراء، وعلى ذلك فما عدِم مفضِّلاً لشعره، مقدِّماً له.

أشعر المحدثين وأسيرهم بيتاً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا محمد بن داود، عن ابن أبي خَيْثمة[1] عن دِعبل قال:

قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعركم جماعة المحدَثين يا أبا السِّمط؟. قال: أشعرنا أَسْيرنا بيتاً. قلت: ومن هو؟ قال: ربيعة الرقيّ الذي يقول:

لَشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى ... يزيد سُلَيم والأغر ابن حاتم

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبيّ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَمي، وبعد البيت الذي ذكره مروان:

يزيد سُلَيم سالم المالِ والفتى ... أخو الأزدِ للأموال غير مُسالِم

فهَمُّ الفتى الأزديّ إتلاف مالِه ... وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهم

فلا يحسَبِ التّمتام أني هجوتُه ... ولكنني فضلت أهل المكارِمِ

فيابن أُسَيد لا تسامِ ابن حاتم ... فتقرَعَ إن ساميتَه سِنّ نادم

/ هو البحر إن كلّفت نفسك خوضه ... تهالكتَ في موج له متلاطِم

٣٩/١٥

[٢٥٥/١٦] / استشهاد أبي زيد بشعره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه، قال: حدثني أسَيد بن خالد الأنصاريّ، قال:

قلت لأبي زيد النحويّ: إن الأصمعي قال: لا يقال: شتان ما بينهما، إنما يقال: شتان ما هما، وأنشد قول الأعشى:

* شتانَ ما يومي على كُورها *

---

(١) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: أحمد بن أبي خيثمة.

فقال: كذب الأصمعيُّ، يقال: شتان ما هما، وشتان ما بينهما، وأنشدني لربيعة الرقيّ، واحتج به:

لشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى ... يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ، كفاية له في تفضيله.

أغزل من أبي نواس

وذكره عبد الله بن المعتز فقال: كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس، لأن في غزل أبي نواس بَرْداً كثيراً، وغزل هذا سَلِيم سهل عذب.

جواري المهدي يشتهين سماعه

نسخت من كتابٍ لعمي: حدّثنا ابن أبي فَنَن[1] قال:

اشتهى جَوارِي المهديّ أن يسمعن ربيعة الرقيّ، فوجه إليه المهديّ من أخذه من مسجده بالرقَّة، وحُمِل على البريد حتى قُدِم به على المهديّ، فأُدخل عليه، فسمع ربيعة حِساً من وراء السِّتر، فقال: إني أسمع حساً يا أمير المؤمنين، فقال: اسكت يابن اللَّخناء، واستنشده ما أراد، فضحِك وضحكن منه. قال: وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازه جائزة سنية، فقال له:

/ يا أمير المؤمنينَ الله سَمّاك الأمينا[2] [١٦/٥٦]

سَرقوني من بلادي يا أمير المؤمنينا

سرقوني فاقضِ فيهم بجزاءِ السارقينا

قال: قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك. ثم أمر به فحمِل على البريد من ساعته إلى الرقة.

يمدح يزيد بن حاتم

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً:

يزيدَ الأزدِ إن يزيدَ قومي ... سمِيُّك لا يجود كما تجودُ[3]

يقودُ جماعةً وتقودُ أخرى ... فترزُقُ من تقود ومن يقود[4]

فما تِسعون يَحفُرها ثلاث ... يقيم حسابَها رجل شديد

وكفٌ شَثْنةٌ جُمِعَتْ لوَجْءٍ ... بأنكدَ من عطائك يا يزيد

---

(١) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: ابن أبي ذئب.

(٢) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول:

يا أمين الله إن الـ ... ـله سماك الأمينا

(٣) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: لا يزيد كما تزيد.

(٤) مب: من تريد ومن يريد. وفي «خزانة الأدب» للبغدادي (٣: ٥٣):

تقود كتيبة ويقود أخرى ... فترزق من تقود ومن يقود

كان السبب في غضب الرشيد على العباس بن محمد

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

امتدح ربيعة الرقيّ العباسَ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسْناً، وهي طويلة يقول فيها:

صـوت

لـو قيـل للعبـاس يـابـن محمـدٍ قـل: (لا) وأنـت مخلَّـد مـا قـالَها

مـا إن أعُـدُّ مـن المكـارم خَصْلـة إلا وجـدتـك عمهـا أو خـالَهـا

[٢٥٧/١٦] / وإذا الملـوك تسـايـروا فـي بلـدة كـانـوا كـواكبهـا وكنـت هـلالَهـا[1]

إن المكـارم لـم تـزل معقـولـة حتـى حللـت بـراحتيـك عِقـالَهـا

$\frac{٤٠}{١٥}$ / في البيت الأول والبيت الأخير خفيف رملٍ بالوسطى، يقال إنه لإبراهيم. ويقال إنه للحسين بن محرز.

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجَن[2] غيظاً، وقال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها:

مـدحتـك مِـدحـةَ السيـفِ المُحَلَّـى لتجـريَ فـي الكـرامِ كمـا جـريـتُ

فهبهـا مِـدحـةً ذهبـت ضَيـاعـاً[3] كـذبْـتُ عليـك فيهـا وافتـريـتُ

فـأنـت المـرءُ ليـس لـه وفـاءٌ كـأنـي إذ مـدحتـك قـد رثَيـتُ

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه. فردها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده، يبجِّله ويقدمه، وكان قد هَمَّ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه، فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرَّقيّ. فأحضِر، فقال له الرشيد: يا ماصّ كذا وكذا من أمه، أتهجو عمي، وآثر الخلق عندي، لقد هممت أن أضرب عنقك. فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها. فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر / العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس ساعة، فقال له [٢٥٨/١٦] الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلِط، فأمر بإحضارها فأُحضرت، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها، وأُعجب بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبرّ. ثم قال للعباس: كم أثبْتَه عليها؟ فسكت العباس: وتغير لونه، وجَرِض بريقه، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من

(١) مب: وأنت هلالها.

(٢) ف، مب: غضبا.

(٣) ف: ضلالا.

الموجِدة على العباس، فقال: بحياتي يا رقيّ، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين. فغضب الرشيد غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد، وقال: سَوْءةً لك! أيةُ حال قعدتْ بك عن إثابته؟ أقلة المال؟ فوالله لقد موَّلتك جُهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعتْ عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك، حتى فضحتَ أباك وأجدادك، وفضحتني ونفسك. فنكس العباس رأسه ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة، واحمله على بغلة، فلما حُمل المال بين يديه، وألبس الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يا رقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطِّراح.

يعبث بالعباس بن محمد

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أحمد بن أبي فَنَن الشاعر، قال: حدثني من لا أحصي من الجلساء:

أن ربيعة الرقيّ كان لا يزال يعبَث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد، العبث الذي / يبلغ منه، منذ جرى بينهما ٤١/١٥ في مديحه إياه ما جَرَى، من حيث لا يتعلق عليه / فيه بشيء، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد ببَرْنِيّة فيها غالية، [٢٥٩/١٦] فوضعها بين يديه، ثم قال: هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شِحْر عمان، ومسكها من مَفاوز التُّبَّت، وبانها من قعر تهامة؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها، والنعت يقصر عنها.

فاعترضه ربيعة، فقال: ما رأيت أعجب منك، ومن صفتك لهذه الغالية، عند من إليه كل موصوف يُجلَب، وفي سوقه يَنْفُق، وبه إليه يُتَقرَّب، وما قَدْر غاليتك هذه، أعزك الله، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت، أأجريت بها إليه نهراً، أم حملت إليه منها وِقراً! إن تعظيمك هذا عند من تُجبَى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة، وتذِل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة، وتتحفه بطُرَف بُلدانها، وبدائع ممالكها، حتّى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خصَصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أنشدُك الله يا أمير المؤمنين، إلا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إليّ مدة سنتي هذه الغالية، حتى أتلقاها بحقها. فقال: ادفعوها إليه، فدُفِعت إليه. فأدخل يده فيها، وأخرج مِلئها، وحل سراويله، وأدخل يده فطلى بها استه، وأخذ حَفْنة أخرى، وطلى بها ذكره وأُنثَيَيه، وأخرج حَفْنتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، مر غلامي أن يدخل إليّ، فقال: أدخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنية غير مختومة، وقال: اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنية، وقل لها: طيبي بها حِرَك واستك وإبطيكِ، حتى أجيء الساعة وأنيكك، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشِي عليه، وكاد العباس يموت غيظاً، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألفَ درهم[1].

/ شعره يطرز على بساط [٢٦٠/١٦]

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى، أنه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة في دَوْرِ بِساطٍ من بُسُط السلطان قديم، وكان مبسوطاً في دار العامة بسرّ من رأى، فنسخها منه، وهي قوله:

---

(١) كذا في ف، مب. وفي سائر الأصول: وأمر الرشيد العباس أن يبعث لربيعة بثلاثين ألف درهم.

صوت

وتزعم أني قد تبدَّلتُ خُلَّةً سِواها وهذا الباطل المتقَوَّلُ
لحا الله من باع الصديقَ[1] بغيره فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ
ستصرِم إنساناً إذا ما صَرَمتني[2] يحبكَ فانظر بعدَه من تَبَدَّل

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى إبراهيم بن المهديّ، وفيه لعريب رَمَل من رواية ابن المعتز.

سبب هجائه ليزيد بن أسيد

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسَيد، أنه[3] زاره يستميحه، لقضاء دين كان عليه[3]، فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبيّ، فطَفَّل[4] على قضاء دينه وبره، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه، وله فيه عِدة قصائد مختارة، يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه في قوله:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

في قصيدة مدح بها يزيدَ بنَ مَزْيد، وسلخَ بيت الرقيّ، بل نقله وقال:

٤٢/١٥ / لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ
يزيدُ بني شَيبانَ أكرم منهما وإن غضبت قيسُ بن عَيلانَ والأزدُ
[٢٦١/١٦] / فتى لم تلِده من رُعَين قبيلةٌ ولا لَخمُ تَنميه ولم تَنمه نَهْدُ
ولكن نمته الغُرُّ من آل وائلٍ ويَرَّةُ تَنميه ومن بعدها هند

ولم يسِرْ في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داودَ بن الجراح قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال:

عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أُسَيد الذي هجاه ربيعة جَواريَ، فاختار جاريتين منهن، ثم قال للنخاس: أيتهما أحب إليك؟ قال: بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سليم والأغرّ ابن حاتم

فأمر بجر رجله وجواريه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال:

لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قريش، فانتسب له أحدهما، ثم قال: يا أمير المؤمنين،

---

(١) ف: الحبيب.

(٢) ف: صرمته.

(٣ ـ ٣) كذا في ف. وفي سائر الأصول: ديناً كان عليه، فاستمنحه.

(٤) طفل: ترفق وتلطف.

نَهَكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب، ولنا بك رحِم أنت أولَى من وصلها، وأمل أنت أحق من صدقه، فما بعدك مطلب، ولا عنك مذهب، ولا فوقك مسئول، ولا مثلك مأمول. وتكلم الآخر، فلم يأت بشيء فوصلهما، وفضل الأول تفضيلاً كثيراً، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل:

لشتانَ ما بين اليزيدين في الندى ... يزيدِ سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

/ تفصيل سبب هجائه ليزيد بن أسيد [١٦/٢٦٢]

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني أبو دِعامة عليّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال:

لما هجا ربيعة يزيدَ بن أُسَيد السُّلَميّ، وكان جليلاً عند المنصور والمهديّ، وفضّل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربيعة: يا أبا شَبَابة، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك، وفضلت عليه رجلاً من الأزد؟ فقال: أخبرك.

أملقتُ فلم يبق لي شيء إلا دارِي، فرهنتها على خمسِ مئة درهم، ورحلت إليه إلى إرمينية، فأعلمته ذلك ومدحته، وأقمت عنده حولاً، فوهب لي خمس مِئة درهم، فتحملت وصرت بها إلى منزلي، فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دارٍ بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فأعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجِرت، فأكريت نفسي من الحمالين، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه، والبيت:

أراني ولا كفران لله راجعا ... بخُفَّيْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتم[١]

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري، فبعث خَلْفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ما قلت. فتمنعت، فقال: والله لتُنْشِدَنّي، فأنشدته فقال: والله لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خفيه، فنُزِعا فحشاهما دنانير، وأمر لي بغلمان وجوار وكُسا، أفلا ترى لي أن أمدَح هذا وأهجو ذاك! قلت: بلى والله. ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه.

هواه

أخبرني الحسن بن عليّ الأدَميّ قال: حدّثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد / القرقيسيانيّ قال: حدثني عمي عبد الله بن عباد: [٤٣/١٥]

أن ربيعة بن ثابت الرقيّ الأسدِيّ كان يلقب الغاوي، وكان يهوى جارية يقال لها عَثْمة، أمة لرجل من أهل قرقيسياء، يقال له ابن مَرّار، وكان بنو هاشم / في سلطانهم قد ولّوه مصر، فأصاب بها مالاً عظيماً، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته، فأحضره، وعرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لي، فإن كل مبذول مملول، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي؛ ولكن دعني أواصلها هكذا، فهو أحب إليّ. [١٦/٢٦٣]

قال: وقال فيها:

اعتاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ ... شوقٌ عَراك فأنت عنه تذُودُهُ

والشوق قد غلب الفؤاد فقاده ... والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُه

---

(١) مب: من نوال يزيد.

فـــي دار مَـــرَّار غـــزالٌ كَنِيسـة عَطِـرٌ عليـه خُـزوزه وبُـروده

رِيـمٌ أغـر كـأنـه مـن حسنـه صنـم يحُـجُّ ببيعـة معبـوده

عينـاه عينـا جـؤذَر بصَـريمـة ولـه مـن الظبـي المـربَّـب جيـده

مـا ضـرُّ عَثْمـة أن تُلِـم بعـاشـق دنِـفِ الفـؤاد متيـم فتعـودُه

وتَلُـده[1] مـن رِيقهـا فلـربمـا نفـع السقيـم مـن السِّقـام لَـدودُه

وهي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

يمدح معن بن زائدة ويهجوه

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، عن أبي بشر الفزاريّ قال:

لقَي ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في قَدْمة قدِمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، وأنشده إياها راويتُه، فلم يَهَش له معن، ولا رضي ربيعة لقاءه إياه، وأثابه ثواباً نَزْراً، فرده ربيعة، وهجاه هجاءً كثيراً، فمما هجاه به قوله:

معـنُ يـا معـنُ يـابـنَ زائـدةِ الكلْـ ـب التـي فـي الـذراع لا فـي البنـانِ

لا تفـاخـر إذا فخـرت بـآبـا ئـك وافخـر بعمـك الحَـوْفـزانِ

[١٦/٢٦٤] / فهشـام مـن وائـلٍ فـي مكـانٍ أنـت تـرضـى بـدون ذاك المكـانِ

ومتـى كنـت يـابـن ظَبيـة تـرجـو أن تُثَنّـي[2] علـى ابنـةِ الغَضبـان

وهـي حَـوْراء كـالمَهـاة هِجَـانٌ لهجـانٍ وأنـت غيـر هِجـان

وبنـات السَّلِيـل عنـد بنـي ظبـ ـيـة، أفٌ لكـم بنـي شيبـانِ

قيـل: معـن لنـا فلمـا اختبـرنـا كـان مـرعًـى وليـس كـالسَّعْـدانِ

قال أبو بشر: ظَبية التي عيره بها أمَة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك، وكانت راعية لأهلها، وهي في غنمها، فسرقها ووقع عليها، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة، ودِجاجة بنت عبد الله. قال: وبنت السليل التي عناها: امرأة من ولد الحَوْفزان.

هواه

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاريّ، قال:

كان ربيعة الرقيّ يهوَى جارية لرجل من أهل الكوفة، يقال لها عثمة، وكان أهلها ينزلون في جوارِ جُعفيّ، فقال فيها في أبيات له:

جُعْفـيّ جيـرانُهـا فقـد عَطِـرت جعفِـيّ مـن نشـرِهـا وريـاهـا

٤٤/١٥ فقال له رجل من جُعفِيّ: وأنا جار لها بيتَ بيتَ، والله ما شممت من دراهم / ريحا طيبة قطُّ. فتشمم ربيعة رائحته

(١) تلده: تسقيه اللدود، وهو دواء.

(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: تبني.

وقال: وما ذنبي إذا كنتَ أخْشَمَ[1]، والله إني لأجد ريحها وريح طيبها منك، وأنت لا تجده من نفسك.

رقية شعرية

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال:

كنت حاضراً ربيعة الرقيّ يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية، فقالت: تقول لك فلانة: إن بنت مولاي محمومة، فإن كنت تعرف عُوذة تكتبها لها فافعل. فقال: أُكتب لها يا أبا بشر هذه العُوذَة:

[٢٦٥/١٦]

/ تفُو تفُو باسم إلهي الذي ... لا يعرِض السقم لمن قد شَفَى

أعِيذ مولاتي ومولاتَها ... وابنتها بعُوذة المصطفَى

من شرّ ما يعرِض من عِلة ... في الصبح والليل إذا أسْدفا

قال: فقلت له: يا أبا ثابت، لست أحسِن أن أكتب: تفُو تفُو، فكيف أكتبها؟ قال: انضح المداد من رأس القلم في موضعين، حتى يكون كالنفث، وادفع العُوذة إليها، فإنها نافعة. ففعلت ودفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحِكاً. فقالت له: يا مجنون، ما فعلت بنا؟ كدنا والله نفتضِح بما صنعت. قال: فما أصنع بك؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ؟

صوت

ألا مَنْ بيّن الأخَويـ ... ـنِ أُمُّهما هي الثكلَى

تسائل من رأى ابنيها ... وتستشفِي فما تُشْفَى[2]

فلما استيأست رجعت ... بعبرة واله حَرَّى

تتابِعُ بين وَلْولة ... وبين مدامعٍ تَتْرى

عروضه من الهزج[3]، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارِظ الكِنانية، وتكنى أم حكيم، زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، في ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤيّ باليمن.

والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لُحنينٍ الحِيريّ، ثاني ثقيل عن الهشاميّ. وفيه لأبي سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق في مجرى الوسطى.

---

(١) الأخشم: الذي لا يجد ريح ما يشم في أنفه.

(٢) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: «وتستسقي فما تسقى».

(٣) هذه العبارة سقطت من ف، مب، وهي في سائر الأصول. والأبيات ليست من الهزج، لكن من مجزوم الوافر.

[٢٦٦/١٦]

/ ذكر الخبر في مقتل ابني عُبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب

حملة بسر بن أرطاة في الحجاز واليمن

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس[1] قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا عليّ بن محمد المدائنيّ، عن أبي مِخْنف، عن جويريةَ بن أسماء، والصَّقْعَب بن زهير، وأبي بكر الهذليّ، عن أبي عمرو الوقاصّيّ:

أن معاوية بن أبي سفيان بعث بُسْر بن أَرْطاة، أحد بني عامر بن لؤيّ، بعد تحكيم الحكمين، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حيّ، وبعث معه جيشاً، ووجَّه برجل من غامد[2] ضم إليه جيشاً آخر. ووجّه الضحاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يُغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفُّوا أيديَهم عن النساء والصبيان. فمضى بُسْر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب عليّ عليه السلام، وأهل هواه، وهدم بها دُوراً من دور القوم. / ومضى إلى مكة، فقتل نفراً من آل أبي لَهب، ثم أتى السَّراة، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نَجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس، عاملاً لعليّ بن أبي طالب، وكان غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر، فلم يصادفه بُسْر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله، وذبحهما بيده، بمُدْية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به. فقصد الغامِديُّ إلى الأنبار، فقتل ابنَ حسان البكري، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة.

[٤٥/١٥]

[٢٦٧/١٦]

خطبة لعلي بن أبي طالب يعير فيها أتباعه بالهزيمة

فحدثني العباس بن عليّ بن العباس النسائي قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: حدثنا شبابة بن سَوّار قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادق، قال:

أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملاً لعليّ عليه السلام، يقال له حسان بن حسان[3]، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساءً، فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال:

---

(١) ف: أحمد الطلاس.

(٢) كذا في الأصول: عامر وفي «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (١: ١٤٤) أن معاوية وجه رجلاً من غامد يقال له: سفيان بن عوف بن المغفل الغامديّ، فعلى هذا تكون كلمة «عامر» تصحيفاً.

(٣) كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول وفي «الكامل» للمبرد (١: ١٠٤ «رغبة الآمل» للمرصفي) وسماه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» في رواية: أشرس بن حسان البكري.

إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشَمَله البلاء، ودُيِّث[١] بالصَّغار، وسِيم الخَسْف. وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يُغْزَ قوم قطُّ في عُقر[٢] دارهم إلا ذلُّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولي وراءكم ظهريا، حتى شُنَّت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان، وقتل رجالاً كثيراً ونساء. والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدة، فينزع حِجْلها ورِعاثها[٣]، ثم ينصرفون موفورين، لم يُكْلم أحدٌ منهم كلما، فلو أن امرأ مسلماً مات من دون هذا أسفاً، لم يكن عليه ملوماً، بل كان به جديراً. يا عجباً، عجباً يميت القلب، ويُشعل الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفَشَلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضاً، تُرمَون ولا ترمُون، وتُغزَون ولا تَغزون، ويُعصَى الله وترضَون. إذا قلت لكم اغزوهم في الحر، قلتم هذه حمارّة القيظ فأمهلنا، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد، قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ فأمهلنا. فإذا كنتم من[٤] الحر والبرد تفرُّون، فأنتم والله من السيف / أشد فِراراً. يا [٢٦٨/١٦] أشباه الرجال ولا رجال، ويا طَغام[٥] الأحلام، وعقولَ ربات الحِجال[٦]، وددت والله أني لم أعرفكم، بل وددت أني لم أركم، معرفة والله جَرَّعت بلاءً وندماً، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. ويْحَهم! هل فيهم أشد مراساً لها مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نيَّفْتُ على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى: ﴿لا أَمْلِكُ إلا نَفْسِي وأَخِي﴾[٧] فمُرْنا بأمرك، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جَمْر الغَضَى[٨]، وشوك القتاد. قال: وأين تبلغان مما أريد؛ هذا أو نحوه، ثم نزل.

رسائل بين علي وأخيه عقيل

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد قال: حدثني جعفر بن بشير قال: حدثني صالح بن يزيد الخراساني، عن أبي مِخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال:

٤٦/١٥ كتب عَقيل بن أبي طالب إلى / أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«أما بعد، فإن الله عز وجل جارك من كل سوء، وعاصمك من المكروه. إني خرجت معتمراً، فلقيت عبد الله بن أبي سَرْح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلَقاء، فقلت لهم، وعرفت المنكر في وجوههم: يا أبناء الطُّلَقاء، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً، تريدون بها إطفاء نور الله، وتغيير أمره، فأسمعني / القوم [٢٦٩/١٦]

---

(١) ديث: ذلل.

(٢) عقر دارهم: أصلها.

(٣) الحجل: الخلخال. والرعاث: جمع رعثة، وهي الشنف.

(٤) في الأصول: بين. وفي ف: في، وأثبتنا: من، عن مب، و«الكامل» للمبرد، و«شرح نهج البلاغة».

(٥) الطغام: من لا عقل له، ولا معرفة عنده.

(٦) الحجال: جمع حجلة، وهي بيت للعروس يزين بالثياب والستور.

(٧) سورة المائدة آية: ٢٥.

(٨) الغضى: نبات من أجود وقود العرب.

وأسمعتهم. ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحِيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً، فأفٍّ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك. وما الضحاك؟ وهل هو إلا فَقْع بقَرْقرة[١]، وقد ظننتُ وبلغني أن أنصارك قد خذلوك، فاكتب إليّ يابن أمّ برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقَى بعدك فُواقاً[٢]، وأقسم بالله الأعز الأجل، أن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع[٣]. والسلام».

فأجابه عليّ بن أبي طالب، عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم:

«أما بعد، كلأنا الله وإياك كَلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم عليّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزديّ بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلاً من قُدَيد، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، وإنّ بُنَيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله، وبغاها عِوجاً، فدع بني أبي سرح عنك، ودع قريشاً وتَرْكاضهم في الضلالة، وتَجْوالهم في الشقاق، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجَحَدوا فضله، وبادَوه[٤] بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وساقوا إليه جيش الأمَرّين. اللهم فاجز عني قريشاً الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، والحمد لله على كل حال.

[١٦/٢٧٠] / وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحِيرة، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة، ولكنه جاء في خيل جريدة، فلزم الظهر، وأخذ على السماوة، فمر بواقصةَ وشَرَاف وما والى ذلك الصقع، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير، وقد طَفَلت[٥] الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلَا ولا[٦]، فولّى ولم يصبِر، وقُتِل من أصحابه بضعة عَشَر رجلاً، ونجا جَرِيضاً[٧] بعد ما أُخِذ منه بالمُخَنَّق، فلأياً[٨] بلأى مانجا.

وأما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي، فإن رأيي قتالُ المُحِلّين[٩] حتى ألقَى الله، لا يزيدني كثرةُ الناس حولي عِزّة، ولا تفرُّقهم عني وحشة، لأني محِق، والله مع الحق وأهله، وما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان مُحِقاً.

---

(١) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة، وهي أردؤها. القرقرة: أرض مطمئنة لينة. ويقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة، لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

(٢) فواقا، بفتح الفاء: ما بين الحلبتين من الوقت، يريد وقتاً قصيراً.

(٣) نجيع: هنيء.

(٤) باداه بالعداوة: كاشفه بها.

(٥) طفلت الشمس للغروب: دنت.

(٦) كلا ولا: أي مدة قليلة.

(٧) جريضاً: مشرفاً على الهلاك، من جرض بريقه: إذا ابتلعه على هم وحزن بالجهد.

(٨) اللأي: المشقة والشدة والجهد. ولأيا بلأى ما نجا: أي نجا بعد مشقة وجهد.

(٩) المحلون: الخارجون من الميثاق والبيعة، يعني البغاة ومخالفي الإمام. ويقال لكل من خرج من إسلام، أو حارب في الحرم، أو في الأشهر الحرم: محل.

وأما ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك[1]، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً مهدياً، فوالله ما أحب أن تهلِكوا معي إن هلكت، ولا تحسَبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرِّعاً متخشّعاً، لكن أقول كما قال أخو بني سُلَيم:

فإن[2] تسأليني كيف أنتَ فإنني ... صبور على ريب الزمان صَلِيب

يعِزُّ عليّ أن تُرَى بي كآبة ... فيشمتَ عادٍ[3] أو يُساءَ حبيب

والسلام».

[٢٧١/١٦]
٤٧/١٥

/ رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصبيين

شعر أم حكيم في طفليها

ثم إن بُسْر بن أرطاة كر راجعاً، وانتهى خبره إلى عليّ عليه السلام، أنه قتل عبد الرحمن وقُثَمَ ابني عُبيد الله بن العباس، فسرَّح حارثة بن قُدامة السعديّ في طلبه، وأمره أن يُغِذَّ السير، فخرج مسرعاً، فلما وصل إلى المدينة، وانتهى إليه قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه، ركب في السلاح، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، فقال: والله لتبايعُنّ ولو بأستاهكم. فلما رأى أهلُ المدينة الجِدّ منه بايعوا للحسن، وكر راجعاً إلى الكوفة، فأصاب أمَّ حكيم بنت قارظ ولَهٌ على ابنيها، فكانت لا تعقِل ولا تُصْغِي إلى قول من أعلمها أنهما قد قُتلا، ولا تزال تطوف في المواسم، تنشُد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

صوت

يا من أحس بُنَيَّيَ اللذين هما ... كالدُّرَّتين تَشظَّى عنهما الصدفُ

يا من أحس بنيَّيَ اللذين هما ... سمعي وقلبي، فقلبي اليوم مختَطَف

يا من أحس بُنَيَّيَ اللذين هما ... مُخُّ العظام فمخي اليوم مُزْدَهَفُ

نُبِّئت بُسْراً وما صدَّقت ما زعموا ... من قولهم ومِن الإفك الذي اقترفوا

أنحى على ودَجَيْ إبنيَّ مُرْهَفَةً ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

حتى لقِيت رجالاً من أرومته ... شم الأنوف لهم في قومهم شرف

فالآن ألعن بُسْراً حقَّ لعنته ... هذا لعمر أبي بُسْرٍ هو السَّرَف

من دَلَّ والهةً حَرَّى مُدلَّهة ... على صبيين ضلا إذ هوى السلف

الغناء لأبي سعيد مولى فائد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، يقال إنه له أيضاً. وفيه لعَرِيب رمَل نشيد.

---

(١) كذا في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (١ : ١٥٥) وفي الأصول: ببني أبيك وولد أخيك.

(٢) ف: ولا.

(٣) عاد: كذا في ف، مب و«شرح نهج البلاغة». وفي الأصول: باغ.

[١٦/٢٧٢] / دعوة علي بن أبي طالب على بسر

قالوا: ولما بلغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسْرٍ الصبيين، جزع لذلك جزعاً شديداً، ودعا على بُسْر لعنه الله، فقال: اللهم اسلُبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلُبه عقله! فأصابه ذلك، وفقدَ عَقْله، فكان يهذِي بالسيف ويطلبه، فيؤتى بسيف من خشب، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم[١]، ثم مات لعنه الله.

عبيد الله بن العباس وبسر

ولما كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية، دخل عليه عُبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة، فقال له عبيد الله: أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال بسر: نعم أنا قاتلهما. فقال عبيد الله: أما والله لوَددت أن الأرض كانت أنبتتْني عندك. فقال بسر: فقد أنبتتك الآن عندي. فقال عبيد الله: ألا سيف! فقال له بسر: هاك سيفي. فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله، أخذه معاوية، ثم قال لبسر: أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك، تعمِد إلى رجل من بني هاشم قد وترْته وقتلت ابنيه، تدفع إليه سيفك، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك. فقال عبيد الله: أجل، والله، ثم إذن لثنَّيْتُ[٢] به.

يمني ينتقم من ابني بسر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني محمد بن مسروق قال: قال الأصمعيّ:

٤٨/١٥ سمع رجل من / أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها:

يا من أحس بُنَيّي اللذين هما ... كالدرتين تشظّى عنهما الصَّدَف

[١٦/٢٧٣] / فرقَّ لها، فاتصل ببُسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب، وقال:

يا بسرُ بسرَ بني أرطاةَ ما طلعت ... شمس النهارِ ولا غابت على ناسِ
خيرٍ من الهاشميين الذين هُمُ ... عين الهدى وسِمام الأشوس[٣] القاسي
ماذا أردت إلى طفلي مُدَلَّهة ... تبكي وتندب من أثكلت في الناسِ
إما قتلتهما ظلماً فقد شرِقت ... في صاحبيك قناتي يوم أوطاسِ
فاشرب بكأسهما ثُكلاً كما شربت ... أم الصبيَّين أو ذاق ابن عباس[٤]

(١) ف: يضربه ما يشاء. مب: يضربه ما شاء حتى مات.
(٢) كذا في ف، مب. وفي الأصول: وكنت أثني به.
(٣) الأشوس: الشديد الجريء في القتال.
(٤) ف: في دار ابن عباس.

صوت

صوت لأم حكيم بنت يحيى

ألا فاسقياني من شرابكما الوَرْدِي — وإن كنت قد أنفدتُ فاستَرهِنا بُردِي[١]

سِواري ودُملوجي وما ملكت يدي — مباح لكم نَهْبٌ فلا تقطعوا وِردِي

عروضه من الطويل. والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس. والغناء لإبراهيم الموصلي، رمل بالوسطى، من رواية عمرو بن بانة.



(١) هنا تنتهي مصوّرة مب.

[٢٧٤/١٦]

ذكر أم حكيم وأخبارها[١]

قد مضى ذكر نسبها.

أمها وجمالها

وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت هي وأمها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل: الموصِلة بنت المُوصِلة، لأنهما وَصلتا الجمال بالكمال.

جدتها

وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: سُعْدَى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأُم الطائيّ. وكانت سُعدَى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة، فولدت له سَلمة ورَيطة. ثم تُوُفِّي عنها، فخلف عليها طلحة بن عُبيد الله، فولدت له يحيى وعيسى، ثم قتل عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتكلم بنوها، وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً، فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة، لا بد من خروجها، فتزوجها. فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه، وزينب، وهي أمّ أم حكيم.

وكان المغيرة أحد أجواد[٢] قريش والمطعمين منهم، وقد قدِم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدم تغيبوا، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج، وبث المغيرة الجِفان في السكك والقبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة:

أتـاك البحـرُ طَـمَّ علـى قُـريـشٍ مُغِيـريّ فقـد راغ ابـنُ بِشـر

قال مصعب الزبيريّ: هو - يعني المغيرة - مطعم الجيش بمنى، وهو إلى الآن يطعَم عنه. قال: وكانت أخته زينب [٢٧٥/١٦] أحسن الناس وجهاً وقدّاً، وكأن أعلاها / قضيب، وأسفلها كثيب، / فكانت تسمى الموصِلة. وسميت بنتها أمّ حكيم ٤٩/١٥ بذلك، لأنها أشبهتها.

حسن جسدها

أخبرني[٣] عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن محمد بن يحيى الكنانيّ عن أبيه قال: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصِلة[٣]:

---

(١) من هنا يبدأ الجزء الخامس عشر من المخطوطة رقم ١٣١٩ أدب.

(٢) ف: جوداء.

(٣ - ٣) الخبر ساقط من ف.

زواجها من يحيى بن الحكم

قال مصعب: فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمُل من عبد الملك؟ والله لا يزيدها على ألف دينار، ولا يزيدك على خمسِ مئة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار، ولك عندي عشرة آلاف دينار[1] إن زوجتنيها، فزوجه إياها على ذلك. فغضب عليه عبد الملك. وقال: دخل عليّ في خِطبتي. والله لا يخطب على مِنبر ما دمت[2] حياً، ولا رأى مني ما يحب، فأسقطه. فقال يحيى: لا أبالي، كعكتان وزينب.

قال ابن أبي سعد: وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيَّبي قال: حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحيّ:

أنها لما خُطبت قالت: لا أتزوج والله أبداً إلا من يغني أخي المغيرة. فأرسل إليها يحيى بن الحكم: أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت: نعم. قال: فهي له، ولك مثلها. فقالت: ما بعد هذا شيء. أرسل إلى أهلك شيئاً من طِيب، وشيئاً من كسوة.

/ قال: ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال: لقد تزوجتْ أفْوَهَ غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خير [١٦/٢٧٦] من أبي الذِّبان فماً، فما له يعيبه بفمه؟ وقال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كَرِهَتْ من فمك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسّان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز:

أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يلْحق به، وكان بفلسطين أو بالأُردنّ، فعرض له يحيى بن الحكم، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: وما تصنع به؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، وأربع مِئة دينار لزينب، ولك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أوَ تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال. فتجهز المغيرة، وسيَّر ثَقَله، ثم دخل على يحيى فزوجه، وخرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاها إياها، ورجع إلى منزله. فغضب على يحيى، وخلعه عن ماله، وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كعكتان وزينب

زواج أم حكيم من عبد العزيز بن الوليد

قال: وكانت زينب تسمى المُوصِلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة جده عبد الملك، ولما عقد النكاح بينهما، عقد في مجلس عبد الملك، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عديّ لموضعه منهم، فقال:

---

(١) ف: درهم.

(٢) ف: ما دام.

[٢٧٧/١٦] / قَمرُ السماء وشمسُها اجتمعا … بالسَّعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلَهما … مَن ذا رأى هذا ومن سمِعا؟
دام السرور له بها ولها … وتَهنّيا طول الحياة معا

٥٠/١٥ / وقال جرير:

جَمع الأمير إليه أكرم حرة … في كل ما حالٍ من الأحوال
حَكَمِيّة علَتِ الروابِيَ كلَّها … بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببعولة … فخرتهمُ بالسّيّد المفضال
عبد العزيز ومن يكلفْ نفسه … أخلاقه يلْبَثْ بأكسف بال
هنأتكم بمودّة ونصيحة … وصدقت في نفسي لكم ومقالِي
فلتهنِك النِّعَم التي خُوِّلتَها … يا خير مأمول وأفضل والِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، ولعديّ بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذٍ مِئة حاجة، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فملكته وأحبها، وذهبت بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أمّ حكيم، فطلقها، فتزوجها هِشام بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز، فتزوج هشام ميمونة أيضاً، وكان شديد المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها: هل أرضينك منها؟ فقالت: نعم. فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام، وكان من رجالات بني أمية، وكان أحد من يطعُن على الوليد بن يزيد بن عبد المِلك، ويغري الناس به.

[٢٧٨/١٦] / كأس أم حكيم

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه. وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه[1] يقول الوليد بن يزيد:

صوت

عَلِّلاني بعاتقات الكروم … واسقياني بكأس أمّ حكيمِ
إنها تشرب المدامة صِرفا … في إناء من الزجاج عظيم
جَنِّبوني أذاة كل لئيم … إنه ما علمتُ شرٌّ نديم
ثم إن كان في النّدامَى كريم … فأذيقوه مَس بعض النعيم
ليت حظي من النساء سُلَيْمَى … إن سَلْماي جَنّتي ونعيمي

---

(١) نصت «كتب اللغة» على أن الكأس مؤنثة. وقد جرى المؤلف في عبارته على تذكيرها. ولعله أراد معنى القدح أو الإناء.

فَدَعوني من الملامة فيها إن من لامني لغيرُ حليم[1]

عروضه من الخفيف. غناء عمر الوادي[2] من رواية يونس. وفي رواية إسحاق: غناه الغُزَيل أبو كامل: خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاماً، فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أوَ تصدقه الفاسقَ في شيء، فتصدقَه في هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه.

يزيد بن هشام والوليد بن يزيد يتهاجيان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فقال:

فحسب أبي العباس كأس وقَيْنةٌ وزِقّ إذا دارت به في الذوائب

ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالبِ

/ فقال الوليد يهجوه، ويعيره بشرب أمه الشراب: ٥١/١٥

/ إن كأس العجوز كأسٌ رَواءٌ ليس كأس ككأس أمِّ حكيمِ [٢٧٩/١٦]

إنها تشرب الرَّساطون صِرْفا في إناء من الزجاج عظيم

لو به يشرب البعيرُ أو الفيـ ـل لظَلّا في سَكرة وغُموم

ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ ـق فوافى لذاك غير حليم

أبو شاكر بن هشام وولاية العهد

وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة، ويُكْنى أبا شاكر، وكان هشام ينوِّه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عُروة بن أُذينة ـ لما وفد على هشام ـ وفَرَّق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً، وأحبه الناس ومدحوه:

أتينا نَمُتُّ بأرحامنا وجئنا بأمر أبي شاكرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه، وأشاع ذلك وغَنَّى فيه، وأراد أن يعيره بذلك:

صوت

يأيها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكر

نشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسخن أحياناً وبالفاترِ

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه:

(١) كذا في ف، وفي الأصول: رحيم.
(٢) ف: عمرو بن بانة.

يـا أيهـا السـائِـل عـن ديننـا نحـن علـى ديـن أبـي شـاكـرِ

الـواهـبِ البُـزْلِ بـأرسـانِهـا ليـس بـزنـديـقٍ ولا كـافـرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ:

أن هشاماً لما أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القَسْريّ، فقال خالد: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر. فبلغ قوله هشاماً، فكان سبب إيقاعه به.

[١٦/ ٢٨٠] / **كأس أم حكيم في خزائن المأمون والمعتمد**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قِمَطر، عن إسماعيل بن مجمع قال:

كنا نخرج ما في خزائن المأمون[١] من الذهب والفضة، فنزكّي عنه، فكان فيما يُزكّى عنه، قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً. قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر، مَقْبِضه من ذهب. هكذا ذكر إسماعيل.

وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله[٢]، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائيّ قال:

لما أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع، في أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم، فكان كأسا مدوَّراً على هيئة القِحْف[٣]، يسع ثلاثة أرطال، فقُوِّم بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة، مع خساسة قدره، فسألنا الخازن عنه. فقال: هذا كأس أمّ حكيم، فرددناه إلى الخزانة. ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ، ثم أخرج ليباع.

محمد بن الجنيد الختلي وكأس أم حكيم

قال محمد بن موسى: وذكر لي عُبيد الله بن محمد عن أبي الأغرّ، قال: كنا مع محمد بن الجُنيد الخُتّليّ أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته:

عَلِّـلانـي بعـاتقـات الكـرومِ واسقيـانـي بكـأس أم حكيـم

٥٢/١٥ فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحَر، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد: إن الخليفة / على الركوب. وكان محمد أحَد أصحاب الرشيد، ومن يقدِّم دابته، فقال: ويْحَكم! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران.

[١٦/ ٢٨١] فقالوا: لا بدّ من / الركوب، فركب على تلك الحال؛ فلما قدِّم إلى الرشيد دابته، قال له: يا محمد، ما هذه الحال التي أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب، فشربت ليلي أجمع. قال: فما كان صوتك؟ فأخبره.

فقال له: عُدْ إلى منزلك، فلا فضْلَ فيك، فرجع إلينا وخبَّرنا بما جرى، وقال: خذوا بنا في شأننا، فجلسنا على سطح، فلما مَتَع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على بِرذَون، في يده شيء مُغَطًّى بمنديل،

---

(١) ف: كنا نخرج من دار الملوك من الذهب...

(٢) ف: كيحلة.

(٣) القحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة.

قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا، وقال لمحمد: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم، لتشرب فيه، وبألف دينار تنفقها في صَبوحك. فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم، وقبّلها، وصب فيها ثلاثة أرطال، وشربها قائماً، وسقانا مثل ذلك، ووهب للخادم مئتي دينار، وغَسَل الكأس، وردّها إلى موضعها، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير، حتى بقي معه أقلُّها.

صوت

الأعشى يهجو علقمة بن علاثة

علقمَ ما أنتَ إلى عامرٍ … الناقضِ الأوتارِ والواترِ[1]

إن تَسُدِ الحُوصَ فلم تعدُهُمْ … وعامرٌ سادَ بني عامرِ

عهدي بها في الحي قد دُرِّعت … صفراءَ مثلَ المُهْرة الضامرِ

قد حجمَ الثديُ على صدرها[2] … في مُشْرِقٍ ذي بهجةٍ ناضرِ

/ لو أسندتْ مَيتاً إلى نحرها … عاش ولم يُحْمَلْ[3] إلى قابرِ [٢٨٢/١٦]

حتى يقولَ الناس مما رأوا … يا عَجَبَا للميِّتِ الناشرِ

عروضه من السريع. والشعر للأعشى: أعشى بني قيس بن ثعلبة، يمدح عامر بن الطُّفيل، ويهجو علقمة بن عُلاثة.

والغناء لمعبد في الثالث وما بعده، خفيف ثقيل الأول بالبنصر. وفي الأبيات لحُنين ثقيل أول مطلق، في مجرى البِنْصر، عن إسحاقَ. وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرد ولم يُجَنِّسه، ولم ينسبه إلى أحد.

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة أولها:

شاقتك من قتلة أطلالها … بالشط فالوتر إلى حاجر

وهي في «الديوان» و«شرح المغني» للسيوطي، مع اختلاف كثير في الترتيب والألفاظ.

(٢) كذا في ف و«الديوان». وفي الأصول: نحرها.

(٣) كذا في ف: وفي الأصول و«الديوان» و«شرح شواهد المغني»: «ينقل».

[١٦/٢٨٣]

/ الخبر في هذه القصة، وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أسانيد هذه القصة

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دُرَيد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.

ونسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه، ومن[١] رواية دَمَاذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعيّ[١]، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل، ومن رواية أبي عمرو الشيبانيّ عن أصحابه؛ فجمعت رواياتهم، ولكل امرىء منهم زيادة على صاحبه، ونقصان عنه، واللفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكيته مفرداً.

قال ابن الكلبيّ: حدثني أبي ومُحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفريّ، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن مالك[١] بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا:

٥٣/١٥ أولُ[٢] ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطفيل بن مالك بن / جعفر، وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ـ

سبب المنافرة بين عامر وعلقمة

وأم عامر: كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية، فارس الهَرّار، ابن عبادة بن عَقِيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وأم أبيه الطُّفيل: أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة.

قال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النَّخَع سبيّة، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيْطان بن بكر بن عوف بن النخع مَهِيرة ـ

[١٦/٢٨٤] / أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبُصر به عامر، فقال: لم أرَ كاليوم عورة رجل أقبح. فقال علقمة: أما والله ما تَثِب على جاراتها، ولا تنازل كَنَّاتها[٣]؛ يعرِّض بعامر. فقال عامر: وما أنت والقروم! والله لفرس أبي «حَنوةُ»[٤] أذكر من أبيك؛ ولفحل أبي «غيهبُ» أعظم ذكراً منك في نجد. قال: وكان فرسه فرساً جواداً، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان، وكان فحله فحلاً لبني حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

(١ ـ ١) العبارة ساقطة من ف.

(٢) مبتدأ، خبره في أوّل الصفحة التالية.

(٣) كذا في الأصول. والكنة: امرأة الابن أو الأخ. ولعل كلمة: تنازل، محرفة عن «تغازل». وفي «سرح العيون» (١٠٧): ولا تنازل إلا كفاتها.

(٤) حنوة: كذا في «نسب الخيل» لابن الكلبي ٧٦ و«المخصص» (٦: ١٩٦) و«تاج العروس» «حنو». وفي الأصول: حيوة.

قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر[١] بن صِرمة.

قال: الأثرم: سمى صِرمة غيهب[٢] لسواده.

قال ابن الكلبيّ: فاستعاره منهم يستطرقه[٣]، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة[٤]، وأما فحلكم فغدرة. ولكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.

فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصَباً.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.

فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقال عامر: أنافرك على أني أنحر منك للّقاح، وخير منك في الصباح[٥]، وأطعم منك في السنة الشّياح[٦].

/ فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك، أعزّ لك من أن [١٦/٢٨٥] تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحدّ منك بصراً، وأعز منك نفراً، وأسرح[٧] منك ذِكراً.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمة[٨]، وأطول منك قِمّة، وأحسن منك لِمّة، وأجعد منك جُمّة، وأبعد منك همّة.

قال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قضِيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عَقِباً، وأَطْعَمُ منك جَدْباً.

قال علقمة: قد علمت أن لك عقِباً في العشيرة، وقد أطْعَمت طيباً[٩] إذ سارت؛ ولكني أنافرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.

قال: فخرجت أم عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافره أيكما أولى بالخيرات.

قال أبو المنذر: قال أبو مسكين: قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحُمَاة، وأقتل منك للكُماة، وخير منك للمولى والمولاة.

/ فقال له علقمة: والله إني أعز منك. إني لبرّ وإنك لفاجر، وإني لوفيّ وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ [١٦/٢٨٦]

---

(١) كذا في الأصل. ولعله للأشعر.

(٢) كذا في الأصل. ولعل صوابه: وسمى فحل صرمة غيهبا لسواده.

(٣) يستطرقه: يتخذه فحلاً لنوقه، ليحسن نتاجها.

(٤) عارة: عارية.

(٥) في الصباح: أي عند الغارة على الأعداء.

(٦) الشياح: القحط. يريد السنة المجدبة.

(٧) أسرح: أبعد. وفي الأصول عدا ف: أشرف.

(٨) أي أكثر قوماً.

(٩) في بعض الأصول: «طينا».

فقال عامر: والله إني لأنزَل منك للقفرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهَبْرة[١]، وأطعن منك للثُّغْرة[٢].

٥٤/١٥

فقال علقمة: والله إنك / لكليل البصر، نكِد النظر، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر.

فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بالكِبَر. فقال له علقمة هذا القول.

فقال عامر: عنز وتيس، وتيس وعنز[٣]، فذهبت مثلاً. نعم على مِئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم، أينا نُفِّرَ عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رهُناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسُمي الضَّمين إلى الساعة، وهو الكفيل.

قال: وخرج علقمة ومن معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو بَراء، فقال: يا عماه، أعِنّي. فقال: يابن أخي، سُبَّني. فقال: لا أسبك وأنت عمي. قال: فسُبَّ الأحوص. فقال عامر: ولا أسب والله الأحوص وهو عمي، فقال: فكيف إذن أعينُك، ولكن دونك نعلي، فإني قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعاً، فاستعن بها في نفارك.

/ اختيار الحكم بينهما

[١٦/٢٨٧]

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئاً، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم[٤]، تقعان بالأرض. قالا: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. وأبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال:

يـــآل قـــريـــشٍ بيِّنـــوا الكـــلامـــا ... إنـــا رضينـــا منكـــم الأحكـــامـــا

فبيِّنـــوا إن كنتُـــم حكّـــامـــا ... كـــان أبـــونـــا لهـــمُ إمـــامـــا

وعبـــد عمْـــرٍو منـــع الفِئـــامـــا ... فـــي يـــوم فخـــر مُعْلَـــم إعـــلامـــا

ودَغْلَـــجٌ أقـــدمـــه إقـــدامـــا ... لـــولا الـــذي أجشمهـــم إجشـــامـــاً

* لاتخذتْهم مَذْحِج نَعاما *

قال: فأبَوا أن يقولوا بينهما شيئاً.

وقد كانت العرب تَحاكم إلى قريش، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئاً. فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعْتب الثَّقَفِيّ، فردهما إلى حَرْملة بن الأشعر المُرِّي، فردهما إلى هَرِم بن قطْبة بن سنان بن عمرو الفَزاريّ، فانطلقا حتى نزلا به.

---

(١) القطعة المجتمعة من اللحم.

(٢) ف: للنبرة. ولعل صحتها: للنثرة، بمعنى الخيشوم وما والاه.

(٣) يريد: مثلي ومثلك كالعير والتيس، أو كالتيس والعنز، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز.

(٤) الأدرم: الذي تراكب لحمه وشحمه حتى غطى عظامه، والذي ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها، أو الذي لا أسنان له.

هرم بن قطبة يحكم بينهما

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشْتَتْ وأربعت، لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما؛ فقال هرم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصِلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتسلّما لما قضيت بينكما، وأمرهما / بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من [١٦/٢٨٨] قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور، ينحرون في كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، ولم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص مُنيخاً بها، وكره أبو بَراء ما كان من أمرهما، فقال عامر[١] فيما كره من منافرتهما، ودعاه عامر إياه أن يسير معه:

أأومـر أن أَسُـبَّ أبـا شُـريـح ... ولا والله أفعـلُ مـا حييـتُ

/ ولا أُهـدي إلـى هـرم لِقـاحـا ... فيُحيِـي بعـد ذلـك أو يُميـتُ ٥٥/١٥

أُكَلَّـف سعـيَ لُقمـانِ بـن عـاد ... فيـآل أبـي شُـرَيْـح مـا لقيـتُ

قال: وأبو شريح: هو الأحوص. فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما. وقال عبدُ عَمْرِو بن شُرَيح بن الأحوص:

لَحَى الله وَفْـدينـا ومـا ارتحـلا بـه ... مِنَ السَّوءَة[٢] الباقي عليهم وبالُها

ألا إنمـا يُـزْدَى صِفـاق[٣] متينـة ... أبى الضيـم أعلاهـا وأُثبتَ حـالُهـا

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبي الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غنيّ: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُزُر، وليس معك شيء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قُبة أو قِدْر أو لَقْحة. ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخَصُوا بمثل / ما شَخصوا به، ففعلوا. [١٦/٢٨٩]

الشعراء مع المتنافرين

وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطيئة وفتيان من بني الأحوص، منهم السَّنْدريّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سُراقة بن قَتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد:

يـا هـرِمـاً وأنـت أهـلُ عـدلِ ... إن نُفِّـر[٤] الأحـوص يومـاً قبلي

ليـذهَبـن أهلُـه بـأهلـي ... لا تَجْمَعَـنَّ شكلَهـم وشكلـي

* ونسلَ آبائهِم ونسلي *

(١) المراد به عامراً بن مالك أبو براء، وهو عم عامر بن الطفيل.
(٢) ف: النبوة.
(٣) ف * ألا إنما تردى صفاه متينا *
(٤) ف: يفز.

وقال أيضاً:

إني امرؤ من مالك بن جعفرِ علقم قد نافرت غيرَ مُنْفَرِ
* نافرتَ سَقْباً من سِقاب العَرْعَر *

فقال قحافةُ بن عوف بن الأحوص:

نهنهْ إليك الشعرَ يا لَبيدُ واصْدُدْ فقد ينفعك الصُّدود
ساد أبونا قبل أن تسودوا سُؤْدُدُكم مُطَّرف زَهيد

وقال أيضاً:

إني إذا ما نَسي الحياءُ[1] وضاع يوم المَشهد اللِّواء
أُنْمَى وقد حُقَّ ليَ النماءُ إلى ذكور ذِكرها سناء[2]
إذ لا تزال جَلدةٌ كَوماء مبقورةَ لسَقْبها دعاء[3]
لم يَنْهنا عن نحرها الصفاء لنا عليكم سُورَةٌ وِلاءُ[4]
* المجدُ والسؤدُدُ والعَطاء *

[١٦/٢٩٠] / وقال أيضاً:

أنتم هَزَلْتم عامرَ بنَ مالكِ في شَتَواتِ مُضَرَ الهوالكِ
* يا شرَّ أحياءٍ وشرَّ هالك[5] *

قال: وأنشدها السَّنْدَرِيُّ يومئذ، ورفع صوته، فقيل: من هذا؟ فقال:

أنا لمن أنكر صوتي السَّنْدَرِيّ أنا الفتى الجعد الطويل الجعفريّ
* من ولد الأحوص أخوالي غَنِيّ *

٥٦/١٥ / فقال عامر: أجب يا لَبيد. فرغب لبيد عن إجابته، وذلك لأن السَّندريّ كانت جَدته أمةً اسمها عَيْساء، فقال:

لما دعاني عامرٌ لأسُبَّهم[6] أَبَيْتُ وإن كان ابن عَيْساءَ ظالما
لكيما يكونَ السَّندَرِيُّ نَديدَتي وأشْتُمَ أعماماً عُموماً عَماعما[7]

---

(١) كذا في ف. وفي الأصول: * إني إذا أكتني الجفاء *
(٢) كذا في ف. وفي الأصول: كهول.
(٣) جلدة: كذا في ف. وهي الناقة الغزيرة اللبن، أو الصلبة القوية على السير. وفي الأصول «جلة»: والسقب: ولد الناقة. ودعاء: كذا في ف. وفي الأصول: رغاء، وهما بمعنى.
(٤) السورة بضم السين: المنزلة الرفيعة.
(٥) كذا في ف. وفي الأصول: يا شر ناحيا.
(٦) كذا في ف. وفي الأصول: لأجيبهم.
(٧) عموماً: مجتمعين. والعماعم: الجماعات المتفرقة. ورواية الشطر الثاني في «اللسان»:
* وأجعل أقواماً عموماً عماعما *

=

وأُنْشِـرَ مـن تحـت القبـورِ أُبُـوَّةً كـرامـاً هـم شَـدُّوا علـيَّ التَّمـائمـا
لعِبـت علـى أكتـافهـمْ وحُجُـورهـم وَليـداً وسَمَّـونـي مُفيـداً[1] وعـاصمـا
ألا أيـنـا مـا كـان شـراً لمـالـكٍ فـلا زال فـي الـدنيـا مَلُـومـاً ولائمـا

قال: ووثب الحُطَيئة، فقال:

مـا يحبِسُ الحُكّامَ بـالفضْـل[2] بعـدمـا بـدا سـابـقٌ ذو غُـرَّة وحُجُـولِ

[٢٩١/١٦] / وقال أيضاً:

يـا عـامِ قـد كنـت ذا بـاع ومكـرمـة لـو أن مَسعـاة مـن جـاريتَـه أَمَـمُ
جـاريـت قَـرْمـاً أجـاد الأحـوصـان بـه سمـحَ اليـديـن وفـي عِـرْنينـه شَمَـمُ
لا يصعُـبُ الأمـرُ إلاّ ريـثَ[3] يـركبُـه ولا يبيـت علـى مـالٍ لـه قَسَـمُ
هـابـتْ بنـو مـالـك مجـداً ومَكْـرُمَـةً وغـايـةً كـان فيهـا المـوتُ لـو قَـدِمـوا
ومـا أسـاءوا فِـراراً عـن مُجَلّحـةٍ[4] لا كـاهـنٌ يَمتـري فيهـا ولا حَكَـمُ

رفق الحكم ودهاؤه

قال: وأقام القوم عنده أياماً، وأرسل إلى عامر، فأتاه سراً، لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنتُ أرى لك رأياً، وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلاً لا تفخَر أنت وقومُك إلا بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟

قال عامر: أَنشُدُك الله والرَّحِم أن لا تُفَضِّل عليّ علقمة، فوالله لئِن فعلت لا أُفلح بعدها أبداً. هذه ناصيتي فاجزُزها. واحتكم في مالي، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه يُنَفِّره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سِرّاً، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، والله إن كنتُ لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غَناء، وأحمَدُهم لِقاء؟ فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له علقمة: أَنشُدك الله والرَّحِم ألاّ تُنَفِّر عليّ عامراً. اجزُز ناصيتي، واحتكم في مالي، / وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى [٩٢/١٦] رأيي. فخرج وهو لا يشك أنه سيفضِّل عليه عامراً.

قال أبي: وسمعت أن هَرِماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: ولِمَ يا هرِم؟

= وشرحه فيه، أي أجعل أقواماً مجتمعين فرقاً.

(١) كذا في ف. وفي بقية الأصول: وليداً.

(٢) كذا في الأصول، وفي ف: بالفعل.

(٣) ف: حيث.

(٤) المجلحة: المصيبة التي تستأصل كل شيء. وفي ف: مجلجلة، أي مدويه بعيدة الذكر.

قال: لأنه أنجل منك عَيْناً في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو أكثر منك نائلاً في الثّراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: ولم يا هَرِم؟ قال: هو أنفد منك لساناً، وأمضى منك سِناناً. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكُماة، وأفك منك للعُناة.

دهاء الحكم

٥٧/١٥ قال: ثم إن هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين / مَقالة، فإذا فعلتُ فليطرد بعضكم عَشْر جَزَائر فلْينحَرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحَرْها عن عامر، وفرِّقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هَرِم، فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لَبيد فقال:

يا هرمَ ابنَ الأكرمين مَنصِبا ... إنك قد وُلِّيتَ حُكماً مُعْجِبا
فاحكم وصوِّب رأس من تصوّبا ... إن الذي يعلو علينا تُرتُبا[1]
لخَيرُنا عما وأما وأبا ... وعامرٌ خيرهما مُرَكَّبا

* وعامرٌ أدنى لقيسٍ نسبا *

الفصل في المنافرة

فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم.

[١/٢٩٣] / وعَمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر، فنحروها حيث أمرهم هرِم عن علقمة عشراً، وعن عامراً عشراً، وفرقوا الناس، فلم يفضِّل هرم واحداً منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهما ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شراً.

سبب انضمام الأعشى إلى عامر

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجِوار والخُفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفَره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال:

عَلْقَمَ ما أنت إلى عامرِ ... الناقِضِ الأوتارِ والواترِ

ثم أتمها بعد النِّفار. فلما بلغ علقمةَ ما قال الأعشى، وأشاع في العرب أن هرِماً قد فضَّل عامراً، توعَّد الأعشى، فقال الأعشى:

* لعمري لئن أمسى من الحيّ شاخصاً *

---

(١) ترتبا: أبداً، أو جميعاً.

الخليفة عمر وهرم بن قطبة

قال ابن الكلبي: حدّثني أبي قال: فعاش هِرِم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أيّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة، ولبلغتْ شِعاف هَجَر. فقال عمر: نِعم مستودعُ السّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم، مثلُ هذا فليَسُد العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضِع القوم أحكامهم.

إسلام علقمة

قال مؤلف الكتاب[1]:

وقد أدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب. فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى بني كلاب ليوقع بهم، وعلقمة يومئذٍ / رئيسهم، هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، فأعلمه [١٦/٢٩٤] أنه قد نَزَع عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمّنه. هكذا ذكر المدائنيّ.

وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك.

حدثنا محمد بن جرير الطبريّ قال: حدثنا السريّ بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سَيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال:

كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومن لافَها[2]، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبيّ ﷺ، ثم خرج بعد فتح الطائف، حتى لحق بالشام مرتداً، فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعاً، حتى عسكر في بني كعب، مقدّماً رجلاً ومؤخراً أخرى، وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فبعث إليه سرية، وأمّر عليها القَعقاع بن عمرو، وقال: يا قعقاع، سر حتى تغير على علقمة بن علاثة، لعلك تأخذه لي / أو تقتله. واعلم أن شفاء النفس الحُوْص، فاصنع ما عندك. ٥٨/١٥ فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رحل، فسابقهم على فرسه مراكضة، وأسلم أهله وولده، واستبى القعقاعُ امرأة علقمة وبناتِه ونساءه ومن أقام من الرجال، فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره، وكانوا مقيمين في الدار، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك. وقالوا لأبي بكر: ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة، فقبل ذلك منه.

نهي النبي حسان عن إنشاده هجاء علقمة

أخبرنا الحَرَمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال:

/ كان رسول الله ﷺ ربما حدّث أصحابه، وربما تركهم يتحدثون ويُصغِي إليهم ويبتسم، فبينا هم يوماً على [١٦/٢٩٥] ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة، علقمةَ بن عُلاثة، ومديحه عامر بن الطفيل:

---

(١) كذا في ف، وفي بقية الأصول: «قال أبو الفرج الأصبهاني».

(٢) لافها: كذا في ف. وفي الأصول: والاها. وهما بمعنى واحد.

علقمَ ما أنت إلى عامرٍ — النّاقضِ الأوتارِ والواترِ
إن تَسُدِ الحُوص فلم تَعْدُهم — وعامرٌ سادَ بني عامرِ
سادَ وألْفَى رهطه[1] سادة — وكابراً سادوك عن كابرِ

فقال رسول الله ﷺ: كُفَّ عن ذكره يا حسان، فإن أبا سفيان لما شعَّث مني[2] عند هرقل، ردّ عليه علقمة، فقال حسان بن ثابت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من نالتك يدُه فقد وجب علينا شكره.

الحطيئة وعلقمة بن علاثة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكرٍ الهذليّ قال: لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة، لأقصده به، فقد منعتني التكسب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثم، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله:

لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ — بحَورانَ أمسى أعْلَقَتْه الحبائلُ
فإن تحيَ لا أملَل حياتي وإن تمت — فما في حياةٍ بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتُك سالماً — وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

[٢٩٦/١٦] / فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مئة ناقة. قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها.

علقمة وخالد وعمر بن الخطاب

أخبرني الحَرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدثني عمر بن أبي بكر قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا:

لما قدم علقمة بن عُلاثة المدينة، وكان قد ارتد عن الإسلام، وكان لخالد بن الوليد صديقاً، لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل، وكان عمر يُشَبَّه بخالد، وذلك أن أمه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فسلم عليه، وظن أنه خالد، / فقال: أعَزَلَكَ؟ قال: كان ذلك. قال: والله ما هو إلا نفاسةٌ عليك، وحسد لك. فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: مَعاذ الله، إن لعمر علينا سمعاً وطاعة، وما نخرج إلى خلافه. فلما أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال: إيهِ يا علقمة، أأنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد، فقال: يا أبا سليمان، أفعلتها؟ قال: ويْحَك والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإني لأراك لقيت الرجل. قال: أُراه والله.

(١) كذا في ف. وفي الأصول: قومه.
(٢) شعث مني: عابني.

ثم التفت إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما سمعتَ إلا خيراً. قال: أجل. فهل لك أو أولئك حَوْران؟ قال: نعم. فولاه إياها، فمات بها.

رثاء الحطيئة علقمة

فقال الحطيئة يرثيه:

لَعمري لنعم الحيُّ من آل جعفرٍ ... بحَوْران أمسى أقصدته الحبائل

لقد أقصدَتْ جُوداً ومجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً خالفته المَجاهل

فإن تَحيَ لا أُمْلَلْ حياتي وإن تمت ... فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ

وفي أول هذه القصيدة التي رَثَى بها الحطيئة علقمة غِناء نسبْتُه:

صوت

[١٦/٢٩٧]

أرى العِيسَ تَخْدِي بين قَوٍّ فضارجٍ ... كما لاح في الصبح الأَشاءُ الحواملُ

فأتبعتهم عينَيَّ حتى تفرقَتْ ... مع الليل عن ساق الفريدِ الجَمائل

فلأْياً قصرتُ الطرفَ عنهم بِجَسرةٍ ... أمونٍ إذا واكلتُها لا تُواكِلُ

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر ثانيَ ثقيل بالوُسْطَى، من رواية حماد بن إسحاق والهشاميّ.

صوت

رثاء لأبي العباس الأعمى في بني أمية

لَيتَ شعري أفاحَ رائحةُ المسـ ... ـكِ وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسِي

حينَ غابَتْ بنو أُميَّة عنه ... والبهاليلُ من بني عبد شمسِ

خُطَباءٌ على المنابر فُرْسا ... نٌ عَليها وقالةٌ غيرُ خُرْسِ

إخال: أظن. خِلْت كذا وكذا، فأنا إخاله: إذا ظننته، وخال عليّ الشيءُ يَخيل: إذا شككت فيه. وليت شعري: كلمة تقولها العرب عند الشيء تحبُّ علمه، وتسأل عنه.

وأخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال: حدثني عُمَر بن شَبَّة قال: سأل رجل أبا عبيدة: ما أصل «ليت شعري»؟ فقال: كأنه قال: ليتني شَعَرْت بكذا وكذا، ليتني علمت حقيقته.

الشعر لأبي العباس الأعمى، والغناء لابن سُرَيج، رملٌ بالبنصر في مجرَاها.

[١٦/٢٩٨]

/ أخبار أبي العباس الأعمى

نسبه

هو السائب بن فَرُّوخ مولى بني لَيث. وقيل إنه مولى بني الدِّيل، وهذا القول هو الصحيح.

ذكر محمد بن معاوية الأَسَديّ، عن المدائنيّ والواقديّ:

أن أبا العباس الأعمى الذي يَروي عنه حَبيب بن أبي ثابت، مولى جَذِيمة بن عليّ بن الدِّيل[١] بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بني أميةَ المعدودين، المقدمين في مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة، صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

٦٠/١٥

/ لعمركَ إنني وأبا طُفَيلٍ ... لمختلفانِ، واللهِ الشهيدُ

أرى عثمانَ مهتدياً ويأبى ... متابعتي وآبى ما يريدُ

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي سعد.

روايته الحديث

وقد رَوَى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، وروى عنه عطاء، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت[٢].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر، قال: إنما جَمْعٌ[٣] منزل تُدْلج منه إذا شئت.

[١٦/٢٩٩] / قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن دَلان[٤] الخَيشي، قال: حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدّثنا أبو ضمرة قال: حدّثني أبو الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي ذئب، عن أبي العباس، عن سعيد بن المسيب قال: قال عليّ بن أبي طالب: قال رسول الله ﷺ:

إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلاً.

---

(١) ف: علي وبني الديل. وفي «نكت الهميان» للصفدي: مولى لبني جذيمة بن عدي بن الديل. نقله عن المرزباني في «معجمه».

(٢) قال الخزرجي في «الخلاصة»: السائب بن فروخ المكي أبو العباس الشاعر. عن عبد الله بن عمرو وابن عمر. وعنه حبيب بن أبي ثابت، وعمرو بن دينار. وثقه أحمد. وزاد الصفدي في «نكت الهميان»: وروى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٣) جمع: اسم للمزدلفة.

(٤) كذا في ف. وفي بقية الأصول: بلان.

حدّثني: أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدّثنا أبو قِلابة قال: حدّثنا بشر بن عمر قال: حدّثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، قال:

سمعت أبا العباس السائب بن فَرّوخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر، قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: فيهما فجاهدْ.

لقاؤه المنصور في طريقهما إلى الشام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجي بجُرجان قال: حدّثني مسلم بن الوليد الأنصاريّ قال: سمعت يزيد بن مزيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهديّ يقول: سمعت المنصور يقول:

خرجت أريد الشأم أيام مَروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به، فاستنشدته إياه، فأنشدني:

ليتَ شِعري أفاحَ رائحةُ المِسـ ... ـكِ وما إن إخالُ بالخَيفِ إنسي

حين غابت بنو أميّةَ عنه ... والبهاليلُ من بني عبدِ شمسِ

خطباءَ على المنابرِ فُرسا ... نٌ عليها وقالةٌ غيرُ خُرسِ

/ لا يُعابون صامتين وإن قا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ

بِحُلوم إذا الحلوم تقضّت[1] ... ووجوه مثل الدنانير مُلْسِ

[١٦/٠٠]

ويروى مكان «تقضت»: اضمحلت. قال: فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العَمَى قد أدركني، وافترقنا.

لقاؤه المنصور في طريق الحج

فلما أفضت الخلافة إليّ خرجت حاجاً، فنزلت أمشي بجَبلي زَرُود، فبصُرت بالضرير، ففرّقت من كان معي، ثم دنوت منه فقلت: أتعرفني؟ قال: لا. فقلت: أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان. فقال: أَوَّهْ:

آمتْ نساءُ بني أميّةَ منهمُ ... وبناتُهُم بمَضيعةٍ أيتامُ

نامتْ جدودُهم وأُسقِط نجمهمْ ... والنجم يَسقُط والجدود تَنام[2]

/ خَلَتِ المنابرُ والأسرّةُ منهمُ ... فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

[٦١/١٥]

فقلت: وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت؟ قال: أغناني أن أسأل أحداً بعده. فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة، فأمسكت عنه، وغاب عن عيني، فبدا ليَ فيه، فأمرت بطلبه، فكأنما البيداء بادت به.

قصة له مع امرأة ذات بعل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة:

(١) ف: استخفت.

(٢) كذا في ف. وفي بقية الأصول: «نيام».

هَوِي أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل، فراسلها، فأعلمت زوجها، فقال: أطمعيه. فأطمعته. ثم قال: أرسلي إليه فليأتك. فأرسلت إليه، فأتاها، وجلس زوجها إلى جانبها، فقال لها أبو العباس: إنك قد وُصِفْت لنا وما نراك، فألمسينا. فأخذت يده، فوضعتها على أير زوجها، فنفر، وعلم أنْ قد كِيد، فنهض من عندها، وقال:

[٣٠١/١٦]

/ صوت

علـيَّ أَلِيَّـةٌ مـا دمـت حيّـا أَمَسُّـك طـائعـاً إلا بعُـودِ

ولا أهـدِي لأرضٍ أنـتِ فيهـا سـلامَ الله إلاّ مـن بعيـدِ

رجـوتُ غنيمـة فـوضعـت كفّـي علـى أيـرٍ أشـدَّ مـن الحديـدِ

فخيـر منـكِ مـن لا خيـرَ فيـهِ وخيـرٌ مـن زيـارتكـمْ قُعـودِي

وقرأت هذه الحكاية مرويّة عن الأصمعيّ غيرَ مذكور راويها عنه. وزعم أن بشاراً صاحب القصة، وأنه كان له مجلس يسمّيه البَرْدان، يجتمع إليه فيه النساء، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها. ثم ذكر الخبر بطوله، وقال فيه: فلما وصل إليها أنشأ يقول:

مُلَيكـةُ قـد وُصِفـتِ لنـا بحسـنٍ وإنـا لا نـراكِ فـألمِسينـا

فأخذ زوجها يده، فوضعها على أيره.

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات، لحناً من خفيف الثقيل، بالسبابة في مجرى الوسطى، ولم ينسبه إلى أحد. ووجدته في غناء عَمْرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره.

كان يحض بني أمية على ابن الزبير

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال:

قال أبو العباس الأعمى، مولى بني الدِّيل بن بكر، يَحض بني أميةَ على عبد الله بن الزُّبير:

أبنـي أميّـةَ لا أرى لَكُـم شِبْهـاً إذا مـا التفّـتِ الشِّيَـعُ

سَعَـةً وأحـلامـاً إذا نَـزِعَـتْ أهـلُ الحلـومِ فضـرَّهـا[1] النَّـزَعُ

/ وحفيظـةً فـي كـل نـائبـةٍ شَهبـاءَ لا يُنْهَـى لهـا الـرُّبَـعُ

[٣٠٢/١٦]

اللهُ أعطـاكـمْ وإنْ رغِمـتْ مـن ذاك أنـفُ معَـاشِـرٍ رتَعُوا[2]

أبنـي أميـةَ غيـرَ أنكُـمُ والنـاس فيمـا أُطْمِعـوا طمِعـوا

أَطْمَعْتُـمُ فيكـمْ عَـدُوّكُـمُ فسمـا بـهـمْ فـي ذاكُـمُ الطَّمَـعُ

فَلَـو أنكـمْ كنتـمْ لقـولكُـمُ مثـلَ الـذي كـانـوا لكـمْ رجَعـوا

---

(١) ف: فقصرها.

(٢) كذا في ف: وفي الأصول: رفعوا.

عمـا كـرهتـمْ أو لَـرَدَّهُـمُ   حـذرُ العقـوبـة إنهـا تَـزَعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية، وهجاء آل الزُّبير، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير، ليس ذكرها مما قصدنا له.

أبو العباس يهجو ابن الزبير

ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحْرز قال: حدّثنا المدائنيّ، عن / جُوَيْرية بن أسماء: ٦٢/١٥

أن ابن الزبير رأى رجلاً من حُلَفاء بني أسد بن عبد العُزّى في حالة رَثّة، فكساه ثوبين، وأمر له ببُرٍّ وتمر، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

صوت

كَسَـتْ أسـدٌ إخـوانَهـا ولَـوَ أنني   ببلـدةِ إخـوانـي إذاً لكُسِيـتُ

فلـم تـر عينـي مثـل حـيٍّ تَحمَّلـوا   إلـى الشـأم مظلـوميـن منـذ بُـرِيـتُ

غنى في هذين البيتين دُحمان ثقيلَ أول بالبنصر، من رواية ابن المكي، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقيّ فيهما صنعة أيضاً.

أبو العباس يهجو البعيث المجاشعي

وقال محمد بن معاوية: حدّثني المدائنيّ قال:

قدِم البَعيثُ المجاشِعِيّ مكة، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها، وكانت جوائز أمية تأتيه من الشام، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه، / وتقرُّباً إلى بني أمية ببرّه. قال: فصلى البعيث مع الناس، وسأل في حمالة [١٦/٣٠٣] كانت عليه، وكان سَؤُولاً ملحًّا شديد الطمع، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه، فيقول: لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصرّاف حتى ينقده ويزنه، فإن لم يفعل ذمه وهجاه. فشكوه إلى أبي العباس الأعمى، فقال: قودوني إليه، ففعلوا. فلما عرف مجلسه رفع عصاه، فضرب بها رأسه، ثم قال له:

فهـلْ أنـتَ إلا مُلْصَـقٌ فـي مُجـاشِـعٍ   نَفـاكَ جـريـرٌ فـاضْطُـرِرْتَ إلـى نَجْـدِ

* نفاك جرير بالهجاء إلى نجد *

ويروى:

تظـلُّ إذا أُعطيـتَ شيئـاً سـألْتَـه   تطـالـبُ مـن أعطـاك بـالـوزن والنقـدِ

فـلا تَطْمَعَـنْ مـن بعـدِ ذا فـي عطيّـةٍ   وثِـقْ بقبيـحِ المنـعِ والـدفـعِ والـردِّ

فلسـتَ بمُبْـقٍ فـي قـريـش خِـزَايـةً   تُـذَمّ ولـو أبْعَـدْت فيـهِ مَـدَى الجَهْـدِ[1]

قال فتضاحك به مَن حضر، واستحيا ولم يُحِر جواباً. فلما جَنَّ الليل عليه هرب من مكة.

---

(١) ف: فلست بمستبق قريشاً خزاية * ... ولو أنفدت فيه مدى الدهر

عبد الملك يستنشده مديحه في مصعب

وقال قَعنب بن المحرز: حدّثني المدائنيّ قال:

قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدِّيل: أنشدني مديحك مُصْعَباً. فاستعفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، وقد علمتَ أن هوايَ أمويّ. قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته. فأنشده:

يرحمُ الله مصعباً فلقد ما تَ كريماً ورامَ أمراً جسيماً

فقال عبد الملك: أجَلْ، لقد مات كريماً. ثم تمثل:

ولكنه رام التي لا يرومُها من الناس إلا كلّ خِرق[1] مُعَمَّمِ

[١٦/٣٠٤] / **عبد الملك يقسم على بني أمية أن يخلعوا على أبي العباس**

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان. قال حدّثني إسحاق بن محمد الأموي قال:

لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مَرْحبا مرحبا بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر المُلْحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك، وأنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ابن الزبير، وأنه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه، وأنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم ومواليهم، ثم على كل من حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم، إلا كسا أبا العباس.

٦٣/١٥ فخُلعت والله حُلَل الوشي والخز والقُوهيّ، / وجُعِلت تُرمَى عليه، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما سَتَر عني عبد الملك وجلساءه، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم.

أبو العباس يهجو ابن الزبير لما نفاه إلى الطائف

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ. قال: حدّثني أبي وأهلي:

أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحِجاز، جعل يتتبع شيعة بني مروان، فينفيهم عن المدينة ومكة، حتى لم يبق بهما أحد منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نَبْذٌ من كلام، وأنه يكاتب بني مروان بعَوراته، ويمدح [١٦/٣٠٥] عبد الملك، وتجيئه جوائزه وصلاته، فدعا به، ثم أغلظ له، وهمّ به، ثم كُلِّم / فيه، وقيل له: رجل مضرور. فعفا عنه، ونفاه إلى الطائف، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير:

بني أسد لا تذكروا الفخرَ إنكمْ متى تذكروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا

---

(١) خرق: كذا في ف، وهو السيد الكريم. وفي بعض الأصول: حرّ.

بُعَيْداتٍ[١] بَيْنٍ خيرُكم لصديقكم ... وشرُّكُم يغدو عليه ويَطْرُق
متى تُسألوا فضلاً تَضَنُّوا وتَبخلوا ... ونيرانكمْ بالشرّ فيها تَحَرُّقُ
إذا استبقت يوماً قريش خرجتُمُ ... بني أسدٍ سَكْتا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكمْ ... إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا[٢]
وما ذاك إلا أن للّؤم طابَعاً ... يلوح عليكمْ وسْمه ليس يَخْلُق

بينه وبين عمر بن أبي ربيعة

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني عمي مُصْعَب قال:

قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الدِّيل بن بكر:

أفتِني إن كنتَ ثَقْفاً شاعراً ... عن فتىً أعرجَ أعمى مختلِف[٣]
سيءِ السَّحْنة كابٍ لونُه ... مثلِ عود الخروعِ البالي القصِف

فقال أبو العباس يرد عليه:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى[٤] ... وسيدُنا لولا خلائقُ أربعُ
نُكُولك في الهيجا وتَقْوالُك الخنا ... وشتمك للمولى وأنك تُبَّعُ

قال الزبير: يقال رجل تبَّع نساء وتُبَّع نساء: إذا كان كَلِفاً بهن.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمي قال: حدّثني المكّيّون:

/ أن عمر بن أبي ربيعة كان يُرامِي جارية لأبي العباس الأعمى ببنادق الغالية، فبلغ ذلك أبا العباس، فقال [١٦/٣٠٦] لقائده: قفني على باب بني مخزوم، فإذا مر عمر بن أبي ربيعة، فضع يدي عليه، فلما مر عمر وضع يده عليه، فأخذ بحُجْزته، وقال:

ألا من يشتري جاراً نَئُوماً ... بجار لا ينام ولا يُنِيمُ
ويلبس بالنهار ثيابَ ناسٍ ... وشَطْرَ الليلِ شيطانٌ رجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم، فأمسكو فمه، وضَمِنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه.

---

(١) في («اللسان»: بعد): أبو عبيد: يقال: «لقيته بعيدات بين»: إذا لقيته بعد حين. وهو من ظروف الزمان التي لا تتمكن، ولا تستعمل إلا ظرفاً.

(٢) الأضاميم: الجماعات، واحدها إضمامة. وأصفقوا لهم: جاءوهم من الطعام بما يشبعهم.

(٣) الثقف: الحاذق الخفيف.

(٤) الشعر من الطويل. وفي الشطر الأول منه خرم.

صـوت

صوت لأبي حية النميري

ألا حـيٍّ مـن أجـل الحبيـب المَغـانيـا لبِسـن البلـى لمـا لَبِسـن الليـالِيـا

إذا مـا تقـاضـى المـرءَ يـومٌ وليلـة تقـاضـاه شـيء لا يمـلّ التقـاضيـا

٦٤/١٥ الشعر لأبي حيّةَ النُّميريّ. والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ، خفيفُ رَمَل بالبنصر، عن الهشاميّ.



/ أخبار أبي حَيَّة النُّميريّ ونسبه [١٦/٣٠٧]

نسبه

أبو حية: الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جنَاب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار.

وكان يقال لمالك الأصقع. وقال قوم: إن الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب.

مكانته في الشعر

وأبو حية شاعر مُجيد مُقدَّم، من مُخَضْرمي الدولتين: الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً، من ساكني البصرة، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً، معروفاً بذلك أجمع. وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه. وقيل إنه كان يُصْرَع.

سيفه لعاب المنية

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ. وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد. وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قالوا:

كان لأبي حيةَ سيف يسميه لُعابَ المَنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان من أجبن الناس.

قال: فحدثني جار له قال: دخل ليلة إلى بيته كلب، فظنه لصًّا، فأشرفْتُ عليه وقد انتضى سيفَه لعابَ المنية، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول: أيها المغترّ بنا، والمجترىء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضرَبْتُه، لا تُخاف نَبْوته. اخرج / بالعفو عنك، قبل أن أدخل [١٦/٣٠٨] بالعقوبة عليك. إني والله إن أدْعُ قيساً إليك لا تقُم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورَجْلاً، سبحانَ الله! ما أكثرها وأطيبها! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حرباً.

طرائف من أخباره

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال: حدّثني أبو عثمان المازنيُّ قال: حدّثني سعيد بن مَسْعدة الأخفش قال:

قال أبو حية النميري: أتدري ما يقول القَدَرِيون؟ قلت: لا. قال: يقولون: الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون، ولا يسألهم ما لا يَجدون، وصدق والله القَدَرِيّون، ولكني لا أقول كما يقولون.

قال محمد بن علي بن حمزة: وحدّثني أبو عثمان قال:

قال سَلَمة بن عياش لأبي حية النُّميريّ: أتدري ما يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إني أشعر منك. قال: إنا لله! هلكَ والله الناس!

قال: وكان أبو حية النميريّ مجنوناً يُصْرَع، وقد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال: سمعت عمي يقول: أبو حية في الشعراء كالرجل الرَّبْعة، لا يعدّ طويلاً ولا قصيراً.

قال: وسمعت أبا عمرو يقول: هو أشعر في عُظْم الشعر من الراعي.

أخبرني الحسن بن عليّ وعليّ بن سليمان الأخفش، قالا: حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني عبد الصمد بن المعذّل. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم، قالوا:

[٣٠٩/١٦] / **كان من أكذب الناس**

كان أبو حية النميريّ من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له: يا أبا حية، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء / فدعوتها فلم تأتك، فما نصنع بك؟ قال: أبعدها الله إذن! [٦٥/١٥]

قال: وحدثنا يوماً قال: عن لي ظبي يوماً فرميته، فراغ عن سهمي، فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجَبَّانات.

قال: وقال يوماً: رميت والله ظبية، فلَما نفذ سهمي عن القوس، ذكرت بالظبية حبيبة لي، فعدَوت خلف السهم، حتى قبضت على قُذَذه قبل أن يدركها.

يمدح المنصور ويهجو بني حسن

وذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: قال الرياشيّ، عن الأصمعيّ قال:

وفد أبو حية النميريّ على المنصور وقد امتدحه، وهجا بني حسن بقصيدته التي أولها:

عُوجا نحيِّ ديار الحيِّ بالسَّنَدِ ... وهل بتلك الديارِ اليوم من أحدِ

يقول فيها:

أحين شِيمَ فلم يتركْ لهم ترَةً ... سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللِّبَدِ
سللتموه عليكمْ يا بني حسنٍ ... ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبد
قد أصبحتْ لبني العباس صافيةً ... لجدع آناف أهل البغي والحسد
وأصبحت كلَهاة الليثِ في فمه ... ومَنْ يحاولُ شيئاً في فم الأسد؟

نزوله عند خماره بالحيرة

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل؛ فاحتجن لعياله أكثره، وصار إلى الحيرة، فشرب عند خَمّاره بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاد ما معه، وأحب أن / يدوم له ما كان فيه، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة، وكان لأبي حيةَ أير كعنق الظليم، فأبرز لها عنه، فتدلَّهت، وكانت كلما سقته خَطَّت في الحائط، فأنشأ أبو حية يقول: [٣١٠/١٦]

إذا أسقيتنـــي كُــــوزاً بخَـــطٍّ فخُطِّـي مـا بـدا لـك فـي الجدار
فــإن أعطيتنـــي عينـــاً بـــديـــن فهـاتـــي العَيْـــن وانتظـري ضِمــاري[1]
خـرفـتُ مقـدّمـاً مـن جنـب ثـوبـي حِيـــال مكـــان ذاك مـــن الإزار
فقـالـــت ويلَهـــا: رجـــل ويمشـــي بمـــا يمشـــي بـــه عُجَـــرُ الحمـــار[2]
وقــالــت: مـا تـريـد؟ فقلـت: خيـراً نسيئـــةَ مـــا علـــيّ إلـــى يســاري
فصـــدّت بعـــدمـــا نظـــرت إليـــه وقـــد ألمحتُهـــا عُنُـــق الحُـــوار

بينه وبين ابن مناذر

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال:

لقي ابن مناذر أبا حية، فقال له: أنشدني بعضَ شعرك. فأنشده:

* ألا حي من أجل الحبيب المغانيا *

فقال له ابن مُناذر: وهذا شعر؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب هو شر من أنك تسمعه. ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره، فقال له أبو حية: قد عرفتك ما قصتك؟

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية، ويذكر يوم النَّشَّاش[3]، وهو يوم لبني نُمَير.

(١) الضمار: الوعد المسوف، أو الدين لا يرجى حصوله.
(٢) العجر: جمع عجرة: العروق المتعقدة في الجسد، يريد أير الحمار، لما فيه من التعقيد.
(٣) النشاش: وادلبني نمير كانت به وقعة بين بني نمير وأهل اليمامة «التاج».

[١٦/٣١١]

/ أخبار أحمد بن يحيى المكيّ

التعريف به

أحمد بن يحيى بن مروزق المكيّ، ويكنى أبا جعفر. وكان يلقب ظنيناً[١]. وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره. وهو أحد المحسنين المبرّزين، الرواة للغناء، المحكمي الصنعة. وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره، ويُشيد بذكره، ويَجهر بتفضيله، وكتابه «المجرد» في الأغاني ونِسَبها أصل من / الأصول المعمول عليها، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا[٢]، يقارب كتابه، ولا يقاس به، وكانَ مع جودة غنائه وحسن صنعته، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين.

١٦/١٥

أخبرني عمي قال: حدثني أبو عبد الله الهشاميّ، عن محمد بن أحمد المكيّ:

أن أباه[٣] جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونِسَبه وجنسه، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت.

بكم كانوا يقومون فنه

أخبرني جحظة قال: حدثني عليّ بن يحيى، ونسخت من بعض الكتب: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: حدثني عليّ بن يحيى قال:

قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي: يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً، كم كان يساوي؟ فقال: أخبرك عن ذلك.

[١٦/٣١٢]

/ أنصرفت ليلة من دار الواثق، فاجتزت بدار الحسن بن وهب، فدخلت إليه، فإذا أحمد عنده، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة، قال لي الحسن بن وهب: كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت: يساوي عشرين ألف دينار. قال: ثم رجع فغنى صوتاً، فقال لي الحسن بن وهب: يا أبا محمد، أضعفها. قال: ثم تغنى صوتاً آخر، فقلت للحسن: يا أبا عليّ أضعفها. ثم أردت الانصراف، فقلت لأحمد: غنني:

صوت

لولا الحياءُ وأن الشّر من خُلُقي	إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أقُمِ
أليس عندك شُكر للتي جعلت	ما ابيضَّ من قادمات الرأس كالحُمَمِ

(١) في «نهاية الأرب» (٤ : ٣٢١): طنيناً، بالطاء المهملة.

(٢) كذا في الأصول. ولإسحاق أكثر من كتاب، ولعله يقصد أحد كتابين له: ما ألفه للواثق وكتاب «الشركة» الذي كتب مقدمته وأكمله سندي بن علي (انظر «مصادر الموسيقى العربية» ٢٤ ـ ٢٨).

(٣) سقط من (ف) بقية هذا الخبر وما بعده إلى ص ٣١٣.

الغناء فيه لمعبد، خفيف ثقيل أول في مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك، وليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشاميّ ودنانير وغيرهما.

قال: فغناه أحمد بن يحيى المكي، فأحسن فيه كل الإحسان. فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا أبا عليّ، أضعف الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذي أسمعكما تقولانه، ولست أدري ما معناه. قال: نحن نبيعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدري.

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ بن يحيى، عن أخيه أحمد بن عليّ، عن عافية بن شبيب، عن أبي حاتم، قال:

كان إسحاق عندنا في منزل أبي عليّ الحسن بن وهب، وعندنا ظِنين بن المكيّ، وذكر الحديث مثله، وقال فيه: إنه قوّمه مِئةَ ألفِ درهم، وذكر أن الصوت الذي غناه آخِراً:

/ صوت [٣١٣/١٦]

أمِــن دِمَــنٍ وخَيــم بــالـيــاتِ ... وسُفْــعٍ كــالحمــائــم جــاثمــاتِ

أرِقــتَ لهــنّ شطــرَ الليــل حتــى ... طلعــن مــن المنــاقــب مُنجداتِ

وأن إسحاق لمّا سمعه قال: كم كنت قَوَّمته؟ قال: مئة ألف درهم. قال: أضعفوا القيمة. قيمته مِئتا ألفِ درهم.

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول، بالسبابة في مجرى الوسطى، ينسب إلى ابن مِسجح، وإلى ابن محرز. وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو. وللغريض خفيف ثقيل عن الهشاميّ.

مناظرته للمغنين

أخبرني جحظة قال: حدثني محمد بن أحمد المكي قال:

ناظر أبي بعضَ المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم، وطال / تلاحيهما في الغناء، فقال أبي للمعتصم، يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد [٦٧/١٥] منهم صوتاً منها. فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين. واتبعه ابن بُسْخُنَّر وعَلُّويه، فقالا: صدق[1] يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله. فأمر له بعشرين ألف درهم.

قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظَّته يوماً، فقال له: قد دعوتك إلى النَّصَفة، فلم تقبل، وأنا أدعوك وأبداً بما دعوتك إليه، فاندفع فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً، كلها من الغناء القديم، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، وأسكت المغنين له، واستعاده مرات عدّة، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر ألا يراجعَ أحداً / من المغنين كلاماً، ولا يعارضَه [٣١٤/١٦] أحدٌ منهم، إذ كان قد أبرَّ عليهم، وأوضح الحجة في انقطاعهم، وإدحاض حُجَجهم.

كان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه، وأمر له لما سمعه بألفي دينار:

---

(١) إلى هنا ينتهي الساقط من (ف).

صوت

لعـــنَ الله مـــن يلـــوم محبًّـــا ولحـــى الله مـــن يُحَـــبُّ فيَـــأبَـــى
رُبَّ إلفيـــن أضمـــرا الحُـــبَّ دهـــرا فعفـــا الله عنهمـــا حيـــن تـــابـــا

الغناء ليحيى المكي رَمَل.

قال محمد، قال أبي:

وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مَمَاطر لها شأن من ألوان شتى، فسألني عبد الوهاب بن عليّ أن أرد عليه هذا الصوت، وجعل لي مِمْطره، فغنيته إياه، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني، فسلموه إليهم.

ثناء إسحاق الموصلي عليه

أخبرني عبد الله بن الربيع، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال:

سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً: مَنْ بقي من المُغنين؟ قلت: وجْه القَرْعة محمد بن عيسى، مولى عيسى بن جعفر. فقال: صالح كَيِّس. ومَن أيضاً؟ قلت: أحمد بن يحيى المكي. قال بَخٍ بَخٍ! ذاك المحسن المُجمل الضارب المغنّي القائم بمجلسه، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره. ومن بأبي أنت؟ قلت: ابن مقامرة. قال: لا والله ما سمعت بهذا قَطُّ. فمن مُقامره هذه؟ زامرة أم نائحة أم مغنية؟ قلت: لا. ولكنها من الناس، وليست من أهل صناعته. قال: ومن أيضاً / بأبي أنت؟ قلت: يحيى بن القاسم ابن أخي سَلْمة. قال: الذي كان له أخ يغني مرتجِلاً؟ [١٦/٣١٥] قلت: نعم. قال: لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قَطُّ، ولا أشك أن هذا كذلك، لأنهما مؤدِّباه.

غناؤه في مدح خالد بن يزيد بن مزيد

وذكر ابن المكي عن أبيه قال:

قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده: خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف، حسن الوجه، شجاع القلب، ووليته المَصِيصَة ونواحيها. فقلنا: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالدُ بن يزيدَ بن مَزْيد. فقال عَلّوَيْه: يا أحمد غنّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه. فقال المعتصم: مالك لا تجيبه؟ فقلت: يا أمير لمؤمنين، ليس هو مما يغنّى بحضرة الخليفة. فقال: ما من أن تغنيه بدّ. قال: فغنيته صنعة لي في هذا الشعر:

صوت

علَّـمَ النَّـــاسَ خـــالـــدُ بـــنُ يـــزيـــدِ كـــلَّ حلـــم وكـــل بـــأسٍ وجُـــودِ
فتـــرى النـــاسَ هيبـــةً حيـــن يبـــدو مِـــن قيـــامٍ ورُكَّـــعٍ وسجـــودِ

/ فقال المعتصم: يا سمانة[1]، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم. ٦٨/١٥

(١) كذا في ف. وفي بعض الأصول: ثمامة.

غناؤه الأمين

قال: وغنى أبي يوماً محمداً الأمين:

صوت

فعش عُمرَ نوحٍ في سرورٍ وغِبْطَةٍ ... وفي خفضِ عيش ليس في طوله إثمُ
تساعدُك الأقدارُ فيه وتنثني ... إليك وترعَى فضلكَ العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخمس مئة دينار.

/ وفاته [٣١٦/١٦]

وتوفي أحمد بن يحيى المكّيّ في خلافة المستعين في أوّلها.

أخبرني بذلك جَحظة البرمكيّ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي: أن أباه تُوُفّي في هذا الوقت.

انقضت أخباره.

صوت

صوت من غزل لجرير

إن الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا ... وشَلاً بعينك ما يزال مَعِينا
غَيَّضْن من عبراتهن وقلن لي: ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟

غادروا: تركوا. والوشَل: الماء القليل. والمَعين: الماء الصافي الجاري. وغَيَّضن من عبراتهن: أي كففنها ومسحنها حتى تغيض.

الشعر لجرير، والغناء لإسحاق، رَمَل بالوسطى، عن عمرو. وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ وعمرو. وذكر عليّ بن يحيى أن فيه لابن سريج رملاً آخر. وذكر عيسى أن الثقيل الأوّل لإبراهيم، وأن فيه للهُذَلِيّ ثانيَ ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضاً ماخوريّ بالبنصر.

[٣١٧/١٦]

/ [من غزل جرير]

تنازع العلماء في هذا الشعر

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة:

أن هذين البيتين للمَغْلوط، وأن جريراً سرقهما منه، وأدخلهما في شعره.

أبو السائب المخزومي وغزل جرير

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي وغيره قالوا:

غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَلي على أبي السائب المخزوميّ في منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير:

إن الـــذيـــن غَـــدَوا بلبــك غــادَروا وشَــلاً بعينــك لا يــزال مَعِينــا

البيتين. فحلف أبو السائب ألاّ يَرُد على أحد سلاماً، ولا يكلّمه إلا بهذين البيتين، حتى يرجع إلى منزله. فخرجا، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاض، وكانا يُدْعَيان القرينين لملازمتهما، فلما رآهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب ابنَ جندُبَ: أن أخبِره[١] بالقصّة، وابن جُندبَ يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب؟ فجعل أبو السائب يغمزه، أي أخبره بيميني[١]. قال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا. فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه، فصرفهم[٢] ودخل منزله مغتماً. فلما أتى أبو السائب منزله، وبرّت يمينه، خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب، فإني أخاف أن يردّ شهادتي. فاستأذنا عليه، فأذن لهما فقال له أبو السائب: قد علمت ـ / أعزك الله ـ غرامي بالشعر؛ وإن هذا الضالّ جاءني حين خرجت من منزلي، فأنشدني بيتين، / فحلفت ألا أرد على أحد سلاماً، ولا أكلمه إلا بهما. حتى أرجع إلى منزلي. فقال ابن المطلب: اللهم غَفْراً! ألا تترك المجون يا أبا السائب.

[٣١٨/١٦] [٩٩/١٥]

أخبرني: الحَرَميّ قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال:

أنشدت أبا السائب قول جرير:

غَيَّضْـــنَ مِـــن عَبَـــراتهـــن وقُلْـــنَ لـــي مــــاذا لقيـــتَ مـــن الهـــوى ولقينـــا!

فقال: يابن أخي، أتدري ما التغييض؟ قلت: لا. قال: هكذا، وأشار بأصبعه إلى جفنه، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه.

(١ ـ ١) كذا في ف. وفي الأصول: بيميني، فأنشده أبو السائب البيتين، ولم يردّ سلاماً، وجعل يغمز ابن جندب أن يخبره بالقصة، وابن جندب يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب، فجعل أبو السائب يغمز ابن جندب أن يخبره بيميني.

(٢) ف: فعرفهم الخبر.

ابن أبي عتيق وبيت جرير

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنا المدائنيّ. وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائنيّ قال:

شهد رجل عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عَتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدلٌ رِضاً. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد:

غَيَّضْنَ من عَبَراتهن وقُلْن لي: ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا!

فعلمت أن هذا لا يرسَخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا:

أبو السائب المخزومي يذهب بعقله غزل جرير

[١٦/٣١٩] / كان أبو السائب المخزوميّ واقفاً على رأس بئر، فأنشده ابن جندب:

إن الذين غدَوا بلبك غادروا وشَلاً بعينك لا يزال مَعينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأْيٍ ما أخرجوه.

أشعب وسالم بن عبد الله بن عمر

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا محمد بن الحسن الزُّرَقيّ قال: حدّثنا العلاء بن عمرو الزُّبَيريّ، من ولد عَمْرو بن الزبير، قال: حدّثنا يحيى بن أبي قُتيلة[١] قال: حدّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن عليّ عليهم السلام، عن أشعب قال:

جاءني فِتية من قريش، فقالوا لي: نحب أن تُسْمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء، وتُعلِمنا ما يقول لك، وجعلوا لي في ذلك جُعْلاً. فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عَمْروا، لي مجالسة وحرمة، ومودة وسِنّ، وأنا مولع بالترنم. قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء. قال: وفي أي وقت؟ قلت: في الخَلوة، ومع الإخوان في الخارج. وأُحِب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكتُ عنه. ثم غنيته، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم، فأعلمتهم، فقالوا: وما غنيته؟ فقلت: غنيته:

قَرِّبا مَرْبَطَ النعامةِ مِني لقِحَت حربُ وائلٍ عن حيالِ

قالوا: هذا بارد لا حركة فيه، ولسنا نرضى. فلما رأيت دفعهم إياي، وخفت ذهاب ما جعلوا لي، رجعت إليه، فقلت: يا أبا عمرو، آخَر. قال: مالي ولك؟ / ولم أملّكه أمره حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم [١٦/٢٠] فأعلمتهم. قالوا: وما غنيته؟ قلت:

لم يُطِيقوا أن ينزِلوا ونزلْنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

قالوا: وليس هذا بشيء. فرجعت إليه، فقلت: آخَر. فاستكفّني، فلم أُملّكه القول حتى غنيته:

---

(١) ف: ابن قتيلة.

غَيَّضْنَ من عَبَراتهن وقُلْن لي: ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟

فقال: مَهْلاً مَهْلا. قلت: لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر. فقال: هو لك. فخرجت عليهم به، وأنا أخطِر. فقالوا: مه. فقلت: أطربتُ الشيخ حتى أعطاني هذا، وقال مرة / أخرى: حتى فرض[1] لي هذا[2]. قال: ووالله ما فعل، وإنما كان فِدْية لأصمت، وأخذت منهم الجُعْل.

٧٠/١٥

بين علويه المغني وإسحاق الموصلي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حُدِّثت عن حماد بن إسحاق قال: حدّثني عَلَّويه الأعسر قال: أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانَها وسائرها خراب، فجلسنا على تلٍّ من تراب، فغناني لحنه في:

غَيَّضْن من عَبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا!

فسألته أن يعيده عليّ، ففعل. وأتانا رسول أبيه بطبق رُطَب، فقال للرسول: قل له: سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثتَ به إليّ، فأبلغه الرسول / ذلك، فقال له: ومن عنده؟ فأخبره أنني عنده. فقال: ما أخلقه أن يكون قد أتانا بآبدة[3]، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال: ما آن لرطبكم أن يأتينا؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت، فغنيته إياه، فقال: أجاد والله. أألام على هذا وحبه، والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته، فكيف وهو ابني؟

[٣٢١/١٦]

صوت

صوت لنائلة بنت الفرافصة

ألست ترى يا ضبُّ بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أرْكُبا[4]

إذا قطعوا حَزْناً تَخُبُّ رِكابُهم كما حرّكتْ ريحٌ يَراعاً مُثَقَّبا

عروضه من الطويل. والشعر لنائلة بنت الفَرافِصة. والغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكي لابن عائشة.

(١) فرض له: أعطاه عطية لا يريد بها الثواب.
(٢) ف: «حتى فرض لي، يعني نقطني». وكلمة «نقطني» لم ينقط من حروفها في الأصل غير القاف.
(٣) الآبدة: الأمر الفائق الغريب.
(٤) أركب: جمع ركب، من جموع القلة.

/ أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

[٣٢٢/١٦]

نسبها

هي نائلة بنت الفَرافِصة بن الأحوص بن عمرو، وقيل: ابن عَفْر بن ثعلبة، وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عديّ بن جَناب الكَلْبية، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان.

زواجها من عثمان

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال:

تزوّج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه.

«بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوّجت امرأة من كَلْب، فاكتب إليّ بنسبها وجمالها».

فكتب إليه:

«أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفَرافصة بن الأحوص. وجمالُها أنها بيضاء مديدة القامة».

فكتب إليه: «إن كانت لها أخت فزوِّجْنيها».

فبعث سعيد إلى الفَرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان. فأمر الفَرافصة أبنه ضبا، فزوجها إياه. وكان ضب مسلماً، وكان الفَرافصة نصرانياً، فلما أرادوا حملها إليه، قال لها أبوها: يا بنيّة، إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش، هن / أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خَصلتين، تكحّلي، وتطيّبي بالماء، حتى يكون ريحُك ريح شنّ[1] أصابه مطر. [٣٢٣/١٦]

فلما حُمِلَتْ كرهت الغربة، وحزنت لفراق أهلها، فأنشأت تقول:

ألَسْتَ تَرى يا ضَبُّ بالله أنني ... مصاحبةٌ نحو المدينة أركُبا

/ إذا قطعوا حزناً تَخُبُّ ركابهمْ ... كما زعزعتْ رِيحٌ يراعاً مُثَقَّبا [٧١/١٥]

لقد كان في أبناء حِصْن بن ضَمْضمٍ ... لكَ الويلُ ما يغني الخِباءَ المطَنَّبا

(١) الشن: القربة الخلق.

لقاء عثمان إياه

فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه، قعد على سريره، ووضع لها سريراً حيالَه؛ فجلست عليهِ، فوضع عثمان قُلُنسِيته، فبدا الصلَع، فقال: يابنة الفَرافصة، لا يهولنك ما ترين من صَلَعِي، فإن وراءه ما تحبين. فسكتت. فقال: إما أن تقومي إليّ، وإمّا أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلَع، فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصُّلْع. وأما قولك: إما أن تقومي إليّ، وإما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشمت من جَنبات السماوة أبعدَ مما بيني وبينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، ودعا لها بالبركة، ثم قال لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزِعي دِرْعك، فنزعته؛ ثم قال: حُلِّي إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحلَّ إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

هجوم الناس على عثمان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا علي بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبي الجَرّاح مولى أم حبيبة، قال:

[١٦/٣٢٤] / كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فما شَعَرْت وقد خرج محمد بن أبي بكر، ونحن نقول: هم في الصلح، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة[١]، ونزلوا بأمراس الحِبال من سُور الدار، معهم السيوف، فرميت بسيفي[٢]، وجلست عليه، وسمعت صياحهم، فكأني أنظر إلى مصحف في يد عثمان، وإلى حمرة أديمه، فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك. وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف، فاتقته نائلة بيدها، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه، وخرجوا يكبّرون، ومر بي محمد بن أبي بكر، فقال: مالكَ يا عبد أم حبيبة؟ ومضى فخرجت.

شعر لنائلة عند مقتل عثمان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمر بن شَبّة قال: حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال:

لما قُتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفَرافصة:

ألا إن خيرَ الناس بعد ثلاثة[٣] قَتيلُ التُّجيبيّ الذي جاءَ مِن مِصرِ
ومالي لا أبكي وتبكي قَرابتي وقد غُيِّبت عنا فضولُ أبي عمرو

هكذا في هذه الرواية. وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عُقْبة.

كتاب نائلة إلى معاوية تصف مقتل عثمان

أخبرني أحمد قال: حدّثني عمر قال: حدّثنا علي بن محمد، عن أبي مخنف، عن نُمير بن وَعْلة، عن الشعبيّ مَسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية:

(١) الخوخة في لغة أهل الحجاز: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب. وهي أشبه بالممر يسلك بين الدارين.
(٢) بسيفي: كذا في ف. وفي الأصول: بنفسي.
(٣) ثلاثة: تريد رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

/ أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاية بن أبي سفيان، وبعثت بقميص عثمان مع النُّعمان بن بشير، أو عبد [٣٢٥/١٦] الرحمن بن حاطب بن أبي بَلْتعة:

«من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ النعمة[١]، وأَنْشُدكم بالله، وأذكِّركم حقه وحق خَليفته الذي لم تنصروه[٢]، وبعزمة الله عليكم، فإنه عز وجل يقول: ﴿وإنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى/ الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[٣]. وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه، ولو لم يكن له عليكم حقٌّ إلا حقّ الوِلاية، ثم أُتِيَ إليه بما أتي، لَحَقٌّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقِدمِه في الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعيَ الله، وصدّق كتابه[٤]، والله أعلم به إذِ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة. [٧٢/١٥]

وإني أقص عليكم خبره، لأني كنت مشاهدة أمره كله، حتى أُفْضِي إليه:

وإن أهل المدينة حصروه في داره، يحرسنه ليلهم ونهارهم. قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قدَروا عليه، حتى منعوه الماء، يُحْضِرونه الأذَى، ويقولون له الإفك. فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكان عليّ مع المحرِّضين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به. فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل، وطوائف من مُزَينة وجُهَينة، / وأنباطِ يثرب، ولا أرى سائرهم، ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس [٣٢٦/١٦] عليه في أول أمره وآخره. ثم إنه رُمِي بالنَّبل والحجارة، فقُتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه، ليأذن لهم في القتال، فنهاهم عنه، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلَهم، فردّوها إليهم، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءة، وفي الأمر إلا إغراء. ثم أحرقوا باب الدار، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه، فقالوا: إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة، وأسلحة القوم مُطلة عليه من كل ناحية، وما أرى أحداً يعدل، فدخل الدار، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس درعه، وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبست درعاً، فوثب عليه القوم، فكلمهم ابن الزبير، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة، بعث بها إلى عثمان: إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تَعُرُّوه بشيء، فكلموه وتحرجوا، فوضع السلاح، فلم يكن إلا وضْعه، حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبي بكر، حتى أخذوا بلِحيته، ودَعَوْه باللَّقَب. فقال: أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم، فسقطتُ عليه وقد أثْخنوه وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه، ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة، فألقت نفسها معي عليه، فوُطِئنا وطْئاً شديداً، وعُرِّينا من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظم. فقتلوه رحمة الله عليه في بيته، وعلى فراشه. وقد أرسلت إليكم بثوبه، وعليه دمه، وإنه والله لئن كان أَثِمَ مَنْ قَتَله

(١) ف: وأوسع عليكم النعمة.

(٢) ف: وحق خليفته أن تنصروه.

(٣) سورة الحجرات آية: ٩.

(٤) كذا في ف. وفي الأصول: رسوله.

لمَا يَسْلَم مَنْ خَذَله. فانظروا أين أنتم من الله جل وعز، فإنا نشْكِي ما مسنا إليه، ونستنصر وليه وصالحَ عباده. ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة، وشَفَى منهم الصدور».

[٣٢٧/١٦] / فحلف رجال من أهل الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قَتَلته، أو تذهبَ أرواحهم.

صوت

شعر لعبد يغوث بن وقاص الحارثي وهو في الأسر

فيــا راكبــاً إمــا عــرضْــت[1] فبلِّغَــنْ ... نــدامــايَ مــن نجــرانَ أنْ لاَ تــلاقيَــا

٧٣/١٥ / أبَـا كـــربٍ والأيْهَميـــن كليهمـــا ... وقيسـاً بِـأعلـى حضـرمـوتَ اليَمـانِيَـا

وتضحـــكُ مِنّـــي شيخَـــةٌ عَبْشَميّـــةٌ ... كـأن لـم تَـرَا قبلـي أسيـراً يمـانيـا

أقــول وقــد شَــدُّوا لســانــي بنِسْعَــةٍ[2] ... أمعشَــر تيْــمٍ أطلِقــوا عــن لِســانيــا

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثي. والغناء لإسحاق، ثقيل أول.



(١) أتيت العروض، وهي مكة.
(٢) نسعة: قطعة من الجلد.

/ أخبار عبد يغوث ونسبه

[٣٢٨/١٦]

نسبه

هو عبد يغوثَ بن صَلاءة. وقيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وَقَّاص بن صلاءة ـ وهو قول ابن الكلبيّ ـ بن المغَفَّل، واسم المغفل: ربيعة بن كعب الأَرَتّ[١] بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أُدَدَ بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان.

منزلته في قومه وشاعريته

قال ابن الكلبي: قحطان بن عابرَ بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح. قال: وكان يقال ليعرب: المرّعف.

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني، إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أُسِر فقتل. وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم في الجاهلية والإسلام، منهم اللَّجلاج الحارثيّ، وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مُسْهِر فارس شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْف الريح. ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارساً شاعراً صُعلوكاً، أُخذ في دم، فحبِس بالمدينة، ثم قتل صَبْراً. وخبره يذكر منفرداً، لأن له شعراً فيه غناء.

شعره في يوم الكلاب

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة، يقوله في يوم الكُلاب الثاني[٢]، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم، فظفِرت به بنو تميم، وأسروه وقُتل يومئذٍ.

/ حديث يوم الكلاب

[٣٢٩/١٦]

وكان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء، وهشام بن الكلبيّ عن أبيه، والمفضل بن محمد الضبيّ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن العنبريّ، قالوا:

لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصَّفا بالمشقَّر، فقتل المقاتلة، وبقيت الأموال والذراريّ، بلغ ذلك مَذحِجاً، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، فقالت مذحج للمأمور الحارثيّ، وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم، فإنهم يسيرون أغباباً[٣]، ويردون

---

(١) ف: الأزب.

(٢) سماه صاحب «العقد» يوم الصفقة.

(٣) أغبابا: كذا في «النقائض» (١ : ١٤٩) يعني أنهم يسيرون منقلتين في منقلة واحدة، أخذ من الغب. وفي الأصول: أعقابا.

مياهاً جِباباً، فتكون غنيمتكم تراباً. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مَذْحِج ولَفِّهَا اثنا عشر ألفاً، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة، ورئيس هَمْدان يقال له مُسَرِّح[1]، ورئيس كندة البَرَاء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعداً والرِّباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفيّ، وهو قاضي العرب يومئذٍ، فاستشاروه، فقال لهم: أقلُّوا الخِلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصِّياح من الفَشَل، والمرء يعجز لا محالة. ياقوم تثبَّتوا، فإن أحزم الفريقين الرَّكين، ورب عجلة تَهَب رَيْثا. واتَّزروا للحرب[2]، وادَّرعوا الليل، فإنه أخفى للويل، ولا جماعةَ لمن اختلف.

٧٤/١٥ فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا، واستعدّوا / للحرب، وأقبل أهل اليمن، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرِّم، ويزيد بن الطيثم[3] بن المأمور، ويزيد بن هَوْبر، حتى إذا كانوا بتَيْمَن[4] نزلوا [١٦/٣٣٠] قريباً من الكُلاب، / ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع، يقال له مُشَمِّت بن زنباع في إبل له، عند خال له من بني سعد، يقال له زهير بن[5] بوّ، فلما أبصرهم المشمِّت قال لزهير: دونك الإبل، وتنحّ عن طريقهم، حتى آتِيَ الحيّ فأُنذرَهم. قال: فركب المشمِّت ناقة، ثم سار حتى أتى سعداً والرِّباب وهم على الكُلاب، فأنذرهم، فأعدّوا للقوم، وصَبَّحوهم، فأغاروا على النعَم فطردوها، وجعل رجل [من أهل اليمن] يرتجز ويقول:

فــي كــل عــام نَعَــمٌ نَنتــابُــهُ   علــى الكُــلاب غُيَّبــا أربــابُــهُ

قال: فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم، على فرس له، فقال:

عمــا قليــل سَتُــرَى أربــابُــهُ   صُلْــبَ القنــاةِ حــازمــاً شبــابُــهُ

* على جيادٍ ضُمَّرٍ عِيابه *

قال: فأقبلت سعد والرِّباب، ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسّاس، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المِنقريّ. قال أبو عبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذٍ قيسُ بن عاصم. فقال ضَبِّيّ حين دنا من القوم:

فــي كــلِّ عــام نعَــمٌ تحــوُونَــهُ   يُلْقِحُــهُ قــوم وتَنْتِجُــونَــهُ

أربــابُــه نــوكَــى فــلا يَحْمــونــه   ولا يــلاقــون طِعــانــاً دونَــهُ

أنَعَــمَ الأبنــاءِ تَحْسِبُــونَــهُ   هيهــاتَ هيهــاتَ لمــا تَــرْجُــونَــهُ

فقال ضَمرة بن لَبِيد الحِماسِيّ[6]: أُنظروا إذا سقتم النعَم، فإن أتتكم الخيل عُصَبا عُصبا، وثبتت الأولى للأخرى، [١٦/٣٣١] حتى تَلْحَق، فإن أمر القوم هيّن. وإن لحق / بكم القوم، فلم ينظروا إليكم حتى يرُدُّوا وجوه النعَم، ولا ينتظرُ بعضهم بعضاً، فإن أمر القوم شديد. وتقدمت سعدٌ والرِّباب، فالتقوا في أوائل الناس، فلم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النَّعَم من قِبَل وجوهها، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم، واختلط القوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم، حتى إذا كان من

---

(١) «النقائض»: مشرح.

(٢) «النقائض»: وابرزوا للحرب.

(٣) ف: الطيسم. «النقائض»: الكيشم.

(٤) ف: بثبير. وتيمن: ما بين نجران إلى بلاد بني تميم.

(٥) «النقائض»: ومعه رجل يقال له زهير. وذكر ابن عبد ربه («العقد الفريد ٥: ٢٢٦) أن الذي حذرهم ابن لجزء بن جزء الباهلي.

(٦) كذا في «النقائض» (١: ١٥٠) و«العقد الفريد» (٥: ٢٢٦) وهو الصحيح كما يلي. وفي الأصول: ضمرة بن أسد الحارثي.

آخر النهار قُتل النعمان بن جِسَاس، قتله رجل من أهل اليمن، كانت أمه من بني حنظلة، يقال له عبد الله بن كعب، وهو الذي رماه، فقال للنعمان حين رماه: خذها وأنا ابن الحَنْظلية. فقال النعمان: ثَكِلتك أمك، رب حَنظلية قد غاظتني[1]. فذهبت مثلاً، وظن أهل اليمن أن بني تميم سيَهُدّهم قتل النعمان، فلم يزدهم ذلك إلا جَراءة عليهم، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً، فلما أصبحوا غدَوا على القتال، فنادى قيس بن عاصم: يالَ سعد، ونادى عبد يغوث: يالَ سعد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة. فلما سمع ذلك قيس نادى: يال كعب، فنادى عبد يغوث: يالَ كعب. قيس يدعو كعب بن سعد، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو[2]. فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث، قال: ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دَعَوا بمثله. فنادى قيس: يال مُقاعس، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب، وكان يلقب مُقاعِساً، فلما سمع وَعْلة بن عبد الله الجَرْميّ الصوت، وكان صاحب اللواء يومئذٍ، طرحه، وكان أول من انهزم / من اليمن، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب، فهزموهم أفظع هزيمة، وجعل رجل منهم يقول: ٧٥/١٥

يـا قـومُ لا يُفلِتكُـمُ اليـزيـدانْ مُخَـرِّمـاً أعنـي بـه والـدَّيّـانْ

/ وجعل قيس بن عاصم ينادي: يالَ تميم: لا تقتلوا إلا فارساً، فإن الرجّالة لكم. وجعل يرتجز ويقول: [١٦/ ٣٣٢]

لمـا تَـوَلَّـوا عُصَبـا شَـوازِبـا[3] أقسمـت لا أطعُـن إلاّ راكبـا

* إني وجدت الطعنَ فيهم صائبا *

وجعل يأخذ الأُسارى، فإذا أخذ أسيراً قال له: ممن أنت؟ فيقول: من بني زَعْبل، وهو زَعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، وهم أنذال، فكأن الأسارى يريدون بذلك رِخَص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم، دفعه إلى من يليه من بني تميم، ويقول: أمسك حتى أصطاد لك زُعبلة أخرى، فذهبت مثلاً. فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسِرون، حتى أُسِر عبدُ يغوث، أسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس. وقُتل يومئذٍ علقمة بن سَبّاع[4] القُرَيعيّ، وهو فارس هَبُّود، وهَبُّود فرس عمرو ن الجُعَيد المراديّ [وكان علقمة قتل عَمْراً وأخذ فرسه من تحته]، وأُسر الأهتم، واسمه سنان بن سُميّ بن خالد بن مِنْقر، ويومئذٍ سُمّي الأهتم ـ رئيسَ كندة البراءَ بن قيس، وقَتَلَتِ التيم الأوبَرَ الحارثيّ، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جِسَاس، وقَتَل يومئذٍ من أشرافهم خمسة، وقتلت بنو ضَبّة ضَمرةَ بن لَبيد الحِماسيَّ الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبيّ.

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبْشَميّ إلى أهله، وكان العبشميّ أهوج، فقالت له أمه ـ ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً ـ: من أنت؟ قال: / أنا سيد القوم. فضحكت، وقالت: قَبَحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوَج. فقال عبد يغوث: [١٦/ ٣٣٣]

وتَضحَـكُ منـي شيخـةٌ عَبْشَمِيَّـةٌ كـأن لـم تـرا قبلـي أسيـراً يمـانيـاً

ثم قال لها: أيتها الحرة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أعطي ابنك مِئَةً من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم،

---

(١) «النقائض»: رب ابن حنظلية قد غاظني.
(٢) «العقد الفريد» (٥: ٢٢٧): كعب بن مالك.
(٣) شوازب: جمع شازب، وهو الشاحب الضامر. وفي «العقد الفريد» (٥: ٢٢٧): هواربا.
(٤) «النقائض» (١: ١٥٢): سباح.

فإني أتخوف أن تنتزعني سعد والرِّباب منه، فضمن له مِئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث، فوجهوا بها إليه، فقبضها العبشميّ، فانطلق به إلى الأهتم، وأنشأ عبد يغوث يقول:

أأهتمُ يا خيرَ البرية والدا ورَهْطاً إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا
تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ولا تثقفنّي[1] التيمُ ألْقَى الدواهيا

فمشت سعد والرِّباب فيه. فقالت الرباب: يا بني سعد، قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عِصْمة بنُ أبير[2] التيميّ، فانطلق به إلى منزله، فقال عبد يغوث: يا بني تيم، اقتلوني قِتلة كريمة. فقال له عصمة: وما تلك القِتلة؟ قال: اسقوني الخمر، ودعوني أنحْ على نفسي، فقال له عصمة: نَعَم. فسقاه الخمر، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه يَنْزِف، ومضى عنه عصمة، وترك مع ابنين له، فقالا: جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا، فكيف رأيت الله صنع بك؟ فقال عبد يغوث في ذلك:

قصيدة عبد يغوث المشهورة

ألا لا تلوماني كفى اللوْمَ ما بيا فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا
/ ألم تعلما أن المَلامة نفعُها قليل وما لومي أخي مِن شِماليا[3]
فيا راكباً إمّا عرضت فبلِّغنْ ندامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقيا[4]
/ أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما وقيْساً بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكُلاب[5] مَلامةً صريحَهم والآخرينَ المَواليا
ولو شئتُ نَجّتْني من الخيل نَهْدةٌ ترى خَلْفَها الحُوَّ[6] الجيادَ تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكم وكان الرماح يختطفن المحاميا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترا[7] قبلي أسيراً يمانيا
وقد علمتْ عرسي مُلَيْكة أنني أنا الليثُ معدوّاً عليه وعاديا
أقول وقد شدّوا لساني بنِسعةٍ أمعشر تيم أطلقوا لِي لسانيا[8]

(١) ثقفه: ظفر به.
(٢) ف: أثير.
(٣) الشمال: الخلق، يريد شمائلي.
(٤) عرضت: أتيت العروض، وهي مكة والمدينة وما حولهما.
(٥) الكلاب، بضم الكاف: اسم موضع كانت فيه الموقعة، قال البكري: وهو قدة بعينها، أعلاه مما يلي اليمن، وأسفله مما يلي العراق.
(٦) النهدة: المرتفعة. والحو من الخيل: التي تضرب إلى الخضرة، وإنما خص الحو، لأنه يقال إنها أصبر الخيل وأخفها عظاماً إذا عرقت لكثرة الجري.
(٧) قال ابن السيد: قوله «كأن لم ترى»: رجوع من الإخبار إلى الخطاب. ويروى على الإخبار، وفي إثبات الألف وجهان: أحدهما: أن يكون ضرورة. والثاني: أن يكون على لغة من قال «راء» مقلوب «رأي». فجزم، فصار «ترأ»، ثم خفف الهمزة، فقلبها ألفاً، لانفتاح ما قبلها، وهذه لغة مشهورة.
(٨) ف: من لسانيا. والنسعة: سير منسوج. وفي شد اللسان بها قولان: الأول: أن هذا مثل، لأن اللسان لا يشد بنسعة، وإنما أراد: =

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بَوائيا[1]

فإن تقتلوني تقتلوا بيَ سيداً ... وإن تطلقوني تَحْرُبُوني بما ليا[2]

أحقًّا عبادَ الله أنْ لست سامعاً ... نشيدَ الرِّعاء المُعْزِبين المتَاليا[3]

/ وقد كنت نحار الجزور ومُعْمِلَ الْـ ... ـمَطيِّ وأمضي حيث لا حيَّ ماضيا [١٦/٣٣٥]

وأنحر للشَّرْب الكرام مطيتي ... وأصدع بين القَينتين ردائيا[4]

وعادِيةٍ سومَ الجراد وَزَعتها ... بكفِّي وقد أنحوا إليَّ العواليا[5]

كأنيَ لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيليَ كُرِّي نَفِّسي عن رجاليا[6]

ولم أسْبأ الزِّقَّ الرويَّ ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضَوْء ناريا[7]

قال: فضحكت العبشمية، وهم آسروه. وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة، لِئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله، فقتلوه بالنعمان بن جِسَاس.

ما قيل من الشعر بعد الوقعة

فقالت صفية بنت الخَرِع ترثي النعمان:

نِطاقه هُنْدُوانيٌّ وجُبَّتُهُ ... فَضْفاضة كأضاة النِّهْي مَوْضونة[8]

لقد أخذنا شفاء النفسِ لو شُفِيت ... وما قتلْنا به إلا امرأً دونه

وقال عَلْقمة بن سباع لعمرو بن الجُعيد:

لما رأيت الأمر مَخْلُوجةً ... أكرهت فيه ذابلاً مارِنا[9]

قلت له: خذها فإني امرؤ ... يعرِف رمحي الرجلَ الكاهنا

/ قوله: «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد: أن عمروَ بن الجُعيد كان كاهناً. وهو أحد بني عامر بن الدُّيل بن [١٦/٣٣٦]

= افعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشكركم، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم. والثاني أنهم شدوه بنسعة خفيفة، وإليه ذهب الجاحظ في «البيان والتبيين»؛ وحكى ابن الأنباري أنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم.

(١) أسجحوا: سهلوا ويسروا. البواء: السواء، أي لم يكن أخوكم نظير لي، فأكون بواء له.

(٢) تحربوني: تسلبوني وتغلبوني.

(٣) الرعاء: جمع راع. والمعزب: المتنحي بأبله. والمتالي: جمع متلية، وهي التي يتبعها أولادها.

(٤) أصدع: أشق. والقينة هنا: الأمة المغنية.

(٥) العادية: القوم يركضون. وسوم الجراد: أي كسومه، وهو انتشاره في المرعى. ووزعتها: كففتها ومنعتها. وأنحوا الرماح: أمالوها وقصدوا بها. والعوالي: جمع عالية، وهي من الرمح أعلاه أو ما دون السنان بذراع.

(٦) نفسي: وسعي. وروي: قاتلي.

(٧) أسبأ الزق: أشتريه للشرب لا للبيع. والأيسار: جمع ياسر، وهو الذي يضرب قداح الميسر. وقد ذكرت قصيدة عبد يغوث بتمامها في «المفضليات». وساق ابن عبد ربه في «العقد» آخر الكلام على يوم «الصفقة» الأبيات التي أنشدها المؤلف هنا. وذكر كلاماً عن أبي عبيدة يثير الشك في قصيدة عبد يغوث هذه، وأنها صنعت في الإسلام.

(٨) الأضاة: مسيل الماء إلى الغدير. والنهي: الغدير. وموضونة: متنن بعضها على بعض، لسعتها.

(٩) يقال: أمرهم مخلوج: غير مستقيم، ووقعوا في مخلوجة من أمرهم: أي اختلاط. والذابل: الرمح. والمارن: اللين في صلابة.

شَنّ بن أفصى بن عبد القيس، ولم يزل ذلك في ولده. ومنهم الرِّبَاب بن البَرَاء، كان يتكهن، ثم طلب خلاف أهل الجاهلية، فصار على دين المسيح عليه السلام، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل، وذلك قبل مَبعث النبي ﷺ: خير أهل الأرض رِبَابٌ الشَّنِّيّ، وبحيرا الراهب، وآخر لم يأت بعد. قال: وكان لا يموت أحد من ولد الرِّباب إلا رأوا على قبره طَشا[1]. ومن ولده مَخْرَبة، وهو أحد أجواد العرب، وإنما سمي مَخْربة لأن السلاح خَرَبه، لكثرة لبسه إياه؛ وقد أدرك النبي ﷺ، فأسلم،/ فأرسله إلى ابن الجُلَنْدَى العُمانِيّ. وابنُه المُثَنَّى بن مَخْرَبة أحد وجوه أصحاب المختار، وكان قد وجهه إلى البصْرة ليأخذها، فحاربه عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه، وكان ابنه بَلْجُ بن المُثَنّى جواداً، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس:

٧٧/١٥

ألا يـا بَلْـجُ بلـجَ بنـي المُثَنَّـى ... وأنـت لكـل مَكـرُمـة كِفـاءُ

ألـومُـك طـائعـاً مـا دمتُ حيًّـا ... علـيَّ إذَنْ مـن الله العَفـاء[2]

كفَـى قـومـاً مكـارمَ ضَيَّعـوهـا ... وأحسـنَ حيـن أبصـرهـم أسـاءُوا

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوث والوقعة

قال: فأما وَعْلة بن عبد الله الجرميّ، فإنه لحقه رجل من بني سعد، فعقَر به، فنزل؛ وجعل يَحضِر على رجليه، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سَلِيط بن قَتَب، من بني رفاعة، فقال له لما لحقه: أَرْدفني، فأبى، فطرحه، عن فرسه، وركب عليها، وأدركت الخيلُ النهديَّ فقتلوه، فقال وَعْلة في ذلك:

[١٦/٣٣٧]

/ ولمـا سمعـت الخيـلَ تـدعـو مقـاعِسـاً ... علمـتُ بـأن اليـوم أغبـرُ فـاجـرُ

نجـوتُ نجـاءً ليـس فيـه وَتِيـرة[3] ... كـأنـي عُقـاب دون تَيْمَـنَ[4] كـاسـر

خُـداريَّـةٌ صَقْعـاء لَبَّـد رِيشهـا ... بِطَخفـة يـومٌ ذو أهـاضيـبَ مـاطـر[5]

وقـد قلـت للنهـديّ: هـل أنـت مـردِفـي ... وكيـف رِداف الفَـلِّ أمـك عـاثـر[6]

فـإن أستطـع لا تَبْتَئِـس بـي مقـاعِـس ... ولا يـرنـي بـاديهـم والحـواضِـر

فِـدًى لكمـا رِجلـيّ أمـي وخـالتـي ... غـداة الكُـلاب إذ تحـز الحنـاجـر

فمـن كـان يـرجـو فـي تميـم هـوادة ... فليسـت لجَـرم فـي تميـم أواصـر

وقالت نائحة عمرو بن الجعَيد:

أشـابَ قَـذال الـرأس مَصْـرَعُ سيّـد ... وفـارسُ هَبُّـودٍ أشـاب النـواصيـا

---

(١) الطش: المطر الضعيف.

(٢) ألومك: أي لا ألومك.

(٣) وتيرة: توان.

(٤) في الأصول: تيماء. والتصويب عن «النقائض» (١: ١٥٥) و«الخزانة» (١: ١٩٩) و«معجم البلدان»: رسم تيمن (١: ٩٠٩)، و «العقد الفريد» (٥: ٢٣١).

(٥) الخدارية: العقاب لسوادها. والصقعاء: ذات بياض في وسط رأسها. وطخفة: موضع. والأهاضيب: جمع أهضوبة، وهي الدفعة من المطر.

(٦) الفل: المنهزم.

وقال محرز بن مُكَعْبَر الضَّبِّيّ:

فِدىً لقوميَ ما جمَّعت من نَشَبٍ[١] إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوامِ
قد حَدَّثتْ مَذْحِج عنا وقد كَذَبتْ أن لا يُوَرِّعُ[٢] عن نسواننا حامِ
دارت رحاهمْ قَليلا ثم واجههمْ ضرب يصبّح منهم[٣] مَسْكَن الهامِ
ساروا إلينا وهم صِيد[٤] رؤوسهمُ فقد جعلنا لهمْ يوماً كأيامِ
/ ظلّتْ ضباعُ مُجيراتٍ يَعُذْنَهُمُ[٥] وألحموهن منهمْ أيَّ إلحامِ
ظلت تدوس[٦] بني كعبٍ بكَلْكلها وهَمّ يومُ بني نهدٍ بإظلامِ

[١٦/٣٣٨]

وقال أوس بن مَغراء:

وفي يومِ الكُلاب إذ اعترتنا[٧] قبائلُ أقبلوا متناسِبينا
قبائلُ مذحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ وهَمْدانٍ وكِندةَ أجمعينا
وحِميرَ ثم ساروا في لُهامٍ على جُرْدٍ جميعاً قادِرينا
فلما أن أتونا لم نُكَذِّبْ ولم نَسْألْهُمُ أن يُمهلونا
/ قتلنا منهم قَتْلَى ووَلّى شريدُهم شَعاعاً[٨] هاربينا
وفاظتْ[٩] منهم فينا أُسارَى لدينا منهمُ مُتَخَشِّعينا

٧٨/١٥

وقال ذو الرُّمّة غَيلان بن عُقْبة في ذلك[١٠]:

وعمّي الذي قاد الرِّباب جماعةً وسَعدُهُمُ الرأسُ الرئيسُ المؤمَّر
عشيةَ أعطتنا أزمَّةَ أمرها ضِرارٌ بنو القَرْم الأغرّ ومِنْقر
وعبدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه قد احتزَّ عُرْشَيه الحسام المذكَّرُ

العُرْشان: عِرقان في العنق:

عشيّةَ فرَّ الحارِثِيون بعدما قضى نَحْبَه في مَعْرَك الخيل هَوْبَر

---

(١) ف: صبد.

(٢) يورع: يكف.

(٣) ف و«النقائض»: يصبح منه.

(٤) الصيد: جمع أصيد، وهو الذي يرفع رأسه كبراً.

(٥) كذا في ف. وفي الأصول: «ظلت مطياً لحراز تعذبهم» وفي «العقد الفريد» (٥: ٢٣٣): تجررهم. وألحموهن: أطعموهن اللحم. ومجيرات: موضع.

(٦) تدوس: كذا في «النقائض» و«العقد». وفي الأصول: رؤوس.

(٧) ف: اعترتنا: أي جاءتنا. وفي الأصول: إذا غزتنا.

(٨) شعاعاً: متفرقين في كل ناحية.

(٩) فاظت: هلكت.

(١٠) «ديوانه» ٢٣٢. وفيه اختلاف في الرواية.

وقال أخو جَرْمٍ ألا لا هوادةٌ ... ولا وَزَرٌ إلا النجاءُ المشمر

[١٦/٣٣٩] / أبى اللهُ إلاَّ أننا آل خِنْدِفٍ ... بنا يَسْمَع الصوتَ الأنام ويُبْصر

إذا ما تمضَّرنا فلا ناسَ[1] غيرُنا ... ونُضْعِف أحياناً ولا نتمضَّر

وقال أيضاً[2]:

فما شَهدت خيلُ امرىء القيس غارةً ... بثهلانَ تحمي عن ثغورِ الحقائقِ

أثَرنا بِهِ نَقْعَ الكُلاب وأنتُم ... تُثيرونَ نقعَ الملتقَى بالمعازقِ

أدَرْنا على جَرْمٍ وأفناءِ مذحِجٍ ... رَحَى الموت فوق العاملاتِ الخوافقِ

صدمناهُمُ دُونَ الأمانيّ صَدْمةً ... عَماساً بأطوادٍ طِوالٍ شواهقِ

إذا نطحتْ شهباءُ شهباءَ بينها ... شُعاع القَنا والمشرِفيّ البوارقِ

وقال البَرَاء بن قيس الكِنديّ:

قَتَلَتْنا تميمُ يوماً جديداً[3] ... قتل عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ

يوم جئنا يَسوقنا الحَين سوقاً ... نحو قَومٍ كأنهم أسدُ غابِ

سرتُ في الأزد والمذاحجِ طُراً ... بين صِلٍّ وكاشرِ الأنيابِ[4]

وبني كِندة الملوكِ ولخمٍ ... وجُذامٍ وحِميَرِ الأربابِ

ومُرادٍ وخَثْعمٍ وزُبيدٍ ... وبني الحارث الطوالِ الرِّغاب

وحشدنا الصميمَ نرجو نِهاباً ... فلقينا البَوار دون النِّهاب

لَقِيَتْنا أسود سَعدٍ وسعدٌ ... خُلقت في الحروب سَوْط عذاب

تركوني مُسهَّداً في وَثاقٍ ... أرقب النجم ما أُسيغُ شرابي

خائفاً للردَى ولولا دفاعي ... بمثينٍ عن مهجتي كالضبابِ

[١٦/٣٤٠] / لسُقِيت الرّدَى وكنت كقومي ... في ضريحٍ مغيّباً في التراب

تذرفُ الدمع بالعويلِ نسائي ... كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّباب

فلِعيني على الأُلَى فارقوني ... دِرَر[5] من دموعها بانسكاب

كيف أبغي الحياة بعد رجالٍ ... قُتلوا كالأسودِ قتل الكلاب

منهم الحارثيُّ عبدُ يغوثٍ ... ويزيدُ الفتيانِ وابن شهابِ

---

(١) فلا ناس: كذا في ف. وفي الأصول و «الديوان»: فما الناس.

(٢) «ديوانه» (٤٠٧). وفيه اختلاف في الرواية.

(٣) ف: يوم جديد.

(٤) كذا في ف. وفي الأصول: «وبكيل وحاشد الأنياب».

(٥) الدرر: جمع درة، وهي الدفعة من المطر.

٧٩/١٥ / في مئين نعدّها ومئين ... بعد ألف مُنوا بقوم غِضابِ
برجال من العراقيين شُمٍّ ... أشدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْميّ:

عَذَلتني نهد فقلت لنهدٍ ... حين حاست[1] على الكُلاب أخاها
يوم كنا عليهمُ طيرَ ماء ... وتميم صُقورَها وبُزاها
لا تلوموا على الفِرار فسعدٌ ... يال نَهْد يخافها من يراها
إنما هَمُّها الطِّعان إذا ما ... كَرِه الطعن والضراب سِواها
تركوا مَذْحِجاً حديثاً مشاعا ... مثل طَسْم وحِمْيَرٍ وصُداها
يالَ قحطانَ وادعوا حَيَّ سعدٍ ... وابتغوا سَلْمَها وفضل نداها
إن سعد السعود أُسْدُ غِياض ... باسل بأسها شديد قُواها
فُضِحتْ بالكُلاب حارِ[2] بنُ كعبٍ ... وبنو كندةَ الملوكُ أباها
أسلموا للمنون عبدَ يغوثٍ ... ولِعَضّ الكبول حولا يَراها
بعد ألف سُقوا المنِيّةَ صِرفا ... فأصابت في ذاك سَعْدٌ مُناها
ليتَ نَهْداً وجَرْمها ومُراداً ... والمذاحيجَ ذو أناةٍ نهَاها
[٢٤١/١٦] / عن تميم فلم تكن فَقْع قاعٍ[3] ... تبتدرْها رِبابُها ومَناها
قل لبكر العراق تَسْتُر عَمْراً ... عمروَ قيسٍ فرأيُ عمرو قَراها
عن تميم ولو غزَتْها لكانت ... مثل قحطانَ مستباحاً حماها

صوت

صوت لإبراهيم الموصلي في شعر له

ما بالُ شمس أبي الخطاب قد حُجِبَتْ ... أظَنّ يا صاحبيّ الساعةَ اقتربتْ[4]
أوْلا فما بال ريح كنت آنَسُها ... عادتْ عليّ بِصِرٌ بعد ما جَنَبَتْ[5]

(١) حاست: وطئت.
(٢) حار: يريد حارث بن كعب. وقد رخمه في غير النداء شذوذاً.
(٣) فقع القاع: ضرب من الكمأة، تطؤه الإبل، ويضرب به المثل في الحقارة والذلة. وجزم تبتدرها ضرورة.
(٤) كذا في ف. وفي الأصول: * يا صاحبي لعل الساعة اقتربت *
(٥) ف: كنت قيمها. والصرّ: البرد. وجنبت الريح: هبت جنوباً.

أشكو إليك[١] أبا الخطّاب جارية ... غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبتْ

وأنت قَيِّمها فانظر لعاشقها ... يا ليتَ[٢] قد قَرُبت مني وما بَعُدَتْ

عروضه من البسيط. الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ رَمَل بالبنصر، عن الهشاميّ وعلي بن يحيى. وذكر محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر أن فيه هَزَجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهديّ. وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصليّ أيضاً.

وأبو الخطاب الذي عناه إبراهيم الموصلي في شعره هذا: رجل نَخّاس يعرف بقَرِين، مولى العباسة بنت المهديّ، وكان إبراهيم يهوى جارية له، يقال لها خُنْث[٣]، وكانت من أجمل النساء وأكملهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا، وكانت تعرف بذات الخال، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة. نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله.



(١) كذا في ف. وفي الأصول: «إليك أشكو».
(٢) كذا في ف. وفي الأصول: يا ليتها قربت.
(٣) ف و«نهاية الأرب» (٥: ٩١): خشف.

[٤٢/١٦]

أخبار ذات الخال

عشق إبراهيم لها وشراء الرشيد إياها

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي:

أن جدي كان يتعشق جارية لقرين، المكنّى بأبي الخطّاب النخّاس، وكان يقول فيها الشعر / ويُغنّي فيه، فشهرها [٨١/١٥] بشعره وغنائه، وبلغ الرشيدَ خبرها، فاشتراها بسبعين ألفَ درهم. فقال لها ذات يوم: أسألكِ عن شيء، فإن صَدَقْتني وإلا صَدَقَني غيرُك وكَذَّبتُك. قالت له: بل أَصْدُقك. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصليّ شيء قَطّ، وأنا أُحلِفه أن يَصْدُقني. قال: فتلكأت ساعة، ثم قالت: نعم، مرة واحدة. فأبغضها وقال يوماً في مجلسه: أيكم لا يبالي أن يكون كَشْخاناً[١]، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حَمَّويه الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخالِ راجيةً رَبّا ... وقد فَتَنَتْ[٢] قلباً يَهيم بها حُبّا

وما عُذْرها نفسي فِداها ولم تدَعْ ... على أعظمي لحماً ولم تُبقِ لي لُبّا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف[٣] رمل بالسّبابة في مجرى الوسطى.

الرشيد يشتاقها بعد أن وهبها لحمويه

وذكر أحمد بن أبي طاهر:

أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حَمَّويه كما ذكرها حماد، وقال في خبره: فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهبَها لِحَمَّويه، فقال له: ويْلَك يا حَمّويه، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غداً. فمضى فاستعد لذلك، واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنة[٤] وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآها[٥] / أنكره. وقال: ويلك يا [٤٣/١٦] حَمَّويه! ومن أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله، ولا وَصَل إليك مني هذا القدر! فصَدَقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم، واشترى الجوهر منهم، ووهبه لها، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئاً إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها، فسألته أن يولّيَ حَمَّويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك، وكتب له عهده به، وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتمّ في حياته.

---

(١) الكشخان: الديوث.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: سلبت.

(٣) خفيف: ساقطة من ف.

(٤) البدنة: قميص لا كمي له، من ملابس النساء.

(٥) ف: رآه.

قصها خالها وشعر العباس بن الأحنف فيها

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال: حدثني أحمد بن عبد الله طَمّاسٍ، عن عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصُّولي قالا:

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوماً، فوعدها أن يصير إليها، وخرج يريدها، فاعترضته جارية، فسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها، فشقّ ذلك على ذات الخال، وقالت: والله لأطلبنّ له شيئاً أغيظه به، وكانت أحسن الناس وجهاً، ولها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه في موضعه، فدعت بمِقْراض، فقصت الخال الذي كان في خدها، وبلغ ذلك الرشيد، فشق عليه، وبلغ منه، فخرج من موضعه، وقال للفضل بن الربيع: أُنظر من بالباب من الشعراء، فقال: الساعةَ رأيت العباس بن الأحنف. فقال: أدخله. فأدخله، فعرَّفه الرشيد القِصّة[1] وقال: اعْمَل في هذا شيئاً، على معنىً رسمه له، فقال:

صوت

تخلَّصْتُ ممن لم يكن ذا حَفِيظةٍ ... ومِلْتُ إلى من لا يغيِّره حالُ

فإن كان قطعُ الخال لما تطلعتْ ... إلى[2] غيرها نفسي فقد ظُلِمَ الخالُ

١٦/٣٤٤ / غناه إبراهيم. فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها، وجعل هذين البيتين سبباً، وأمر للعباس بألفَيْ دينار، وأمر إبراهيم الموصليّ فغناه في هذا الشعر.

محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر

٨١/١٥ أخبرني محمد / بن يحيى الصوليّ قال: حدثني محمد بن الفضل قال:

كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم في الشعر، ويُشغَف بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نُصَيْب:

صوت

أبا بعلَ لَيلَى كيف تجمعُ سَلْمَها ... وحَرْبي وفيما بيننا شَبَّتِ الحربُ

لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنبا ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل. والشعر لنُصَيْب، ويروى للمجنون، ويروى لكعب بن مالك الخَثْعَمِيّ. والغناء لمالك، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

قال: وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعباس بن الأحنف:

صوت

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى ... عَشِيرَ الذي ألْقَى فيلتئمَ الشَّعْبُ

إذا رَضِيتُ لم يَهْنِني ذلك الرضا ... لعلمي به أن سوف يتبعُه العَتْبُ

(١) كذا في ف. وفي الأصول: الخبر.

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: تعطفت علي.

وأبكـي إذا مـا أذنبـتْ خـوفَ صَـدّهـا ... وأسـألهـا مَـرْضـاتهـا ولهـا الـذنـب
وصـالُكُـمُ صُـرمٌ وحبُّكُـم قِلًـى ... وعطفُكُـم صَـدٌّ وسَلْمُكـم حَـرْب

ويقول: ما أحسن ما قسّم، حتى جعل بإزاء كل شيء ضدّه، والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس.

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ، ثاني ثقيل بالوسطى، عن الهشاميّ.

[٤٥/١٦]

/ جواري الرشيد الثلاث اللاتي هويهن

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يَهواهن، ويقول الشعر فيهن، وهن سِحْر، وضِياءٌ، وخُنَث؛ وفيهن يقول الرشيد:

إن سِحْـراً وضيـاءً وخُنُـث ... هـنَّ سحـر وضيـاءٌ وخُنُـث[1]
أَخَـذَتْ سِحْـرٌ ولا ذنـبَ لهـا ... ثُلُثَـيْ قلبـي وتِـرْبـاهـا الثُّلُـث

حدّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُويد بن مَنْجوف السَّدُوسِيّ قال: حدّثني محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال:

وجه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة، ثم جاءته من الغَد، فقال الرشيد:

أيـا مَـنْ رَدَّ وُدّي أمـ ... ـسِ لا أُعْطيكَـهُ اليـومَـا
ولا والـلّـه لا أعطيـ ... ـك إلا الصـدَّ واللَّـوْمَـا
وإن كـان بقلبـي منـ ... ـك حُـبٌّ يمنـع النَّـومـا[2]
أيـا مـن سُمْتُـه الـوَصْـلَ ... فـأغلـى المَهْـرَ والسَّـومـا

قال: وفيهن يقول، وقد قيل إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه:

صوت

مَلَـكَ الثَّـلاثُ الآنسـاتُ عِنـانـي ... وحَلَلْـن مـن قلبـي بكـلِّ مَكـانِ
مـا لـي تُطـاوعنـي البـريـةُ كلهـا ... وأطيعهُـن وهـنّ فـي عصيـانـي
مـا ذاك إلا أن سُلْطـان الهـوى ... وبـه عَـزَزْن[3] أعـزّ مـن سلطـانـي

غنته عَريبُ خفيف ثقيل الأول بالوسطى.

[٤٦/١٦]

/ مجلس غناء وسمر

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال:

---

(١) الخنث: المتثنى والمنكسر، وضم النون اتباعاً للوزن.
(٢) ف: وإن كان بقلبي منـ ... ـك ما يمنعني النوما
(٣) كذا في ف. وفي الأصول: قوين

٨٢/١٥ / وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل، فحضرت، فأخرج إليّ جارية كأنها المَهاة، فأجلسها في حجره، ثم قال: غنني، فغنّته:

جِئْـنَ مِـنَ الـروم وقـالِيقَـلاَ ... يـرفُلْـن فـي المِـرْط ولِيـن المُـلاَ

مُقَـرْطَقَـاتٌ[1] بصُنـوف الحُلَـى ... يـا حَبَّـذا البيـضُ وتلـك الحُلَـى

فاستحسنه وشرب عليه، ثم استُؤْذن للفضل بن الربيع، فأذن له، فلما دخل قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: كل خير يا أمير المؤمنين، ولكن حرى الساعة لي سبب لم يجز لي كتمانُهُ أميرَ المؤمنين. قال: وما ذاك؟ قال: أُخرج إليّ في هذا الوقت ثلاثُ جَوارٍ لي: مكية، ومَدِينية[2]، وعراقية. فقَبَضَتِ المَدِينية على ذَكَري، فلما أُنعظت وثبت المكية فقعدت عليه، فقالت لها المدينية: ما هذا التعدي؟ ألم تعلَمي أن مالكاً حدثنا عن الزهريّ عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد: أن النبي ﷺ قال: «من أحيا أرضاً مَيِّتة فهي له»؟ فقالت الأخرى: أو لم تعلمي أن سفيان حدّثنا، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الصيدُ لمن صاده لا لمن أثاره». فدفعتهما العراقية عنه، ووثبت عليه، وقالت: هذا لي، وفي يدي حتى تصطلحا. فضحك الرشيد، وأمره بحملهن إليه، ففعل، وحَظِين عنده، وفيهن يقول:

ملـكَ الثـلاثُ الآنسـاتُ عِنـانِـي ... وحَلَلْـن مـن قلبـي بكـل مكـانِ

إعجاب الناس بشعر الرشيد في جواريه

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الغَلاَبيّ قال: حدثني مهديّ بن سابق قال:

حججنا مع الرشيد آخر حِجَّة، فكان الناس يتناشدون له في جواريه:

٣٤٧/١٦ / ثـلاث قـد حَلَلْـن حِمَـى فـؤادي ... ويُعْطَيـن الـرغـائـب مـن وِدادي[3]

نظمـت قلـوبَهُـن بخيـطِ قلْبـي ... فهـنَّ قـرابتـي حتـى التنـادِي

فمـن يـكُ حـلّ مـن قلـب مَحَـلاً ... فهـن مـع النـواظـر[4] والسَّـواد

غناء لإبراهيم الموصلي في ذات الخال

ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغَنّى فيه:

صـوت

أذاتَ الخـالِ أقصَيْـتِ ... مُحبّـا بكُـمُ صَبَّـا

فـلا أُنْسَـى حيـاتـيَ مـا ... عَبـدْتُ الـدهـرَ لـي رَبّـا

وقـد قلـت أنيلينـي ... فقـالـت أُفْـرَقُ الـذَّنْبَـا

(١) ف: مقرطات.

(٢) نسبة إلى مدينة الرسول خاصة.

(٣) كذا في ف. وفي للأصول: «في ودادي».

(٤) كذا في ف. وفي الأصول: من النواظر.

الشعر والغناء لإبراهيم، هزَج بالوُسطَى عن عمرو. ومنها:

صوت

أذات[1] الخال قد طالَ بمن أسقمتِه الوجَعُ
وليس إلى سِواكم في الْـ ـلَذي يلقَى له فَزَع
أما يمنعُك الإسلا مُ من قتلي ولا الوَرَع
وما ينفكُ لي فيك هوًى تغتَرُه خُدَعُ

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى، عن عمرو. ومنها:

٨٣/١٥

/ صوت

ثَعلَبُ يا هذا الكثيرُ العَبَثِ بالله لَمَّا قُلْتَ لي عن خُنُث
عن ظبيةٍ تميس في مِشيتها أحسنُ من أبصرتهُ في شَعَث
/ فقال: قالت قل له أنت امرؤ مُوَكَّل فيما ترى بالعَبَثِ [٣٤٨/١٦]
والله لولا خَصْلَةٌ أرقبُها لقُلْ في الدنيا لما بي لَبَثي

الشعر لإبراهيم، وله فيه لحنان: أحدهما ثقيل الأوّل، عن أبي العنبس. والآخر هزج بالبنصر عن عمرو. وفيه لعَريب ثقيل أول آخَرُ. وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى.

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه:

أن ثعلباً هذا، كان مملوكاً لإبراهيم، فقال هذه الأبيات في خُنُث جارية جَزْء بن مِغْول الموصليّ، وكانت مغنية محسنه، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه:

أنه قال في خُنُث جارية جَزْء بن مِغْول الموْصلي، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب، وكانت خَنُث مغنية محسنة، وكانت تعرف بذات الخال.

صوت

ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث بالله إلا قلت لي عن خُنُث

وذكر الأبيات.

قال: وقال له أيضاً:

صوت

أَبِد لذات الخال يا ثعلبُ قولَ امرىءِ في الحبّ لا يكذبُ

(١) سقط من أول هذا الشعر مقدار صفحتين من ف.

إنــي أقــول الحــق[1] فــاستيقِنــي كــل امــرىء فــي حُبِّــه يلعــبُ

الشعر والغناء لإبراهيم، له فيه لحنان: رمَل وخفيف ثقيل، عن ابن المكيّ. ومنها:

[٣٤٩/١٦] / صوت

جـزى الله خيـراً مـن كِلفـت بحبـهِ وليـس بـه إلا الممـوهُ مـن حُبِّـي

وقـالـوا: قلـوب العـاشقيـن رقيقـة فمـا بـال ذات الخـالِ قـاسيـة القلـبِ؟

وقـالـوا لهـا هـذا محبـك مُعـرضـاً فقـالـت: أرى[2] إعـراضـه أيسـر الخطـبِ

فمـا هـو إلا نظـرة بتبسـم فتنشَـب رجـلاه ويسقُـطَ للجنـب

ومنها:

صوت

إن لـم يكـن حـب ذات الخـال عَنَّـانـي إذنْ فَحُـوِّلْـتُ فـي مَسْـكِ[3] ابـن زَيـدان[4]

فـإنَّ هـذي يميـن مـا حلفـت بهـا إلا علـى الحـق فـي سـري وإعـلانـي



الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالبنصر.

ومنها:

صوت

لقـد أخلـو بـذات الخـا لِ والحـراسُ قـد هَجَعُـوا

فمـن يُبْصِـرْ أبـا الخطَّـا بْ يطلُبُهـا ويتَّبِـعْ[5]

ألا لـم تَـرَ محـزونـا تَسَنَّـم صبْـرَهُ الجـزع

وقـارَعَنـي ففـزْت بهـا وحـازتهـا لـي القُـرَعُ

غناه إبراهيم، من رواية بَذْل عنه، ولم تذكر طريقته.

٨٤
١٥

[٣٥٠/١٦] / **إبراهيم الموصلي يعد ذات الخال دنياه ودينه**

قال عليّ بن محمد الهشاميّ: حدّثني جدي، يعني ابن حمدون، قال: حدّثني مخارق قال:

كنت عند إبراهيم الموصليّ ومعي ابن زَيدان صاحب البرامكة، وإبراهيم يلاعبه بالشَّطْرَنْج، فدخل علينا

---

(١) أ: الشعر.

(٢) أ: ألا.

(٣) المسك: الجلد. يريد: مسخت وصيرت ابن زيدان. أي في مسلاخه وشبهه.

(٤) إلى هنا ينتهي الساقط من نسخة (ف).

(٥) جواب الشرط محذوف، تقديره: ير منظراً مؤلماً، وفسره في البيت الذي يليه، بأنك لم تر محزوناً غلبه الجزع مثله.

إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة. سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلا الله. فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت. هلا قلت: دُنْيا ودينا[1]. فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهيم، وقال له: يا زنديق، أتكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضرباً شديداً، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدّثه بخبره. قال: وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به، فاستوهبه الفضلُ من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول:

صوت

إن لـم يكـن حـب ذات الخـال عَنَّـانـي ... إذا فَحُـوِّلْـتُ فـي مَسْـك ابـن زَيْـدان

فـإن هـذي يميـن مـا حلَفْـت بهـا ... إلا علـى الصـدق فـي سـري وإعـلانـي

قال: وله في هذين البيتين صنعة، وهي هَزَج.

منها:

صوت

شعر إبراهيم الموصلي في ذات الخال

مَـنْ يـرحـمُ محـزونـا[2] ... بـذات الخـالِ مَفْتـونـا

أبـى فيهـا فمـا يسلـو ... وكـل النـاس يَسْلُـونـا

/ فقـد أودى بـه السُّقْـمُ ... وقـد أصبـح مَجنـونـا [٣٥١/١٦]

فـإن دام علـى هـذا ... ثَـوَى فـي اللحـد مـدفـونـا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، عن الهشاميّ.

ومنها:

صوت

لـذات الخـال أرّقنـي ... خيـالٌ بـات يَلْثمنـي

بكـى وجـرى لـه دمـع ... لمـا بـالقلـب مـن حَـزَن

فـلا أنسـاه أو أنسـى ... إذا أُدرِجْـت فـي كَفَنـي

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشاميّ.

ومنها:

---

(١) يشير إبراهيم إلى قوله في ذات الخال:

لا تلمنـي إن ذات الـ ... ـخـال دنيـاي ودينـي

(انظر صفحة ٣٥١ من هذا الجزء).

(٢) كذا في ف. وفي الأصول: مجنوناً.

صوت

هـل علمـتَ اليـومَ يـا عـا صـمُ يـا خيـرَ خَـدِيـنِ
أنّ ذات الخـال تـأتيـ ـنـي علـى رَغـمِ قـريـنِ
لا تلُمْنـي إنّ ذات الـ ـخـالِ دنيـايَ وديـنـي
وإلـى حفـصٍ خليلـي ووزيـري وأمينـي
بُحْـتُ لا أكتُمُـه شيـ ـئـا مـن الـداء[1] الـدفيـن
إنّ بـي مـن حـب ذات الـ ـخـال شيئـاً كـالجنـون

85/15 / فيه لإبراهيم هزج بالوسطى، عن ابن المكيّ.

ومنها:

[١٦/ ٣٥٢] / صوت

تقـول ذات الخـالِ لـي: يـا خَلِـيّ البـالِ
فقلـتُ: حـاشـاكِ مـن أنْ يكـونَ حـالُـك حـالِـي
أعـرَضْـتِ عَنّـيَ لمّـا أوقعتِنـي فـي الحبـال
إن الخلـيّ هـو الغـا فِـلُ الـذي لا يُبـالـي

لإبراهيم مِن كتابه عن حَبش فيه لحن. وذكر ابن المكيّ أنه رمل.

ومنها:

صوت

أمـا تعلـمُ ذات الخـا لِ فـوقَ الشفـة العليـا
بـأنـي لسـت أهـوى غيـ ـرهـا شيئـاً مـن الـدنيـا
وأنـي عـن جميـع النـ ـاس إلا عنهـمُ أعمـى
وأنـي لـو سُقِيـت الـدّهـ ـرَ مـن ريقـك لا أرْوَى

الشعر والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى، عن عمرو وابن المكيّ وغيرهما. وقد روى «أما تعلم ياذا الخال»، وهذا هو الصحيح.

ومنها:

صوت

يـا ليـت شِعـريَ كيـفَ ذاتُ الخـالِ أمْ أيـنَ تَحسِـبُ حـالَهـا مـن حـالِـي

---

(١) ف: السر.

هـــل أنْسَيَـــنْ منهـــا وضَمَّـــتْ مـــرةً ... رأســـي إليهـــا ثـــم قـــالـــت: مـــالـــي

ألِـــزَلَّـــةٍ أقصيتَنـــي نفســـي الفـــدا ... لـــك[1] أم أطعـــت مَقـــالـــةَ العـــذال

والله مـــا استحســـنتُ شيئـــاً مُـــونِقـــا ... ألتـــذُّه إلاّ خَطَـــرْت ببـــالـــي

/ الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان: هزج بالأصابع كلها، عن ابن المكيّ، وثقيل أول بالوسطى، عن حبش. [١٦/٣٥٣]

ومنها:

صوت

يـــا ليـــتَ شِعـــريَ والنســـاءُ غـــوادِرٌ ... خُلْـــفُ العِـــداتِ وَفـــاؤهـــن قليـــلُ

هـــل وصـــلُ ذاتِ الخـــال يـــومـــاً عـــائـــدٌ ... فتـــزولَ لَـــوْعـــاتـــي وحَـــرُّ غليلِـــي[2]

أم قـــد تنـــاســـتْ عهـــدَنـــا وأحـــالَهـــا ... عـــن ذاك مَلْـــك حـــال دون خليـــلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه، ثقيل أوّل بالبنصر، عن إسحاق بن إبراهيم، وابن المكيّ والهشاميّ.

انقضت أخبارها.



صوت

صوت لحنين في شعر لحجر بن عمرو

إن مـــن غَـــرَّهُ النســـاءُ بشـــيءٍ ... بعـــد هنـــدٍ لجَـــاهـــلٌ مغـــرورُ

حُلْـــوة القـــول واللســـان ومُـــرٌّ ... كـــل شـــيءٍ أجَـــنَّ منهـــا الضميـــرُ

كـــل أنثـــى وإن بـــدا لـــك منهـــا ... آيـــةُ الحـــبّ حبُّهـــا خَيْتَعُـــور[3]

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار. والغناء لحُنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ. وفيه لنُبَيه ثقيل أوّل بالوسطى، عن حَبَش. وفيه رمل له[4].

---

(١) كذا في ف. وفي الأصول: نفسي فداؤك.

(٢) في الشعر إقواء.

(٣) الخيتعور: الباطل، أو الذي لا يدوم على حال.

(٤) إلى هنا ينتهي الجزء السادس عشر من نسخة ف.

[٣٥٤/١٦]
٨٦/١٥

/ نسب حُجر بن عمرو، والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

نسبه

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع[(١)]، واسمه عمرو بن ثور، وقيل: ابن معاوية بن ثور، وهو كِندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن ادَد بن زيد بن يَشْجُب بن عرِيب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان[(٢)].

القتال بينه وبين ابن الهبولة

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة، قال: حدّثني عمي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، عن الشَّرْقي بن القُطاميّ قال:

أقبل تُبَّع أيام سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو، وهو آكِل المرار، فلم يزل ملكاً حتى خَرِف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن. ثم إن زياد بن الهَبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَليح القضاعيّ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار، ومنزله بغَمر ذي كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين. فبلغ زياداً غزاتُه، فأقبل حتى أغار في مملكة حُجر، فأخذ مالاً كثيراً، وسبى امرأة حُجر، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل.

فلما بلغ حجراً وبكر بن وائل مغارُه وما أخذ أقبلوا معه، ومعه يومئذٍ أشرافُ بكر بن وائل، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شَيبان، وصُلَيْع بن عبد غَنْم بن ذهل بن شيبان، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهل، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، وعامر / بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم، قالا لحجر: إنا متعجِّلان إلى الرجل، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا. فلقياه دون عين أُباغ، فكلمه عوف بن محلم، وقال: يا خير الفتيان، اردد عليّ ما أخذته مني. فأعطاه إياه. وكلمة عمرو بن معاوية في فحل إبله، فقال: خذه، فأخذه عمرو؛ وكان قوياً. فجعل الفحل ينزع إلى الإبل، فاعتقله عمرو، فصرعه. فقال له ابن الهبولة: أما والله يا بني شيبان، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم. فقال عمرو: أما والله لقد وهبت قليلاً، وشتمت جليلاً. ولقد جررت على نفسك شراً، ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار إلى حجر، فأخبره الخبر. [٣٥٥/١٦]

فأقبل حُجْر في أصحابه، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبرّ، وهو دون عين أُباغ، بعث سَدوساً وصُلَيعاً يتجسسان له الخبر، ويعلمان له علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره، وقد أوقد ناراً، ونادى منادٍ له: من جاء بحزمة من حطب فله فِدْرة[(٣)] من تمر. وكان ابن الهَبولة قد أصاب في عسكر حُجْر تمراً كثيراً، فضَرب قِبابه، وأَجَّج ناره، ونثر التمر بين يديه، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً. فاحتطب سَدوس وصُلَيع[(٤)]، ثم أتيا به ابن

(١) مرتع: ضبطه في «التاج» كمحسن ومحدث.
(٢) في «كتب التراجم» اختلاف كثير في أسماء آباء حجر، وفي ترتيبهم.
(٣) فدرة: قطعة.
(٤) أ، م: ضبيعة.

الهَبولة، فطرحاه بين يديه، فناولهما من التمر، وجلسا قريباً من القُبة. فأما صليع[1] فقال: هذه آية وعلم[2] ما يريد، فانصرف إلى حُجْر، فأعلمه بعسكره، وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتيه بأمر جَلِيّ. فلما ذهب هزِيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه، وقد تفرّق أهل العسكر في كل ناحية، فضرب سَدُوس بيده إلى جَليس له، فقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكر. / فقال: أنا فلان ابن فلان. قال: نعم. ودنا سَدوس من [٣٥٦/١٦] القُبة، فكان حيث يسمع الكلام، فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر، فقبّلها وداعبها، ثم قال لها فيما يقول: ما ظنك الآن / بحُجر لو علم بمكاني منك؟ قالت: ظني به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحُمْر، وكأني $\frac{٨٧}{١٥}$ أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يُذَمِّرهم ويدمِّرونه، وهو شديد الكَلَب، سريع الطلَب، يزبد شدقاه كأنه بعير آكِلُ مُرار. فسمّي حُجْر آكِلَ المُرار يومئذ. قال: فرفع يده فلطمها. ثم قال: ما قلتِ هذا إلا من عُجْبك به، وحبك له. فقالت: والله ما أبغضتُ ذا نَسَمة قطُّ بغضي له، ولا رأيت رجلاً قطُّ أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسًّا مملوءاً لبناً، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه، فنحى رأسه، فمال إلى يديه، وإحداهما مقبوضة، والأخرى مبسوطة، فأهوى إليها فقبضها، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة، وبسط الأخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العُسّ: شربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت، فأستريح منه. فانتبه من نومه، فقال: عليّ بالإناء، فناولته، فشمه فاضطربت يداه، حتى سقط الإناء فأهريق. وذلك كله بأذن سَدُوس. فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته، حتى صبَّح حُجراً. فقال:

أتـاك المـرجفـون بـرجـم غيـب ... علـى دَهَـش وجئتـك بـاليقيـنِ

فمـن يَـكُ قـد أتـاك بـأمـر لَبْـس ... فقـد آتِـي بـأمـر مُستبيـن

ثم قصّ عليه جميع ما سمع.

فأسف ونادى في الناس: الرحيل. فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة، وعرفه سدوس، فحمل عليه، / فاعتنقه وصرعه فقتله. وبُصر به عمرو بن معاوية، فشدّ [٣٥٧/١٦] عليه، فأخذ رأسه منه، وأخذ سدوس سَلَبه، وأخذ حُجْر هنداً فربطها بين فرسين، ثم ركضا بها حتى قَطَّعاها قطعاً.

هذه رواية ابن الكلبيّ.

وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهَبولة لما غنم عسكر حُجر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، وأم أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيباني، وهي أم الحارث بن حُجر وهند بنت حجر، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو، وله يقول بشر بن أبي خازم:

فـإلـى ابـن أم أنـاسَ أُعْمِـل نـاقتـي ... عمـروٍ فتنجَـحُ حـاجتـي أم تُـرْجَـفُ

مَلِـك إذا نـزل الـوفـودُ ببـابـه ... غَـرَفـوا غـوارِبَ مُـزْبِـد مـا يُنـزَف

قال: وبنتها هند هي التي تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخميّ. قال: وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم، ويتصيد في المسير، ولا يمرّ بوادٍ إلا أقام به يوماً أو يومين، حتى أتى على ضَرِيَّة، فوجدها

(١) أ، م: ضبيعة. (٢) أ، م: على.

مُعْشِبة، فأعجبته، فأقام بها أياماً. وقالت له أم أُناس: إني لأرى ذات وَدَك[١]، وسوء دَرَك، كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافره مشافر بعير آكِل مُرَار قد أخذ برقبته، فسمى حُجْر آكلَ المُرار بذلك. وذكر باقي القصة نحو ما مضى.

وقال في خبر ابن الهَبولة: إن سَدوساً أسَرَه، وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده، فطعنه فقتله: فغضب سَدوس لذلك، وقال: قتلت أسيري وديتُه دية / الملوك. وتحاكما إلى حُجْر، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك؛ وأعانهم في ذلك بماله. وقال سَدُوس / في ذلك يعاتب بني شيبان: [٣٥٨/١٦] [٨٨/١٥]

مـا بعـدكُـم عيـشٌ ولا مَعَكُـمُ ... عيـشٌ لـذي أنَـف ولا حَسَـبِ

لـولا بنـو ذهـل وجَمْـعُ بنـي ... قيـس ومـا جَمَّعَـت مـن نَشَـبِ

مـا سُمْتُمـونـي خُطَّـة غَبَنـاً ... وعلـى ضَـرِيَّـةَ رمتُـم غَلَبـي

قال: وقد رُوِي أن حُجْراً ليس بآكل المُرار، وإنما أبوه الحارث آكل المُرار. ورُوِي أيضاً أنه إنما سُمي آكلَ المُرار لأن سَدوساً لما أتاه بخبر ابن الهَبولة ومداعبته لهند، وأن رأسه كان في حجرها، وحدّثه بقولها وقوله، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار، وهو نبت شديد المرارة، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير، فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدّة الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذٍ بذلك، ووجد طعمه، فسمي يومئذٍ آكلَ المُرار.

قال ابن الكلبي: وقال حُجْر في هند:

لمـن النـارُ أوقِـدَتْ بحَفيـرِ ... لـم تَنـمْ عنـد مُصْطَـلٍ مَقْـرورِ[٢]

أوقَـدَتْهـا إحـدى الهنـود وقـالـت ... أنـت ذا مُـوثَـقٌ وَثـاق الأسيـرِ

إنّ مـن غَـرّه النسـاء بشـيء ... بعـدَ هنـد لجـاهـلٌ مغـرورُ

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدّماً وفيها الغناء.

[٣٥٩/١٦]

/ صوت

شعر لمحمد بن صالح العلوي فيه غناء

طَـرِبَ الفـؤادُ وعـاودتْ أحـزانُـه ... وتفـرّقـت فِـرقـاً بـه أشجـانُـهُ

وبـدا لـه مـن بعـد مـا انـدمـل الهَـوى ... بـرقٌ تـألَّـقَ مَـوْهِنـاً لَمَعـانُـه

يبـدو كحـاشيـة الـرداءِ ودونـه ... صعـبُ الـذُرَى متمنِّـعٌ أركـانُـه

فـالنـار مـا اشتملـت عليـه ضُلـوعـه ... والمـاء مـا جـادت بـه أجفـانُـه

الشعر لمحمد بن صالح العَلَوِيّ. والغناء لرذاذ، ويقال إنه لبنان. خفيف ثقيل. وفيه ثقيل أوّل. يقال إنه لأبي العنبس، ويقال إنه للقاسم بن زُرزور. وفيه لعمرو الميداني رمل طُنبوريّ؛ وهو لحن مشهور.

---

(١) الودك: الدسم من اللحم والشحم

(٢) هذا البيت والذي بعده فيهما إقواء، لأنهما مخالفان للبيت الثالث وللأبيات التي تقدّمت في الصوت.

/ أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه [١٦/ ٣٦٠]

نسبه ومنزلته الشعرية

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب. ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازيّ ظريف، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدّمين. وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم أبني عبد الله بن حسن بن حسن الحِجازيين الخارجين في أيام المنصور، أمهم جميعاً هند بنت أبي عُبيدة.

جدّه موسى بن عبد الله

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء الطوسِيّ قالا: حدّثنا الزُّبير بن بكار، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العَلوِيّ. قال: حدّثني الزبير بن بكار:

أن هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة. قال: ولا تحمل لستين إلا قرشية، ولا تحمل لخمسين إلا عربية. قال: وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة، وله تقول أمه هند:

/ إنك أنْ تكونَ جَوْناً أنزعا ... أجدرُ أن تضرَّهُمْ وتنفعا [٨٩/ ١٥]

وتسلكَ العيش طريقاً مَهْيَعا ... فرْداً من الأصحاب أو مُشَيَّعا

وكان موسى أستتر بعد قتل أخويه زماناً، ثم ظَفر به أبو جعفر، فضربه بالسوط، وحبسه مدّة، ثم عفا عنه وأطلقه.

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها.

خروجه على المتوكل وحبسه

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بَيَّض في تلك السنة، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج، فأخذهم وقَيَّدهم، وقتل بعضهم، وأخرب سُوَيقة، / وهي منزل للحَسَنِيِّين، ومن جملة صدقات أمير [١٦/ ٣٦١] المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، وقَعَر بها نخلاً كثيراً، وحَرَّق منازل لهم بها، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة، وحُمل محمد بن صالح فيمن حُمل منهم إلى سُرَّ مَنْ رأى، فحُبِس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنِّي في شعره المذكور، فطرب، وسأل عن قائله فعرفه، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته، فأمر بإطلاقه.

شعره في الحبس

وأخبرني محمد بن خلف وكِيع قال: حدّثني أحمد بن أبي خَيْثمة قال:

أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على أبن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى، بعضَ ما ينكره العمومة على بني أخيهم، في شيء من أمور السلطان، وكان محمد بن صالح قد خرج بسُوَيقة، فصار أبو الساج إلى سُوَيقة، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان، فطرح سلاحه، ونزل إليه فقيده، وحمله إلى سُرّ

من رأى، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين، ثم أطلق، وأقام بها إلى أن مات. وكان سبب موته أنه جُدِر، فمات في الجُدَرِيّ، وهو الذي يقول في الحبس:

طَـرِبَ الفـؤادُ وعـاودتْ أحـزانُـه ... وتشعبـتْ شُعبَـا بـه أشجـانُـهُ
وبـدا لـه مـن بعـد مـا انـدملَ الهوى ... بَـرق تـألّـق مَـوْهِنـا لَمَعـانـه
يبـدو كحـاشيـة الـرِّداء ودونَـهُ ... صعـب الـذُّرَا متمنـعٌ أركـانـه
فـدنـا لينظـر كيـف لاح فلـم يُطِـقْ ... نظـراً إليـه ورده سَجّـانُـه
فـالنـار مـا اشتملـت عليـه ضُلـوعـه ... والمـاءُ مـاسَحّـت[1] بـه أجفـانـه
ثـم استعـاذ مـن القبيـح وردَّهُ ... نحـوَ العـزاء عـن الصِّبـا إيقـانـه
وبـدا لـه أن الـذي قـد نـالـه ... مـا كـان قـدَّره لـه دَيّـانـه
حتـى اطمـأن ضميـرُه وكـأنمـا ... هتـكَ العـلائـقَ عـامـلٌ وسنـانـه[2]
[١٦/٣٦٢] / يـا قلـبُ لا يـذهـبْ بحلمـك بـاخـلٌ ... بـالنَّيْـل بـاذِلُ تـافـهِ مَنّـانـه
يَعِـدُ القضـاءَ وليـس ينجـز مَـوْعـداً ... ويكـونُ قبـل قضـائـه لَيّـانـه[3]
خَـدِلُ الشَّـوَى حَسَـن القَـوام[4] مُخَصَّـر ... عـذبٌ لَمَـاه طيِّـب أردانـه
وأقنـع بمـا قسـم الإلـه فـأمـرُهُ ... مـا لا يـزال علـى الفتـى إتيـانـه
والبـؤس مـاض مـا يـدوم كمـا مضـى ... عصـرُ النعيـم وزال عنـك أوانـه

شجاعته

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن انتصف الليل، وأنا أرى أنه يبيت، فإذا هو قد قام، / فتقلد سيفه، وخرج، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت، وسألته المُقام والمبيت، وأعلمته خوفي عليه، فالتفت إليّ مبتسماً وقال: [٩٠/١٥]

إذا مـا اشتملـتُ السيفَ والليـلَ لـم أُهَـلْ ... لِشـيءٍ ولـم تَقْـرَع فـؤادي القـوارِعُ

شعره في الجواري الباكيات

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل، فرأى الجواري يلطمن عنده، فأنشدني لنفسه:

رأيـت بسـامَـرّا صَبيحـةَ جمعـة ... عيـونـاً يـروق النـاظـريـن فتُـورُهـا

---

(١) أ، م: جادت.
(٢) العامل من الرمح: صدره، وهو ما يلي السنان.
(٣) ليانه: إخلاف موعده، وهو مصدر لواه بحقه: إذا ماطله.
(٤) أ، م: القيام.

تـزور العِظـام البـاليـاتِ لـدى الثَّـرَى تَجـاوزَ عـن تلـك العظـام غَفـورُهـا
فلـولا قضـاءُ الله أن تَعْمُـرَ الثـرى إلـى أن يُنـادَى يـوم يُنْفَـخُ صُـورُهـا
لقلـتُ عسـاهـا أن تَعِيـش وأنهـا ستُنْشَـرُ مـن جَـرّا عيـونٍ تـزورهـا
/ أسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ شُئـون المـآقِـي ثـم سَـحَّ مَطيـرهـا [١٦/ ٣٦٣]
بـوبـلٍ كـأتْـوام الجمـان يُفيضُـه علـى نحـرهـا أنفـاسُهـا وزفيـرهـا
فيـا رحمـةً مـا قـد رحمـتِ بَـواكيـا ثقـالاً تـواليهـا لِطـافـاً خُصـورهـا

تزوّجه من أخت عيسى بن موسى الحرّي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المدبِّر قال:

جاءني محمد بن صالح الحسَنيّ، فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرِّيّ، أو أخته حَمدونة. ففعلت ذلك، وصرت إلى عيسى، فسألته أن يجيبه، فأبى، وقال لي: لا أكذبك، والله ما أرده لأني لا أعرف أشرف وأشهر منه لمن يصاهره، ولكني أخاف المتوكل وولده بعده على نعمتي ونفسي، فرجعت إليه، فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدّة، ثم عاودني بعد ذلك، وسألني معاودته، فعاودته ورَفقْت به، حتى أجاب، فزوّجه أخته، فأنشدني بعد ذلك محمد:

خطبتُ إلـى عيسى بـن مـوسى فـردَّني فللّـهِ والـى حُـرَّة وعلَيقُهـا
لقـد ردنـي عيسـى ويعلـم أنننـي سليلُ بنـات المصطفـى وعـريقهـا
وإن لنـا بعـد الـولادة نبعـةً نبـيُّ الإلـه صِنْـوهـا وشقيقُهـا
فلمـا ابـى بُخـلاً بهـا وتمنُّعـا وصيَّـرنـي ذا خُلّـة لا يُطِيقهـا
تـداركنـي المـرءُ الـذي لـم يـزل لـه مـن المكـرُمـات رحبُهـا وطليقُهـا
سَمِـيُّ خليـل اللهِ وابـنُ وليـه وحَمّـالُ أعبـاء العُـلا وطـريقُهـا
وزوَّجهـا والمـنُّ عنـدي لغيـره فيـابيعـةً وفّتنـيَ الـربح سـوقُهـا
ويـا نعمـةً لابـن المـدبِّـر عنـدنـا يجِـدّ علـى كـر الـزمـان أنيقهـا

قال ابن مهرويه: قال لي إبراهيم بن المدبر:

/ شعره في حمدونة زوجته [١٦/ ٣٦٤]

فلما نُقِلت حمدونة إليه شُغف بها، وكانت امرأة جميلة عاقلة، فأنشدني لنفسه فيها:

لعمـرُ حمـدونـةَ إنّـي بهـا لمغـرمُ القلـبِ طـويـلُ السَّقـام
مجـاوز للقـدر فـي حُبِّهـا مبـايـنٌ فيهـا لأهـل المـلام
/ مُطَّـرِحٌ للعـذل مـاضٍ علـى مخـافـة النفـس وهـولِ المَقـام [٩١/ ١٥]
مُشـايعـي قلـب يخـاف الخَنـا وصـارمٌ يقطـع صُـمَّ العظـام

جَشَّمني ذلك وَجْدي بها … وفضلُها بين النساء الوِسام
ممكورة الساقِ رُدَيْنِيَّةٌ … مع الشَّوَى الخَدْلِ وحسن القَوام
صامتة الحِجْل خَفوق الحَشَا … مائِرة الساق ثَقالُ القِيام
ساجية الطَّرْف نئوم الضُّحى … منيرة الوجه كبَرْقِ الغَمام
زينها اللهُ وما شانَها … وأُعطيت مُنيتَها من تَمام
تلك التي لولا غرامي بها … كنتُ بسامرَّا قليلَ المُقام

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة.

قصته مع حمدونة زوجته

وحدثني عمي عن أبي جعفر بن الدَّهقانة النديم قال: حدثني إبراهيم بن المدبّر قال:

جاءني يوماً محمد بت صالح الحَسَني العلويّ بعد أن أُطلِق من الحبس، فقال لي: إني أريد المُقامَ عندك اليوم على خلوة، لأبُثَك من أمري شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا. فقلت: أفعل. فصرفت من كان بحضرتي، وخلوت معه، وأمرت برد دابّته، وأخذ ثيابه؛ فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا، قال لي: أُعلمك أني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفُلانية، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزُها وأنيخ الجمال، ٣٦٥/١٦ إذ طلعت عليّ امرأة / من العَمَارِيَّة[1]، ما رأيت قط أحسن منها وجهاً، ولا أحلى منطقاً، فقالت: يا فتى، إن رأيتَ أن تدعوَ لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش، فقلت: وقد رأيته وسمع كلامك. فقالت: سألتك بحق الله وحق رسوله ﷺ أنت هو؟ فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو. فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرْبي، ولأبي مَحَلٌّ من سُلْطانه، ولنا نِعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ، وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني، وهذه ألف دينار معي لنفقتي، فخذها حلالاً، وهذا حَلْيٌ عليّ من خمس مِئة دينار، فخذه وضَمِّنّي ما شئت بعده، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني، واحمني من أصحابك، ومن عار يلحقني. فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً؛ فقلت لها: قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فناديت في أصحابي، فاجتمعوا، فناديت فيهم[2]: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها، وخَفَرتها وحميتُها، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي، فمن أخذ منها خيطاً أو عِقالاً فقد آذنته بحرب. فانصرفوا معي، وانصرفت.

فلما أُخِذت وحُبِست، بينا أنا ذات يوم في مَحبِسي إذ جاءني السَّجّان وقال لي: إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حُظِر عليّ أن يدخل عليك أحد، إلا أنهما أعطتاني دُمْلُج ذَهب، وجعلتاه لي إن أوصلتهما ٣٦٦/١ إليك، وقد أذِنت لهما، وهما في الدِّهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكرت فيمن يجيئني في هذا / البلد / وأنا به

(١) العمارية: لعله يريد المظلة، نسبة إلى العمارة، وهي رقعة مزينة تخاط في المظلة علامة على الرياسة أو الوجاهة (انظر «تاج العروس»).
(٢) أ، م: فأعلمتهم.

غريب، لا أعرف أحداً، ثم قلت: لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتي، فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خَلْقي، وثقل حديدي، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: إيْ والله، إنه لهو هو، ثم أقبلت عليّ فقالت: فِداك أبي وأمي، والله لو استطعت أن أقيكَ مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت، وكنتَ بذلك مني حقيقاً، ووالله لا تركتُ المعاونة لك، والسعي في حاجتك، وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطِيب، فاستعن بها على موضعك، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك، حتى يفرّج الله عنك. ثم أخرجت إلي كِسوة وطيباً ومائتي دينار، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف، وتُواصلُ[1] برَّها بالسَّجّان، فلا يمتنع من كل شيء أريده.

فمنّ الله بخلاصي، ثم راسلتها فخطبتها، فقالت: أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلى أبي، فأتيته، فخطبتها إليه، فردني، وقال: ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها، وقد صيرتَها فضيحة، فقمت من عنده منكّساً مستَحِياً، وقلت له في ذلك:

رَمَـوْنـي وإيـاهـا بشنعـاءَ هُـمْ بهـا ... أحـقّ أدال الله منهـمْ فعجَّـلاَ
بـأمـر تـركنـاه وربِّ محمـد ... عِيـانـاً فـإمـا عِفَّـةً أو تجمُّـلاَ

فقلت له: إن عيسى صنيعة أخي، وهو لي مطيع، وأنا أكفيك أمره.

فلما كان من الغد لقيتُ عيسى في منزله، وقلت له: قد جئتك في حاجة لي؛ فقال: مَقْضية، ولو كنت استعملتَ ما أحبه لأمرتني فجئتك، وكان أسرَّ إليّ. فقلت له: قد جئتك خاطباً إليك ابنتك. فقال: هي لك أمَة، وأنا لك عبد، / وقد أجبتك. فقلت: إني خطبتها على من هو خير مني أباً وأماً، وأشرف لك صهراً ومُتَّصلاً، محمد بن صالح العَلوِيّ. فقال لي: يا سيدي، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنة، وقيلت فينا أقوال. فقلت: أفليست باطلة؟ قال: بلى، والحمد لله. قلت: فكأنها لم تقل، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع، ولم أزل أرفُق به حتى أجاب، وبعث إلى محمد بن صالح فأحضرته، وما برحتُ حتى زوجته، وسُقْت الصَّداق عنه. [٦٧/١٦]

مدحه إبراهيم بن المدبر

قال أبو الفرج الأصْبهاني:

وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقة كانت بينهما، فمن جيد ما قاله فيه قوله:

أتخبِـر عنهـم الـدِّمَـنُ الـدُّثـور ... وقـد يُنبِـي إذا سُئـل الخبيـرُ
وكيـف تُبيِّـنُ الأنبـاءَ دارٌ ... تعـاقَبَهـا الشمـائـلُ والـدَّبُـورُ

يقول فيها في مدحه:

فهـلاَّ فـي الـذي أولاكَ عُـرْفـا ... تُسَدِّي مـن مقـالـك مـا تُنِيـر[2]

---

(١) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: يتواصل.

(٢) تسدّي: تقوي لحمة الثوب بالسدي. وتنير: تنسج النير، وهو لحمة الثوب

ثناءً غيرَ مختلَقٍ[١] ومَدْحا ... معَ الركبان يُنْجِد أو يَغُور
أخٌ واساك في كَلَبِ الليالي ... وقد خَذَلَ الأقاربُ والنصيرُ
حِفاظاً حين أسلمك الموالي ... وضَنَّ[٢] بنفسه الرجلُ الصبور
فإن تشكر فقد أولى جميلاً ... وإن تكفر فإنك لَلْكَفورُ
/ وما في آل خاقانَ اعتصامٌ ... إذا ما عُمَّم الخَطْبُ الكبير
/ لئام الناس إثراء وفقراً ... وأعجزُهم إذا حمِيَ القَتِير
قُوَيْم[٣] لا يزوّجهم كريمٌ ... ولا تُنْشَى لنسوتهم مُهُور

٩٣/١٥ [١٦/٣٦٨]

وإنما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيى قَصَّر به وتحامل عليه، وكان يقول ما يكره، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه، وكان فيه وفي ولده نَصْب[٤] شديد.

ولمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب.

صداقته لسعيد بن حميد

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال:

كان محمد بن صالح العلويّ حُلْو اللسان، ظريفاً أديباً، فكان يسُرُّ من رأى مخالطاً لسَراة الناس، ووجوه أهل البلد، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حُمَيد، وكانا يتقارضان الأشعار، ويتكاتبان بها. وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلويّ:

أصاحِبُ من صاحبتُ ثُمَّتَ أَنْثَني ... إليك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أبى القلبُ أن يُرْوَى بهم وهو حائمٌ ... إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا
ولكن إذا جئناكَ لم نبغ مَشْرَباً ... سِواك ورَوَّيْنا العظامَ الصَّواديا[٥]

قال عبد الله بن طالب[٦]:

وكان بعض بني هاشم دعاه، فمضى إليه، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأُخبِر بموضعه عند الهاشميّ، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

[١٦/٣٦٩] / قال عبد الله: وشرب يوماً هو وسعيد بن حُميد، فسكر محمد بن صالح قبله، فقام لينصرف، والتفت إلى سعيد وقال له:

(١) أ، م: غير مخلوق.
(٢) أ، م: وصد.
(٣) كذا في أ، م، وفي بقية الأصول: لئام.
(٤) نصب: كره لآل عليّ وعداوة.
(٥) أ، م: العواريا، ولعله يريد عظام آبائه الذين ماتوا، وكان بينهم وبين آباء الممدوح صلات مودّة.
(٦) أ، م: ابن أبي طالب.

لعمـــرُك إنّنـــي لمـــا افتـــرقنـــا أخـــو ضِـــنّ بخُلْصـــانـــي سعيـــدِ
تبقّتْـــه المـــدامُ وأزعجتنِـــي إلـــى رحلـــي بتعجيـــل الـــورودِ

سعيد بن حميد يرثيه

قال: وتوفى محمد بن صالح بسُرّ من رأى، وكان يَجْهد في أن يُؤذن له في الرجوع إلى الحجاز، فلا يجاب إلى ذلك، فقال سعيد يرثيه:

بـأيّ يـد أسطـو علـى الـدهـرِ بعـدمـا أبـان يـدي عضْـبُ الـذُّنـابيـن قـاضـبُ
وهـاضَ جَنـاحـي حـادثٌ جَـلَّ خطبُـه وسُـدَّت عـن الصبـر الجميـل المـذاهـب
ومـــن عـــادة الأيـــام أنَّ صُـــروفهـــا إذا سَـــرَّ منهـــا جـــانـــبٌ ســـاءَ جـــانـــب
لعمـــري لقـــد غـــال التجلـــدَ أننـــا فقـــدنـــاك فقـــد الغيـــثِ والعـــامُ جـــادب
فمـــا أعـــرفُ الأيـــامَ إلا ذميمـــةً ولا الـــدهـــرَ إلا وهـــو بـــالثـــأرِ طـــالـــب
ولا لـــي مـــن الإخـــوان إلا مكـــاشِـــرٌ فـــوجـــه لـــه راضٍ ووجـــه مُغـــاضِـــب
فقـــدتُ فتـــىً قـــد كـــان لـــلأرض زينـــة كمـــا زَيَّنـــتْ وجـــهَ السمـــاء الكـــواكـــب
لعمـــري لئـــن كـــان الـــردَى بـــك فـــاتنِـــي وكـــلُّ أمـــرىء يـــومـــاً إلـــى الله ذاهـــب
لقـــد أخـــذتْ منـــي النـــوائـــبُ حكمَهـــا فمـــا تـــركـــتْ حَقـــاً علـــيَّ النـــوائـــب
ولا تـــركتنـــي أرهـــبُ الـــدهـــرَ بعـــدَه لقـــد كـــلَّ عنـــي نـــابـــهُ والمخـــالـــب
سقـــى جَـــدَثـــا أمســـى الكـــريـــمُ ابـــنُ صـــالـــح يَحُـــلّ بـــه، دانٍ[1] مـــن المُـــزن ســـاكـــب
/ إذا بشَّـــرَ الـــرُّوادَ بـــالغيـــث بـــرقـــه مَـــرَتْـــه الصَّبـــا واستحْلبتـــه الجنـــائـــب
فغـــادر بـــاقـــي الـــدهـــر تـــأثيـــرُ صَـــوْبـــه رَبيعـــاً زَهَـــت منـــه الـــرُّبـــا والمـــذَانـــب

٩٤/١٥

/ إطلاقه من الحبس [١٦/ ٧٠]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حدّثني المبرّد قال:

لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى تَوَصل بُنان له، بأن غَنَّى بين يدي المتوكل في شعره:

وبـدا لـه مـن بعـد مـا انـدمـل الهـوى بـرق تـألـق مَـوْهِنـاً لمعـانُـهُ

فاستحسن المتوكل الشعرَ واللحن، وسأل عن قائله، فأخبر به، وكُلِّم في أمره، وأحسنتِ الجماعة رِفْدَه، وقام الفتح بأمره قياماً تاماً. فأمر بإطلاقه من حبسه، على أن يكون عند الفتح وفي يده، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألّا يبرح من سُرّ مَنْ رأى، فأُطلِق، وأخَذ عليه الفتحُ الأيمان المَوْثقة ألا يبرح من سُرّ من رأى إلا بإذنه، ثم أطلقه.

مدحه المتوكل والمنتصر

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جِياد كثيرة، منها قوله في المتوكل:

(١) أ، م: وان. يريد الثقيل من السحاب، الذي لا يسرع في سيره.

أَلِفَ التُّقَى ووفَى بنذر الناذرِ ... وأبى الوقوفَ على المحل الدائرِ
ولقدْ تَهِيج له الديارُ صبابةً ... حيناً وتَكَلُّف بالخليط السائرِ
فرأى الهدايةَ أن أناب وأنهُ ... قصرَ المديحَ على الإمام العاشرِ
يا بن الخلائف والذين بهَديهمْ ... ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغادرِ
وابنَ الذين حَوَوْا تُراث محمدٍ ... دون الأقارب بالنصيب الوافرِ
نَطَق الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقاً ... ومضتْ به سُنَنُ النبيّ الطاهرِ
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدَى ... إذ نِلْتها وأنمتَ عين الساهرِ
أحييتَ سنة من مضى فتجددتْ ... وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسرِ
فافخرْ بنفسك أو بجَدِّك مُعْلِناً ... أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ
[١٦/٣٧١] / ما للمكارم غيرُكُم من أولٍ ... بعدَ النبيّ وما لَها من آخرِ
إني دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي ... والموتُ مني قِيدُ شِبْر الشابرِ
فانتشتَني من قَعْر مَوْرِدة الردَى ... أمنا[١] ولم تسمع مقالةَ زاجرِ
وفككتَ أسري والبلاءُ مُوَكَّل ... وجبرتَ كَسْراً ما له من جابرِ
وعطفتَ بالرَّحِم التي ترجُو بها ... قربَ المحَلّ من المليك القادرِ
وأنا أعوذ بفضل عفوِك أن أرَى ... غَرَضاً ببابك للمُلِم الفاقرِ[٢]
أو أن أُضَيَّع بعدما أنقذتَني ... من رَيب مُهْلِكة وجَدٌّ عاثرِ
ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مكدِّر ... ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكرِ

هجاؤه أبا الساج

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدّثنا الفضل بن سعيد بن أبي حَرْب قال: حدّثني أبو عبد الله الجُهَنِيّ قال:

دخلت على محمد بن صالح الحَسَني في حبس المتوكل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا الساج:

ألم يحزنك يا ذلفاءُ أنّي ... سكنتُ مساكن الأموات حَيّا
[٩٥/١٥] / وأنّ حمائلي ونجادَ سيفي ... علونَ مُجَدَّعاً أشْروسَنِيّا[٣]
فقصَّرهنّ لما طُلْنَ حتى اسـ ... ـتوين عليه لا أمْسَى سَوِيّا
أما والراقصاتِ بذات عرق ... تريدُ البيت تحسبها قِسِيّا

(١) أ، م: منا.
(٢) المسلم الفاقر: الحادث الذي يكسر فقار الظهر.
(٣) أبو الساج الأشروسني: أحد قواد المعتمد العباسي. توفي سنة ٢٦٦.

لــوَ أمكنتنــي غــداتَئــذٍ جِــلاد لألفــونــي بــه سَمْحــاً سَخيــا

/ وله في الغزل والحنين [١٦/٣٧٢]

قال ابن عمار: وأنشدني عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضاً:

نظـرتُ ودونـي مـاءُ دجلـة مَـوْهِنـاً بمطـروفـة الإنسـان محسـورة جـدًّا

لتُـؤْنـس لـي نـاراً بليـلٍ[1] تـوقَّـدَتْ وتـالله مـا كلفتهـا نظـراً قَصْـداً

فلـو أنهـا منهـا المقلـتُ كـأنني أرى النـارَ قـد أمسـت تضـيء لنـا هِنْـداً

تضـيء لنـا منهـا جَبينـاً ومَحْجِـراً ومبتسَمـاً عَـذْبـاً وذا غُـدَر جَعْـداً

انقضت أخباره.

صوت

شعر لأبي داود فيه غناء

يـا عـدِيّـا لقلبـكَ المهتـاجِ أن عفـا رسـمُ منـزلٍ بـالنَّبـاجِ

غيـرتـه الصَّبَـا وكُـلُّ مُلِـثٌّ دائـم الـودقِ ذي أهـاضيـبَ داج

وحملنـا غـلامَنـا ثـم قُلْنـا هـاجـرُ العِيـس ليـس منـك بنـاج

فـانتحـى مثـل مـا انتحـى بـازُ دَجْـنٍ جَـوَّعتـه القُنّـاص للـدُّرّاج

الشعر لأبي دُواد الإياديّ. والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة. وفيه لعَريب هزج. وفيه ثقيل أول، ينسب إلى يزيدَ الحَذّاء، وإلى أحمد النَّصيبيّ.

---

(١) «معجم البلدان»: «ناراً بتثليث أوقدت». وتثليث: موضع قرب مكة.

[١٦/٣٧٣]

/ ذكر أخبار أبي دواد الإيادي ونسبه

نسبه وشعره

هو فيما ذكر يعقوب بن السكِّيت: جارِيَة بن الحجّاج. وكان الحجاج يلقب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ. وقال ابن حبيب هو جارِيَة بن الحجّاج أحد بني بُرْد بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وصافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفَرَس أكثر.

جار أبي دواد

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: حدثني الهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ، عن أبيه، والشَّرْقيّ:

أن أبا دُواد الإياديّ مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذُهل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن لأبي دُواد وهو في جواره فوداه، فمدحه أبو دُواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دُواد، وفيه يقول قيس بن زهير:

أُطَــوّف مــا أُطَــوّفُ ثــم آوِي إلــى جــار كجــار أبــي دُوادِ

هذه رواية هؤلاء؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: جاور أبو دُواد الإيادي كعب بن مامة الإيادي، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها، وفيه يقول طَرَفة يمدح عمرو بن هند:

* جارٌ كجار الحُذاقيّ الذي انتصفا[1] *

[١٦/٣٧٤] [٩٦/١٥]

/ وكان لأبي دواد ابن يقال له دُواد شاعر، وهو الذي يقول يرثي أباه:

فبـات فينـا وأمسـى تحتَ هـائـرة[2] مـا بعـد يـومـك مـن مُمْسـىً وإصبـاحِ

لا يــدفــع السُّقْــمَ إلا أنْ نُفَــدِّيَــهُ ولــو ملكنــا مسكنــا السُّقْــم بــالــراحِ

هو وزوجته وابنه

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال:

---

(١) الشطر الأول من البيت هو: «إني كفاني من هم هممت به». والحذاقي: هو أبو دواد، نسبه إلى حذاق، قبيلة من إياد.

(٢) أ، م: هابرة، ولعلها محرفة عن هائرة بمعنى ساقطة، يريد الأرض أو الحفرة. وفي بقية الأصول: هادية. ولعلها محرفة عن هاوية.

تزوج أبو دُواد امرأة من قومه، فولدت له دُواداً ثم ماتت، ثم تزوج أخرى، فأولعت بدُواد، وأمرت أباه أن يجفوَه ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت: أخرجه عني، فخرج به وقد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمداً، وقال: أيْ دُواد، انزل فناولني سَوْطي. فنزل، فدفع بعيره وناداه:

أدوادُ إن الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دوادُ لأي أرض تَعْمِدُ؟

فقال له دُواد: على رِسْلك. فوقف له فناداه:

وبأي ظنك أن أقيمَ ببلدةٍ ... جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ[1]

فرجع إليه وقال له: أنت والله ابني حقاً، ثم رده إلى منزله، وطلق امرأته.

لوم زوجته إياه لسماحه بالمال

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبي عمرو الشيبانيّ قال:

كانت لأبي دُواد امرأة يقال لها أم حَبْتر، وفيها يقول:

أصبحت أم حَبتر تشكوني ... في ثلاثين ذعْذَعتها[2] حقوقٌ

زعمت لي بأنني أفسد الما ... لَ وأزويه[3] عن قضاء ديوني

أمَّلت أن أكون عبد المالي ... وتَهَنَّا بنافع المال دوني

/ وهي طويلة. قال: ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعْتبها[4]، فصرمته: [٣٧٥/١٦]

حاولتُ حين صَرَمْتِني ... والمرءُ يعجز لا مَحَالهْ

والدهر يلعب بالفتى ... والدهر أروغُ من ثُعالهْ[5]

والمرء يكسِب مالَهُ ... والشُّحّ يُورِثُهُ الكَلالَه

والعبدُ يُقْرع بالعصا ... والحرُّ تكفيه المقالهْ[6]

والسُّكْت خير للفتى ... فالحَينُ من بعض المقاله

وصاف الخيل من الشعراء

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال:

ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طُفَيل، وأبو دواد، والجَعديّ. فأما أبو دُواد فإنه كان على خيل

(١) تلدد في المكان: تلبث.
(٢) بددتها وفرقتها.
(٣) أنحيه.
(٤) لم يرضها.
(٥) ثعالة: الثعلب.
(٦) هامش أ عن نسخة أخرى: المخالة، وهي الظن.

المنذر بن النعمان بن المنذر[١]. وأما طُفيل فإنه كان يركبها وهو أغرَل[٢] إلى أن كبر. وأما الجعديّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء[٣]، فأخذ عنهم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طُفَيل الغنويّ والنابغة الجعديّ.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابيّ قال:

لم يصف أحد قَطُّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دُواد، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حَجَر، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة / بن عَبَدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني. ٩٧/١٥

/ رأي علي وأبي الأسود في أشعر الناس [١٦/٣٧٦]

أخبرني عمي قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثنا عُيينة بن المنهال قال: حدّثنا شدّاد بن عبيد الله قال: حدّثني عبيد الله بن الحرّ العَنَزيّ القاضي، عن أبي عَرادة قال:

كان عليّ صلوات الله عليه يُفطِر الناسَ في شهر رمضان، فإذا فرغ من العَشاء تكلم، فأقلّ وأوجز، فأبلغ. فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤَلي: قل يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود، وكان يتعصب لأبي دُواد الإياديّ: أشعرهم الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافعُ رُكني ... أحْوَذِيٌّ ذو مَيْعَة إضْريجُ[٤]

مِخْلَط مِزْيَل مِكَرٌّ مِفَرٌّ ... مِنْفَح مِطْرَح سَبوحٌ خَروج[٥]

سَلْهَبٌ شَرْجَبٌ كأنَّ رِماحاً ... حَمَلَتْه وفي السَّراة دُموج[٦]

وكان لأبي الأسود رأي في أبي دُواد، فأقبل عليّ على الناس، فقال: كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد، وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن / أحد فَضَلَهم، فالذي لم يقل رَغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر، فإنه كان أصحهم بادرة، وأجودهم نادرة. [١٦/٣٧٧]

---

(١) في هامش أ: ليس من المناذرة من نسبه هكذا. فلعله محرف عن المنذر بن ماء السماء، وسيصرح بذلك قريباً.

(٢) الأغرل: الصبي الذي لم يختن.

(٣) أ، م: فإنه سمع من الشعراء.

(٤) الأحوذي ها هنا: من قولهم: حاذ الإبل يحوذها إذا ساقها؛ ويريد به السرعة، وفي وصف الرجال: الألمعي. والميعة: النشاط والسرعة. والإضريج: السريع.

(٥) يقال: رجل مخلط مزيل: كيس لطيف، أو هو الجدل في الخصومات، يزول من حجة إلى حجة، كذا في «اللسان» و «التاج» و «النهاية» لابن الأثير، ولم يصفو الخيل بذلك، ولكن يمكن أن يفهم منه أن أباد دواد يصف الحصان بأنه يحسن الجري، ويأتي منه بفن بعد فن، أو يحسن مباراة الخيل في السير، وينتقل فيه من حال إلى حال أحسن منها. والمنفح: الذي يتفح بقوائمه في العدو، أي يرمي بحدّ حوافره ويدفع. والمطرح: السريع. والخروج: الذي يسبق الخيل، فيخرج من بينها.

(٦) السلهب والشرجب: الطويل. وفي هامش أ: يقال: فرس سلهبة، ولم أسمع بالمؤنث من الشرجب. والسراة: الظهر. والدموج: الإحكام والملاءمة.

إهمال الرواة لشعره

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال:

كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد ولا عديّ بن زيد، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[1]، قال: وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل.

افتراق الإياديين ثلاث فرق

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني ابن أبي الهَيذام قال:

اسم أبي دواد الإيادي جُوَيرية بن الحجاج. وكانت له ناقة يقال لها الزَّبّاء، فكانت بنو إياد يتبركون بها. فلما أصابتهم السنة تفرّقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت في البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن هَمّام.

وكان السببُ في ذلك أنهم أرسلوا الزَّبّاء، وقالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها، فحيث توجهت فاتبعوها. وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة. فخرجت تخوض العرب، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن هَمّام، وكان أكرم الناس جِواراً، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل. فقال أبو دواد يمدح الحارث، ويذكر ناقته الزَّبّاء:

فـإلَـى ابـن هَـمّـامِ بـن مُـرّة أصعـدتْ ظُعُـنُ الخليـط بهـم فقـلّ زِيـالُهـا
أنعمـتَ نِعمـةَ مـاجـد ذي مِنـة نُصِبَـت عليـه مـن العُـلا أظـلالُهـا
وجعلتَنـا دون الـولـيّ فـأصبحـت زبـاءُ منقطعـاً إليـك عِقـالُهـا

/ **فخر إياد على العرب** [٣٧٨/١٦]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا يحيى بن سعيد قال:

كانت إيادُ تفخر على العرب، تقول: منا أجود الناس كعب بن مامة، ومنا أشعر الناس أبو دواد، ومنا أنكح الناس ابن ألْغَز[2].

ابن ألغز

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال:// حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدّثني القَحْذَميّ قال: ٩٨/١٥

كان ابن ألْغَزَ أيِّرا، فكان إذا أنعظ احتكت الفِصال بأيره، قال: وكان في إياد أمرأة تستصغر أيور الرجال، فجامعها ابن ألْغَزَ، فقالت: يا معشر إياد، أبالرُّكَب تجامعون النساء؟ قال: فضرب بيده على أليتها وقال: ما هذا؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول: هذا القمر. فضرب العربُ بها المثل: «أريها استَها وتريني القَمَرَ». وأنشد وقد كان الحجاج مَنَع من لحوم البقر خوفاً من قِلّة العِمارة في السواد، فقيل فيه:

(١) صرح ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ص ١٢١ بهذه المخالفة، فقال: لأن ألفاظهما ليست بتجدية. وكذلك قال المرزباني في «الموشح».

(٢) قال في «تاج العروس»: واسمه سعد أو عروة بن أشيم. . . أو الحارث. ولا خلاف في اسم أبيه أشيم.

شكونا إليه خرابَ السوادِ فحرَّم فينا لُحومَ البقرْ

فكنا كمن قال من قبلنا أُريها استَها وتريني القمَرْ

رأي الحطيئة في أشعر الشعراء

أخبرني عمي عن الكراني، عن العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه.

وأخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدّثني العُمريّ عن لقيط قال: أخبرني التَّوزي عن أبي عبيدة قال:

كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة، فتذاكروا الشعراء، وفضوا بعضهم على بعض وهو ساكت، فقال له: يا أبا مُلَيكة ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم والله أشعر الشعراء، ولا أنشدتم أجود الشعر. فقالوا: فمن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول:

[٣٧٩/١٦] / لا أعدُّ الإقتار عُدماً ولكن فقدُ من قد رُزِئته الإعدام

والشعر لأبي دواد الإياديّ. قالوا: ثم من؟ قال: ثم عَبيد بن الأبرص. قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم والله بي إذا أخذَتْني رغبة أو رهبة، ثم عَوَيْت في إثْر القوافي عُواء الفصيل في إثر أُمِّه.

أسرة أبي دواد تصف الثور

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، قال: حدّثني عمي، وأخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن هَجّاس بن مَرير الإيادي، عن أبيه، وكان قد أدرك الجاهلية، قال:

بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة، وإياد إذ ذاك بالسواد، إذ خرج ثور من أجمة، فقال أبو دواد:

وبَدَتْ له أُذُن توجَّسُ حُرَّةٌ وأحَمُّ وارِد[1]

وقوائمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمَع زوائد[2]

كمقاعد الرُّقَباء للضُّرَباء أيديهم نواهد[3]

ثم قال: أنفِذي[4] يا أمَّ دُواد، فقالت:

وبَدَتْ له أُذُن توجَّسُ حُرَّةٌ وأحُمٌّ مُولَقْ

وقوائمٌ عَوجٌ لها من خلفها زَمَع مُعَلَّقْ

---

(١) توجس: تسمع إلى الصوت الخفي، وحرة: صادقة السمع مرهفة. والأحم: القرن الأسود والوارد: الطويل.

(٢) الزمع: الشعر الذي في مؤخرة رجلي الشاة أو الظبي، واحدته زمعة.

(٣) الرقباء: الذين يمسكون عيونهم وينظرون سمات القداح. والضرباء الذين يضربون القداح.

(٤) يريد بالإنفاذ هنا: محاكاة شعره مع تغيير الكلمة الأخيرة منه تمريناً على القول، والتمرس بالقوافي.

كمقـــاعـــد الــــرُّقَبـــاء للضُّــــرَبـــاء أيــــديهـــمْ تـــأْلَـــقْ

/ ثم قال: أنفذْ يا دُواد. فقال: [١٦/ ٣٨٠]

وبـــدت لـــــه أُذن تـــوجَّـــسُ حُـــرَّةٌ وأحـــمُّ مـــرهَـــفْ
وقـــوائـــمٌ عَـــوجٌ لهـــا مـــن خلفهـــا زَمَـــع ملفَّـــفْ
كمقـــاعـــد الـــرُّقَبـــاء للضُّـــرَبـــاء أيـــديهـــمْ تَلَقَّـــفْ

ثم قال: أنفذي يا دُوادة. قالت: وما أقول مع من أخطأ. قالوا: ومن أين أخطأناه؟ قالت: جعلتم له / قرناً واحداً، [٩٩/ ١٥] وله قرنان. قالوا: فقولي. قالت:

وبَـــدَتْ لـــه أُذْن تـــوجَّـــسُ حُـــرَّةٌ وأحَمّتـــانْ
وقـــوائـــمٌ عُـــوجٌ لهـــا مـــن خلفهـــا زَمَـــع ثَمـــانْ
كمقـــاعـــد الـــرُّقَبـــاء للضُّـــرَبـــاء أيـــديهـــمْ دَوانْ

نزاعه مع البهراني وقتل أولاده

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرني عمي عن العباس بن هشام، عن أبيه قال:

كان أبو دُواد الإياديّ الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء. وإن أبا دواد نازع رجلاً بالحِيرة من بهْراء، يقال له رَقَبة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رقبة: صالحني وحالفني. فقال أبو دواد: فمن أين تعيش إياد إذاً، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت، وانصرفا على تلك الحال.

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْراني، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قاله له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبي دواد، فخرجوا إلى الشام، فلَقُوهم فقتلوهم. وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً، ثم أتى المنذر، فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً / كثيراً، [١٦/ ٣٨١] فأنا أحب أن تتغدّى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينا الجِفان تُرفع وتوضع، إذ جاءته جفنة عليها بعض[1] رؤوس بني أبي دُواد، فوثب وقال: أبيت اللعن! إني جارك، وقد ترى ما صُنع بي، وكان رقبة أيضاً جاراً للمنذر. فوقع المنذر منهما في سَوْءة، وأمر برقبة فحبس، وقال لأبي دواد: أما يرضيك توجيهي بكتيبتيّ الشهباء والدَّوسر إليهم؟ قال: بلى. قال: قد فعلت. فوجه إليهم بالكتيبتين.

فلما بلغ ذلك رقَبة قال لامرأته: ويْحَك! الحقي بقومك فأنذريهم. فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها، وصاحت وقالت: أنا النذيرُ العُرْيان. فأرسلتها مثلاً. فعرف القوم ما تريد، فصعدوا إلى أعالي الشأم، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دُواد: قد

(١) كذا في أ، م. وفي بقية الأصول: أحد.

رأيتَ ما كان منهم، وأنا أدِي كل ابن لك بمئتي بعير، فأمر له بستّ مِئةِ بعير، فرضي بذلك، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ:

سأفعل ما بدا ليَ ثم آوِي ... إلى جارٍ كجار أبي دُواد

[١٦/٣٨٢]

صوت

شعر لأبي تمام فيه غناء

ورَكْب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليلَ داج غياهبُهْ

لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدورُه ... وليس عليهم أن تتم عواقبُهْ

الشعر لأبي تمام الطائي. والغناء للقاسم بن زُرْزور، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر. وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل.

أخبرني: إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، وحدثني المظفر بن كَيَغْلَغ عن القاسم أيضاً:

أن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة في رقعة، وهو أمير، وأمر أن يصنع فيهما لحن. فصنع القاسم هذا اللحن، وصنع جعفر خفيف الثقيل.

/ أخبار أبي تمام ونسبه

[١٦/ ٣٨٣]

نسبه ومذهبه الشعري

/ أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ، من نفس طَيِّىء صَلِيبة[1]. مولده ومنشؤه مَنْبِج، بقرية منها يقال لها جاسِم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غَوَّاص على ما يُستصعب منها، ويعسُر مُتناوله على غيره. وله مذهب في المطابقَ، هو كالسابق إليه جميعَ الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضلَ الإكثار فيه، والسلوكِ في جميع طرقه. والسليمُ من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد. وله أشياءُ متوسطة، ورديئة رَذْلة جداً.

١٠٠/١٥

الخلاف حوله

وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرِط، حتى يفضلَه على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القِحَة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس، وطلبَ معايبهم، سبباً للترفُّع، وطلباً للرياسة. وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مُسْقطةً إحسانه؛ ولو كثُرت إساءته أيضاً ثم أحسن، لم يُقَلْ له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والتوسط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتَّبع.

منزلة شعره عنده

وقد رُوِي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم، ولكن مَثَل شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، وإن هَوِي بقاء المتقدم، لم يهوَ موت المتأخر.

[١٦/ ٣٨٤]

/ واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول:

جاءتكَ من نظم اللسان قِلادَةٌ ... سِمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنونُ
أحذاكَها صَنَعُ اللسان يُمدُّه ... جَفْرٌ إذا نضَبَ الكلامُ مَعِينُ
ويُسيءُ بالإحسان ظنّاً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتونُ

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره، كنا في غِنًى عن الاعتذار له.

---

(١) أي ليس من مواليها ولا من حلفائها.

المفضلون له

وقد فضَّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء، من لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه، ولا يدركون - وإن جَدُّوا - آثاره، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جَيِّده نظيراً ولا شكلاً؛ ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رَذْله ودنيئه، لذكرت منه طَرَفا، ولكن قد أتى من ذلك مالاً مزيد عليه.

إعجاب ابن الزيات والصولي بشعره

أخبرني عمي قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طُرّا الذي يقول:

وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقُهُ ... حقنتَ لي ماء وجهي أو حَقَنتَ دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس[1]، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه، وكنت أجري عنده مَجْرى الوَلد، فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول:

مطر أبوك أبو أهلّة وائلٍ ... ملأ البسيطةَ عُدَّةً وعَديدَا

/ نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحَى ... نُوراً ومن فَلَق الصباح عَمُودا

ورثوا الأُبوَّة والحظوظَ فأصبحوا ... جمعوا جُدوداً في العلا وجُدودا[2]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

[١٦/٣٨٥] / **إعجاب عمارة بن عقيل بشعره**

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال: قدم عَمارة بن عَقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه[3]، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: ها هُنا شاعر يزعم [قوم][4] أنه أشعر الناس طُرّاً، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك. فقال: أنشدوني قوله. فأنشدوه:

غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوَى غَدِ ... وعادَ قَتاداً عندها كلُّ مَرقَدِ

وأنقذها من غَمرة الموت أنّهُ ... صُدودُ فراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ

فأجرَى لها الإشفاقُ دمعاً مُوَرَّدا ... من الدم يجري فوق خد مُوَرَّدِ

هِيَ البدرُ يغنيها تَوَدُّدُ وجهِها ... إلى كلِّ من لاقتْ وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عُمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيدَه وقال:

---

(١) هو إبراهيم بن العباس الصولي من كبار الكتاب والشعراء في صدر الدولة العباسية.

(٢) جدود: جمع جد، الأولى بمعنى الآباء، والثانية بمعنى الحظوظ.

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر الأموي المشهور («الخزانة» ١ : ٣٦).

(٤) زيادة يقتضيها المعنى.

ولكنني لم أحوِ وَفراً مُجَمَّعاً ... ففزتُ به إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعطني الأيامُ نوماً مُسَكَّناً ... أَلَذُّ به إلا بنومٍ مُشَرَّدِ

فقال عُمارة: لله دَرُّه! لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حَبَّب إليّ الاغتراب، هِيه. فأنشده:

وطولُ مُقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ

فقال عُمارة: كَمَلَ والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واتساق[1] الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

/ تفضيل علي بن الجهم له [٣٨٦/١٦]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال: سمعت علي بن الجَهم يصف أبا تمّام ويفضله، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب، فإنه أخ بالأدب والمودة؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإننا ... نغدو ونسري في إخاءٍ تالدِ[2]
أو يختلفْ ماءُ الوِصال فماؤنا ... عذْبٌ تحدَّرَ من غمامٍ واحدِ
أو يفترقْ نسبٌ يؤلِّفْ بيننا ... أدبٌ أقمناه مَقامَ الوالدِ

زعم دعبل أنه يسرق معانيه

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله المهلبيّ قال:

كنا في حَلْقة دِعْبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معانيّ فيأخذُها. فقال له رجل في مجلسه: وأي شيء من ذلك، أعزك الله؟ قال: قولي:

وإن امرأً أسْدَى إليّ بشافعٍ ... إليه ويرجو الشكرَ مني لأحمقُ
شفيعَك فاشكر في الحوائج إنه ... يصونُك عن مكروهِها وهو يَخْلُقُ

فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال:

/ فلقيتُ بين يديكَ[3] حُلْوَ عَطائهِ ... ولقيتَ بين يديَّ مُرَّ سُؤالِهِ [١٠٢/١٥]
وإذا امرؤٌ أسدَى إليكَ[4] صَنيعةً ... من جاهه فكأنها من مالِهِ

---

(١) أ، م: واستواء.
(٢) أكدى: خاب ولم ينفع. والمطرف، المستحدث. والتالد: القديم.
(٣) كذا في أ، م و«الديوان». وفي بقية الأصول: «يديه».
(٤) أ، م: إليّ.

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبتَ قَبّحكَ الله. فقال: والله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك. وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلَغه. فغضب دِعبل وانصرف.

[١٦/ ٣٨٧] / تقديم الباهلي له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال:

سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدم أبا تمام ويفضله، ويقول: لو لم يقل إلا مَرْثِيته التي أولها:

* أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا *

وقوله:

لـو يقـدرونَ مَشَـوْا علـى وجَنَـاتهـم ... وجبـاههـم فضـلاً عـن الأقـدامِ

لكفناه.

إعجاب عمارة بن عقيل بشعره

أخبرني عمي قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

كان عُمارة بن عَقيل عندنا يوماً، فسمع مؤدِّباً كان لولد أخي يرَوِّيهم قصيدة أبي تمام:

* الحق أبلج والسيوف عَوارِ *

فلما بلغ إلى قوله:

سُـودُ اللبـاسِ كـأنمـا نَسَجَـتْ لهـم ... أيـدي السَّمـوم مَـدارِعـا مـن قـارِ[(١)]

بَكَـروا وأسْـرَوا فـي مُتـون ضـوامـرٍ ... قِيـدَتْ لهـم مـن مَـرْبـط النَّجـارِ

لا يبـرَحـون ومـن رآهـم خـالهـم ... أبـداً علـى سَفَـر مـن الأسفـارِ

فقال عُمارة: لله دره! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه، كأنه موقوف عليه.

استحسان الصولي لشعره

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما اتكلتُ في مكاتبتي قَطُّ إلا على ما جاش به صدري، وجلبه خاطري، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام:

[١٦/ ٣٨٨] / فـإن بـاشـرَ الإصحـارَ فـالبِيـضُ والقنـا ... قِـراهُ وأحـواضُ المنـايـا مَنـاهلُـه[(٢)]

وإن يَبْـنِ حِيطـانـاً عليـهِ فـإنمـا ... أولئـك عُقَّـالاتُـهُ لا مَعـاقلُـه[(٣)]

وإلا فـأعلمـه بـأنـك سـاخـطٌ ... عليـه، فـإن الخـوف لا شـكّ قـاتِلُـه

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي، فقلت: «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم، وكان كان يَعقلهم يعتقلهم». قال:

(١) المدارع: جمع مدرعة، وهي جبة مشقوقة المقدم.

(٢) الإصحار: البروز إلى الصحراء.

(٣) عقالاته: قيوده.

ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اختُرِم وما استمتع بخاطره، ولا نزحَ رَكِيّ[1] فكره، حتى انقطع رِشاءُ[2] عمره.

أخبرني محمد قال: حدثني أبو الحسين بن السخيّ قال: حدثني الحسين بن عبد الله قال:

سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رَعِية لإحسانك.

تعصب دعبل عليه

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزديّ، وكان يتعصب لأبي تمام:

أنشدت دِعبلَ بن عليّ[3] شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس. فقلت: إنه لأبي تمام. فقال: لعله سرقه!

الشعراء لا يتكسبون إلا بعد موته

أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال:

ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

[٣٨٩/١٦]

/ إعجاب شعراء خراسان به وأنفته

أخبرني عمي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضاً جَحظةَ حدّثنا به، قالوا: حدّثنا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

لما / قدِم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غداً، وستسْمعوني[4]. فلما دخل على عبد الله أنشده: ١٠٣/١٥

هــنَّ عــوادي يــوسـف وصــواحِبُــهْ … فعـزمـاً فقِـدمـاً أدرك السـؤلَ طـالبُـهْ

فلما بلغ إلى قوله:

وقلقَـل نـأيٌ مـن خـراسـان جـأشَهـا … فقلـتُ اطمئنـي أنضرُ الـروض عـازبُـهْ

وركـبٍ كـأطـراف الأسنـة عَـرَّسُـوا … علـى مثلهـا والليـل تسطـو غيـاهِبـه

لأمـــر عليهـــم أن تتـــم صُـدورُه … وليـس عليهـم أن تتـم عــواقبـه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحقّ مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزه الله! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ: لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير. فقال له: بل نضعفها لك،

---

(١) الركي: البئر.

(٢) الرشاء: الحبل يستقي عليه من البئر.

(٣) أ، م: فلاناً، في موضع: دعبل بن عليّ.

(٤) كذا في الأصول بحذف إحدى النونين.

ونقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغِلمان، ولم يمسَّ منها شيئاً، فوجَد عليه عبد الله وقال: يترفع عن بِرِّي، ويتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك.

تقدير أبي دلف لشعره

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحَزَنْبَل، عن سعيد بن جابر الكرخيّ، عن أبيه:

أنه حضر أبا دلَف القاسمَ بن عيسى وعنده أبو تمام الطائيّ، وقد أنشده قصيدته:

[١٦/٣٩٠] / على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ أُذيلَتْ مصُوناتُ الدموع السواكبِ

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسِها وزادت على ما وطَّدت من مَناقِبِ

فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سُيوفُكم عُروش الذين اسْتُرْهِنوا قوسَ حاجبِ

محاسنُ من مجد متى تَقْرُنوا بها محاسنَ أقوامٍ تكن كالمعايبِ

فقال أبو دُلَف: يا معشرَ ربيعة، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قطّ، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفِهم يَرْمون بها إليه. فقال أبو دُلَف: قد قبلَها وأعاركم لبْسها، وسأنوب عنكم في ثوابه. تمّم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذِرنا، فشكره وقام ليقبِّل يده، فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حُميد:

وما مات حتى ماتَ مَضْرِبُ سيفِه من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه إليه الحِفاظ المرُّ والخلُقُ الوعْر

فأثبت في مستنقَع الموت رجلَه وقال لها من تحت أخْمُصِك الحشر

غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائِه[١] فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

كأن بني نَبهانَ يوم مُصابِه نجومُ سماء خرَّ من بينها البدر

يُعَزَّوْن عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلَى ويبكي عليه البأسُ والجود والشعر

$\frac{١٠٤}{١٥}$ فأنشده إياها، فقال: والله لوددت أنها فيّ. فقال: بل أَفْدِّي الأميرَ بنفسي وأهلي، وأكونُ المقدم، / فقال: إنه لم يمت من رُثِي بهذا الشعر، أو مثله.

مدحه الواثق بن أبي دواد

[١٦/٣٩١] أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال: حدّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال:

/ قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد: بلغني أنك أعطَيت أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنه سَكَنٌ لِوَحشتها ودارُ قَرارِ

---

(١) أ، م: حشو ردائه.

ولقــد علمــت بــأن ذلــك مِعْصَـمٌ ... مــا كنــتَ تتــركــه بغيــر ســوارِ

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك.

مدحه خالد بن يزيد الشيباني

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال:

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرْمِينيَة، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره، وقال: تكون العشرة الآلافِ موفورة، فإن أردت الشخوص فاعجل، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والبِرّ. قال: بل أشخص. فودّعه؛ ومضت أيام، وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب، وغلام يغنيه بالطُّنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: ما فعل المال؟ فقال:

عَلَّمنــي جــودُكَ السمــاحَ فمــا ... أبقيــت شيئــاً لــديّ مــن صِلَتــكْ

مــا مــرّ شهــر حتــى سمحــتُ بــه ... كــأنّ لــي قــدرةً كمقــدُرتِــك

تُنفــق فــي اليــوم بــالهبــات وفــي الســاعــة مــا تجتنيــه فــي سَنَتِــك

فلســتُ أدري مــن أيــن تنفــق لــو ... لا أن ربــي يَمُــدّ فــي هبتــك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج.

/ إعجاب الحسن بن رجاء بمدحه فيه

[٣٩٢/١٦]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حدّثنا عون بن محمد الكنديّ قال: حدّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقّيّ، وكان يكتب للحسن بن رجاء؛ قال:

قَدِم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أنــا مَــن[2] عَــرَفْتَ فــإن عــرتــكَ جَهــالــة ... فــأنــا المقيــمُ قِيــامــةَ العُــذّالِ

عــادتْ لــه أيــامــه مُسْــودَّة ... حتــى تــوهــم أنهــن ليــالِ

فقال الحسن: والله لا تسْوَدُّ عليك بعد اليوم. فلما قال:

لا تنكــري عَطَــل الكــريــم مــن الغِنــى ... فــالسيــل حــربٌ للمكــان العــالــي

وتنظَّــري خَبَــبَ الــركــابُ ينصُّهــا ... محيــي القــريــضِ إلــى مميــت المــالِ[3]

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال: والله لا أتممتَها إلا وأنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لمــا بلغنــا ســاحــةَ الحسَــن انقضَــى ... عنــا تملُّــكُ دولــةِ الإمحــالِ

---

(١) زكرة: وعاء من جلد للخمر.

(٢) أ، م و«الديوان»: أنا ذو: وهي بمعنى «من» في لغة طيء.

(٣) «الديوان»: خبب الركاب، والخبب: ضرب من السير السريع. وينصها: يسوقها.

بسطَ الرجاءَ لنا برغم نوائبٍ كثُرتْ بهن مصارعُ الآمالِ
أغلى عَذارى الشعرِ إنّ مُهورَها عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ
تَرِدُ الظُّنونُ بنا[1] على تصديقها ويُحَكِّم الآمالَ في الأموالِ
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدِّقاً بأجلّ فائدةٍ وأيمن فالِ
/ ورأيتَني فسألتَ نفسك سَيْبَها لِي ثم جُدْت وما انتظرتَ سؤالِي
كالغيث ليس له - أُريد غمامه أو لم يرد - بُدٌّ من التَّهطالِ

١٠٥/١٥

/ فتعانقا وجلسا. وقال له الحسن: ما أحسن ما جلَوْت هذه العروس! فقال: والله لو كانت من الحُور العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها. [١٦/٣٩٣]

قال محمد بن سعد: وأقام شهرين، فأخذ على يدِي عشرة آلاف درهم، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء.

دعبل يعتذر عن تعصبه عليه

أخبرني الصُّولي قال: حدّثني عون بن محمد قال:

شهدت دِعبِلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائيّ[2]، فقال: يا أبا علي، اسمع مني ما قاله، فإن أنت رضيته فذاك؛ وإلا وافقتك على ما تذمُّه منه، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه، ثم أنشده قوله:

أما إنه لولا الخليطُ المودِّعُ ومغنًى عفا منه مَصِيفٌ ومَرْبَعُ

فلما بلغ إلى قوله:

هو السيلُ إن واجهته انقدْتَ طَوْعَه وتقتادُه من جانبيه فيَتْبَعُ
ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ولم أر ضُرّاً عند من ليس ينفع
مَعادُ الورَى بعد الممات وسيبُه معادٌ لنا قبل المماتِ ومَرجِع

فقال له دِعبل: لم ندفع فضلَ هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه على من يتقدمه، وتنسُبون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة: إحسانه صيرك له عائباً، وعليه عاتباً.

مدحه محمد بن الهيثم ومكافأته

أخبرني الصُّولي قال: حدّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال:

حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

أسْقَى ديارَهُمُ أجشُّ هَزيمُ وغدتْ عليهمْ نضرةٌ ونعيمُ

(١) بنا: كذا في «الديوان». وفي الأصول: به.

(٢) الجرجرائي: نسبة إلى جرجرايا، من بلاد العراق، بين واسط وبغداد، من الجانب الشرقي.

/ قال: فلما فرغَ أمر له بألفِ دينار، وخَلَع عليه خِلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غَد كتب إليه أبو [١٦/٣٩٤] تمام:

قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ ... مكتسٍ من مَكارم ومَساعِ[1]

حُلَّةً سابريَّة ورِداءً ... كَسَحا القيضِ أو رداءِ الشُّجاعِ[2]

كالسَّراب الرَّقْراق في الحسن إلا ... أنه ليس مثلَه في الخِداعِ[3]

قَصَبِيًّا تسترجِفُ الريحُ مَتنيه ... بأمرٍ من الهبوب مطاعِ[4]

رَجَفانا كأنه الدهرَ منه ... كبِدُ الصَّبِّ أو حشا المُرْتاعِ

لازما ما يليه تحسِبه جُزْ ... ءاً من المَتْنَتَيْنِ والأضلاعِ[5]

يَطْرُدُ اليومَ ذا الهَجير ولو شُبِّهَ في حرِّه بيوم الوَداعِ

خِلعةً من أغرَّ أرْوَعَ رَحْب الصَّدر رحب الفؤاد رحب الذراعِ[6]

سوف أكسوك ما يُعَفِّي عليها ... من ثناء كالبُرد بُرْدِ الصَّناعِ[7]

حسن هاتيكَ في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماعِ

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يُعْطِي على هذا مُلكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعتُه إلى / أبي تمام، فأمر له [١٠٦/١٥] بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

/ رضا عبد الله بن طاهر عنه بعد عتبه [١٦/٣٩٥]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي الفضل قال: لما شَخَص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلَد، وقد كان عبد الله وجَد عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسَسها بيده، ترفعاً عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فِعلي، ويترفع عليّ. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام:

لم يبق للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ ... ولا قشيبٌ فَيُسْتَكسَى ولا سَمَلُ[8]

عدلٌ من الدمع أن يُبكي المَصيفُ كما ... يُبكى الشبابُ، ويُبكي اللهوُ والغَزَلُ

---

(١) الخرق: السخيّ.

(٢) السابرية من الثياب: الرقيقة النسج الجيدة. وسحا القيض: قشر البيض الذي تحت القشرة الصلبة. والشجاع: الحية.

(٣) الرقراق: المتلألىء.

(٤) القصبي من الثياب: الرقيق الناعم من الكتان. وفي س: «وقسيا»، ولا يتفق مع وزن البيت إلا بتخفيف سينه، ولا يلائم المعنى هنا إلا «القسي» بشد السين، وهي ثياب من كتان مخلوط بحرير. وتسترجف: تحرك.

(٥) المتنتان: ما يجاور العمود الفقري من يمينه وشماله.

(٦) الأغر: الأبيض الوجه، يريد أنه سيد شريف كريم الفعال. والأروع: الشهم الذكي، ومن يعجبك بحسنه أو شجاعته.

(٧) يعفي عليها: يفوقها في القيمة. والصناع: المرأة الحاذقة في العمل بيديها، يقال رجع صنع، وامرأة صناع.

(٨) القشيب: الجديد من الثياب. والسمل: البالي.

يُمْنَى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ ... يُسْراه وهي لنا من بعدها بَدَل

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثَل شاعرَ آلِ عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر، وعاتبه على ما عَتَب عليه من أجله، وتضمَّن له ما يُحِبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمّام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شره، والتوقّي لذمه، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن، وفراقه السَّكَن، وقد قصدك عاقداً بك أملَه، مُعملاً إليك ركابه، متعباً فيك فكره وجسمه، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقه، حتى ينصرف راضياً؛ ولو لم يأت بفائدة، ولا سُمع فيك منه ما سُمع إلا قوله:

تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منا السُّرَى وخُطَا المَهريّة القُودِ[1]

أمَطْلَعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كَلاّ ولكن مَطْلِع الجودِ

[٣٩٦/١٦] / فقال له عبد الله: لقد نَبَّهْتَ فأحسنت، وشفعت فَلَطُفْت، وعاتبت فأوْجَعت، ولك ولأبي تمام العُتْبى، ادعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفَي دينار، وما يحمله من الظَّهْر، وخلَع عليه خِلْعة تامة من ثيابه، وأمر ببِذْرَقته[2] إلى آخر عمله.

أبو تمام لاقط للمعاني

أخبرني جَحْظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال:

مرَّ أبو تمام بمخنَّث يقول لآخر: جئتك أمس فاحتجبت عني، فقال له: السماء إذا احتجبت بالغيم رُجّي خيرُها. فتبينتُ في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، ليضمنه[3] في شعره، فما لبثنا إلا أياماً حتى أُنْشِدت قوله:

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملاً ... إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

اتهامه بسرقة قصيدة

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال:

كنا عند دِعْبل أنا والقاسم[4]، في سنة خمس وثلاثين ومئتين، بعد قدومه من الشأم، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، وقال: هو سَروق للشعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المِخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يُمِرُّها على يده، حتى أخرج منها دَفتراً، فقال: اقرءوا هذا. فنظرنا فيه، فإذا فيه: قال مُكْنِف أبو سُلْمى، من ولد زهير بن أبي سُلْمى، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها:

---

(١) قومس: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل. والمهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن، وكانت لا يعدل بها شيء في سرعتها (عن «تاج العروس»).

(٢) بذرقته: حراسته.

(٣) أ، م: لينظمه.

(٤) أ، م: والعمراوي.

إن الضُّراطَ بــه تصــاعَــد جَــدُّكُــم ... فتعــاظمـوا ضَــرْطــاً بنــي القَعقــاعِ

١٠٧/١٥

/ قال ثم مات دُفافة بعد ذلك، فرثاه فقال:

أبعد أبـي العبـاس يُستعـذَبُ الـدهـرُ[١] ... فمـا بعـده للـدهـر حسنٌ ولا عُـذْرُ

ألا أيُّهــا النــاعــي دُفــافــةَ والنـدَى ... تَعَسْـت وشَلَّـت مـن أنـامـلك العشر

/ أتنعَـى لنـا مِـنْ قيس عيـلانَ صَخـرة ... تفلَّـق عنهـا مـن جبـال العِـدا الصخـر

[٣٩٧/١٦

إذا مـا أبـو العبـاس خَلَّـى مكـانـه ... فـلا حَمَلـتْ أنثـى ولا نـالَهـا طُهْـرُ

ولا أمطـرتْ أرضـاً سمـاءٌ ولا جـرتْ ... نجـومٌ ولا لَـذَّتْ لشـاربهـا الخمـر

كـأنّ بنـي القعقـاع يـوم مُصـابِـه ... نجـومُ سمـاءٍ خَـرَّ مـن بينهـا البـدر

تُـوُفِّيـتِ الآمـالُ يـومَ وفـاتـهِ ... وأصبـح فـي شُغْـلٍ عـن السَّفْـر السفْـر

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته:

كـذا فليجِـلَّ الخطـبُ وليَفـدَحِ الأمـرُ ... وليـسَ لعيـن لـم يَفـضْ مـاؤُهـا عُـذر

مداعبة بينه وبين الحسن بن وهب

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى قال:

كان أبو تمام يعشق غلاماً خَزَرياً للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاماً رومياً لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقتَ[٢] إلى الروم، لنركُضَنَّ إلى الخَزَر. فقال له الحسن: لو شئتَ حكَّمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام، وأشبه نفسي بخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارِض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبـا علـيٍّ لصـرفِ الـدهـر والغِيَـرِ ... وللحـوادث والأيـامِ والعِبَـرِ[٣]

أذكـرتنـي أمـر داودٍ وكنـتُ فتـىً ... مُصَـرَّف القلـب فـي الأهـواء والفِكَـر

أعنـدك الشمـس لـم يَحـظ المغيـبُ بهـا ... وأنـت مضطـربُ الأحشـاء للقمـر

إن أنـت لـم تتـرك السيـر الحثيـث إلـى ... جـآذر الـرومِ أعنقنـا إلـى الخَـزَر

إن القَطُـوبَ[٤] لـه منـي محـلُّ هـوىً ... يَحـل منـي محـلَّ السمـع والبصـر

/ وربّ أمنـعَ منـه جـانبـاً وحِمـىً ... أمسـى وتِكّتُـهُ[٥] منّـي علـى خَطَـر

[٩٨/١٦

جَـرَّدتُ فيـه جنـودَ العـزم فـانكشفـتْ ... منـه غَيـابتُهـا عـن نَيكـة هَـدَر[٦]

---

(١) الدهر: كذا في أ، م. وفي بقية الأصول: الشعر.

(٢) الإعناق: السير الواسع الفسيح الممتد.

(٣) «الديوان» (طبعة بيروت ١٨٨٩).

(٤) «الديوان»: النفور.

(٥) في الأصول: ولكنه.

(٦) «الديوان» * عنه غيابته عن فجرة هدر * والهدر: الباطل.

سبحـانَ مـن سَبَّحَتْـهُ كـلُّ جـارحـةٍ مـا فيـك مـن طَمَحـان الأيـر والنظـر [1]

أنـت المقيـمُ فمـا تغـدو رواحلُـهُ وأيـرُه [2] أبـداً منـه علـى سَفَـر

سبب غضب دعبل منه

أخبرني الصوليّ قال: حدّثني عبد الله بن الحسين قال: حدّثني وهب بن سعيد قال:

جاء دِعبِل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا عليّ، أنت الذي تطعُن على من يقول:

شَهِـدتُ لقـد أقـوتْ مغـانيكُـمُ بعـدِي ومَحّتْ كما محت وشـائعُ مـن بُـرْدِ [3]

وأنجـدتـم مـن بعـد إتهـام داركُـمْ فيـا دمـعُ أنجـدنـي علـى سـاكنـي نجـدِ

108/15 فصاح دعبل: أحسن والله! وجعل يردد «فيا دمع أنجدني على ساكني نجد» ثم قال: رحمه الله! / لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

رثاؤه ابني عبد الله بن طاهر

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن يزيد قال:

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده:

مـا زالـت الأيـامُ تخبِـرُ سـائـلا أن سَـوفَ تفجـعُ مُسْهِـلا أو عـاقِـلا [4]

مجـدٌ تـأوَّبَ طـارقـاً حتـى إذا قلنـا أقـام الـدهـرَ أصبـحَ راحـلا [5]

[10/399] / نجمـان شـاء الله ألا يَطْلُعـا إلا ارتـدادَ الطـرف حتـى يـأفِـلا

إن الفجيعـة بـالـريـاض نـواضـراً لأجـل منهـا بـالـريـاض ذوابِـلا

لـو يُنْسَبـان لكـان هـذا غـاربـاً للمكـرُمـات وكـان هـذا كـاهـلا [6]

لَهْفـي علـى تلـك المخـايـلِ منهمـا لـو أُمْهِلَـت حتـى تكـون شمـائِـلا

لغـدا سكـونُهمـا حِجـىً وصِبـاهُمـا حِلْمـاً وتلـك الأريحيـةُ نـائـلا

إن الهـلالَ إذا رأيـت نمـوَّهُ أيقنـتَ أنْ [7] سيكـونُ بـدراً كـامـلا

---

(١) «الديوان» * ما فيك من طمحان العين بالنظر *

(٢) «الديوان» *وفعله أبداً منه على سفر *

(٣) محت: درست وانمحت. والوشائع: جمع وشيعة، وهي الطريقة في البرد، وهي تخطيط يخالف لونه سائر لون البرد.

(٤) مسهلاً: نازلاً في السهل. وعاقلاً: ممتنعاً في الجبل العالي.

(٥) تاوب: ورد ليلا، وهو بمعنى طرق.

(٦) ينسبان: كذا في جميع الأصول. يريد أنهما لو نسبا أي أضيفا إلى شيء لأضيفا إلى المكرمات، فكانا بمنزلة السنام والكتف من البعير. وفي «الديوان»: لو ينسآن، أي يؤخر أجلهما.

(٧) «الديوان»: «أيقنت أن سيعود».

صوت

شعر لأبي الشيص فيه غناء

بـــالله قـــلْ يـــا طَلَـــلُ ... أهلُـــك مـــاذا فعلُـــوا

فــإن قلبـــي حَــذِرٌ ... مـــن أن يَبِينـــوا وَجِـــلُ

عروضه من الرجز. الشعر لأبي الشيص. والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ. خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ومن رواية الهِشاميّ.



١/٤٠٠

/ أخبار أبي الشِّيص ونسبه

نسبه

اسمه محمد بن رَزِين بن سليمان بن تميم بن نَهْشل - وقيل: ابن بُهَيْش - ابن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعِيل بن أَنَس بن خُزَيمة بن سَلامان بن أسلَم بن أفصَى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيا ابن عامر بن ثعلبة.

منزلته الشعرية

وكان أبو الشيص لقباً غلب عليه. وكنيته أبو جعفر، وهو ابن[1] عم دِعبل بن عليّ بن رَزين لَحًا[2]. وكان أبو الشيص من شعراء عصره، متوسِّط المحلّ فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس، فخمل وانقطع إلى عُقْبَةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ، وكان أميراً على الرَّقَّة، فمدحه بأكثر شعره، فقلما يُرْوَى له في غيره. وكان عُقْبة جواداً فأغناه عن غيره.

ابنه عبد الله

ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً، صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، ومن جهته خرج إلى الناس.

مراثيه في عينيه

وعَمِيَ أبو الشِّيص في آخر عمره، وله مَراثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده، نذكر منها مختارها مع أخباره.

تفضيل ابن المعتز له

وكان سريع الهاجس جداً، فيما ذُكر عنه. فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامريّ قال له: مَن أخبرك أنه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشيص فكذّبه. والله لكان الشعرُ عليه أهونَ من شرب الماء على العطشان. وكان من أوصف الناس للشراب، وأمدحهم للملوك.

وهكذا ذكر ابن المعتز، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر في ديوان شعره، ولا هو بساقط، ولكن هذا سَرَف شديد.

/ مدحه لعقبة بن جعفر ومكافأته

٤٠١

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكِرانيّ عن النضر بن عمر قال:

قال لي أبو الشيص: لما مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها:

---

(١) في الأصول: وهو عم دعبل. ولكن المترجمين لأبي الشيص أجمعوا على أنه ابن عمه.

(٢) يقال: هو ابن عمي لحا: أي لاصق النسب.

/ تُنكـري صَـدي ولا إعـراضـي ليس المقـلُّ عـن الـزمـان بـراضِ ١٠٩/١٥

أمر بأن تُعَدّ، وأعطاني لكل بيت ألف درهم.

هو والخريمي يرثيان بصريهما

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: أنشدت إبراهيم بن المهديّ[1] أبيات أبي يعقوب الخُرَيميّ التي يرثي بها عينه، يقول فيها:

إذا مـا مـات بعضُـك فـابـك بعضـاً فـإن البعـض مـن بعـض قـريـبُ

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه:

يـا نفـسُ بكّـي بـأدمـع هُتُـنِ وواكـفٍ كـالجُمـان فـي سَنَـنِ

علـى دليلـي وقـائـدي ويـدي ونـور وجهـي وسـائـس البـدنِ

أبكـي عليهـا بهـا مخـافـةَ أن تَقـرُنَنـي والظـلامَ فـي قَـرنِ

يدعو على امرأة عيرته بالعمى

وقال أبو هِفّان: حدّثني دِعبل أن امرأة لقيت أبا الشِّيص، فقالت: يا أبا الشيص: عَميتَ بعدِي. فقال: قَبَحَكِ الله، دعوتني باللقَب، وعيّرتني بالضّرر!

مجلس شعره

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن عُبيد قال:

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبل في مجلس، فقالوا: ليُنشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أخبرْكم بما يُنشِدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت:

/ إذا مـا علَـتْ منـا ذؤابـةُ واحـدٍ وإن كـان ذا حلـم دعتـه إلـى الجهـلِ]٤٠٢/١٦

هـل العيـشُ إلا أن تـروح مـع الصِّبـا وتغـدو صـريـعَ الكـأس والأعيـن النُّجْـلِ

قال: وبهذا البيت لقِّب «صريع الغواني»، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقت.

ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأني بك يا أبا عليّ قد أنشدت:

لا تبـك ليلـى ولا تطـرب إلـى هنـدِ واشربْ على الـوَرْد من حمراءَ كـالـوردِ

تَسقيـك مـن عينهـا خمـراً ومـن يـدهـا خمـراً فمـا لـك مـن سُكـريـن مـن بُـدّ

فقال له: صدقت.

ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا عليّ، فكأني بك تنشد قولك:

---

(١) أ، م: إبراهيم بن المدبر.

أين الشبابُ وأيَّةً سَلكا لا أينَ يُطلَب ضلّ بل هَلَكا

لا تعجبي يا سَلْمَ من رجُل ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفر، فكأني بك وقد أنشدتَ قولك:

لا تنكري صدِّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

فقال له: لا. ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته. قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي متأخَّرٌ عنهُ ولا متقدَّمُ

أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً حباً لذكرك فليلُمْني اللُّوَّمُ

أشبهتِ أعدائي فصرتُ أُحبُّهمْ إذ كان حظي منكِ حظِّي منهمُ

١١٠/١٥ / وأهنتِني فأهنتُ نفسيَ صاغراً[١] ما مَنْ يهون عليك ممن يُكْرَم[٢]

لغَرِيب في هذا الشعر لحنان: ثقيلٌ أوّل، ورمل.

١٦/٤٠٣ / قال: فقال أبو نواس، أحسنتَ والله وجودت! وحياتك لأسرقنّ هذا المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه، فيشتهرُ ما أقول، ويموت ما قلت. قال: فسرق قوله:

وقفَ الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ

سَرَقاً خَفِياً[٣]، فقال في الخصيب:

فما جازه جودٌ ولا حل دُونَهُ ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت أبي نواس، وسقط بيت أبي الشيص.

مجلس شعري آخر

نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه:

حدّثني الحسن بن سعد قال: حدّثني رَزِين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال:

كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومُسلم بن الوليد الأنصاريّ، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتَك المُخزية. قال: وما هي؟ قال: الضادية. فما خطر بخَلَدي قولك:

* ليس المقلُّ عن الزمان براضِ *

إلا أخزيتُك[٤] استحساناً لها، فإنّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقّفها وعلمها ما بلغت به

---

(١) أ، م: عامداً.
(٢) أ، م: أكرم.
(٣) كذا في أ، م. وفي بقية الأصول: خفيفاً.
(٤) أخزيتك: قلت: أخزاه الله!.

استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيد الكلام، ثم يقول لها: عُدِّي ليَ المُخْزِيات، فتعدُّ قوله:

أغَــرُّ أرْوَعُ يُستسقَــى الغمــام بــه ... لـو قـارعَ النـاسَ عـن أحسابهـم قـرَعـا

وما أشبَهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أفعل. إنها ليست عندي عِقْدَ دُرٍّ مفصَّل، ولكني أكاثر بغيرها، ثم أنشده قوله:

وقَـفَ الهوى بي حيثُ أنت فليسَ لي ... متــأخَّــر عنـــه ولا متقـــدَّمُ

/ الأبيات المذكورة، فقال له أبو نواس: قد أردت صرفَك عنها، فأبيتَ أن تَخَلَّى عن سَلَبِك، أو تُدْرَك في هَرَبِك. [١٦/٤٠٤]

قال: بل أقولُ في طلبي[1]، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نَمَطاً خُسْرُوانياً مُذْهَباً حسناً، فكيف تركت:

فــي رِداء مــن الصَّفيــح صَقِيــلٍ ... وقميــصٍ مــن الحــديــدِ مُــذالِ[2]

قال: تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما، بما سبق في ألحاظه، وزُيِّن في ناظره.

تفضيل أبي نواس له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أبي قال:

حدّثني من قال لأبي نُواس: من أشعر طبقات المُحْدَثين؟ قال: الذي يقول:

يطــوفُ علينــا بهــا أحْـورٌ ... يــداه مــن الكــأسِ مخضــوبتــان

والشعر لأبي الشِّيص.

شعره في خادم أبي دلف العجلي

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوكبيّ قال: حدّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبَهانيّ قال: حدّثني أبي قال:

دخل أبو الشيص على أبي دُلَف وهو يُلاعب خادماً له بالشِّطْرَنج، فقيل له: يا أبا الشيص، سل هذا الخادم أن يَحُلّ أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أعزه الله أحق بمسألته. قال: قد سألته، فزعم أنه يخاف العين على صدره، فقل فيه شيئاً. فقال:

وشــادنٍ كــالبــدر يجلــو الــدُّجَــى ... فــي الفــرقِ منـه المسـكُ مَــذرورُ

/ يُحــاذر العيــنَ علــى صَــدْره ... فــالجيــبُ منـه الــدهــرَ مــزرور ١١١/١٥

/ فقال أبو دُلَف: وحياتي لقد أحسنت! وأمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت! فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أخرى. [١٦/٤٠٥]

عشقه لقينة بغدادي

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرَفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال: حدّثني علي بن سعد بن إياس الشيبانيّ قال:

---

(١) يريد: أبيت أن يدركني أحد في طلبي لمعاني الشعر المبتكرات.

(٢) يظهر من السياق أن هذا البيت من قصيدة لأبي الشيص أعجب بها أبو نواس، ولكن أبا الشيص لم يذكرها في هذا المجلس.

تعشق أبو الشيص محمدُ بن رَزين قينةً لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها، وينفق عليها في منزل الرجل، حتى أتلف مالاً كثيراً. فلما كُفَّ بصره، وأخفق، جعل إذا جاء إلى مَولى الجارية حَجَبه، ومنعه من الدخول، فجاءني أبو الشيص، فشكا إليّ وجدَه بالجارية، واستخفاف مولاها به، وسألني المُضِيّ معه إليه، فمضيت معه، فاستؤذن لنا عليه، فأذِن، فدخلت أنا وأبو الشيص، فعاتبته في أمره، وعَظَّمت عليه حقه، وخوفته من لسانه ومن إخوانه، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل في بيته، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سمعنا صُراخاً شديداً من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ؟ أتراه قد مات لعنه الله! فما زلنا ندق الباب حتى فُتح لنا، فإذا هو قد حَسَر كميه وبيده سوط، وقال لنا: ادخلا، فدخلنا، وإنما حمله على الإذن لنا الفَرَق مني، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها، فاستمعنا عليه واطلعنا، فإذا هي مشدودة على سُلّم وهو يضربها أشد ضرب، وهي تصرخ، وهو يقول: وأنت أيضاً فاسرِقي الخبز. فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك:

يقـولُ والسـوط علـى كفِّـه ... قـد حَـزّ فـي جلـدتهـا حَـزًّا

وهـيَ علـى السُّلَّـم مشـدودة ... «وأنـتِ أيضـاً فـاسرقـي الخُبْـزا»

[١٦/٤٠٦] / قال: وجعل أبو الشيص يُردِّدهما، فسمعهما الرجل، فخرج إلينا مبادراً، وقال له: أنشدني البيتين اللذين قلتهما، فدافعه، فحلف أنه لا بد من إنشادهما، فأنشده إياهما، فقال لي: يا أبا الحسن، أنت كنت شفيع هذا، وقد أسعفتك بما تحب، فإن شاع هذان البيتان فضحتَني، فقل له يقطع هذا، ولا يُسمِعْهما، وله علي يومان في الجمعة. ففعلت ذلك، ووافقته عليه، فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

شعره في جارية سوداء عشقها

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال:

كانت لأبي الشّيص جارية سوداء اسمها تِبْر، وكان يتعشقها، وفيها يقول:

لـم تُنصِفـي يـا سَمِيـة الـذَّهَـبِ ... تتلـفُ نفسـي وأنـت فـي لَعِـبِ

يـابنـة عـم المِسـكِ الـذكـي ومَـن ... لـولاك لـم يُتخَـذْ ولـم يَطِـبِ

نـاسَبَـك المسـكُ فـي السـواد وفـي الـرِّيـح فـأكـرم بـذاك مـن نسـبِ

شعره في محمد بن إسحاق لما تغير له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ، عن عمه قال:

كان أبو الشّيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ، وهما حينئذٍ مُملقان، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه، واستغنى، فجفا أبا الشيص، وتغير له، / فكتب إليه: [١١٢/١٥]

الحمـدُ لله رب العـالميـنَ علـى ... قُـربـي وبعـدِكَ منـي يـابـن إسحـاقِ

يـا ليـتَ شعـري متـى تُجْـدِي علـيّ وقـد ... أصبحـتَ رب دنـانيـر وأوراقِ

تُجْـدِي علـيَّ إذا مـا قيـلَ مَـنْ راقٍ ... والتفـت السـاقُ عنـد المـوت بـالسـاقِ

يومٌ لَعَمري تَهُمُّ الناسَ أنفسُهم ... وليس ينفع فيه رُقيةُ الراقي

[١٦/٤٠٧]

/ وصفه

حدثني محمد(١) بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات قال:

كنت أسيرُ مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل، وخلفه غلام له، وشيخ على بغل له هَرِم، وما فيهم إلا نِضْو، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان فقال: كأنهم والله صِفة أبي الشيص حيث يقول:

أكلَ الوجيفُ(٢) لحومَها ولحومَهم ... فأتوكَ أنقاضاً على أنقاضِ

مقتله

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني أبو مالك عبد الله قال: قال لي عبد الله بن الأعمش:

كان أبو الشَّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ يشرب، فلما ثَمِل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يَدِبّ إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك! قتلتني والله! وما أحب والله أن أفتضح أني قُتِلت في مثل هذا، ولا تُفْضَحَ أنت بي، ولكن خذ دَستيجة(٣) فاكسِرْها ولوثها بدمي، واجعل زجاجها في الجُرْح، فإذا سئِلت عن خبري، فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلتني، ومات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، ودُفن أبو الشيص، وجزع عُقْبة عليه جزعاً شديداً. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبةَ عن خبره، وأنه هو قتله، فلم يُلْبثه أن قام إليه بسيفه، فلم يزلْ يضربه حتى قتله.

صوت

مدح الكميت مخلد بن يزيد بن المهلب وفيه غناء

هَلاّ سألتَ معالمَ الأطلالِ ... والرسمَ بعد تقادم الأحوالِ

دِمَناً تَهيجُ رسومُها بعد البلى ... طَرَباً وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ

/ يمشين مشي قَطا البِطاح تأوُّدا ... قُبُّ البطون رواجح الأكفالِ

[١٦/٤٠٨]

من كل آنسة الحديث حَيِيةٍ ... ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ

أقصَى مذاهِبها إذا لاقيتَها ... في الشهر بين أسِرَّةٍ وحِجالِ

وتكونُ رِيقتُها إذا نبهتَها ... كالشهدِ أو كَسُلافة الجِريالِ

المتفال: المنتنة الريح. والجريال فيما قيل: اسم للون الخمر. وقيل: بل هو من أسمائها. والدليل على أنه لونها قول الأعشى:

وسُلافةٍ مما تعتق بابلٍ ... كدمِ الذبيح سلبتُها جِرْيالَها

---

(١) أ: علي بن العباس.

(٢) الوجيف: السير السريع.

(٣) الدستيجة: الإناء الكبير من الزجاج.

قال سِماك بن حَرْب: حدثني يُحَنَّسُ بن مَتَّى الحِيريّ راوية الأعشَى: أنه سأله عن هذا البيت فقال: سلبتها لونها: شربتها حمراء، وبلْتُها بيضاء.

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد، والغناء لابن سُرَيج، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة. وذكر المكيّ أنه لابن / مُحرز. وفيه لعَطَرّد خفيف ثقيل. وهذا الشعر من قصيدة للكميت، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب، يقول فيها:

١١٣/١٥

قادَ الجيوشَ لخمسَ عَشْرَة حِجَّةً ... ولِداتُهُ عن ذاك في أشغالِ

قَعَدتْ بهم هِماتُهُمْ وسَمَتْ به ... هممُ الملوك وسَوْرَة الأبطالِ

فكأنما عاشَ المهلَّبُ بينهمْ ... بأغرَّ قاسَ مثالَه بمثالِ

في كَفِّه قَصَباتُ كلِّ مُقَلَّدٍ ... يومَ الرِّهانِ وفوزُ كلِّ نِصالِ

ومتَى أزِنْكَ بمعشرٍ وأزنهمُ ... بكَ ألْفِ وزنُكَ أرجحَ الأثقالِ

تمّ الجزء السادس عشر من كتاب الأغاني

فهرس موضوعات الجزء السادس عشر

الموضوع	الصفحة

